

مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية

مجلة علمية محكمة

ISSN: (e) 2709-0833

معامل التأثير العربي للعام 2020 = 0.44

العدد الحادي عشر - المجلد الثاني - نوفمبر 2021م



السودان، الخرطوم، الخرطوم بحري،
كافوري جوار جامعة الزعيم الأزهرى

هاتف: 00249123656807

00249905578664

البريد الإلكتروني: info@hnjournal.net

العراق - بابل : 009647805011077

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إدارة المجلة

د. إبراهيم عبد الرحمن أحمد

رئيس التحرير

د. عبدالرحمن الشيخ علي ال غصبيه

نائب رئيس التحرير

د. أحمد فايق سليمان دنول

رئيس اللجنة العلمية

الأستاذ الكزري العربي

نائب رئيس اللجنة العلمية

الهيئة الاستشارية والعلمية الدولية

أ.م. عباس مراد دوهان

أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة الكوفة وجامعة الإمام

الكاظم كلية الدراسات الإسلامية

د. علي طالب عبيد السلطاني

أستاذ جامعي كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم

الإسلامية

د. تامر شبل زيا

كلية الادارة والاقتصاد / الجامعة المستنصرية

د. أمجد عباس أحمد

كلية الإمام الكاظم. قسم الحاسوب، العراق

د. ميسون طه حسين منصور الزهيري.

القانون العام (القانون الدستوري) / جامعة بابل

د. علي محمد كاظم الكريطي

مقرر قسم القانون في كلية الإمام الكاظم / أقسام ميسان

د. خالد طه سالم صالح

كلية التربية جامعة صنعاء

د. ميثم منفي كاظم العميدي

كلية القانون، جامعة بابل، العراق

د. محمد حسين مهاوي / المعروف ب(د.محمد

الواضح)

معاون العميد للشؤون العلمية والدراسات العليا

بجامعة الامام الكاظم وأستاذ اللغة العربية

د. عبدالرحمن الشيخ علي ال غصبيه

استاذ القانون المدني

كلية القانون والعلوم السياسية جامعة ديالى

كلية الامام الكاظم (ع)

009647701072853

أ.م. د. حيدر كريم جاسم الجزائري

أستاذ جامعي جامعة الإمام الكاظم

الحمد لله في السر والعلن، على ما أنعم وأعطى من غير حول منا ولا قوة، نحمده تعالى على عظيم فضله وكثرة نعمه وتوفيقه. ونصلي ونسلم على خير البرية احمد الذي هو عزيز عليه ما عنتنا، حريص علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم.

مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية هي مجلة عربية دولية محكمة مستقلة تم انشاؤها عن طريق مجموعة من أساتذة الجامعات الموقرين وأصحاب الكفاءات العلمية العالية. حصلت المجلة على الرقم التعريفي الدولي، وقد حصلت أيضاً على اعتراف وتصنيف اتحاد الجامعات العربية بمعامل تأثير لا بأس به نظراً لحدثة المجلة. وأيضاً حصلت على تصنيف (SJIF) على الموقع الالكتروني <http://sjifactor.com/>. وقد حصلت المجلة على الموافقة من المنظمة الدولية للأرقام التعريفية الدولية للأبحاث (DOI) وسيتم منح كل بحث رقم دولي الكتروني تعريفي خاص بالبحث يبقى مدى الحياة. تهدف المجلة إلى نشر العلوم في كافة المجالات باللغات العربية والانجليزية والفرنسية وبأسعار رمزية لتعم الفائدة لجميع الباحثين العرب حيث لا يجد كثير منهم منصات علمية محكمة وسريعة في النشر والتحكيم والتدقيق.

ونحمد الله ونشكره على ان اكتمل العدد العاشر من المجلد الثاني، وقد احتوى هذا العدد على (37) بحث، وتشكر إدارة المجلة جميع المؤلفين الذين تقدموا ببحوثهم وأوراقهم العلمية ومقالاتهم والتي بحسب رأينا بها كثير من الفائدة حيث تحتوي البحوث المنشورة في هذا العدد والأعداد السابقة على مواد ذات سبق علمي فريد. نسأل الله تعالى ان يوفقهم ويزيدهم علماً ونوراً وفائدة للأمة العربية.

كما تود إدارة المجلة ان تشكر جميع الذين ساهموا في إنجاح هذه المجلة فالبعض منهم قد قام بالتبرع المادي والبعض بالنصائح والمساعدة في النشر.

د. إبراهيم عبد الرحمن أحمد

رئيس التحرير

شروط النشر بالمجلة

تعليمات للباحثين:

1. ان يكون البحث ذا قيم علمية بحيث انه يقدم جديد في عالم المعرفة.
2. ان يكون البحث سليماً من حيث الصياغة اللغوية والإملائية.
3. الا يكون البحث مستلاً من بحث تم نشره مسبقاً.
4. الا تتجاوز عدد صفحات البحث (25) صفحة متضمنة الأشكال والرسومات والجداول والصور والمراجع. اذا كان هنالك ملاحق فإنها لا تدرج في النشر ولكنها مهمة ان وجدت لأغراض التحكيم.
5. يجب الا يدرج الباحث اسمه في متن البحث وذلك لضمان سرية التحكيم وجودته.

تنسيق البحث:

1. لا يتجاوز عدد صفحات البحث (25) صفحة متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع.
2. تكتب بيانات البحث باللغتين العربية والإنجليزية، وتحتوي على: (عنوان البحث، واسم الباحث والتعريف به، وبيانات التواصل معه).
3. أن يحتوي البحث على ملخص باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يتجاوز كل منهما (250) كلمة مع التأكيد على كتابة عنوان البحث باللغة الانجليزية، وأن يتبع كل ملخص كلمات مفتاحية (Keywords) (دالة على التخصص الدقيق للبحث) بحيث لا يتجاوز عددها (5) كلمات.
4. الهوامش: إذا كان البحث باللغة العربية: 3 سم للأعلى والأسفل، و3 سم للجانب الأيمن و2.3 سم الأيسر. أما إذا كان البحث باللغة الإنجليزية: 3 سم للأعلى والأسفل، و2.3 سم للجانب الأيمن و3 سم الأيسر.
5. المسافة بين الأسطر: مفردة.
6. الخطوط: اذا كان البحث باللغة العربية Simplified Arabic،، حجم الخط 14 غامق للعنوان الرئيس، 12 غامق للعناوين الفرعية، 12 عادي لباقي النصوص وترقيم، 11 عادي للجداول والأشكال و10 عادي للملخص. اما اذا كان باللغة الإنجليزية Times New Roman،، حجم الخط 14 غامق للعنوان الرئيس، 12 غامق للعناوين الفرعية، 12 عادي لباقي النصوص وترقيم، 11 عادي للجداول والأشكال التوضيحية و10 عادي للملخص.
7. عناصر البحث:
8. المقدمة: (موضوع البحث، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته).
9. تبين الدراسات السابقة وإضافته العلمية عليها.
10. المواد وطرق العمل: يجب أن تحتوي على تفاصيل طريقة إجراء البحث والتحليل الإحصائية والمراجع المستخدمة لهما.
11. النتائج والمناقشة: يمكن كتابة النتائج والمناقشة تحت عنوان واحد أو تحت عنوانين منفصلين. في حالة البيانات المجدولة توضع الجداول والأشكال داخل المتن في أول موقع متاح عقب ذكرها برقمها في المتن. ويستحب عدم إعادة كتابة الأرقام المذكورة بالجداول ويفضل الإشارة إلى وجودها بالجدول أو الشكل وتناقش النتائج بالتفصيل بالاستعانة بالمراجع ذات الصلة بالبحث.
12. كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث تتضمن أهم النتائج والتوصيات.
13. قائمة المصادر والمراجع.

14. الجداول:

15. تدرج الجداول في النص وترقم ترقيمياً متسلسلاً وتكتب أسماؤها في أعلاها.
16. في النص: الجدول (1) (مع مسافة واحدة بين الجدول ورقمه).
17. التسمية التوضيحية: ينبغي أن تدرج في الجدول على الصف الأول تتسق كالتالي:

الجدول(1) عنوان الجدول مع ثلاث مسافات بين التسمية التوضيحية واسم الجدول.

- يتم كتابة المصدر أسفل الجدول حجم الخط 11.

1. الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية: تدرج الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية في النص، وتكون الرسوم والأشكال باللونين الأبيض والأسود وترقم ترقيمياً متسلسلاً.
2. في النص: (الشكل 1) (مع مسافة واحدة بين الشكل ورقمه).
3. التسمية التوضيحية: يجب أن تكون تحت الشكل مباشرة كالتالي:

شكل(1) عنوان الشكل

- يتم كتابة المصدر أسفل الشكل حجم الخط 11، كالتالي (اسم الشهرة للمؤلف، سنة النشر: رقم الصفحة) إن لزم.

طريقة التوثيق:

1. طريقة الإشارة إلى المصادر داخل متن البحث حسب نظام APA.
2. طريقة كتابة المراجع في نهاية البحث حسب نظام APA.

الصفحة	الموضوع
أ	اللجنة العلمية الدولية للمجلة
ب	تقديم
ج	شروط النشر بالمجلة
هـ	فهرس الموضوعات
24 – 12	سيمولوجيا الخرافة دراسة مقارنة في روايتي المسخ لفرانز كافكا وفرانكشتاين في بغداد لعلي سعداوي د. ستار عايد بادي العتابي
37 – 25	مستوى التزام المعلمين الأردنيين بالمعايير المهنية الوارد في الميثاق الوطني لمهنة التعليم لعام (2018) من وجهة نظرهم وحيد محمود حسن عتوم
55 – 38	درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب النبوية في معاملة الأطفال من وجهة نظر مديرات الروضات في محافظة جرش د. عودة مصطفى بني أحمد
66 – 56	القيادة الاستثنائية وأثرها في خلق مناخ السعادة المؤسسية لدى معلمات المدارس الحكومية الأردنية هيام حسين حسن الجونه
77 – 67	الكذب السياسي في البنية الفكرية للمحافظين الجدد د. سرتية صالح حسين
88 – 78	جدلية العلاقة بين الاستقرار السياسي والتنمية المستدامة - دراسة حالة ليبيا د. سرتية صالح حسين
107 – 89	درجة انتشار الميول الانتحارية بين المتعلمين في مرحلة المراهقة في معهد برقابيل الفتي الرسمى شمالي لبنان ربي هشام عوض
125 – 108	أهمية التأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية د. إبراهيم مسعود الفرجاني أ. أماني فرج البرغثي
126 – 140	Production of Bacterial Cellulose from Coconut Watwer as a Medium by using Acetobacter Xylinum strain Adnan Omran Alsawehli, Mohd Sahaid Kalil, Salem. M. Alburki, Jmal Khlifa Alfaluo
159 – 141	مستويات المثابرة والإصرار (GRIT) لدى طلبة المدارس في مديرية تربية لواء المزار الشمالي د. علاء الدين عبدالرزاق الشرماني
172 – 160	فرص دولة قطر في التعاون السيبراني مع حلف شمال الأطلسي (الناتو) عبد الرحمن سعيد الكواري

179 – 173	مفهوم استراتيجية الردع في سيق الامن الدولي عبد الرحمن سعيد الكواري
180 – 189	A Brief Survey of Mobile Android Malware and Classification Techniques Tolls Maha Adam Gumaa
203 – 190	Graph Approach for android malware detection using machine learning techniques Maha Adam Gumaa
258 – 204	مواجهة الأوبئة في الفقه الإسلامي والتشريع الجنائي - دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والتشريع الوضعي مستشار دكتور/ محمد جبريل إبراهيم
278 – 259	سيادة الدول في ظل التحولات الدولية د. أحمد اسحق شنب محمد
297 – 279	أ نموذج التحول الثقافي الاجتماعي في منظور القرآن درامى أبوبكر
312 – 298	خصائص الفتوى عند الشيخ محمد قريو د. مصطفى عبدالرازق محمد بالرازق
329 – 313	الأنماط القيادية لدى مديري المدارس الثانوية الحكومية وأثرها على سير العملية التعليمية من وجهة نظر المعلمين د. إبراهيم علي احمد طلافحة د. فراس محمود بني يونس
342 – 330	اللاهوت المريمي المسيحي في ظل العهدين القديم والجديد سهام صالحى
357 – 343	أبو البقاء هبة الله الحلي ناقداً أ.د. نزار شكور شاكر
365 – 358	تأثير استخدام أسلوب التدريب الذهني غير المباشر في تطوير إنجاز فعالية رمي المطرقة ياسر محمد حمود مهنا د. الطيب الحاج إبراهيم عبد الله
383 – 366	معايير إعداد أجهزة تحليل النصوص عبد الحق قاسمي
400 – 384	الحكومة المحلية الكندية ومسألة حقوق الإنسان مولاي نور الهدى
421 – 401	عالم الجنة والخلود في معتقدات بلاد الرافدين ومصر القديمة مصطفى بوجناح

429 – 422	الاقتصاد الاجتماعي: ماهيته، مفاهيمه، آلياته، وتطبيقاته. مقاربة سوسيو-أنتروبولوجية لقطاع الصيد البحري التقليدي بشمال المغرب عبد العزيز الطويل
444 – 430	مفهوم محو الأمية: التحديدات المفاهيمية، مداخله، أسسه و مقاصده عبد الله علي
464 – 445	تحليل وقياس أثر جودة الخدمات المصرفية الخاصة على زيادة القدرة التنافسية م . م . أمينة مؤيد عبد الله م . م . غصون تلفان مدلول
484 – 465	التعريف بضريبة المبيعات، بحث في القانون العام/ التشريع المالي علياء عبد الجبار يونس د. فضيلة عباس غائب
495 – 485	اللغة العربية وإشكاليات الهوية م. م فاطمة موسى عبد العباس
508 – 496	معوقات المشروعات الصغرى وأثرها على التنمية المكانية في ليبيا، دراسة على المشروعات الصغرى والمتوسطة (مدينة بني وليد أنموذجا) د. علي أحمد محمد اقريشين د. حسن محمد اليونسي
509 – 518	Threatening as an Ideology in Political Discourse: A Critical Stylistic Analysis Assist. Lect. Wafa' A. Sahan M.A. Assist. Lect. Sabrina Abdulkadhim M.A.
528 – 519	مدى فاعلية الحساب الذهني من وجهة نظر معلمي الخامس الابتدائي في تدريس مادة الرياضيات في مديرية التربية والتعليم في عين الباشا في محافظة البلقاء في المملكة الأردنية الهاشمية عبد الرحمن حسين عبد أبو فارس
545 – 529	تقنية القناع في المسرحية العربية الشعرية المعاصرة م. د. خلود جبار عبيد الشطري
551 – 546	طرق وكيفية التخلص من النفايات الطبية في مدينة بني وليد (دراسة ميدانية 2019) علي بوعجيلة الطاهر سلامة زينب أحمد خليفة عبدالناصر خليفة معمر
569 – 552	مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين في الحروف وما صرح به تقي الدين النيلي في كتابه التحفة الشافية في شرح الكافية رشا طالب كاظم حسن رحمانى راد

عنوان البحث

**سيمولوجيا الخرافة دراسة مقارنة في روايتي المسخ لفرانز كافكا وفرانكشتاين في
بغداد لأحمد سعداوي**

د. ستار عايد بادي العتابي¹

¹ وزارة التربية / العراق

بريد الكتروني: ssattar47@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj2112>

تاريخ القبول: 2021/10/05م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

يتناول هذا البحث قراءة سيمولوجية للخرافة في مقارنة بين روايتين مهمتين في الأدب العربي والعالمية ، إذ يمثلان جيلين مختلفين ، وعالمين مختلفين ، فلكل كاتب منهما اتجاه ، وأفكار حاول وضعها في قلبه الخاص ، فكافكا يحاول الهروب من واقع يشعر بعدم الرضا عنه ، فيصوره بصورة ظلامية مليئة بالغموض والخيال. أما سعداوي ، فينطلق من رؤية رسمها لواقع مرير فرضته ظروف معينة على مجتمعنا العراقي ، فهو يحاكي الواقع ولا يبتعد عنه بل يحاول الدخول إليه بطريقة فنية ابتدعها من خياله وثقافته. لذا أحاول في هذا البحث رسم صورة سيمولوجية لما تمخضت عنه شخصيات الروايتين ، وأحداثهما ، معرّفاً بمفهوم السيمولوجيا وما يتعلق بها من علامات ، ورموز وأنساق ، ماذا تعني الخرافة ؟ ، ونبذة مختصرة عن الروايتين ، ثم قراءة سيمولوجية للشخصيات والأحداث وختمتها بالنتائج.

الكلمات المفتاحية: السيمولوجيا ، الخرافة ، المسخ ، فرانكشتاين في بغداد ، الشخصيات ، الحدث.

RESEARCH ARTICLE

**SEMIOLOGY OF SUPERSTITION IS A COMPARATIVE STUDY IN
THE MONSTROUS NOVELS OF FRANZ KAFKA AND
FRANKENSTEIN IN BAGHDAD BY ALI SAADAWI****Dr. Sattar Ayyed Badi¹**

¹ Ministry of Education / Iraq
Email: ssattar47@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj2112>

Published at 01/11/2021**Accepted at 05/10/2021****Abstract**

This research deals with a semiotic reading of superstition in a comparison between two important novels in Arabic and international literature. The two novels present two different generations, and two different worlds as each writer has a direction, and ideas that he tried to present in his own way and style. Kafka tries to escape from a reality. He feels dissatisfied with, portraying it in a dark form full of mystery and imagination.

Saadawi, on the other side, starts from a vision that he painted of a bitter reality imposed by certain circumstances on our Iraqi society, as he simulates reality and does not stray from it, but tries to enter it in an artistic way that he created from his imagination and culture.

So, in this research, I try to paint a semiotic picture of what the characters of the two novels have produced, and their events, defined by the concept of semiotics and related signs, symbols and patterns, what does superstition mean? A brief overview of the two novels, then a semiotic reading of the characters and events and concluded with the results.

Key Words: semiotics, superstition, monstrosity, Frankenstein in Baghdad, characters, event.

الإطار المنهجي

مشكلة البحث

تمكن مشكلة البحث في قراءة تحليلية سيمولوجية الخرافة في روايتي فرانس كافكا المسخ أو المتحول ، وأحمد سداوي فرانكشتاين في بغداد .

أهداف البحث

- بيان التقارب في المستوى السيمولوجي بين الروائيتين .
- بيان التواصل الثقافي في الأدب الروائي العراقي والغربي .
- بيان الأبعاد الفكرية التي تركتها الروائيتين .
- المستوى السيميائي لشخصيات الروائيتين .

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في إظهار المكانة الأدبية والتواصل الثقافي بين الأدبين العراقي والغربي من خلال قراءة تحليلية مقارنة سيمولوجية بين هاتين الروائيتين ، لما لاقته من صدق في الأدب العالمي .

أسئلة البحث

يرتكز البحث على تساؤل مهم يجمع بين مادة الروائيتين في الرؤيا الخيالية وإيمان الكاتبين بصة الخالق بالمخلوق ، إذ سيعمد البحث إلى تحليل السؤال الآتي :

ما ترابط سيمولوجيا الخرافية بين روايتي المسخ وفرانكشتاين في بغداد ؟

منهج البحث

سأعتمد في هذا البحث على جمع الصور السيمولوجية وتحليل دلالاتها من حيث الحدث الدرامي والشخصيات في روايتي المسخ وفرانكشتاين في بغداد .

الإطار النظري

السيمولوجيا

يعد مفهوم السيمولوجيا من المفاهيم النقدية الحديثة إذ انبثق من " الكلمة اليونانية Semeion بمعنى العلامة ، و logos بمعنى الخطاب أو العلم وبهذا تصبح كلمة Semiologie علم العلامات أو علم الدلالة كما يطلق عليه بالعربية السيميائية أو علم الإشارات " ¹ ، على أن السيمولوجيا علم شامل للإشارات والرموز الذي

- بركات ، وائل ، السيمولوجيا بقراءة رولات بارت ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 18 ، العدد الثاني لسنة 2002 .¹

يشمل جميع العلوم الإنسانية والطبيعية الأخرى²، والسيمولوجيا بحسب رأي أمبرتو ايكو هي " علم العلامات أو السيرورات التأويلية"³.

استطاعت السيمولوجيا أن توفر فرصة أكثر شمولية لدراسة الصور والأنساق اللسانية، وكل مظاهر التواصل، لشمولها العلامات والإشارات المختلفة، فهي تعنى " بالعلم الذي يبحث في أنظمة العلامات لغوية كانت أو يقينية أو حركية، وبالتالي إذا كانت اللسانيات تدرس الأنظمة اللغوية فإن السيمولوجيا تبحث في العلامات غير اللغوية التي تنشأ في حضان المجتمع"⁴، لذا يمكن عدّها علم تنظيمي " يدرس الأنظمة والمظاهر المؤدية إلى التواصل.... يهتم بالخصائص النظامية لتقنيات التواصل، وبطبيعة الرموز القائمة في المحيط الإنساني والتي تعبر عن لغة تواصلية"⁵.

تبحث السيمولوجيا في أعماق النص وتجلياته وبمستويات مختلفة لتظهر ما يخفي من حقائق لـ " فهم الإبداعات الفردية في كل تجلياتها السطحية على المستويات الصرفية، والتركيبية، والدلالية، والمنطقية؛ والبحث عن المولدات الحقيقية لهذا التعدد النصي والخطابي على مستوى السطح"⁶.

لذا فمصطلح سيمولوجيا يدرس العلامات والرموز والإشارات والأنساق ودلالاتها في مختلف العلوم الإنسانية والطبيعية، فهي تنظم تواصلية الأحداث بعضها ببعض لتشكل نظاماً منسجماً بإطار فني متكامل.

العلامات

يمكن تقصي معاني العلامات عن طريق تحليلها سيمولوجياً بلغة جديدة ومفاهيم خاصة تتولد بواسطة الإشارات، لتحرك حواس الإنسان ومشاعره، لتشكل بين الحواس نوعاً من الحوار والانفعال لأن " الإشارة الإيمائية ذات أهمية كبرى في حياتنا اليومية، وتستعمل كبديل لكلام خاص"⁷.

وقد عُرفت العلامة بتعريفات عديدة، فقد عرفها الجرجاني بقوله: " كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو "الدال" والآخر هو "المدلول"⁸.

وعُرفت عند اليونانيين بأنها: " علم يختص بدراسة أنساق جميع أنواع العلامات والأدلة، والرموز، والإشارات، والأيقونات البصرية، سواء أكانت طبيعية أم صناعية"⁹.

² - ينظر: بيري جيو، علم الإشارة - السيمولوجيا، ترجمة: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والنشر، بيروت 1988، ص 12.

³ - عياشي، منذر، العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب 2004، ص 13.

⁴ - المرتجي، أنور، سيميائية النص الأدبي، أفريقيا الشرق، بيروت 1987، ص 12.

⁵ - جرجس، ميشال جرجس، المدخل إلى علم الألسنية الحديث، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس. لبنان 2010، ص 150.

⁶ - حمداوي، جميل، الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، 2015، إصدارات شبكة الألوكية

www.alukah.net، ص 6.

⁷ - توسان، برنار، ما هي السيمولوجيا، ترجمة محمد نظيف، ط2، أفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص 27.

⁸ - الشريف الجرجاني علي ابن محمد ت816هـ، كتاب التعريفات، طبعة لأبيسك، 1845م، مطبعة لبنان، بيروت، 1978م، ص94.

⁹ - برير سورين، السيميائية السيرانية: تورنتو، كندا: مطبعة جامعة تورنتو، 2008، ص229.

أما دي سوسير فقد ربطها بوجهين متشابهين هما الدال والمدلول ، لا ينفصل أحدهما عن الآخر¹⁰ ، لذا فـ " هي الدال وحده أو هي المدلول وإنما هما معاً بعبارة أخرى لا يمكن الفصل بينهما"¹¹

والعلامات تشير إلى مدلول العلاقة التلازمية، بين الأشياء فالدخان في دلالاته على وجود النار، واحمرار الجلد يدل على الإصابة بالحمى ، وصوت الرعد في دلالاته على وجود الغيوم والمطر .

الرموز

يعد الرمز ذو طبيعة مثيرة وغنية في مختلف المعارف والعلوم ، يختلف في مغزاه من سياق لآخر بحسب مجال وجوده ، فهو وسيلة لتحقيق أعلى قيم الأدب وأكثر متانة في سبك السياق اللغوي والفني ، لأنه إحياء غير مباشر للتعبير عن النواحي النفسية التي لا تستطيع اللغة المباشرة أدائها أحياناً ، يعبر عن " كل إشارة أو علاقة تذكر بشيء غير حاضر ووظيفة الرمز هو إيصال بعض المفاهيم إلى الوجدان بأسلوب خاص لاستحالة إيصالها بأسلوب مباشر مألوف، قد يكون الوسيلة الوحيدة المتيسرة للإنسان في التعبير عن واقع انفعالي شديد التعقيد"¹².

فالرمز " كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه ولا بطريق المطابقة التامة ، وإنما بالإحياء بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها"¹³ .

الأنساق

يُعرف النسق بأنه " نظام ينطوي على أفراد مفتعلين تتحدد علاقتهم بعواطفهم وأدوارهم التي تتبع من الرموز المشتركة والمقررة في اطار هذا النسق ، وعلى نحو يغدو معه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي"¹⁴.

من هنا فإن العلامات والرموز والإشارات والانساق تجمع بعلاقة تواصلية لتشكل مع بعضها المفهوم السيميولوجي.

الخرافة

الخرافة في اللغة من " حَرَفَ : فساد العقل في الكبر ، وقد خرف الرجل ، فقد عقله ، والأنثى خرفة ، وأخرفه الهرم"¹⁵، والخرافة : الحديث المستملح من الكذب ، وقالوا حديث خُرَافة ... أن خرافة من بني عذرة أو من جهينة ، اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب منها الناس فكذبوه فجرى على ألسن الناس"¹⁶.

¹⁰ - ينظر/ فريال غزول، علم العلامات مدخل استهلاكي، أنظمة العلامات ، دار الياس العصرية ، القاهرة ، 1986، ص20.

¹¹ - مصطفى ، غلفان ، في اللسانيات : تاريخها ، طبيعتها ، موضوعها ، مفاهيمها ، دار الكتب الجديدة المتحدة ، ط1 ، بيروت ، 2010 ، ص 227 .

¹² - جبور ، عبد النور ، المعجم الأدبي ، بيروت 1979 ص123 .

¹³ - مجدي وهبة ، وكامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، بيروت 1984 ، ص181 .

¹⁴ - إيديث كوزيل : عصر البنيوية ، ترجمة : جابر عصفور ، ط1 ، الكويت 1993 / 411 .

¹⁵ - ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد التاسع ، دار صادر بيروت ، ص 62 .

¹⁶ - المصدر نفسه ص 65 .

يكثر ظهور الخرافات عند الشعوب البدائية أو التي ساد فيها الجهل والامية ، وكثرت فيها المعتقدات الغربية فهي تعتمد على موروث شعبي كثيراً ، ف " الحكاية الخرافية البدائية تكونت في الأصل من أخبار مفردة تبعت من حياة الشعوب البدائية ومن تصوراتهم ومعتقداتهم ثم تطورت هذه الأخبار واتخذت شكلاً فنياً على يد القاص الشعبي "17.

على أنها ظاهرة أو فكرة غرست في أذهان الناس من خلال حكايات سمعوها وتمسكوا بها اعتقاداً منهم بوجودها على الرغم من بعدها عن الواقع ، فهي نسج من خيال لأنها " اعتقاد أو فكرة لا تتفق مع الواقع ، والخرافة كظاهرة اجتماعية ليست بعيدة عن الواقع "18.

تتبنى القصص الخرافية السرد على أسنة الحيوانات في أحيان كثيرة " في أحسن وأدق حالاتها قصة رمزية خلقية ، تخرع فيها شخصيات غير عاقلة من الحيوان أو الجماد تمثل وتتكلم ولها عواطف ومشاعر كالناس "19، وتعرف على أنها " إيمان وممارسات وسلوكيات تبيض وتقدس في الزوايا المظلمة التي لا يصل إليها شعاع العقل ، وحيثما تعطل أو غاب ثقافتهم وبسطت سلطتها على ثقافة المجتمع "20.

تعتمد الخرافة على " ثنائية الحضور والغياب ، أي حضور الحكاية بصفتها اللسانية المنطوقة أو المكتوبة ، والمصرح بها ، وغياب العبرة أو المعنى الذي لا يتم اكتشافه إلا بالجوء إلى الرمز ، لذلك فإن حضور الحيوان في إطار الخرافة يحيل غالباً إلى شخصيات ومواقف تقف خلف نص الحكاية "21، وهي بهذا تشكل بعداً تداولياً " فيما تحمله من رسالة فنية بغرض توصيل حقيقة أخلاقية عامة أو عبرة تجعل المرسل إليه يتفاعل معها متخذاً الموقف المناسب "22.

نبذة عن الروائيتين

رواية (المسخ) أو المتحول تدور حول شاب يكافح من أجل توفير المال لعائلته التي تراكمت عليها ، فيعمل بائعاً متجولاً بهمة ونشاط ، ليفاجئ في أحد الأيام بعدم قدرته على النهوض من فراشه ، وأنه تحول إلى حشرة كبيرة ، فأصبح الجميع قلق لعدم خروجه من غرفته التي اعتاد الخروج منها باكراً ليلحق القطار الذي ينقله بين المدن والقصبات بحثاً عن رزقه ، فإذا به يجد نفسه غير قادر على الحراك والنهوض من مكانه بشكل طبيعي ، ما حدا بأهله لمناداته بأصوات عالية ، وكانت الصدمة لهم كبيرة عندما وجدوه على تلك الحال .

17 - إبراهيم ، نبيلة ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة 1974 ، ص 64.

18 - عيسوي ، عبد الرحمن ، سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي ، منشأة المعارف للنشر ، الاسكندرية . مصر 1983 ، ص 12 .

19 - حميدة ، عبد الرزاق ، قصص الحيوان في الأدب العربي ، القاهرة 1951 ، ص 25 .

20 - الكايد ، هاني ، ميثولوجيا الخرافة والأسطورة في علم الاجتماع ، دار الرأية للنشر ، ط1 ، عمان . الأردن ، 2010 ، ص 21 .

21 - مصطفى ، بوخال ، رمزية الحيوان في التراث الشعبي العربي والفرنسي ، رسالة ماجستير في الأدب الشعبي المقارن ، جامعة أبي بكر

بلقايد ، قسم الثقافة الشعبية ، الجزائر 2011 ، ص 20 .

22 - درويش ، علي ، دراسات في الأدب الفرنسي ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة 1973 ، ص 88 .

فأغلب أحداث الرواية في أماكن ضيقة فرضتها طبيعة الأحداث يقول عنها الناقد (بينو فون فيزه) : " قصة التحول .. تقدم للقارئ حالة من حالات الفشل تؤدي إلى الموت ، وهي قصة تجسد أزمة وجود وتشير بوضوح إلى انقسام يقع نتيجة لتراكمات فيفصل بين الوعي واللاوعي " ²³ .

أما رواية (فرانكشتاين في بغداد) فهي تجسيد لبعد إنساني عميق امتزجت فيه الواقعية بالخيال لأن الكاتب ابتدع شخصية من خياله (الشسمة) التي شكّلت من أجساد الضحايا الذين سقطوا أشلاءً ممزقة بسبب انفجار سيارة مفخخة في ساحة الطيران ببغداد ، لتجمع من أجساد هؤلاء الضحايا جثة جديدة نفخت فيها الروح ، تحمل في داخلها روح الانتقام من الظلم، والتسلط ، فتتلبس فيه روح شاب عشريني يحمل معه ديوان شعر ، يفكر في تحقيق العدالة والقضاء على المجرمين الذين تسببوا في موت كثير من الناس ، فالبطل يتوعد المجرمين بالقصاص لما ارتكبوه من جرائم بحق الإنسانية ، وأنه سيكون يد العدالة في الأرض ²⁴ .

تحليل سيمولوجي

ينطلق كافكا في رواية (المسخ) من جو سوداي متعم في دلالة إلى العزلة الاجتماعية ، وعدم تماسك أبناء الجنس الواحد ببعضهم ، فنبت العائلة للإبن بعد ما أن تحول من شكله الإنساني إلى حشرة غريبة مقرزة ، وجشع الباشكاتب وعدم تسامحه مع (جريجور) وإصراره على تقديم الأفضل ثم هلهع بعد رؤية منظره ، في إشارة لعبثية ، ونكران المجتمع الإنساني في رؤية الكاتب ، ومعتقدة الديني المثير للجدل المتخبط بين اليهودية والمسيحية ²⁵ .

تبدو النظرة المتعالية للبرجوازية المتسلطة التي ترى الفقراء بعين الاستصغار ، فصورة الحمال عندهم غير لائقة " لم يكن الحمال سوى مخلوق غبي إمعة من أتباع الرئيس " ²⁶ .

تخفي في رواية (فرانكشتاين في بغداد) النظرة الدينية المتطرفة ، فالكاتب يربط الديانات الثلاث بإشارات متعددة ، الهدف منها يعود لإيمانه بوحداية الخالق في كل الديانات مع الإشارة إلى توحيد المجتمع العراقي ، يتضح ذلك في اختياراته (حارة اليهود ، كنسية المشرق ، وادي السلام في النجف ، بغداد ، مدينة الصدر ، البتاويين ، قلعة سكر ، العمارة ، أربيل) ، وكذلك في انتقاء أسماء الشخصيات (دانيال ، أيليشوا ، أم سليم البيضة ، هادي العتاك ، ادوارد بولص) ، تتجلى في اجتماع هذه الأماكن والأسماء في الرواية سيمولوجيا رائعة تجمع بين فكرة التوحيد الديني والاجتماعي بما تدل عليه من معانٍ متداخلة بين الدال والمدلول كما يشير دي سوسير ²⁷ ، لأن تلك العلاقات التي جمعها بين هذه المسميات تدل على اختلاط الدم العراقي ببعضه بعضاً ،

²³ - كافكا ، فرانس ، الدودة الهائلة (المسخ) ، ترجمة : الدسوقي فهمي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، آفاق للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 1997 ، ص9 .

²⁴ - ينظر / سعداوي ، أحمد ، فرانكشتاين في بغداد ، منشورات دار الجمل ، بيروت 2013 ، ص 157 .

²⁵ - بدر ، محمود كاظم موات ، ورياض صبار عبد سنڤال ، الرمز في أدب فرانز كافكا رواية المحاكمة نموذجاً ، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية ، المجلد2 العدد 9 سبتمبر 2021 ، ص 544 .

²⁶ - كافكا ، المسخ ، ص 14 .

²⁷ - دي سوسير ، فردينان ، علم اللغة العام ، ترجمة : يونيل يوسف عزيز ، دار آفاق عربية ، بغداد ط1 1985 ، ص 33 .

إذ لا تفرق التجبيرات بين ديانة وأخرى ، أو بين جنوبي وشمالى بل صار المجموع واحداً ، فهذه العلاقة عبارة عن " نظام من الإشارات جوهره الربط بين المعاني والصور الصوتية ... "28 .

سيتناول هذا التحليل لشخصيات الروائيتين وأحداثهما بصورة مبسطة .

الشخصيات

تعد الشخصيات في الرواية من أهم العناصر في البناء الروائي أو السردى ، وتتجلى في النص عن طريقين ؛ أما عن طريق الضمير أو عن طريق دور تلك الشخصية في الرواية إذ " لا تحدد فقط من خلال موقعها داخل العمل السردى ، ولكن من خلال العلاقات التي تنسجها مع الشخصيات الأخرى"29 .

فوجود الشخصيات في العمل الروائي ، ليس واقعياً محضاً ، وإنما قد يمتزج بالخيال كثيراً تبعاً لرؤية الكاتب والمؤثرات الأخرى فيه ، وقد تكون تلك الشخصية خرافية من نسج خيال الكاتب يحاول إدخال في نمط واقعي فالروائي " يمكنه أن يضع لنا عدة كتل من الكلمات التي تصف الإنسان شخصياً وصفاً عاماً ويمنح هذه الكتل أسماء ويعين جنسهم ، كما ينسب إليهم حركات وإشارات معقولة ويجعلهم يتكلمون ... وهذه الكتل من الكلمات هي الشخصيات "30 .

في كل الأحوال تبقى الشخصيات تعكس حالة الكاتب ومزاجه وما الذي أثر فيه لأن " الشخصية عنصر مصنوع ، مخترع ، كتل عناصر الحكاية ، فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها ، ويصور أفعالها ، وينقل أفكارها وأقوالها "31 ، لأن " الكاتب لا يقوم برسم شخصية سكونية كما يفعل الرسام ، لأن جوهر الحياة الإنسانية يكمن في زئبق العلاقات المتفاعلة بدلا من كتابة الكيان المنعزل "32 .

وفي روايتي (المسخ) لكافكا ، و(فرانكشتاين في بغداد) نجد الشخصيات فيها تقارب سيمولوجي واضح ، فالعبيثية التي سيطرت على الجو العام للروائيتين مبني في تصوري من واقع عاشه الكاتبان على الرغم من التباعد الزمني بينهما ، واختلاف المكان ، وعلى اختلاف المؤثرات فيهما ، لكن تجلت في شخصيات روايتهما عناصر مهمة إذ " تلعب الشخصية دوراً رئيسياً ومهماً في تجسيد فكرة الروائي ، وهي من غير شك عنصر مؤثر في تسيير أحداث العمل الروائي "33 ، لأن " الشخصية الروائية يمكن أن تكون مؤشراً دالاً على المرحلة الاجتماعية ، التاريخية التي تعيشها ، وتعبّر عنها ، حيث تكشف عن نظرتها الواعية إلى العالم "34 .

28 - المصدر نفسه ، ص 27 .

29 - هامون ، فيليب ، سيمولوجيا الشخصيات الروائية ، ترجمة : سعيد بنكراد ، دار الكلام ، الرباط . المغرب 1990 ، ص 10 .

30 - أ . م . فورستر ، أركان القصة ، ترجمة : كمال عياد ، دار الكرنك للنشر ، القاهرة ، 1960 ، ص 56 .

31 - زيتوني ، لطيف ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، مكتبة لبنان الحديث ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، بيروت ، 2004 ، ص 114 .

32 - إريك بينتلي ، الحياة في الدراما ، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ، المكتبة العصرية ، بيروت 1968 ، ص 65 .

33 - محمد ، نصر الدين ، الشخصية في العمل الروائي ، مجلة الفيصل ، دار الفيصل للطباعة ، السعودية ، العدد 37 ماي . جوان 1980 ،

ص 20 .

34 - مرشد ، أحمد ، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت 2005 ، ص 33 .

لذا فشخصيات الروائيتين تعكس واقع تهكمي فرضته ظروف معينة ، لكن (كافكا) في رواية (المسخ) يحاول الهروب من واقع يجده بعيداً عن العقل في شخصياته فتحول البطل (جريجور) إلى حشرة مقرزة غير محببة فيه سخرية كبيرة وعبثية واضحة في إشارة إلى التفسخ الإنساني ، والنظرة السائدة للطبقية عندهم ، لكن كافكا أبقى على عقل بطله (جريجور) مع هذا الجسد المتحول محاولاً إقامة علاقة بين العقل والجسد رغم غياب ذلك التناغم بينهما ، وجعل أمر ابتعاد أفراد العائلة عن (جريجور) وشعورهم بالملل منه وعدم الارتياح لما حصل له دون أن يقدموا له أي مساعدة تذكر ، ألا أن شخصية الخادمة تعكس نوعاً من الإنسانية³⁵ ، على أن " التحول في الوظائف يقترن بتحول في الفواعل أو الكائنات فوق الطبيعة"³⁶.

إن أمر تحول الإنسان السوي من حالته المثلى التي خلقه الله عليها " في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ"³⁷، إلى كائن غريب من عالم آخر غير عالم البشر يأخذنا إلى عالم غرائبي عجيب في عبثية فكرية فالكاتب يثبت هروبه من خلال هذه الصورة المتخيلة في محاولة منه لخلق صورة مرعبة وعابثة لتشويه صورة الإنسان والإنسانية في رسمه لمخلوق غريب استحال من إنسان رغم إبقاء عقله على وضعه الطبيعي ، ليعرف ما يدور حوله ، ولكن ليس لديه القدرة على الاستجابة لمحيطه " كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية فيما هو يواجه حدثاً فوق طبيعي ، حسب الظاهر"³⁸.

فكافكا أبعد بطله (جريجور) عن محيطه الإنساني ، وعالمه الطبيعي ، مخالفاً بذلك لقول (لوسيان جولامان) الذي يفرض وجود تقابل بين الحياة الإنسانية والعالم المحيط بها داخل الرواية إذ يقول : " يجب أن يوجد تقابل جذري بين الإنسان والعالم بين الفرد والمجتمع"³⁹.

أن عزل بطل الرواية عن مجتمعه يمثل العزلة التي يميل إليها كافكا ، وحالة التشاؤم التي يعيشها ، لشعوره بالعزلة الاجتماعية والحالة النفسية التي يعيشها فتشكلت نفسيته من عناصر عديدة أدت إلى انعكاس واضح في كتاباته ، تقول تكتك إكرام : " تشكلت نفسيته من تضايف عناصر عديدة تلخصت في لا تواصله مع والده ، وفراغه الروحي ، وفشله في الاندماج في المجتمع الإنساني ، وتكون آخر حلقة في سلسلة معاناة كافكا مرضه الذي أورثه عجزاً ونقصاً حال دون زواجه"⁴⁰، لهذا نجد نظرة الأب (سامسا) لم تكن جيدة بعد تحوله الغريب ، يتضح من خلال دفعه لـ (جريجور) بطرف العصا مرة ، ولمحاولة ضربه مرة ثانية ، ورميه بالتفاح

³⁵ - صبح ، فانتن ، المسخ غربة كافكا ، جريدة البيان الاماراتية ، 25 أغسطس 2018 ، <https://www.albayan.ae/five-senses/east-and-west/2018-08-25-1.3341635> .

³⁶ - حمداوي ، جميل ، الرواية العربية الفانطاستيكية ، مجلة ندوة الإلكترونية ، الموقع :

<https://www.arabicnadwah.com/articles/fantasia-hamadaoui.htm>

³⁷ - سورة التين . الآية 4 .

³⁸ - أبو ديب ، كمال ، الأدب العجائبي والعالم الغرائبي ، دار الساقى ودار أوركس للنشر ، 2007 ، ص 9 .

³⁹ - Lucien Goldman.Introduction au premier ecrite de lukacs in G.lukacs.La theorie du Roman.E.D.conthier.1985/171.

⁴⁰ - إكرام ، تكتك ، الحضور الكافكاوي ، في النقد العربي ، مجلة الحوار الفكري ، جامعة أحمد دراية - إدرار . الجزائر ، الملد 13 ، العدد 16 ، كانون الأول 2018 ، ص 20 .

ثالثة ، ومحاولة الأم التوسل بالأب كي يبقى (جريجور) على قيد الحياة مع ما يمتلكها من رعب بسبب شكله الغريب⁴¹.

أما في رواية فرانكشتاين في بغداد فالكاتب هنا يدخل في صميم الواقع دون الهروب منه ليجسد المعاناة الإنسانية التي حلت بالمجتمع العراقي بعد الاحتلال ، وما فعلته التفجيرات من تمزيق لجسد الإنسان المتكامل ، فهو يحاول جمع شتات الإنسان بما ابتدعه في بطله (الشسمه) ، إذ تتجلى سيمولوجيا الشخصيات عند (أحمد سعداوي) بمعانٍ متداخلة بين الدال والمدلول كما يشير دي سوسير⁴² الذي يربط العلاقات بعضها ببعض ، فعلاقة الشخصيات ترتبط بمعانٍ وصور ذات مدلول يعكسه خيال الكاتب على واقع بناه على أحداث وقعت في بغداد ، فاختلف الدم العراقي ببعضه فلا تعرف التفجيرات التفريق بين هذا وذاك ، أو من أي دين أو ملة ؟ ، بل صار المجموع واحداً عندها لذا فالعلاقة عبارة عن "نظام من الإشارات جوهره الوحيد الربط بين المعاني والصور الصوتية .."⁴³ ، فلو تتبعنا مجرى الأحداث في الرواية لوجدنا ترابط العلاقات فيها بمنظومة معقدة من العلاقات السمعية والبصرية " بعضها متصل بأوضاع وأشكال الممثلين وألوان الأشياء الطبيعية والصناعية ، وبعضها حركي يرتبط بتبادل المواقع وتطور الأحداث "⁴⁴.

يجمع (سعداوي) في روايته شخصيات متعددة من أطراف الشعب العراقي في إشارة منه لمتانة الارتباط والتماسك ، والاحترام المتبادل بين الديانات حتى عند بسطاء الناس ، فشخصية العجوز (أيليشوا أم دانيال) المسيحية ، محبوبة عند جميع الجيران ، ولها كرامة كما تعتقد (أم سليم البيضة) الشخصية المسلمة ، وجارة هذه العجوز في حي البتاويين في بغداد إذ كانت " تفرش لها بساطاً مضموراً من شرائط الأقمشة "⁴⁵، في جلسة ودية مع مجموعة من نساء المنطقة لتبادل الحدث والتخفيف عن العجوز (أيليشوا)⁴⁶.

الحدث

تبنى الحياة في جوهرها من صراعات متداخلة مع بعضها بعضاً ، لتشكل عنصراً أساسياً في نمو وتطور الحياة ، لأن الصراع بحد ذاته يشكل أساس المجتمعات والأفراد ، ويخلق أفكاراً متباينة بين الإيجاب والسلب سياسية كانت أو اجتماعية لتدور من خلال ذلك عجلة الحياة وتستمر ، فيدرس الجاني الإيجابي بشكل يفيد بناء وتقدم المجتمع ، والسلب لتلافي هفوات قد تعيق عملية التقدم ، من هنا ينطلق الروائي في سبر أحداث روايته بما يمتلكه من خيال وثقافة ليضفي على تلك الأحداث والصراعات جمالية فنية لعملية الصراع فيه حتى " يكون الصراع مؤثراً ومقنعاً ويدعو إلى الاهتمام إذا بني على أساس من التوازن والتكافؤ بين أقطابه ، وهنا لا نقصد

41 - ينظر / كافكا ، فرانس ، الدودة الهائلة (المسخ) ، ص 62 ، 63 .

42 - دي سوسير ، فردينان ، علم العلامة العام ، ترجمة : يونيل يوسف عزيز ، مراجعة : مالك المطليبي ، دار آفاق عربية ، بغداد 1985 ، ص 33 .

43 - المصدر نفسه ص 27 .

44 فضل ، صلاح ، مناهج النقد المعاصر ، دار أطلس للنشر ، القاهرة 2012 ، ص 86 .

45 - سعداوي ، أحمد ، فرانكشتاين في بغداد ، ص 15 .

46 - المصدر نفسه ص 15 .

بالتوازن القوة المادية ، لأن شرف الشخصيات يكمن في مواجهة مصير مروع قوي وأكبر منها ، لكن في المقابل نجد أن هذه الشخصيات حتى لو افتقدت القوة المادية ، لا يجب أن تفقد القوة المعنوية والتي تجعلها تتحمل عبء الصراع ومقتضياته⁴⁷.

يعد الحدث عماد السرد الروائي لأنه " مجموعة من الأفعال والوقائع مرتبة ترتيباً سببياً ، تدور حول موضوع ، وتصوّر الشخصية ويكشف عن أبعادها وهي تعمل له معنى ، كما تكشف عن صراع الشخصيات الأخرى ، وهي المحور الأساس الذي ترتبط به باقي عناصر القصة ارتباطاً وثيقاً⁴⁸.

يترتب الحدث في الرواية من مجموعة أفعال ووقائع بتسلسل زمني منتظم وفي مكان معين يقتضيه الحدث ، إذ يختلف الحدث الروائي عن الحدث الواقعي ، حتى وإن كانت الرواية منطلقة من الواقع أو تعبر عنه ، فلا بد أن يضفي الكاتب لمسأته على بعض الأحداث التي يراها مناسبة لروايته ، فينتقي ما يناسبه من الواقع ويخرج من مخيلته وثقافته ما يعطي الحدث شيئاً جديداً يبتعد بصورة أو بأخرى عن الأصل الذي نعيشه ، تكاد مثل هذه اللمسات تختفي في رواية المسخ ، إذ تبتعد عن الواقع فهي نسج من خيال الكاتب ، فتحول البطل بشكل مفاجئ إلى حشرة يبتعد عن المعقول كثيراً فهو نسج من الخيال " استيقظ (جريجور سامسا) ذات صباح بعد أحلام مزعجة ، فوجد نفسه قد تحول في فراشه إلى حشرة هائلة الحجم⁴⁹ .

بينما تبدو لمسات الواقع واضحة في رواية فرانكشتاين في بغداد التي أضاف (أحمد سعداوي) من خياله صورة بطله الغريب من صراعات الواقع ، فجمع بين واقعية الحدث وفضاعته ، فالجثث ممزقة والمكان يجع بالضجيج والخراب ، فأخذ من هذه الأجساد أجزاءً وشكلها على هيئة إنسان ليرمز لعراقٍ صلبٍ يتحدى كل الصعوبات لينتقم لنفسه من الظالمين ، البطل الغريب سيمياء واضحة تدل على وحدة الجسد العراقي ، فعند عودة (هادي العتاك) لمنزله لم يج الجثة التي "أمسكها بيديه وعالجها تقطيعاً وخياطة حتى أنجز الجثة بشكل مقبول⁵⁰.

النتائج

- تلعب الخرافة دوراً كبيراً في غرس ثقافات معينة في أذهان الناس عبر مختلف العصور ، وتجدد بأشكال غريبة مع ازدياد الضلالية في المجتمعات .
- تمثل رواية (المسخ) حالة من الانعزال الاجتماعي الذي يميل إليه كافكا .
- تتجسد سيمولوجيا إشارية خاصة في انتقاء الأماكن والشخصيات في رواية (فرانكشتاين في بغداد) ، تدل على عمق وأصالة المجتمع العراقي .
- تعبر أجواء رواية (المسخ) عن حالة الهروب والجزع النفسي والسوداوية العميقة التي يظهر عليها مجتمع كافكا .

47 - بلبل ، فرحان ، النص المسرحي . الكلمة والفعل . ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2003 ، ص 51.

48 - زعرب ، صبيحة عودة ، غسان كنفاني (جمالية السرد في الخطاب الروائي) ، دار مجدلاوي ، الأردن 1996 ، ص 135 .

49 - كافكا ، المسخ ، ص 11.

50 - سعداوي ، فرانكشتاين في بغداد ، ص 69 .

- دلالة التحدي والصمود واضحة في إصرار بطل (سعداوي) على تحقيق العدالة والقصاص من الظالمين ، يشير لعمق الإيمان بوحدة البلد .
- في بعض الأحيان نجد تقارب بين صورة البطل في الروايتين؛ لكونها خرجا عن المؤلف الواقعي .
- تقترب رواية فرانكشتاين في بغداد من الواقع كثيراً على الرغم من اللمسات الفنية التي رسم الكاتب شخصية بطله عليها والتي تبدو غريبة عن الواقع .
- ابتعاد رواية المسخ عن الواقع كثيراً ، فهي نسج من الخرافة والخيال ، فلا يوجد لبطل الرواية صورة مشابهة في الواقع .
- تتجسد عند (كافكا) عبثية ، وانسلاخ عن الواقع ، وكأنني أقرأ (ألبير كامو) في مسرحياته العبثية .
- انسلاخ من الهوية الإنسانية في شخصية (جريجور) ، بينما محاولة لإيجاد الهوية الضائعة في شخصية (الشسمة) .

المصادر

1. القرآن الكريم .
2. إبراهيم ، نبيلة ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة 1974.
3. ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد التاسع ، دار صادر بيروت ب ت .
4. أبو ديب ، كمال ، الأدب العجائبي والعالم الغرائبي ، دار الساقى ودار أوركس للنشر ، 2007.
5. أ . م . فورستر ، أركان القصة ، ترجمة : كمال عياد ، دار الكرنك للنشر ، القاهرة ، 1960.
6. إكرام ، تكتك ، الحضور الكافكاوي ، في النقد العربي ، مجلة الحوار الفكري ، جامعة أحمد دراية - إدرار . الجزائر ، الملد 13 ، العدد 16 ، كانون الأول 2018.
7. إريك بينتلي، الحياة في الدراما ، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المكتبة العصرية ، بيروت 1968.
8. ايديث كوزيل : عصر البنيوية ، ترجمة : جابر عصفور ، ط1 ، الكويت 1993.
9. بدر ، محمود كاظم موات ، ورياض صبار عبد سندال ، الرمز في أدب فرانز كافكا رواية المحاكمة أنموذجاً ، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية ، المجلد 2 العدد 9 سبتمبر 2021.
10. بلبل ، فرحان ، النص المسرحي . الكلمة والفعل . ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2003.
11. بركات ، وائل ، السيميولوجيا بقراءة رولات بارت ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 18 ، العدد الثاني لسنة 2002 .
12. برير سورين، السيميائية السيبرانية: تورنتو ، كندا: مطبعة جامعة تورنتو ، 2008.
13. بير جيرو ، علم الإشارة - السيميولوجيا ، ترجمة : منذر عياشي ، دار طلاس للدراسات والنشر ، بيروت 1988.
14. توسان ، برنار ، ما هي السيميولوجيا ، ترجمة محمد نظيف ، ط2 ، أفريقيا الشرق للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2000.
15. جبور، عبد النور ، المعجم الأدبي ، بيروت 1979.

16. جرجس ، ميشال جرجس ، المدخل إلى علم الألسنية الحديث ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس . لبنان 2010.
17. حمداوي ، جميل ، الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية) ، 2015 ، إصدارات شبكة الألوكية www.alukah.net.
18. حمداوي ، جميل ، الرواية العربية الفانطاستيكية ، مجلة ندوة الإلكترونية ، الموقع : <https://www.arabicnadwah.com/articles/fantasia-hamadaoui.htm>
19. حميدة ، عبد الرزاق ، قصص الحيوان في الأدب العربي ، القاهرة 1951.
20. زعرب ، صبيحة عودة ، غسان كنفاني (جمالية السرد في الخطاب الروائي) ، دار مجدلاوي ، الأردن 1996
21. زيتوني ، لطيف ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، مكتبة لبنان الحديث ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، بيروت ، 2004.
22. درويش ، علي ، دراسات في الأدب الفرنسي ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة 1973.
23. دي سوسير ، فردينان ، علم العلامة العام ، ترجمة : يونيل يوسف عزيز ، مراجعة : مالك المطلبي ، دار آفاق عربية ، بغداد 1985.
24. سعداوي ، أحمد ، فرانكشتاين في بغداد ، منشورات دار الجمل ، بيروت 2013.
25. الشريف الجرجاني علي ابن محمد ت 816هـ ، كتاب التعريفات ، طبعة لأبيسك ، 1845م ، مطبعة لبنان ، بيروت ، 1978.
26. صبح ، فاتن ، المسخ غربة كافكا ، جريدة البيان الإماراتية ، 25 أغسطس 2018 ، <https://www.albayan.ae/five-senses/east-and-west/2018-08-25-1.3341635>
27. عياشي ، منذر ، العلاماتية وعلم النص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء . المغرب 2004.
28. عيسوي ، عبد الرحمن ، سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي ، منشأة المعارف للنشر ، الإسكندرية . مصر 1983.
29. فريال غزول ، علم العلامات مدخل استهلاكي ، أنظمة العلامات ، دار الياس العصرية ، القاهرة 1986.
30. فضل ، صلاح ، مناهج النقد المعاصر ، دار أطلس للنشر ، القاهرة 2012.
31. كافكا ، فرانس ، الدودة الهائلة (المسخ) ، ترجمة : الدسوقي فهمي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، آفاق للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 1997.
32. الكايد ، هاني ، مثنولوجيا الخرافة والأسطورة في علم الاجتماع ، دار الراية للنشر ، ط1 ، عمان . الأردن ، 2010.
33. محمد ، نصر الدين ، الشخصية في العمل الروائي ، مجلة الفيصل ، دار الفيصل للطباعة ، السعودية ، العدد 37 ماي . جوان 1980.
34. مجدي وهبة ، وكامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، بيروت 1984.

35. المرتجي ، أنور ، سيميائية النص الأدبي ، أفريقيا الشرق ، بيروت 1987.
36. مرشد ، أحمد ، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت 2005.
37. المسدي ، عبد السلام ، ما وراء اللغة ، بحث في الخلفيات المعرفية ، مؤسسة عبد الكريم بن عبدالله للنشر ، تونس ب ت.
38. مصطفى ، بوخال ، رمزية الحيوان في التراث الشعبي العربي والفرنسي ، رسالة ماجستير في الأدب الشعبي المقارن ، جامعة أبي بكر بلقايد ، قسم الثقافة الشعبية ، الجزائر 2011.
39. مصطفى ، غلفان ، في اللسانيات : تاريخها ، طبيعتها ، موضوعها ، مفاهيمها ، دار الكتب الجديدة المتحدة ، ط1 ، بيروت ، 2010.
40. هامون ، فيليب ، سيمولوجيا الشخصيات الروائية ، ترجمة : سعيد بنكراد ، دار الكلام ، الرباط . المغرب 1990.
41. Lucien Goldman.Introduction au premier ecrite de lukacs in G.lukacs.La theorie du Roman.E.D.conthier.1985/171

عنوان البحث

**مستوى التزام المعلمين الأردنيين بالمعايير المهنية الوارد في الميثاق الوطني لمهنة التعليم
لعام (2018) من وجهة نظرهم**

وحيد محمود حسن عتوم¹

¹ وزارة التربية والتعليم الأردنية؛ دبلوم عالٍ في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

بريد الكتروني: Wahid-Atom@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj2113>

تاريخ القبول: 2021/10/05م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

هدفت هذه الدراسة قياس مستوى التزام المعلمين الأردنيين بالمعايير المهنية الوارد بالميثاق الوطني لمهنة التعليم لعام (2018) من وجهة نظرهم، إذ اتبعت الباحثة المنهج الوصفي المسحي لتحقيق الأهداف المرجوة من الدراسة، كما تم إعداد أداة الدراسة والتي تكونت من (46) فقرة لجمع بيانات الدراسة من العينة التي تم اختيارها بأسلوب الحصر الشامل من مجتمع الدراسة، والتي بلغت (500) معلم ومعلمة من معلمي الصفوف الأساسية والثانوية في محافظة جرش، وأظهرت النتائج أن مستوى تطبيق المعلمين والمعلمات للمعايير الوطنية في الأردن متوسطة، مع عدم وجود فروق في درجة التطبيق تعزى لكل من الجنس وسنوات الخدمة، وأوصت الدراسة بعدد من التوصيات كان أهمها: زيادة عدد الدورات الموجهة لتنمية المعلمين مهنيًا، وعدم اقتصرها على عدد قليل من الشعب في العام الدراسي الواحد.

الكلمات المفتاحية: المعايير المهنية، المعلمين، الاتجاهات، المدارس الحكومية.

RESEARCH ARTICLE**THE LEVEL OF COMMITMENT OF JORDANIAN TEACHERS TO THE PROFESSIONAL STANDARDS CONTAINED IN THE NATIONAL CHARTER FOR THE TEACHING PROFESSION FOR THE YEAR (2018) FROM THEIR POINT OF VIEW****Waheed Mahmoud Hassan Atoum¹**

¹ Jordanian Ministry of Education; Higher Diploma in Information and Communication Technology
Email: Wahid-Atom@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj2113>

Published at 01/11/2021**Accepted at 05/10/2021****Abstract**

This study aimed to measure the level of commitment of Jordanian teachers to the professional standards contained in the National Charter for the Teaching Profession for the year (2018) from their point of view. From the sample that was selected by a comprehensive inventory method from the study population, which amounted to (500) teachers of primary and secondary grades in Jerash Governorate, and the results showed that the level of teachers' application of national standards in Jordan is medium, with no differences in the degree of application due to neither gender nor years of service, the study recommended a number of recommendations, the most important of which were: Increasing the number of courses directed at teachers' professional development, and not limiting them to a small number of people in one school year.

Key Words: Professional standards, teachers, trends, public schools.

المقدمة:

لطالما نادى التربويون على الصعيد الدولي والمحلي بضرورة التوجه نحو إصلاح التعليم المدرسي، والارتقاء بمستواه، ومعالجة نقاط ضعفه وعيوبه، وتطوير إمكاناته البشرية والمادية، على حدٍ سواء، وعلى الرغم من أن كافة محاولات الإصلاح نتجة نحو المناهج واستراتيجيات التدريس والوسائل التعليمية والبيئة المدرسية، والتي تعد جوهر العملية التعليمية، إلا أن توجيه جهود الإصلاح نحو المعلم تعد ضرورة حتمية لا بد منها.

فالمعلم هو العنصر الأهم والأقوى في المنظومة التربوية التعليمية؛ إذ يعد مدخل أية جهود تهدف إلى إصلاح التعليم المدرسي وتطويره، لذا نجد بأن معظم الأصوات أصبحت تتجه نحو إعادة النظر بالمنظومة التربوية وأساسياتها، كما بدأت الأصوات تتعالى لإعادة النظر في مؤسسات إعداد المعلمين ومحاولة إصلاحها، والارتقاء بمناهجها، وتقوية آليات التدريس والتدريب فيها؛ لتحقيق أهدافها المرسومة، في إعداد المعلمين الأكفاء القادرين على مجابهة التغيرات المتسارعة في الميدان التعليمي (Lilly, 2007).

وعلى هذا الصعيد نجد بأن العديد من الدول قد أولت اهتمامها وعنايتها بإعداد المعلم وتأهيله قبل وأثناء الخدمة عن طريق إنشاء برامج تهيئه للقيام بالأدوار المنوطة به، ليصبح معلماً ممارساً لمهنته، وموجهاً تربوياً لطلبته، ومصدراً مهماً لهم في المعرفة والثقافة، ومنفذاً للسياسات التربوية ومحققاً للأهداف التربوية والتعليمية، يربط النظرية بالممارسة بشكل أكثر إنتاجية ومرونة (نوافله ونجادات، 2014).

ومن هذا المنطلق نجد بأن منظومة التعليم الأردنية لم تكن بعيدة عن مثل هذه البرامج، فنجد مؤسسة الملكة رانيا لإعداد وتأهيل المعلمين قبل الخدمة كمثال حي على ذلك، وما تقدمه من برامج من شأنها إنتاج واختزان الدراسات والأحداث حول قضايا التربية والتعليم سواء المحلية أو الإقليمية أو العالمية التي يمكن أن تسهم في إحداث تغيير إيجابي في التوجهات والمواقف الأكاديمية والعملية من التعليم ومدخلاته ومخرجاته والتحفيز على الإبداع (مؤسسة الملكة رانيا، 2019).

وتأسيساً على ما سبق جاءت هذه الدراسة للبحث في مستوى التزام المعلمين الأردنيين بالمعايير المهنية الوارد في الميثاق الوطني لمهنة التعليم لعام (2018) من وجهة نظرهم.

مشكلة الدراسة:

تعد المعايير المهنية للمعلمين أبرز نقلة نوعية في تقدم التعلم المدرسي منذ العقود الماضية، وذلك يشمل كل المعلمين في التعليم المدرسي، الذين يتحملون العديد من المسؤوليات والأدوار كالتخطيط والتدريس والتقويم والتواصل مع أولياء الأمور للطلبة وأفراد المجتمع المحلي ومؤسساته، وذلك كله وغيره يتطلب منهم أن يكونوا على قدرٍ كافٍ من الإعداد للقيام بعملهم كما يجب.

وعليه فقد تولد لدى الباحثة فكرة القيام بهذه الدراسة للتعرف على مستوى التزام المعلمين الأردنيين بالمعايير المهنية الوارد في الميثاق الوطني لمهنة التعليم لعام (2018) من وجهة نظرهم.

اسئلة الدراسة:

1. ما مستوى تطبيق معلمي ومعلمات الصفوف (الأساسية والثانوية) للمعايير المهنية الأردنية في مديرية تربية جرش من وجهة نظرهم؟
2. هل يختلف مستوى تطبيق معلمي ومعلمات الصفوف (الأساسية والثانوية) للمعايير المهنية الأردنية في مديرية تربية جرش من وجهة نظرهم باختلاف متغير الجنس وسنوات الخدمة؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى إلقاء الضوء على واقع تطبيق معلمي المدارس الحكومية الأردنية للمعايير المهنية الواردة في الميثاق الوطني لمهنة التعليم للعام (2018)، وذلك من خلال قياس مستوى تطبيقها من قبل معلمي المرحلة الأساسية والثانوية في الأردن، وبالأخص في محافظة جرش، كما تهدف الدراسة الحالية إلى قياس مستويات هذا التطبيق للمعايير المهنية باختلاف متغيري الجنس وسنوات الخدمة.

أهمية الدراسة:

- تظهر أهمية الدراسة الحالية من ضرورة التطوير والتنمية المهنية للمعلمين في منظومة التعليم الأردنية وكذلك من:
1. ضرورة قياس مستوى تطبيق معلمي ومعلمات الصفوف (الأساسية والثانوية) لمعايير التنمية المهنية، لما في ذلك من أهمية كبيرة في بناء وصقل الخبرة التعليمية والتربوية لدى المتعلم، وتكوين شخصيته بجوانبها المختلفة واتجاهاته الإيجابية نحو العملية التعليمية.
 2. تزويد القائمين ومتخذي القرار في وزارة التربية والتعليم بتغذية راجعة حول مستوى تطبيق معلمي ومعلمات المراحل (الأساسية والثانوية) للمعايير المهنية العالمية في مديرية تربية جرش، واعتماد نتائج ذلك كمؤشر لتحديد نقاط الضعف والقوة والفرص والتحديات في تلك المعايير.

حدود الدراسة:

1. **الحد المكاني:** طبقت الدراسة في المدارس (الأساسية والثانوية) التابعة لمديرية تربية جرش، الأردن.
2. **الحد الزمني:** تم إجراء هذه الدراسة خلال الفصل الأول من العام الدراسي (2020/2021).
3. **الحد البشري:** يتمثل في معلمي ومعلمات الصفوف (الأساسية والثانوية) في المدارس الحكومية التابعة لمديرية تربية وتعليم مديرية تربية جرش، الأردن.
4. **الحد الموضوعي:** ويتمثل في الخصائص السيكومترية لأدوات الدراسة من صدق وثبات ومدى صلاحية فقراتها للتطبيق.

مصطلحات الدراسة الإجرائية:

1. مستوى تطبيق المعلمين للمعايير المهنية: وهي الدرجة الكلية التي يحصل عليها أفراد عينة الدراسة من خلال استجاباتهم عن بنود ومجالات استبانة المعايير المهنية المعدة لهذا الغرض.
2. معلمو ومعلمات الصفوف الأساسية والثانوية: هم الأشخاص الذين يتم تعيينهم من قبل وزارة التربية والتعليم، وتسد إليهم مهمة التعليم في المرحلة الأساسية والثانوية (من الصف الرابع إلى الثاني ثانوي) في المدارس الحكومية التابعة لمديرية تربية وتعليم مديرية تربية جرش خلال الفصل الدراسي الأول من العام (2021/2020).

الاطار النظري

الإطار النظري لوثيقة المعايير الوطنية الأردنية لتنمية المعلمين مهنيًا

إن احتياجات نشاط التعليم لتحديد هوية المعلم من الأمور الضرورية، حيث تعكس الصفات والقدرات والمهارات التي يحتاجها المعلمون، والتي تلعب في مجملها دور جواز السفر للمهنة، والذي يتضمن نظاماً اجتماعياً وسياسياً ونفسياً وتربوياً، كما يتضمن احتياجات مفاهيمية خاصة لهوية التعليم (شديفات، 2012).

ومن هذا المنظور ينبغي الحديث عن احتياجات الهوية، والتدريب التربوي والنفسي والمهني والمفاهيمي للمعلم، بما يوفر الأساس المتين لتخطيط الملامح الرئيسية لهوية المعلم وخصائصها، والتدريب الاجتماعي والسياسي والتربوي والاجتماعي والمنهجي للمعلم، ويمكن توضيح ذلك بالنقاط التالية:

أولاً: الاحتياجات العامة (احتياجات لهوية المعلم)، وتتمثل بالنواحي الآتية:

1. المنحى الأيديولوجي: النظرة إلى العالم والنشاط الاجتماعي السياسي، واحترام قوانين الدولة والمسؤولية المجتمعية، والكرامة وحب الوطن، والاتجاه نحو الدين والمجتمع.
2. المنحى المهني/التربوي: الاتجاهات نحو المهنة، والقدرة على العمل بروح الفريق، واحترام المتعلمين، ومراعاة الالتزام بالمبادئ والأخلاق الحميدة، وتنمية التذوق الجمالي والخيال، والعدالة والعزيمة، والصبر وقوة التحمل، والحزم نحو الذات ونحو الطلبة، والثبات والتوازن العاطفي، وضبط النفس، والاتجاه لنمط الحياة الصحي.
3. النواحي العقلية: النشاط الذهني، والأداء العملي، الاهتمامات والاحتياجات المعنوية، الثقافة المعنوية، واستعداد المعلم للتعلم الذاتي.
4. الحاجات المعرفية: الاحتياجات المعرفية والتدريبية من (المعارف، والمهارات، والقدرات) والاحتياجات النفسية التربوية للمعلم.

5. الاحتياجات الخاصة: معرفة التطورات الفسيولوجية للطلبة في مختلف المراحل العمرية، والمعرفة بعلم النفس وعلم التربية، وأنماط التنشئة وأساليبها، والأمور المؤثرة في تطوير الشخصية لنقل المعارف التخصصية والحياتية للمعلم (المرتبطة بالموضوع) للطلبة (الميثاق الوطني لمهنة التعليم، 2018).

ثانياً: الاحتياجات الخاصة للمعلمين:

1. الجانب الأيديولوجي: الإلمام بالسياسات التربوية لمنظومة التعليم، وتكوين المعتقدات السليمة الراسخة المتوافقة مع البيئة التربوية المحلية.
2. الجانب الاجتماعي: الإلمام بثقافة العمل، والمعايير الاجتماعية للتوجيه المهني، والعمل بروح الفريق، والتعاون مع باقي الزملاء.
3. الجانب الأخلاقي: التمتع بالصفات الأخلاقية الخاصة بالناشئة، والإلمام بدور الأخلاق في بناء المجتمعات وتطويرها.
4. الجانب النفسي: الإلمام بالأحكام الأساسية لعلم نفس الطفولة وعلم النفس العام، والخصائص النفسية للأطفال والمراهقين والشباب في فترات عمرية مختلفة.
5. الجانب التعليمي: الإلمام بأساسيات التنشئة الأسرية وأساليبها، وكذلك المنظومة التربوية والتعلم والتعليم المستمر ونظرياته (الميثاق الوطني لمهنة التعليم، 2018).

ثالثاً: المجالات الرئيسية والفرعية للمعايير الوطنية لتنمية المعلمين مهنيًا

1. التربية والتعليم في الأردن: وهو يقوم إلى اكساب المعلم فهم رؤية وزارة التربية والتعليم ورسالتها وأهدافها واتجاهات النظام التربوي فيها، والالتزام بها بشكل ينعكس على ذاته وطلبته ومدرسته ومجتمعه من خلال المنهاج، لدعم تقديم أفكار إبداعية وتعميمها ونشرها. وينقسم إلى عدد من المجالات الفرعية وهي:
 - رؤية ورسالة وزارة التربية والتعليم.
 - القوانين والتشريعات الناظمة للمنظومة التربوية.
 - اتجاهات ومناحي التطوير التربوي (Abu shriakh & Atoom, 2014).
2. أخلاقيات المهنة والفلسفة الشخصية: وهو يقوم على يبني المعلم لرؤية ورسالة خاصة به وتوظيفها بحيث تعزز مكانته في المدرسة والمجتمع. وينقسم إلى عدد من المجالات الفرعية وهي:
 - رؤية ورسالته المعلم.

• الاتجاهات والقيم والسلوكيات المهنية.

3. البيداغوجيا: وهو يقوم على تمكين المعلم من امتلاك المعرفة العامة والخاصة بالإطار العام للمناهج، والمحتوى الأكاديمي، والتقويم، ونظريات التعلم، وتوظيفها في خدمة مهنته (نوافلة وأحمد، 2014).

وينقسم إلى عدد من المجالات الفرعية وهي:

• النظريات الخاصة بالتعلم والتعليم.

• المعرفة الأكاديمية.

• إطار المناهج العام.

4. التعلم والتعليم: وهو يقوم على تطوير أداء المعلم، لتنفيذ المواقف التعليمية، وإدارتها، وتقويمها، بما يتواءم مع نتائج التعليم، لتحقيق الجودة في العملية التربوية والتعليمية.

وينقسم إلى عدد من المجالات الفرعية وهي:

• التخطيط الجيد للتعلم.

• إعداد وتنفيذ العمليات التعليمية.

• تقويم التعلم (الخالدي، 2019).

5. بيئة التعلم: وهي تقوم على إعداد بيئة تربوية حاضنة، تستثمر الأوعية المعرفية والمهارات التدريسية في إنشاء جيل متعلم من الطلبة.

وينقسم إلى عدد من المجالات الفرعية وهي:

• الأوعية المعرفية.

• الدعم النفسي والاجتماعي.

• الابتكار والإبداع (Al-Momani, 20108).

6. التنمية المهنية المستدامة: وهو يقوم على تمكين المعلم من المعارف والمهارات والقيم المهنية الداعمة للسلوكيات المهنية، نتيجة التفاعل مع المتغيرات المعاصرة، بغية التوصل إلى جودة شاملة في العملية التربوية والتعليمية.

وينقسم إلى عدد من المجالات الفرعية وهي:

• منهج التنمية المهنية المستدامة.

• توظيف التنمية المهنية المستدامة.

• الاستدامة للتنمية المهنية (الراوي، 2018).

7. التعلم للحياة: وهو يقوم على تمكين المعلم ليكون متعلماً دائماً قادراً على تعليم الطلبة المهارات الناظمة لحياته، وتطوير مسئولية تعلمهم الذاتي، لاكتشاف المعرفة وإنتاجها.

وينقسم إلى عدد من المجالات الفرعية وهي:

- البحث العلمي.
- المهارات الحياتية.
- مسؤولية التعليم (نوافلة ونجادات، 2014).

أهداف المعايير الوطنية لتنمية المعلمين مهنيًا في الأردن:

تعد وثيقة المعايير التربوية لمهنة المعلم حجر الأساس في طريق مهنة (تمهين) التعليم، إنا الوثيقة الأم التي تشتق منها معايير اختيار المعلم، ومناهج إعداد المعلمين، ويرجع إليها المعلم والمشرف التربوي لتحديد الاحتياجات وبناء خطط النمو المهني، كما أنها الوثيقة التي تستخرج منها أدوات تقييم المعلم (شديفات، 2012).

تظهر أهداف المعايير الوطنية للتنمية المهنية المعلمين في الآتي:

1. بناء رؤية مشتركة حول مكانة المعلمين، ودورهم الاجتماعي وهويتهم المهنية والوظيفية.
 2. تحديد السمات المهنية للمعلم الأردني الفعال والناجح.
 3. تحديد الكفايات المهنية العامة والخاصة بالمعلمين الأردنيين، فضلاً عن المؤشرات الأساسية المرتبطة بها، من حيث الممارسات التدريسية الفعالة.
 4. وضع أسس متينة للتقييم الذاتي للمعلمين ومن ثم تقييم الأداء على مستوى المدرسة، والمديرية، والمستوى الوطني لجودة التعليم في الأردن.
 5. توجيه عملية التنمية المهنية وتطوير التنمية الذاتية للمعلمين.
 6. توجيه جهات التدريب التي تعمل على تنمية المعلمين مهنيًا، وإرشادهم لإعداد برامج تنمية مهنية مناسبة للمعلمين (الميثاق الوطني لمهنة التعليم، 2018).
- إذ يمكن تطبيق هذه المعايير المهنية بطرق مختلفة، لدعم وتوجيه التنمية المهنية للأفراد، ووضع معايير للتوظيف والتعيين والاختيار، وإعداد مسودة الوصف الوظيفي، بالإضافة إلى توجيه إدارة الأداء عند إجراء عمليات المراجعة السنوية وتقييم الأداء وتوجيه برامج التنمية المهنية للمعلمين.

الطريقة والإجراءات

منهج الدراسة

اتبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي المسحي؛ لملاءمته لطبيعة الدراسة وأهدافها من الناحية التطبيقية والعملية والإحصائية.

مجتمع الدراسة وعينتها

تم تحديد مجتمع الدراسة بكافة معلمي ومعلمات المرحلة الأساسية والثانوية في مديرية تربية جرش خلال الفصل الأول من العام الدراسي (2021/2020) والبالغ عددهم (3119) معلم. أما بالنسبة لعينة الدراسة، فقد استخدم الباحث طريقة الحصر الشامل لجمع بيانات الدراسة من مجتمع الدراسة، حيث تم توزيع (530) استبانة، بلغت الاستبانات الصالحة للتحليل الإحصائي والتي تم استردادها (520) استبانة، وبذلك تصبح عينة الدراسة (500) معلماً ومعلمة بعد استثناء عينة الثبات والمكونة من (20) معلماً ومعلمة. كما يظهر في الجدول الآتي:

جدول رقم (1) توزيع أفراد العينة وفقاً لمتغيرات الدراسة

المتغير	الفئة	التكرارات	النسب المئوية
الجنس	ذكر	233	46.6%
	انثى	267	53.4%
سنوات الخبرة	10 سنوات فأقل	208	41.6%
	أكثر من 10 سنوات	292	58.4%
المجموع		500	100%

أداة الدراسة

تم العمل على تطوير استبانة لتحقيق الأهداف الخاصة بالدراسة وذلك بعد الرجوع إلى الميثاق الوطني لمهنة التعليم" وعدد من الدراسات ذات الصلة مثل دراسة كل من: الخالدي (2019)؛ والمومني (Al – Momani, 2018)؛ والعمصي (2018)؛ و الراوي (2018)؛ و هاكس (Hughes, 2017) وخضر وأبو خليفة (2016)، إذ تكونت الأداة الأولية في صورتها من (46) فقرة موزعة على محورين، غطى المحور الأول المعايير المهنية للمعلمين في سبعة مجالات، هي: (التربية والتعليم في الأردن، الفلسفة الشخصية وأخلاقيات المهنة، المعرفة الأكاديمية والتربوية (البيداغوجيا)، التعلم والتعليم، بيئة التعلم، التنمية المهنية المستدامة، التعلم للحياة)، أما المحور الثاني فقد غطى اتجاهات المعلمين نحو المعايير المهنية المتبعة في الأردن.

صدق الأداة: للتأكد من صدق الأداة الظاهري، عرضت على (10) محكمين من أعضاء هيئة التدريس في كلية العلوم التربوية والآداب (الأونروا)؛ للتأكد من ملاءمة وانتماء الفقرات للمجالات التي اندرجت تحتها ومدى سلامتها وصحتها اللغوية. وقد أجريت التعديلات اللازمة في ضوء الملاحظات التي أبدتها المحكمون وبقيت فقرات الاستبانة كما هي (46) فقرة.

ثبات الأداة: لتقدير ثبات الأداة، تم تطبيقها على (20) معلماً ومعلمة من خارج عينة الدراسة الأصلية، وتمت إعادة تطبيق الاستبانة بعد أسبوعين، لحساب معامل ارتباط بيرسون بين التطبيق القبلي والبعدي، والذي بلغت قيمته (0.85)، كما تم تقدير معامل ثبات الاتساق الداخلي حسب معادلة كرونباخ ألفا، إذ بلغت قيمته للأداة (0.90) واعتبرت هذه القيم أن الأداة تتمتع بدرجة عالية من الثبات والاتساق، وبالتالي فهي تصلح لتحقيق أغراض الدراسة.

جدول: رقم (2) معاملات الثبات المقدره لمجالات أداة الدراسة والأداة ككل.

الرقم	المجال	عدد الفقرات	أرقام الفقرات	معامل ثبات الإعادة	معامل ثبات الاتساق الداخلي
1	التربية والتعليم في الأردن	5	5-1	0.83	0.92
2	الفلسفة الشخصية وأخلاقيات المهنة	5	10-6	0.83	0.88
3	المعرفة الأكاديمية والتربوية (البيداغوجيا)	5	15-11	0.84	0.78
4	التعلم والتعليم	5	20-16	0.85	0.92
5	بيئة التعلم	5	25-21	0.80	0.91
6	التنمية المهنية المستدامة	5	30-26	0.85	0.86
7	التعلم للحياة	5	35-31	0.82	0.88
	معامل ثبات الإعادة والاتساق للأداة ككل	35	35-1	0.85	0.90

المعالجة الإحصائية لأسئلة الدراسة:

للتحقق من أسئلة الدراسة واختبارها قامت الباحثة بالآتي:

1. حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات وبنود الأداة للإجابة على السؤال الأول من أسئلة الدراسة.

2. الاعتماد على اختبارات للعينات المستقلة (Independent Sampled T – Test) لفحص الفروق وفقاً لمتغيرات الدراسة للإجابة على السؤال الثاني.

وقد اعتمدت الدراسة المعيار الآتي لتقدير مستوى تطبيق معلمي ومعلمات المراحل الأساسية والثانوية للمعايير المهنية الأردنية من وجهة نظرهم أنفسهم كما يلي: منخفض من (1-1.67)، متوسط (1.68-2.33)، مرتفع من (2.34-3).

نتائج الدراسة ومناقشتها

النتائج الخاصة بسؤال الدراسة الأول ومناقشتها: ما مستوى تطبيق معلمي ومعلمات الصفوف (الأساسية والثانوية) للمعايير المهنية الأردنية في مديرية تربية جرش من وجهة نظرهم؟

تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للإجابة عن هذا السؤال، الخاص بتقدير مستوى تطبيق معلمي ومعلمات الصفوف (الأساسية والثانوية) للمعايير المهنية الأردنية في مديرية تربية جرش من وجهة نظرهم أنفسهم لكل مجال من مجالات أداة الدراسة، ولأداة ككل، والجدول رقم (3) يبين ذلك:

جدول رقم (3): الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى تطبيق معلمي ومعلمات الصفوف (الأساسية والثانوية) للمعايير المهنية الأردنية

الرقم	المجال	الرتبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التطبيق
1	التربية والتعليم في الأردن	3	1.96	0.35	متوسطة
2	الفلسفة الشخصية وأخلاقيات المهنة	6	1.76	0.34	متوسطة
3	المعرفة الأكاديمية والتربوية	2	1.97	0.36	متوسطة
4	التعلم والتعليم	5	1.81	0.4	متوسطة
5	بيئة التعلم	7	1.75	0.44	متوسطة
6	التنمية المهنية المستدامة	4	1.83	0.41	متوسطة
7	التعلم للحياة	1	2.07	0.39	متوسطة
	المجموع الكلي للأداة		1.88	0.27	متوسطة

يظهر الجدول (3) أن متوسط تطبيق معلمي ومعلمات الصفوف الأساسية والثانوية للمعايير المهنية الأردنية في مديرية تربية جرش من وجهة نظرهم أنفسهم قد بلغ (1.88) وهي ما يقابل درجة تطبيق (المتوسطة)، وقد يعزى ذلك إلى عدم معرفة جميع المعلمين لهذه المعايير، وجاء تدني هذه المعرفة من خلال قصور الوزارة ممثلة بإدارة الإشراف والتدريب التربوي والاسناد من ناحية توزيع أدلة ونشرات حول المعايير التنموية لمهنة التعليم بشكل كافي، واقتصار دور المشرفين التربويين على الزيارات الميدانية الرقابية فقط، فضلاً عن قلة عدد الدورات التي يتم عقدها للمعلمين وباختلاف تخصصاتهم. على مدار العام الدراسي إذ إن المعلم البالغ من الخدمة (15) لا يستطيع الحصول على دورة التنمية المهنية المستدامة (ERSP) أو انتل على سبيل المثال لا الحصر.

كما يعزوا الباحث هذه النتيجة إلى ضعف الإلمام بالسياسات التربوية لمنظومة التعليم، وتكوين المعتقدات السليمة الراسخة المتوافقة مع البيئة التربوية المحلية، من قبل المعلمين، وكذلك عدم الإلمام بثقافة العمل، والمعايير الاجتماعية للتوجيه المهني، والعمل بروح الفريق، والتعاون مع باقي الزملاء، وكذلك ضعف التمتع بالصفات الأخلاقية الخاصة بالناشئة، والإلمام بدور الأخلاق في بناء المجتمعات وتطويرها، وأيضاً عدم الإلمام بالأحكام الأساسية لعلم نفس الطفولة وعلم النفس العام، والخصائص النفسية للأطفال والمراهقين والشباب في فترات عمرية مختلفة، وكذلك قلة الدورات المخصصة لفهم أساسيات التنشئة الأسرية وأساليبها، وكذلك المنظومة التربوية والتعلم والتعليم المستمر ونظرياته.

النتائج الخاصة بسؤال الدراسة الثاني ومناقشتها: هل يختلف مستوى تطبيق معلمي ومعلمات الصفوف (الأساسية والثانوية) للمعايير المهنية الأردنية في مديرية تربية جرش من وجهة نظرهم وفقاً لكل من متغير الجنس وسنوات الخدمة؟

أ. النتائج الخاصة بمتغير الجنس ومناقشتها:

للتحقق من هذا السؤال واختباره تم العمل على حساب الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (T) للعينات المستقلة لفحص دلالة الفروق في مستوى تطبيق معلمي ومعلمات الصفوف الأساسية والثانوية للمعايير المهنية الأردنية في مديرية تربية جرش من وجهة نظرهم باختلاف متغير الجنس.

جدول رقم (4) نتائج اختبار فحص دلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية وفقاً لمتغير الجنس

الدالة الاحصائية	قيمة T	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الجنس	الأداة ككل
0.533	0.546	0.38	1.97	ذكر	
		0.37	1.93	انثى	

يظهر الجدول (4) عدم وجود أية فروق دالة إحصائية وفقاً لمتغير الجنس (ذكر، أنثى)، بين مستويات تطبيق معلمي ومعلمات الصفوف الأساسية والثانوية للمعايير المهنية الأردنية في مديرية تربية جرش من وجهة نظرهم، إذ كانت قيمة (T) المحسوبة (0.546) وهي قيمة ليست ذات دلالة إحصائية، عند مستوى المعنوية (sig) (0.533) والتي جاءت أكبر من قيمة ألفا (0.05). ويعزى ذلك إلى التشابه الكبير في البيئة المدرسية لكل من المعلمين والمعلمات من حيث نقص الدورات والتدريب الموجه من قبل الوزارة للمعلمين والمعلمات على حد سواء.

ب. النتائج الخاصة بمتغير سنوات الخدمة ومناقشتها:

للتحقق من هذا السؤال واختباره تم العمل على حساب الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (T) للعينات المستقلة لفحص دلالة الفروق بين مستويات تطبيق معلمي ومعلمات الصفوف الأساسية والثانوية للمعايير المهنية الأردنية في مديرية تربية جرش من وجهة نظرهم وفقاً لمتغير سنوات الخدمة.

جدول رقم (5) نتائج اختبار فحص دلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية وفقاً لمتغير سنوات الخدمة.

الدالة الاحصائية	قيمة T	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	سنوات الخبرة	الأداة ككل
0.517	0.508	0.39	1.96	10 سنوات فأقل	
		0.35	1.93	أكثر من 10 سنوات	

يظهر الجدول (5) عدم وجود أية فروق دالة إحصائية وفقاً لمتغير سنوات الخدمة (10 سنوات فأقل، أكثر من 10 سنوات)، بين مستويات تطبيق معلمي ومعلمات الصفوف الأساسية والثانوية للمعايير المهنية الأردنية في

مديرية تربية جرش من وجهة نظرهم. حيث بلغت قيمة (T) المحسوبة (0.508) وهي قيمة ليست ذات دلالة إحصائية، عند مستوى المعنوية (sig) (0.517). ويعزى ذلك إلى الطبيعة العامة في البيئة المدرسية لكل من المعلمين والمعلمات من حيث نقص عدد الدورات والتدريب الموجه من قبل الوزارة للمعلمين، والذي لا يستوعب أعداد المعلمين الكبيرة، بسبب نقص الكوادر المؤهلة للتدريب، وعدم تخصيص ميزانية كافية لعمليات التدريب يتم من خلالها استقطاب أكبر عدد ممكن من المعلمين.

وقد اتفقت هذه النتيجة مع دراسة كل من الخالدي (2019)، ودراسة الراوي (2018)، في عدم وجود فروق في درجة تطبيق المعايير المهنية تعزى لسنوات الخدمة التدريسية.

وتختلف هذه النتيجة مع دراسة خضر وأبو خليفة (2016) التي أظهرت وجود فروق دالة إحصائية تعزى إلى متغير سنوات الخدمة في التدريس.

التوصيات:

1. زيادة عدد الدورات الموجهة لتنمية المعلمين مهنيًا، وعدم اقتصارها على عدد قليل من الشعب في العام الدراسي الواحد.
2. توجيه الزيارات الإشرافية للعمل على اطلاع المعلمين على أحدث الاستراتيجيات التدريسية الحديثة وعدم تمحورها على العمل الرقابي فقط.
3. فتح قنوات الاتصال والتواصل بين معلمي الميدان والوزارة للعمل على تعديل آلية التدريب والدورات المعمول بها في الوزارة لتناسب مع خطة النمو المهني للمعلم.
4. الالتزام بمبدأ العدالة والمساواة بين المعلمين ومكافئة العمل الإبداعي المقدم من قبل المعلمين.

المصادر والمراجع:

- الخالدي، أسماء حمود. (2019). درجة تطبيق معلمي ومعلمات الصفوف الثلاثة الأولى الأساسية للمعايير المهنية العالمية في لواء البادية الشمالية الغربية في محافظة المفرق من وجهة نظرهم أنفسهم. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، 43، 305-321.
- خضر، غازي وأبو خليفة، ابتسام. (2016). درجة تحقق بعض المعايير المهنية العالمية ومؤشرات أداء خريجي كلية العلوم التربوية والآداب الجامعية في الأونروا من وجهة نظرهم أنفسهم. دراسات العلوم التربوية، 1(43)، 711-729.
- الراوي، جميلة مشيب. (2018). تقييم الكفايات المهنية لدى معلمي الطلبة ذوي الإعاقة الفكرية بمنطقة عسير في ضوء المعايير المهنية الوطنية للمعلمين بالمملكة العربية السعودية. المجلة التربوية، 51، 482-514.

شديفات، صادق حسن وسمارة، هتوف فرح سمارة ومحاسنه. (2012). درجة تحقق المعايير الوطنية لتنمية المعلمين مهنيًا لدى معلمي التربية الإسلامية من وجهة نظرهم ومن وجهة نظر مديري المدارس ومشرفي التربية الإسلامية في الأردن. *مجلة جامعة الملك سعود (العلوم التربوية والدراسات الإسلامية)*، 24، 907-931.

العصبي، عثمان عثمان. (2018). تصور مقترح لتطوير أداء معلمي التربية الرياضية في ضوء المعايير المهنية للمعلمين. *مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية*، 1، 256-282.

مؤسسة الملكة رانيا لتدريب المعلمين. (2019). نتعلم لنعلم. <https://qrta.edu.jo/>

الميثاق الوطني لمهنة التعليم. (2018). إدارة الإشراف والتدريب التربوي. ج2، المعايير الوطنية لتنمية المعلمين مهنيًا، المملكة الأردنية الهاشمية.

نوافلة، وليد ونجادات، أحمد. (2014). تقويم فاعلية برنامج إعداد معلمي التربية الابتدائية في جامعة اليرموك في ضوء المعايير الوطنية لتنمية المعلم مهنيًا من وجهة نظر الطلبة. *مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)*، 2، 358-396.

Abu Shraikh, Shafer & Atoom, Mohmmad Saleh (2014).The Degree of Teachers' Commitment to the National Teacher Professional Standards in the Provinces in Jarash and Ajloun, from the Perspective0 of Schools Principals. **Journal of Education and Practice**,5, (15), 106 – 118.

Al- Momani, Mufadi (2018). The Effective of Training Program for the Development of Knowledge about the National Professional Standards among the Teachers of Secondary Vocational Education in Jordan. **International Education Studies**, 11 (8), 110 – 118.

Hughes, Andrew J (2017). Educational Complexity and Professional Development: Teachers' Need for Met cognitive Awareness.*Journal of Technology Education*, 29 (1), 25 – 44.

Lilly, S. (2007). *National Council for Accreditation of Teacher Education (NCATE)*. Translated by: Nassar, S. Retrieved 10/11/2018 from <http://search.shamaa.org>.

عنوان البحث

درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب النبوية في معاملة الأطفال من وجهة نظر مديرات
الروضات في محافظة جرش

د. عودة مصطفى بني أحمد¹

¹ مناهج وأساليب تدريس التربية الإسلامية، جامعة جرش

بريد الكتروني: obaniahmad@yahoo.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj2114>

تاريخ القبول: 2021/10/05م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

هدفت هذه الدراسة الكشف عن درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب النبوية من وجهة نظر مديرات الروضات في محافظة جرش، حيث استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أهداف الدراسة، وقد تكونت عينة الدراسة من جميع مديرات الروضات الحكومية والخاصة في مديرية تربية محافظة جرش والبالغ عددهن (90) مديرة، وموزعات على (34) روضة حكومية، و(56) روضة خاصة، وقد تم تصميم استبانة لقياس درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب النبوية من وجهة نظر مديرات الروضات مكونة من (33) فقرة، وزعت على ثلاثة مجالات : مجال: الأساليب النبوية الإيمانية والتعبدية، ومجال : الأساليب النبوية الخلقية، ومجال : الأساليب النبوية النفسية.

وقد أظهرت النتائج أن درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب الإيمانية والتعبدية والخلقية التي تعامل بها النبي عليه السلام مع الطفل من وجهة نظر المديرات في محافظة جرش جاءت بدرجة عالية جداً، كما أظهرت النتائج أن درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب النبوية النفسية التي تعامل بها النبي عليه السلام مع الطفل من وجهة نظر المديرات في محافظة جرش جاءت بدرجة متوسطة، وقد أوصت الدراسة بضرورة تقديم الدعم المعنوي والمادي لمعلمات رياض الأطفال الملتزمات بالأساليب النبوية الشريفة في تعاملهن مع الأطفال، لتحفيزهن وزيادة دافعيتهن لاتباع هذا المنهج الإسلامي القويم.

الكلمات المفتاحية: رياض الأطفال، الأساليب النبوية، مديرات الروضات.

RESEARCH ARTICLE**THE DEGREE OF KINDERGARTEN TEACHERS' PRACTICE OF PROPHETIC METHODS IN TREATING CHILDREN FROM THE POINT OF VIEW OF KINDERGARTEN PRINCIPALS IN JERASH GOVERNORATE****Dr. Ouda Mustafa Bani Ahmed¹**

¹ Curricula and methods of teaching Islamic education, University of Jerash
Email: obaniahmad@yahoo.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj2114>

Published at 01/11/2021**Accepted at 05/10/2021****Abstract**

This study aimed to reveal the degree to which kindergarten teachers practice the prophetic methods from the point of view of kindergarten principals in Jerash Governorate. Where the researcher used the descriptive-analytical method to achieve the objectives of the study, the study sample consisted of all directors of public and private kindergartens in the Directorate of Education of Jerash Governorate, which numbered (90) principals, and distributed over (34) government kindergartens, and (56) private kindergartens. A questionnaire was designed to measure the degree to which kindergarten teachers practice the prophetic methods from the point of view of the kindergarten principals. It consisted of (33) items and was distributed into three areas: the first field: the prophetic methods of faith and devotion, the second field: the moral prophetic methods, and the third field: the prophetic psychological methods. The results showed that the degree of kindergarten teachers' practice of the devotional and moral faith methods that the Prophet, "may Allah bless him and grant him salvation", dealt with the child from the point of view of the principals in Jerash governorate came to a very high degree. The results also showed that the degree of kindergarten teachers' practice of the prophetic psychological methods that the Prophet, "may Allah bless him and grant him salvation", dealt with the child from the point of view of the principals in Jerash governorate came to a medium degree. The study recommended the necessity of providing moral and material support to kindergarten teachers who are committed to the noble prophetic methods in their dealings with children, to motivate them and increase their motivation to follow this Islamic approach.

Key Words: Kindergartens, prophetic methods, kindergarten principals.

المقدمة:

إن التربية والتعليم عملية مستمرة ودائمة في جميع مراحل عمر الإنسان، لما جعله الله تعالى من عقل لديه وميزه عن سائر المخلوقات الأخرى، ومن هذا المنطلق نجد أن التعليم لم يقتصر على الكبار دون الصغار، ففي جميع المجتمعات يوجد المؤسسات التعليمية التي تكون لكافة الفئات والأعمار.

ومن هذه المؤسسات التعليمية ما يهتم بالطفل من ثلاث سنوات حتى السادسة من عمره، وتُسمى مرحلة رياض الأطفال، وهي مرحلة عمرية خاصة من حيث طبيعة التفكير ونوعه، وهذا يعطي هذه المرحلة طابعاً خاصاً يمتاز بالمرونة من أجل تلبية حاجاتها العمرية وتحقيق التكامل الشامل والمتوازن للأطفال في جميع جوانب حياتهم، من أجل الارتقاء بهم إلى أعلى المستويات (الراشد وآخرون، 2005، 73).

ومن الجدير بالذكر أن مرحلة رياض الأطفال تعتمد بشكل كبير في تحقيق أهدافها على كفاءة المعلمة وحسن معاملتها مع الأطفال، فهي تقوم بدور الموجه، والمراقب، والمساعد للطفل في هذه المرحلة، كما وتقوم بعملية تنظيم البيئة من حوله وتجعلها مليئة بالخبرات والمثيرات التي تحفزه لكي يتعلم بنفسه، حيث أن صفات المعلمة الشخصية تؤثر بصورة واضحة في تعلم وتنشئة الطفل، فعليها يتوقف تربيته وتعلمه، وإشباع حاجاته، وتنمية مهاراته، كما يكون لها دوراً كبيراً في بناء عقيدته وإيمانه بالله تعالى، وتهذيب سلوكه بالأساليب التربوية النابعة من منهج التربية الإسلامية المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية .

وتجب الإشارة هنا إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام كان مريباً يهدي الناس لما فيه صلاحهم في الدنيا والأخرة، فيدلهم على الخير ويبعدهم عن الشر، فكان رحيماً، ودوداً، لا يحتقر فقيراً، ولا يضرب صغيراً، فاجتمعت مكارم الأخلاق فيه عليه السلام، فقد أثنى الله تعالى على خلق النبي عليه السلام، وحث المسلمين على الاقتداء به، فقال تعالى: " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " (الأحزاب: 21)

كان النبي عليه السلام يعتني ويهتم بالأطفال اهتماماً كبيراً، فيعطف عليهم، ويعاملهم برحمة وحب ولين، ويشجعهم من أجل اظهار مواهبهم، وتعزيز قدراتهم، كما كان مؤدباً لسلوكهم ومهذباً لعاداتهم وطبائعهم، فهو قدوة لكل معلم ومرب يتعامل من الأطفال، من هنا يجب الاقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام في تعامله من الأطفال، قال تعالى: " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " (آل عمران: 31).

وتجب الإشارة هنا إلى أن التربية النبوية جاءت شاملة لكل نواحي نمو الأطفال، لأنها تسعى دائماً من خلال مبادئها وأساليبها وأهدافها إلى إعداد الفرد الصالح في المجتمع، لكي يكون لديه القدرة على الإنتاج والإبداع، فمن الواجب المترتب على معلمة رياض الأطفال استخدام الأساليب التربوية التي مارسها الرسول عليه الصلاة والسلام مع الأطفال لتأثرها الواضح في تنمية جوانب شخصيتهم (طرابيشي، 2008، 6).

مشكلة الدراسة:

تعتبر مرحلة رياض الأطفال مرحلة مهمة في حياة الطفل، فهي مرحلة النمو العقلي والنضج الاجتماعي السريع، وتكوين الاتجاهات والقيم لديه، ومن أجل إعداده للمستقبل لأبد من إكساب الطفل في هذه المرحلة

الخصائص والسمات اللازمة لكي يتمكن من معرفة التطورات والتغيرات والتحديات التي تفرضها ظاهرة العولمة والغزو الفكري في أيامنا هذه.

إن لمعلمة رياض الأطفال دوراً كبيراً في تحقيق أهداف التربية الإسلامية في تربية ورعاية الأطفال من جميع النواحي الإيمانية والتعبدية والخلقية والنفسية، من هنا نجد أنها بحاجة ملحة إلى الأساليب النبوية التربوية التي تعينها على تحقيق أهداف التربية الإسلامية من إنشاء الطفل النافع لنفسه وأمته وتعزيز هويته الإسلامية، وهذه الأساليب لا بد وأن تكون نابعة من العقيدة الإسلامية، وإيماناً بأهمية دورها في تربية ورعاية الأطفال فمن الضروري إعدادها إعداداً يتناسب مع هذه المرحلة، ويكون ذلك من خلال التوجيهات والأساليب النبوية التربوية.

أسئلة الدراسة:

وفي ضوء ما سبق يمكن تحديد مشكلة الدراسة من خلال محاولة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- 1- ما درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب الإيمانية والتعبدية التي تعامل بها النبي عليه السلام مع الطفل من وجهة نظر المديرات في محافظة جرش؟
 - 2- ما درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب الخلقية التي تعامل بها النبي عليه السلام مع الطفل من وجهة نظر المديرات في محافظة جرش؟
 - 3- ما درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب النفسية التي تعامل بها النبي عليه السلام مع الطفل من وجهة نظر المديرات في محافظة جرش؟
- أهمية الدراسة:**

أن الدراسة والبحث عن تربية ورعاية الأطفال من أهم القضايا التي يتوجب على الباحثين والدارسين البحث فيها، لمحاولة الوصول إلى إجابة للتساؤلات التي تثار بين حين وآخر حول العناية بالأطفال والاهتمام بهم خاصة في المرحلة العمرية المتقدمة، وما يتوجب على معلمة هذه المرحلة من استخدام للأساليب والوسائل والأنشطة النبوية التربوية لتحقيق أهداف التربية الإسلامية في تنشئة الأطفال من جميع جوانبهم الإيمانية والتعبدية والخلقية والنفسية.

من هنا تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تبحث عن مدى ممارسة معلمة رياض الأطفال للأساليب النبوية في معاملة الطفل من وجهة نظر المديرات في محافظة جرش من أجل إكسابها للأساليب النبوية التربوية وتفعيل دورها في تربية ورعاية النشء عن طريق الاقتداء بالهدي النبوي بالمعاملة مع الأطفال.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة الى تحقيق الأهداف الآتية:

- 1- التعرف على درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب الإيمانية والتعبدية التي تعامل بها النبي عليه السلام مع الطفل من وجهة نظر المديرات في محافظة جرش.
- 2- التعرف على درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب الخلقية التي تعامل بها النبي عليه السلام مع الطفل من وجهة نظر المديرات في محافظة جرش.

3- التعرف على درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب النفسية التي تعامل بها النبي عليه السلام مع الطفل من وجهة نظر المديرات في محافظة جرش.

حدود الدراسة:

تسير هذه الدراسة في ضوء الحدود الآتية:

- الحدود الزمانية: الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي: 2021/2020م.
- الحدود المكانية: مديرية تربية محافظة جرش، في الروضات الحكومية والخاصة التي تشرف عليها وزارة التربية والتعليم.

- الحدود البشرية: مديرات الروضات بالمدارس الحكومية والخاصة

التعريفات الإجرائية:

رياض الأطفال: هي مؤسسات تربوية اجتماعية يلتحق بها الأطفال في السن ما بين الرابعة والخامسة من العمر، وتسبق المرحلة الأساسية الدنيا، وتهدف إلى تحقيق النمو المتكامل للأطفال بجميع جوانبهم الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية، وتعزيز قدراتهم وموهبهم المختلفة عن طريق استخدام أساليب تربوية تتناسب مع قدراتهم العقلية.

معلمة رياض الأطفال: هي المعلمة التي تقوم بتربية الأطفال في مرحلة الروضة، وتعمل على تحقيق الأهداف التربوية التي يطلبها منهاج هذه المرحلة، مع مراعاة الخصائص العمرية لهذه الفئة، بحيث تتمتع بخصائص شخصية واجتماعية وتربوية تمتاز بها عن غيرها من معلمات المراحل التعليمية الأخرى.

الأساليب النبوية: هي الطرق التي كان يتعامل بها النبي عليه الصلاة والسلام مع الأطفال في جميع مناحي حياتهم، بهدف تنشئتهم تنشئة إسلامية سوية بعيدة عن المشكلات الحياتية، ضمن تعاليم ومبادئ التربية الإسلامية التي تستمد أهدافها من القرآن الكريم والسنة النبوية.

الأدب النظري والدراسات السابقة:

أن نجاح العملية التعليمية التعلمية يعتمد على المعلم بالدرجة الأولى في كافة المراحل الدراسية، وعلى خصائصه المهنية والكفايات التعليمية لديه، حيث يتمكن من تحقيق الأهداف التعليمية للمرحلة التي يقوم بتدريسها، فهو المسؤول المباشر عن استخدام أساليب التدريس والأنشطة التعليمية المناسبة لكل مرحلة تعليمية، وخاصة ونحن نتحدث عن مرحلة رياض الأطفال والتي تحتاج إلى استخدام معلمة هذه المرحلة أساليب خاصة في تعاملها مع الأطفال، والقوة لنا في ذلك المنهج النبوي الشريف الذي استخدمه النبي عليه الصلاة والسلام في تعامله مع الأطفال (حجي وطلبه، 2004، 233).

مقومات وخصائص معلمة رياض الأطفال:

أن معلمة رياض الأطفال هي التي تعمل على تربية الطفل في المرحلة العمرية الأولى من تعليمه، وتراعي خصائصه العمرية عن طريق استخدام الأساليب والوسائل والأنشطة التعليمية المناسبة لتلك المرحلة، مع أنها تتمتع بمقومات وخصائص شخصية واجتماعية وتربوية تجعلها متميزة عن غيرها مع معلمات المراحل التعليمية المختلفة، لذلك يجب أن تتوفر في الخصائص الآتية:

1- الخصائص النفسية والاجتماعية: بحيث يكون لديها القدرة على الصبر والعطف على الأطفال أثناء التعامل معهم، وأن تبتعد عن القسوة عند تعليمهم وتربيتهم وتهذيب سلوكهم، وتشعرهم بالأمان والراحة (الخالدي، 2008، 111).

2- الخصائص العقلية والمعرفية: أن تتصف معلمة رياض الأطفال بالذكاء والفتنة من أجل مساعدتها على التصرف بحكمة، وحل المشكلات التي تواجهها في المواقف التعليمية، وأن يكون لديها المعرفة بالعلوم الأساسية بالفقه والعقيدة الإسلامية والتفسير والسنة النبوية من أجل الإجابة على أسئلة الأطفال (بدران، 2006، 51).

3- الخصائص الجسمية: بأن تكون لائقة صحياً وجسماً، بحيث لا تعاني من أمراض وإعاقات حركية وجسمية وتكون سليمة الحواس، وأن تتمتع باللياقة البدنية والحيوية والنشاط، ولديها الاهتمام الكبير في ملابسها من حيث النظافة والترتيب، لأنها القدوة الحسنة للأطفال في كل شيء (شومان، 2007، 133).

4- الخصائص الخلقية: يجب على معلمة الروضة ان تتصف بالأخلاق الحسنة التي حث عليها الإسلام، من الصدق والأمانة، والمحبة، وحسن المعاملة، والإخلاص بالعمل، وتعمل بكل الوسائل والأساليب على الطفل بمجتمعه وعاداته وتقاليده، وتكون قدوة حسنة في كل تصرفاتها (خلف، 2005، 136).

ومن خلال ما تم عرضه سابقاً من خصائص معلمة رياض الأطفال، نستطيع القول إن معلمة رياض الأطفال هي بمثابة الأم، والمربية، والحكيمة، والأخصائية الاجتماعية والنفسية، لما لها من دور كبير في تغيير سلوك الأطفال، وغرس القيم والاتجاهات في نفوسهم، وصناعة أجيال المستقبل.

الأساليب النبوية في التعامل مع الأطفال:

لقد اتبع النبي عليه الصلاة والسلام عدة أساليب في التعامل مع الأطفال في جميع مناحي حياتهم، بهدف تنشئتهم تنشئة إسلامية سوية بعيدة عن المشكلات الحياتية، وإشباع حاجاتهم ورغباتهم، وتنمية قدراتهم العقلية، وغرس القيم والاتجاهات عندهم، وقد مارس النبي عليه السلام هذه الأساليب مع الأطفال أثناء دعوته، حيث تضمنت عدة جوانب منها: الأساليب النبوية الإيمانية والتعبدية، والأساليب النبوية الخلقية، والأساليب النبوية النفسية، وتمثلت هذه الأساليب بما يلي:

أولاً: الأساليب النبوية الإيمانية والتعبدية بالتعامل مع الأطفال

انتهج النبي عليه السلام عدة أساليب من أجل غرس العقيدة الصحيحة والأعمال التعبدية في نفوس الأطفال، ومن هذه الأساليب ما يلي:

1- الأسلوب التلقيني: بين النبي عليه السلام أن الطفل يولد على الفطرة السليمة (الإسلام)، وهذه الفطرة هي الأساس في وجوده، فقال عليه السلام: " ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ " ثم يقول أبو هريرة: وقرأوا إن شئتم " فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله " (الروم: 30) (البخاري، 2001، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موتى أطفال الكفار، وأطفال المسلمين، ج/10، 153، حديث رقم 5875).

من هنا نجد أن الله تعالى هدى الناس هداية عامة وجعل فيهم الفطرة من أجل كسب المعلومات والمعارف، وحثهم على القراءة في أول آية نزلت من القرآن الكريم، فقال تعالى: " أقرأ باسم ربك الذي خلق " (سورة العلق،

1)، لذلك نلاحظ أن الأطفال لديهم القدرة على تعلم أسس العقيدة الإسلامية، لأن الفطرة السليمة لديهم تميل إلى قبول توحيد الله تعالى والخضوع والانقياد لأوامر الله.

فأسلوب التلقين مهم من أجل تلقين الأطفال أركان الإيمان، وقد جاء الهدي النبوي بتربية الأطفال على العقيدة الإسلامية والإعمال التعبدية، فسن النبي عليه السلام الأذان في الأذن اليمنى للطفل والإقامة بالأذن اليسرى، لكي يطرق أذن الطفل كلمات التوحيد والعبادة، والنبي عليه السلام أذن في أذن الحسن والحسين عند ولادتهم (بكار، 2010، 29).

ومن خلال الأسلوب التقليدي يمكن تنمية محبة الله تعالى، ومحبة رسوله عليه السلام في نفوس للأطفال، وبيان أن الله تعالى يراقب الناس جميعاً بالسر والعلن، وأن محبة النبي عليه السلام جزء من العقيدة.

2- أسلوب تحفيظ الأطفال القرآن الكريم: كان يحضر مجلس النبي عليه السلام في المسجد الأطفال، من أجل تعليمهم وتحفيظهم آيات من القرآن الكريم، فقد كان عبدالله بن عباس طفلاً لا يتجاوز العشر سنين يحضر مجلس العلم مع الصحابة الكبار، فقال: " توفى الرسول عليه السلام وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم " (البخاري، 2001، كتاب فضل القرآن، باب تعلم الصبيان القرآن، ج12، 702، حديث رقم 4748).

3- أسلوب تحفيظ الأطفال الأحاديث النبوية: كان النبي عليه السلام يعلم الأطفال الأحاديث النبوية وما تشتمل عليه من آداب وأخلاق وعبادات وهذا ما رواه الصحابي سمرة بن جندب رضي الله عنه، انه قال: " كنت على عهد النبي عليه السلام غلاماً، فكنت أحفظ عنه فما يمنعني من القول إلا أن هاهنا رجالاً هم أسن مني " (مسلم، 2006، كتاب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمتهم، باب شرح حديث سمرة بن جندب فما يمنعني من القول، ج18، 7، حديث رقم 964).

4- أسلوب تعويد الأطفال على الذهاب إلى المساجد وتعليمهم الصلاة : كان النبي عليه السلام يبيتهم عندما يرى الأطفال في المسجد، فيعطف عليهم ويعاملهم برحمة ولطف ولين، فيروى أن النبي عليه السلام كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها، ومن أجل تعليم الأطفال الصلاة قال عليه السلام : " مروا اولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، وأضربوهم عليها ومن أبناء عشر " (الترمذي، 2007، كتاب: الصلاة، باب : ما جاء متى يأمر الصبي بالصلاة، حديث 407، 111)، وهذا هو أسلوب التدرج في تعليم الأطفال العبادات .

ومن الجدير بالذكر أن النبي عليه السلام قد استخدم أساليب متعددة لتعليم الأطفال الصوم، واستخدام أسلوب التشويق لأداء الأطفال الحج، فالهدي النبوي في تعليم الأطفال أركان الإيمان، والعبادات واضح وبين من خلال الأحاديث النبوية، والممارسات العملية التي كان يقوم بها عليه الصلاة والسلام بتعامله مع الأطفال، لذلك ينبغي على معلمة مرحلة رياض الأطفال الاقتداء بالنبي عليه السلام في أسلوبه بتعامله مع الأطفال من جميع جوانب حياتهم.

ثانياً: الأساليب النبوية الخلقية بالتعامل مع الأطفال:

انتهج النبي عليه السلام عدة أساليب من أجل غرس القيم والاتجاهات والأخلاق في نفوس النشء، ومن هذه الأساليب ما يلي:

1- أسلوب القدوة الحسنة: كان الرسول عليه السلام القدوة الحسنة والنموذج الأفضل في التعامل مع الناس جميعاً، ومع الأطفال في صورة خاصة، حيث قال تعالى: " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" (الأحزاب، 21).

لقد نهى النبي عليه السلام الكذب على الطفل الصغير، بحيث توهمه أنه تعطيه شيئاً من أجل أن تمسكه، فقد قال عليه السلام: " من قال لصبي: تعال هاك، ثم لم يعطه، فهي كذبه " (أحمد، 2000، ج/2، 452، حديث رقم 9526) لأن الطفل يراقب سلوك الكبار في كل شيء، فالكبير قدوة يقتدي به الطفل في جميع تصرفاته (سويد، 1410، 312).

2- أسلوب تعلم الطفل آداب السلام: سن النبي عليه السلام إلقاء المسلم السلام على من يعرف ومن لا يعرف، وعلى الصغير والكبير، وجعل إلقاء السلام من أفضل الأعمال، قال عبدالله بن عمرو رضي الله عنه: " أن رجلاً سأل النبي عليه السلام: أي الإسلام خير؟ قال: " تُطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف " (البخاري، 2001، كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام، ج/1، 15، حديث رقم 6236).

ومن الأمثلة على تعليم النبي عليه السلام الأطفال آداب السلام ما قاله لأنس بن مالك: " يا بني، إذا دخلت على أهلك فسلم، يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك " (الترمذي، 2007، كتاب السلام، باب استحباب السلام إذا دخل بيته، ج/5، 59، حديث رقم 2698).

وتجب الإشارة هنا إلى أن النبي عليه السلام كان يُقيي السلام على الأطفال بالطريق، فعن ثابت بن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " أن رسول الله أتني عليّ وأنا ألعّب مع الغلمان، قال: فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جنّث قالت: ما حسبك؟ قلتُ بعثني رسول الله لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلتُ: إنها سرّ، قالت لا تحدّثنّ بسرّ رسول الله أحداً " (مسلم، 2006، كتاب: فضل الصحابة، باب: فضائل أنس بن مالك، ج/4، 1929، حديث رقم 2482).

3- أسلوب تعلم الطفل آداب الاستئذان: استخدم النبي عليه السلام أسلوب تعلم الاستئذان مع الأطفال، فقد علم خادمه الصغير أنس بن مالك ألا يدخل عليه إلا وهو مستأذن، فقال أنس رضي الله عنه: " كنتُ خادماً للنبي عليه الصلاة والسلام، قال: فكنتُ أدخل بغير استئذان، فجئت يوماً فقال: " كما أنت يا بُنيّ، فإنه قد حدث بعدك أمرٌ: لا تدخلنّ إلا بإذن " (البخاري، 1418هـ، باب قول الرجل يأتي لمن أبوه لم يدرك الإسلام، ج/2، 271، حديث رقم 807)، وقد استخدم النبي عليه السلام أسلوب الاستئذان عندما استئذن غلاماً كان يجلس عن يمينه، فقال سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتني بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: " أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ " فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحداً، قال: فَتَلَّه رسول الله في يده " (مسلم، 2006، كتاب الأشرية، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، ج/13، 176، حديث رقم 2030)، من هنا يجب على معلمة رياض الأطفال الاقتداء بالهدي النبوي في تعليم الأطفال آداب الاستئذان في كل شيء (بكار، 2010، 135).

4- أسلوب تعلم الأطفال آداب الطعام: حرص النبي عليه الصلاة والسلام على تعليم الأطفال آداب تناول الطعام والشراب، فقال عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه: " كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه

وسلم، فكانت يدي تَطِيشُ قِي الصَّحْفَةِ، فقال لي رسول الله: " يا غلام سَمِّ الله تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك "، فما زالت تلك طِعْمَتِي بَعْدُ " (مسلم، 2006، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، ج/3، 1599، حديث رقم 2022).

ومن الجدير بالذكر أن الأساليب والتوجيهات النبوية في تعلم الأطفال آداب الطعام والشرب كثيرة منها: غسل اليدين عند تناول الطعام والشراب، وعدم الجلوس على مائدة الطعام قبل الكبير بالسن، وذكر اسم الله تعالى قبل البدء بالطعام، وتناول الطعام باليد اليمنى، وعدم تناول الطعام وهو متكئ، وعدم النفخ في الطعام الحار أو التنفس في الإناء (الفندي، 2013، 223).

ويلاحظ من خلال التربية النبوية للأطفال أن النبي عليه السلام قد استخدم أساليب كثيرة تتعلق بالجانب الخُلقي من تعلم الأطفال الأمانة، والوفاء بالعهد، والتسامح والعفو، والنظافة، وكرمان السر، وغيرها من الأخلاق النبوية التي حرص النبي عليه الصلاة والسلام على غرسها في نفوس الأطفال بكافة الوسائل والأساليب (الفندي، 2013، 171-174).

ثالثاً: الأساليب النبوية النفسية بالتعامل مع الأطفال

لقد تعامل النبي عليه السلام مع الأطفال بأساليب عدة من الناحية النفسية، تمثلت فيما يلي:

1- أسلوب التعامل بالرأفة والرحمة: أرسل الله تعالى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين فقال تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " (الأنبياء، 107)، وحث النبي عليه السلام على الرحمة واللين ورقة القلب مع الناس جميعاً صغاراً كانوا أم كباراً، فقال عليه السلام: " من لا يرحم الناس لا يرحمه الله " (مسلم، 2006، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، ج/4، 1809، حديث رقم 2319)

ومن رحمته عليه السلام أنه كان يعامل الأطفال بلطف ولين ورحمة ويمسح على رؤوسهم، فعن جندب بن سمرة قال: " صليتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاةً الأولى، ثم خرج إلى أهله وخرجتُ معه، فاستقبله والدان، فجعل يمسحُ خَدَيَّ أحدهم واحداً واحداً، قال : وأما أنا فمسح خَدَيَّ، قال : فوجدتُ ليدَه برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جُؤنَةِ عَطَّارٍ " (مسلم، 2006، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، ج/5، 1952، حديث رقم 2329)، وكان عليه الصلاة والسلام يزورُ الأنصارَ ويُسلِّمُ على أطفالهم ويمسح على رؤوسهم .

2- أسلوب العدل مع الأطفال: كان النبي عليه السلام يدعو إلى العدل بين الأبناء، فقال عليه الصلاة والسلام: " فاتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم " (مسلم، 2006، كتاب البيوع، باب الرهن وغيره، ج/2، 538، 286)، وكان عليه الصلاة والسلام جالساً بالمسجد ومعه رجل، فجاء ابنٌ له فقبله ثم أجلسه في حضنه، ثم جاءت ابنة له فأخذها إلى جنبه، فقال رسول الله للرجل: " ألا عدلت بينهما؟ " (الألباني، 1988، ج/1، 285، حديث رقم 2883) فمن أهم عوامل الاستقرار النفسي لدى الأطفال معاملتهم بالعدل والمساواة، وإشعارهم بالحب، وهذا يؤدي إلى عدم تولد الغيرة والحسد والبغضاء عندهم، فمن الواجب على معلمة رياض الأطفال عدم التمييز بين الأطفال، والثناء عليهم ومدحهم، لما له من آثار نفسية إيجابية عليهم (الفندي، 2013، 273)

3- أسلوب الابتعاد عن لوم الطفل وعتابه: حث النبي عليه السلام على الرفق مع الأطفال، والابتعاد عن تعنيفهم، لأن كثرة لوم الأطفال تجعلهم يشعرون بالخوف والاضطراب وضعف الشخصية، من هنا تعامل النبي عليه السلام من الصحابي أنس بن مالك وكان طفلاً صغيراً بهذا الأسلوب، ونهي زوجته عليه السلام من كثرة لومه، فيقول: " خدمتُ رسول الله عشر سنين، ما دريتُ شيئاً قطُّ وافقه ولا شيئاً قطُّ خالفه، رضي من الله بما كان، وإن كان بعض أزواجه يقولن لي: لو فعلت كذا وكذا أو مالك فعلت كذا؟ فيقول عليه الصلاة والسلام: دعوه فإنه لا يكون إلا ما أراد الله " (مسلم، 2006، كتاب علامات النبوة، باب في حسن خلقه وحيائه وحسن معاشرته، ج/9، 16، حديث رقم 14196) من هنا يمكن القول إن هذا الأسلوب زرع في نفس الطفل أنس بن مالك دقة الملاحظة والحياء معاً، مما جعله يلاحظ هذه الملاحظة من رسول الله عليه السلام.

4- أسلوب مداعبة الأطفال وملاعبتهم: ان اللعب وسيلة ضرورية في حياة الأطفال، لأنه يعد أمر فطري وغريزي في حياتهم، فيكسب الأطفال مهارة حركية ومنتعة نفسية، وفيه فرح، وسرور، وتعبير عن الذات، وملاعبة الأطفال ومداعبتهم وسيلة للنظر والتأمل والتفكير من أجل إشباع الرغبات النفسية لديهم (خلف الله، 1999، 89). ومن الجدير بالذكر أن الأسلوب النبوي في ملاعبة الأطفال ومداعبتهم كان واضحاً في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، فنجد ملاعبة النبي عليه السلام للأطفال وخلق جواً من الفرح والسرور معهم، فقال عبدالله بن الحارث رضي الله عنه: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف عبدالله وعبيدالله وكثيراً من بني العباس، ثم يقول: " من سبق إلي فله كذا وكذا "، قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدرة، فيقبلهم ويلزمهم " (حنبل، حديث 1863، ج2، 420)

وقد كان عليه الصلاة والسلام يُداعب الأطفال ويمازحهم، فإذا قدم من سفر التقى بصبيان أهل بيته يداعبهم، فقال عبدالله بن جعفر رضي الله عنه: " كان رسول الله إذا قدم من سفر تُلقني بصبيان أهل بيته. قال، وإنه قدم من سفر فسبق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة، فأردفه خلفه. قال، فأدخلنا المدينة، ثلاثة على دابة " (مسلم، 2006، كتاب فضل الصحابة، باب فضائل عبدالله بن جعفر، ج/7، 132، حديث رقم 2428).

من هنا نستطيع القول إن الأسلوب النبوي في ملاعبة الأطفال ومداعبتهم واضحاً من أجل إدخال الفرح والسرور عليهم، لذلك يجب على معلمات رياض الأطفال الاقتداء بالمنهج النبوي في ذلك، لأن اللعب والمداعبة والممازحة تلبية للرغبات النفسية لدى الأطفال.

5- أسلوب إعطاء الأطفال الهدايا : تعد الهداية وسيلة من وسائل استمالة القلوب، فتزيد المحبة والآفة بين الناس، وقد كان هذا الأسلوب النبوي واضحاً في سيرة النبي عليه السلام، فقال عليه الصلاة والسلام : " تهادوا تحابوا " (الألباني، 1988، ج/1، 525، حديث رقم 4311)، وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: " قدمت على النبي عليه الصلاة والسلام حلية من عند النجاشي أهداها له، فيها خاتم من ذهب، فيه فص حبشي، قالت : فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معرضاً عنه أو ببعض أصابعه، ثم دعا أمامة بنت أبي العاص ابنة ابنته زينب، فقال : تحلي بهذا يا بُنية " (الألباني، 1988، ج/1، 462، حديث رقم 5721)

فالهداية تبني العواطف لدى الأطفال وتريح أنفسهم، وتعلمهم المشاعر الفاضلة، وتعودهم على البذل والعطاء ومنح الآخرين مثل هذا الشعور الجميل، فتولد الهداية جواً فيه فرح وسرور ومشاعر جياشة ليس فيها جفاء، من

هنا يجب على معلمة رياض الأطفال الأخذ بهذا الأسلوب النبوي أثناء عملية التعلم والتعليم (العناني، 2001، 101).

وتجب الإشارة هنا أن النبي عليه الصلاة والسلام استخدام أساليب نفسية نبوية تربوية كثيرة في التعامل مع الأطفال من: إشعار الأطفال بالأهمية، واختيار الوقت المناسب في توجيههم، وإعطاءهم الحرية والاستقلالية، والنداء عليهم بأحب الأسماء إليهم، ومراعاة حالتهم النفسية، ومصاحبتهم دائماً، والدعاء لهم. الدراسات السابقة:

يوجد دراسات متعددة تناولت موضوع الأساليب النبوية في التعامل من الأطفال بشكل عام، ومن هذه الدراسات ما يلي:

أولاً: أجرى العلوي (2010) دراسة هدفت إلى التعرف على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم بالتعامل مع لطفل المسلم وبيان كيفية توظيف هذا الخطاب تربوياً، حيث استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والاستنباطي، وتكون مجتمع الدراسة: الخطاب المباشر من النبي عليه السلام للأطفال في الكتب الستة (البخاري ومسلم والسنن الأربعة، وتكون البحث من خمسة فصول: الفصل الأول: تمهيدي أشتمل على خطة البحث، والفصل الثاني: بين فيه الباحث الخطاب التربوي بالسنة النبوية، والفصل الثالث: بيان مكانة الطفولة في الإسلام، والفصل الرابع: دراسة تحليلية للأحاديث التي تتضمن خطاب النبي عليه السلام، والفصل الخامس: التطبيقات التربوية المستنبطة من الخطاب النبوي للطفل.

وقد توصلت الدراسة إلى أبرز النتائج التالية: شمولية الخطاب النبوي لمختلف الفئات رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، كما يوجد منهجاً تربوياً متكاملًا في التعامل مع الأطفال له أهدافه وأساليبه وتطبيقاته، تضمنه خطاب النبي عليه السلام الموجهة إلى الطفل، كما تناول خطاب النبي عليه السلام الموجهة للأطفال عدة جوانب: الجانب العقدي، والتعبدي، والاجتماعي، والتعليمي، كما تضمنت السنة النبوية نصوصاً صريحه للخطاب النبوي الموجه للطفل حيث شكلت في مضامينها قيماً وأساليب لتربية الأطفال وتوجيه سلوكهم.

ثانياً: أجرى الغامدي (2009) دراسة هدفت إلى بيان الأساليب النبوية في معالجة أخطاء الأطفال مع عرض بعض النماذج التطبيقية التي مارسها النبي عليه السلام مع الأطفال، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي، وتكون مجتمع الدراسة من تحليل بعض الأحاديث النبوية واستنباط الأساليب النبوية منها، كما تكونت من خمسة فصول: الفصل الأول: خطة البحث، والفصل الثاني: التربية العلاجية في الإسلام، والفصل الثالث: الطفولة في التربية الإسلامية، والفصل الرابع: معالجة الأخطاء السلوكية عند الأطفال، والفصل الخامس: أساليب التربية العلاجية لدى الأطفال في السنة النبوية.

وقد توصلت الدراسة إلى أبرز النتائج التالية: تتعدد جوانب معالجة الأخطاء لدى الأطفال لتشتمل على: الجوانب العقدية، والتعبدية، والأخلاقية، والاجتماعية، والجسمية، والعقلية، والعاطفية، والنفسية، كما تضمنت أن معالجة الأخطاء لدى الأطفال تمر بعدة خطوات من تحديد السلوك إلى تعزيز السلوك الإيجابي، كما أن الأساليب التي اشتملت عليها السنة النبوية لمعالجة الأخطاء لدى الأطفال متنوعة من التوجيه المباشر، والحوار، والتوبيخ، والترهيب، والملاطفة، والضرب، كما بينت الدراسة أن الأساليب النبوية في معالجة الأخطاء لدى الطلبة تمثل

نموذجاً تربوياً متكاملًا لجميع جوانب شخصية الطفل .

ثالثاً: أجرى طرابيشي (2008) دراسة هدفت إلى التعرف على الأساليب النبوية في صورة عملية تساعد معلم المرحلة الابتدائية على رفع مستوى تعامله مع أبنائه الطلاب في ضوء منهجية إسلامية صحيحة، وتقديم تطبيقات تربوية يمكن الاستفادة منها في المرحلة الابتدائية، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي والاستنباطي، وتكون مجتمع الدراسة من نصوص السنة النبوية التي تبين الأساليب النبوية في التعامل مع الأطفال وتحليلها. وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها: يوجد أساليب تربوية نبوية كثيرة استخدمها النبي عليه الصلاة والسلام مع الأطفال تضمنت جميع جوانب حياة الأطفال وشخصيتهم، كما تضمنت كيفية اهتمام النبي عليه السلام بالتربية الخلقية لدى الأطفال، من حيث التوافق الكبير بين الدين والأخلاق.

رابعاً: أجرى الشهري (2004) دراسة هدفت إلى التعرف على الأساليب التربوية للعقاب في السنة النبوية، ومعرفة مدى استخدام هذه الأساليب في المدارس الابتدائية في مدينة الطائف، واستخدام الباحث المنهج الوصفي، وتكون مجتمع الدراسة على عينة من معلمي المرحلة الابتدائية في المدارس الحكومية والأهلية في مدينة الطائف، ولتحقيق أهداف الدراسة قام الباحث بأعداد استبانة لمعرفة مدى استخدام معلمي المرحلة الابتدائية للأساليب التربوية للعقاب في السنة النبوية.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أبرزها: شرع العقاب في الإسلام لتحقيق مجموعة من الغايات التربوية وضمن ضوابط وشروط واضحة، كما بينت الدراسة أن أساليب العقاب في السنة النبوية متنوعة ومتعددة لكي تتلاءم مع طبيعة النفس الإنسانية، كما أن أساليب العقاب في السنة النبوية لها خصائص وسمات تجعلها صالحة لكل زمان ومكان، كما أن أساليب العقاب تستخدم في المدارس الابتدائية الحكومية والأهلية.

ومن خلال ما تم عرضه من دراسات سابقة خلص الباحث إلى ما يلي:

1- تركز بعض الدراسات السابقة على التعرف على الأساليب النبوية في معالجة أخطاء الأطفال بشكل بشكل عام كدراسة الغامدي (2009)، أما الدراسة الحالية فقد بينت الأساليب النبوية التربوية على وجه خاص، ودرجة ممارسة معلمة رياض الأطفال لهذه الأساليب.

2- أغلب الدراسات السابقة بينت الجانب النظري في استخدام النبي عليه الصلاة والسلام للأساليب النبوية كدراسة طرابيشي (2008)، باستثناء دراسة الشهري (2004) تناولت الجانب التطبيقي الميداني على معلمي المرحلة الابتدائية، أما الدراسة الحالية فقد تناولت درجة ممارسة معلمة رياض الأطفال للأساليب النبوية التربوية.

3- استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في بناء الاستبانة كالأستفادة من دراسة الشهري (2004) في تصميم الاستبانة، وتحديد مجالاتها، وفي بناء الأطار النظري كدراسة طرابيشي (2008) في بيان أساليب التعامل مع الأطفال.

منهج الدراسة:

لتحقيق هدف الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي للوقوف على درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب النبوية من وجهة نظر مديرات الروضات في محافظة جرش، لمناسبته لمثل هذا النوع من الدراسات الإنسانية.

مجتمع الدراسة وعينتها:

تكون مجتمع الدراسة من جميع مديرات الروضات الحكومية والخاصة في مديرية تربية محافظة جرش والبالغ عددهن (90) مديرة، وتكونت عينة الدراسة من المجتمع نفسه والبالغ عددهم (90) مديرة، موزعات على (34) روضة حكومية، و(56) روضة خاصة.

أداة الدراسة:

لتحقيق هدف الدراسة قام الباحث بتطوير استبانة لقياس درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب النبوية من وجهة نظر مديرات الروضات في محافظة جرش، حيث تم بناء فقراتها من خلال الاطلاع الأدب النظري والدراسات السابقة التي تحدثت عن الأساليب النبوية، كدراسة الغامدي (2009) ودراسة العلوي (2010).

حيث تم توزيع الاستبانة على ثلاثة مجالات على النحو الآتي:

المجال الأول: ممارسة معلمات الروضة للأساليب النبوية الإيمانية والتعبدية، واشتمل على (10) فقرات.

المجال الثاني: ممارسة معلمات الروضة للأساليب النبوية الخلقية، واشتمل على (8) فقرات.

المجال الثالث: ممارسة معلمات الروضة للأساليب النبوية النفسية، واشتمل على (15) فقرة.

صدق الأداة:

بعد أن تم إعداد الأداة بصورتها الأولية قام الباحث بعرضها على مجموعة من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة من تخصص مناهج وأساليب تدريس، والقياس والتقييم، حيث طلب منهم إبداء آرائهم، وإصدار أحكامهم على الأداة من حيث مدى اتساق الفقرات والمجالات التي صنفت فيها، ومدى وضوح الصياغة اللغوية، ومدى وضوح المعنى لهذه الفقرات، وفي ضوء ملاحظاتهم تم حذف الفقرات التي اقترح حذفها خمسة فأكثر من المحكمين، وإضافة بعض الفقرات التي اقترحها بعض المحكمين، وتعديل بعض الفقرات وإعادة صياغتها، حتى أصبحت أداة الدراسة بصورتها النهائية مكونة من ثلاثة مجالات موزعة على (33) فقرة .

صدق البناء: تم التأكد من صدق البناء لأداة الدراسة من خلال تطبيقها على عينة استطلاعية بلغت (30) مديرة من مجتمع الدراسة، ومن ثم حساب معامل ارتباط الفقرات بالمجال الذي تنتمي إليه وللأداة ككل؛ كما يظهر في الجدول الآتي:

جدول (1) صدق البناء لأداة الدراسة

معامل الارتباط مع المجال	معامل الارتباط مع الأداة	الرقم	معامل الارتباط مع المجال	معامل الارتباط مع الأداة	الرقم	معامل الارتباط مع المجال	معامل الارتباط مع الأداة	الرقم
.847**	.586**	1	.632**	.523**	1	.454**	.806**	1
.718**	.686**	2	.387**	.527**	2	.704**	.843**	2
.860**	.656**	3	.466**	.622**	3	.730**	.858**	3
.678**	.669**	4	.433**	.544**	4	.787**	.842**	4
.850**	.719**	5	.632**	.513**	5	.777**	.909**	5
.936**	.785**	6	.649**	.514**	6	.541**	.911**	6
.875**	.576**	7	.542**	.415**	7	.741**	.757**	7

.596**	.812**	8	.512**	.478**	8	.765**	.750**	8
.583**	.834**	9	.903**	الأساليب النبوية الخلقية		.808**	.761**	9
.583**	.792**	10				.454**	.893**	10
.588**	.709**	11				.910**	الأساليب النبوية الإيمانية والتعبدية	
.560**	.867**	12						
.633**	.760**	13						
.680**	.628**	14						
.725**	.586**	15						
.899**	الأساليب النبوية النفسية							

يتبين من خلال الجدول (1) أن كافة معاملات الاستقرار بين الدرجة الكلية للأداة ودرجة الفقرة قد تراوحت بين (0.808-0.454)، في حين تراوحت معاملات الاستقرار بين درجة المجال والدرجة الكلية من (-0.899-0.910)، وقد كانت كافة المعاملات لها ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.01$)، مما يُشير إلى أن الاتساق الداخلي بين الفقرات المكونة للاستبانة مقبولة وأنها صادقة بنائياً، وتعد صالحة للتطبيق على أفراد عينة الدراسة الرئيسية.

ثبات الأداة:

جرى التأكد من ثبات أداة الدراسة من خلال تطبيقها على عينة استطلاعية بواقع (30) مديرة من مجتمع الدراسة، حيث تم تقدير معامل الثبات بطريقة (كرونباخ - ألفا (Cronbach- Alpha))، لكل مجال من مجالات الاستبانة وللاداة ككل، حيث تبين أن الاستبانة ومجالاتها تتمتع بمعاملات ثبات عالية نسبياً، فقد بلغ الثبات للأداة الكلية (0.89)، وبلغ معامل الثبات للمجال الأول (0.84)، وللمجال الثاني (0.85)، وللمجال الثالث (0.91) وهي معاملات ثبات مناسبة ومقبولة لإجراء الدراسة.

معيار تفسير الدرجات:

جدول رقم (2) معيار المقارنة

الرقم	المدى	الدلالة
1	1-1.79	قليلة جداً
2	1.80-2.59	قليلة
3	2.60-3.39	متوسطة
4	3.40-4.19	عالية
5	4.20-5.0	عالية جداً

المعالجة الإحصائية:

تم الاستعانة بعدد من الاختبارات الإحصائية التالية لاختبار أسئلة الدراسة كما يلي:

1. معامل كرونباخ ألفا لتقدير الثبات ومعامل ارتباط بيرسون لحساب صدق البناء.
2. الأوساط والانحرافات المعيارية لتقدير درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب النبوية من وجهة نظر مديرات الروضات في محافظة جرش.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

النتائج المتعلقة بالسؤال الأول والذي نص على "ما درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب الإيمانية التعبدية التي تعامل بها النبي عليه السلام مع الطفل من وجهة نظر المديرات في محافظة جرش؟" للإجابة على هذا السؤال تم العمل على حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على أدواتها؛ كما يأتي:

جدول (3) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب والتفسيرات لاستجابات أفراد عينة الدراسة على

فقرات الأداة الخاصة بمجال الأساليب النبوية الإيمانية والتعبدية

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	التفسير
3	تُشعر الطفل أن الله - سبحانه وتعالى - يراه في كل حين	4.62	0.66	1	عالية جدًا
9	تُبين للأطفال فضل الحج وحكمته وتشوقهم لأدائه	4.46	0.73	2	عالية جدًا
5	تُردد المعلمة مع الأطفال بعض سور القرآن الكريم والأحاديث النبوية المتعلقة بالإيمان	4.45	0.78	3	عالية جدًا
8	تُبين للأطفال أجر الصائم وتشجعهم على الصيام ولو لساعات	4.38	0.85	4	عالية جدًا
6	تُدرب المعلمة الطفل على الوضوء بشكل صحيح	4.36	0.98	5	عالية جدًا
2	تتمي محبة الله تعالى في نفس الطفل من خلال تعريفه بنعم الله عليه	4.35	0.84	6	عالية جدًا
4	تُرسخ محبة الرسول محمد صلى الله عليه وآل بيته في قلب الطفل من خلال ذكر مواقف من سيرته العطرة	4.30	0.90	7	عالية جدًا
7	تؤدي المعلمة الصلاة أمام الأطفال بشكل مستمر	4.28	0.83	8	عالية جدًا
10	تُبين للأطفال فضل الزكاة والصدقة وتحثهم عليها	4.26	0.77	9	عالية جدًا
1	تُلَقِّن المعلمة الطفل المسائل الخاصة بالعقيدة (الله ربي، محمد نبي، الإسلام ديني، أركان الإيمان)	4.20	1.10	10	عالية جدًا
	الأساليب النبوية الإيمانية والتعبدية	4.366	0.844		عالية جدًا

يظهر لنا من خلال الجدول (3) أن درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب الإيمانية التعبدية التي تعامل بها النبي عليه السلام مع الطفل من وجهة نظر المديرات في محافظة جرش، قد جاءت ضمن الدرجة عالية جدًا، بمتوسط حسابي بلغ (4.366) وانحراف معياري (0.844)، حيث جاء في الرتبة الأولى الفقرة رقم (3) والتي نصت على " تُشعر الطفل أن الله - سبحانه وتعالى - يراه في كل حين" بمتوسط حسابي بلغ (4.62) وانحراف معياري (0.66) وبدرجة عالية جدًا، وجاء في الرتبة الثانية الفقرة رقم (9) والتي نصت على " تُبين للأطفال فضل الحج وحكمته وتشوقهم لأدائه" بمتوسط حسابي بلغ (4.46) وانحراف معياري (0.73) وبدرجة عالية جدًا، وجاء في الرتبة الأخيرة الفقرة رقم (1) والتي نصت على " تُلقِّن المعلمة الطفل المسائل الخاصة بالعقيدة (الله ربي، محمد نبي، الإسلام ديني، أركان الإيمان)" بمتوسط حسابي بلغ (4.20) وانحراف معياري (1.10) وبدرجة عالية جدًا.

ويعزوا الباحث هذه النتيجة إلى إدراك معلمات رياض الأطفال لأهمية غرس العقيدة السليمة في نفس الطفل حتى تنتمي لديه الفطرة السليمة القائمة على مراقبة الله تعالى له بالسر والعلن، ويتولد لديه الرقابة الذاتية، بحيث يراقب الطفل جميع حركاته في المستقبل، ويسعى دائماً إلى إرضاء الله تعالى من خلال الإيمان المطلق بأركان الإسلام والتي منها الحج الذي يعد ركن عظيمًا يؤديه المسلم تقرباً إلى الله تعالى.

وقد اتفقت هذه النتيجة مع دراسة العلوي (2010) والتي اشارت إلى أن الأساليب النبوية الموجه للطفل تضمنت مجموعة من القضايا التي تنمي شخصية الطفل بالمستقبل، ويلتزم بأداء العبادات من أجل إرضاء الله تعالى.

النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني والذي نص على " ما درجة ممارسة معلمة رياض الأطفال للأساليب الخلقية التي تعامل بها النبي عليه السلام مع الطفل من وجهة نظر المديرات في محافظة جرش؟"

للإجابة على هذا السؤال تم العمل على حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على أدواتها؛ كما يأتي:

جدول (4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والترتب والتفسيرات لاستجابات أفراد عينة الدراسة على

فقرات الأداة الخاصة بمجال الأساليب النبوية الخلقية

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	التفسير
6	توكل نظافة الصف لمجموعة من الأطفال بشكل دوري وتساعدهم بذلك	4.12	1.01	1	عالية
3	تشكر المعلمة الطفل حين يلتزم بما يتفق عليه مع أقرانه في الروضة	4.02	0.97	2	عالية
4	تحث المعلمة الطفل على التسامح في مواقف الخصومة بينه وبين أقرانه	3.72	0.80	3	عالية
1	تعلم المعلمة الطفل آداب الطعام في الإسلام	3.40	1.12	4	عالية
2	تُعود المعلمة الطفل على الصدق في القول من خلال تذكيره ببعض الأحاديث المتعلقة بالصدق	3.38	1.37	5	متوسطة
8	تستخدم المعلمة القصة القرآنية والقصص النبوية لإكساب الأطفال القيم	3.30	1.52	6	متوسطة
7	تتعامل المعلمة مع الطفل بأسلوب القدوة الصالحة، وتراعي ذلك في أقوالها وأفعالها ومظهرها	3.28	1.36	7	متوسطة
5	تذكر المعلمة الطفل بالاهتمام بنظافة ملابسه وجسمه	2.64	1.34	8	متوسطة
	الأساليب النبوية الخلقية	3.48	1.19		عالية

يظهر لنا من خلال الجدول (4) أن درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب النبوية الخلقية التي تعامل بها النبي عليه السلام مع الطفل من وجهة نظر المديرات في محافظة جرش، قد جاءت ضمن الدرجة عالية، بمتوسط حسابي بلغ (3.48) وانحراف معياري (1.19)، حيث جاء في الرتبة الأولى الفقرة رقم (6) والتي نصت على " توكل نظافة الصف لمجموعة من الأطفال بشكل دوري وتساعدهم بذلك" بمتوسط حسابي بلغ (4.12) وانحراف معياري (1.01) وبدرجة عالية، وجاء في الرتبة الثانية الفقرة رقم (3) والتي نصت على " تشكر المعلمة

الطفل حين يلتزم بما يتفق عليه مع أقرانه في الروضة " بمتوسط حسابي بلغ (4.02) وانحراف معياري (0.97) وبدرجة عالية، وجاء في الرتبة الأخيرة الفقرة رقم (5) والتي نصت على " تذكر المعلمة الطفل بالاهتمام بنظافة ملبسه وجسمه" بمتوسط حسابي بلغ (2.64) وانحراف معياري (1.34) وبدرجة متوسطة.

ويعزوا الباحث هذه النتيجة إلى قدرة معلمات رياض الأطفال على غرس أسلوب القدوة في نفس الطفل، وتربيته على الأخلاق الإسلامية، لأن الفعل أقوى وأرسخ في النفوس من القول، وهذا يدل على حرص المعلمة على النظافة التي تُعد من الإيمان وتكليف الأطفال بهذا العمل يدل على مدى الاهتمام بغرس القيم والاتجاهات النبوية لدى الأطفال، كما أن المعلمة تغرس خُلق الوفاء في نفوس الأطفال من خلال الثناء عليهم، وتقديم الشكر لهم. وقد اتفقت هذه النتيجة مع دراسة طراييشي (2008) في أن الأحاديث النبوية بينت اهتمام النبي عليه الصلاة والسلام بالتربية الخُلقية، بحيث يوجد تكامل وتناغم بين الأخلاق والدين، فلا يوجد تناقض بينهما، فالأخلاق روح الدين الذي يُغذيها وينميها، وغرس قيمة الشكر والثناء لدى الأطفال.

النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث والذي نص على " ما درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب النفسية التي تعامل بها النبي عليه السلام مع الطفل من وجهة نظر المديرات في محافظة جرش؟ " للإجابة على هذا السؤال تم العمل على حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على أدواتها؛ كما يأتي:

جدول (5) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والترتب والتفسيرات لاستجابات أفراد عينة الدراسة على

فقرات الأداة الخاصة بمجال الأساليب النبوية النفسية

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	التفسير
12	تستخدم الإشارة باليد لإيقاف خطأ الطفل المستمر	4.463	1.093	1	عالية جداً
2	تعديل المعلمة في الاهتمام بالأطفال وإتاحة فرص التعلم للجميع	4.354	1.035	2	عالية جداً
8	تقابل المعلمة عناد الطفل بالحوار الهادئ واللمسات الحانية	4.060	1.018	3	عالية
3	تستمع لاعتراض الطفل وتغير قراراتها إن كان على حق	3.909	1.050	4	عالية
1	تحتضن المعلمة الأطفال وتقبلهم وتبتسم لهم	3.840	1.079	5	عالية
6	تبتعد المعلمة عن الإكثار من لوم الطفل وعتابه	3.829	0.927	6	عالية
13	تُعدل سلوك الطفل بالتوجيه المباشر اللطيف بعيداً عن القسوة	3.543	1.205	7	عالية
10	تُعدل سلوك الطفل بالتوجيه المباشر اللطيف بعيداً عن القسوة	3.374	1.296	8	متوسطة
4	تُعود المعلمة الطفل الاعتماد على نفسه في المواقف المختلفة	3.194	1.014	9	متوسطة
15	تُعود الأطفال في التعبير عن مشاعرهم (الفرح، والسرور)	2.817	1.076	10	متوسطة
14	تُخصص وقتاً للجلوس مع الأطفال الأيتام لتتقن أحوالهم	2.397	1.282	11	قليلة
11	تعزز الأطفال من خلال تقديم الجوائز للطفل الفائز بالمسابقات الجماعية	2.340	1.231	12	قليلة
9	تتأدي المعلمة على الطفل بالألفاظ المحببة إليه والمعبرة عن محبته	2.303	1.396	13	قليلة
7	تمتدح المعلمة الطفل بشكل مباشر حين يُحسن الفعل أو القول	2.280	1.245	14	قليلة
5	تُحمل المعلمة الطفل مسؤوليات خاصة بالصف والجماعة	2.249	1.288	15	قليلة
	الأساليب النبوية النفسية	3.26	1.15		متوسطة

يظهر لنا من خلال الجدول (5) أن درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال للأساليب النبوية النفسية التي تعامل بها النبي عليه السلام مع الطفل من وجهة نظر المديرات في محافظة جرش، قد جاءت ضمن الدرجة المتوسطة، بمتوسط حسابي بلغ (3.26) وانحراف معياري (1.15)، حيث جاء في الرتبة الأولى الفقرة رقم (12) والتي نصت على " تستخدم الإشارة باليد لإيقاف خطأ الطفل المستمر" بمتوسط حسابي بلغ (4.46) وانحراف معياري (1.093) وبدرجة عالية جداً، وجاء في الرتبة الثانية الفقرة رقم (2) والتي نصت على " تعدل المعلمة في الاهتمام بالأطفال وإتاحة فرص التعلم للجميع" بمتوسط حسابي بلغ (4.354) وانحراف معياري (1.035) وبدرجة عالية جداً، وجاء في الرتبة الأخيرة الفقرة رقم (5) والتي نصت على " تُحمل المعلمة الطفل مسؤوليات خاصة بالصف والجماعة" بمتوسط حسابي بلغ (2.249) وانحراف معياري (1.288) وبدرجة قليلة.

ويعزوا الباحث هذه النتيجة إلى تنوع الأساليب التي تستخدمها معلمات رياض الأطفال لتعديل سلوك الأطفال، فمن الممكن إيقاف سلوك غير مرغوب فيه من خلال الإشارة باليد من أجل الاستماع والإنصات وغير ذلك من التعبيرات التي من خلالها إيصال لغة الجسد، كما أن المعلمة تتمتع بصفات خلقية عالية من حيث معاملة الأطفال بالعدل والمساواة، بعيداً عن الظلم والجور، والابتعاد عن المحاباة والتمييز والتفرقة بين الأطفال.

وقد اختلفت هذه النتيجة مع دراسة الغامدي (2009) والتي اشارت إلى أن هناك بعض الأساليب التربوية النبوية التي لا تمارسها معلمة رياض الأطفال، منها عدم محاباة طفل على طفل في المعاملة.

التوصيات:

في ضوء النتائج التي تم التوصل إليها يوصي الباحث بالآتي:

1. ضرورة تقديم الدعم المعنوي والمادي لمعلمات رياض الأطفال الملتزمات بالأساليب النبوية الشريفة في تعاملهن مع الأطفال، لتحفيزهن وزيادة دافعيتهن لاتباع هذا المنهج الإسلامي القويم.
2. العمل على تضمين المناهج المقدمة لرياض الأطفال بالأساليب النبوية التربوية، لما لها من فائدة في صقل شخصية الأطفال في هذه المرحلة، وتوثيق علاقتهم بالمبادئ والأخلاق التي حث عليها الإسلام.
3. تدريب معلمات رياض الأطفال على الأساليب النبوية التربوية، وصولاً إلى مراحل متقدمة من هذه الأساليب.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الألباني، محمد ناصر الدين (1988). **الجامع الصغير وزيادته " الفتح الكبير "**. ط3، المكتب الإسلامي: بيروت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (2001). **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**. تحقيق: محمد بن زهير الناصر، دار طوق النجاة: بيروت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (1418هـ). **صحيح الأدب المفرد**. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط4، دار الصديق: بيروت.

- بدران، شبل بن الغريب (2006). **معلمة رياض الأطفال**. ط3، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية.
- بكار، عبد الكريم (2010). **دليل التربية الأسرية 75 ملحظاً تربوياً للأبوين**. ط4، دار السلام: عمان.

- بن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني (2000). **مسند الأمام أحمد بن حنبل**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، ط3، مؤسسة الرسالة: بيروت.
- بن مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (2006). **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**. تحقيق: نظر بن محمد الفرياني، ط5، دار طيبة: الرياض.
- الترمذي، محمد بن عيسى (2007). **الجامع الكبير _ سنن الترمذي**. تحقيق: بشار بن عواد بن معروف، دار الغرب الإسلامي: بيروت.
- حجي، أحمد بن إسماعيل، وطلبة، ابتهاج (2004). **إدارة رياض الأطفال**. ط2، عالم الكتب: القاهرة.
- الخالدي، مريم بنت أرشيد (2008). **مدخل إلى رياض الأطفال**. ط1، دار الصفاء: عمان.
- خلف الله، سلمان بن محمود (1999). **منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الناشئة**. بيت الأفكار الدولية: عمان.
- خلف، أمل (2005). **مدخل إلى رياض الأطفال**. ط2، عالم الكتب: القاهرة.
- الراشد، مضاي، وقناوي، هدي، ومحمد، ابتهاج (2005). **مدخل إلى رياض الأطفال**، مكتبة الرشد: الرياض
- سويد، محمد بن نور (1410هـ). **منهج التربية النبوية للطفل**. ط3، مكتبة المنار الإسلامية: الكويت.
- الشهري، محمد بن فايز (2004). **الأساليب التربوية للعقاب في السنة النبوية ومدى استخدامها في المدارس الابتدائية في مدينة الطائف**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- شومان، طه بن مصطفى (2007). **دور الحضنة ورياض الأطفال**. مكتبة الرشد: الرياض.
- طرابيشي، علي بن ناجي (2008). **الأساليب التربوية النبوية في التعامل مع الأطفال وتطبيقاتها في المرحلة الابتدائية**. رسالة ماجستير غير منشورة جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- العلوي، محمد بن صالح (2010). **خطاب النبي صلى الله عليه وسلم للطفل المسلم وتطبيقاته التربوية**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- العناني، حنان بنت عبد الحميد (2001). **تربية الطفل في الإسلام**. ط1، دار الصفاء: عمان.
- الغامدي، علي بن عوض (2009). **أساليب التربية العلاجية لأخطاء الطفل في السنة النبوية وتطبيقاتها**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- الفندي، عبد السلام بن عطوة (2013). **تربية الطفل في الإسلام - أسس وأساليب**. دار المسيرة: عمان.

عنوان البحث

**القيادة الاستثنائية وأثرها في خلق مناخ السعادة المؤسسية لدى معلمات
المدارس الحكومية الأردنية**

هيام حسين حسن الجونه¹

¹ وزارة التربية والتعليم الأردنية، دبلوم عالي في تخصص تكنولوجيا معلومات والاتصالات.

بريد الكتروني: Hyam-Al Gouna@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj2115>

تاريخ القبول: 2021/10/05م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

هدفت الدراسة الحالية التعرف على القيادة الاستثنائية وأثرها في خلق مناخ السعادة المؤسسية لدى معلمات المدارس الحكومية الأردنية، إذ اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق اهداف الدراسة، وذلك من خلال تطبيق أداة الدراسة المكونة من (27) فقرة على عينة الدراسة والتي بلغت (350) معلمة، من معلمات المدارس في مديرية تربية جرش، وقد توصلت الدراسة إلى أن مستوى القيادة الاستثنائية لدى مديرات المدارس قد وقع ضمن المستوى المرتفع، كما توصلت الدراسة إلى وجود أثر دال إحصائيًا للقيادة الاستثنائية في خلق مناخ السعادة المؤسسية لدى معلمات المدارس الحكومية الأردنية، كما أوصت الدراسة بضرورة العمل على تقديم الدعم المادي والمعنوي لمدرء المدارس الذين يتبعون نمط القيادة الاستثنائية، لضمان استمرارهم في هذا النمط وتشجيع الآخرين لاتباعه.

الكلمات المفتاحية: القيادة الاستثنائية، مناخ السعادة، معلمات المدارس، محافظة جرش.

RESEARCH ARTICLE

EXCEPTIONAL LEADERSHIP AND ITS IMPACT ON CREATING A CLIMATE OF INSTITUTIONAL HAPPINESS AMONG JORDANIAN PUBLIC SCHOOL TEACHERS**Hyam Hussein Hassan El Gouna¹**

¹ Jordanian Ministry of Education, Higher Diploma in Information and Communication Technology.
Email: Hyam-Al Gouna@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj2115>

Published at 01/11/2021**Accepted at 05/10/2021****Abstract**

The study aimed to identify exceptional leadership and its impact on creating a climate of institutional happiness among Jordanian public school teachers. The researcher followed the descriptive analytical approach to achieve the objectives of the study, by applying the study tool consisting of (27) paragraphs to the study sample, which amounted to (350) teachers. Of school teachers in Jerash Education Directorate, and the study found that the level of exceptional leadership among school principals fell within the high level, the study also found a statistically significant effect of exceptional leadership in creating a climate of institutional happiness among Jordanian public school teachers. The study also recommended the necessity of providing material and moral support to school principals who follow the exceptional leadership style, to ensure their continuation in this style and encourage others to follow it.

Key Words: exceptional leadership, the climate of happiness, schoolteachers, Jerash Governorate.

المقدمة:

تعتبر القيادة أحد أهم الوظائف العامة للإدارة في مختلف المؤسسات التعليمية، والتي تعبر عن العنصر البشري الذي يقع على عاتقه تولي قيادة المؤسسة التربوية؛ تحت مسمى مدير المدرسة، إذ يستوجب هذا الدور قيامه بإيجاد الترابط بين الوحدات والعناصر المكونة لبيئة المدرسة التعليمية، للسير بشكل منظم نحو الأهداف المطلوبة من خلال العديد من الوظائف القيادية، كالتوجيه والتنسيق والمتابعة والإشراف والرقابة على كافة العاملين في المدرسة.

إذ تركز مختلف النشاطات المدرسية على قيادتها المتأثرة بالبيئة الخارجية كالمجتمع المحلي، والبيئة الداخلية كمدى رضا العاملين فيها عن الأداء القيادي، ومدى تحقيقه للمصلحة العامة والتي تتمحور حول تحسن تعلم الطلبة، وتحسن البيئة الوظيفية للمعلمين والمعلمات العاملين فيها (زناتي، 2013).

وفي هذا الصدد تسعى كافة المؤسسات التعليمية إلى مواكبة التطور ومن ثم التميز عن غيرها، وهو الأمر الذي جعلها تبحث عن كافة الأساليب الممكنة لتحقيق التطور المستور، وكسب رضا العاملين فيها، ليكونوا خير نصير في تحقيق أهدافها المختلفة، من هنا برز مفهوم السعادة المؤسسية ليحل محل مفهوم الرضا الوظيفي، إذ يعد هذا المفهوم أعم وأشمل من كافة النواحي (طالب، 2017).

لذا يسعى القائد الاستثنائي في المدرسة إلى تغيير الاهتمامات والأهداف الفردية للمعلمين وتحويلها إلى اهتمامات وأهداف تصب في مصلحة الجماعة، والقيادة الاستثنائية هنا تتمثل في العلاقة بين القائد والمرؤوسين في العمل (مدير ومعلم)، فهذه العلاقة ذات أهمية بالغة في تحقيق السعادة داخل المدرسة، فإذا كانت هناك علاقة إيجابية بين الرئيس والمرؤوس من خلال الاتصال بينهما واستماع الرئيس للمرؤوس والتعرف على مطالبه ومتطلباته كان ذلك سبباً لإدخال السعادة على المعلم، وينصب بالتالي على المؤسسة بكل ما تحويه من برامج ومرفقات (أبو يزيد، 2020).

مشكلة الدراسة:

يعد مفهوم القيادة الاستثنائية أحد أهم الموضوعات التي تسهم في تعزيز الانتماء الوظيفي للعاملين بمختلف تخصصاتهم ومرجعياتهم الثقافية، فهو أساس النجاح للمدرسة ومن أهم استثماراتها التي تحقق أعلى درجات الإنتاجية، باعتبار أن بيئة العمل في المدرسة تعد من أهم العوامل المؤثرة على إنتاجية المعلم، وبهذا تكون سعادة المعلم ركيزة أساسية في بذله للمزيد من المجهود في تحقيق الأهداف العامة والجماعية داخل المدرسة وخارجها، من هنا يبرز دور القائد الاستثنائي في استثارة مرؤوسيه من معلمين وعاملين لتحقيق النجاح والعمل بروح الفريق، وكذلك تخطي كافة العقبات النفسية والعاطفية التي تؤثر سلباً على أدائهم داخل المدرسة؛ وعليه يمكن تحديد مشكلة الدراسة في التعرف على أثر القيادة الاستثنائية في خلق مناخ السعادة المؤسسية لدى معلمات المدارس الحكومية الأردنية.

أسئلة الدراسة:

1. ما مدى توافر سلوكيات القيادة الاستثنائية في المدارس الحكومية الأردنية؟
2. ما أثر القيادة الاستثنائية في خلق مناخ السعادة المؤسسية لدى معلمات المدارس الحكومية الأردنية؟

أهمية الدراسة:

برزت القيادة الاستثنائية في وقتنا الحالي استجابة للعديد من التحديات والتغيرات التي يمر بها العالم بشكل عام والعالم العربي بشكل خاص، فمن هنا ظهرت الحاجة إلى قيادة استثنائية ذات قدرات تنظيمية عالية، لديها المعرفة والقدرة في تخطي العقبات والربط الإيجابي بين مختلف العاملين في المؤسسات التعليمية، وبذلك ستسهم هذه الدراسة في توفير إطار نظري يحاكي موضوع القيادة الاستثنائية والسعادة المؤسسية لدى المعلمين، ليشكل مرجعاً مستقبلياً للباحثين في هذا المجال الاستثنائي، كما من المؤمل أن تسهم هذه الدراسة في توجيه أنظار صناع القرار والعاملين في الإدارات العليا في وزارة التربية والتعليم الأردنية لأهمية خلق مناخ السعادة المؤسسية في المدارس الحكومية الأردنية والخاصة، لما لها من أثر إيجابي في تحقيق الهدف الأسمى للوزارة ألا وهو التحسن المستور في تعلم أبنائنا الطلبة.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. التعرف على سلوكيات القيادة الاستثنائية.
2. قياس مدى توافر سلوكيات القيادة الاستثنائية في المدارس الحكومية الأردنية.
3. اختبار أثر القيادة الاستثنائية في خلق مناخ السعادة المؤسسية لدى معلمات المدارس الحكومية الأردنية.

حدود الدراسة:

1. المحدد المكاني: تم إجراء هذه الدراسة في المدارس الحكومية التابعة لمديرية تربية جرش.
2. المحدد البشري: تم إجراء هذه الدراسة على المعلمات في المدارس الحكومية التابعة لمديرية تربية جرش.
3. المحدد الزمني: تم إجراء هذه الدراسة في الفصل الدراسي الأول في العام (2021/2020م).

مصطلحات الدراسة:

القيادة الاستثنائية: عبارة عن أداء قيادي متميز في ظل الظروف الخارجية أو الداخلية الصعبة التي تحيط بالمؤسسة، ويعتبر القائد الاستثنائي القوة الحقيقية لنجاح أي مؤسسة في ظروف استثنائية تتطلب أداء قيادي يفوق التوقعات ويخرج عن حدود النمط المعتاد (أبو يزيد، 2020).

السعادة المؤسسية: هي حالة تتسم بها بيئة العمل الداخلية في المنظمة بشيوع الإحساس لدى العاملين بالرضا الإيجابي (القبول عن اقتناع، المشاركة، الانتماء العميق للمنظمة) وتبادل الإتجاهات الإيجابية فيما بينهم ومن إدارة المنظمة، وتوسيع البدائل والاختيارات أمامهم، ولا تتحقق هذه الحالة إلا إذا استطاعت المؤسسة تحسين جودة حياة العمل فيهما فتزيد الإنتاجية، وتزيد الربحية، إذن هي حركة دائرية تبدأ بتحسين جودة حياة العمل والعاملين وتنتهي بها، وتؤكد أن استمرارية هذه الحالة واستقرارها يصبح من أهم عوامل القوة الدافعة في المنظمة (مصطفى، 2020).

مفهوم القيادة الاستثنائية:

يمكن الاستدلال على مفهوم القيادة الاستثنائية من خلال الصفات التي يتميز بها القائد الاستثنائي، والتي تجعل منه قادرًا على اقناع الآخرين الذين ينتمون إلى مجموعات معينة، في ضرورة عملهم بروح الفريق لتحقيق الأهداف المنشودة، وكذلك لعب دور القدوة لهم في العمل المنتج والإيجابي ليحذو حذوه (أبو العلا).

كما أن مصطلح القيادة الاستثنائية يدل على قدرة القائد في فرض رأيه وتطبيق قوانين المؤسسة التعليمية بالإقناع وليس بقوة القانون، ويكون هدفه تحقيق المصالح المنشودة وإنجازها على أكمل وجه، بعيدًا عن فرض العقوبات أو التعامل بصورة رسمية مع المعلمين، لذا يستوجب على القائد الاستثنائي أن يحدد الأساليب المناسبة للتعامل مع المعلمين، لربطهم داخل حدود المدرسة وخارجها بعلاقات إيجابية (زناتي، 2013).

فالقيادة الاستثنائية: عبارة عن أداء قيادي متميز في ظل الظروف الخارجية أو الداخلية الصعبة التي تحيط بالمؤسسة، ويعتبر القائد الاستثنائي القوة الحقيقية لنجاح أي مؤسسة في ظروف استثنائية تتطلب أداء قيادي يفوق التوقعات ويخرج عن حدود النمط المعتاد (طالب، 2017).

وهي عبارة عن أداء قيادي متميز في ظل الظروف الخارجية أو الداخلية الصعبة التي تحيط بالشركة أو المؤسسة.

أما القائد الاستثنائي فهو ذلك الشخص الذي يستخدم نفوذه وسلطته وقوته ومهاراته ليؤثر على سلوك وأداء وتوجهات الأفراد من حوله لإنجاز الأهداف والغايات المحددة، وهو القوة الحقيقية لنجاح أي شركة أو مؤسسة في الظروف الاستثنائية التي تتطلب أداء قيادياً يفوق التوقعات ويخرج عن حدود النمط المعتاد (أبو يزيد، 2020).

صفات القائد الاستثنائي:

للقائد الاستثنائي العديد من الصفات التي يتميز بها عن غيره من القادة، ومن هذه الصفات ما يأتي (العور، 2019):

1. التنظيم والدقة في كافة الأعمال التي يقوم بها، من حيث الأعمال الورقية والفنية والإدارية وغيرها من أعمال الإشراف والرقابة والتعزيز والمتابعة.
2. القدرة على اتخاذ القرارات المهمة والمفصلية وصناعة الحدث وليس انتظاره، وهو بذلك يكون استباقياً في اتخاذ قراراته ومواجهة التحديات المستقبلية.
3. القدرة في التأثير بالآخرين بصورة إيجابية، ويمتلك مهارات التواصل الفعال ويوجه الآخرين للعمل بروح الفريق وتحقيق الأهداف.
4. ذو نظرة ثاقبة، يرى ما لا يراه الآخرون متقبلاً للنقد وللا أفكار الابتكارية والإبداعية التي تقد له من رؤوسيه.
5. ملهم وحفز في نفس الوقت، يعمل على بث روح الحماسة ويزيد من دافعية رؤوسيه للعمل بجد وانتظام.
6. الثقة العالية بالنفس لما يمتلكه من معارف وخبرات وقدرات وإمكانيات لقيادة الآخرين وتوجيههم إلى العمل الإنتاجي.
7. ذو مهارات عالية في التخطيط الصحيح والمنطقي والمدرّس للحاضر والمستقبل، بحيث أنه لا يترك مجالاً للصدفة في سير أعماله.

8. يتبع نمط الإدارة اللامركزية من حيث تفويض السلطة واستثمار طاقات ومعارف رؤوسيه، مع المتابعة الغير مباشرة لما يتم اتخاذه من قرارات وأعمال داخل المؤسسة التعليمية.
9. على درجة عالية من الثقافة، ومتابع لمستجدات العلم في مجال القيادة والإدارة واستراتيجيات التدريس الحديثة.
10. على قدر عالي من الإلتزام الخلقي، ذو مبادئ وقيم راسخه غير قابلة للتغيير جراء للظروف التي يتعرض لها، يتمتع بقدر مناسب من الذكاء والقدرة على تحليل المواقف وحل المشكلات التي تعترض سبيله في تحقيق أهداف المؤسسة التعليمية.

أهم وأبرز واجبات القائد الاستثنائي حتى يخلق السعادة المؤسسية (زين العابدين، 2020):

1. تحويل أهداف المدرسة إلى نتائج وإنجازات على أرض الواقع بالتعاون مع المعلمين والطلبة.
2. تحفيز المعلمين ودفعهم لتحقيق أهداف المدرسة وأهدافهم الشخصية، التي تتمثل في التطور المهني والعلمي.
3. قابلية التعامل مع المتغيرات والمؤثرات ذات المساس المباشر وغير المباشر بالمدرسة والمعلمين.
4. استشراف المستقبل والتخطيط له فيما يتعلق بالمدرسة وأهدافها وخططها ومعلميها وطلبتها.
5. دعم عناصر وظائف الإدارة الخمسة والتي تتمثل في التخطيط، التنظيم، التوظيف، التوجيه، الرقابة.
6. إعداد جيل واعد من قادة المستقبل، وترسيخ القدرة لديهم في مواكبة تطورات العصر الحديث.
7. الجرأة والتحدي لتبني الأفكار والأساليب والتغييرات التي تصب في صالح المدرسة، وعدم الإلتزام بالروتين المؤسسي الذي يقتل الإبداع.

السعادة المؤسسية:

ليست السعادة المؤسسية مفهوماً جديداً، بل هي امتداد لمفهوم الاتصال الداخلي في العلاقات العامة بهدف إسعاد الموظف في بيئة العمل لكن المفهوم الجديد يجعل من السعادة عملاً مؤسسياً تشارك فيه القطاعات كافة (فرج، 2010).

فرج، طريف شوقي محمد. (2010). السلوك القيادي وفعالية الإدارة. ط3، القاهرة: مكتبة غريب. والموظفون هم السفراء الحقيقيون وتأثيرهم كبير في خلق الانطباع الجيد عن المنشأة، فالاهتمام باحتياجاتهم واحترامهم في بيئة العمل يخلق الرضا الوظيفي عن المنشأة ويساعد في نشر رسالتها والتفاعل مع برامجها (شين، 2017).

كما أن سعادة الموظف من مهام إدارات الاتصال المؤسسي أو العلاقات العامة لأنهما أعرف بتصميم الرسائل الإعلامية، وفهم التواصل مع الجمهور الداخلي والخارجي (Antonakis & Sivasubramaniam, 2013). وسعادة العاملين لا يمكن تحقيقها بالهدايا الدعائية أو بكمية تدفق المعلومات باتجاه واحد؛ بل هي سلسلة من المبادرات والتخطيط السليم لبرامج تسعى لتوفير البيئة الحاضنة للعاملين في المنشآت، كما أن العدالة في بيئة العمل من أهم العوامل المسببة لسعادة الموظف ورضاه عن المنشأة من خلال توفير المصادر له مثل: المكافآت، الحوافز، والتطوير المهني، وتكليفهم بالمهام بالتساوي لتحقيق الرضا الوظيفي (Krishnan, 2015).

والبيئة المبدعة والمبتكرة تسهم في سعادة الموظف ويكون أكثر إبداعاً، وتركيزاً وقدرة على القيادة ومواجهة التحديات والمخاطر، فعادة الأشخاص المبدعون والمبتكرون أكثر انخراطاً في الإنتاجية وتطوير الأعمال، كما أن

تقدير مشاعر العاملين المعنوية والعاطفية والتوازن بين العمل والحياة الخاصة يحقق الرضا الوظيفي ويزيد مشاركتهم وتفاعلهم، فالشركات الناجحة تطبق الذكاء العاطفي في بيئة العمل (Avolio, Dvir & shamir, 2012).

ومن أهم الأسباب المؤدية للسعادة هو المصداقية بمعنى أن هناك مصداقية للقيادة والمسؤولين في إدارة الأقسام والمرؤوسين، فمتى فقدت المصداقية بين الطرفين كثرت مشاعر الإحباط والسلبية من قبل الموظف، وتواصل القيادة مع الموظف يعزز الحوار المفتوح، وتقدير أفكارهم وطموحاتهم، والاستماع إلى آرائهم للإسهام في تطوير الأعمال مما يقلل من دوران الموظفين وهجرتهم إلى مؤسسات أخرى، كما أنه احترام الموظفين وتقدير جهودهم والثناء على منجزاتهم يزيد من سعادتهم في العمل مما يساهم في رضاهم عن المنظمة بشكل عام (الحربي، 2008).

فأنا أعتقد بأن نجاح أي مؤسسة يبدأ من الاهتمام أولاً وثانياً وثالثاً ب (الموظف) الاهتمام براحته وحالته المعنوية والنفسية العالية في المقام الأول، كما يُعد أعظم مورد وأعلى استثمار تقوم عليه كافة المؤسسات لترتقي وتحقق نجاحاتها، لذا كان لزاماً أن يكون سعيداً!، فإن الإنسان السعيد هو الذي يستطيع أن يحول كل موسم من مواسم الحياة، فرصة لنمو طاقات جديدة أو متجددة في أعماقه، فحقاً السعادة هي المفتاح للنجاح، وليس النجاح مفتاح للسعادة!

وحتى يتحقق ذلك لا بد من وجود أخصائي سعادة وإيجابية في المؤسسات يحمل على عاتقه نشر الإيجابية ورسم الابتسامة لخلق بيئة عمل محفزة، ولأن القيادة هي " التأثير " وكما يقال إن نجاح أو فشل كل شيء يتحقق وفقاً للقيادة، نحن بحاجة لإيمان عميق بالدور الجوهري لتأثير السعادة في رقي المؤسسات ينبثق من أعلى الهرم (القيادة العليا) إلى أصغر موظف في المؤسسة لنضمن حقيقة التأثير وتصبح سعادة الموظفين ثقافة سائدة وهدف يسعى لاستمراره الجميع (مصطفى، 2020).

فقائد المؤسسة كي يحقق الاستمتاع بالعمل وتنمية روح الفريق الواحد لدى الموظفين والإيجابية والتعاون داخل المؤسسة يجب أن يبحث عن أخصائي سعادة داخل المؤسسة، يوظفه بشكل سليم، ويدعمه. ومن مواصفاتهم هؤلاء الموظفين ومهامهم التي ستساعدك نحو السعادة المؤسسية (زين العابدين 2020):

- يعرفون من هم وماذا يريدون.
- لديهم ممارسات تجلب السعادة.
- قدرتهم على اختيار ردود أفعالهم.

وبالتالي يمكن القول إن السعادة في المؤسسة ستترك أثرها الجميل أثناء عودة الموظف لمنزله، وتزداد السعادة وتبقى على محياك الابتسامة للموظف وللأسرة، والابتسامة في وجه الآخرين صدقة.

معادلة السعادة: كن سعيد + اعمل بجد = تتجح.

إجراءات الدراسة ومنهجها:

منهج الدراسة: اتبعت الدراسة الحالية المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لملائمة لمثل هذا النوع من الدراسات الوصفية.

مجتمع الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من كافة المعلمات في المدارس الحكومية التابعة لمديرية تربية جرش والبالغ عددهن (2834) معلمة للعام الدراسي (2020/2021).

عينة الدراسة: تكونت عينة الدراسة من (350) معلمة من معلمات المدارس الحكومية التابعة لمديرية تربية جرش، تم اختيارهن بالطريقة العشوائية البسيطة.

أداة الدراسة: تم تطوير أداة الدراسة بالاستعانة بالعديد من الدراسات السابقة كدراسة (زين العابدين، 2020، العور، 2019، أبو يزيد، 2020) حيث عملت الباحثة على انتقاء الفقرات ومن ثم عرضها على مجموعة من المختصين في مجال الإدارة المدرسية، للتحقق من مدى ملائمة الفقرات للعينة المستهدفة، حيث تم الأخذ بملاحظاتهم وبنسبة اتفاق بلغت (85%)، لتصبح الأداة بصورتها النهائية مكونة من (27) فقرة.

صدق الاتساق الداخلي للأداة: تم تطبيق الأداة على عينة مكونة من (35) معلمة من مجتمع الدراسة ومن خارج عينتها وذلك لحساب معامل الارتباط بين الفقرة والدرجة الكلية للمقياس، بهدف التحقق من صدق الاتساق الداخلي للأداة وكانت النتائج كما يأتي:

جدول (1) صدق الاتساق الداخلي

الرقم	معامل الارتباط	الرقم	معامل الارتباط	الرقم	معامل الارتباط
1	**0.688	10	**0.782	19	**0.709
2	**0.615	11	**0.815	20	**0.716
3	**0.781	12	**0.828	21	**0.752
4	**0.839	13	**0.786	22	**0.710
5	**0.817	14	**0.783	23	**0.638
6	**0.671	15	**0.823	24	**0.633
7	**0.680	16	**0.854	25	**0.704
8	**0.735	17	**0.690	26	**0.596
9	**0.790	18	**0.655	27	**0.537

يتبين من خلال الجدول (1) أن جميع الفقرات ترتبط ارتباطاً قوياً ذو دلالة إحصائية عند مستوى (0.01)، وكما يؤكد ذلك قيم معامل بيرسون والتي كانت أعلى من قيمة R الجدولية عند مستوى 0.01، وبهذا يمكن القول على أن الأداة تتمتع بصدق بناء مقبول في مثل هذا النوع من الدراسات الإنسانية.

ثبات الأداة: لتقدير ثبات الأداة تم تطبيقها على عينة مكونة من (35) معلمة من مجتمع الدراسة ومن خارج عينتها وذلك لحساب معامل كرونباخ ألفا، والذي بلغ للأداة ككل (0.91)، في حين بلغ للفقرات المتعلقة بالقيادة الاستثنائية (0.89)، وبلغ للفقرات المتعلقة بمناخ السعادة المؤسسية (0.88)، إذ تعتبر هذه القيم مقبولة ومناسبة لمثل هذا النوع من الدراسات.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

للإجابة على السؤال الأول والذي نص على: "ما مدى توافر سلوكيات القيادة الاستثنائية في المدارس الحكومية الأردنية؟" تم العمل على حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات الأداة المتعلقة بالقيادة الاستثنائية، ومقارنة هذه القيم بالمعيار الآتي:

• 1-2.33 منخفض.

• 2.34-3.66 متوسط.

• 3.67-5 مرتفع.

جدول (2) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات الأداة المتعلقة بالقيادة الاستثنائية

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	التفسير
2	يعطي القدرة لدى العاملين على اتخاذ القرار المناسب بشكل أفضل.	4.29	0.857	1	مرتفعة
9	يحفز فرق العمل، ويعطي كل ذي حق حقه.	4.22	0.828	2	مرتفعة
10	يجعل الموظفين أكثر ابداعاً وتفاؤلاً واندفاعاً وصحة.	4.16	0.952	3	مرتفعة
12	يحرص على أهمية العمل بروح الفريق.	4.11	0.974	4	مرتفعة
20	يسهم في تطوير مؤشرات قياس مستوى السعادة في الجهات الحكومية.	4.06	0.954	5	مرتفعة
6	يعمل على تحقيق السعادة وترسيخ قيم الإيجابية بين الموظفين.	4.05	0.914	6	مرتفعة
8	يعطي للموظفين الحكمة والنضج في اتخاذ القرارات وحل المشكلات.	4.05	0.947	7	مرتفعة
19	يعمل على ترسيخ ثقافة السعادة والإيجابية كأسلوب حياة في المدرسة، ونشر الوعي بأهميتها.	4.04	1.019	8	مرتفعة
13	يتحمل المسؤولية وبناء الذات وفق المعطيات الإيجابية أداء وإنتاجية الموظفين لديه.	4.03	0.996	9	مرتفعة
14	يحقق اهداف المدرسة الاستراتيجية.	4.02	1.003	10	مرتفعة
16	يعزز الإيجابية والصحة في بيئة العمل.	4.01	1.014	11	مرتفعة
15	يوئم بين الخطط العامة للدولة والبرامج والسياسات التي تضمن تحقيق قيم السعادة والإيجابية في المجتمع.	3.96	1.050	12	مرتفعة
18	يعمل على تعزيز الإجراءات التصحيحية لتحسين أداء النظام العمل وبيئة العمل السعيدة.	3.95	1.106	13	مرتفعة
17	يعمل على رفع مستوى إيجابية العلاقات المؤسسية رأسياً وأفقياً على حد سواء.	3.94	1.095	14	مرتفعة
3	يعمل على تجنب الاخطاء التي تواجه المنظمة خلال عملها.	3.92	0.995	15	مرتفعة
11	يعمل على حل المشكلات ذات التأثير السلبي على أداء وإنتاجية الموظفين لديه.	3.91	1.009	16	مرتفعة
7	لديه القدرة على خلق الشعور بالذات واستشعار العمل كواجب وطني لدى موظفيه.	3.88	1.109	17	مرتفعة
4	يستطيع أن يرى ما لا يراه الآخرون في المستقبل.	3.84	1.068	18	مرتفعة
5	لا يترك مجالاً للصدفة في عمله وطريق نجاحه.	3.83	1.104	19	مرتفعة
1	لديه القدرة على التنبؤ بالأحداث قبل وقوعها.	3.77	1.127	20	مرتفعة
	المتوسط العام	4.00	1.06		مرتفعة

يتبين من خلال الجدول (2) أن مدى توافر سلوكيات القيادة الاستثنائية في المدارس الحكومية الأردنية، قد تراوح ما بين (3.77-4.29) وبمتوسط عام بلغ (4.00)، وهو بذلك قد وقع ضمن المستوى المرتفع، حيث جاء في الرتبة الأولى الفقرة رقم (2) والتي نصت على " يعطي القدرة لدى العاملين على اتخاذ القرار المناسب بشكل أفضل" بمتوسط حسابي بلغ (4.29) وبدرجة مرتفعة، كما جاء في الرتبة الثانية الفقرة رقم (9) والتي نصت على " يحفز فرق العمل، ويعطي كل ذي حق حقه" بمتوسط حسابي بلغ (4.22) وبدرجة مرتفعة، كما جاء في الرتبة الثالثة الفقرة رقم (10) والتي نصت على " يجعل الموظفين أكثر ابداعاً وتفاؤلاً واندفاعاً وصحة" بمتوسط حسابي بلغ (4.16) وبدرجة مرتفعة، وجاء في الرتبة الأخيرة الفقرة رقم (1) والتي نصت على " لدية القدرة على التنبؤ بالأحداث قبل وقوعها" بمتوسط حسابي بلغ (3.77) وبدرجة مرتفعة أيضاً.

إذ تعزوا الباحثة هذه النتيجة المرتفعة من سلوكيات القيادة الاستثنائية في المدارس الحكومية الأردنية، إلى ما تمتاز به مديرات المدارس في محافظة جرش من سعيهن الدائم إلى تحقيق التميز في مدارسهن، الأمر الذي يستدعي تضافر كافة الجهود، وبالتالي لا بد من أن تكون مديرة المدرسة مثلاً يحتذى به من قبل المعلمات، كما يستوجب هذا أيضاً أن تعمل مديرة المدرسة على توفير كافة السبل الممكنة والتي من شأنها إزالة أي ضغوطات نفسية تتعرض لها معلماتها، كما يمكن عزو هذه النتيجة إلى ما تمتاز به مديرات المدارس أيضاً من اطلاع على مستجدات الإدارة والقيادة وما يمتلكه من كاريزما وشخصية قوية تجعلهن قادرات على اتخاذ القرارات المفصلية بسرعة ودقة وتنظيم، دون ريبة مستعينات بما تعرضن له من خبرات سابقة ومواقف مختلفة.

للإجابة على السؤال الثاني والذي نص على: "ما أثر القيادة الاستثنائية في خلق مناخ السعادة المؤسسية لدى معلمات المدارس الحكومية الأردنية؟" تم العمل على اشتقاق الفرضية الصفرية الآتية:

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدالة ($0.05 \leq \alpha$) للقيادة الاستثنائية في خلق مناخ السعادة المؤسسية لدى معلمات المدارس الحكومية الأردنية، حيث تم اختبار هذه الفرضية من خلال اختبار تحليل التباين الأحادي (ANOVA)، كما يأتي:

جدول (3) تحليل التباين الأحادي لأثر القيادة الاستثنائية في خلق مناخ السعادة المؤسسية لدى معلمات المدارس الحكومية الأردنية

من حيث	المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة اختبار F	مستوى الدلالة
القيادة الاستثنائية	بين المجموعات	25.478	1	25.478	38.95	0.000
	داخل المجموعات	227.864	348	0.654		
	الكلية	253.342	349			

يتبين من خلال الجدول (3) وجود أثر للقيادة الاستثنائية في خلق مناخ السعادة المؤسسية لدى معلمات المدارس الحكومية الأردنية، إذ يمكن الاستدلال على هذه النتيجة من خلال قيمة مستوى الدلالة والتي بلغت (0.000) وهي أقل من مستوى المعنوية في هذه الدراسة والذي تم تحديده ب (0.05)، وبالتالي توفر المقدر على رفض الفرضية الصفرية، واعتماد الفرضية البديلة.

إذ تعزوا الباحثة هذه النتيجة إلى عدة أسباب من أهمها أن:

- أن مكان العمل الرائع هو المكان الذي تشعر فيه بالثقة في الجهة التي تعمل لديها، وتشعر بالفخر بما تقوم به، ويسعدك العمل مع الأشخاص الذين تعمل معهم.
- كما أنّ من مهام القائد في بيئة العمل المليئة بالمشكلات البدء بحل المشكلات ذات التأثير السلبي على أداء وإنتاجية الموظفين لديه، يعني «ابدأ بالأهم فالمهم».
- كما أن القائد الاستثنائي يحرص كل الحرص على أهمية العمل بروح الفريق وبناء جسور الثقة بين الرئيس والمرؤوس، وتحمل المسؤولية وبناء الذات وفق المعطيات الإيجابية في ظل وجود قدوات ونماذج تفأولية في حياة الموظفين بالمؤسسة.
- والقائد الاستثنائي يؤكد دوماً على أهمية تمتع الموظف بالإيجابية في مكان العمل والنظر إلى الهدف الأسمى من وجوده في الوظيفة الحكومية أو الخاصة.
- كما يكمن دور القائد الاستثنائي في توفير بيئة عمل إيجابية تساهم في رفع الروح المعنوية للموظفين وتشحنهم بالطاقة الإيجابية بما يحفزهم على العمل بجد وإخلاص وتسخير كفاءاتهم بما ينعكس إيجاباً على المصلحة العامة للدولة، فالسلوك الإيجابي للقائد يولد طاقة إيجابية للموظفين ويحسن من الإنتاجية في العمل ويوفر بيئة للإبداع والتميز، كما أن للقائد الاستثنائي دور كبير جداً في مساعدة الموظفين للتخلص من الطاقة والأفكار السلبية التي قد تكون حائلاً دون تحقيق التميز الوظيفي.

التوصيات:

- في ضوء هذه النتائج المشجعة والتي أبرزت دور القيادة الاستثنائية في تحقيق السعادة المؤسسية وبالتالي تحقيق أهداف المؤسسات التعليمية؛ توصي الباحثة بالآتي:
- ضرورة العمل على تقديم الدعم المادي والمعنوي لمدراء المدارس الذين يتبعون نمط القيادة الاستثنائية، لضمان استمرارهم في هذا النمط وتشجيع الآخرين لاتباعه.
 - إجراء مزيد من الدراسات التي تبين المفهوم والقضايا والمميزات المرتبطة بالقيادة الاستثنائية، حيث أن هذا الموضوع لم ينل حقه من البحث والتجريب.
 - تعميم تجارب القادة الاستثنائيين على باقي محافظات المملكة والتعرف على المزايا التي يتمتع بها هؤلاء القادة.

المصادر والمراجع:

- أبو العلا، هاني. (2002). *تقويم الإدارة المهارية لدى القيادات الوسطى في قطاع الأمن العام، كلية الدراسات الشرطية*. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية.
- أبو يزيد، حمادة. (2020). *العلاقة بين سلوكيات القيادة التحويلية والسعادة والإرهاق الوظيفي للعاملين في ظل توسط دور السلوكيات الإدارية للمديرين، دراسة ميدانية. مجلة كلية التجارة جامعة بنها، 11(2)، 383-343*.
- الحربي، قاسم عائل. (2008). *القيادة التربوية الحديثة*. ط1، الأردن: دار الجنادرية.
- زناتي محمد ربيع. (2013). *السلوك التنظيمي، (سلوك الأفراد والجماعات في المنظمات)*. ط1، السعودية: مكتبة المتنبّي.
- زين العابدين، وليد بن خالد. (2020). *السعادة المؤسسية*. ط1، السعودية: دار الفكر للنشر والتوزيع.
- شين، فيروز. (2017). *القيادة الإدارية وتنمية المهارات*. ط1، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- طالب، غلوم. (2017). *رحلة الى شؤون الحياة*. ط1، القاهرة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي.
- العور، منصور. (2019). *ماذا تعرف عن السعادة المؤسسية غاية أم وسيلة*. ط1، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.
- مصطفى، محمد كمال. (2020). *من دروس الإدارة*. ط1، الجيزة: مركز الخبرات المهنية للإدارة بميك.
- Antonakis, J. & Sivasubramaniam, N. (2013). Context and leadership: an examination of the nine-factor full-range leadership theory using the multifactor leadership questionnaire. *The Leadership Quarterly*, 14(3), 135-159.
- Avolio, B., Dvir, T. & Shamir, B. (2012). Impact of transformational leadership on follower development and performance: a field experiment. *Academy Of Management Journal*, 45(4), 112-135.
- Krishnan, V. (2015). Influencing the transformational leadership: strategies used by followers. *International Association of Management*, 16(1) 16-35.

الكذب السياسي في البنية الفكرية للمحافظين الجدد

د. سرتية صالح حسين¹

¹ عضو هيئة التدريس بجامعة صدراتة، ليبيا.

بريد الكتروني: mnwo2016@yahoo.com

HNSJ، 2021، 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj2116>

تاريخ القبول: 2021/10/05م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

ان الكذب السياسي بات سمة يتصف بها اغلب السياسيين، وذلك من اجل تلميع صورتهم بهدف الوصول إلى غاياتهم لبلوغ السلطة والتحكم بمصائر الشعوب، ولقد اتسم تيار المحافظين الجدد بتلك السمة ذلك التيار الذي تمكن من رسم السياسة الامريكية ابان تولى جورج بوش الابن الحكم، حيث استخدموا الاكاذيب والخداع وطبقوا ذلك عمليا بغزوة أمريكا لأفغانستان والعراق ليتضح بعد ذلك ان ما قامت لها الولايات المتحدة الامريكية عبارة عن اذوية لتحقيق أجنداث المحافظين الجدد وتطبيقا لمقولة "القرن الأمريكي الجديد" .

تهدف الدراسة الى استقراء أصول مبدا الكذب السياسي في فكر المحافظين الجدد الذين حاولوا تطويع هذا المبدأ من اجل لتنفيذ مصالحهم، مستندين إلى خلفيات فكرية ونظرية أجاد فيها فلاسفة كثر، كأن يتحدث أفلاطون عن "الكذب النبيل"، ويقول فولتير إن "له قيمته" و كما يُفرط مكيافيلي في الكذب عبر كتابه الشهير "الأمير" من منطلق اعتقاده في أن السياسي لا ينتصر فقط بالقوة بل بالحيلة والخديعة، لذا يعتقدون المحافظين الجدد أن "الجماهير لا يمكن أن تُساس وتُحكم إلا بالكذب.

الكلمات المفتاحية: الكذب، السياسة، المحافظين الجدد

RESEARCH ARTICLE

**POLITICAL LYING IN THE INTELLECTUAL STRUCTURE
OF THE NEO-CONSERVATIVES****Sertia Muftah¹**

¹ Faculty staff member, University of Sabratha, Libya.
Email: mnwo2016@yahoo.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj2116>

Published at 01/11/2021**Accepted at 05/10/2021****Abstract**

Political lying has become a feature that characterizes most politicians, in order to polish their image to reach their goals and to reach power and control the fates of peoples. The neo-conservative trend was characterized by this feature, the current that managed to formulate American policy during George W. Bush's assumption of power, where they used lies. they applied this in practice with America's invasion of Afghanistan and Iraq, so it became clear that what the United States of America established for it was a lie to achieve the agendas of the neo-conservatives and an application of the saying "the new American century".

The study aims to extrapolate the origins of the principle of political lying in the thought of the neo-conservatives who tried to adapt this principle in order to implement their interests, based on intellectual and theoretical backgrounds in which many philosophers excelled, as Plato talks about "noble lie," and Voltaire says that it "has its value" and as Machiavelli exaggerates lies through his famous book "The Prince" out of his belief that the politician does not triumph only by force but by trick and deceit, so they believe that "the masses can only be governed by lies.

مقدمة

يقول افلاطون ان السياسة هي علم وفن حكم البشر، وبات فن حكم البشر يفهم على انه التقنن في استخدام الأكاذيب لتحكم في مصائر البشر وبطرق ملوثا الامر الذي أدى الى تجريد السياسة من القيم الأخلاقية بحيث بات تعرف على انها فن الممكن، كل ما يمكنك فعله من أجل تحصيل هدفك وغايتك، وهذا ما فعله المحافظين الجدد بتبنيهم مبدأ الكذب السياسي النبيل.

في حقيقة الامر لقد حظى مبدأ الكذب السياسي باهتمام في فلسفة السياسة حيث تعددت مسمياته وتباينت اسهامات الفلاسفة ابتداء من افلاطون وارسطو مروراً باوغسطين والفارابي ومكيافلي ووصولاً الى ليو شترواس وجاك دريدا في القرن العشرين، الامر الذي قاد الفكر السياسي الأمريكي الاستعانة بهذا المبدأ ولاسيما بعد تفكك وانهار الاتحاد السوفياتي وتفرد الولايات المتحدة الأمريكية على مسرح السياسي العالمي، حيث وجد المحافظين الجدد في هذا المبدأ سبيل لتطبيق اجنداتهم وبشكل عملي ولتبرير تلك الحروب الكيدية التي خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية ولاسيما بعد احداث الحادي عشرة من سبتمبر .

لقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية وكردة فعل على هجمات الحادي عشرة من سبتمبر بوصف بعض الدول العربية ب (الدول المارقة) ورات ضرورة شن حروب استباقية عليها، وكانت العراق هي الدولة التي طبق عليها هذا المبدأ (الكذب السياسي) وتم عزو العراق بحجة امتلاكها أسلحة الدمار الشامل .

وسنحاول في هذا الدراسة تتبع الأصول الفلسفية لمبدأ الكذب السياسي وكيف تم استخدامه في من قبل المحافظين الجدد و من اين استقوا هذا المبدأ وما الالية التي استطاعوا من خلالها تطبيق هذا المبدأ ؟

تعريف الكذب لغة واصطلاحاً :

الكذب لغة هو نقيض الصدق ويقال : كذب فلان :أي أخبار عن الشيء بخلاف سواء كان عمداً أو خطأ¹، ولقد تبينت المعاني اللغوية حول الكلمة، الا انها في مجملها تدور حول دالتين إما التصريح بمعلومات خاطئة أو إخفاء معلومات صحيحة، بغية تضليل الآخرين، وبهذا فالكذب يتأرجح بين " احفاء ما هو حقيقي " أو " إظهار ما هو زائف "

اما تعريف الكذب اصطلاحاً فلقد تعددت التعريفات ومصطلح الكذب لدرجة التباين، ولكن نجد اغلب المفكرين والفلاسفة استخدموا هذا المصطلح ليرتكز على دالتين اثنتين :هما التزييف والخداع باعتبارهما المكونان الأساسيان للكذب.

¹ ابن المنصور، لسان العرب، 5 (القاهرة، دار الكتب العربي) ص 24-38 .

و يعرف برنارد أوليامز الكذب بأنه قولٌ زائفٌ يصدر من الانسان، مع وجود النية في أن شخص آخر ينقاد إلى تصديق ذلك القول .وبعبارة أخرى، فإن الكذب تقريرٌ لمحتوى ما من جانب الانسان، وهو نفسه يعتقد بأنه زائفٌ، وذلك بنية خداع الآخرين بالنسبة لذلك المحتوى² .

وبهذا يمكننا القول بان الكذب هو عكس الصدق، يراد لها خداع وتضليل الآخرين بغية تحقيق هدف معين .

تعريف السياسة

السياسة في الأصل مصطلح عربي صميم أصلاً وفرعاً ومضموناً، فهي مشتقة من فعل (ساس) (يسوس)، وهي بمعنى حسن التدبير والقيام على الشيء بما يصلحه، وسائس الخيل هو القادر على ترويضها وجعلها قادرة على ممارسة دورها وما أعدت له بكفاءة، وساس القوم بمعنى أحسن قيادتهم³.

أما اصطلاحاً فتعرف بأنها رعاية كل شؤون الدولة الداخلية، وكل شؤونها الخارجية، وتعرف أيضاً بأنها العلاقة بين الحكام والمحكومين في الدولة⁴.

اما ابن خلدون فيعرفها بأنها تعني تحمل مسؤولية العامة والأفراد على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ إن أحوال الدنيا وما فيها ترجع كلها عند الشارح على اعتبارها مرتبطة بالمصالح الأخروية، فهي في الحقيقة خلافة يضعها صاحب الشرع في الأرض لحراسة الدين وسياسة الدنيا به⁵. في المقابل نجد ماكيافيلي يعرفها على انها تعني مجال الصراع بين الأفراد والجماعات الذي يؤدي إلى اللجوء لجميع الوسائل المشروعة، وغير المشروعة فالحاكم أو الأمير يجب أن يكون مستعداً لتوظيف وتشغيل جميع الأساليب والطرق لحل هذا الصراع، وعليه أن يكون قوياً وماكراً حسب مقتضيات الظروف ومجريات الأحداث، ويمكنه أيضاً اللجوء إلى القوانين والأخلاق إذا كان ضمان السلطة يتطلب ذلك، فهكذا تصبح جميع الوسائل مباحة لضمان بقاء السلطة وممارستها، فالغاية تبرر الوسيلة في نظره⁶

الأصول الفلسفية للكذب السياسي

لقد يمثل الكذب ركيزة أساسية من ركائز التي اعتمدت عليها الحكومات والأنظمة السياسية، الامر الذي جعل كل قيادة سياسية تتخذ من الكذب وسيلة لتحقيق تطلعاتها ومصالحها الشخصية لذا اصبح كمقوم جوهرى من مقومات للعمل السياسي .

لذا وجد العديد من السياسيين مبررات لممارسة الكذب مستندين إلى خلفيات فكرية ونظرية أجاد فيها فلاسفة كثر، بكلمات أخرى ان الكذب السياسي يجد له جذورا في الفكر الفلسفي لدى العديد من الفلاسفة والمفكرين، كأن

² حمدي عبد الحميد، المشروعية الفلسفية للكذب والخداع السياسي، مجلد 7 جامعة بني سويف حولية كلية الآداب، 2018، ص 177.

³ ابن منظور الانصاري، لسان العرب المحيط، المجلد الثالث منشورات بيروت ص 239

⁴ <https://mawdoo3.com/>

⁵ عبد الرحمان بن خلدون - مقدمة ابن خلدون - تعليق: عبد الباقي خريف - ب ط (تونس سيلدار - ب س) ص 208

⁶ ميكافيلي، نيقولا، المطارحات، ك2، ف13، تعريب خيرى حماد، ط3 (بيروت، دار الافاق الجديدة، 1982) ص 233

يتحدث أفلاطون عن "الأكاذيب النبيلة" حيث يعتقد إن الكذب نوعٌ من التزييف لمتعمد "التزييف عن قصد" في مقابل التزييف اللاإرادي "الخطأ عن جهل"، أو عدم معرفة ومن ثمَّ إذا كان الكذب نوع من الخطأ المتعمد، فإن الخطأ غير المقصود لا يعد كذباً⁷. ففي كتابه «الجمهورية»، وعلى لسان سقراط، يطرح أفلاطون الحاجةً لأكاذيب تؤسس للمجتمع، وتوفّر له الاستقرار ويقسم تلك الأكاذيب إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول: يتعلّق بكيفية نشأة الحياة و الذي يشمل -حسب أفلاطون - إخبار الحاكم أفراد المجتمع أنّهم جميعاً وُلدوا من رَحِم الأرض، وأنَّ شبابهم كله، وما تلقّوه من تدريب وتعليم خلاله، ما كان إلا حُلماً رأوه أثناء حمل الأرض لهم في رَحِمِهَا، وأنهم مَدِينُونَ للأرض -بسبب كونها أمهم- بحمايتهم والدفاع عنهم.

القسم الثاني: معنيّ بالتقسيم الطبقي للمجتمع، وكيفية إدارته. فهدفه الإبقاء على تنظيم معين للمجتمع، عن طريق تقسيمه إلى ثلاث طبقات: الطبقة الأولى تتكون من أولئك القادرين على الحكم، الذين يختلط بدمهم الذهب، والطبقة الثانية تجري في دمها الفضة، وهي طبقة الحُرّاس المسؤولة عن الدفاع عن الأرض، أما الطبقة الثالثة فدورها هو العمل في الحِرَف والعناية بالأطفال، ويجري في دمها الحديد.

يعتقد أفلاطون أن قيام الدولة العادلة يتطلب ترويج أكاذيب من أجل إقناع الناس بأنهم من معادن متباينة، ومن ثمَّ يسلمون بالتفاوتات الطبقيّة فيما بينهم، وبأن هذه التفاوتات أمورٌ يستلزمها النظام الطبيعي للدولة. يقول أفلاطون: «لكي تخرج المدينة الفاضلة إلى حيز الوجود، لابد من إقناع الحكام، والجنود، ثم بقية المواطنين (...). (بأنهم في الواقع لم يولدوا ويتعلموا إلا في باطن الأرض، وأن أمهم الأرض بعد أن صاغتهم وكونتهم، قد بعثت بهم إلى النور، وأن عليهم الآن أن ينظروا إلى الأرض التي يسكنونها وكأنما مربيتهم، وأن يذودوا عنها إذا هاجمها أحد، ويعدوا بقية المواطنين أحمقاً، خرجوا من بطن الأرض نفسها»

يتضح ان تسويغ افلاطون للأكاذيب هو تسويغ سياسي بالدرجة الأولى وليس تسويغاً أخلاقياً، وانه يود من ذلك تأسيس الدولة العادلة، ويؤكد أنها لن توجد إلا إذا آمن كل إنسان بتلك الأكاذيب التي تقول إن طبائع البشر امتزجت بمعادن مختلفة، مؤكداً في الوقت ذاته على ضرورة استخدام هذه الأكاذيب وذلك عن طريق ترويج أسطورة معينة لا تهدف إلى التزييف بالمعنى الدقيق، وإنما هي أقصوصة رمزية تستهدف تقريب حقيقة العدالة إلى الأذهان، وتدعيمها في الدولة.

ويمنح أفلاطون الحكام المشروعية للكذب ويرى (الكذب) نوع من الدواء، من أجل سعادة المواطنين، ورفاهية الدولة ككل، ويتضح ذلك من قوله: «قد يضطر الحكام إلى الكذب من أجل نفع المحكومين، وهذا النوع من الكذب نافع بوصفه "دواء"⁸.

⁷ أفلاطون: محاوره هيبياص الصغرى، ضمن: المحاورات الكاملة، المجلد الرابع، ترجمة: شوقي داود تمارز، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع،

1994، ص 247-248.

⁸ المرجع السابق، ص 358-359.

في المقابل لا يمنح افلاطون المواطنين المشروعية بجواز الكذب ، وخاصة عندما يكذبون على القضاة ورجال الدولة، وهنا افلاطون يستند إلى أساس نفعي. فإذا كان من الواجب الطبيب أن يكذب على مريضه كي لا ينصاب بالقلق، أو تزداد حالته المرضية سوء ، وإذا كان من الواجب على ربان السفينة أن يكذب على البحارة كي لا ينتابهم الخوف من المالك؛ فمن الجائز للحاكم أن يكذب على الشعب من أجل تحقيق الأمن والاستقرار، أو إصلاح فساد معين، أو لمنع وقوع ضرر يمكن أن يقع بالدولة. وبالمنطق نفسه يجوز للحاكم -بألية مناسبة- استخدام الأقاليم الزائفة من أجل أن يبرهن من خلالها على صحة حقيقة معينة، كحقيقة العدالة مثلا⁹.

ويتفق مكياء فيلي مع افلاطون في منح مشروعية الكذب للحاكم ولقد عبر عن ذلك في كتابه الشهير "الأمير" من منطلق اعتقاده في أن السياسي لا ينتصر فقط بالقوة بل بالحيلة والخديعة ويمكننا ان نجد ذلك في مبدئه الصريح القائل " الغاية تبرر الوسيلة "، والذي يمنح المشروعية للأمير استخدام أي وسيلة حتى وان كانت الكذب والخدع من اجل تحقيق مصلحته، ولهذا رأى مكياء فيلي الكذب والخداع مبدئين أساسيين في السياسة، ووسيلتين ضروريتين في الحكم.

وبحسب مكياء فيلي : إذا كان الأسد لا يستطيع حماية نفسه من الفخاخ، وكان الثعلب غير قادر على الدفاع عن نفسه أمام الذئاب والأسود، فيتعين على الأمير أن يكون ثعلب ليواجه الفخاخ والحبال، وأن يكون أسد ليخيف الذئاب وي رهبها . «من هذا المنطلق يذهب مكياء فيلي إلى أن اتباع القانون، أو التمسك بسياسة القوة من جانب الأمير غير كافٍ وحده، لكي يرتقي إلى مرتبة السلطان العظيم، وإنما هو بحاجة إلى وسائل أخرى، وعلى رأسها الحيل والخداع والمكر؛ لأنها الأدوات الأكثر فعالية.¹⁰

نستنتج من ذلك أنه يتوجب على الأمير، الذي يرغب في تأسيس الدولة القوية، الا يتورع عن اتباع سياسة الكذب والخديعة والمكر، وكلما أجاد إخفاء هذه الوسائل، كانت أكثر تحقيقاً للهدف السياسي¹¹، فإن وسائل الكذب والخداع إنما هي أساليب تكتيكية أو مرحلية لتنفيذ خطوات مهمة من شأنها أن تحقق الهدف السياسي الأسمى، والمتمثل في الحفاظ على وجود الدولة ذاتها وعلى هذا النحو تبدو آراء مكيافيلي ذات أساس ذرائعي؛ فالفضائل السياسية لا ترتبط بقيمة الصدق، أو بأي قيم أخلاقية أخرى، بل ترتبط في المقام الأول بمدى ما تسهم به في تحقيق القيمة السياسية الكبرى، والمتمثلة في إنقاذ الدولة من الدمار.

فإذا كان الكذب والخداع عند مكيافيلي هي أدوات ضرورية في يد "الأمير" للحفاظ على نفسه وموقعه، وابتعاده عن الطيبة والخير، وذلك وفقاً لضرورات الحالات التي يوجهها، فإن أوغسطين اتخذوا موقفاً صارماً ضد الكذب السياسي مخالفاً افلاطون ومكيافيلي في ذلك ، حيث نظر أوغسطين إلى الكذب كفعل لا أخلاقي، وكخطيئة،

⁹المرجع نفسه، ص 263

¹⁰مكيافيلي، نيقولا، المطارحات مرجع سابق، 480-481

¹¹المرجع السابق ص 483.

مستنداً إلى تعاليم الكتاب المقدس وإرشادات المسيحية التي ترفض الكذب، وتؤكد على التمسك بفضيلة الصدق. وذهب إلى أن الأكاذيب ينتج عنها المزيد من الأكاذيب، وبالتالي فهي رذائل ومبرراتها غير أخلاقية، وتعبّر عن حالة من حالات الضعف الإنساني، وتؤدي إلى وقوع الشرور الخطيرة على الدولة والمجتمع¹². وإضافة إلى أن الكذب قولٌ خاطئ، أو تصريح زائف بالقول؛ بنية تضليل الآخرين وخدعهم، ولكن ليس كل قول خاطئ يعد كذب إذا ما كان يفترق إلى إرادة الخداع. يتبين من هذا أن إنسان الذي يصدر عنه "الخطأ" لا يقع في دائرة الكذب إذا كان يعتقد أن ما يقوله صوابٌ في حد ذاته؛ لأن الكذب يقوم أساساً على فكرة توصيل ما هو زائف إلى الآخرين. كما أن من ينطق بما هو زائف، ولكنه يكون جاهل بصحة ما يقول، لا يمكن أن يكون كاذباً لأنه ليس لديه معرفة حقيقية بما يقوله، ويؤكد أوغسطين هذا المعنى بقوله: «إن الشخص الذي يصدر عنه قول زائف، ولكنه كان يعتقد - أو على الأقل كان يظن - بأن ما يقوله صوابٌ، يمكن أن نقول عنه إنه أخطأ أو تسرع، أو يمكن اعتباره في حالة تهور أو طيش دفعته إلى الاعتقاد بصحة ما يقول (ومن ثمَّ فهو نفسه ضحية للخداع)، ولكن لا يمكن أن نصفه بأنه كاذب؛ لأنه ينبغي أن يتم الحكم على القول بالكذب وفقاً لنية الشخص، وليس طبقاً لمسألة صحة مضمون القول، أو زيفه¹³

وبهذا يتضح أن هناك تباين بين الفلاسفة في إعطاء المشروعية للكذب، إلا أننا نجد اليوم من يحاول أن يجد للكذب مبررًا وذلك بتأصيله إلى بعض الفلاسفة والمفكرين كإفلاطون ومكيافيلي وغيرهم ممن تجاوزوا الكذب ولا سيما للحاكم اتجاه المحكومين .

الكذب السياسي في أروقة المحافظين الجدد

" المحافظة الجديدة " رؤية أو قناعة فكرية وسياسية ظهرت منذ الأربعينيات القرن العشرين ، والقاسم المشترك بينهم، يأتي من كونهم " يهود "، مع وجود أقلية بسيطة من المسيحيين تعتقد أفكار المحافظين، إلا أن العناصر القيادية لهذا التيار عناصر يهودية¹⁴ حاولوا توفير أمن إسرائيل .

لقد ارتهن عهد بوش الابن لصالح سياسات المحافظين الجدد وقد هيأت أحداث 11 سبتمبر عام 2001 الفرصة لهم للسيطرة على السياسة الخارجية الأمريكية و توجيهها ، ارتبطت تلك الحركة بمفاهيم مثل الكذب السياسي (الكذب النبيل) و تغيير نظم الحكم و الهيمنة الأمريكية واخذت على عاتقها تطبيق تلك المفاهيم واحداث

¹²أوغسطين

¹³ حمدي عبد الحميد، المشروعية الفلسفية للكذب والخداع ، مرجع سابق، ص180

¹⁴ إبراهيم أبو خزام، الصراع على سيادة العالم، ط1 (مصر، المكتبة الاكاديمية، 2016) ص 106

تغيرات على المستوى الدولي وإبراز أمريكا كقوة مهيمنة، الأمر الذي جعل البعض يطلق عليهم بعض التسميات مثل المحافظين العالميين و الديمقراطيين العالميين والديمقراطيين الكونيين، بحسب تعبير هال جاردنر⁽¹⁵⁾ .

أن الجذور التاريخية للمحافظين الجدد تكمن في مجموعة من المفكرين اليهود الذين درسوا في كلية المدينة (نيويورك) 1930-1940 وقد امتازت هذه المجموعة بالمعاداة للشيوعية كما كانت مسيسة تسيماً كاملاً وملتزمة بسياسات الجناح اليساري وبالرغم من تعقد الجذور الفكرية المحافظين الجدد بحسب إلا أنها ترتبط ارتباط وثيقاً بمفاهيم تنسب إلى شتراوس مثل (تغير نظام الحكم - الكذب النبيل - الهيمنة الخيرة ، أحادية الجانب) ولقد وضعت هذا المفاهيم موضع التنفيذ في عهد بوش الأب⁽¹⁶⁾.

ولذلك بات مبدأ الكذب النبيل نقطة ارتكاز مهمة في السياسة الخارجية الأمريكية ولا سيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، والذي شكل نقطة تحول جديد للسياسة الأمريكية تجاه العالم، الأمر الذي بات هذه الحدث الذريعة استفادت منها أمريكا لتبرير النزعة التوسعية في تجربتها الديمقراطية والترويج لها وتصديرها للشعوب العالم بعد انهيار المنظومة الشيوعية .

يعد "ليو شتراوس" 1899-1973 الأب الروحي لحركة المحافظين الجدد. ولد بمدينة فرانكفورت بألمانيا، هاجر بعد الحرب العالمية الثانية إلى إنجلترا ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ولد بكير شاهين فيلسوف يهودي التحق بالحركة الصهيونية عن عمر لا يتجاوز السابعة عشرة ، كما انتمى إلى صفوف الجيش الألماني حصل على الدكتوراه من جامعة هامبورغ 1921 حيث كان عمره آنذاك الثامنة والعشرين سنة، ولقد عمل بالأكاديمية الألمانية للأبحاث اليهودية the german academy of jewish research، وفي عام 1931 حصل على منحة من مؤسسة روكفلر للقيام بأبحاث في كل من فرنسا وبريطانيا، وبعد ان انهاء المنحة انتقل إلى نيويورك حيث عمل بمعهد الأبحاث الاجتماعية ، ولقد تأثر بأفلاطون وأبن ميمون والفارابي. وفقاً للعديد من المؤرخين يعد شتراوس من ابرز المتخصصين في حقل الفلسفة السياسية أبان القرن العشرين ولقد عبر عن ذلك ويلمور كيندل willmore kindell أحد ابرز التيار التقليدي في حركة المحافظين الجدد في الخمسينات - بقوله ان ليو شتراوس يعد المعلم الأكبر للفلسفة السياسية ليس خلال فترة الخمسينات فقط بل في كل العصور منذ ميكافيلي¹⁷.

ولقد تتلمذ على يد شتراوس مجموعة من التلاميذ الذين أصبحوا مؤثرين في تيار " المحافظين الجدد" وذلك من خلال سيطرتهم على الوسائل الاعلامية والسياسية وتبوئهم مراكز سيادية عليا داخل ادارة بوش الابن ، فضلا عن تأسيس العديد من المراكز البحثية والفكرية والمؤسسات الفاعلة التي لعبت دوراً في تنفيذ مخططاتهم. كما عثر

(15) Hall Gardner, American Global Strategy and the war on terrorism, (London: Ashgate Publishing, 2005), p.28.

(16) فرانسيس فوكوياما - أمريكا على مفترق الطرق - ترجمة محمد محمود - مرجع سابق - ص 24-32.

¹⁷ كينث- آر- وآينشتاين- الجذور الفلسفية دور ليو شتراوس والحرب على العراق - المحافظين الجدد - تحرير ترجمة فاضل جنكر - ط1 (الرياض - مكتبة العبيكان - 2005) ص 299.

تلاميذ شتراوس على موقعهم السياسي والتاريخي وذلك بتبؤهم مناصب سياسية عليا في إدارة بوش الأبْن الأمر الذي دفعهم إلى وضع أفكار شتراوس موضع التنفيذ، ومن بين تلك الأفكار (الكذب النبيل) حيث كان شتراوس يحبذا اللجوء إلى الكذب والخديعة للوصول إلى النخبة الحاكمة القليلة إلى أعلى مراتب السلطة، والتي هي مؤهلة للحكم بحسب رأيه، و نتيجة تمرس المحافظين الجدد للكذب كتبت ماري ويكفيلد Mary Wakefield مساعدة رئيس تحرير في السبكتيتور spec tator في الديلي تلغراف بعد اتهام بول ولفويتز وطوني بليز بالكذب.

"أننى مستعدة للنظر في احتمال وجود دوافع غيرية لدى بليز [الكذب] ... وبما هو مثل بول ولفويتز والمحافظين الجدد وآخرين، فقد كان شتراوس هذا أحد أبطال شعار الكذب النبيل - الفكرة التي يقول أن من الواجب عملياً ممارسة الكذب مع الجماهير لأن نخبة صغيرة فقط قادرة ذهنياً على معرفة الحقيقة".⁽¹⁸⁾

وفي المقابل نجد ايرل شوريس وفي مقالته "كذابون لئام" التي نشرت في "مجلة هاربر" في صيف عام 2004 اشار الى ان الكذب والغش والخداع سمه تميز به الميراث الفكرى لاتباع شتراوس امثال بول ولفويتز وفرانسييس فوكوياما و ايرفنج كريستول وليون كاس وغيرهم الامر الذى يؤكد ان الشتراوسية هي "الاسوأ في السياسة الأمريكية" ولاسيما عندما اختلقت الاكاذيب الزائفة في امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل⁽¹⁹⁾.

في حقيقة الامر لقد تأثر ليو شتراوس بفكرة الأكذوبة النبيلة عند أفلاطون، وأيضا بفكرة "الحاكم الفيلسوف"، حيث يرى شتراوس ضرورة أن تكون في كل دولة ديمقراطية ليبرالية مجموعة من النخبة المثقفة والتي تمتلك الحقائق السياسية. وقد برّر شتراوس من خلال هذه الفكرة- بتأثير من أفلاطون- استخدام الخاصة النخبة المثقفة للأكاذيب بوصفها خداعا نبيلاً يستهدف تدعيم "الديمقراطية الليبرالية" بوصفها الخير السياسي الأعظمي للمجتمعات الغربية. ومن ناحية أخرى برّر شتراوس للنخبة المثقفة خداع الجماهير وعدم الاقصاد عن الحقائق المجردة.

وبحسب شتراوس يجب على النخبة المثقفة أن تكذب على الجماهير، وأن تخفي عنها بعض الحقائق المهمة؛ أي أن تمارس خداعا لها من أجل مصلحتها. ولذلك فإن توظيف النخبة المثقفة "لأكاذيب النبيلة" لا يستهدف سوى تدعيم الأيمان بالله، وتحقيق العدالة والخير في المجتمع. ومن هنا يتعين عليها أن تمارس الكذب النبيل ليس فقط على الشعب بأسره، ولكن أيضا على رجال السياسة، فهذه الأكاذيب ضرورية من أجل اصطفاف الجماهير (غير المثقفة) و انقيادها⁽²⁰⁾.

يحاول شتراوس جاهدا لتبرير الخداع من خلال دعوته الاستعمال الدين بوصفه أداة نافعة في العملية السياسية، بل ومن خلال إقراره بمشروعية توظيف الأساطير الدينية من أجل تحقيق الهدف السياسي الأسمى للنظام

¹⁸ كنت ار. وايتشتاين - الجذور الفلسفية، دور ليوشتراوس والحرب على العراق - تحرير ترجمة فاضل جنكر - مرجع سابق ص 299

¹⁹ كولن مويز، الإمبريالون الجدد" إيديولوجيا الإمبراطورية"، معين الإمام، مرجع سابق، ص205

²⁰ Shadia B.Drury،:Leo Strauss and the American Rigt (New York: St martin's prss، 1997).

الديمقراطي الليبرالي فذلك من شأنه أن يخدم السياسة- في نظره- بشكل أفضل. كما يرى شتراوس ضرورة ان تقتصر الفلسفة على عدد معين من الافراد، ولا يجوز فتح باب المعرفة للأفراد العاديين حتى لا يتم التقليل من شأن الفلاسفة، كما شدد على الحاجة لأعاده فهم الأفكار الفلسفية للفلاسفة الكلاسيكيين لأنهم كانوا عاجزين عن التعبير عن آرائهم بحرية خوفاً من الاضطهاد وعمدوا إلى كتابات كانت تتضمن معان خفية، لذا لا بد من إعادة الكشف عن هذه المعاني والحقائق .

وتعتبر شاديا دروري هذا الجانب من اهم الجوانب في فكر شتراوس (المتعلق بأسلوب التواصل بين الفلاسفة وعدم تعبيرهم لجماهير المتلقين عن أفكارهم الحقيقية بشكل واضح وتؤكد أن شتراوس يرى على الفلاسفة أن يلجأوا إلى هذا الاسلوب الخفي لتناقل الحقائق الصعبة فيما بينهم، وأن يستخدموا أكاذيب مقبولة اجتماعياً Noble Lies بالنسبة للجماهير، باعتبار أن الفلاسفة فقط هم المؤهلين فكراً و أخلاقياً لرؤية ومعرفة الحقيقة، ومن ثم فإنهم جديرون بأن يتولوا الحكم بشكل مباشر، أو بشكل غير مباشر عبر السيطرة على النخبة الحاكمة²¹.

يتبين مما سبق ان شتراوس اثر في البنية الفكرية للمحافظين الجدد من خلال تلميذته الذين كانوا من اهم منظري هذا التيار،بالإضافة الى تبوءهم المناصب السيادية اثناء تولي بوش الابن، لذا وجدوا الفرصة السانحة لتنفيذ اجنداتهم ولا سيما بعد ان أصبحت الولايات المتحدة الامريكية القوى المهيمنة على الساحة الدولية بالإضافة الى احداث 11 من سبتمبر التي وجد فيها المحافظين الجدد الذريعة لاختلاق الحجج والاكاذيب واهية لبسط هيمنة الولايات المتحدة الامريكية على العالم والمحافظة على امن إسرائيل .

وفي خضم هذه الأحداث المتعاقبة وجد الرئيس الأمريكي جورج بوش سلسلة من الذرائع والفرص النادرة والتي من خلالها باتت منطلقاً إلى سياسته الخارجية والمتضمنة إدارة العالم والسيطرة عليه ، حيث بدأ بخطاباته الموجهة مؤكدا للعالم انه زعيم زمن الحرب حينما قال: -

"أنا رئيس زمن الحرب وعلى الشعب الأمريكي أن يدرك إنني أرى العالم كما هو"، فأصبح بوش يعتقد انه مكلف بمهمة أخلاقية لتفكيك الخوف الذي صاغه المحافظين الجدد بعد الحادي عشر من سبتمبر ، من الإرهاب ، إذ أصبح هذا المصطلح الفاصل بين الخير والشر والعدو والصديق ، فالحرب على البربرية واجب أخلاقي على كل إنسان متحضر وعلى العالم أن يقرر هل مع أميركا ، أم مع الإرهاب²².

لذا تمكنت حكومة الولايات المتحدة الامريكية من تمرير القانون الوطني بالحصول على موافقة الكونغرس في 26 أكتوبر 2001 لمحاربة الإرهاب الداخلي ، و أوسع القانون الجديد نطاق سلطات الحكومة الفيدرالية في التفيتش

²¹ Ibid., p122,126,157

1- ²²ناظم عبد الواحد الجاسور، الفكر السياسي الامريكي المعاصر : صراع الحضارات وأحداث الحادي عشر من سبتمبر .

(الامارات، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، 2003)

والاعتقال والاحتجاز ، بحجة ان أمريكا تعيش حالة حرب وبحاجة إلى حماية نفسها . وهذه هي اكبر الذرائع التي تشبثت بها أميركا لتبرير ممارساتها النفعية في سيطرتها على العالم .

وفي تلك الأثناء كان لازال العالم منشغلا بالمبررات والحجج اللا مشروعة في الحرب على أفغانستان ، وجهت حكومة بوش أنظارها إلى مصادر أخرى للإرهاب ؛ ففي أكثر خطابه الشديدة اللهجة بالوعيد ؛ أطلق بوش في خطابه الذي ألقاه في فبراير 2002 وصف " ، معتقدا أن هذه البلدان هي محور الشر " ، منذرا البلدان الثلاثة : العراق ايران وكوريا الشمالية مصدر إزعاج للعالم ، مستلهما أطروحات هنتغتون حول " صراع الحضارات " والقائل بان الحضارة الغربية اليهودية - المسيحية ، واقعة تحت تهديد " التحالف الإسلامي - الكونفشيوسي " .

الحرب على العراق والكذب السياسي

قبل احتلال العراق في 2003 عمد الرئيس الاميركي جورج بوش وصقور المحافظين الجدد الى الترويج للكثير من الأكاذيب وتزييف الحقائق ، الامر الذي جعل من تسويق (الحرب الوقائية، محور الشر، الحرب الاستباقية)، منطلق لتنفيذ اجنداتهم . بالإضافة الى ذلك لقد كان العراق يشكل مصدر ازعاج لإسرائيل وقد صرح احد المسؤولين في الخارجية الامريكية بذلك بان واشنطن قد شنت الحرب على العراق لأنه يشكل ازعاجا لإسرائيل²³

لذا اخذ المحافظين الجدد على عاتقهم حماية امن إسرائيل لذا اكدوا للرئيس بوش ضرورة ضرب العراق والاطاحة بنظام صدام حسين وان امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل يهدد الامن القومي الأمريكي .ولهذا بدا بوش الابن بإرسال الرجال والعتاد إلى الكويت بعد ان اخذ الموافقة من الكونغرس وفي أكتوبر 2002 لاستخدام القوة ، وفي نوفمبر 2002 ، تبنى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بالإجماع القرار 1441 الذي يطالب العراق بمنح مفتشي الأمم المتحدة حق غير مشروط للبحث عن الأسلحة المحظورة في أي مكان في العراق ؛ وبعده بخمسة أيام أعلن العراق أنه سوف ينصاع للقرار غير أن فرق التفتيش الجديدة شكت من سوء النية . ففي / يناير 2003 قدم كبير المفتشين هانس بليكس تقريراً إلى الأمم المتحدة أعلن فيه أن العراق قصر في احتساب أسلحة الدمار الشامل لديه، لكن بليكس أوصى ببذل مزيد من الجهد قبل الانسحاب.

لم تتخذ قوة عالمية من الكذب والخداع منهجاً لتحقيق تفوق وسبق عالمي مثلما فعلت الولايات المتحدة في ترويجها للحرب على العراق، والتي كشفت مدي الزيف والخداع الأمريكي ليس على شعوب العالم وحدها بل على الشعب الأمريكي ذاته. ولم تكن اكدوبة أسلحة الدمار العراقية سوي حلقة بسيطة في سلسلة الأكاذيب والخدع التي حملها تيار المحافظون الجدد معهم منذ توليهم دفة الأمور في البيت الأبيض .كما اتضح منذ الحرب على العراق زيف الديمقراطية الليبرالية باعتبارها الطريق الوحيدة للخلاص في العراق، في الوقت الذي كانت تضرب بأركانها عرض الحائط فمن كان يصدق أن الشعارات التي رفعتها الولايات المتحدة إبان الاستعداد لحربها علي العراق

²³ عبد الوهاب محمد الجبوري، اتجاهات الخطاب الانريكي المعاصر، مركز الدراسات الإقليمية

كانت مجرد هراء وزيف لا أساس له من الصحة ولا وجود له في أرض الواقع، فالعراق حتى هذه اللحظة ما زال يغط في عبثية وانهيار واضح لمختلف مؤسساته التي تعهدت واشنطن بإعادة بناءها علي الطراز الأمريكي القائم علي الخداع والتزييف ولم يكن الدافع الأمريكي المستمر تجاه العراق سوي تعبير عن الرغبة في الإعلان عن تغير العالم وتنفيذ لاحذات المحافظين الجدد ، ولذا فلم يكن هناك أي مانع للكذب أو الخداع طالما الهدف الأسمى سيتحقق، وهي بذلك طبقت مقولة ميكافيللي الشهيرة "الغاية تبرر الوسيلة". فالغاية هي إعلان الهيمنة الأمريكية وتحت زعامة المحافظين اليهود الجدد ولم تكن الأصابع الصهيونية بعيدة عن كل هذا الزخم من الزيف والخداع فمعسكر الحرب بقيادة الوزير المتكبر رامسفيلد ونائبه وولفوفيتز وبيزل وغيرهم من المفكرين وأصحاب الأقلام من امثال وليم كريستول وروبرت كيجان وجون بولتون وفرانسيس فوكوياما وغيرهم كانوا الوقود المغذي لعجلة الحرب الأمريكية على العراق، فالعقول الصهيونية تخطط والإدارة الأمريكية تنفذ.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم أبو خزام، الصراع على سيادة العالم، ط1 (مصر، المكتبة الاكاديمية،2016).
2. ابن المنظور، لسان العرب، م5 (القاهرة، دار الكتب العربي).
3. ابن منظور الانصاري، لسان العرب المحيط، المجلد الثالث منشورات بيروت.
4. أفلاطون: محاوره هيبياص الصغرى، ضمن: المحاورات الكاملة، المجلد الرابع، ترجمة: شوقي داود تمارز، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1994.
5. حمدي عبد الحميد، المشروعية الفلسفية للكذب والخداع السياسي، مجلد 7 جامعة بني سويف حولية كلية الآداب 2018.
6. عبد الرحمان بن خلدون - مقدمة ابن خلدون - تعليق: عبد الباقي خريف - ب ط (تونس سيلدار - ب س).
7. عبد الوهاب محمد الجبوري، انجاهات الخطاب الانريكي المعاصر، مركز الدراسات الإقليمية.
8. كنت- آر- وأينشتاين- الجدور الفلسفية دور ليوشتراوس والحرب على العراق - المحافظين الجدد - تحرير ترجمة فاضل جنكر - ط1 (الرياض - مكتبة العبيكان - 2005).
9. ميكافيللي، نيقولا، المطارحات، ك2، ف13، تعريب خيرى حماد، ط3 (بيروت، دار الافاق الجديدة، 1982).
10. ناظم عبد الواحد الجاسور، الفكر السياسي الامريكي المعاصر : صراع الحضارات وأحداث الحادي عشر من سبتمبر . (الامارات، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، 2003).
11. Hall Gardner. American Global Strategy and the war onterrorism. (London: Ashgate Publishing, 2005).
12. Shadia B. Drury, :Leo Strauss and the American Rigt (New York: St martin's prss, 1997).
13. <https://mawdoo3.com/>

عنوان البحث

جدلية العلاقة بين الاستقرار السياسي والتنمية المستدامة
دراسة حالة ليبيا

د. سرتية صالح حسين¹

¹ عضو هيئة التدريس بجامعة صبراتة، ليبيا.
بريد الكتروني: mnwo2016@yahoo.com

HNSJ، 2021، 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj2117>

تاريخ القبول: 2021/10/05م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

تعيش ليبيا حالة من انعدام الاستقرار السياسي والمتمثل في الانقسام السياسي بالإضافة الى الانفلات الأمني، الامر الذي يقود الى عدم تحقق التنمية المستدامة التي تستلزم لتحقيقها ضرورة وجود استقرار وحقوق الانسان والحكم الفعال القائم على سيادة القانون ولعل الهدف 16 من اهداف التنمية المستدامة يؤكد ذلك. الامر الذي يجعلنا نقر بوجود علاقة جدلية بين الاستقرار السياسي وتحقيق التنمية بمعنى لا يمكن ان تتحقق التنمية الا بوجود الاستقرار السياسي وحكومة فعالة.

الكلمات المفتاحية: الاستقرار السياسي – التنمية المستدامة

RESEARCH ARTICLE

**THE DIALECTIC OF THE RELATIONSHIP BETWEEN POLITICAL STABILITY AND SUSTAINABLE DEVELOPMENT
LIBYA CASE STUDY****Sertia Muftah¹**

¹ Faculty staff member, University of Sabratha, Libya.
Email: mnwo2016@yahoo.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj2117>

Published at 01/11/2021**Accepted at 05/10/2021****Abstract**

Libya lives in a state of political instability represented by political division in addition to security chaos, which leads to the failure to achieve sustainable development, which requires the need for stability, human rights and effective governance based on the rule of law, and perhaps goal 16 of the sustainable development goals confirms this. Which makes us acknowledge the existence of a dialectical relationship between political stability and development, meaning that development can only be achieved with political stability and an effective government.

Keywords: political stability, sustainable development

مقدمة

يعد موضوع الاستقرار السياسي في الدولة من أهم الموضوعات التي تدخل في صميم اختصاصات الدراسات السياسية في وقتنا الراهن حيث أصبح هذا الموضوع مثار اهتمام المجتمع والرأي العام على المستويين العربي والدولي، نظرا لما مرت وتمر به الدولة العربية من أزمات متعددة ومتشابكة. في المقابل يعد الاستقرار السياسي أيضا من الموضوعات التي له اثر وتداعيات سلبية في حال عدم توفره ليس على التنمية فقط بل على جميع الجوانب الحياتية .

ولهذا فالاستقرار السياسي له دورا حيويا والمهم في تحقيق متطلبات التنمية اذ لا يمكن ان تتحقق التنمية المستدامة في ظل غياب الامن والاستقرار، وبالتالي انعدام الاستقرار و السلام و حقوق الإنسان والحكم الفعال، القائم على سيادة القانون - لا يمكننا أن نأمل في تحقيق التنمية المستدامة، الامر الذي يقودنا الى التأكيد على وجود علاقة جدلية بين الاستقرار السياسي والتنمية المستدامة، بمعنى لا يمكن ان تتحقق التنمية مستدامة في ظل انعدام الاستقرار السياسي. وبالتالي في حال توفر الاستقرار يمكن تحقق التنمية وفي حال غياب الاستقرار لا يمكن تحقق التنمية المستدامة. فأهداف التنمية تربط بين هاتين الامرين اذ تؤكد على ضرورة توفر الامن و الاستقرار لتحقيق متطلبات التنمية المستدامة.

في حقيقة الامر لقد تسببت الحروب والنزاعات في إعاقة مسار التنمية بالكامل في العديد من الدول وبالتالي تسببت في تأخرها، واثقلت كاهل اقتصادياتها بالديون وضرائب إعادة الإعمار. وتعد ليبيا احدى الدول التي تعاني من ويلات الحروب والنزاعات المسلحة فمنذ الإطاحة بالنظام السابق تشهد حالة من الصراعات وانقسامات سياسية أدخلت البلاد في مستنقع التدخلات الإقليمية والأجنبية وازمات اقتصادية واجتماعية الحادة مما أدت الى قتل طموح الليبيين في انجاز التنمية المستدامة التي بدورها ترتبط بوجود حكم رشيد يتسم بالشفافية، ونمو اقتصادي مترافقا بحفظ الموارد الطبيعية والبيئة، وبالتنمية الاجتماعية من خلال القضاء على الفقر، ووجود شراكة مجتمعية بين كل المكونات والشرائح أيضًا، وكذلك بناء قدرات المواطنين وتمكينهم وإدماج الفئات جميعها في مسار التنمية من خلال إيلائهم أدوار تناسبهم وتحفظ حقوقهم.

ففي حقيقة الامر لقد تآكلت قدرة الدولة الليبية على إنتاج سياسات تنموية تحقق رفاها للمواطن، وبات قسم كبير من المواطنين الليبيين تحت خط الفقر، كما تأذت البيئة والبنية التحتية جراء الصراعات المسلحة ولهذا يواجه الليبيون حاليًا تحديات كبيرة نتيجة تدمير جزء كبير من البنى التحتية والأبنية السكنية، بالإضافة إلى فقدان أعداد هائلة من المواطنين لأعمالهم وموارد أرزاقهم والامر الذي تسبب في كارثة حقيقة اثرت في قوت المواطن العادي هو اقبال الحقول النفطية وما نتج عنه من نقص السيولة وغلاء المعيشة الخ، كل هذه الأمور ساهمت في انعدام وإنجاز تنمية مستدامة.

يمكننا القول بأنه لا يمكن الحديث او تحقيق تنمية مستدامة في ظل وجود حالة من عدم الاستقرار السياسي، والحروب ونزاعات مسلحة فضلا عن الانقسامات السياسية، فالتنمية تتطلب توقر بيئة يسودها الاستقرار والامن والأمان.

أهمية الدراسة:

تكمّن أهمية الدراسة من خلال محاولتها تبيان العلاقة الجدلية بين التنمية المستدامة والاستقرار السياسي. بكلمات أخرى نحاول من خلال هذه الدراسة التأكيد ان تحقيق التنمية المستدامة يتطلب وبشكل أساسي ضرورة توفر الاستقرار السياسي لان هذا المطلب شرط ضروري من شروط التنمية المستدامة.

إشكالية الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الى تسليط الضوء حول انعدام الاستقرار السياسي ومظاهرها ومساهمته في عرقلة تحقق التنمية المستدامة في ليبيا ولا سيما وان من اهداف التنمية المستدامة في العالم لا يمكن ان تتحقق الا بوجود حد أدنى من الأمن والاستقرار.

فرضية الدراسة:

تهدف هذه الدراسة اثبات فرضية مفادها ان لا يمكن تحقيق التنمية المستدامة في ظل انعدام الاستقرار السياسي. حيث أكدت الامينة التنفيذية بالوكالة للجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي لسيا (ايسكوا) خولة مهر بقولها " إن برامج التنمية شهدت لراجعاً في بعض الدول العربية حيث أصبح الصراع واقعاً يهدد التنمية والتماسك في المنطقة العربية "وبهذا تتمحور الفرضية حول تحليل مظاهرة انعدام الاستقرار السياسي وتأثيره في تحقيق التنمية المستدامة.

منهجية الدراسة:

سنعتمد في دراستنا على المنهج التحليلي

هيكلية الدراسة

جاءت معالجتنا لموضوع الدراسة موزعة بواقع مبحثين بالإضافة الى مقدمة وخاتمة كالتالي:

المبحث الأول: مفاهيم البحث

تعريف الاستقرار السياسي

تعريف التنمية المستدامة

المبحث الثاني جدلية العلاقة بين الاستقرار السياسي والتنمية المستدامة

مؤشرات انعدام الاستقرار السياسي في ليبيا

جدلية العلاقة بين الاستقرار والتنمية في ضوء اهداف التنمية المستدامة

المبحث الأول: مفاهيم البحث

أولاً: مفهوم الاستقرار السياسي

لا يختلف مفهوم الاستقرار السياسي عن العديد من المفاهيم في العلوم الإنسانية والسياسية بشكل خاص من حيث غموضه وتعقده وعدم وجود تعريف شامل له منفق عليه، ويُعد هذا المفهوم معيارياً فما قد يتسبب في استقرار جماعة ما قد يكون سبباً في عدم استقرار جماعة أخرى في الوقت ذاته، وتتركز أهمية مفهوم الاستقرار السياسي كونه يشكل مطلباً جماعياً، فمهما كان نوع ونمط النظام السياسي القائم في أي دولة من دول العالم سواء كان النظام ديمقراطي أم ديكتاتوري فإن مبتغى وهدف هذا النظام أو ذلك في أن يكون حكمه مستقرًا من أجل الاستمرار والبقاء.

وبصفة عامة يعني الاستقرار استتباب النظام والأمن القائمين على أسس مقبولة من قبل غالبية المجتمع بفئاته المختلفة، وسيادة الاستقرار تضمن سير الحياة بشكل طبيعي وبناءً في إطار السلام، الذي لا بد من توافره بشكل ملائم ويقدر ما يضمن حياة طبيعية لأفراد المجتمع (الجرف، فاتن، 2017، ص65).

ويتناول عدد من الباحثين تحليل المفهوم من خلال تضمين عنصرين لهذا المفهوم: الأول يتمثل بالنظام (اللافوضوي) الذي يعني عدم اللجوء إلى استخدام العنف والقوة والإكراه والقطيعة من النظام السياسي. والثاني الاستمرارية التي تعرف الاستقرار بأنه الغياب النسبي للتغيير في مكونات النظام السياسي. بكلمات أخرى الاستقرار السياسي يعرف بأنه ظاهرة تتميز بالمرونة النسبية، وتشير إلى قدرة النظام السياسي على توظيف مؤسساته الرسمية لاحتواء ما قد ينشأ من صراعات دون استخدام العنف السياسي إلا في أضيق نطاق دعماً لشرعيته وفعاليتها (مسعد، نيفين، 1988، ص68).

ويعرف الاستقرار أيضاً بأنه: - (فالج، عدى، 2015، ص129)

- 1- حالة من الثبات المؤسسي للدولة بكل مستوياتها.
- 2- قدرة السلطة السياسية على التعامل بنجاح مع الأزمات القائمة، وإدارة الصراعات داخل المجتمع في إطار القانون والمؤسسات
- 3- غياب أو نذر أعمال العنف السياسي المتمثلة بأحداث الخطف والاعتقالات والحروب الأهلية وغيرها من أعمال العنف السياسي الأخرى.

ومن خلال الحقائق والمعطيات في المشهد السياسي الإقليمي والدولي يتأكد أن الاستقرار السياسي في الدول الحديثة اليوم، لا يمكن تحقيقه بالعنف والقمع وتجاهل احتياجات الشعب وتطلعاته. ولا يرتبط أيضاً بامتلاك ترسانة عسكرية ضخمة واجهزة أمنية متطورة، فهناك تمتلك ذلك إلا أن استقرارها السياسي هش وضعيف. وفي المقابل نجد دولاً لا تمتلك ترسانة عسكرية ضخمة ولا مؤسسة أمنية متطورة، إلا أن استقرارها صلب ومتين، وقادرة على حفظ أمنها العام وحفظ استقرارها، ومواجهة الأزمات وصد المؤامرات (https://meu.edu.jo/libraryTheses/586a18ffd369c_1.pdf).

لذا فمن أهم مؤشرات الاستقرار السياسي هو التداول السلمي للسلطة حيث تستجيب الحكومة للضغط والاحتياجات المتباينة للجماهير ولا وجود للعنف السياسي و تمتع أبنية النظام ومؤسساته بالشرعية والقبول والرضا العام عن النظام الحاكم من جانب المواطنين. وسيادة القانون والالتزام بالقواعد الدستورية، وإعلاء قيم العدالة الاجتماعية كمبادئ حاكمة لسياسة الدولة في مختلف المجالات، وتجانس الثقافة السياسية للنخبة والجماهير، وقوة النظام السياسي وقدرته على حماية المجتمع وسيادة الدولة (المرجع السابق).

لهذا فالاستقرار السياسي غاية لا تتحقق إلا بتضافر جهود النظام السياسي وأفراد المجتمع على حد سواء، فعندما يحظى النظام بقبول شعبي نتيجة سياساته المشجعة، فإن المواطن يعتبر بأن هذا النظام يمثله، بالتالي سيحافظ المواطنون على مؤسسات الدولة والنظام الاجتماعي وتجعل من كل قوى المجتمع وفئاته عينا ساهرة على الأمن ورافدا أساسيا من روافد الاستقرار. فالاستقرار الحقيقي يستوجب خطوات سياسية حقيقية تعمق من خيار الثقة المتبادلة بين السلطة والمجتمع، وتشرك كافة الشرائح في عملية البناء والتعمير.

أولاً: مفهوم التنمية البشرية

ولقد ورد مصطلح التنمية المستدامة لأول مرة في تقرير لجنة (برونتلاند) 1987، عن اللجنة العالمية للبيئة والتنمية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة والذي صاغ أول تعريف للتنمية المستدامة، على أنها التنمية التي تلبى الاحتياجات الحالية الراهنة دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة في تلبية حاجياتهم (التنمية المستدامة، 2019، WWW.Mawd003.com).

وقد عرفها أيضاً " بأنها عملية التفاعل بين ثلاثة أنظمة: نظام حيوي، نظام اقتصادي، نظام اجتماعي ". كما تركز الاستراتيجيات الحديثة المرتبطة بقياس الاستدامة على قياس الترابط بين مجموعة العلاقات والتي تشمل الاقتصاد واستخدام الطاقة و العوامل البيئية الاجتماعية في هيكل إستدائي طويل المدى (كريوسة عمران www.univ-chlef.dz/topic/doc/mdm).

كما وضع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في تقرير التنمية البشرية رؤية جديدة 1993 للتنمية جعل فيها الإنسان في أولوية أهدافها وتصنع من أجله. حيث عرف التنمية البشرية هي تنمية الناس من أجل الناس بواسطة الناس. بمعنى الاستثمار في قدرات البشر سواء في التعليم أو الصحة أو المهارات حتى يمكنهم العمل بشكل منتج وخالق. والتنمية من أجل الناس معناها ضمان عدالة التوزيع لثمار النمو الاقتصادي الذي حققه توزيعاً عادلاً. وأما التنمية بواسطة الناس، أي إعطاء كل فرد فرصة المشاركة فيها (عبد الرزاق، سامي، 2006، ص32).

وبهذا يمكننا القول بان التنمية محورها وهدفها الأساسي هو الانسان، لذا تقرر الى ضرورة وجود الأجواء المناسبة للاستقرار السياسي على سبيل المثال لكي يتمكن الانسان من تحقيق التنمية المستدامة من خلال تسخير الإمكانيات البشرية او طبيعية التي تمتلكها دولته.

ثانياً: مؤشرات التنمية البشرية

تعد المؤشرات التنموية المستدامة سبيل لتقييم مدى تقدم الدول والمؤسسات في مجال تحقيق التنمية المستدامة بصورة فعلية، مما يستدعي أخذ قرارات صارمة دولية ووطنية حول السياسات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، ومحور هذه المؤشرات يركز حول القضايا التي تضمنتها توصيات أجندة القرن الحادي والعشرين، وهي تشكل إطار العمل البيئي في العالم. والتي حددتها الأمم المتحدة بالقضايا التالية:

المساواة الاجتماعية، الصحة العامة، التعليم، الفئات الاجتماعية، أنماط الإنتاج والاستهلاك، السكن، الأمن، الغلاف الجوي، الأراضي، البحار والمحيطات والمناطق الساحلية، المياه العذبة، التنوع البيولوجي، النقل والطاقة، النفايات الصلبة والخطرة، الزراعة، التكنولوجيا، التصحر والجفاف، الغابات، السياحة البيئية، التجارة، القوانين والتشريعات والأطر المؤسسية. وسنقوم بشرح بعضها بإيجاز: (قاسم، 2007، ص159).

- 1- ضرورة التوازن بين الإمكانات المادية ومعدلات التنمية من جهة وعدد السكان من جهة أخرى، وهذا الأمر يستلزم القضاء على النمو السريع والمفاجئ للسكان.
 - 2- تحقيق الأمن الغذائي، حيث تعد التنمية الغذائية المحلية بعداً أساسياً من أبعاد الأمن الغذائي.
 - 3- دعم الوعي الثقافي من خلال برامج تنظيم الأسرة وخاصة في الدول التي تمتاز بمعدلات نمو سكاني سريع جداً.
 - 4- التخفيف من حدة الفقر ووضع الخطط لعلاج كمؤشر للتنمية المستدامة.
 - 5- اشراك ودعم دور المرأة في التنمية المستدامة.
 - 6- الترشيح في استنزاف الموارد الطبيعية مع أولوية الحفاظ على البيئة.
 - 7- مكافحة التصحر عن طريق تنمية وترشيح الاستخدام الزراعي ووقف زحف الرمال.
 - 8- الحفاظ على الغابات وتجريم قطع الأشجار والتوعية العامة بأهميتها وضرورة الحفاظ عليها
- المبحث الثاني: جدلية العلاقة بين الاستقرار السياسي و التنمية المستدامة**

أولاً: مؤشرات انعدام الاستقرار السياسي في ليبيا

تشهد ليبيا حالة من الانفلات الأمني وغياب ملامح الدولة الحقيقية منذ الإطاحة بالنظام السابق، وسنحاول ان نستعرض بعض المؤشرات التي تؤكد على انعدام الاستقرار السياسي وذلك على النحو التالي:-

1- الانقسام السياسي

لقد شهدت ليبيا منذ عام 2014 أزمة سياسية حقيقية في ظل غياب المؤسسات السيادية تجاوزت تداعياتها الأبعاد السياسية لتطال الجوانب الاقتصادية والأمنية والعسكرية والاجتماعية، كما يشهد الصراع الداخلي في ليبيا، مراحل نزاع كثيرة، توجبها التغيرات الكبيرة التي فرضتها التحولات الداخلية من جهة والإقليمية المتوترة، وضعف الوسائل والإمكانات التي يمتلكها الفرقاء المتنازعين مقارنة مع حجم المعركة الكبير من جهة أخرى. وتعيش

الأطراف حالة من عسر الفهم الواقعي ويتحدثون عن وهم الحسم رغم تضاعف حجم الضحايا والخسائر البشرية والمادية التي دمرت البنية التحتية واستنزفت الاحتياطيات المالية الليبية ومؤشرات الاقتصاد في تدني مستمر¹

ومن أجل التسوية بين الفرقاء الليبيين شهدت مدينة الصخيرات بالمغرب حوار بين الفرقاء الليبيين برعاية أممية (ليني تنازع الشرعية بين الحكومة المؤقتة المنبثقة عن البرلمان الليبي بطبرق والتي يقودها عبدالله النثي وبين حكومة المؤتمر الوطني في طرابلس بقيادة خليفة الغويل)، حيث أفرز مجلس رئاسي ضم تسعة أعضاء في ظل عجزه عن نيل ثقة البرلمان الليبي. الأمر الذي قاد ليبيا إلى منزلق آخر بل فراغ سياسي، وفشلت كل المحاولات لتوحيد أو لتشكيل قيادة عسكرية موحدة تتولى وضع الخطط لمحاربة الجماعات الإرهابية وبهذا غابت ملامح الدولة المنشودة وتسمت هذه المرحلة بالانقسام السياسي²

في حقيقة الأمر لقد اعتقد الشعب الليبي بأن هذا الحوار سيفضي إلى حكومة توحدهم وتنتهي الصراعات والحروب ولكن أفضى إلى الانقسام السياسي وضع ومكن الجماعات المسلحة من السيطرة على مناطق النفوذ والثروة في البلاد.

والجدير بالذكر وفي الفترة الممتدة ما بين 2015-2020 شهدت ليبيا موجة من النزعات والحروب المسلحة التي تسببت في شلل كافة أنواع الحياة (السياسية والاقتصادية والاجتماعية) وتسببت في استنزاف الثروات الليبية سوء كان عن طريق الفساد المالي والإداري داخل المؤسسات الحكومية أو طريق تدمير المنشآت العامة والبنية التحتية مما ترتب عليها تدهور الاقتصاد الليبي حيث ظهرت مؤشرات في انهيار العملة الوطنية (الدينار) مقابل العملات الأجنبية، وارتفاع معدلات التضخم و الأسعار لتزيد معاناة المواطن الليبي.

في حقيقة الأمر لقد امتد الانقسام السياسي لتتطال مصرف ليبيا المركزي حيث يوجد في ليبيا مصرفان مركزيان الأول في العاصمة طرابلس يرأسه الصديق الكبير، ويعترف به المجتمع الدولي وتذهب إليه إيرادات النفط، والثاني في مدينة البيضاء شرق البلاد، يصفه المجتمع الدولي بـ"البنك المركزي الموازي"

لقد كانت تداعيات الانقسام السياسي سلبية على حياة الليبيين حيث بات الكثيرين على حافة الفقر، حيث تقدر تقارير دولية ومحلية نسبة من هم تحت خط الفقر بأكثر من 20% في بلد غني بالنفط لا يتجاوز عدد سكانه 8 ملايين نسمة³.

وحتى بعد انتخاب حكومة الوحدة الوطنية الليبية في الخامس من فبراير 2020 عبر تصويت أعضاء مُنتدى الحوار السياسي الليبي المدعوم من الأمم المتحدة لا تزال تلك الحكومة غير قادرة على بسط سيطرتها على كافة أرجاء البلاد بالإضافة إلى عدم توحيد أغلب المؤسسات السيادية حتى الآن وبالتالي لا تزال البلاد تعيش في حالة انعدام الاستقرار السياسي والانفلات الأمني.

¹ https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/research_reports/RR500/.

² المرجع السابق ص 20

³ http://arabic.news.cn/2017-12/31/c_136863401.htm

2- الصراعات المسلحة وانتشار المجموعات المسلحة

لقد شهد المناخ الليبي بعد الإطاحة بالنظام السابق غياب حقيقي للمؤسسات سيادية و الجيش الوطني الموحد، فضلا عن انتشار السلاح وسيطرة الجماعات المسلحة على مفاصل الدولة. لقد ساهمت كل من فرنسا وقطر بدرجة الأولى في اغرق ليبيا بالسلاح، حيث ساهمت قطر بأكثر من 20,000 طن من الأسلحة، وبحسب تقرير الأمم المتحدة وكما قدر جهاز الاستخبارات البريطاني أن ليبيا تمتلك ملايين من الأطنان من الأسلحة أي أكثر من الترسانة الإجمالية للجيش البريطاني⁴

ونتيجة لامتلاك السلاح بعيد عن الدولة تأزمت الأوضاع الداخلية للبلاد ونشبت النزاعات والصراعات بين الجماعات الحكومية وغير الحكومية، الأمر الذي دفعها أمام تحد انفلاتي-أمني وظهور تشكيلات مسلحة بدعى حفظ الأمن والنظام في المناطق المحررة، فقد بدأت المجموعات المسلحة بمجموعات بسيطة ثم تقامت أعدادها فعلى سبيل المثال وصل عدد المجموعات المسلحة في مدينة بنغازي إلى (45) مجموعة، البعض منها غير معروف العدد والسلاح، وتجاوز عددها في العاصمة بعد تحريرها أكثر من (100) مجموعة مسلحة وتحول البعض منها إلى مجموعات جهوية وأخرى تتبع أيديولوجيات معينة أو لغرض فرض السلطة والحصول على المال. فقد ادى انهيار المؤسسة العسكرية والأمنية في ليبيا إلى وصول العامة للسلاح بأنواعه «الخفيف-المتوسط-الثقل والمتطور» في كافة مخازن الجيش والشرطة للاستعانة به في مواجهة النظام ثم نقله بعد ذلك إلى دول الجوار كمصر وتونس والجزائر ودول الساحل الأفريقي، حيث ينشط تجار السلاح في مجموعات منظمة لبيع السلاح⁵

ويعد انتشار السلاح مؤشر في انعدام الاستقرار السياسي في ليبيا حيث ساهم في نشوب الصراعات القبلية وهيمن العنف والقتال على السلطة والثروة. وبالتالي أصبحت الحكومات المتعاقبة مرتبطة بتوجهات المجموعات المسلحة الموازية للسلطة المركزية مما جعله رهينة لأجندات غير وطنية، وعرضة لانقسامات متتالية بفعل الاستقطابات بين القبائل بعضها مع بعض وبين القوى السياسية، او بين القبائل والقوى السياسية، ولعل حدثا اختطاف رئيس الوزراء على زيدان عام 2013 لخير دليل تغلغل المجموعات المسلحة وسيطرتها على المشهد السياسي الليبي.

3- قفل الحقول النفطية

يعد اقفال الحقول النفطية من اهم مظاهر انعدام الاستقرار السياسي، بل اصبح ورقة ضغط يتم استخدامها من اجل مساومات السياسية والمصالح الاقتصادية فمذ 2011 تكرر إغلاق حقول وموانئ النفط اكثر من مرة لضغط على صانع القرار لتمير مصالح ذاتية ، لكن سرعان ما تمارس في قضية إغلاق النفط الضغوط الدولية، خاصة وأن ليبيا الغنية عضوا في منظمة أوبك، وهي تؤثر وتتأثر بالسوق العالمية للخام⁶

⁴ <https://www.raialyoum.com/index.ph>

⁵ حجال، صادق، 2014، ص94

⁶ <https://www.libyaakhbar.com/breaking/1114487.htm>

في حقيقة الأمر لقد تكبدت ليبيا خسائر فادحة و أضرار فنية واقتصادية واجتماعية ظهرت تبعاتها على مختلف مناحي الحياة جراء الاقفلالات المتعددة التي عصفت بقطاع النفط منذ 2011 وحتى اللحظة، فبعد ما يزيد عن ثلاث سنوات من اقفال الحقول والموانئ النفطية "يوليو 2013 الى سبتمبر 2016" من قبل "إبراهيم جضران"، الذي ضيع على ليبيا فرص بيعيه كبيرة وكبد الاقتصاد الليبي خسائر جسيمة فاقت الـ 100 مليار دولار، وتسبب بضررٍ بليغ لسمعة النفط الليبي، اضطرت البلاد خلالها لاستخدام الاحتياطي العام لتغطية مصروفات الدولة من مرتبات ووقود وغذاء ودواء وتعليم وغيره ، وصل خلالها الاحتياطي لمستويات متدنية وغير مسبوقة في تاريخ ليبيا الحديث⁷

كما بلغت الخسائر التراكمية نتيجة الإقفالات الحالية مبلغ 4,943,976,768 دولار أمريكي، والذي يستحيل تعويضه من الاحتياطي الأمر الذي يعد بالغ الضرر بالمستقبل الاقتصادي للبلاد، حيث كان بالإمكان أن يغطي هذا المبلغ جزء من مصروفات الدولة كالمرتبات أو دعم الوقود أو مجابهة أزمة جائحة كورونا أو غيرها علما بأن هذه الجائحة قد أنهكت دول نفطية كبيرة وذات اقتصاد قوي⁸

وسجلت ليبيا خسائر خلال تلك السنوات بقيمة تخطت 140 مليار دولار بسبب الإغلاق المتكرر لحقول وموانئ النفط وانخفاض أسعاره في السوق العالمية⁹

كما بلغ إجمالي قيمة خسائر قطاع النفط للسنوات بين 2013-2020، أكثر من 180 مليار دولار، نتيجة الإيقاف التعسفي لإنتاج الخام وتصديره، بحسب المحافظ. وحذر من أن استمرار إيقاف إنتاج النفط وتصديره، "سيكون له نتائج كارثية على الدولة، في ظل انهيار أسعاره في الأسواق العالمية، والانخفاض غير المسبوق لاحتياطيات المصرف المركزي¹⁰

ونتيجة لذلك شهدت ليبيا أزمات انعدام الوقود والغاز المنزلي، وانقطاع الكهرباء، وشح المياه، وارتفاع أسعار المواد الغذائية، كل هذه الأمور لاستمرت الأزمة السياسية والأمنية التي تعصف بالبلاد.

ثانيا: جدلية العلاقة بين الاستقرار والتنمية

يتضح مما سبق عرضه لمظاهر انعدام الاستقرار السياسي في ليبيا بأننا لا يمكننا الحديث بجدية عن التنمية وذلك لغياب استقرار، ذلك المطلب الاساسي وضروري لتحقيق التقدم للجميع بل هو الهدف الأهم لتحقيق التنمية المستدامة. فالتنمية لا يمكن تحقق دون سلام واستقرار وحكومة فعالة في مجال القانون.

فالاستقرار السياسي أحد أهم مقومات الرئيسية للتنمية المستدامة، فبدون استقرار لا يمكن ان تتحقق التنمية وذلك لان الأمن والاستقرار هما المحركان الاساسين للتنمية وهنا تتضح العلاقة الجدلية بين الاستقرار وتحقيق التنمية، ويمثل هذا المطلب الهدف 16 من اهداف التنمية المستدامة والذي يؤكد على ان لا تنمية تحدث من دون إنهاء

⁷https://web.facebook.com/noclibya/posts/2736587709898655/?_rdc=1&_rdr

⁸المرجع السابق

⁹http://arabic.news.cn/2017-12/31/c_136863401.htm

¹⁰المرجع السابق

الصراع المسلح فالصراع يشكل احد العقبات الرئيسية أمام تحقيق التنمية. وبالتالي يؤثر في جوانب التنمية كافة، حيث يزيد الفقر بجميع مظاهره. كما يشكل نوعا من الصدمات الحادة على وجه الخصوص، ما يسفر عنه العديد من أنواع التعطيل والدمار التي تنعكس بشكل واضح على الأفراد وجوانب الحياة كلة وربما تتمخض عنها مظالم طويلة يمكن أن تمتد لأجيال القادمة¹¹

ولأن التنمية المستدامة تتطلب مواطن مستقر في حياته وذلك لما يعكسه الاستقرار على سلوك وأخلاق المواطن، لذا تسعى الدول إلى تحقيق الاستقرار لإنجاح عمل المواطن والمؤسسات، وينقسم الاستقرار الذي تتطلبه التنمية إلى:¹²

الاستقرار السياسي: ويعني استقرار القوانين، والاستقرار الأمني وكل ما من شأنه أن يعود على الدولة بالنظام والدقة في العمل.

الاستقرار الاقتصادي: حيث يؤدي عدم الاستقرار السياسي إلى عدم الاستقرار الاقتصادي وتخبط في البنية الاقتصادية للدولة مما يسمح لطبقة الفساد أن تتمدد وتتسع وتنتشر على حساب المواطن البسيط، ويسمح كذلك بانتشار معدلات الجريمة في غياب المحاسبة والرقابة الإدارية.

الاستقرار الاجتماعي: إن انعدام الاستقرار السياسي والذي يتبعه عدم استقرار اقتصادي يؤديان إلى انعدام الاستقرار الاجتماعي والذي يبدأ بالتفكك الأسري وكذلك التفكك المجتمعي، بسبب عدم الانتظام، وجدولة حياة المواطن الأمر الذي يؤثر تأثيرا مباشرا على كل أفراد الأسرة، ويسبب في فوضى التفكير عند الأبناء، ناهيك على اعتيادهم على هذه الفوضى، بالتالي يعود على الدولة بالكامل وعلى مؤسساتها بالسلب.

الاستقرار النفسي: إن الاستقرار هو أحد أهم ركائز النجاح في المجتمعات ولا يمكن قيام أي دولة بدونه، ولا يمكن إنجاز أي عمل، واستمراره دون هذه الركيزة، فالاستقرار بأنواعه السابقة الذكر من شأنه أن يدعم الاستقرار النفسي عند الإنسان، لأن الاستقرار يحقق التوازن عنده، وكذلك يشعره بالطمأنينة على مشاريعه التي يرغب في إنجازها، كما يدعم ثقته بنفسه وبالمجتمع الذي يعيش فيه، مما يؤدي إلى ربط علاقات سوية بالآخرين، علاقات لا يشوبها الشك والريبة، بل تكون هذه العلاقات محمية بالقانون الذي ينظمها.

وبهذا يمكننا القول لتحقيق التنمية المستدامة بمفهومها ومنهجها الشمولي لا بد من وجود إرادة سياسية للدول وكذلك استعداد لدى المجتمعات والأفراد لتحقيقها، فالتنمية المستدامة عملية مجتمعية يجب أن تساهم فيها كل الفئات والقطاعات والجماعات بشكل متناسق، ولا يجوز اعتمادها على فئة قليلة، ومورد واحد. فبدون المشاركة والحريات الأساسية لا يمكن تصوّر قبول المجتمع بالالتزام الوافي بأهداف التنمية وبأعبائها والتضحيات المطلوبة في سبيلها، أو تصوّر تمتعه بمكاسب التنمية ومنجزاتها إلى المدى المقبول، كما لا يمكن تصوّر قيام حالة من تكافؤ الفرص الحقيقي وتوفّر إمكانية الحراك الاجتماعي والتوزيع العادل للثروة والدخل. فلا بد أن تقوم كل فئة من فئات المجتمع بدورها لتحقيق التنمية المستدامة.

¹¹(العجلوني، محمد، 2017).

¹² <http://www.libya-al->

والجدير الذكر اذا حاولنا اسقاط متطلبات التنمية على دولة ليبيا لوجدنا ان ليبيا لا تتوفر فيها أي مطلب الوضع الاقتصادي كارثي وهناك فجوة عميقة حتى بين مستوى المرتبات حيث يوجد من يتقاضى مرتب يصل الى 20 الف دينار في المقابل هناك من يصل داخله الى 500 دينار هذا الامر في حد ذاته ساهم في الفقر وغلاء المعيشة بين المواطنين. بالإضافة ان التنمية ركيزتها الرئيسية تتمحور حول الانسان المستقر سياسيا واقتصاديا ونفسيا واجتماعيا في ظل دولة مستقر. المواطن الليبي نتيجة الصراعات المسلحة والانقسامات السياسية واصبح طموحه محصور في توفر السيولة والكهرباء و توقف الحرب

التوصيات

- 1- ضرورة انهاء الصراعات المسلحة والعمل على تأسيس دولة القانون والمؤسسات دون اقصاء أحد.
- 2- تبني استراتيجية وطنية للتنمية المستدامة يشارك في بنائها وإعدادها كل الجهات والمؤسسات وأفراد المجتمع المعنيين بالتنمية المستدامة والمتأثرين بنواتجها على المدى القصير و البعيد، مع التأكيد ضرورة اشراك المرأة والفئات الهشة في صنع القرار.
- 3- استهلاك الموارد باعتدال وكفاءة ومراعاة الأسعار الأفضل للموارد، والاستخدام الأكثر كفاءة للموارد، والأطر الزمنية لاستبدال الموارد غير المتجددة بموارد بديلة، والاستخدامات البديلة المحتملة للموارد.
- 4- عدم استهلاك الموارد المتجددة بوتيرة أسرع من قدرتها على التجدد أو بطريقة يمكن أن تؤذي البشر أو النظم الداعمة للحياة على الأرض وخاصة تلك التي ليس لها بدائل.
- 5- يتعين تعزيز دور المجتمع المدني على كافة المستويات وذلك بتمكين الجميع من الوصول إلى المعلومات البيئية، ومن المشاركة الموسعة في صنع القرارات البيئية، إلى جانب الحكم بالعدل في القضايا البيئية. ولذا يتعين على الحكومات أن تهيئ الظروف التي تيسر على جميع قطاعات المجتمع أن تعرب عن رأيها وأن تؤدي دوراً فعالاً في تهيئة مصير مستدام.
- 6- إن العلم هو القاعدة التي تقوم عليها صناعة القرارات، الأمر الذي يستوجب تكثيف البحوث، والتوسع في إشراك الأوساط العلمية وزيادة التعاون العلمي في معالجة القضايا البيئية الناشئة، إلى جانب تطوير سبل التواصل بين الأوساط العلمية وصناع القرارات وغيرهم من أصحاب الشأن.
- 7- التوسع في مجال الاعتماد على الطاقة النظيفة المتجددة كالتجديدية الشمسية والطاقة المائية وطاقة الرياح.

قائمة المراجع:

الكتب

- 1- رعد سامي عبد الرزاق، العولمة والتنمية البشرية المستدامة في الوطن العربي، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة النهريين، 2006
- 2- عدي فالح حسين ، علم الاجتماع السياسي، بغداد ، مكتب اليمامة للطباعة والنشر 2015
- 3- فاتن الجرف ،ازمة الهوية وتداعياتها على الاستقرار السياسي ، ط1 (القدس ، دار الجندی للنشر والتوزيع (2017)

4- نيفين عبد المنعم مسعد ,الأقليات والاستقرار السياسي في الوطن العربي , (القاهرة , مكتبة النهضة المصرية , 1988)

المجلات

1- محمد محمود العجلوني , اثر الحكم الرشيد على التنمية الاقتصادية المستدامة في الدول العربية تصدرها المنظمة العربية للتنمية الإدارية , جامعة الدول العربية

رسائل ماجستير

1- صادق حجال , الدولة الفاشلة واشكالية التدخل الإنساني في المنطقة دراسة حالة ليبيا , رسالة ماجستير غير منشورة ,جامعة الجزائر 2014 .

مواقع الكترونية

- 1- <http://www.libya-al->
- 2- <https://dergipark.org.tr/tr/download/article-file/482391>
- 3- http://arabic.news.cn/2017-12/31/c_136863401.htm
- 4- <https://www.libyaakhbar.com/breaking/1114487.htm>).
- 5- http://arabic.news.cn/2017-12/31/c_136863401.htm)
- 6- <https://www.raialyoum.com/index.ph>
- 7- https://web.facebook.com/noclibya/posts/2736587709898655/?_rdc=1&_rdr
- 8- https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/research_reports/RR500/.
- 9- www.univ-chlef.dz/topic\doc\mdm
- 10- WWW.Mawd003.com
- 11- https://meu.edu.jo/libraryTheses/586a18ffd369c_1.pdf

عنوان البحث

**درجة انتشار الميول الانتحارية بين المتعلمين في مرحلة المراهقة في معهد برقائل
الفني الرسمي شمالي لبنان**

ربي هشام عوض¹

¹ طالبة دكتوراه في جامعة الجنان، طرابلس - لبنان
بريد الكتروني: awad_rouba@yahoo.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj2118>

تاريخ القبول: 2021/10/05م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على درجة انتشار الميول الانتحارية بين المتعلمين في مرحلة المراهقة في معهد برقائل الفني الرسمي شمالي لبنان، حيث تم استخدام المنهج الوصفي المسحي، وتكونت عينة الدراسة من (602) متعلماً ومتعلمة. وقد أتمت الاستبانة لقياس احتمالية الانتحارية (Suicide Probability Scale (SPS وفقاً لنموذج جون غال وواين غيل John Gull & Wayne Gill المقسمة إلى أربعة تصنيفات هي: الشعور باليأس، تصوّر الانتحار، تقييم الذات السلبي والعداوة. توصلت النتائج إلى اختلاف درجة الميول الانتحارية لدى أفراد عينة البحث بحسب التصنيفات الأربعة في المقياس المعتمد في الدراسة والتي على أساسها تشكلت منها الفرضيات، باستثناء درجة تصوّر الميول الانتحارية على المستوى المتوسط مما يشير ذلك إلى تحقق صحة هذه الفرضية.

الكلمات المفتاحية: الميول الانتحارية، المتعلمون، مرحلة المراهقة.

RESEARCH ARTICLE

THE PREVALENCE LEVEL OF SUICIDAL TENDENCIES AMONG STUDENTS AT THE AGE OF ADOLESCENCE AT BARKAIL OFFICIAL TECHNICAL INSTITUTE IN NORTHERN LEBANON**Ruba Husham Awad¹**

¹ PhD student at Jinan University, Tripoli - Lebanon
Email: awad_rouba@yahoo.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj2118>

Published at 01/11/2021**Accepted at 05/10/2021****Abstract**

This study identified the level of prevalence of suicidal tendencies among students at the age of adolescence at Barkail official technical institute in northern Lebanon, where the descriptive survey method was used; and the study sample consisted of 602 students. The questionnaire that was adopted to measure the probability of suicide (SPS), was the John Gull and Wayne Gill module. Upon comparing the results acquired with the initial set of hypotheses a significant difference at the level of the first hypothesis which discussed the feelings of despair among the students was noticed. Also, a partial difference was noted in the third hypothesis which talked about the negative self-evaluation classification. As for the fourth hypothesis which classifies the hostility of the subject of study a slight difference in comparison with the results was found. However, the second hypothesis indicated total agreement in comparison with the obtained results of the questionnaire, this indicates that the second proposed hypothesis is validated.

Key Words: Suicidal Tendencies, Students, Adolescence.

المقدمة

يُعدُّ السلوك الانتحاري من أبرز المشكلات التي تواجهها المجتمعات في الوقت الزّاهن لما له من تداعيات وتأثيرات سلبية على حياة الفرد وبُنية المجتمع الذي ينتمي إليه، فضلاً عن تماسك ذلك المجتمع واستقراره على كفاءة الأصعدة. ويُشكّل الانتحار ظاهرة خطيرة ومنتشرة بين المجتمعات وبخاصّة تلك التي تُعاني من مشكلات سياسية واقتصادية ممّا انعكس سلباً على نفسيّة أفرادها، تحديداً لدى الفئة الشّابة التي تُعتبر عصب تلك المجتمعات وحاجتها للشّعور بالأمن والأمان والاستقرار الاجتماعي والنّفسي للمستقبل الذي ينتظرهم. فعلى مدى العقود الثلاثة الماضية، ركّزت البحوث العلميّة وأشارت إلى أنّ السلوك الانتحاري ناتج عن مجموعة من العوامل الوراثيّة والنّمائيّة والبيئيّة والفسولوجيّة والنّفسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة التي تعمل من خلال مسارات متنوّعة ومعقّدة (منظمة الصّحة العالميّة، 1996: 3). كما أشارت منظمة الصّحة العالميّة في تقريرها الصّادر في (2021) على موقعها الإلكتروني أنّ كلّ عام ينتحر أكثر من (700000) شخصاً حول العالم، وبأنّ الانتحار يُشكّل السّبب الرئيسيّ الرّابع للوفاة عند الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و19 عاماً وفقاً لعام 2019. بالإشارة إلى أنّه في العام نفسه، كان أكثر من (79%) من حالات الانتحار في العالم تقع في الدّول المنخفضة والمتوسّطة الدّخل من خلال إقدام الأفراد على ابتلاع المبيدات والسّنق واستخدام الأسلحة النّاريّة، كأكثر الأساليب شيوعاً للانتحار عالمياً. في هذا السّياق، أشار "إسماعيل عرفة" (2017) في مقالته الصّادرة على موقع الجزيرة الإلكتروني تحت عنوان "القبليّة للانتحار، هكذا تتسلّل الأفكار الانتحاريّة لعقلك" بأنّ حالات الانتحار لم تُعد تقتصر على أنّها مجرد حالاتٍ فرديّة في الوطن العربي كما كانت سابقاً، وإنّما شهدت ارتفاعاً ملحوظاً ومفاجئاً في نسب الانتحار. ففي مصر بلغ عدد المنتحرين حوالي (1000) فرداً في العام 2002، ثمّ في عام 2009 ارتفع الرّقم بشكلٍ مُخيف ليصل عدد المنتحرين (5000) فرداً من بين (104) ألف محاولة للانتحار. أمّا في الجزائر وفي العام 1991 فقد ارتفعت نسبة المنتحرين من (0.74%) لكلّ مئة ألف نسمة إلى (2.25%) للنّسبة عينها عام 2003، ثمّ في العام 2015 ارتفع العدد إلى (3.1%) للنّسبة نفسها. في حين تشهد حالات الانتحار في لبنان تزايداً ملحوظاً بحسب ما أشار "ريمون هنود" (2021) في مقالته الصّادرة على موقع جريدة اللواء تحت عنوان "نسبة الانتحار وتناول المهديّات والطلاق في لبنان" بأنّ لبنان يشهد ارتفاعاً ملحوظاً في حالات الانتحار منذ أسابيع قليلة حيث سجّلت (6) حالات انتحار خلال شهر تموز. في السّياق نفسه، تُشير الأرقام المسجّلة لدى جمعيّة "empress" لصّحة النّفسيّة في لبنان إلى أنّ فئة الشّباب التي هي ما بين 18 إلى 25 سنة تُعتبر الأكثر عرضةً للاضطرابات النّفسيّة القويّة ممّا يجعل بعضهم يُقدّم على الانتحار. ويُشير المصدر نفسه إلى أنّ دراسة أجريت في لبنان أعدّها فريق من الأطباء النّفسيّين أظهرت أنّ كلّ يومين ونصف يُقدّم شخصاً على إنهاء حياته نتيجة الأوضاع السياسيّة والاقتصاديّة والماليّة التي تشهدها البلاد.

انطلاقاً ممّا تمّ ذكره سابقاً، يُستنتج أنّ الميول الانتحاريّة تُعزّز لدى بعض الأفراد فكرة الإقدام على الانتحار وفقاً للظروف والمواقف التي يمرّون بها نتيجة الضّغوطات والاضطرابات ممّا يجعلهم غير قادرين على التّكيّف معها، وبالتالي عدم التّحمّل لمواجهة مشكلاتهم وكيفيّة حلّها. بناءً عليه، ستركّز الدّراسة الحاليّة من خلال المنهج الوصفي، على معرفة درجة انتشار الميول الانتحاريّة لدى المتعلّمين في مرحلة المراهقة في معهد بركايل الفني

الرسمي في كافة مراحلها باستخدام مقياس احتمالية الانتحار (SPS) Suicide Probability Scale حيث يتضمن أربعة مقاييس كإلينيكية فرعية كالشعور باليأس Hopelessness، وتصور الانتحار Suicide Ideation، وتقييم الذات السلبي Negative Self-Evaluation والعداوة Hostility.

أولاً- مشكلة البحث

ازدادت ظاهرة الانتحار وانتشرت حول العالم ولا سيما في العالم العربي إذ لم تعد مجرد حالات فردية عابرة فحسب، وإنما توسعت رقعتها وامتدت لتشمل قطاعات عدّة من المجتمع بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أثقلت كاهل الفرد وبخاصة لدى الفئة الشابة في مرحلة المراهقة. في هذا الصدد، ارتفعت حالات الانتحار في لبنان في الفترة الأخيرة حيث أشار " حسين طليس " على موقع الحرة الإلكتروني (2021) تحت عنوان " تزايد حالات الانتحار في لبنان.. وخطوط ساخنة للدعم النفسي " بأنه خلال شهر تموز سُجّلت ست حالات انتحار في أسبوعين ويُعتبر الرقم كبيراً مقارنةً بعدد سكان لبنان وعدد حالات الانتحار المسجلة فيه سنوياً. لقد جاء هذا الارتفاع الطارئ في الأرقام خلافاً لمسار الانخفاض في نسب الانتحار المسجلة منذ العام 2019 حتى اليوم، فخلال عام 2020 تراجعت حوادث الانتحار مقارنةً بالفترة ذاتها في عام 2019 بنسبة (18.8%)، فيما أشارت الأرقام الرسمية إلى انخفاض بين العام الماضي 2020 والعام الحالي 2021 نسبته (16.8%) في الأشهر الأربعة الأولى من العام. من هذا المنطلق، تُشكّل المعطيات السابق ذكرها من أبرز الدوافع لدراسة هذا الموضوع عن كثب، وضرورة تسليط الضوء على هذه الظاهرة الخطيرة التي تُرخي بظلالها على كافة المراحل العمرية ولا سيما الفئة الشابة منها التي تعتبر ركيزة من ركائز المجتمع ودعائمه. بناءً على ذلك، تأتي إشكالية الدراسة الركن الأساسي لهذا البحث من خلال طرح موضوع الميول الانتحارية لدى الفئة المراهقة سعياً لوضع حدٍ لها، حيث انتشرت ظاهرة الانتحار بشكلٍ واسعٍ في الوقت الراهن على الصعيد العالمي والمحلي من أجل ذلك كان لا بُد من تسليط الضوء على هذه الظاهرة وبخاصةً أنّها أصبحت الشغل الشاغل للمتخصصين في علم النفس وعلم الاجتماع كونها تُمثّل مشكلة نفسية واجتماعية على حدٍ سواء (حميمي، 2012: 189). وبما أنّ الانتحار أصبح قضية تُورق العالم، كان لا بُد لمنظمة الصحة العالمية أن تتحرك وتُخصّص العاشر من أيلول من كلّ عام ليكون يوماً عالمياً لمنع إقدام الأفراد على الانتحار، مؤكّدة أنّ الهدف من ذلك هو العمل على منع حالات الانتحار وازديادها (ثابت، 2012: 38). في هذا السياق أشارت منظمة الصحة العالمية في تقريرها الصادر في العام (2014) على موقعها الإلكتروني، أنّ في كلّ عام أكثر من 800 ألف شخص يُنهون حياتهم من خلال الانتحار ممّا يعني أنّ حوالي كلّ (40) ثانية هناك حالة انتحار، حيث تقضي هذه الظاهرة على أرواح أكثر من ضحايا القتل والحروب. بالإشارة إلى أنّ معدلات الانتحار في الشرق الأوسط هي مرتفعة نسبياً بين الشباب من ذكور وإناث الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و 29 سنة، وبين الرجال والنساء من عُمر 60 سنة وما فوق حيث يقع فعل الانتحار. بناءً على ذلك تطرح الدراسة الحالية الإشكالية الأساسية التالية:

ما هي درجة انتشار الميول الانتحارية لدى المتعلمين في مرحلة المراهقة في معهد بركايل الفني الرسمي شمالي لبنان؟

ثانياً - أسئلة الدراسة الفرعية

- تتفرّع مجموعة من الأسئلة انطلاقاً من إشكالية الدراسة الحالية وهي على النحو الآتي:
- 1- ما هي درجة الشعور باليأس لدى المتعلمين المراهقين الذي لديهم ميول انتحارية؟
 - 2- ما هي درجة تصوّر الانتحار لدى المتعلمين المراهقين الذي لديهم ميول انتحارية؟
 - 3- ما هي درجة تقييم الذات بشكلٍ سلبيّ لدى المتعلمين المراهقين الذين لديهم الميول الانتحارية؟
 - 4- ما هي درجة العداوة لدى المتعلمين المراهقين الذين لديهم ميول انتحارية؟

ثالثاً - فرضيات الدراسة

تفترض الدراسة الحالية الآتي:

- الفرضية العامة:

يُعاني المتعلمون في مرحلة المراهقة في معهد برقابيل الفني الرسمي شمالي لبنان من مستوى مرتفع في درجة انتشار الميول الانتحارية فيما بينهم.

الفرضيات الفرعية:

- 1- يُعدُّ الشعور باليأس السمة الأبرز لدى المراهقين الذي لديهم ميول انتحارية.
- 2- يُعدُّ تصوّر الانتحار في المرتبة المتوسطة للميول الانتحارية لدى المراهقين.
- 3- يُعدُّ تقييم الذات بشكلٍ سلبيّ في المرتبة المتوسطة لدى المراهقين الذين لديهم الميول الانتحارية.
- 4- تُشكّل العداوة في المرتبة الدنيا لدى المراهقين الذين لديهم ميول انتحارية.

رابعاً - حدود الدراسة

ترتبط نتائج هذه الدراسة بالحدود الآتية:

- الحدود المكانية: تمّ تنفيذ الدراسة الحالية في معهد برقابيل الفني الرسمي شمالي لبنان.
- الحدود الزمنية: تمّ تنفيذ الدراسة الحالية خلال فصل من العام الدراسي 2020-2021.
- الحدود البشرية: اشتملت الدراسة الحالية على كلّ المتعلمين في المعهد الفني المذكور.
- الحدود الموضوعية: تتمثل الحدود الموضوعية في اعتماد أداة التي سُحِّد نتائج هذه الدراسة كقياس للميول الانتحارية والتي تتوفر في الخصائص السيكومترية من صدق وثبات.

خامساً - أهداف الدراسة

تنقسم أهداف الدراسة الحالية إلى النحو الآتي:

الهدف العام: يتمثل الهدف العام من هذه الدراسة في الوقوف على قياس درجة انتشار الميول الانتحارية لدى المراهقين في المعهد المذكور سعياً للتعرف على حجم الميول الانتحارية لديهم.

الأهداف الفرعية: تسعى الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- قياس درجة انتشار الميول الانتحارية لدى المراهقين في معهد برقابيل الفني الرسمي.
- تسليط الضوء على ظاهرة انتشار الميول الانتحارية بين الفئة الشابة ممّن هم في مرحلة المراهقة.
- تمكين المراهقين في المعهد للحدّ من الميول الانتحارية ومن ثمّ التخلّص منها.

• التعرف على الأسباب التي أدت بالمرهقين إلى الميول الانتحارية.

سادساً - منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة الحالية المنهج الوصفي المسحي، ذلك بأنه نمط يهدف إلى وصف الظاهرة المدروسة، أو التقييم والمقارنة، أو إبراز الظروف والممارسات، أو تحديد المشكلة، أو التعرف على ما يقوم به الغير أثناء تعاملهم مع حالات مماثلة بهدف وضع خططاً مستقبلية (تدمري، 2020: 109).

سابعاً - مجتمع الدراسة

يشتمل مجتمع الدراسة الحالية على المتعلمين المرهقين في معهد برقائل الفني الرسمي الواقع في قضاء عكار شمال لبنان تحديداً في بلدة برقائل حي المدارس. أنشأ المعهد بموجب المرسوم رقم (6007)، بتاريخ 30 تموز من العام 2011، يضمُّ مراحل التعليم التالّية: التكميلية المهنية، والبكالوريا الفنيّة، والامتياز الفني. يعتمد المعهد المذكور اللغة الفرنسية كلغة ثانية إلى جانب اللغة الأمّ العربيّة. حيث تتنوّع فيه التخصّصات ولقد وصل عدد المتعلمين فيه للعام الدراسي 2020-2021 إلى (618) متعلماً ومتعلّمة، إذ بلغ عدد الذكور فيه (291) متعلماً في حين كان عدد الإناث (327) متعلّمة، حيث تمّ الإجابة على الاستبانة من قبل (602) من أصل (618) متعلماً ومتعلّمة. بالإشارة إلى أنّ التخصّصات في المعهد المذكور هي متنوّعة بحسب الجدول الآتي:

التخصّصات	التكميلية الفنية	البكالوريا الفنيّة	الامتياز الفني
مساعد محاسب، كهرباء، تجميل، رعاية الطفل	تربية حضائيّة، ترميض، بيع وعلاقات تجارية، كهرباء، محاسبة، تجميل داخلي/ ديكور، مساحة	تربية حضائيّة، ترميض، بيع وعلاقات تجارية، كهرباء، محاسبة، تجميل داخلي/ ديكور، مساحة	تربية حضائيّة، خبرة ومراجعة، مساحة، تجميل داخلي/ ديكور، ترميض

ثامناً - عينة الدراسة

تمّ اختيار أفراد العينة من فئة المرهقين الذين هم في المعهد الذي سبق ذكره في مراحل الثلاثة: التكميلية المهنية، والبكالوريا الفنيّة، والامتياز الفني. لينتم بعدها تطبيق مقياس احتمالية الانتحار على المتعلمين جميعهم لمعرفة مدى انتشار الميول الانتحارية بين هذه الفئة العمرية.

تاسعاً - أدوات الدراسة

في هذه الدراسة تمّ استخدام مقياس احتمالية الانتحار Suicide Probability Scale (SPS) من تصميم "John G. Gull & Wayne S. Gill" (1982)، ومن تمّ تمّ إعداده باللغة العربيّة في العام (2013) من قبل " عبد الرقيب أحمد البحيري". يتكوّن المقياس من (36) عبارة مقسّمة على أربعة مقاييس كLINIKIّة فرعية وهي على النحو الآتي: الشعور باليأس Hopelessness، تصوّر الانتحار Suicide Ideation، تقييم الذات السّلبى Negative Self-Evaluation والعداوة Hostility. ولقد استخدم في الاختبار صيغة مقياس ليكرت Likert ذا الدّرجات الأربعة الممتد من (أبداً أو قليلاً من الوقت) إلى (معظم أو طوال الوقت) لتقدير كلّ من مخاطرة

الانتحار العامّة والخاصّة على مدى أبعاد رئيسيّة عديدة. ويتلخّص التّقدير الكليّ لمخاطرة الانتحار في ثلاث درجات هي: درجات كليّة موزونة Total Weighted Score، الدّرجة التّائيّة T-score، ودرجة احتماليّة الانتحار Probability Score ويُمكن حساب هذه الدّرجات الشّاملة بسرعة وبسهولة.

عاشراً- مصطلحات الدّراسة

وردت في الدّراسة الحاليّة بعض المصطلحات التي شكّلت عنوان البحث، حيث سيتمّ تناولها من خلال شرحها وتفسيرها اصطلاحياً وإجرائياً.

1. تعريف الميول الانتحارية Suicidal Tendencies:

أشار كُليّ من "الجبوري والسُلطاني" في تعريفهما عن الميول الانتحارية بأنّها استسلام الفرد بشدّة لمجموعة من الأفكار الانفعاليّة السّلبية ممّا تدفعه إلى اتّخاذ القرار لوضع حدّ لحياته لأسباب عدّة كفقده شخص عزيز لديه، أو ليضع حدّاً لآلامه الجسديّة الشّديدة، أو ليهرب من ضغوطاته النّفسيّة، أو الأسريّة، أو الاجتماعيّة، أو الاقتصاديّة (2014: 366). في حين عرّف "مقدم" الميول الانتحارية بأنّها تلك النّزعة التي يشعر بها الفرد نحو أمرٍ معيّن ألا وهو الانتحار (2004: 236).

أمّا الدّراسة الحاليّة فتعرّف الميول الانتحارية بأنّها الرّغبة القويّة لدى الفرد نتيجة تولّد مجموعة من الأفكار لديه باختيار الموت من خلال وضع حدّاً لحياته ليتخلّص من معاناته التي يعيشها النّاتجة عن أزمتٍ عدّة سببت له الضّغوطات النّفسيّة على نحو متراكم، فيرى في الانتحار السّبيل الوحيد ليرتاح من كلّ ما يزعجه ويُعكّر صفو حياته.

2. تعريف مرحلة المراهقة Adolescence:

أشارت الأكاديميّة الأمريكيّة لطبّ الأطفال في تعريفها عن المراهقة بأنّها الجسر الانتقالي بين مرحلة الطّفولة ومرحلة البلوغ، وتتضمّن معالم تنمويّة تنفرد بها هذه الفئّة العمريّة من تطوّر صحّي معرفيّ وجسديّ وجماعيّ ونفسي اجتماعي. وتُعتبر المراهقة التي تُعرف من 11 عاماً إلى 21 عاماً فترة حرجة تعمل على تطوير حياة الشّباب حيث أنّها مليئة بالتّغيّرات البيولوجيّة والمعرفيّة والعاطفيّة والاجتماعيّة (2019: 1). في حين يُعرّف "أسعد" المراهقة بأنّها تلك المرحلة التي ينتقل فيها الفرد من الطّفولة إلى الشّباب، إذ تتسم هذه الفترة المعقّدة من تحوّلات ونمو بسبب التّغيّرات الدّهنيّة والعضويّة والنّفسيّة بشكلٍ واضحٍ وبارزٍ، فهي تُعدّ فترة نموّ شاملٍ ينتقل الفرد من خلالها من مرحلة الطّفولة إلى مرحلة الرّشد (1994: 225).

وتُعرّف الدّراسة الحاليّة المراهقة بأنّها تلك الفترة المتغيّرة في حياة الفرد تمتدّ لسنواتٍ عدّة لينتقل من خلالها من مرحلة الطّفولة إلى مرحلة الشّباب حيث تتسم ببعض النّطورات في نموّه وشخصيّته ممّا يؤثر ذلك على حياته النّفسيّة والاجتماعيّة والانفعاليّة.

الحادي عشر- الدّراسات السّابقة

سنتناول الدّراسة الحاليّة درجة انتشار الميول أو الأفكار الانتحارية بين المتعلمين المراهقين في المعهد المذكور، ومن ثمّ سيتمّ التّعليق على الدّراسات السّابقة من حيث أوجه التّشابه والتّمايز بينها وبين الدّراسة الحاليّة فضلاً عن أوجه الاستفاضة منها، وفيما يلي عرض لأبرز الدّراسات:

1- الدراسات العربية:**1.1- دراسة صادق الشمري وحنين المحنة، في العراق (2019):**

تحت عنوان "اضطراب الهوية الجنسية وعلاقته بالأفكار الانتحارية لدى طلبة المرحلة الإعدادية". هدفت الدراسة إلى التعرف على اضطراب الهوية الجنسية والأفكار الانتحارية والعلاقة الارتباطية بينهما لدى متعلمي المرحلة الإعدادية وفق متغيري النوع ذكوراً وإناثاً وكذلك التخصص العلمي والأدبي. تكوّنت عينة البحث من (445) متعلماً ومتعلّمة حيث تمّ اختيار العينة عشوائياً، كما اعتمد مقياس اضطراب الهوية الجنسية ومقياس الأفكار الانتحارية من تصميم الباحثة. وكان المنهج الوصفي التحليلي هو المستخدم في هذا البحث وبيّنت النتائج أنّ المتعلّقات هنّ أكثر اضطراباً من المتعلّمين ضمن متغير الجنس، وأنّ المتعلّقات ذوات التخصص العلمي هنّ أكثر اضطراباً من متعلّقات ذوات التخصص الأدبي، فضلاً عن وجود علاقة ارتباطية طردية بين اضطراب الهوية الجنسية والأفكار الانتحارية ممّا يدلّ على أنّه كلما ازداد اضطراب الهوية الجنسية لدى المتعلّقات ارتفع مستوى الأفكار الانتحارية لديهنّ.

2.1- دراسة نسرين عيسى الجرادات، في فلسطين (2015):

تحت عنوان "الأفكار الانتحارية وعلاقتها بعوامل الخطر المرتبطة بالقلق والاكتئاب عند الشّباب في المجتمع الفلسطيني".

هدفت الدراسة إلى تحديد درجة انتشار الأفكار الانتحارية وعلاقتها بعوامل الخطر المرتبطة بالقلق والاكتئاب عند الشّباب في المجتمع الفلسطيني، حيث كانت الأداة المعتمدة في هذه الدراسة عبارة عن مقياس لقياس الأفكار الانتحارية والقلق والاكتئاب للباحثين "سامي حمدان" و"إياد الحلاق"، في حين تكوّنت العينة من (1210) فرداً ضمن الفئة العمرية (16-30) سنة. أمّا المنهج التي تمّ استخدامه فقد كان المنهج الوصفي التحليلي، وبيّنت النتائج وجود علاقة ارتباطية طردية موجبة بين الأفكار الانتحارية والقلق والاكتئاب وأنّ الأفكار الانتحارية والقلق أكثر انتشاراً في محافظة الخليل يليها بيت لحم ورام الله وأريحا، وأنّ الاكتئاب أكثر انتشاراً في محافظة نابلس.

2- الدراسات الأجنبية:**1.2- دراسة رونشي أغروال ومانوج تالابايوار Ruchi Agrawal & Manoj Talapaliwar في الهند (2019):**

تحت عنوان "انتشار التّفكير الانتحاري ونمطه بين متعلّمي الجامعات في المنطقة القبلية وسط الهند".
"Prevalence of Suicide Ideation and its Pattern among College Students of The Tribal Region of Central India".

هدفت هذه الدراسة إلى دراسة التّفكير الانتحاري ونمطه بين متعلّمي الجامعات في مدينة جونديا Gondia في المنطقة القبلية وسط الهند، حيث أتبع المنهج الوصفي المسحي. وتكوّنت عينة البحث من (214) متعلّماً ومتعلّمة، في حين اعتمد الاستبانة كأداة للدراسة لقياس الأفكار الانتحارية بين المتعلّمين حيث أظهرت النتائج انتشار في التّفكير الانتحاري بين متعلّمي الجامعات بشكل ملحوظ وأنّ لديهم ترددات متباينة في التّفكير دون أن

تسيطر عليهم، فضلاً عن وجود الاكتئاب الذي يُعتبر السبب الرئيسي والأكثر شيوعاً للتفكير الانتحاري لدى عينة البحث.

2.2- دراسة أدلينو بيريرا وفرانيسكو كاردوسو Adelino Pereira & Francisco Cardoso في البرتغال (2015):

تحت عنوان "التفكير الانتحاري لدى متعلمي الجامعات من حيث انتشاره وعلاقته بالمدرسة والنوع".
"Suicidal Ideation in University Students, Prevalence and Association with School and Gender".

هدفت الدراسة إلى تبيان مدى انتشار الأفكار الانتحارية لدى المتعلمين في إحدى الجامعات البرتغالية وعلاقتها بالمدرسة والنوع، وتكوّنت عينة الدراسة من (366) متعلم ومتعلمة. ولقد تمّ اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، في حين كانت الأداة المعتمدة في هذه الدراسة استبانة حول الأفكار الانتحارية والمُصمّم من قبل (Reynolds, 1988)، وأظهرت النتائج وجود نسبة عالية من المفكرين في الانتحار وبخاصة في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية وكانوا من الإناث، كما وأكّدت النتائج التي تمّ الحصول عليها على الحاجة إلى المزيد من البحث حول الموضوع وأهمية اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمساعدة المتعلمين على كيفية التعامل مع التحدّيات والضغوطات الشخصية والمهنية.

الثاني عشر - التّعقيب على الدراسات السابقة

في ظلّ ما تمّ عرضه من دراسات سابقة فيما يتعلّق بموضوع الميول الانتحارية، يمكن تبيان أوجه التشابه والتميّز بينها وبين الدراسة الحالية من خلال الآتي:

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على درجة انتشار الميول الانتحارية بين المتعلمين المراهقين في إحدى المعاهد، فهي بذلك تتشابه من حيث الأهداف مع كُليّ من دراسة نسرين عيسى الجرادات في فلسطين (2015) التي هدفت إلى تحديد درجة انتشار الأفكار الانتحارية وعلاقتها بعوامل الخطر المرتبطة بالقلق والاكتئاب عند الشّباب في المجتمع الفلسطيني، ودراسة أدلينو بيريرا وفرانيسكو كاردوسو Adelino Pereira & Francisco Cardoso في البرتغال (2015) التي هدفت إلى تبيان انتشار الأفكار الانتحارية لدى المتعلمين في إحدى الجامعات البرتغالية وعلاقتها بالمدرسة والنوع، وتتمايز مع دراسة صادق الثمري وحنين المحنة، في العراق (2019) التي هدفت إلى التعرف على اضطراب الهوية الجنسية والأفكار الانتحارية والعلاقة الارتباطية بينهما لدى متعلمي المرحلة الإعدادية وفق متغيري النوع ذكوراً وإناًماً وكذلك النّخصص العلمي والأدبي، ودراسة ودراسة روتشي أغروال ومانوج تالابايوار Ruchi Agrawal & Manoj Talapaliwar في الهند (2019) التي هدفت إلى دراسة التفكير الانتحاري ونمطه بين متعلمي الجامعات في مدينة جونديا Gondia في المنطقة القبلية وسط الهند. تتبّع الدراسة الحالية المنهج الوصفي المسحي، وبذلك فهي تتشابه مع دراسة روتشي أغروال ومانوج تالابايوار Ruchi Agrawal & Manoj Talapaliwar في الهند (2019)، فيما تتمايز مع كُليّ من دراسة نسرين عيسى الجرادات، في فلسطين (2015)، ودراسة نسرين عيسى الجرادات في فلسطين (2015)، ودراسة أدلينو بيريرا وفرانيسكو كاردوسو Adelino Pereira & Francisco Cardoso في البرتغال (2015) الذي

اعتمدوا المنهج الوصفي التحليلي. أمّا من حيث العيّنة فنتشكّل عيّنة الدّراسة الحاليّة من متعلّمين مراهقين، وهي بذلك تتشابه مع كُليّ من دراسة صادق الشّمري وحنين المحنة في العراق (2019)، ودراسة نسرین عيسى الجرادات في فلسطين (2015)، فيما تتمايز مع كُليّ من دراسة روتشي أغروال ومانوج تالابايوار Ruchi Agrawal & Manoj Talapaliwar في الهند (2019)، ودراسة أدلينو بيريرا وفرانسيسكو كاردوسو Adelino Pereira & Francisco Cardoso في البرتغال (2015) حيث كانت العيّنات من متعلّمي الجامعات. كما سيتمّ في هذه الدّراسة اعتماد مقياس احتماليّة الانتحار، من تصميم وإعداد عبد الرقيب أحمد البحيري" (2013) وبذلك فإنّ أداة الدّراسة الحاليّة لا تتشابه مع أيّ من أدوات الدّراسات السّابقة ممّا يجعلها متمايزة عنها على مستوى الأدوات من ناحية تصميم المقياس مع كُليّ من دراسة صادق الشّمري وحنين المحنة، في العراق (2019) حيث اعتمدت مقياس اضطراب الهوية الجنسيّة ومقياس الأفكار الانتحاريّة من تصميم الباحثة. ودراسة نسرین عيسى الجرادات، في فلسطين (2015) التي اعتمدت مقياس لقياس الأفكار الانتحاريّة والقلق والاكتئاب للباحثين "سامي حمدان" و" إياد الحلاق". ودراسة روتشي أغروال ومانوج تالابايوار Ruchi Agrawal & Manoj Talapaliwar في الهند (2019) التي اعتمدت الاستبانة كأداة للدّراسة لقياس الأفكار الانتحاريّة بين المتعلّمين. ودراسة أدلينو بيريرا وفرانسيسكو كاردوسو Adelino Pereira & Francisco Cardoso في البرتغال (2015) حيث اعتمدت استبانة حول الأفكار الانتحاريّة والمصمّم من قبل (Reynolds, 1988).

أوجه الإفادة:

تعبيراً لما سبق عرضه، تمّ الاستفادة من الدّراسات السّابقة من عدّة جوانب منها:

- الاستفادة من تحديد واختيار أداة قياس جديدة للدّراسة الحاليّة لم يتمّ استخدامها في الدّراسات السّابقة.
 - الاستفادة من تحديد منهج الدّراسة الحاليّة توازياً مع حجم العيّنة كما هو في الدّراسات السّابقة.
- وفقاً لما سبق عرضه يتبيّن درجة التّمايز بين الدّراسة الحاليّة عن الدّراسات السّابقة وبخاصّة فيما يتعلّق بأدوات البحث التي تُعتبر مؤشراً هاماً لقياس درجة انتشار الميول الانتحاريّة لدى عيّنة البحث الذين هم من فئة المراهقين.

الثالث عشر - نتائج الدّراسة

بعد توزيع المقياس على عيّنة الدّراسة ومن ثمّ جمعه وتحليل البيانات فيه وتفنيدته إلى جداول ومجالات، تُبيّن النّتائج التي تمّ التّوصل إليها فيما يتعلّق بالفرضيّة العامّة من خلال الجدول رقم (1) أنّ القيمة الدّالة تساوي $0.0001 <$ وهي أقل من 5% (0.05) ممّا يعني صحّة الفرضيّة، وبالتالي يُستنتج أنّ المتعلّمين في مرحلة المراهقة في معهد برقائل الفني الرسمي شمالي لبنان، يُعانون من مستوى مرتفع في درجة انتشار الميول الانتحاريّة فيما بينهم.

جدول رقم (1)

الفرضية العامة

One-Sample Test						
قيمة الاختبار = 1					قيمة ت	ميول انتحارية
الانحراف المعياري	المتوسط	قيمة الدّالة	df	قيمة ت		
0.81305	1.3123	0.0001>	601	9.424		

أشارت الفرضية الأولى إلى أنّ الشعور باليأس يُعدّ السّمة الأبرز لدى المراهقين الذي لديهم ميول انتحارية، فجاءت النتائج من خلال الجدول رقم (2) أنّ القيمة الدّالة تساوي $0.0001 <$ وهي أقل من 5% (0.05) وبالتالي يتبيّن أنّه توجد علاقة بين الشعور باليأس والمراهقين الذين لديهم ميول انتحارية. وتُظهر النتائج أنّ نسبة الميول الانتحارية لمن ليس لديهم هذه الميول على المستوى العادي وفق تصنيف الشعور باليأس قد بلغت (95.7%) وتأتي في المرتبة الأولى وهي أكثر من نسبة الميول الانتحارية مرتفعة جداً، وكذلك الأمر على المستوى المرتفع فقد بلغت (19.8%) حيث تأتي في المرتبة الثانية في هذا المجال. وأنّ نسبة الميول الانتحارية المرتفعة وفقاً لتصنيف الشعور باليأس على المستوى العادي قد بلغت (4.3%) وهي أقل من نسبة الميول الانتحارية على المستوى المرتفع والمرتفع جداً، فيما جاءت النسبة على المستوى المرتفع (30.7%) وهي النسبة الأعلى في هذا المجال مقارنة مع المستوى المرتفع جداً حيث بلغت النسبة (5.7%) وهي في المرتبة الثانية. وتأتي نسبة الميول الانتحارية مرتفعة جداً وفقاً لتصنيف الشعور باليأس على المستوى العادي (0.0%) وهي أدنى نسبة بلغت في هذا المجال، فيما بلغت على المستوى المرتفع (49.6%) وهي في المرتبة الثانية في المجال عينه من حيث مستوى الميول وفقاً لتصنيف الشعور باليأس، في حين بلغت نسبة مجال الميول الانتحارية المرتفعة جداً وفقاً للمستوى المرتفع جداً (94.3%) وهي النسبة الأعلى مقارنة مع ما سبق بحسب تصنيف الشعور باليأس. بناءً على ما تمّ عرضه، يُستنتج أنّه كلّما ازداد الشعور باليأس لدى المراهقين من المستوى العادي إلى مرتفع إلى المستوى المرتفع جداً، كلّما ازدادت الميول الانتحارية وارتفعت جداً من نسبة (0.0%) وهي على المستوى العادي من حيث الإجابة إلى المستوى المرتفع نسبته (49.6%) إلى المستوى المرتفع جداً نسبته (94.3%) لدى المتعلمين في مرحلة المراهقة في المعهد المذكور.

جدول رقم (2)

الفرضية الأولى (تصنيف الشعور باليأس)

قيمة الدالة	المجموع	تصنيف الشعور باليأس				
		مرتفع جداً	مرتفع	عادي		
0.0001 >	134	0	89	45	التكرار	ليس لديه ميول انتحارية
	22.3%	0.0%	19.8%	95.7%	النسبة	
	146	6	138	2	التكرار	ميول انتحارية مرتفعة
	24.3%	5.7%	30.7%	4.3%	النسبة	
	322	99	223	0	التكرار	ميول انتحارية مرتفعة جداً
	53.5%	94.3%	49.6%	0.0%	النسبة	
	602	105	450	47	التكرار	المجموع
100.0%	100.0%	100.0%	100.0%	النسبة		

تناولت الفرضية الثانية أن تصوّر الانتحار يُعدُّ في المرتبة المتوسطة للميول الانتحارية لدى المراهقين، فجاءت النتائج من خلال الجدول رقم (3) أن القيمة الدالة تساوي $0.0001 <$ وهي أقل من 5% (0.05) وبالتالي يتبين أنه توجد علاقة بين تصوّر الانتحار والمراهقين الذين لديهم الميول الانتحارية. فقد أظهرت النتائج أن نسبة الميول الانتحارية لمن ليس لديهم هذه الميول على المستوى العادي وفق تصنيف تصوّر الانتحار قد بلغت (59.1%) وهي أكثر بكثير من نسبة الميول الانتحارية مرتفعة جداً، وأن نسبة الميول الانتحارية على مستوى المرتفع قد بلغت (2.4%) وهي أقل بكثير من نسبة الميول الانتحارية على مستوى المرتفع جداً من حيث الإجابة، فيما بلغت نسبة من ليس لديه ميول انتحارية (0.0%) وهي أقل نسبة مقارنة مع النسب المذكورة في هذا المجال. وأن نسبة الميول الانتحارية المرتفعة وفقاً لتصنيف تصوّر الانتحار على المستوى العادي قد بلغت (40.9%) وهي أقل من نسبة من ليس لديهم ميول انتحارية على المستوى العادي وأكثر من نسبة الميول الانتحارية المرتفعة جداً ممن لديهم هذه الميول حيث تأتي بالمرتبة الثانية، وجاءت النسبة على مستوى المرتفع (18.8%) في المجال عينه وهي أكثر من نسبة من ليس لديهم ميول انتحارية، فيما ظهرت النسبة على مستوى مرتفع جداً (4.0%) حيث تُعتبر هذه النسبة هي الأدنى في هذا المجال. وتأتي نسبة الميول الانتحارية مرتفعة جداً وفقاً لتصنيف الشعور باليأس على المستوى العادي (0.0%) وهي النسبة الأدنى في هذا المجال. وقد بلغت على مستوى مرتفع (78.7%) وهي النسبة الثانية الأعلى في هذا الجدول من حيث مستوى الميول على نحو مرتفع وكذلك الثانية في المجال نفسه، فيما بلغت الميول الانتحارية المرتفعة جداً على المستوى العال جداً (96.0%) وهي النسبة الأعلى مقارنة مع ما سبق وفقاً لتصنيف تصوّر الانتحار. بناءً على ذلك، يُستنتج أنه كلما ازداد تصوّر الانتحار من المستوى العادي إلى مرتفع إلى المستوى المرتفع جداً، كلما ازدادت الميول الانتحارية وارتفعت جداً من (0.0%) إلى المستوى المرتفع (78.7%) إلى المستوى المرتفع جداً (96.0%) لدى المتعلمين في مرحلة المراهقة في المعهد المذكور.

جدول رقم (3)

الفرضية الثانية (تصنيف تصوّر الانتحار)

قيمة الدالة	المجموع	تصنيف تصوّر الانتحار				
		مرتفع جداً	مرتفع	عادي		
0.0001 >	134	0	7	127	التكرار	ليس لديه ميول انتحارية
	22.3%	0.0%	2.4%	59.1%	النسبة	
	146	4	54	88	التكرار	ميول انتحارية مرتفعة
	24.3%	4.0%	18.8%	40.9%	النسبة	
	322	96	226	0	التكرار	ميول انتحارية مرتفعة جداً
	53.5%	96.0%	78.7%	0.0%	النسبة	
	602	100	287	215	التكرار	المجموع
100.0%	100.0%	100.0%	100.0%	النسبة		

أشارت الفرضية الثالثة إلى أنّ تقييم الذات بشكلٍ سلبيٍّ يُعدُّ في المرتبة المتوسطة لدى المراهقين الذين لديهم الميول الانتحارية، وتبيّن النتائج من خلال الجدول رقم (4) أنّ القيمة الدالة تساوي $0.0001 <$ وهي أقل من 5% (0.05)، وبالتالي يتبيّن أنّه توجد علاقة بين تقييم الذات بشكلٍ سلبيٍّ والمراهقين الذين لديهم الميول الانتحارية. كما تُظهر النتائج أنّ نسبة الميول الانتحارية لمن ليس لديهم هذه الميول على المستوى العادي وفق تصنيف تقييم الذات السّلبي قد بلغت (66.7%) وهي أعلى نسبة في هذا المجال، أمّا نسبة الميول الانتحارية على مستوى المرتفع فقد بلغت (36.8%) وهي أقل من نسبة الميول الانتحارية على مستوى العادي وأكثر من مستوى مرتفع جداً. وأنّ نسبة الميول الانتحارية المرتفعة جداً وفقاً لتصنيف تقييم الذات السّلبيّة على المستوى المرتفع جداً فقد بلغت (18.6%) وهي الأقل مقارنة مع غيرها في المجال عينه. أمّا فيما يتعلّق بالقياس الميول الانتحارية المرتفعة على مستوى العادي، فقد بلغت النسبة (33.3%) وهي الأعلى في هذا المجال مقارنة مع المستوى المرتفع الذي بلغت نسبته (26.3%)، في حين بلغت نسبة مرتفع جداً (23.7%) وهي الأدنى مقارنة في هذا المجال وفقاً لتصنيف تقييم الذات السّلبيّة. في السّياق نفسه، بلغت الميول الانتحارية على المستوى العادي (0.0%)، فيما بلغت النسبة في المجال عينه على المستوى المرتفع (36.8%) وهي ثاني أكبر في هذا المجال، في حين بلغت النسبة على المستوى المرتفع جداً (57.7%) وهي النسبة الأعلى في هذا المجال وفقاً لتصنيف تقييم الذات السّلبي. بناءً على ذلك، يُستنتج أنّه كلّما ازداد تقييم الذات السّلبي من المستوى العادي إلى مرتفع إلى المستوى المرتفع جداً، كلّما ازدادت الميول الانتحارية وارتفعت جداً من (0.0%) إلى المستوى المرتفع (36.8%) إلى المستوى المرتفع جداً (57.7%) لدى المتعلمين في مرحلة المراهقة في المعهد المذكور.

جدول رقم (4)

الفرضية الثالثة (تصنيف تقييم الذات السلبي)

قيمة الدالة	المجموع	تصنيف تقييم الذات السلبي			التكرار	النسبة	ليس لديه ميول انتحارية	ميول انتحارية مرتفعة	ميول انتحارية مرتفعة جداً	المجموع
		مرتفع جداً	مرتفع	عادي						
0.0001>	134	90	42	2	التكرار	ليس لديه ميول انتحارية	ميول انتحارية مرتفعة	ميول انتحارية مرتفعة جداً	المجموع	
	22.3%	18.6%	36.8%	66.7%	النسبة	التكرار				
	146	115	30	1	النسبة	التكرار				
	24.3%	23.7%	26.3%	33.3%	النسبة	التكرار	التكرار	النسبة	التكرار	
	322	280	42	0	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
	53.5%	57.7%	36.8%	0.0%	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
	602	485	114	3	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
100.0%	100.0%	100.0%	100.0%	100.0%	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	

تُشير الفرضية الرابعة إلى أن العداوة تُشكّل في المرتبة الدنيا لدى المراهقين الذين لديهم ميول انتحارية، وتُظهر النتائج من خلال الجدول رقم (5) أن القيمة الدالة تساوي $0.0001 <$ وهي أقل من 5% (0.05)، وبالتالي يتبين أنه توجد علاقة بين العداوة والمراهقين الذين لديهم ميول انتحارية وأن العداوة تؤثر عليهم بشكل واضح. وتبين النتائج أن نسبة من ليس لديه ميول انتحارية على المستوى العادي قد بلغت (69.6%) وهي الأعلى في هذا المجال، فيما جاءت النسبة على المستوى المرتفع (2.3%) وهي ثاني أعلى نسبة في المجال عينه، في حين بلغت النسبة على المستوى المرتفع جداً (0.0%) وهي الأدنى في هذا المجال وفقاً لتصنيف العداوة. كما بلغت نسبة الميول الانتحارية على المستوى العادي (30.4%) وهي الأعلى في هذا المجال، فيما جاءت النسبة على مستوى المرتفع (25.1%) وهي ثاني أعلى نسبة في المجال عينه، في حين بلغت النسبة على المستوى المرتفع جداً (3.0%) وهي الأدنى وفقاً لتصنيف العداوة. وبلغت نسبة الميول الانتحارية لمن ليس لديه هذه الميول على المستوى العادي (0.0%) وهي النسبة الأدنى في هذا المجال، فيما بلغت النسبة في المجال عينه على المستوى المرتفع (72.6%) وهي ثاني أعلى نسبة في هذا المجال، في حين جاءت النسبة الأعلى في هذا المجال على المستوى المرتفع جداً (97.0%) وفقاً لتصنيف العداوة. بناءً على ما تمّ عرضه، يُستنتج أنه كلما ازدادت العداوة من المستوى العادي إلى مرتفع إلى المستوى المرتفع جداً، كلما ازدادت الميول الانتحارية وارتفعت جداً من (0.0%) إلى المستوى المرتفع (72.6%) إلى المستوى المرتفع جداً (97.0%) لدى المتعلمين في مرحلة المراهقة في المعهد المذكور.

جدول رقم (5)

الفرضية الرابعة (تصنيف العداوة)

قيمة الدالة	المجموع	تصنيف العداوة			التكرار	ليس لديه ميول انتحارية	ميول انتحارية مرتفعة	ميول انتحارية مرتفعة جداً	المجموع
		مرتفع جداً	مرتفع	عادي					
0.0001 >	134	0	8	126	التكرار	ليس لديه ميول انتحارية	ميول انتحارية مرتفعة	ميول انتحارية مرتفعة جداً	المجموع
	100.0%	0.0%	2.3%	69.6%	النسبة				
	146	2	89	55	التكرار	انتحارية مرتفعة			
	100.0%	3.0%	25.1%	30.4%	النسبة				
	322	65	257	0	التكرار	انتحارية مرتفعة جداً			
	100.0%	97.0%	72.6%	0.0%	النسبة				
	602	67	354	181	التكرار				
	100.0%	100.0%	100.0%	100.0%	النسبة				

وفقاً للمعطيات التي تم عرضها سابقاً، يُستنتج من نتائج معامل الانحدار الخطي المتعدد من خلال جدول رقم (6) أن العداوة لديها معامل الارتباط B وهي الأعلى، حيث بلغت النسبة (0.083) مما يعني أن العداوة لها التأثير الأكبر على الميول الانتحارية بدرجة مرتفعة وأن العلاقة بينهما هي إيجابية. ويُستنتج أنه كلما ازدادت العداوة لدى المراهقين، كلما ازدادت الميول الانتحارية لديهم. ثم يأتي تصور الانتحار بالدرجة المتوسطة حيث بلغت معامل الارتباط (0.041) وبالتالي فإن العلاقة بينهما إيجابية، ويُستنتج أنه كلما ازداد تصور الانتحار لدى المراهقين، كلما ازدادت الميول الانتحارية لديهم. بعد ذلك يأتي الشعور باليأس في الدرجة المتوسطة حيث جاءت النسبة (0.019) أي أن لدى المراهقين تأثير متوسط نحو الميول الانتحارية وأن العلاقة بينهما هي إيجابية، وأنه كلما ازداد الشعور باليأس كلما ازدادت الميول الانتحارية لديهم. في حين جاءت نتيجة تقييم الذات السلبي في الدرجة الدنيا، مما يعني أن المراهقين الذين لديهم ميول انتحارية فإن التقييم الذات السلبي لديهم هو متدني حيث جاءت النسبة أقل من (0.002).

جدول رقم (6) معامل الارتباط

النموذج	B	t	قيمة الدالة
(Constant)	0.790-	5.657-	0.0001 <
الشعور باليأس	0.019	3.121	0.002
تصور الانتحار	0.041	6.009	0.0001 <
تقييم الذات السلبي	0.002-	0.404-	0.687
العداوة	0.083	9.647	0.0001 <

الرابع عشر - التوصيات

- يمكن تقديم توصيات في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية، وهي على النحو الآتي:
- تفعيل دور الإرشاد الصحي في المؤسسات التربوية وتسهيل الضوء على أهمية الصحة النفسية للمتعلمين.
- تفعيل دور المجتمع المدني من خلال إقامة الندوات والأنشطة الهادفة في المؤسسات التربوية للحد من الميول الانتحاري بين المتعلمين ومحاولة هذه الظاهرة السلبية التي لا تمت بصلة إلى قيمنا وديننا.
- تفعيل دور وزارة الإعلام من خلال بث الإعلانات المرئية والمسموعة بهدف نشر التوعية بين المراهقين حول ظاهرة الميول الانتحارية وخطورتها.
- توعية الأهل والأسرة حول كيفية التصرف والتعامل مع أبنائهم من خلال مراقبتهم باستمرار وملاحظة أقوالهم وأفعالهم ما إذا كان لدى أحدهم ميول انتحارية.
- حث رجال الدين على توعية المجتمع من خلال خطبهم في المساجد لبيان خطورة الانتحار وأنه عمل منافي ومحرم في الدين الإسلامي.
- حث الأسرة على تعزيز الصحة النفسية لدى أبنائهم حتى تكون لديهم شخصية ناضجة ومتزنة.
- التواصل مع أخصائيين نفسانيين واجتماعيين فيما يتعلق بالخدمة الاجتماعية وتقديم يد العون ممن هم بحاجة إلى التخلص من أفكارهم السلبية.
- إنشاء مراكز استقبال خاصة تُعنى بمشاكل المراهقين وتهتم بمن لديه الميول الانتحارية لتساعده على تخطي مشكلته.
- ضرورة وجود مرشد نفسي في كل المؤسسات التعليمية وبخاصة في المعاهد والمهنيّات ليكون قريباً من المراهقين عند الحاجة إليه.
- القيام بورشات عمل ودورات تدريبية حول ظاهرة الانتحار والتّركيز على طرق الوقاية منها وعلاجها.

الخامس عشر - خاتمة الدراسة

يُشكّل الانتحار ظاهرة منتشرة في المجتمعات على اختلاف تنوعها، وهي من المشكلات التي تُهدّد سلامة واستقرارها حيث ارتفعت معدلات الانتحار في السنوات الأخيرة بشكل ملحوظ يُعزى ذلك إلى عوامل عدّة منها اجتماعية ونفسية واقتصادية وسياسية. ولأنّ حياة الفرد وروحه هي هبة من الله عزّ وجلّ وأمانة استودعها رب العالمين لديه ودعاه إلى المحافظة عليها والاهتمام بها، يُلاحظ أنّ النظرة إلى الحياة تختلف من شخصٍ إلى آخر وكذلك الإحساس بقيمتها وأهميتها من خلال تحديد أهدافه التي تُعينه على خوض غمار الحياة متحدياً كلّ الصّعوبات التي تواجهه. وبالتالي فإنّ الإحساس بقيمة الحياة تختلف أيضاً من شخصٍ إلى آخر وفقاً للشخصية والبيئة التي نشأ بها، فضلاً عن نظرتة للحياة وآرائه وأفكاره وقناعاته بشكل عام. بالإشارة إلى أنّ كلّ شخص يمرّ بضغوطاتٍ عدّة تختلف تصرّفاته في مواجهة المواقف الصّاعقة وكيفية التّعامل بها عن شخصٍ آخر، فمنهم من يلجأ إلى الانتحار كوسيلة هروب بسبب إصابة قدراته بالشّلل تجاه تلك المواقف وعدم تمكّنه من إيجاد حلولاً لمشكلاته ومنهم من يتخطّى مشكلاته بالعزيمة والصّبر والإصرار على متابعة حياته بشكلٍ طبيعي. بناءً على

ذلك، تناولت الدراسة الحالية موضوع درجة انتشار الميول الانتحارية لدى المتعلمين في مرحلة المراهقة في معهد بركايل الفنيّ الشمالي في شمال لبنان، حيث هدفت الدراسة إلى التعرف على درجة الميول الانتحارية لدى عينة الدراسة وتمّ طرح الإشكالية التالية: ما هي درجة انتشار الميول الانتحارية لدى المتعلمين في مرحلة المراهقة في معهد بركايل الفنيّ الشمالي؟ ومن هذه الإشكالية تفرّع منها مجموعة من الأسئلة وهي على النحو الآتي:

- 1- ما هي درجة الشعور باليأس لدى المتعلمين المراهقين الذي لديهم ميول انتحارية؟
- 2- ما هي درجة تصوّر الانتحار لدى المتعلمين المراهقين الذي لديهم ميول انتحارية؟
- 3- ما هي درجة تقييم الذات بشكلٍ سلبيّ لدى المتعلمين المراهقين الذين لديهم الميول الانتحارية؟
- 4- ما هي درجة العداوة لدى المتعلمين المراهقين الذين لديهم ميول انتحارية؟

بالإشارة إلى أنه قد تمّ طرح التساؤلات السابقة من أجل التعرف على درجة انتشار الميول الانتحارية في المعهد المذكور من خلال استخدام المنهج الوصفي المسحي وتكوّنت عينة الدراسة الحالية من المتعلمين في مرحلة المراهقة في معهد فنيّ رسمي يضمّ اختصاصاتٍ عدّة، وقد بلغ عددهم الإجمالي (618) متعلماً ومتعلّمةً إذ تمّ الإجابة على الاستبانة من قبل (602) متعلماً ومتعلّمةً فقط من خلال تطبيق مقياس جاهز لقياس الميول الانتحارية لديهم. وبالتالي، فقد أظهرت النتائج أنّ تصنيف العداوة بلغت نسبة معامل الارتباط لديها (9.647%) وهي الأعلى، ممّا يعني أنّ العداوة لها التأثير الأكبر على الميول الانتحارية بدرجة مرتفعة. ثمّ يأتي تصوّر الانتحار بالدرجة المتوسطة حيث بلغت نسبة معامل الارتباط (6.009%). بعد ذلك يأتي الشعور باليأس في الدرجة المتوسطة حيث جاءت النسبة (3.121%) أي أنّ لدى المراهقين تأثير متوسط نحو الميول الانتحارية. في حين جاءت نتيجة تقييم الذات السلبي في الدرجة الدنيا، ممّا يعني أنّ المراهقين الذين لديهم ميول انتحارية فإنّ التقييم الذات السلبي لديهم هو متدني حيث جاءت النسبة أقل من (0.404%).

في هذا السياق، فقد جاءت أبرز نتائج الدراسة على النحو الآتي:

- عدم وجود ميول انتحارية لدى المتعلمين في مرحلة المراهقة بحسب تصنيف الشعور باليأس كسمة بارزة لديهم، وإنّما على مستوى متوسط.
- وجود ميول انتحارية لدى المتعلمين في مرحلة المراهقة بحسب تصنيف تصوّر الانتحار على مستوى متوسط.
- عدم وجود ميول انتحارية لدى المتعلمين في مرحلة المراهقة بحسب تصنيف تقييم الذات السلبي على مستوى متوسط، وإنّما على مستوى متدني.
- عدم وجود ميول انتحارية لدى المتعلمين في مرحلة المراهقة بحسب تصنيف العداوة على مستوى متدني، وإنّما على مستوى مرتفع.

بناءً على ما تمّ ذكره من خلال النتائج التي سبق عرضها وفقاً للفرضيات، يُستنتج أنّ الفرضيات لم تتحقق في هذه الدراسة، باستثناء الفرضية التي تناولت تصوّر الانتحار الذي يُعدّ في المرتبة المتوسطة للميول الانتحارية لدى المراهقين حيث جاءت أيضاً في المرتبة المتوسطة بحسب معامل الانحدار الخطي المتعدّد، فبالرغم من وجود

ميول انتحارية لدى المتعلمين المراهقين بشكل واضح وفقاً للفرضيات إلا أنها اختلفت من حيث المستوى والدرجة لكل فرضية فيما يتعلق بالميول الانتحارية لدى أفراد عينة الدراسة.

الملحق رقم (1): أداة الدراسة

مقياس احتمالية الانتحار

م	العبارة	أبداً أو قليلاً من الوقت	بعضاً من الوقت	كثيراً من الوقت	معظم أو طوال الوقت
1	عندما أكون غاضباً غضباً شديداً فأبني أقذف بالأشياء بعيداً.				
2	أشعر بأن العديد من الناس يهملهم أمري جداً.				
3	أشعر بميل أن أكون منهوياً (أو مندفعاً).				
4	أفكر في الأمور بدرجة من السوء لدرجة لا تمكنني من مشاركة الآخرين فيها.				
5	أعتقد أن لدي مسؤوليات كثيرة.				
6	أشعر أن هناك الكثير من الأشياء الهامة يمكنني عملها.				
7	أفكر في الانتحار لكي أعاقب الآخرين.				
8	أشعر بالعداء تجاه الآخرين.				
9	أشعر بأنني منعزل عن الناس.				
10	أشعر بأن الناس يُقدرونني حق قدري.				
11	أشعر أن كثيراً من الناس ستحزنهم وفاتي.				
12	أشعر بوحدة شديدة لا أستطيع تحملها.				
13	يشعر الآخرون بالعداء نحوي.				
14	أشعر أنني سأغيّر الكثير من حياتي إذا ما بدأت من جديد.				
15	أشعر بعدم القدرة على أداء العديد من الأشياء بصورة متقنة.				
16	أعاني المتاعب في الحصول على والاحتفاظ بالوظيفة التي أحبها.				
17	أعتقد أن أحداً لن يفتقدني عندما أغيب.				
18	يبدو أن الأشياء تسير على ما يرام بالنسبة لي.				
19	أشعر أن الناس تتوقع الكثير مني.				
20	أشعر بالحاجة إلى معاقبة نفسي بسبب الأشياء التي أفعالها وأفكر فيها.				
21	أشعر أن العالم لا يستحق أن أعيش فيه.				

22	أخطط للمستقبل بعناية فائقة.			
23	أشعر بأنني ليس لديّ العديد من الأصدقاء الذين يُمكنني التّوّج بهم.			
24	أشعر أنّ النَّاس ستكون أحسن حالاً إذا ما مِت.			
25	أشعر أنّ الموت يكون أقلّ ألماً من أن أعيش الحياة بتلك الطّريقة.			
26	أشعر/ شعرت بأنني قريب من والدتي.			
27	أشعر/ شعرت بأنني قريب من صديق/ صديقتي.			
28	لا أشعر بالأمل في تحسُّن الأمور مستقبلاً.			
29	أشعر أنّ النَّاس لا تتقبّلني أو تستصوب أفعالي.			
30	لقد فكّرت في الطّريقة التي أهلك بها ذاتي.			
31	أنا قلق بشأن الأمور الماليّة.			
32	أفكّر في الانتحار.			
33	أشعر بالتعب وفتور الهمة.			
34	عندما أغضب غضباً شديداً فإنني أحطّم الأشياء.			
35	أشعر/ شعرت بأنني قريب من والدي.			
36	أشعر بعدم القدرة على أن أكون سعيداً بصرف النّظر عن المكان الذي أوجد فيه.			

قائمة المراجع

أولاً- المراجع العربيّة:

- 1- أسعد، مخائيل إبراهيم. (1994). مشكلات الطّفولة والمراهقة، لبنان: دار الجيل، ط: (2).
- 2- البحيري، عبد الرّقيب أحمد. (2013). مقياس احتماليّة الانتحار، مصر: مكتبة الانجلو المصريّة.
- 3- تدمري، رشا عمر. (2020). البحث العلمي من الفكرة إلى ما بعد المناقشة، لبنان: المكتبة العصريّة، ط: (2).
- 4- ثابت، ياسر. (2012). شهقة اليائسين، الانتحار في العالم العربي، لبنان: التّؤوير للطّباعة والنّشر.
- 5- الجبوري، علي محمود، والسّلطاني، نازك. (2014). قياس الميل نحو الانتحار لدى طلبة المرحلة الإعداديّة. مجلة كليّة التّربية للبنات للعلوم الإنسانيّة، العراق: جامعة الكوفة.
- 6- الجرادات، نسرین عيسى. (2015). الأفكار الانتحاريّة وعلاقتها بعوامل الخطر المرتبطة بالقلق والاكتئاب عند الشّباب في المجتمع الفلسطيني، فلسطين: جامعة القدس.

- 7- حميمي، عتاب. (2012). إدراك القلق الشديد وعلاقته بالاكنتاب ومشاعر اليأس لدى شريحة من محاولي الانتحار، الجزائر: مجلة المعارف، عدد (12).
- 8- الشّمري، صادق والمحنة، حنين. (2019). اضطراب الهوية الجنسية وعلاقته بالأفكار الانتحارية لدى طلبة المرحلة الإعدادية، العراق: جامعة بابل.
- 9- مقدم، عبد الحفيظ. (2004). الإحصاء والقياس النفسي والتربوي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط: (2).
- ثانياً- المراجع الأجنبية:

- 10- Agrawal, Ruchi & Talapalliwar, Manoj Rajanna. (2019). Prevalence of Suicide Ideation and Its Pattern Among College Students of The Tribal Region of Central India, **International Journal of Medical Science & Public Health. Vol: 8, Issue: 12.**
- 11- Alderman, Elizabeth M, et all. (2019). Unique Needs of The Adolescent, **Journal of American Academy of Pediatrics– Dedicated to The Health of all children, Volume: 144.** www.pediatrics.aapublications.org.
- 12- Pereira, Adelino & Cardoso, Francisco. (2015). **Suicidal Ideation in University Students: Prevalence and Association with School and Gender**, Scielo– Scientific Electronic Library Online, Brazil.
- 13- World Health Organization. (1996). **Prevention of Suicide: Guidelines for The Formulation and Implementation of National Strategies**, New York: United Nation.

ثالثاً- المواقع الإلكترونية:

14- <https://www.who.int/ar/news-sheets/detail/suicide-room/fact>

شوهد بتاريخ: آب 12، 2021

15- <https://www.aljazeera.net/midan/intellect/sociology/2017/11/9>

شوهد بتاريخ: آب 12، 2021

16- <https://aliwaa.com.lb>

شوهد بتاريخ: آب 13، 2021

17- <https://www.alhurra.com/lebanon/2021/06/25>

شوهد بتاريخ: آب 14، 2021

18- <http://www.emro.who.int/ar/media/news/suicide-strategies.html-prevention>

شوهد بتاريخ: أيلول 10، 2021

عنوان البحث

أهمية التأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية

د. إبراهيم مسعود الفرجاتي¹ أ. أماني فرج البرغثي²

¹ أستاذ مشارك بقسم التمويل والمصارف كلية الاقتصاد جامعة بنغازي .

بريد الكتروني: abraham_m49@yahoo.com

² ماجستير تمويل ومصارف الأكاديمية الليبية بنغازي .

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj2119>

تاريخ القبول: 2021/10/05م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

هدف البحث إلى التعرف على أهمية التأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية، ولتحقيق ذلك تم الاعتماد على المنهج الاستقرائي الذي يهدف إلى القيام بدراسة مكتبية لموضوع التأمين على الودائع والسياسات الائتمانية، ولغرض صياغة فرضية البحث تم الاعتماد على المنهج الاستنتاجي لاختبار الفرضية والوصول إلى نتائج البحث. أجري البحث على المصارف التجارية الرئيسية الستة، وهذه المصارف هي: مصرف الجمهورية، مصرف الصحارى، مصرف الوحدة، مصرف التجاري الوطني، مصرف التجارة والتنمية، مصرف شمال أفريقيا. واقتصر البحث على المصارف التي إدارتها العامة بمدينة بنغازي، والمستهدفون هم مدراء إدارات الائتمان ومدراء إدارة المحاسبة ورؤساء أقسام الائتمان وأعضاء لجنة الائتمان وعينة من موظفي الائتمان. وقد أظهرت نتائج التحليل وجود أهمية للتأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية في المصارف التجارية الليبية محل البحث.

وقد أوصى البحث بمجموعة من التوصيات من أهمها أن تكون هناك شراكة وتعاون ما بين مصرف ليبيا المركزي والمصارف التجارية الليبية في مجال الاستعداد لتطبيق المبادئ الأساسية الفعالة لضمان الودائع الصادرة عن الهيئة الدولية لضمان الودائع.

الكلمات المفتاحية: التأمين على الودائع، السياسات الائتمانية، المصارف التجارية

RESEARCH ARTICLE

THE IMPORTANCE OF DEPOSIT INSURANCE IN THE FLEXIBILITY OF CREDIT POLICIES

Dr. Ibrahim Masoud Ferjani¹

Amani Faraj Al-Barghathi²

¹ Associate Professor, Department of Finance and Banking, Faculty of Economics, University of Benghazi.

Email: abraham_m49@yahoo.com

² Master's degree in finance and banking, the Libyan Academy, Benghazi.

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj2119>

Published at 01/11/2021

Accepted at 05/10/2021

Abstract

The study aimed to identify the importance of deposit insurance in the flexibility of credit policies . To achieve this , an inductive approach was adopted, which aims to conduct a desk study of the issue of deposit insurance and credit policies m or the purpose of formulating the hypothesis of the study m the deductive method was used to test the hypothesis and arrive at the results of the study.

The study was conducted on the six major commercial banks and these banks are; jumhouria Bank, SaharaBank, Unity Bank, National CommercialBank, Trade and DevelopmentBank, North Africa Bank.

The research was limited to banks run by the Benghazi public and targets are directors of credit drpartments , directors of the accounting department , heads of credit departments, members of the credit committee and a sample of credit officers.

The results of the analysis showed that deposit insuranace is important for the flexibility of credit of credit policies in the Libyan commercial banks understudy.

The study recommended a set of recommendations , the most important of which is the there should be partnership and cooperation between the central Bank of Libya and Libyan commercial banks in the field of readiness to implement effective basic principles to guarantee deposits issued by the international Association of Deposit Insurers.

Key Words: deposit insurance, credit policies, commercial banks

المقدمة :

تواجه المصارف التجارية العديد من التحديات، أهمها تحقيق الاستقرار المصرفي، ومن الأعمال التي تقدمها المصارف، هي قبول الودائع بجميع أنواعها، إذ تتعرض هذه الودائع إلى العديد من المخاطر، لذلك تسعى الهيئات الرقابية والإشرافية المصرفية لمجابهة هذه المخاطر والبحث عن آليات الحماية والمحافظة على ودائع العملاء وكسب ثقتهم لاستثمارها.

ومن هنا ظهرت أهمية التأمين على الودائع المصرفية وحماية أموال المودعين في الفترة الأخيرة، باعتبار أن التأمين على الودائع يساعد على حصر التحديات المصرفية ويطمئن المودعين على سلامة مدخراتهم ويخفض من تسرب المدخرات المحلية للمصارف الخارجية.

يُعد التأمين على الودائع المصرفية هدف رئيسي للحكومات لحماية ديون المصارف وودائعها من أي خطر يقابلها يمكن أن يهدد سلامتها ودرجة الثقة في أدائها الذي ينعكس على أداء الجهاز المصرفي ككل.

تكمن أهمية وجود نظام حماية الودائع في تحقيق هدفين رئيسيين، الأول حماية حقوق المودعين في حالة تعرض المصارف لمشاكل مالية، فهو يحقق نوعاً من الضمان لأموال المودعين، والثاني يحافظ على سلامة المراكز المالية للمصارف وتفاذي تعرضها للإعسار المالي والإفلاس.

الدراسات السابقة:

تعددت الإسهامات العلمية في التأمين على الودائع المصرفية ، حيث قام **أبوسمرة (2007)** بدراسة هدفت إلى معالجة مشكلة انخفاض حجم الودائع المصرفية في المصارف الوطنية التجارية الفلسطينية مقارنة مع المصارف الوافدة، وتوصلت الدراسة إلى مجموعه من النتائج منها وجود علاقة ايجابية قوية بين حجم الودائع المصرفية وبين السياسات الرئيسية (كالسياسات المتعلقة بالائتمان والاستثمارات والنشاطات الأخرى).

وفي سياق آخر قام كلا من **Davis and Obasi (2009)** بدراسة العلاقة بين التأمين على الودائع والمخاطر المالية للمصارف البريطانية، وتوصلت الدراسة إلى وجود أثر للتأمين على الودائع على مخاطر الائتمان، ولا يوجد أثر للتأمين على الودائع على مخاطر السيولة ومخاطر رأس المال.

وكذلك قام **Yagcilar (2014)** بدراسة أثر التأمين على الودائع والمخاطر المالية للمصارف التركية، وتوصلت الدراسة إلى أن التأمين على الودائع يؤثر على مخاطر الائتمان ومخاطر سعر الفائدة، ولا يوجد أثر للتأمين على الودائع على مخاطر راس المال.

وايضاً قدم **الزوعون (2017)** بدراسة مقارنة لأثر التأمين على الودائع ومخاطر الائتمان للمصارف، وتوصلت الدراسة إلى أن أنظمة التأمين على الودائع ساهمت في تحسين إدارة مخاطر الائتمان في بعض الدول.

ومن جهة أخرى في دراسة قام بها **الأعرج (2009)** لأهمية نظام ضمان الودائع في تدعيم شبكة الأمان المالي في الجهاز المصرفي الفلسطيني، وتوصلت الدراسة الي مجموعه من النتائج منها أن نظام ضمان الودائع يساهم في وضع آليات للتعامل مع الأزمات قبل حدوثها، ويعمل على جذب المزيد من الودائع.

وفي محاولة لمعرفة دور نظام ضمان الودائع في التقليل من التعثر المصرفي، قام **بلعربي (2016)** بدراسة نظام ضمان الودائع والسمات الرئيسية له وإبراز دور نظام ضمان الودائع في التقليل من التعثر المصرفي في

المصارف الجزائرية، وتوصلت الدراسة الي مجموعه من النتائج منها أن نظام ضمان الودائع يزيد الثقة في المؤسسات المالية والنظام المالي ككل وبالتالي يتحقق الاستقرار لهذه المؤسسات، كما أن له دوراً مزدوجاً: وقائياً وعلاجياً.

كما قام ميلاد وعقيل (2017) بدراسة أهمية نظام ضمان الودائع والدور الذي يقوم به في استقرار الجهاز المصرفي وتعزيز الثقة المصرفية، خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها :- أن نظام ضمان الودائع سيكون له تأثير إيجابي على درجة الثقة في الجهاز المصرفي الليبي، وأن نظام ضمان الودائع يزيد من درجة استقرار الودائع وجذب المزيد من المدخرات في الجهاز المصرفي الليبي.

وقام كمال (2012) بدراسة دور نظام التأمين على الودائع في سلامة المصارف من التعثر ، وتوصلت دراسته الي أن نظام التأمين على الودائع في الجزائر يؤدي إلى زيادة حجم الودائع لدى المصارف نظراً لتعزيز ثقة المودعين، الامر الذي ينعكس ايجابيا على إمكانية المصرف في توظيف هذه الودائع.

وكما في دراسة المعاينة (2018) هدفت إلى قياس أثر درجة استقرار ودائع العملاء المصرفية على الأداء المصرفي للبنوك التجارية الأردنية، وتوصلت الدراسة إلى مجموعه من النتائج أهمها وجود أثر إيجابي للودائع الأكثر استقراراً ، أي قدرة هذه البنوك على توجيه الودائع المستقرة نحو الاستثمارات المدرة للدخل، في حين أظهرت الدراسة اثر سلبي للودائع الغير مستقرة على الأداء المصرفي للبنوك التجارية الأردنية، حيث لا تستطيع البنوك التجارية توجيه الودائع الغير مستقرة إلى استثمارات مدرة للدخل.

ومن خلال استعراض الدراسات السابقة تبين ان هناك علاقة ايجابية بين حجم الودائع والسياسات المتعلقة بالائتمان، والتأمين على الودائع (يساهم في تحسين إدارة الائتمان، يؤثر ايجابياً في مخاطر الائتمان، يعمل على جذب المزيد من الودائع، يزيد من درجة استقرار الودائع، يؤدي إلى زيادة حجم الودائع لدى المصارف نظراً لتعزيز ثقة المودعين).

ونجد أن الدراسات السابقة تتفق على أهمية دراسة الودائع المصرفية، إلا أن هذا البحث يُعد من أوائل البحوث التي تهدف إلى معرفة أهمية التأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية للمصارف التجارية الليبية، ولذا فهي تعالج الفجوة العلمية والتي لم يتم تناولها في الدراسات السابقة، ولقد كانت هناك استفاضة من الدراسات السابقة تتمثل في المساعدة في صياغة مشكلة الدراسة وأسئلة الاستبيان.

مشكلة البحث:

تعد الودائع من المكونات المهمة في الجهاز المصرفي، الا ان هذه الودائع في المصارف قد تواجهها العديد من المشاكل من بينها احتفاظ المودعين بأموالهم الخاصة والعزوف من إيداعها في المصارف، وقد يرجع السبب في ذلك إلى حدوث العديد من الظروف الغير مستقرة منها حدوث الأزمات المالية المتكررة.

وبالنظر إلى الجهاز المصرفي الليبي أنه يعمل في ظروف غير مستقرة، الامر الذي يشير إلى وجود مشكلة في استقطاب وجذب الودائع والتي لها علاقة مباشرة بالسياسات الائتمانية، لذلك فقد تم، انشأ صندوق ضمان أموال المودعين تنفيذاً لأحكام المادة رقم (91) أولاً من القانون رقم (1) لعام 2005 م بشأن المصارف، والتي تقضي

بأن "ينشأ صندوق يسمى صندوق ضمان أموال المودعين، يتولى عمليات التأمين على الودائع بالمصارف العاملة في ليبيا، ويضم في عضويته جميع المصارف العاملة التي تقبل الودائع"، وفي ذات الإطار أصدر القرار رقم (513) لعام 2009 م، بشأن إصدار النظام الأساسي للصندوق، ليصدر مجلس إدارة مصرف ليبيا المركزي قراره رقم (3) لعام 2010 بشأن تعيين مجلس إدارة الصندوق، ليبدأ مجلس إدارة الصندوق في مباشرة أعماله اعتباراً من بداية شهر فبراير 2010. واعتبرت بداية العام 2010 م تاريخاً لبدء نفاذ نظام الصندوق.

عليه يمكن صياغة مشكلة البحث في السؤال الآتي:

ما أهمية التأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية؟

فرضية البحث:

لا توجد أهمية للتأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية في المصارف التجارية الليبية.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى التعرف على أهمية التأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الآتي:

- إبراز أهمية نظام التأمين على الودائع الأمر الذي يؤدي إلى تقوية الجهاز المصرفي.
 - العمل على تعزيز الثقة في الجهاز المصرفي من خلال المساهمة في تطوير سياسة استقطاب الودائع.
- مفهوم المصارف التجارية:**

تلعب المصارف التجارية في ليبيا دورها المهم في التنمية الاقتصادية من حيث تهيئة الأموال وضخها في مجالات استثمارية متعددة تسهم بشكل أو بآخر في تنمية وتطوير مختلف القطاعات الاقتصادية والمساهمة في البنية الأساسية للاقتصاد الليبي. وتتميز هذه المصارف بانتشارها الجغرافي الأوسع على مستوى البلاد، وتقوم هذه المصارف بتقديم العديد من القروض والتسهيلات الائتمانية إلى الشركات، كما أنها تقدم بعض الخدمات المصرفية وخدمات الإيجار التمويلي، وبذلك فإن المصارف التجارية في ليبيا تقوم بتقديم خدمات تقترب من مفهوم المصارف الشاملة.

ويختلف تعريف المصارف التجارية باختلاف المنهج الذي يستخدمها لباحثون وباختلاف النظرة إلى الوظائف التي تؤديها تلك المصارف، لذلك تنوعت التعريفات، فعرف **عبد الباقي (2015:12)** المصرف التجاري بأنه " نوع من أنواع المؤسسات المالية التي يتركز نشاطها في قبول الودائع ومنح الائتمان وبهذا المفهوم يعتبر المصرف التجاري وسيط بين أصحاب الفائض وأصحاب العجز".

وعرفها **حسن (2019:23)** على إنها "مجموعة من الوسطاء الماليين الذين يقومون بقبول ودائع تُدفع عند الطلب، أو لأجل محددة، وتزاول عمليات التمويل الداخلي، والخارجي، وخدمته بما يحقق أهداف خطة التنمية، وسياسة الدولة، ودعم الاقتصاد القومي، وتباشر عمليات تنمية الادخار، والاستثمار المالي في الداخل والخارج، بما يساهم في إنشاء المشروعات، وما يتطلب من عمليات مصرفية، وتجارية، ومالية، وفقاً للأوضاع التي يقررها البنك المركزي".

ورد بالمادة (65) من قانون المصارف رقم (1) لسنة 2005 تعريفاً للمصرف التجاري على أنه: "يعتبر مصرفاً تجارياً كل شركة تقوم بصفة معتادة بقبول الودائع في حسابات جارية تدفع عند الطلب أو لأجل، وفتح الاعتمادات وتحصيل الصكوك المسحوبة من الزبائن أو عليهم ومنح القروض والتسهيلات الائتمانية وغير ذلك من الأعمال المصرفية".

وظائف المصارف التجارية:

للمصارف التجارية مجموعة من الوظائف الفنية هي **الفرجاني(2020):**

- قبول الودائع بجميع أنواعها: يقبل المصرف ودائع تحت الطلب وهي التي يحق للمودع سحبها كلها أو جزء منها بمجرد الطلب، وودائع لأجل وهي التي يسحبها المودع بعد فترة زمنية يتفق عليها، بفائدة معلومة.
- تحصيل الصكوك المسحوبة من العملاء أو عليهم.
- الائتمان: تستخدم المصارف جزء من الأموال المودعة لديها في منح القروض والسلفيات والتسهيلات الائتمانية.
- فتح الاعتمادات المستندية: يستعمل الاعتماد المستندي في تمويل التجارة الخارجية ويُعرّف بأنه تعهد يصدره المصرف بناء على طلب زبونه (المستورد) لصالح المستفيد (المُصدّر) مقابل عمولة يتقاضاها المصرف.
- تحصيل الأوراق التجارية (الكمبيالات) لصالح الزبائن والدفع نيابة عنهم.
- خصم الأوراق التجارية قبل موعد استحقاقها وإعادة خصمها لدى المصرف المركزي.
- الإقراض بضمان الأوراق التجارية.
- حفظ بصفة أمانة وشراء وبيع أوراق مالية لصالح العملاء أو المصرف.
- إصدار الأوراق المالية نيابة عن الشركات.
- تحصيل ودفع كوبونات الأوراق المالية والتسليف بضمان الأوراق المالية وغيرها.
- إصدار خطابات الضمان بأنواعها المختلفة.
- شراء وبيع العملات الأجنبية.
- إصدار وقطع الصكوك السياحية (أي تحويل قيمة الصك السياحي إلى عملة محلية).

الودائع المصرفية:

تحرص المصارف على تنمية الودائع من خلال تنمية الوعي المصرفي، كما نجد مجموعة المودعين سواء كانوا أفراد، رجال أعمال أو أجهزة حكومية يفضلون الاحتفاظ بودائعهم في المصارف التجارية وذلك لأسباب عدة منها تقديم هذه المصارف الأمان لمدخراتهم كما تدر عائداً ناتجاً عن الودائع لأجل وودائع الادخار، وكخطوة أولى لعملية إنشاء الوديعة والتي تبدأ من الإيداع النقدي بالحساب المصرفي للعملاء والتي تعتبر في هذه الحالة تنازل الزبون عما لديه من مال أو أموال وفقاً لعقد فتح الحساب لدى المصرف حيث يقوم المصرف بالاحتفاظ بهذه الأموال واستخدامها في كل من تسوية مدفوعاته ومعاملاته المالية وكذلك استخدام جزء هذه الأموال في عمليات المصرف المتعلقة بالائتمان الذي يقوم بمنحه، حيث أن المصارف تقوم بدور الوساطة بين المودعين والمقترضين وهي الجهات التي تحتاج إلى التمويل (الصيرفي، 2016).

هناك عدة تعريفات للوديعة المصرفية حيث عرفها هندي (1994:103)، على أنها "اتفاق يدفع بمقتضاه المودع مبلغاً من النقود بوسيلة من وسائل الدفع ويلتزم بمقتضاه المصرف برد هذا المبلغ للمودع عند الطلب أو حينما يحل أجله، كما قد يلتزم بدفع فوائد على قيمة الوديعة".

ويعرف حسين (2002:146) الوديعة المصرفية بأنها "عبارة عن الأموال التي يتلقاها المصرف من الأفراد والمشروعات والحكومة والمؤسسات المالية والمصرفية في شكل إيداع حقيقي من النقود القانونية".
التأمين على الودائع المصرفية:

أساس ظهور التأمين على الودائع المصرفية هو حماية صغار المودعين وكذلك مخاطر إفلاس المصارف أو توقفها عن العمل بحيث يتم تكوين صندوق للتأمين على الودائع تشترك فيه جميع المصارف العاملة في الدولة وذلك من خلال دفع رسوم اشتراكات تلزمها السلطات النقدية بدفعها وذلك من خلال مبالغ معينة من الودائع لدى المصارف المشاركة في الصندوق ويتم وضع حد أقصى لقيمة الودائع التي يمكن للمصرف أن يضعها ضمن التأمين لدى الصندوق (إبراهيم وناجي، 2016).

ويتلخص مفهوم التأمين على الودائع بأن يقوم كل مصرف مشارك في الصندوق بدفع نسبة معينة من إجمالي الودائع لديه إلى الصندوق الذي يمكن إنشاءه من البنك المركزي أو شارك في إدارته ويتولى اشتراكات الأموال الخاصة بالصندوق لتنميتها.

يعتبر تأمين الودائع كأحد الموارد الأساسية بالنسبة للمصارف و كمصدر أولي لتمويل الطلب على الاستثمار، وكان ظهور مؤسسات تأمين في معظم الدول مستهدفة و تأكيد الثقة بالنظام المالي و المصرفي عمل ما و تشجيع الادخار وإضفاء مرونة على السياسات النقدية في محيط التطبيق إن نظام تأمين الودائع لا يعوض المودعين عن الخسائر الناتجة عن فشل مصارفهم فحسب بل يعتبر نظاماً وقائياً بالإضافة إلى وظيفة العلاجية، حيث أن المؤسسة المسؤولة عن نظام تأمين الودائع يجب أن تطلع على الوضع المالي للمصارف و تقوم بتحليله، مما يساعد على وقاية مودعيها من الخسائر التي قد يتعرض لها المصرف (مغنية، 2015).

الهيئة الدولية لضمان الودائع:

تأسست الهيئة الدولية لضمان الودائع في عام 2002 ومقرها بازل (سويسرا) للمساهمة في تعزيز أنظمة فعالة للتأمين على الودائع وذلك من خلال التعاون الدولي وتقوم هذه الهيئة بإجراء البحوث والدراسات بهدف تحسين ذلك النظام في دول الأعضاء كما تتم المشاركة في ورش العمل، والمؤتمرات الدولية وغيرها، تضم الهيئة الدولية في عضويتها 80 مؤسسة للتأمين على الودائع من 77 دولة ولقد انظم صندوق ضمان أموال المودعين في ليبيا لعضوية الهيئة في سنة 2012؛ وأصدرت الهيئة مجموعة المبادئ لأنظمة ضمان الودائع وعددها (16) مبدأ أساسياً صدرت عن الجمعية الدولية لضمان الودائع ولجنة بازل للرقابة المصرفية (صندوق ضمان أموال المودعين، التقرير السنوي 2014).

السياسة الائتمانية:

يشير مفهوم السياسة الائتمانية الخاصة بالمصارف إلى مجموعة القواعد والوسائل التي يتبعها لزيادة موارده من جهة، ولاستخدامها الاستخدام الأمثل من جهة أخرى للموازنة بين موارده والتسهيلات الائتمانية التي يمنحها، وكل

ذلك مع الاحتفاظ لنشاطه بقدر من الثبات في الزمن القصير مع النزوع إلى التوسع في الزمن الطويل مجارة منه في ذلك لاتجاه النشاط الاقتصادي العام نحو التوسع والنمو (علي، 2016).

وتعرف السياسة الائتمانية بأنها: بأنها مجموعة من المبادئ والأسس التي تنظم أسلوب دراسة ومنح الائتمان وأنواع الأنشطة الاقتصادية التي يمكن تمويلها، وكيفية تقدير مبالغ التسهيلات المطلوب منحها وأجلها الزمنية وشروطها الرئيسية (لامية، 2015).

كما عرفها الدباس (16:2013) بأنها " الإطار العام الذي يضمن مجموعة المبادئ والقواعد التي تنظم عملية دراسة وإقرار ومنح ومتابعة التسهيلات الائتمانية، وتحديد مجالات النشاط التي يمكن إقراضها وما يتصل بها من سقف ائتمانية وعناصر تكلفة وحدود زمنية لا يجب أن تتعدها والشروط المتعين استيفاؤها لكل نوع من أنواع التسهيلات "

أغراض السياسة الائتمانية:

تحقق السياسة الائتمانية للمصارف عدة أغراض في مقدمتها (علي، 2016):

- سلامة التسهيلات الائتمانية التي يمنحها المصرف.
- تنمية نشاط المصرف بصفة مستمرة، وتحقيق عائد مرضي.
- كفالة الرقابة المستمرة على عملية منح التسهيلات الائتمانية وتنفيذها وضماناتها ومتابعة مصادر إيراداتها وسدادها في مراحلها المختلفة.

اثر نظام التأمين على الودائع على السياسات الائتمانية:

كلما كانت مستوى الخدمات التي يقدمها المصرف لزمائنه ممتازة، وكلما زاد استقرار الودائع لدى المصرف زادت ثقة المتعاملين معه مما يؤدي إلى ارتفاع حجم الودائع واستقطابها سواء كانت من القطاعات العامة والخاصة وبجميع العملات (المحلية والأجنبية)، بالإضافة إلى ضمان استرداد ودائعهم المؤمن عليها إذا ما واجه المصرف حالات إفسار (المغربي، 2020)، ونتيجة لزيادة حجم الودائع تستطيع المصارف التوسع في نشاطها الرئيسي وهو تقديم الائتمان للعملاء الجيدين والذين لديهم جدارة ائتمانية عالية.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي " Inductive Approach " الذي يهدف إلى القيام بدراسة مكتبية لموضوع التأمين على الودائع ومرونة السياسات الائتمانية للمصارف محل البحث وذلك من خلال أدبيات التمويل والدوريات والمجلات العلمية المتعلقة بموضوع البحث، ولغرض صياغة فرضية البحث تم الاعتماد على المنهج الاستنتاجي "Deductive Approach" لاختبار الفرضية والوصول إلى نتائج البحث، حيث تمّ الاعتماد على مصدرين في جمع البيانات، هما:

- المصادر الأولية: حيث تمّ جمع البيانات الأولية من خلال توزيع استمارة الاستبيان على المشاركين في البحث.

- المصادر الثانوية: وتشمل الكتب والدراسات والأبحاث والدوريات والمواقع الإلكترونية المتعلقة بموضوع البحث.

مجتمع وعينة البحث:

يتألف مجتمع البحث من المصارف التجارية الليبية، وقد تمّ الاقتصار على المصارف التجارية الرئيسية الستة وذلك لكبر حجمها حسب الأصول وحسب الودائع وحسب الائتمان الممنوح (مصرف ليبيا المركزي ، 2016)، وهذه المصارف هي: (مصرف الجمهورية، مصرف الصحارى، مصرف الوحدة، المصرف التجاري الوطني، مصرف التجارة والتنمية، مصرف شمال أفريقيا)، والمستهدفون هم مدراء إدارات الائتمان ومدراء إدارة المحاسبة ورؤساء أقسام الائتمان وأعضاء لجنة الائتمان وعينة من موظفي الائتمان.

وسيلة جمع البيانات:

تمّ استخدام استمارة الاستبيان كأداة رئيسية لجمع البيانات، وذلك لما تتمتع به هذه الأداة من مزايا عديدة، حيث تساهم في توفير الوقت والجهد في عملية جمع البيانات، كما تمنح هذه الوسيلة الإمكانية للحصول على معلومات من عدد كبير من الأفراد المتباعدين جغرافياً بأقصر وقت ممكن مقارنة بوسائل جمع البيانات البديلة، وقد تم صياغة أسئلة الاستبيان من خلال الاطلاع على الأدب والدراسات وثيقة الصلة بموضوع البحث، وتتكون استمارة الاستبيان في هذا البحث من جزأين، الجزء الأول يتعلق بخصائص أفراد عينة البحث وهي: المؤهل العلمي، عدد سنوات الخبرة في مجال المصارف، التخصص أما القسم الثاني يتعلق بمعلومات عن أهمية التأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية، ويتكون من (17) فقرة.

حدود البحث:

اقتصر البحث على الآتي:

- معرفة أهمية التأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية.
- المصارف التي إدارتها العامة بمدينة بنغازي، وتمت دراسة إدارة الائتمان وإدارة المحاسبة بالإدارة العامة وأقسام الائتمان بالفروع الرئيسية بمدينة بنغازي.
- المصارف التي إدارتها العامة خارج مدينة بنغازي، تمت دراسة إدارة الائتمان بإدارة الفروع وأقسام الائتمان بالفروع الرئيسية بمدينة بنغازي.

- مصرف الجمهورية (إدارة فروع المنطقة الشرقية، الفرع الرئيسي بنغازي).
- مصرف الصحارى (إدارة فروع المنطقة الشرقية، الفرع الرئيسي بنغازي).
- مصرف الوحدة (الإدارة العامة، الفرع الرئيسي بنغازي).
- المصرف التجاري الوطني (إدارة فروع بنغازي، الفرع الرئيسي بنغازي).
- مصرف التجارة والتنمية (الإدارة العامة، الفرع الرئيسي بنغازي).
- مصرف شمال أفريقيا (الفرع الرئيسي بنغازي).

التحليل الإحصائي للبيانات:

يتكون التحليل الإحصائي للبيانات في هذا البحث من صدق وثبات البيانات، اختبار التوزيع الطبيعي، تحليل بيانات الاستبيان وصفيًا باستخدام المتوسط الحسابي والانحراف المعياري، واستخدام تحليل الإشارة في اختبار الفرضية.

صدق وثبات الاستبيان:

يقصد بثبات الاستبيان استقراره وعدم تناقضه مع نفسه ويعطي نفس القيم عند إعادة تطبيقه، أما الصدق فيقصد به أن الاستبيان يقيس ما وضع لقياسه، وكلما ازدادت درجة ثبات وصدق بيانات الاستبيان كلما ازدادت الثقة فيها (عبدالفتاح، 2008).

وللتحقق من صدق وثبات بيانات الاستبيان المتحصل عليها من المبحوثين تم استخدام اختبار ألفا كرونباخ، فإذا كانت قيمة ألفا أكبر من (60%) فهذا يعني أن بيانات البحث ذات ثبات عالي وموثوق، أما إذا كانت قيمة ألفا كرونباخ أقل من (60%) فهذا يعني عدم ثبات بيانات البحث، وكانت نسبة ثبات اختبار ألفا كرونباخ لبيانات هذا البحث (88.3%) ونسبة صدق اختبار ألفا كرونباخ لبيانات هذا البحث بشكل عام (93.9%)، وهذا يدل على أن بيانات البحث ذات ثبات وصدق عالي.

جدول (1): نتائج ثبات وصدق أداة البحث

البيان	عدد الفقرات	معاملات الثبات	معاملات الصدق
أهمية التأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية	17	0.883	0.939

اختبار التوزيع الطبيعي:

تم استخدام اختبار kolmogorov-Smirnov Test لاختبار ما إذا كانت البيانات تتبع التوزيع الطبيعي من عدمه، وقد أشارت نتائجه إلى عدم تبعية بيانات البحث للتوزيع الطبيعي، لأن القيم الاحتمالية لبيانات البحث أقل من مستوى الدلالة (0.05).

جدول (2): نتائج اختبار التوزيع الطبيعي kolmogorov-Smirnov

البيان	القيمة الاحصائية	القيمة الاحتمالية
أهمية التأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية	0.092	0.027

ووفقاً لهذه النتائج تم استخدام الاختبارات اللامعلمية لاختبار فرضية البحث.

تحليل بيانات الاستبيان:

تم توزيع استمارات الاستبيان على المشاركين في البحث والذين شملتهم عينة البحث، حيث تم توزيع عدد (120) استمارة استبانة على المشاركين في البحث وقد بلغ عدد الاستمارات المستردة (110) استمارة من ضمنها (4) غير صالحة للتحليل الإحصائي، بالتالي يكون عدد الاستمارات الداخلة في التحليل (106)، والجدول (3) يوضح ذلك:

جدول (3): عدد الاستثمارات الموزعة والمستردة والداخلة في التحليل

النسبة	العدد	البيان
100%	120	استثمارات الموزعة
92%	110	استثمارات المستردة
8%	10	استثمارات غير مستردة
		استثمارات غير صالحة للتحليل
3%	4	
88%	106	استثمارات داخلة في التحليل

تحليل البيانات الأولية للبحث:

يتضمن هذا الجزء من استمارة الاستبيان الأسئلة المتعلقة بخصائص المشاركين في البحث كما هو مبين في الجدول رقم (4) على النحو التالي:

- أن ما نسبته (17.95%) من المشاركين هم من حملة الشهادات العليا الدكتوراه والماجستير، وأن ما نسبته (60.4%) هم من حملة شهادة البكالوريوس، في حين لا تتجاوز نسبة حملة الشهادة الثانوية أو ما يعادلها (21.65%)، مما يعني أن أغلب المشاركين في البحث لديهم من التأهيل العلمي ما يمكنهم من فهم أسئلة الاستبيان ومن ثم الإجابة عليها بدقة، مما يعزز من مستوى الثقة في المعلومات المتحصل عليها من المشاركين في البحث.
- أن ما نسبته (87.8%) من المشاركين في البحث لديهم سنوات خبرة (من 5 سنوات فأكثر)، كما أن نسبة المشاركين الذين لديهم سنوات خبرة أقل من (5) سنوات لا تتجاوز (12.3%)، وهذا مؤشر إيجابي على أن المشاركين في البحث يتمتعون بقدر كافي من الخبرة العملية في مجال العمل بقطاع المصارف للإجابة على أسئلة الاستبيان.
- أن النسبة الأكبر للمشاركين في البحث بنسبة (90.6%) في مجال العلوم المالية والمصرفية والاقتصاد، ونسبة (9.4%) من التخصصات العلمية الأخرى، وهذا يعتبر مؤشر جيد على ملائمة البيانات حيث أن البحث ذي علاقة أصيلة بهذه التخصصات.

جدول (4): التوزيع النسبي لإجابات أفراد العينة على السؤال المتعلق بالمؤهل العلم

المتغير	الفئات	العدد	النسبة
المؤهل العلمي	دكتوراه	4	3.8%
	ماجستير	15	14.15%
	بكالوريوس أو ما يعادلها	64	60.4%
	ثانوية أو ما يعادلها	23	21.65%
المجموع		106	100%
سنوات الخبرة	اقل من 5 سنوات	13	12.3%
	من 5 إلى 9 سنوات	22	20.8%
	من 10 إلى 14 سنة	32	30.2%
	15 سنة فأكثر	39	36.8%
المجموع		106	100%
التخصص	تمويل ومصارف	22	20.8%
	محاسبة	45	42.5%
	اقتصاد	16	15.1%
	إدارة	13	12.2%
	تخصصات أخرى	10	9.4%
المجموع		106	100%

تحليل البيانات الخاصة بفرضية البحث:

اعتمد البحث تصميماً إحصائياً لمعرفة آراء واتجاهات المشاركين في البحث حول أهمية التأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية، وذلك من خلال عبارات الاستبانة التي صممت لهذا الغرض، وهذا التصميم عبارة عن مقياس إحصائي لتحليل المتوسطات الحسابية، ويعتمد على تحديد طول خلايا مقياس ليكرت الخماسي (الحدود الدنيا والعليا)، والذي يتكون من الإجابات التالية (موافق بشدة- موافق- محايد- غير موافق- غير موافق بشدة)، وقد تم صياغة جميع الفقرات بشكل إيجابي، وقد أعطيت الإجابات الأوزان كما هو موضح بالجدول رقم (5).

جدول (5): توزيع الأوزان على إجابات الاستبيان

الإجابة	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
الوزن	5	4	3	2	1

وبالتالي يمكن تحديد المتوسط النظري لمقياس البحث عن طريق المعادلة الشهيرة للمتوسط الحسابي وهي $\text{المتوسط النظري} = \text{مجموع الأوزان} / \text{عددها}$ ، وبالتالي فإن المتوسط النظري $= 5 / 15 = 3$. وعليه فإن المتوسط الحسابي النظري لمقياس البحث يساوي (3) وقد تمّ اعتماد ذلك في هذا البحث، حيث اعتبر أن كل ما يزيد عن المتوسط الحسابي النظري للبحث بأنه اتجاه إيجابي، وما قلّ عن المتوسط النظري لمقياس البحث بأنه اتجاه سلبي أو محايد.

وقد تمّ تحديد المتوسط الحسابي المرجح للإجابات عن طريق حساب المدى بطرح أكبر قيمة للمقياس من اقل قيمة $(4 = 1 - 5)$ ، ثم تقسيم المدى على أكبر قيمة في المقياس $(4 = 5 \div 0.80)$ ونضيف هذه القيمة إلى اقل قيمة للمقياس للحصول على المستوي الأول والجدول رقم (6) يوضح ذلك:

جدول (6): مستوى المتوسط الحسابي المرجح

مدى الموافقة	عالي جداً	عالي	متوسط	منخفض	منخفض جداً
المستويات	5-4.20	4.19-3.40	-2.60 3.39	-1.80 2.59	1.79-1

تحليل إجابات المشاركين حول أهمية التأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية:

يبين الجدول رقم (7) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن النسبي لاستجابات أفراد العينة لأهمية التأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية.

جدول (7): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن النسبي لاستجابات أفراد العينة لأهمية التأمين

على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية

الرقم	العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتبة	المستوى
1	التأمين على الودائع يساعد المصرف في إتباع سياسات التمويل المباشر.	4.11	0.72	%82.30	1	عالي
2	التأمين على الودائع يساعد المصرف في تقديم القروض للعملاء ذوي الجدارة الائتمانية الجيدة دون ضمانات.	3.70	0.99	%74.00	14	عالي
3	التأمين على الودائع يساعد المصرف على التوسع الائتماني.	3.95	0.86	%79.10	4	عالي
4	التأمين على الودائع يساعد المصرف على إمكانية إدارة مخاطر الائتمان بشكل يساعد على تخفيضها.	4.02	0.77	%80.40	3	عالي
5	التأمين على الودائع يساهم في زيادة المنافسة بين المصارف في تطوير السياسات الائتمانية.	4.06	0.85	%81.10	2	عالي
6	التأمين على الودائع يساعد المصرف على زيادة	3.85	0.85	%77.00	8	عالي

					التسهيلات الائتمانية المخصصة للتجارة الخارجية.	
7	التأمين على الودائع يساعد المصرف في وضع ضوابط حول نوعية وحجم الائتمان الممنوح.	3.80	0.84	76.00%	9	عالي
8	التأمين على الودائع يشجع المصرف على زيادة حجم الائتمان لكل قطاع في محفظة الائتمان.	3.75	0.78	74.90%	12	عالي
9	التأمين على الودائع يشجع المصرف على منح الائتمان للقطاعات الاقتصادية عالية المخاطر.	3.71	1.04	74.20%	13	عالي
10	التأمين على الودائع يشجع المصرف على زيادة مبلغ الائتمان للمشاريع الحيوية.	3.92	0.92	78.50%	5	عالي
11	التأمين على الودائع يؤدي إلى زيادة مستوى الصلاحيات وسقوف الائتمان الممنوحة لمسؤولي الائتمان.	3.75	0.81	75.10%	11	عالي
12	التأمين على الودائع يشجع المصرف على إتباع سياسات ائتمانية غير متشددة.	3.48	1.03	69.60%	17	عالي
13	التأمين على الودائع يشجع المصرف على منح ائتمان طويل الأجل لأكثر من 7 سنوات.	3.56	0.94	71.10%	16	عالي
14	التأمين على الودائع يخفف العبء على المصرف المركزي كونه يؤدي دور المقرض الأخير.	3.65	0.85	73.00%	15	عالي
15	التأمين على الودائع يساعد المصرف على تحقيق المزيج المناسب بين الودائع والقروض لخلق مرونة في منح الائتمان.	3.86	0.94	77.20%	7	عالي
16	التأمين على الودائع يساهم في خفض تسرب النقود خارج المصرف مما يساعد في خلق مرونة في منح الائتمان.	3.77	0.94	75.50%	10	عالي
17	التأمين على الودائع يساهم في تجنب المخاطر مما يساعده في خلق مرونة في منح الائتمان.	3.89	0.88	77.70%	6	عالي
3.82					المتوسط العام	
0.53					الانحراف المعياري	

يتضح من خلال مطالعة البيانات الواردة في الجدول رقم (7) أن المتوسطات الحسابية لفقرات أهمية التأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية تراوحت بين (3.48 - 4.11) وانحرافات معيارية (1.03 - 0.72). كما يتبين من الجدول أن الفقرات التي تقيس فقرات أهمية التأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية قد جاءت بالترتيب التنازلي التالي:

• حيث جاءت فقرة " التأمين على الودائع يساعد المصرف في إتباع سياسات التمويل المباشر " في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (4.11) وانحراف معياري (0.72) وبوزن نسبي بلغ (82.30%)، وحسب المتوسط المرجح فإن هذه الفقرة تأتي في المستوى العالي.

- في حين جاءت فقرة " التأمين على الودائع يساهم في زيادة المنافسة بين المصارف في تطوير السياسات الائتمانية " في المرتبة الثانية بمتوسط (4.06) وانحراف معياري (0.85) ووزن نسبي بلغ (81.10%)، وحسب المتوسط المرجح فإن هذه الفقرة تأتي في المستوى العالي.
- وقد جاءت فقرة " التأمين على الودائع يساعد المصرف على إمكانية إدارة مخاطر الائتمان بشكل يساعد على تخفيضها " في المرتبة الثالثة، بمتوسط حسابي قدره (4.02) وانحراف معياري (0.77) والوزن النسبي (80.40%)، وحسب المتوسط المرجح فإن هذه الفقرة تأتي في المستوى العالي.
- وقد جاءت فقرة " التأمين على الودائع يساعد المصرف على التوسع الائتماني " في المرتبة الرابعة، بمتوسط حسابي قدره (3.95) وانحراف معياري (0.86) والوزن النسبي (79.10%)، وحسب المتوسط المرجح فإن هذه الفقرة تأتي في المستوى العالي.
- وقد جاءت فقرة " التأمين على الودائع يشجع المصرف على زيادة مبلغ الائتمان للمشاريع الحيوية " في المرتبة الخامسة وبمتوسط حسابي قدره (3.92) وانحراف معياري قدره (0.92) وبوزن نسبي بلغ (78.50%)، وحسب المتوسط المرجح فإن هذه الفقرة تأتي في المستوى العالي.
- كما جاءت فقرة " التأمين على الودائع يساهم في الحفاظ على سلامة المركز المالي للمصرف وتجنبه للمخاطر مما يساعده في خلق مرونة في منح الائتمان " في المرتبة السادسة، بمتوسط حسابي قدره (3.89)، وانحراف معياري بلغ (0.88)، ووزن نسبي بلغ (77.70%)، وحسب المتوسط المرجح فإن هذه الفقرة تأتي في المستوى العالي.
- كما جاءت فقرة " التأمين على الودائع يساعد المصرف على تحقيق المزيج المناسب بين الودائع والقروض لخلق مرونة في منح الائتمان " في المرتبة السابعة، بمتوسط حسابي قدره (3.86)، وانحراف معياري قدره (0.94)، وبوزن نسبي بلغ (77.20%)، وحسب المتوسط المرجح فإن هذه الفقرة تأتي في المستوى العالي.
- كما جاءت فقرة " التأمين على الودائع يساعد المصرف على زيادة التسهيلات الائتمانية المخصصة للتجارة الخارجية " في المرتبة الثامنة، بمتوسط حسابي قدره (3.85)، وانحراف معياري قدره (0.85)، وبوزن نسبي بلغ (77.00%)، وحسب المتوسط المرجح فإن هذه الفقرة تأتي في المستوى العالي.
- كما جاءت فقرة " التأمين على الودائع يساعد المصرف في وضع ضوابط حول نوعية وحجم الائتمان الممنوح " في المرتبة التاسعة، بمتوسط حسابي قدره (3.80)، وانحراف معياري قدره (0.84)، وبوزن نسبي بلغ (76.00%)، وحسب المتوسط المرجح فإن هذه الفقرة تأتي في المستوى العالي.
- كما جاءت فقرة " التأمين على الودائع يساهم في خفض تنامي ظاهرة تسرب النقود خارج القطاع المصرفي مما يساعد في خلق مرونة في منح الائتمان " في المرتبة العاشرة، بمتوسط حسابي قدره (3.77)، وانحراف معياري قدره (0.94)، وبوزن نسبي بلغ (75.50%)، وحسب المتوسط المرجح فإن هذه الفقرة تأتي في المستوى العالي.

- كما جاءت فقرة " التأمين على الودائع يؤدي الى زيادة مستوى الصلاحيات وسقوف الائتمان الممنوحة لمسؤولي الائتمان " في المرتبة الحادية عشر، بمتوسط حسابي قدره (3.75)، وانحراف معياري قدره (0.81)، وبوزن نسبي بلغ (75.10%)، وحسب المتوسط المرجح فإن هذه الفقرة تأتي في المستوى العالي.
 - كما جاءت فقرة " التأمين على الودائع يشجع المصرف على زيادة حجم الائتمان لكل قطاع في محافظة الائتمان " في المرتبة الثانية عشر، بمتوسط حسابي قدره (3.75)، وانحراف معياري قدره (0.78)، وبوزن نسبي بلغ (74.90%)، وحسب المتوسط المرجح فإن هذه الفقرة تأتي في المستوى العالي.
 - كما جاءت فقرة " التأمين على الودائع يشجع المصرف على منح الائتمان للقطاعات الاقتصادية عالية المخاطر " في المرتبة الثالثة عشر، بمتوسط حسابي قدره (3.71)، وانحراف معياري قدره (1.04)، وبوزن نسبي بلغ (74.20%)، وحسب المتوسط المرجح فإن هذه الفقرة تأتي في المستوى العالي.
 - كما جاءت فقرة " التامين على الودائع يساعد المصرف في تقديم القروض للعملاء ذوي الجدارة الائتمانية الجيدة دون ضمانات " في المرتبة الرابعة عشر، بمتوسط حسابي قدره (3.70)، وانحراف معياري قدره (0.99)، وبوزن نسبي بلغ (74.00%)، وحسب المتوسط المرجح فإن هذه الفقرة تأتي في المستوى العالي.
 - كما جاءت فقرة " التأمين على الودائع يخفف العبء على المصرف المركزي كونه يؤدي دور المقرض الأخير " في المرتبة الخامسة عشر، بمتوسط حسابي قدره (3.65)، وانحراف معياري قدره (0.85)، وبوزن نسبي بلغ (73.00%)، وحسب المتوسط المرجح فإن هذه الفقرة تأتي في المستوى العالي.
 - كما جاءت فقرة " التأمين على الودائع يشجع المصرف على منح ائتمان طويل الاجل لاكثر من 7 سنوات " في المرتبة السادسة عشر، بمتوسط حسابي قدره (3.56)، وانحراف معياري قدره (0.94)، وبوزن نسبي بلغ (71.10%)، وحسب المتوسط المرجح فإن هذه الفقرة تأتي في المستوى العالي.
 - كما جاءت فقرة " التأمين على الودائع يشجع المصرف على إتباع سياسات ائتمانية غير متشددة " في المرتبة السابعة عشر، بمتوسط حسابي قدره (3.48)، وانحراف معياري قدره (1.03)، وبوزن نسبي بلغ (96.60%)، وحسب المتوسط المرجح فإن هذه الفقرة تأتي في المستوى العالي.
- وبوجه عام فإن متوسط أهمية التأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية قد بلغ (3.82) وهو في مدى المتوسط النظري (3.40-4.19)، الأمر الذي يشير إلى أن أهمية التأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية كان في المستوى العالي.

اختبار فرضية البحث:

للحكم على فرضية البحث تم الاعتماد على اختبار الإشارة Sign Test * على النحو التالي:

فرضية البحث :

" توجد أهمية للتأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية "

ولاختبار هذه الفرضية تم التعبير عنها إحصائياً على النحو التالي:

الفرضية الصفرية (H_0): لا توجد أهمية للتأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية.

الفرضية البديلة (H_1): توجد أهمية للتأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية.

جدول (8): نتائج اختبار الإشارة

البيان	المتوسط	الانحراف	القيمة الاحتمالية
أهمية التأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية	3.82	0.53	0.000

يتضح من الجدول (8) أن القيمة الاحتمالية المناظرة لإحصائية اختبار الإشارة قد قلت عن مستوى المعنوية المفترض (0.05)، وبالتالي نرفض الفرضية الصفرية ونقبل الفرضية البديلة، والتي تنص على وجود أهمية للتأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية.

نتائج البحث:

توصل البحث من خلال تحليل بيانات البحث، ونتائج التحليل الإحصائي واختبار فرضية البحث إلى العديد من النتائج أهمها مايلي:

- توجد أهمية للتأمين على الودائع في مرونة السياسات الائتمانية.
- التأمين على الودائع يوفر مرونة كافية للمصارف في سياساتها الائتمانية.
- التأمين على الودائع يساهم في زيادة المنافسة بين المصارف في تطوير السياسات الائتمانية.
- التأمين على الودائع يساعد المصرف على إمكانية إدارة مخاطر الائتمان بشكل يساعد على تخفيضها.
- التأمين على الودائع يساعد المصرف على التوسع الائتماني.

توصيات البحث:

- على ضوء ما تقدم، وبناءً على النتائج التي تم التوصل إليها يمكن اقتراح بعض التوصيات من أهمها ما يأتي:
- أن تكون هناك شراكة وتعاون ما بين مصرف ليبيا المركزي والمصارف التجارية الليبية في مجال الاستعداد لتطبيق المبادئ الأساسية الفعالة لضمان الودائع الصادرة عن الهيئة الدولية لضمان الودائع.
- عقد دورات تدريبية للإدارة الوسطى والعليا في مجال التأمين على الودائع.

* تم تحديد هذا الاختبار بناءً على نتائج اختبار Kolmogorov-Smirnov Test .

- ضرورة امتلاك المصارف لأنظمة معلومات، وتقنيات تحليلية تمكنها من تحليل وقياس الودائع المصرفية وعلاقتها بالسياسات الائتمانية.
- تدريس موضوع التأمين على الودائع في مرحلة البكالوريوس ضمن مقرر المؤسسات المالية.

قائمة المراجع

- إبراهيم ، اسماعيل إبراهيم و ناجي، هدى محمد (2016) ، " مؤسسة ضمان الودائع المصرفية " ، مجلة المحقق للعلوم القانونية والسياسية ، العدد الرابع، السنة الثانية 2016 ، ص ص 101-140.
- ابوسمرة ، رانيا (2007) ، " تطوير سياسة الودائع المصرفية في ظل نظرية إدارة الخصوم " ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الإسلامية ، غزة، فلسطين.
- الجريدة الرسمية (2005)، القانون رقم (1) لسنة 2005.
- الدباس ، حسان (2013) ، " العوامل المؤثرة في عملية اتخاذ القرار الائتماني في المصارف السورية " ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة دمشق ، سوريا.
- الزغون، محمد منصور(2017)، " أثر تأمين الودائع على إدارة مخاطر الائتمان في البنوك"، المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية، العدد الأول، المجلد الثامن، ص ص 412-438.
- الصيرفي، محمد (2016)، "إدارة العمليات المصرفية، الطبعة الأولى، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- الفرجاني، إبراهيم مسعود (2020)، "مقدمة في التمويل"، مركز بحوث العلوم الاقتصادية، جامعة بنغازي، الطبعة الثانية.
- المعاينة، وسام عبدالحميد (2018)، " أثر درجة استقرار وودائع العملاء المصرفية على الاداء المصرفي للبنوك التجارية الأردنية للفترة (2007-2016) "، مجلة جامعة الحسين بن طلال للبحوث ، المجلد 4 ، العدد (1) 2018 ، ص ص 1-21.
- المغربي ، محمد الفاتح (2020) ، " حوكمة الشركات " ، الطبعة الأولى ، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، السودان.
- الأعرج، رأفت علي(2009)،"مدى أهمية نظام ضمان الودائع في تدعيم شبكة الامان المالي"، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- بلعربي، أسماء (2016) ، " ضمان الودائع في التقليل من التعثر المصرفي " ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم البواقي ، الجزائر.
- حسين، وجدي محمود (2002)، "اقتصاديات النقود والبنوك: ومداخل النظم المصرفية في البلدان النامية والاقتصاد الإسلامي"، بدون طبعة، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- حسن، إياد منصور (2019)، " إدارة العمليات البنكية والنقدية " ، الطبعة الأولى، دار ابن النفيس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

- صندوق ضمان أموال المودعين تم زيارة الموقع بتاريخ 20/08/2021 الساعة 4:15 مساءً www.dif.gov.ly.
- عبدالباقي، إسماعيل إبراهيم، (2015)، إدارة البنوك التجارية، دار غيداء للنشر، عمان، الاردن.
- عبدالفتاح، عز حسن (2008)، مقدمة الإحصاء الوصفي والإستدلالي بإستخدام Spss، السعودية، دار خوارزم العلمية للنشر والتوزيع، جدة، السعودية.
- علي، احمد شعبان (2016)، " موسوعة البنوك والائتمان (السياسة الائتمانية للبنوك 1) " ، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، مصر .
- كمال، زيتوني (2012) ، " دور نظام التأمين على الودائع في سلامة البنوك من التعثر " ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة المسيلة، الجزائر .
- مغنية، مداح (2015) ، " أهمية ودور نظام التأمين على الودائع " ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عبدالحميد بن باديس، الجزائر .
- منشورات مصرف ليبيا المركزي (2016)، (تطور أهم البيانات والمؤشرات المالية للمصارف التجارية الليبية)، إدارة البحوث والإحصاء.
- ميلاد، عبدالرحمن بشير، عقيل، جمعة فرحات(2017)، " دور نظام تأمين الودائع في تحقيق استقرار الجهاز المصرفي وتعزيز الثقة المصرفية دراسة ميدانية على الجهاز المصرفي الليبي"، مجلة العلوم الاقتصادية والسياسية ، العدد التاسع يونيو 2017 ، ص ص 35-65.
- هندي، منير إبراهيم (1994)، " إدارة المنشآت المالية " ، منشأة المعارف ، الإسكندرية.
- لامية، بن عرفة (2015) ، " دور السياسة الائتمانية في تفعيل العمل المصرفي " ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة العربي التبسي ، الجزائر .
- Davis, Philip & Obasi, ugochi (2009). " Deposit Insurance Systems and Bank Risk". Economics and Finance Working Paper Series. Brunel University, West London, Working Paper no 09-26, (June-2009).
- Yagcilar, Gamze (2014). " Effects Of Deposit Insurance Systems on Banks Risk Taking Incentives In Turkey". Journal of Business Economics and Finance Vol 3 Issue 4.

RESEARCH ARTICLE

PRODUCTION OF BACTERIAL CELLULOSE FROM COCONUT WATER AS A MEDIUM BY USING ACETOBACTER XYLINUM STRAIN

Adnan Omran Alsawehli^{1,2}, Mohd Sahaid Kalil², Salem. M. Alburki¹, Jmal Khelifa Alfaluo¹

¹Chemical Engineering Department, Faculty of Engineering, El-Mergib University, Al-Khums, Libya

²School of Chemical and Process Engineering, National University of Malaysia, Selangor, Malaysia

Adnan0102a@gmail.com , smalburki@elmergib.edu.ly,

Corresponding Author: Adnan0102a@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21110>

Published at 01/11/2021

Accepted at 05/10/2021

Abstract

Bacterial cellulose (BC) is a unique biopolymer with a high crystallinity, strength and high purity which make it gaining extensive interesting and has a commercial applications in a variety of industries. This study aims at investigation the potential of Acetobacter xylinum to produce BC from the coconut water and the effects of initial pH, initial substrate (glucose) concentration and incubation temperature were also studied the ability of coconut water without additional substrate. All the fermentation processes were carried out in a static culture. Besides that, the physical properties of the BC produced at the optimum conditions from coconut medium were evaluated. Also, the structure and morphology of the BC produced were evaluated using Scanning Electron Microscope (SEM). Results showed that the initial pH, initial substrate concentration and incubation temperature to optimally produce biocellulose were 4.0, 20.0 gL⁻¹ and 30oC respectively and the maximum amount of BC produced was 27.096 (gL⁻¹). The highest amount of biocellulose produced by using coconut water without additional substrate was 13.246 (gL⁻¹). The thickness of biocellulose pellicles varied from 0.1215 - 0.760 mm in the dry state and from 1.509 - 8.351 mm in wet state. The diameter of the pellicles varied from 80-82 mm, this was dependent on the surface of the medium. Water Holding Capacity (WHC) varied between 11% - 74% and moisture content was in the range of 92–98%.

Key Words: Acetobacter xylinum, Bacterial cellulose, coconut water.

1- Introduction

The production of processed foods and the consequent demand for functional ingredients has expanded dramatically in recent years. Cellulose and cellulose derivatives are versatile multi-functional food ingredients. Wood pulp and cotton linters are the raw materials for the production of microcrystalline cellulose and cellulose derivatives. The cellulose produced by *Acetobacter xylinum* is an alternative source. Unlike the cellulose from wood pulp, bacterial cellulose is devoid of other contaminating polysaccharides, and its isolation and purification are relatively simple, not requiring energy- or chemical-intensive processes. Further, environmental problems due to by-products of wood pulping given an added impetus to study unexplored sources of cellulose (Embuscado et al., 1994). Bacterial cellulose produced by *A. xylinum* has properties that make it suitable for use in different fields. When compared with plant cellulose, its most striking features are its greater water-holding capacity, higher crystallinity, tensile strength, and a good biocompatibility. These features are a result of the nanostructured network formed by its microfibrils (Goelzer et al 2008).

Acetobacter bacteria have been commonly found in symbiotic relationships with many different plants such as sugarcane and coffee plants and consequently isolated. *Acetobacter xylinum* is a gram-negative, aerobic bacterium that has long served as a model organism for the study of bacterial cellulose synthesis; primarily because of the large quantities it produces. A single *A. xylinum* cell is capable of polymerizing 200 000 glucose molecules per second into β -1,4-glucan chains which are then excreted into the surrounding medium forming ribbon-like bundles of microfibrils². The produced crystalline fibers resemble in width and structure average fibrils from many plants and algae (Ross, P et al 1991) and . (Ślusarska et al 2008)

2-MATERIALS & METHODS

2-1 Microorganism and culture media

Acetobacter xylinum obtained from the laboratory of Biotechnology, Chemical Engineering Department (University Kebangsaan Malaysia). The culture was maintained on a coconut water agar and stored in the refrigerator (4°C). The culture was transferred to coconut water agar every 14 days. It was incubated at room temperature (about 30°C) for 3 days prior to keeping in the refrigerator (4°C) (Phunsri et al 2003). The coconut water glucose medium (CWG) consisted of 20.0 g glucose, 5.0 g (NH₃)₂ SO₄, and 5.0 g glacial acetic acid dissolved in 1.0 L of coconut water. Coconut water was obtained from coconut purchased locally from Malaysia (Kagang). The initial pH was adjusted to 4, 5 and 6 with 0.1 M HCl or sterilized 1 M NaOH. The medium transferred to conical flasks 250 mL were autoclaved for 20 min at 121 °C and 15 psi, then the medium cooled to a required temperature for the fermentation process or stored at 4 °C in the refrigerator. Table 1 presents chemicals and composition of fermentation media used in this study.

Table 1. chemicals and composition of fermentation media used in this study

Material	Manufacturer	Composition of Solid Medium Agar (Isawano et al 2002)		Composition of CWG Medium (verschuren. et al 2000)	
Glucose, C ₆ H ₁₂ O ₆	Chempur, Germany	Glucose	20.0 g/L	Glucose	20.0 g/L
Ammonium sulfate, (NH ₃) ₂ SO ₄	R & M Marketing, Essex, United Kingdom.	Agar	20.0 g/L	(NH ₃) ₂ SO ₄	5.00 g/L
Acetic acid, CH ₃ COOH	BDH Chemical Ltd Poole England	(NH ₃) ₂ SO ₄	5.00 g/L	Acetic acid	5.00 g/L
Sodium hydroxide, NaOH	Progressive Co., Malaysia	Acetic acid	5.00 g/L	Coconut water	1.000 L
Bacteriological agar	Becton, Dickinson and Company, USA	Coconut water	1.000 L	Glucose	20.0 g/L
Sodium Bi-phosphate, Na ₂ HPO ₄	Weifang Huabo Chemical Co., Ltd, China	Glucose	20.0 g/L		
Peptone	Oxoid, England				
Citric acid, C ₆ H ₈ O ₇	John Kollin Corporation, USA				
Yeast extract	Becton, Dickinson and Company, USA				
Coconut water	Purchased locally from Malaysia (Kagang)				

2-2 Bacterial Growth Pattern and Fermentation Process

The Liquid media can be solidified with agar. Prepare solid media (Agar) by dissolving the agar in the liquid medium, the composition of the medium. After dissolved the agar in the medium, heated at a temperature from 70-90 °C until the homogenous, after that the medium autoclaved at 121°C from 15-20 min and 15 psi to sterilize the medium, then Cool the agar to about 50°C, at this temperature the medium will stay in liquid indefinitely, but it will rapidly solidify if its temperature falls much below 45°C. Then Pour the medium into sterile disposable Petri dishes (plates) and allow solidifies. Transferring the agar to the plates must be achieved under the most sterile conditions we're able to achieve. The next step was achieved when the agar is completely frozen, after that transfer number of bacteria by using inoculating Loop to the surface of agar, the loop sterilized by holding it in a Bunsen burner flame until it is red hot. Cool the loop by touching it to a sterile portion of the surface of an agar plate until it stops sizzling. After inoculating the plates are closed by wrapping the parafilm around the plate. Finally, the plates incubated at 30 °C for 3 days, now the solid medium ready for preparing the stock culture or kept in the cool room at 4 °C. The *A. xylinum* produced is transferred to the liquid medium in 1:10, where each of 10 ml *A. xylinum* was added to a 90 ml of sterile coconut medium. Then, the culture medium incubated at 30 °C for 3 days. After that the bacteria is transferred into a Petri dish of coconut solid medium under the most sterile conditions we're able to achieve as outlined in the preparation of solid medium. The stock culture prepared by transfer the colonies from the Petri dishes to

sterile liquid coconut medium and incubated at 30 °C for 3 days. Finally, the stock culture is ready for the fermentation process.

3- ANALYSIS

The analysis procedure of bacterial cellulose production was summarized as shown in Figure 3.4. The analysis including: dry weight of bacterial cellulose, final pH value and final substrate concentration (glucose). Moreover the bacterial cellulose produced was characterized assuming the following criteria: the yield of the biosynthesis process in variable conditions and the characteristics of bacterial cellulose, including a measure the water holding capacity, moisture content, diameter and thickness of pellicles .

3-1 Determination of pH Values and Glucose Concentration

Determining the final pH value was determined using a pH meter (EUTECH, Singapore). The pH meter calibrated with a standard buffer solution before being used to measure the pH value of the sample. Glucose concentration was determined using Biochemistry Analyzer (YSI Model 2700 SELECT, USA). Prior to the analysis, 1 ml from the medium was diluted ten times with distilled water then the solution transfer to a microtube 1.5 mL (Eppendorf tube). This tube was centrifuged using centrifuge machine (3000 rpm for 5 min). After that the sample was detected by Biochemistry Analyzer as shown in figure 3.3.

Glucose concentration = reading \times 10 = () g/L, where 10 is the dilution factor.



Figure 3.3: Biochemistry Analyzer for Measure Glucose Concentration

3-2 Determination the Amount of Bacterial Cellulose Produced

During the breeding of *Acetobacter xylinum* bacteria in stationary conditions, bacterial cellulose was produced and synthesized in the form of a pellicle on the surface of the nutrient medium solution in flasks. The bacterial cellulose removed after the period of formation and treated (Shezad et al 2010).

3-3 Treatment of Bacterial Cellulose

The obtained (bacterial cellulose pellicle) from the culture flask was purified by washing repeatedly with large quantities of distilled water. Then the pellicle of biocellulose was treated by immersion in a NaOH (a concentration of approx. 1%, for 20 min., temp = 100 °C) in order to remove bacterial cells, residual medium from the inner layers of the bacterial cellulose and other impurities (Phunsri et al 2003). Next, bacterial cellulose once again washed with distilled water, and kept in distilled water in a refrigerator at 4 °C for the next steps.

3-4 Determination Dry Weight of Bacterial Cellulose

The amount of bacterial cellulose in the pellicles was measured by boiling the harvested pellicle in 0.1N NaOH for 20 minutes as outlined. Then the pellicles were soaked in water for at least two hours and placed for drying in oven at a temperature of 70°C until the weight did not change. The weight of dried pellicles was expressed as bacterial cellulose weight.

3-5 Measurement of Water Holding Capacity (WHC) of Bacterial Cellulose

The water holding capacity of the samples was measured using the shake method (Schrecker, S. T et al 2005). Pellicles of bacterial cellulose were removed from the flasks by using tweezers. The samples were shaken twice quickly and then weighed. Then, bacterial cellulose samples were dried for 12h at 70°C in order to completely remove water from them. Finally, they were transferred quickly to the balance for weighing (Shezad et al 2010). The water holding capacity was calculated using the following formula:

$$\text{Water holding capacity} = \frac{\text{Mass of water removed during drying (g)}}{\text{dry weight of cellulose (g)}}$$

3-6 Measurement of Wet Weight and Moisture Content

The bacterial cellulose obtained was allowed to drip for 30 s and the wet weight was determined (Watanabe, K et al 1995). Moisture content is the amount of the water in the bacterial cellulose pellicle. The moisture content (%w/w) of bacterial cellulose was determined based on the weight loss of the pellicle when dried in an oven at a temperature of 70°C until the weight did not change.

The moisture content is calculated by using this formula:

$$M_n = \frac{W_w - W_d}{W_w} \times 100$$

Where:

M_n = moisture content (%) of material n

W_w = wet weight of the sample

W_d = weight of the sample after drying.

3-7 Determination of Thickness and Diameter of the Bacterial Cellulose Pellicle

Thickness of the bacterial cellulose pellicles was determined using a Sylvac Digital Micrometer (S-Mike PRO, Germany) as shown in figure 3.4. Where the sample (pellicle) of bacterial cellulose placed between two plates and put between the measuring surfaces in the hard metal of the micrometer after that the pellicle was compressed twice in a reciprocating motion that imitated the action of the jaw, the Adjustable measuring force 5N / 10N. The reading in the micrometer indicates the thickness (mm) of the pellicle, where the measuring ranges of the Sylvac micrometer from 0-102 mm. The Pellicles diameter was determined by using listed ruler to measure the diameter.

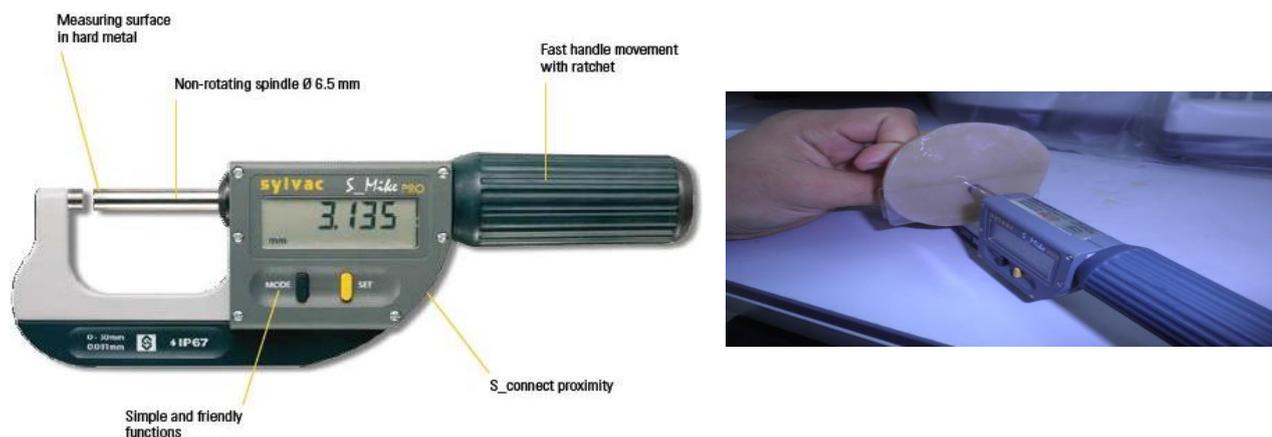


Figure 3.4 Sylvac Digital Micrometers for Measure the Thickness (mm) of Bacterial Cellulose Pellicles.

3-8 Bacterial Cellulose Scanning Electron Microscopy (SEM) Analysis

Scanning electron microscopy (SEM) images of bacterial cellulose was taken using SEM (LEO 1450VP, LEO Co. LTD) to study the structure and the morphology of the bacterial cellulose. The morphology of the samples was investigated for the bacterial cellulose pellicles that produced at the optimum conditions, where 8 pellicles were collected. The sample was taken each day for 8 days of the incubation. Prior to SEM analysis, the samples treated and washed twice with distilled water to remove the impurities and the residual substrate. The samples were prepared for the SEM in two cases. In the first case, after the bacterial cellulose dried by oven at 70°C and in the second case, the samples were rinsed in distilled water after treated and dehydrated by freeze-dryer (Alpha 1-4 LSC Freeze dryer, Germany) at -40 °C and 0.050 mbar. All the samples that were prepared for the SEM were sputter coated with gold and the cell morphology was examined using SEM. characterization analysis including the scanning electron microscope (SEM).

4- Results and Discussion

4-1 Biocellulose production from coconut medium at different glucose concentration

Three different glucose concentrations were used 15, 20 and 25 g/L. The media was prepared as outlined and transferred into conical flasks 250 mL, where 8 conical flasks for each concentration was prepared and incubated at 30 °C and pH adjusted at 4.75. Each 24 h the sample was taken and the period of fermentation was 8 days. Biocellulose and biomass produced on the surface of the flask it was removed and treated to obtain pure biocellulose. Figure 4.1 it shown the growth rate of biocellulose at different glucose concentrations in the coconut medium. The pH was initially adjusted 4.75, where the period of fermentation of coconut medium for biocellulose production was 8 days, where it was proved that the greatest increase in the weight of bacterial cellulose takes place after 7 - 8 days of breeding *Acetobacter xylinum* (Ślusarska et al 2008). The amount of biocellulose produced from the fermentation of various sugar concentrations was increased with the time. The biocellulose pellicles were collected for each day of fermentation.

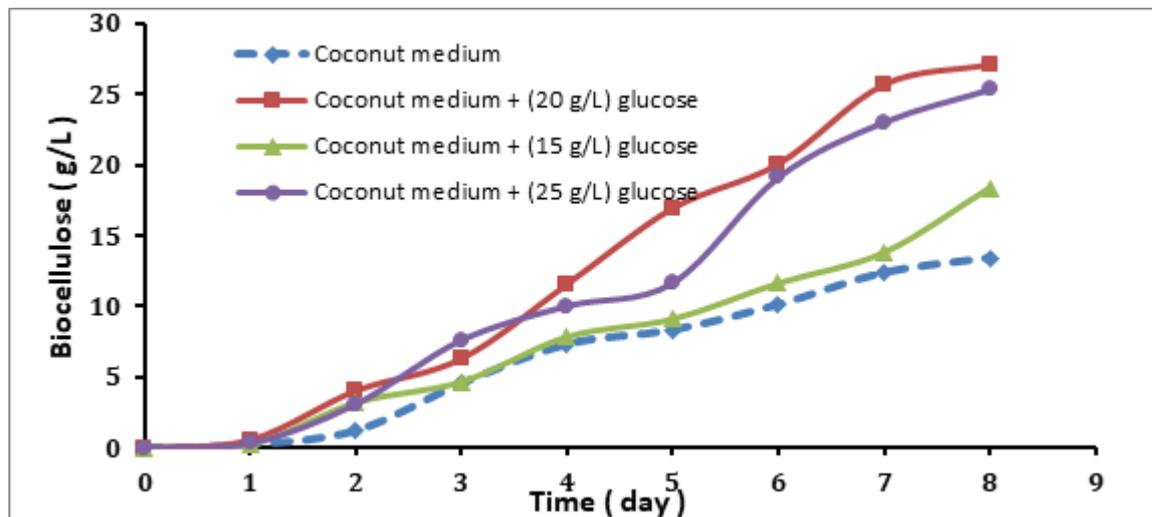


Figure 4.1 Biocellulose Productions (g/L) at Different Glucose Concentrations Medium

The biocellulose productions were 18.389, 27.096 and 25.319 g/L biomass when the glucose concentration was 15, 20 and 25 g/L, respectively. Besides that, in the coconut medium without adding substrate (glucose), the biocellulose production was 13.425 g/L. It was observed that the biomass produced effected by the concentration of the sugar (glucose). The results showed that 20 g/L of glucose was the optimum concentration and gained the highest production of biocellulose. Also, it was observed that the coconut medium without adding glucose has the ability to produce biocellulose as 13.425 g/L dry weight after 8 days fermentation.

The pH reading of the end of each day from the fermentation for different glucose concentration medium is shown in Figure 4.2. It was observed that there is a decreasing in pH value along with the incubation time regardless of the glucose concentration. The decreasing pH values in the initial 15 g/L glucose concentration is less than in 20 g/L and 25 g/L glucose medium. While the decreasing in pH at initial 20, 25 g/L of glucose is almost the same. The pH decreases during fermentative production because of the accumulation of gluconic, acetic or lactic acids in the culture broth, the conversion of glucose to gluconic acid led to a significant drop in pH of the culture broth (Phunsri et al 2003). The bacteria consumed the substrate (glucose) for built and produce a nanostructured network (biocellulose) on the surface of the broth, where the bacteria convert the glucose to gluconic acid which that leads to decrease the concentration of glucose gradually as shown in figure 4.3. In a previous study by Angkana, it was reported that the reducing sugar could be utilized for the production of gluconic acid, which is the product of glucose oxidation by *Acetobacter* (Phunsri et al 2003). Also it was reported that by Young kook yang (yang et al 1995), the *A. xylinum* oxidized a portion of glucose to gluconic acid, with the accumulated gluconic acid lowering the pH of the culture medium and inhibiting cellulose production.

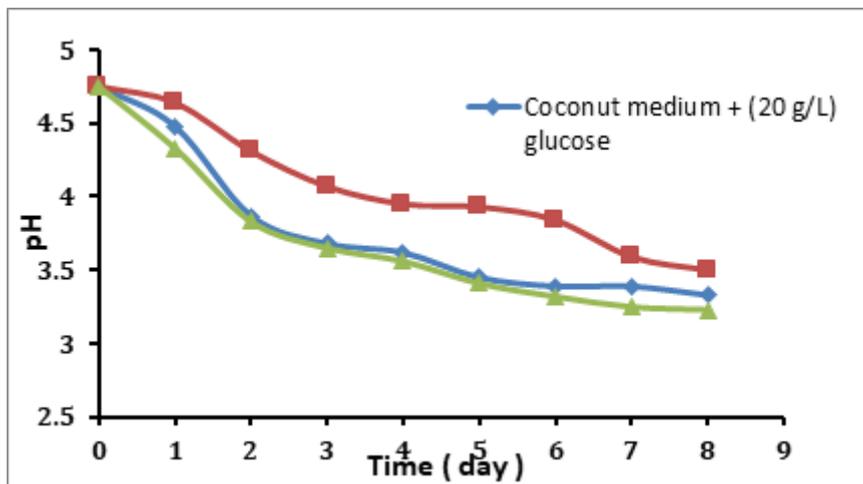


Figure 4.2 Final pH values from Different Glucose Concentration in the Coconut Medium

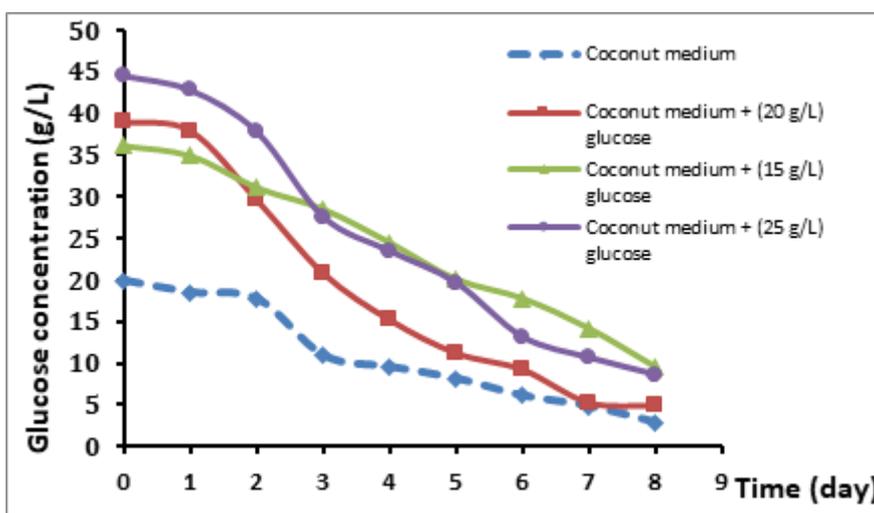


Figure 4.3 Glucose Concentrations during the course of Fermentation of Coconut Medium

4-2 Influence of temperature on the biocellulose production

Four different temperatures were used, namely 25, 30, 35, and 40 °C. The optimum growth parameters were used as pH 4.75 and 20 g/L glucose concentration. The experiments carried out using conical flasks 250 mL with working volume of 100 mL and after the inoculation (fresh inoculum of *A. xylinum* 10%) the flasks were incubated for 8 days at different incubation temperatures.

From Figure 4.4, it was observe that for the breeding conducted at 30, 25, 35 and 40°C; it clearly appears that the optimum temperature is 30 °C in which the maximum amount of biocellulose was produced as 26.036 g/L. Also, it was observed that the biocellulose yield at 25 °C after 8 days was 20.902 g/L. It was approximately higher than the biosynthesis yield at 35 and 40 °C, where the yield was 18.74, 2.007 g/L, respectively.

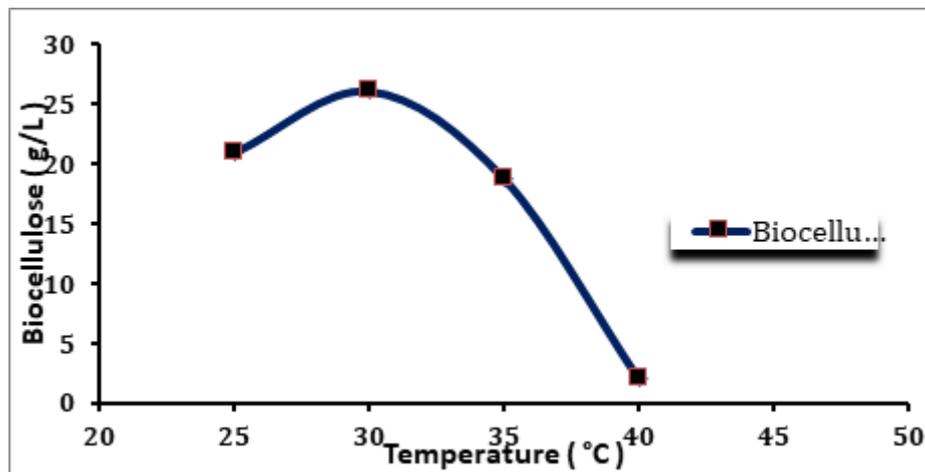


Figure 4.4 Effects of the Temperature on the Biocellulose Production

Temperature is a crucial parameter that affects both growth and cellulose production. These were in accordance with conditions determined in the preliminary studies. In the majority of experiments, the maximal cellulose production was observed between 28 and 30 °C as reported by Prashant (Prashant R et al 2009). Also it was proved that by Barbara (Ślusarska et al 2008), the greatest increase in the weight of bacterial cellulose takes place after 7 - 8 days of breeding *Acetobacter xylinum* at a temperature of 30 °C.

4-3 Effect of initial pH on the production of biocellulose

Three different initial pH were used, namely 4, 5, and 6. These experiments were conducted at the optimum growth parameters, 30 °C and 20 g/L glucose concentration with change in initial pH value only. The experiments were carried out for 8 days in an incubator without shaking (statically).

The effect of pH on the production biocellulose was presented in figure 4.5. The amounts of biocellulose were produced from the fermentation of various initial pH were collected. At the initial 4.0 pH, the amount of biocellulose was produced as 26.139 g/L, while pH 5.0 was resulted in 24.987 g/L and pH 6.0 was resulted in 16.703 g/L of biocellulose. In these experiments it was observed that the change in the initial pH of the fermentation medium had an effect on the growth of *A. xylinum*. The optimum pH for the production of biocellulose was found to be 4.0. As reported by Peter, the pH for optimal cellulose production and bacterial growth is between 4.0 and 5.0. Our results are in agreement with that reported previously by Peter (Peter et al 2000). Furthermore, as reported by Masaoka (Masaoka et al 1993), the optimum pH of the *Acetobacter xylinum* was found to be 4.75 which are in the range of 4-6.

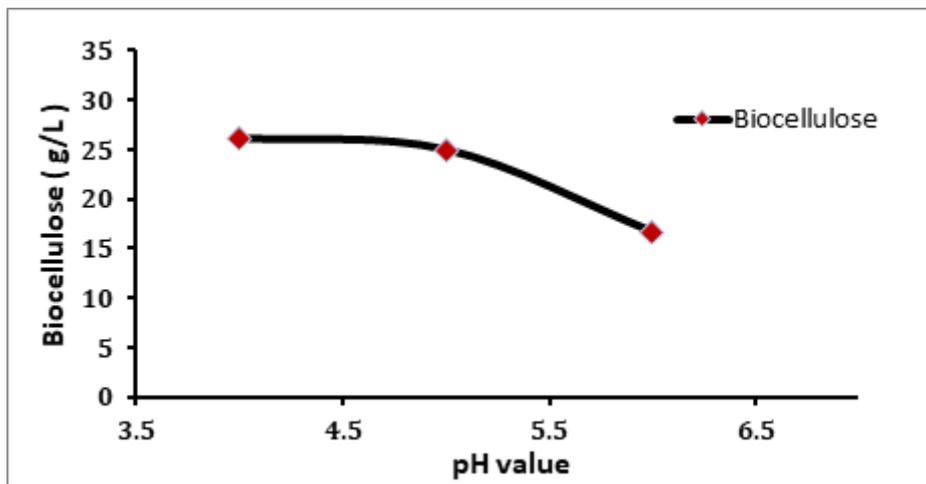


Figure 4.5 The Effect of Initial pH Value on the Biocellulose Production

4-4 Effects of inoculum on the growth rate of acetobacter xylinum and the produceion of biocellulose using coconut water medium

From Figure 4.6 it was observed that the change inoculum has a significant effect on the growth rate of the bacterial cellulose especially in the first 24 h. From the Figure it can see that when the inoculum was grown on HS medium and used to inoculate the coconut medium, no product was appeared after 24 h. After 2 days the bacteria started to produce biocellulose which was 2.643 g/L, while after 8 days from the fermentation, the maximum product was 17.050 g/L. On the other hand when the coconut medium was used to prepare the inoculum and as a production medium, the product was appeared after 24 h as 0.567 g/L and after 2 days as 4.037 g/L. The maximum production was 27.096 g/L after 8 days. When HS was used to develop the inoculum there is no apparent growth in the first 24 h because the bacteria adapt themselves to new growth conditions. It is the period where the individual bacteria are maturing and not yet able to divide. This period called lag phase. This period is reduced when coconut inoculum used and the inoculum has the same composition of the medium then the bacteria adapt directly with the new environment to produce Biocellulose. The previous studies have been proved that there is no apparent net growth observed during the lag phase.

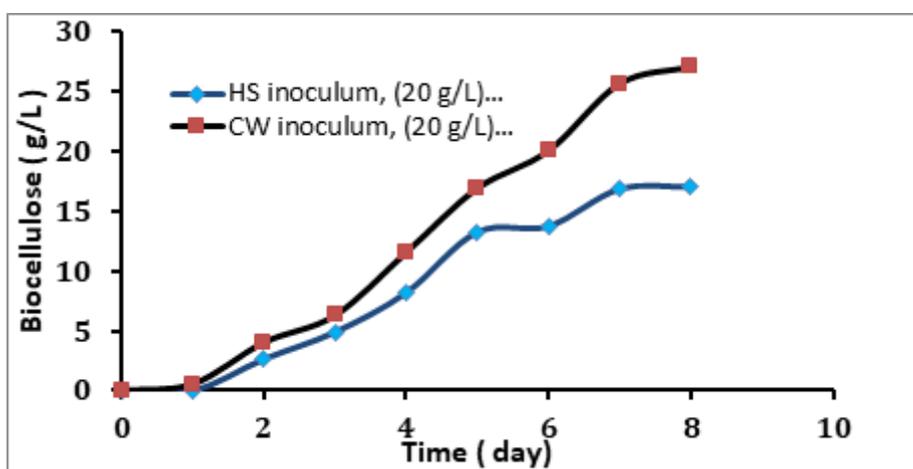


Figure 4.6 Effect Inoculum on the Coconut Water Medium Fermentation

4-5 Characterization of the biocellulose produced

This experiment conducted to characterize the pellicle of biocellulose produced in order to identify the characteristics of the pellicle where the experiment carried out under the optimum condition and parameters of growth.

Measurement the diameter and thickness of the biocellulose produced

The biocellulose was produced using the optimum conditions for the growth (20 g/L glucose, 4.75 pH and 30°C). The period of fermentation carried out for 8 days, and the sample was taken each day were each flask present day and the day next. The sample was removed by using tweezers, and treated the boiling in 0.1 NaOH, after that, the diameter measured by using listed ruler (mm) and the thickness measured by using Sylvac Digital Micrometer. The thickness was taken for the biocellulose pellicles in wet state and after the pellicle dried in the oven until the weight didn't change.

Figure 4.7 shows the change in the thickness and the diameter of the biocellulose pellicles for 8 days of the fermentation. From Figure 4.5, it was observed that there is obvious increasing in the thickness of the cellulose pellicles along with the time, where the maximum thickness reached to 0.76 mm in the dry state and 8.351 mm in the wet state. And the diameter of the cellulose product as shown in Figure 4.5, there is no significant change in the diameter where the diameter was about 80 mm after one day from the fermentation and after four days of fermentation became 82 mm and continued to be constant until the end of fermentation. It is important to be noticed that the diameter depends on the diameter of the flask was used, because the cellulose product will be equal to the diameter surface of the medium as shown in the figure 4.8

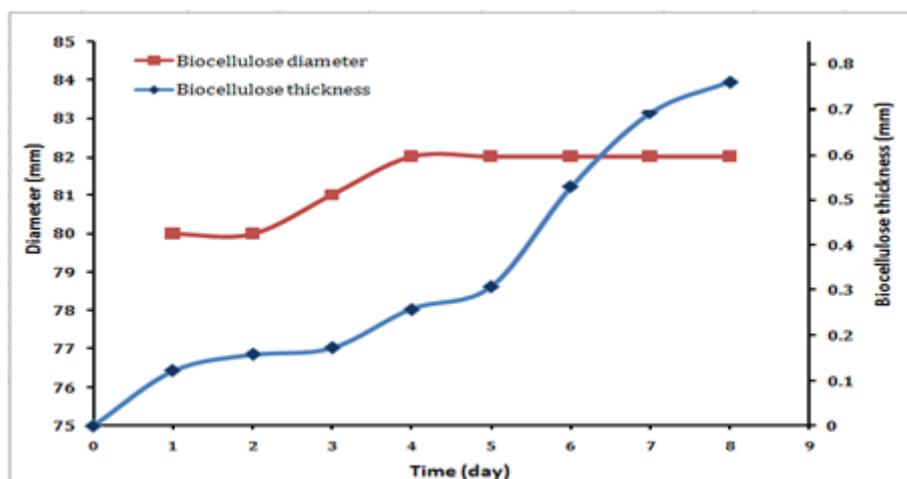


Figure 4.7 Thicknesses and Diameter of Biocellulose Pellicles

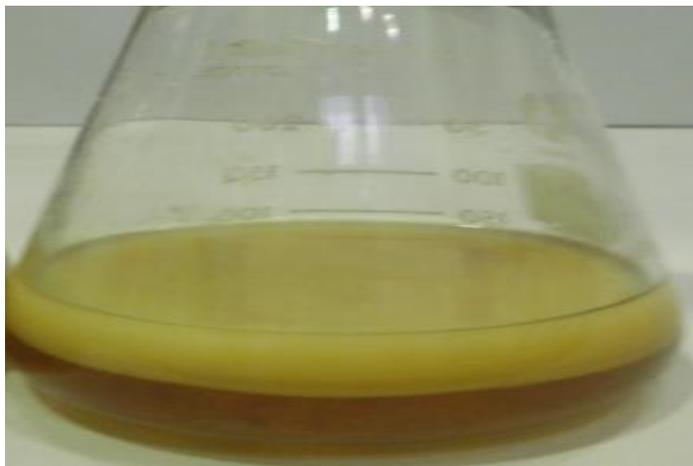


figure 4.8 biocellulose formed on the surface medium with diameter equal to surface medium

Measurement of the water holding capacity, and moisture content

The experiment carried out to determine the water holding capacity and moisture content of the samples was measured using the shake method (Schrecker et al 2005). eight samples of biocellulose were collected from 8 conical flasks 250 ml using tweezers and the samples was taken every day, where each flask represents the day and the day next. the pellicle of cellulose was allowed to drip for 30 sec and the wet weight was determined (Watanabe, K et al 1995). the moisture content (% w/w) of the cellulose was determined based on the weight loss of the cellulose when dried at 70 oc for 12 h under atmospheric pressure.

the water holding capacity was calculated using the following formula:

$$\text{water holding capacity} = \frac{\text{mass of water removed during drying (g)}}{\text{dry weigth of cellulose (g)}}$$

the moisture content is calculated by using this formula

$$m_n = \frac{w_w - w_d}{w_w} \times 100$$

table 2.2 shows that (whc) and moisture content obtained for the biocellulose produced from the coconut medium. the samples that used to analyze the whc and the moisture content was conducted using experiment at optimum conditions (20 g/l glucose, 4.75 initial ph and autoclaved at the optimum temperature 30 °c). where 8 samples were used, and collected every day for 8 days of incubation. the moisture content of cellulose for the samples in the experiment was in the region of 92–96% and whc varied from 11% to 74%. the results showed that the biocellulose is about 4.5% of the total weight.

Table 2.2 whc and moisture content of the biocellulose production

time (day)	wet weight (g/l)	biocellulose (g/l)	moisture content (%)	water holding capacity (%)
0	0.00000	0.0000	0.000	0.000
1	18.5370	0.5670	96.94	31.69

2	154.183	2.0370	98.67	74.69
3	207.101	6.3070	96.95	31.83
4	210.557	10.026	95.23	20.00
5	275.064	11.662	95.76	22.58
6	288.961	20.082	93.05	13.38
7	332.506	25.686	92.27	11.94
8	386.500	27.096	92.98	13.26

Scanning electron microscopy (SEM) analysis

The surface and cross-section of the samples were sputtered with gold and photographed. The biocellulose membranes were biosynthesized in the coconut media from static fermentation. The microfibrillar structure of microbial cellulose under the scanning electron microscope (SEM) is shown in Figure 4.7. The samples were chosen for the SEM from the experiment conducted by using the optimum conditions (20 g/L glucose, pH 4.75 and 30°C). 8 samples were collected for SEM; each sample was taken after each day from the incubation for 8 days.

Figure 4.9 presents typical SEM images of freeze-dried biocellulose and oven dried biocellulose composite. As seen from Fig. 4.7, biocellulose nanofibrils can be observed on the surface. The mean diameter of the nanofibrils is about 60 nm. From cross sectional images it was observed that these multiple layers structure have high aspect ratio. Evidently, the biocellulose sample has porous morphology, and these micrographs clearly show the various morphological features of these sheets. All samples showed a reticulated structure consisting of ultra-fine cellulose. Jaehwan (Jaehwan Kim et al 2010) reported that the biocellulose, which is synthesized by *Acetobacter xylinum*, consists of the biogenous nanofiber network structure formed by self-assembling in an efficient way. The cellulose is crystallized outward the organisms, particularly in *Acetobacter xylinum* that synthesizes cellulose chains by introducing glucose units to the reducing ends of the polymer. The growth mechanism during bacterial activity determines the morphology of the final cellulose.

Figure 4.10 present SEM images of the oven dried biocellulose; the biocellulose was dried at 70 °C until the weight remained constant. Through the images from figure 4.8, it was noted that the surface morphology of biocellulose was changed. Biocellulose nanofibrils cannot be observed due to the heat dryer. It is likely completely destroyed by the dry heat, which led to a shift to of an opaque surface. From the comparison between the images after the oven and freeze dry, there is a clear distinction and significant difference between the images after the oven dry and the freeze dry. Based on that, to keep and protect the biological structure and composition of biocellulose fibers, the process of drying by the freeze dryer is more efficient. Freeze drying was proved to be a more considerate drying method relating to the maintenance of pore structures (Klemm, D et al 2001).

During freeze drying the frozen water is removed by sublimation, thus reducing damage to biological structures. However, the level of cell viability after freeze drying varies according

to numerous factors including the strain of microorganisms and also the efficacy of the protective agents used. Several investigators have reported the effect of bacterial cell size on survival during freeze drying and subsequent storage. Differences in the surface areas of microorganisms and variations in cell wall and membrane composition affect the ability of the cells to survive the freeze drying process (A. Jagannath et al 2010).

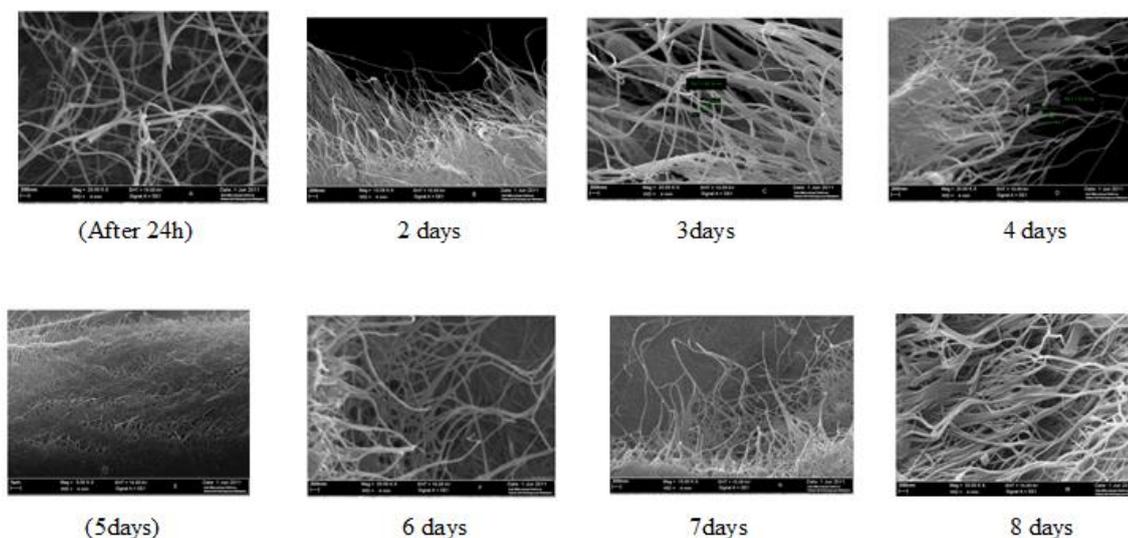


Figure 4.9 SEM images of freeze-dried biocellulose produced from a static culture from the fermentation of coconut medium. The biocellulose collected through 8 days from the fermentation, where the image (A) represent day 1 and the images B, C, D, E, F, G, and H represent days 2, 3, 4, 5, 6, 7 and 8 respectively.

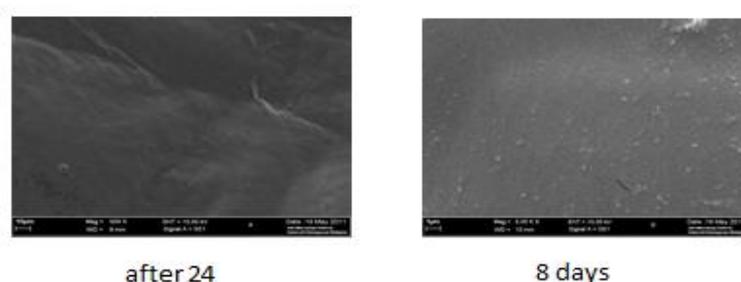


Figure 4.10 SEM images of oven dried biocellulose produced from a static culture from coconut medium. Where image (A) represent the biocellulose after 24h and (B) after 8 days from the fermentation.

5 - CONCLUSION

The findings from this study have shown that *Acetobacter xylinum* has the ability to produce biocellulose pellicles in the coconut medium. The results showed that the sugar concentrations (glucose), pH and temperature affected the yield of biocellulose significantly. The maximum biocellulose was produced by adding 20 g/L glucose to the coconut medium and the yield of biocellulose after 8 days from the fermentation was 27.096 gram of dry cellulose per liter of liquid medium. Among the three initial pH values studied (pH 4.0, 5.0 and 6.0), pH 4.0 was the best for bacterial growth and biocellulose production because it gave the highest yield of 26.139 g/L. The production of biocellulose has been investigated at different temperatures 25, 30, 35, 40°C. The highest yield of biocellulose was 26.036 g/L at 30°C. The optimum temperature was 30 °C for the production of biocellulose.

In addition, biocellulose has been characterized in order to evaluate the properties and the characteristics of the biocellulose. The characteristics of biocellulose considered were: thickness, diameter, water holding capacity and moisture content, besides that, SEM was taken in order to investigate the structure and the morphology of the cellulose. Characterization of biocellulose was conducted during the experiment and was carried out under the optimum conditions (20g/L glucose concentration, pH 4.75 and 30°C). Samples were taken each day for 8 days. The thickness of the biocellulose pellicles varied from 0.1215 - 0.760 mm in the dry state and from 1.509 - 8.351 mm in wet state. Also, it was observed that the thickness has a direct effect on the amount of water that biocellulose can hold which in turn affects the softness of the final product. Biocellulose has high and significant water holding capacity, where the WHC was varied from 11% - 74%. The biocellulose is about 4.5% of the total weight. The moisture content of biocellulose was in the range of 92–96% and the diameter of the pellicles was varied from 80-82 mm which was depends on the flask diameter.

The SEM photographs showed the structure of biocellulose when the samples were dried by the oven at 70°C until a constant weight was obtained; the surface morphology of biocellulose changed and biocellulose nanofibrils could not be observed due to the heat dryer. It might have been destroyed by the dry heat, which led to a shift to an opaque surface. While the biocellulose nanofibrils could be observed on the surface and the mean diameter of the nanofibrils is about 60 nm. Furthermore, all samples showed a reticulated structure consisting of ultra-fine cellulose when the samples were dried by freeze-dryer at -40 °C. Based on that, to keep and protect the biological structure and composition of biocellulose fibers, it is thus recommended that drying should be through the freeze dryer.

6 - REFERENCES

- 1- Milda, E. Embuscado., Jay, S. Marks. & James, N. BeMiller. 1994. Bacterial cellulose Factors affecting the production of cellulose by *Acetobacter xylinum*. Food Hydrocolloids Vol.8 No.5 pp.419-430 (1994), Department of Food Science, Purdue University, West Lafayette.
- 2- F.D.E. Goelzer, P.C.S. Faria-Tischer, J.C. Vitorino, Maria, R. Sierakowski & C.A. Tischer. 2008. Production and characterization of nanospheres of bacterial cellulose from *Acetobacter xylinum* from processed rice bark. Journal of Materials Science and Engineering C 29: 546–551
- 3- Ross, P., Mayer, R. & Benziman, M. 1991. Cellulose biosynthesis and function in bacterial. Journal of Microbiological Reviews 55(1): 35-58
- 4- Barbara Surma-Ślusarska, Sebastian Presler & Dariusz Danielewicz. 2008. Characteristics of Bacterial Cellulose Obtained from *Acetobacter Xylinum* Culture for Application in Papermaking. FIBRES & TEXTILES in Eastern Europe 2008, Vol. 16, No. 4 (69) pp. 108-111
- 5- Angkana Phunsri, Pramote Tammarate, Warawut Krusong & Sumate Tantratian. 2003. The Liquid/Air Interface Area and Depth of Liquid Medium Suitable for cellulose production from *Acetobacter TISTR 975*. J. Sci. Res. Chula. Univ., Vol. 28, No. 1(2003).
- 6- Shin Isawano, Kenji Tajima, Hiroyuu Kono, Tomoki Erata, Masanobu Munekata & Mitsuo Takai. 2002. Effects of Endogenous Endo-P- 1,4-Glucanase on Cellulose

- Biosynthesis in *Acetobacter xylinum* ATCC23769. *Journal of Bioscience Bioengineering* Vol. 94, No. 3, 275-281. 2002
- 7- Peter, G. Verschuren., Thomas d. Cardona., z m. j. Robert Nout., Kees, d. de Gooijer., & Johannes, c. van den Heuvel. 2000. Location and limitation of cellulose production by *Acetobacter xylinum* established from oxygen profiles. *Journal of Bioscience and Bioengineering* Vol. 89, No. 5, 414-419
 - 8- Omer Shezad, Salman Khan, Taous Khan & Joong Kon Park. 2010. Physicochemical and mechanical characterization of bacterial cellulose produced with an excellent productivity in static conditions using a simple fed-batch cultivation strategy. *Journal of Carbohydrate Polymers* 82: 173–180
 - 9- Angkana Phunsri, Pramote Tammarate, Warawut Krusong & Sumate Tantratian. 2003. The Liquid/Air Interface Area and Depth of Liquid Medium Suitable for cellulose production from *Acetobacter TISTR 975*. *J. Sci. Res. Chula. Univ.*, Vol. 28, No. 1(2003).
 - 10- Schrecker, S. T. & Gostomski, P. A. 2005. Determining the water holding capacity of microbial cellulose. *Journal of Biotechnology Letters*, 27, 1435–1438
 - 11- Watanabe, K. & Yamanaka, S. 1995. Effects of oxygen-tension in the gaseous-phase on production and physical-properties of bacterial cellulose formed under static culture conditions. *J. Biosci Biotechnol Biochem.* 59:65–68
 - 12- Young Kook Yang., Sang Hoon Park., z Jung Wook Hwang., Yu Ryang Pyun. & Yu Sam Kimit. 1998. Cellulose Production by *Acetobacter xylinum* BRCs under Agitated Condition. *Journal of fermentation and bioengineering.* Vol. 85, No. 3, 312-317
 - 13- Prashant R., Chawla Ishwar, B. B., Shrikant, A., Survase & Rekha S. Singhal. 2009. Microbial Cellulose: Fermentative Production and Applications. *J. Fermentative Production of Microbial Cellulose, Food Technol. Biotechnol.* 47 (2): 107–124.
 - 14- Masaoka, S., Ohe, T. & Sakota, N. 1993. Production of cellulose from glucose by *Acetobacter xylinum*, *J. Ferment. Bioeng.* 75(1), 18-22
 - 15- Schrecker, S. T. & Gostomski, P. A. 2005. Determining the water holding capacity of microbial cellulose. *Journal of Biotechnology Letters*, 27, 1435–1438
 - 16- Watanabe, K. & Yamanaka, S. 1995. Effects of oxygen-tension in the gaseous-phase on production and physical-properties of bacterial cellulose formed under static culture conditions. *J. Biosci Biotechnol Biochem.* 59:65–68
 - 17- Jaehwan Kim, Zhijiang Cai, Hyun Sook Lee, Gwang Seong Choi, Don Haeng Lee & Chulhee Jo. 2010. Preparation and characterization of a Bacterial cellulose/Chitosan composite for potential biomedical application. *J. of Polym Res.* DOI 10.1007/s10965-010-9470-9
 - 18- Klemm, D., Schumann, D., Udhart, U. & Marsch, S. 2001. Bacterial synthesized cellulose artificial blood vessels for microsurgery. *Progress in polymer Science* 26: 1561-1603
 - 19- A. Jagannath, P.S. Raju & A.S. Bawa. 2010. Comparative evaluation of bacterial cellulose (nata) as a cryoprotectant and carrier support during the freeze drying process of probiotic lactic acid bacteria. *Journal of Food Science and Technology* 43 (2010) 1197-1203

عنوان البحث

مستويات المثابرة والإصرار (GRIT) لدى طلبة المدارس في مديرية تربية لواء المزار الشمالي

د. علاء الدين عبدالرزاق الشرمان¹

¹ مرشد نفسي تربوي/ مديرية التربية والتعليم للواء المزار الشمالي/ وزارة التربية والتعليم الأردنية.
البريد الإلكتروني: Man1985i@yahoo.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21111>

تاريخ القبول: 2021/10/05م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

هدفت الدراسة الى معرفة مستويات المثابرة والإصرار (GRIT)، وهل تختلف باختلاف الجنس لدى طلبة في مديرية تربية المزار الشمالي، وتكونت العينة من (235) طالباً طالبة، حيث بلغ عدد الذكور (145)، وعدد الإناث (185)، وتم اختيارهم بالطريقة المُتيسرة، ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام مقياس والمثابرة والإصرار (GRIT)، وأظهرت نتائج الدراسة أن مستويات المثابرة والإصرار لدى عينة الدراسة كان متوسطاً، وكما أظهرت وجود فرقاً دالاً إحصائياً بين المتوسطات الحسابية لتقديرات أفراد العينة تُعزى لمتغير الجنس لصالح الإناث.

الكلمات المفتاحية: المثابرة والإصرار (GRIT).

RESEARCH ARTICLE**LEVELS OF PERSEVERANCE AND PERSISTENCE (GRIT) AMONG SCHOOL STUDENTS IN THE NORTH MAZAR DISTRICT EDUCATION DIRECTORATE****Dr. Ala'aldin Abdel Razzaq Alshorman¹**

¹ Educational Psychological Counselor / Directorate of Education of the Northern Mazar District / Jordanian Ministry of Education. Email: Man1985i@yahoo.com.

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21111>

Published at 01/11/2021

Accepted at 05/10/2021

Abstract

The study aimed to find out the levels of perseverance and persistence (GRIT), and whether they differ according to gender among students in the Northern Mazar Education Directorate. The sample consisted of (235) male students, where the number of males reached (145) and the number of females (185), and they were chosen by the available method, and to achieve the objectives of the study, the Perseverance and Persistence Scale (GRIT) was used. It was average, and it also showed that there was a statistically significant difference between the arithmetic means of the estimates of the sample members due to the variable of sex in favor of females.

Key Words: Perseverance and Persistence (GRIT).

المقدمة:

يتسم عصرنا الحاضر بثورة معلوماتية تكنولوجية في شتى ميادين الحياة، وأدت الى تطورات هائلة وتحديات مختلفة أثرت على العملية التربوية، فأصبحت الحاجة ماسة أكثر لإعداد جيل متعلمين قادر على الاستمرار في التعلم ويتصفون بقدرة عالية على التفكير والمثابرة والإصرار والعزيمة الصلبة، والعمل بحيوية ونشاط ومُسلح بالمعرفة لمواكبتها والتعامل معها وتحقيق الاهداف. وتؤكد الاتجاهات الحديثة في ميدان علم النفس الايجابي على أهمية المثابرة والإصرار (GRIT) في العملية التعليمية وجميع النشاطات التي يُمارسها المتعلم وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من استراتيجيات التعليم، وأن اكتساب الطلبة للمهارات غير المعرفية هدفاً أساسياً من أهداف التعلم لما لها من دور بارز في النجاح والتحصيل، وحفز السلوك تطويره وتوجيهه ورفع مستوى وتيرته والمحافظة على استمراريته وتوجيه الانتباه وزيادة الجهد والاستمتاع بالعمل وتطوير استراتيجيات عمل جديدة، والعديد من العمليات والنواتج الإيجابية المرتبطة في مواجهة وتحدي الصعاب والمعالجات العميقة للمواد الدراسية.

حيث كان الاعتقاد السائد أن الذكاء هو الوحيد الذي يؤثر على التحصيل الأكاديمي، مما أثار فضول الباحثين للبحث والتوصل الى أنه يتأثر بالعديد من العوامل ولا يتوقف على العوامل المعرفية فقط، بل يشمل أيضاً العوامل غير المعرفية، وقد تتساوى هذه العوامل أو قد تكون أكثر أهمية من العوامل المعرفية في الحقل التعليمية والمهنية، كالضبط الذاتي والمثابرة والإصرار (GRIT) والثقة والدافع والمرونة والفاعلية الذاتية وأنها تؤدي الى تغييرات إيجابية في حياة الطلبة (Khin, 2016). ومما أدى الى زيادة الاهتمام بالعوامل غير المعرفية لدى الطلبة أن امتلاك العوامل المعرفية غير كافية للنجاح والتقدم والأداء الأكاديمي، وما يجعل الطلبة أكثر نجاحاً هو امتلاكهم للعوامل غير المعرفية، فهي من أهم المحددات الهامة للنجاح كالمثابرة والإصرار (GRIT)، الذي يقف وراء السعي الحثيث والتحدي والعزيمة وقوة الإرادة وتجاوز المشكلات والعثرات، وهذا ما يجعل الطالب يتفوق على زملائه ويمتوسط من الذكاء، فهما من المتغيرات التي تقسر النجاحات المختلفة في الحياة اليومية (Duchworth & Gross, 2014).

مشكلة الدراسة

تلعب مستويات المثابرة والإصرار (GRIT) دوراً بارزاً في حياة الطلبة والذي على أساسه تتحدد آمالهم وطموحاتهم المستقبلية، وأكدت العديد من الدراسات على أهميتها كدراسة صنبول (Sunbul, 2019) ودراسة دكوورث وجروس (Duckworth & Gross, 2014) ودراسة ريد وآخرون (Reed et al, 2012) ودراسة دكوورث وآخرون (Duckworth at el, 2007). وتبلورت مشكلة الدراسة بعد الاطلاع على هذه الدراسات والسابقة وغيرها، كدراسة تشنج (Chang, 2015) ودراسة دكوورث وكوين (Duckworth & Queen, 2009) التي ترى أن المثابرة والإصرار من أهم القوى الدافعة التي تحرك السلوك والتي لا تزال غير معروفة، ونحن بحاجة لإجراء العديد من الدراسات لمعرفة مستوياتها لدى الطلبة وسبل تعزيزها والعوامل المؤثرة بها، ودراسة فيلالمر (Fillmore, 2015) التي دعت الى إجراء الدراسات المرتبطة بمستويات المثابرة والإصرار لدى الطلبة للتعرف على مدى تأثيرها في حياة الطلبة، ودراسة الزغول الشрман (2020) التي تناولت مستويات المثابرة والإصرار

وبالرغم من أهميتها إلا أن هناك نقص شديد بالدراسات العربية عنها، وعلى اعتبار أن المثابرة والإصرار من المفاهيم المرتبطة بالأداء الناجح، لذا جاءت هذه الدراسة للكشف عن مستوياتها مما ينعكس بشكل إيجابي على العملية التعليمية ونجاحات الطلبة المختلفة، وتسعى بالتحديد للإجابة عن الاسئلة التالية:

- ما مستويات المثابرة والإصرار لدى الطلبة؟
- هل تختلف مستويات المثابرة والإصرار باختلاف الجنس؟

أهمية الدراسة

تتضح أهمية الدراسة النظرية من خلال إسهامها في إعطاء تصور واضح حول مستويات المثابرة والإصرار لدى الطلبة للمرحلة الأساسية العليا ومدى تطوره، وإضافة معلومات للأدب النظري لعلم النفس، وتتجلى الأهمية التطبيقية من خلال النتائج التي ستتوصل إليها الدراسة والتوصيات المنبثقة منها والمتمثلة بمعرفة مستوى المثابرة والإصرار، وكما ستضيف أدوات تتوافر فيها الخصائص السيكومترية التي تساعد الباحثين على استخدامها في بحوثهم المستقبلية، وقد تساهم في إعادة النظر بالخطط والأهداف التربوية والاستراتيجيات التعليمية مما يمكن الطلبة من استخدام الاستراتيجيات العقلية والتدريب المستمر واكتساب المهارات الضرورية التي تساعد على مواجهة المشكلات وتحديات العصر.

محددات الدراسة

1. تقتصر الدراسة على عينة من طلبة المدارس للمرحلة الأساسية العليا في مديرية تربية لواء المزار الشمالي للعام الدراسي (2021/2020).

2. تتحدد نتائج الدراسة باستخلاص دلالات الصدق والثبات لأداة القياس والإجابة إلكترونياً عن فقراتها من خلال (Google Drive) بسبب جائحة كورونا والتحول للتعليم عن بُعد، وكما تتحدد إمكانية تعميم النتائج فقط على المجتمعات المماثلة لمجتمع الدراسة وعينتها.

التعريفات الإصطلاحية:

المثابرة والإصرار (GRIT): فهي مهارة غير معرفية مهمة كالمهارات المعرفية تماماً، فهي المثابرة والإصرار لمواجهة العقبات والتغلب عليها وتحقيق أهداف بعيدة المدى والتمسك بها لسنوات عديدة وتتطلب العمل الجاد والصلابة والحماس والإيمان بالهدف (Duckworth et al, 2007).

الإطار النظري

ظهر مفهوم المثابرة والإصرار (GRIT) على يد أستاذه علم النفس في جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية انجيلا دكورث كمفهوم جديد في علم النفس الإيجابي، حيث أطلقت عليه مصطلح (GRIT) على أنه قدرات غير معرفية وعرفته بالمثابرة والإصرار والشغف للأهداف طويلة المدى، فهي نزعة قوية نحو أي نشاط يستثمر فيه الفرد قدراً أكبر من طاقاته ومزيداً من الوقت والاستمرار والمواصلة بالمحاولة لسنوات طويلة من أجل إنجاز المهمات وتحقيق الأهداف وتجاوز الإحباطات والمعوقات (Duckworth et al, 2007). وهذا يماثل ما

جاء به جالتون قبل (100) عام، فقد وَجَدَ أنَّ القدرة وحدها لا تجلب النجاح في أي مجال ولا يمكن وصفها وحدها بل يجب دمجها وربطها مع المثابرة الحماس والعمل الشاق، وخصَّصَ الى أنَّ الإنجاز العلمي في جميع المجالات يمكن تفسيره من خلال هذه الأبعاد، وهي تُعد من والسمات الشخصية المميزة للأفراد فهي من الأبعاد المشتركة بين الناجحين (Fillmore, 2015).

وقامت بنشر المفهوم على الصعيد العالمي وصياغته كعنصر أساسي للعديد من النجاحات في مجالات الحياة المختلفة وجانب مُهم من جوانب الشخصية، وكان الهدف منه كوسيلة لمعرفة سبب عمل بعض الأشخاص بجدٍ أكثر واستغلال مواردهم وطاقاتهم أكبر من غيرهم، ولمعرفة السبب وراء عدم قدرة بعض الأشخاص على تحقيق أهدافهم رغم امتلاكهم مستويات مرتفعة من الذكاء ولكنهم يقدمون أداءات غير متكافئة، ولقد بُني على عدد من النظريات كنظرية الالتزام بالهدف والمثابرة والقدرة على التركيز والاحتفاظ مع مرور الوقت، ولا يختلف تطبيقه حسب النوع الاجتماعي أو العمر (Duckworth & Quinn, 2009). فبالرغم من أنها أكدت على أنَّ المقياس يتكون من بعدين، إلا أنَّ هناك عدد من الدراسات قامت باختباره وأكدت على أنه مقياس أحادي البعد وليس بنية ثنائية، واستخدموا المقياس على أنه يتكون من بُعد واحد فقط هو المثابرة والإصرار (GRIT) وهي من أقوى العوامل المرتبطة بالتحصيل الأكاديمي بشكل أوضح (Gonzalez et al, 2019; Credé et al, 2017)

ويؤكد الشрман والزرغول (2020) أن هذا المفهوم يصف ميل الأفراد للسعي الحثيث لتحقيق أهداف بعيدة المدى والقدرة على تخطي التحديات والعقبات والفشل، ويستلزم الانتباه والاهتمام والقدرة على الصمود والاستمرار لفترة طويلة تمتد الى سنوات من العمل الجاد، وقد يُفسر سبب تباين الأفراد وقدرتهم على التحصيل الأكاديمي والإنجاز المهني وارتباطه الإيجابي بالمعدل التراكمي، وارتباطه أيضاً بالعديد من المتغيرات كالسمات الشخصية والضبط الذاتي والفاعلية الذاتية والإنجاز الأكاديمي والمهني.

ويرى الين وبونيفا وإيرتاس (Alan, Boneva & Ertac, 2016) أنها مهارة لا معرفية تشير الى السعي المتواصل لتحقيق الأهداف بعيدة المدى وزيادة الإنتاج ورفع مستويات الإنجاز، وتظهر في فترة الطفولة وتزداد مع التقدم بالعمر وتعتمد على الممارسة والتدريب المكثف والتعليم، ويتم تطويرها وتعزيزها من خلال البرامج التعليمية والدور الأسري.

وعرفها فاوست (Faust, 2017) على أنها قدرة الفرد على تحديد الأهداف والتمسك بها حتى يتم تحقيقها والتغلب على العقبات والتحديات والمواصلة لتحقيق الأهداف بعيدة المدى. ويرى وي وجاو وونج (Wei, Gao & Wng, 2019) أنها سمة شخصية ذاتية التنظيم غير معرفية تتمثل بالمثابرة والإصرار لتحقيق أهداف بعيدة المدى، وتهتم بتحفيز الفرد على العمل بجد والتمسك بالهدف والتغلب على التحديات.

ويرى كل من بيزويتو-هوليوود وكوين (Buzzetto-Hollywood & Mitchell, 2019) أنه مثابرة وإصرار وتشير للسعي المستمر والثبات رغم العقبات والإخفاقات لتحقيق الأهداف التي تحتاج الى فترة زمنية أطول لتحقيقها.

وعرفها الشрман والزرغول (2020) على أنها الإلحاح وتحدي الظروف الصعبة والقدرة على الاستمرار والمحاولة في مواجهة العقبات والتغلب عليها، وتحقيق أهداف بعيدة المدى والتمسك بها لسنوات عديدة، وتتطلب العمل الجاد والحماس والإيمان بالهدف، ويستثمر فيه الفرد طاقاته ومزيداً من الوقت من أجل إنجاز المهمات.

ومما سبق يرى الباحث أنها سمة شخصية من أهم العوامل الدافعة، وعرفها على أنها المثابرة والإصرار والاستمرار لتحقيق أهداف بعيدة المدى والحفاظ على الجهد، ووصفها على أنها الشجاعة والتخلي عن الخوف والصبر والتحمل والصمود، فهي ضرورية لتفسير الاختلافات الفردية في النجاح الأكاديمي.

وتجدر الإشارة الى أهمية المثابرة والإصرار في الأوساط التعليمية، وأهميتها في تعليم الطلبة ودمجها في بيئات التعلم وتصميم بيئات تعلم تعمل على تعزيزها ليصبح جميع الطلاب قادرين على المثابرة والإصرار، وبهذه الطريقة يصبحون منجزين قادرين على مواجهة التحديات وتستمر لديهم الى ما بعد التخرج لتساعدهم على مواجهة مشكلات الحياة وحلها، وأن تطويرها وتنميتها لدى الطلبة أمر ضروري لا يقل أهمية عن تطوير الاستراتيجيات والمهارات المعرفية (Taspinar & Kvikci, 2018).

وتُعد إحدى العوامل المهمة للنجاح في القرن الحادي والعشرين، حيث أنها تتميز بالعديد من السمات والخصائص من أهمها التخطيط للأهداف الأكاديمية ومعرفة كيفية تحقيقها، والدافع الذي يتمثل بالإرادة القوية والعزيمة لتحقيق تلك الأهداف، والضبط الذاتي حيث يؤكد على تجنب الإغراءات والتركيز على المهمة، والتفكير الإيجابي بالنظر للفشل على أنه فرصة تعلم جديدة يقابلها تحدي جديد (Duckworth, 2016). وذكرت أنها سمة تعويضية مهمة لدى الطلاب، وتساعدهم على تحسين أدائهم وبذل الجهد والمزيد من الوقت لاكتساب المهارات الضرورية ولا ترتبط بالطلاب الانكباء فقط، وترتكز على المرونة والثبات والاستمرار والصلابة وتلعب دوراً هاماً في جميع المجالات المرتبطة بالفرد، فهي العامل الرئيسي للنجاحات الأكاديمية واستمرار الأفراد في القطاع العسكري والحفاظ على الوظيفة واستمرار العلاقات الأسرية لأنها تحقق الرفاهية والراحة والسعادة (Duckworth et al, 2007).

وأكد سينبول (Sunbul, 2019) على أهميتها بالنسبة للطلبة لأنها تعمل على تركيز الجهد والجد في مواجهة الشدائد والتركيز والاهتمام بالأهداف رغم التحديات والاختلافات، وكذلك الصبر والتحمل والصمود حيث يبذلون أقصى ما لديهم من جهد وقدرة أعلى لتحمل المسؤولية، ويمكن وصفها على أنها الشجاعة حيث تتمثل بالتخلي عن الخوف من الفشل أو ما يعيق إنجاز المهمة من أجل تحقيق الهدف بعزم وبذل جهود مميزة.

كما أكدت دكوورث (Duckworth, 2016) على السياق الاجتماعي والثقافي للفرد وتفاعلاته الاجتماعية لما لها من أهمية كبيرة جداً لاكتساب المهارات غير المعرفية وتنميتها كالمثابرة والإصرار، من خلال مواجهة التحديات واستغلال الموارد المتاحة وتحقيق الإنجاز، والأهمية الأكبر للسياقات التعليمية من خلال تصميم مواقف تعلم تُساهم في تعليمها والتركيز على التحديات التي تحتاج الى السعي المتواصل لتجاوزها، ووضع أهداف صعبة تتدرج ضمن نطاق التعلم ولا تكون صعبة لا يمكن تحقيقها أو سهلة للغاية، كما توفر السياقات التعليمية بيئة داعمة لتطوير مهارات الطلبة من خلال انخراطهم في المهمات لتحقيق أهدافهم ويواجهون تحديات مثل التعقيد

المفاهيمي أو القلق أو غيرها، مع ضرورة رفع التوقعات للطلاب والتأكد على قدراتهم وتوفير الموارد المهمة والوقت والتخطيط المناسب، فالبينة المدرسية من أهم العوامل لتعلم واكتساب المثابرة والإصرار عن طريق المعلمين والاستراتيجيات المتبعة في التعلم، والانخراط والتفاعل بين المعلم والطالب وتحفيزه ورفع مستوى التوقعات ومساعدته على وضع أهدافه ورسم طموحاته وتقديم التغذية الراجعة وتفعيل الأنشطة اللامنهجية واللعب في التعلم، وبعبارة أخرى أنها سمة فريدة من نوعها يمكن ترميتها وتطويرها ومهارة يمكن تعلمها من خلال الممارسة والتدريب المستمر والتعرض للخبرات المناسبة.

ويرى دويك وآخرون (Dweck et al, 2014) أن إشراك الطلبة في مجموعات العمل التعاوني ضمن إطار تعليمي ربما يكون من أهم الأسباب التي تؤدي الى تحسين المثابرة والإصرار لدى الطلبة، فهم يقضون وقتاً أكثر مع بعضهم ويستغرقون وقتاً أطول في المهمات والعمل بالتالي سوف يحسن من ادائهم، وكذلك يتعلمون من بعضهم البعض بشكل أفضل (تعلم الاقران) فهو جزء من العمل الجماعي التعاوني من خلال تشجيع الطلبة ورفع مستوى حماسهم وزيادة مستويات المنافسة لإنجاز المهمات التعليمية، فأنهم سيبحثون عن تحديات جديدة ويضعون أهداف بما يتوافق مع قدراتهم قابلة للتحقيق.

وشددت دكورث وجروس (Duckworth & Gross, 2014) على دور العلاقات والتنشئة الأسرية الوالدية الحكيمة التي تعتمد على الحكمة بعيداً عن التسلط وتقدير احتياجات الأبناء النفسية، من حب واحترام وإعطائهم الحرية بالتصرف ومنحهم الثقة والاستماع لهم والتحدث اليهم والاعتماد على الذات وبذل الجهد المضاعف لإخراج ما بداخلهم من طاقات وقدرات كامنة واستثمارها، وأكدت أيضاً على تشجيعهم على التقليد والمحاكاة من الوالدين وأن يكونوا أمام أبنائهم نموذجاً يُحتذى به للمثابرة ومثال وقوة لهم، فإن الكثير من النماذج نمت من خلال تقليد الوالدين فيتمكن الطفل من اكتسابها ويتمكن الوالدان من زرعها في نفوس أطفالهم.

كما أنّ الممارسة التعليمية تُسهم في تحسين المهارات الطلبة للمثابرة وتعمل على صقلها والتأقلم وتحسين مستوى الأداء، وأنّ تطوير المهارات المرتبطة بالمهمة والتدريب عليها فهي عنصر أساسي لتكوين وتطوير المثابرة والإصرار، ويجب التركيز على الممارسة المقصودة والمخطط لها لتقليل من نقاط الضعف والعمل على تقويتها فهي إحدى الآليات الهامة والمعروفة لأداء الأنشطة المختلفة، وتتأثر أيضاً بالجهد المبذول وتعمل على مضاعفته لتحقيق الأهداف وكذلك الثبات والالتزام للتغلب على التحديات، فالأهداف طويلة المدى تستلزم مهارات وعمليات مهمة يرافقها عمل مستمر يمتد لسنوات، فهو يشبه سباق الماراثون يحتاج الى تحمل وصبر وعزيمة وصلابة وليس كسباق الجري القصير، فهي سمة مميزة للأفراد الذين يحرزون الدرجات العالية ولها أثر قوي وإيجابي على جوانب حياتهم (Reed et al, 2012).

وأشارت دكورث وجروس (Duckworth & Gross, 2014) الى ضرورة وجود أهداف ذات قيمة وواضحة لدى الفرد وإيمان وتمسك بها، فالأهداف بعيدة المدى المرتبطة بالتعلم تستوجب وجود مستوى مرتفع من المثابرة والإصرار وأكدت على ضرورة هرمية للأهداف، فالأهداف ذات المستوى المتدني تخدم تحقيق الأهداف عالية المستوى وتُسهل الطريق أمام تحقيق الأهداف النهائية بعيدة المدى، فكلما ارتفع مستوى الهدف أصبح أكثر

عمومية وتجريد وأكثر أهمية واهتمام فهو الغاية التي يطمح إليها، أما الأهداف ذات المستوى المتدني ضرورية لأنها تشكل القاعدة التي ينطلق منها الهدف الأسمى ويلزم تحقيقها دون استسلام، إلا إذا وَجَدَ أَنَّ هناك أهداف أفضل ومنطقية أكثر وذو فعالية أكبر من الموجودة فيتم إستبدالها، فالمثابرة والإصرار من أكثر المتغيرات المهمة التي تعمل على تفسير الأداء على المهمات المرتبطة بأهداف بعيدة المدى.

وأنَّ أهم ما يميزها هو القدرة على التحمل والصبر والثبات والتمسك بالهدف رغم الصعوبات التي تنشأ رغم المعوقات التي قد تمنع من التقدم أو التي تحد من الجهد المبذول والاستمرار لتحقيق الأهداف طويلة المدى (Duckworth, 2016). وحدد بوزيتو-هوليود وميتشيل (Buzzetto-Hollywood & Mitchell, 2019) أن هناك عدد من السمات الشخصية الأكثر ارتباطاً بالمثابرة والإصرار والتي تميزها عن غيرها ومن أهمها: التنظيم الذاتي وهو القدرة على التحكم في السلوكيات غير المرغوبة وتفعيل السلوكيات المرغوبة، والمرونة: وتمثل العودة من جديد للتغلب على العقبات والفشل بشكل إيجابي وبتقّة وتقاؤل، والثبات: وهو الالتزام والتصميم مع بذل الجهد لتحقيق الأهداف، والقيام بالسلوكيات الإيجابية التي تهدف للإنجاز وترتبط بتحقيق الهدف، والوعي وهي اليقظة وإدراك أهمية الأهداف وتحقيقها، عدم الاندفاع التي تقود للتروي والتأني والتفكير قبل اتخاذ القرار، والشجاعة للتغلب على الخوف من الفشل، وهذا ما يساعد الأفراد على النجاح.

وقام فيلمور (Fillmore, 2015) بتصنيف الطلبة الى مستويين المرتفع أو المنخفض من المثابرة والإصرار ولم يجد أي فروق بين الذكور والإناث فيها، وَجَدَ أَنَّ هناك ارتباط إيجابي بينها وبين الأداء داخل الغرفة الصفية وأن الطلبة ذوي المستويات العالية منها هم أعلى تحصيل أكاديمي، فهي مؤشراً كبيراً على الاستمرار في التعلم والنجاح على المستوى الجامعي والرضا والارتياح والاستقرار العاطفي والنضال والتضحية والكفاح المستمر، أما الطلبة الذين يتمتعون بمستويات متدنية منها فقد شككوا في قدراتهم وكفاءاتهم وكانوا يحدثون أنفسهم بأنهم لا يستحقون أن يكونوا طلبة طب، وأظهروا علامات القلق والارتباك وعدم السيطرة على الانفعالات وكان لديهم عادات عمل خاطئة وضعيفة وغير متناسقة وأبدوا رغبة قليلة بالمثابرة للتعلم، ونظروا للفشل بأنه شيء كبير والمهمة أصبحت صعبة وظهرت عليهم علامات الاستسلام وعدم القدرة على مواصلة التحدي وأفكار سلبية عن الذات وعدم امتلاكهم لأساليب التعلم والدراسة.

وأوجَدَ ثالير وكوفل (Thaler & Koval, 2015) أن هناك أربعة مكونات رئيسية للمثابرة والإصرار (GRIT)، تبدأ بالشجاعة في مواجهة التحديات فتمنح الفرد القوة والثقة لخوض المغامرة المحسوبة بعيداً عن التهور والتركيز على الانتصار حتى لو كان بعيد المنال، ثانياً المرونة وهي العودة من جديد بعد الفشل وتحدي ما يُعيق النجاح والانطلاق كالمسهم والاستمرار نحو الأهداف، ثالثاً الممارسة والتدريب المستمر التي تجعل المثابرة والإصرار ديناميكية، رابعاً الصلابة والإحاح المستمر والاهتمام المُركّز لتحقيق الهدف والذي يمتد لسنوات عديدة، وتختلف المثابرة بين الأفراد من حيث الأهداف، فمنهم من يركز على الهدف الأساسي للمهمة والتقدم للأمام ويكتفي بالتعزيز الداخلي، ومنهم من يركز على ذاته وجلب انتباه الآخرين للحصول على التعزيز الخارجي المؤقت.

وأكدت العديد من الدراسات على العلاقة الإيجابية بين المثابرة والإصرار والتحصيل الأكاديمي، وأنها قوة شخصية حاسمة لتطوير التحصيل الأكاديمي لدى الطلبة وترتبط بشكل سلبي بالاندفاعات وبشكل إيجابي بأداء المهمات والتخطيط وتجاوز الإخفاقات السابقة والسيطرة المعرفية وتنظيم السلوك، وقدمت دكويرث وآخرون (Duckworth et al, 2007) أول دراسة لتأثير المثابرة والإصرار (GRIT) على التحصيل الأكاديمي، ووجدت أن مستوى المثابرة والإصرار المرتفع ارتبط بمستويات عالية من التحصيل الأكاديمي، وأنها لا تقل أهمية عن الذكاء، وأوصت المعلمين بضرورة تعزيزها لدى الطلبة وتشجيعهم عليها لأن النجاح الأكاديمي والإنجاز يرجع إلى قدرات معرفية وغير معرفية مثل المثابرة والإصرار وضبط الذات والممارسة وثبات واجتهاد ولا يتأثرون بالفشل ويركزون على أهداف بعيدة المدى، وقوة التحدي والنضال والاجتهاد وبذل ما لديهم من طاقات لإتقان التعلم، وقدرة على تحديد الأهداف والتركيز عليها والممارسة المستمرة والتدريب المكثف ليصبحوا مؤهلين وممارسين في المستقبل، ويظهرون مستويات عالية من المرونة وتقبل الفشل ولا يتأثرون به وينظرون إليه على أنه جزء من التعلم وفرصة لتعلم شيء جديد، وأن الأفراد الأقل مثابرة وإصرار هم مُشتتين وغير مجتهدين وغير قادرين على وضع الأهداف التعليمية بعيدة المدى. وللدلالة على أهميتها وأثرها البالغ في النجاح والتعلم والتحصيل الأكاديمي، بدأت بعض الجامعات بتطبيق مقياس المثابرة والإصرار للقبول في الدراسات العليا، مثل جامعة النخبة فيسكفا ندريلت وجامعة شيكاغو، من خلال تقديم اختبارات تتضمن مشكلة ما أو من خلال بروتوكولات معينة ضمن المقابلات الأولى لمعرفة مستوياتها لدى الطلبة وتعتمد على قبولهم الجامعي، وأنها لا تقتصر على سنوات الدراسة الجامعية والجانب الأكاديمي بل تتعدى إلى ما بعد التخرج من الجامعة ولمدى أطول (Duckworth et al, 2011).

وأضاف وي وآخرون (Wei et al, 2019) أنها مصدر تحفيزي إيجابي للطلبة تؤثر على التعلم وتحسن الأداء الأكاديمي وتُعزز الحصول على أعلى المستويات، فتساعد على التحكم بوقت وطريقة التعلم وتدعم الاستمرار والتحدي لتحقيق الأهداف. وكما لها علاقة مباشرة مع الدرجات المرتفعة والتحصيل الأكاديمي الأفضل فنجد أن الطلبة الذين لديهم مستويات مرتفعة منها يتصفون بصفات جيدة كاختيار المهمات الأكثر تحدياً بما يتناسب مع قدراتهم ولا يعيقهم الفشل أو المعوقات ويبدلون جهداً أكثر من غيرهم، ولديهم القدرة على النجاح بشكل أكبر والقدرة على التحمل والصبر ومتابعة الدراسة، فهي سمة تعمل على تحفيز الطلاب وزيادة حماسهم وبذل المزيد من الجهد (Alan et al, 2016).

الدراسات السابقة

وأما دراسة تشانج (Chang, 2014) التي هدفت إلى فحص أثر المثابرة والإصرار (GRIT) على العرق والجنس والأداء الأكاديمي للطلبة، وشملت عينة الدراسة (2035) طالباً وطالبة من أكاديمية تعليمية خاصة تقع جنوب الولايات المتحدة، وبلغت نسبة الإناث (67%) ونسبة الذكور (33%)، وقام الباحث باستخدام مقياس المثابرة والإصرار (GRIT-S) والحصول على معدلات الطلبة السابقة واستخدم تحليل الانحدار المتعدد، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان أهمها أن المثابرة والإصرار مؤشر على التباين في التحصيل الأكاديمي والنجاح وهي أيضاً مهمة في التنبؤ بالمعدل التراكمي، فالطلبة الذين لديهم مستويات أعلى من المثابرة والإصرار

هم أكثر احتمالاً للحصول على معدل تراكمي أعلى، كما حصلت الإناث على مستوى أعلى من الذكور في المثابرة والإصرار.

وقد قام فيلمور (Fillmore, 2015) بدراسته على طلاب الطب في مادة التشريح، حيث هدفت الى فحص النظريات الضمنية لطلاب الطب والمثابرة والإصرار من أجل فهم أفضل لنتائج تعلم الطلاب علاقتها بالتحصيل الأكاديمي، وبلغت عينة الدراسة من طلاب الطب السنة الثانية والثالثة والرابعة، وبلغ عددهم (283) طالباً، وقام بأجراء مقابلات فردية مع (25) طالباً لمعرفة كيف يحدد طلاب الطب أهدافهم وكيف يعملون بجد لبلوغ تلك الأهداف ومراقبة تقدمهم لتحقيقها، واستخدم مقياس المثابرة والإصرار ومقياس النظريات الضمنية للذكاء، وأظهرت الدراسة أن الطلبة الذين يعتقدون بأن الذكاء يمكن تطويره وأنه مكتسب كانوا أكثر الطلبة مثابرة وإصرار كما ساعدتهم لبذل الجهد والمثابرة لتحقيق الأهداف ومراقبة تقدمهم بشكل أفضل من الطلبة الذين يرون أن ذكائهم فطري ثابت، وأظهرت أن المثابرة والإصرار داعماً إيجابياً للتحصيل والمعدل التراكمي.

وأما دراسة بازلان وآخرون (Baselais et al, 2016) هدفت الى معرفة أثر المثابرة والإصرار في التحصيل الأكاديمي للطلاب في الفيزياء وقياس مستوياتها ونسبة التباين والاختلاف بينهم وعلاقتها بالتحصيل الأكاديمي، حيث بلغت عينة الدراسة (156) من طلبة السنة الأولى في الفصل الدراسي الثاني في كلية الفنون التطبيقية في كيبك مونتريال، حيث بلغت نسبة الذكور (53%) ونسبة الإناث (47%)، واستخدم الباحثين مقياس المثابرة والإصرار (GRIT)، حيث أشارت نتائج الدراسة الى عدم وجود أي ارتباط بين المثابرة والإصرار والتحصيل الأكاديمي للطلبة في الفيزياء، وأكدوا على عدم وجود فروق بين الجنسين في المثابرة والإصرار، وأن الطلبة من المستويات التعليمية الأعلى حصلوا على مستويات مرتفعة من المثابرة والإصرار، والطلبة الأكبر من حيث العمر كان لديهم مستويات أعلى منها، هذا يدل على أنها تنمو وتتطور مع التقدم بالعمر، حيث أن كبار السن لديهم خبرة أكثر في الحياة ولديهم مثابرة وإصرار على تحقيق أهداف بعيدة المدى ولديهم ثبات واجتهاد.

وفي دراسة أجراها كل من تشانغ ولين (Lin & Chang, 2017) هدفت الى معرفة العلاقة بين المثابرة والإصرار (GRIT) وسمات الشخصية الكبرى والبيئة الأسرية في المدارس الثانوية في تايوان، شارك في الدراسة (1504) طالب من المدارس الثانوية، واستخدم الباحثان معادلة خط الانحدار المتعدد لتحديد تأثير المتغيرات المستقلة على المثابرة والإصرار، وتوصلت الدراسة الى أن طلاب المدارس الذين لديهم مستويات مرتفعة يميلون الى إظهار مستوى أكاديمي أعلى ورضا أكاديمي أفضل، وأن هناك علاقة إيجابية بين البيئة الأسرية والمثابرة والإصرار والأسلوب الوالدي.

وفي نفس السياق أجرى هودج وآخرون (Hodge et al, 2017) دراسة مستعرضة هدفت الى معرفة دور المثابرة والإصرار في النتائج الأكاديمية والمشاركة الأكاديمية، ومستوى المثابرة والإصرار وفقاً للنوع الاجتماعي، حيث تكونت عينة الدراسة من (395) طالباً وطالبة من الجامعات الاسترالية، حيث بلغ عدد الذكور (50) والإناث (345)، وتم استخدام التحليل الإحصائي واختبار (t) للعينات المستقلة والانحدار ونمذجة المعادلات البنائية، وتوصلت نتائج الدراسة الى أن المثابرة والإصرار تعمل على تحسين النتائج الأكاديمية

والتحصيل وبلغت نسبة الارتباط الإيجابي بينها (0.49)، وأنها تتوسط العلاقة بين المشاركة الأكاديمية والنتائج الأكاديمية ولا يوجد فروق بين الجنسين في المثابرة والإصرار.

وأما في دراسة التي أجراها بازلانز وآخرون (Bazlais et al, 2018) والتي تهدف الى معرفة العلاقة بين المثابرة والإصرار (GRIT) والنظريات الضمنية في الذكاء والتحصيل الأكاديمي، وشملت عينة الدراسة (306) طالباً وطالبة من كلية اللغة الانجليزية من جامعة ماكجيل في كندا، وبلغ عدد الذكور (135) وبلغ عدد الإناث (168)، وتم توزيع الاستبانات على الطلبة عبر الانترنت واستخدام تحليل الارتباط بيرسون، وتوصلت الدراسة الى أن المثابرة والإصرار ليس لها علاقة بالتحصيل الأكاديمي أو المعدل التراكمي للطلاب وكانت نسبة الارتباط منخفضة جداً، وكما ارتبطت النظريات الضمنية في المثابرة والإصرار وتحسين المستوى التحصيلي.

وقام ماسون (Mason, 2018) بدراسة هدفت الى معرفة العلاقة بين المثابرة والإصرار بالتحصيل الأكاديمي لدى طلبة جامعة جنوب إفريقيا وبلغت عينة الدراسة (121) طالباً وطالبة، وتم جمع البيانات باستخدام مقياس المثابرة والإصرار (GRIT)، واستخدام التحليل الإحصائي وتحليل الانحدار، ونتج عن الدراسة أن هناك ارتباط إيجابي بين المثابرة والإصرار والتحصيل الأكاديمي، وأن الطلبة الذين حصلوا على مستويات مرتفعة منها حصلوا على درجات أكاديمية أعلى وأنها مُتغير مهم لجميع الطلاب ولجميع المراحل.

وقد أجرى هوارد ونيشلسون وتشسنيوت (Howard et al, 2019) دراسة هدفت الى معرفة أثر الأسلوب الوالدي الإيجابي على المثابرة والإصرار (GRIT) وأثرهما على النجاح الأكاديمي، وبلغت عينة الدراسة (226) طالباً جامعياً من جامعة في جنوب شرق الولايات المتحدة من مساق علم النفس، واستخدموا مقاييس لقياس متغيرات الدراسة، وتم استخدام نمذجة المعادلات البنائية، وأشارت النتائج الى أن المثابرة والإصرار تتوسط العلاقة بين الأسلوب الوالدي والنجاح الأكاديمي، ولها تأثير واضح على النجاح الأكاديمي، وأن الأسلوب الوالدي له أثر إيجابي في تشجيع المثابرة والإصرار وتتميتها لدى الطلبة ومنحهم الاستقلال النفسي، فهو من أهم المتغيرات يتم الاعتماد عليها لتنمية وتطوير واكتساب المثابرة والإصرار لدعم النجاح الأكاديمي، كما دعا الآباء والمعلمين لتشجيع الطلبة على تبني أهداف قابلة للتحقيق، وتشجيعهم على المثابرة والإصرار ليكونوا مجتهدين وإتاحة الفرصة لهم للمشاركة والممارسة والتدريب وبناء الثقة بالنفس.

وفي دراسة الطولية التي أجراها بوزيتو وميتشيل (Buzzetto & Mitchell, 2019) هدفت لمعرفة ما إذا كانت المثابرة والإصرار (GRIT) عاملاً مساهماً في استمرار الطالب ونجاحه وهل هي الحل النهائي لنجاح الطلاب؟، وبلغت عينة الدراسة (120) طالباً في قسم الأعمال بجامعة مارييلاند الشرقية في الولايات المتحدة، بدأت الدراسة في خريف عام 2014 ومتابعة الطلاب على مدى خمس سنوات ومتابعة المعدل التراكمي، وتوصلت نتائج الدراسة الى أن هناك علاقة إيجابية كبيرة بين درجات المثابرة والإصرار وكل من المعدل التراكمي، وأكدت على اهتمام القطاعات التعليمية بالعوامل المؤثرة بالتحصيل الأكاديمي وتتميتها وبناء المثابرة والإصرار لدى الطلبة لدورها الإيجابي المتميز، وقد يكون انخفاضها لدى الطلاب يعود لعدم التدريب وقلة الممارسة واستغلال طاقاتهم بالشكل المطلوب وعدم وضوح الهدف.

أما الدراسة التي أجراها الشerman والزغول (2020) التي هدفت الى الكشف عن النموذج السببي المقترح للضبط الذاتي والفاعلية الذاتية والمثابرة والإصرار (GRIT) والتحصيل الأكاديمي، والكشف عن مستوياتها لدى الطلبة، وتكونت عينة الدراسة من (895) طالباً وطالبة من جامعة اليرموك، واستخدم الباحثان مقياس التقرير الذاتي لجمع المعلومات وتحليلها باستخدام النمذجة البنائية (SEM) واستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وتحليل التباين، وتوصلت نتائج الدراسة الى قبول النموذج السببي المقترح ومطابقته لبيانات الدراسة، وتوصلت الى وجود مستويات متوسطة من المثابرة والإصرار (GRIT) لدى الطلبة.

التعقيب على الدراسات السابقة

من خلال مراجعة الدراسات السابقة ذات الارتباط بموضوع الدراسة، حيث اشارت نتائجها الى أن الدرجات المرتفعة من المثابرة والإصرار ارتبطت بمستويات مرتفعة من التحصيل الأكاديمي لدى الطلبة، كما أشارت الى مدى أهميتها وأثرها الواضح على جميع مجالات الحياة والرضا عنها، وأجريت العديد من الدراسات التي تناولت المثابرة والإصرار (GRIT) وقد تباينت في نتائجها؛ من أجل توضيح وفهم العلاقات مع المتغيرات الأخرى التي لها ارتباط وتأثير مباشر معها، وقد استفادت هذه الدراسة من الدراسات السابقة بإثراء الأدب النظري المتعلق بمتغير الدراسة وتحديد منهجها وصياغة مشكلتها، وما يميزها أنها من أولى الدراسات التي سيتم دراستها في البيئات العربية -على حد علم الباحث، لتوفير معلومات إضافية تساعد المعلمين والطلبة على كيفية الاستفادة منها وتوظيفها ضمن المقررات الدراسية والأنشطة التعليمية المختلفة.

الطريقة والإجراءات

منهج الدراسة:

لتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام المنهج الوصفي الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع ووصفها وصفاً دقيقاً، ولمناسبتها لطبيعة وأغراض الدراسة.

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من طلبة المرحلة الأساسية المتوسطة (الصف السابع والثامن والتاسع)؛ في مديرية تربية لواء المزار الشمالي لعام (2021/2020).

عينة الدراسة:

تم اختيار عينة الدراسة بالطريقة العشوائية من بين المدارس في اللواء، وتكونت من (235) طالباً طالبة، حيث بلغ عدد الذكور (145)، وعدد الإناث (185).

أداة الدراسة:

استخدم الباحث مقياس المثابرة والإصرار (GRIT)، الذي قام الشerman والزغول (2020) بترجمته من اللغة الانجليزية الى اللغة العربية وتكييفه على البيئة الأردنية، حيث تكون المقياس بصورته الأولية من (12) فقرة،

وموزعة على بُعدين هما، المثابرة والإصرار ولها (6) فقرات، والشغف لتحقيق الأهداف ولها (6) فقرات، ووفقاً لتدرج ليكرت الخماسي.

صدق وثبات المقياس:

قام الشرمان والزرغول (2020) بالتحقق من صدق المقياس من خلال الصدق الظاهري وعرضه على مجموعة من المُختصين في اللغة الإنجليزية للتأكد من وعرضها على مُختصين باللغة الإنجليزية للتأكد من صحة الترجمة، ثم ترجمته بشكل عكسي للتأكد من سلامة الفقرات مع المحافظة على المدلول الأصلي لكل فقرة وإعادة الصياغة وإجراءات التعديلات اللازمة على اللغة العربية، ثم عُرض المقياس بصورته الأولية الجديدة على مُختصين ومُحكّمين من أعضاء الهيئة التدريسية من (جامعة اليرموك والجامعة الهاشمية وجامعة العلوم والتكنولوجيا وجامعة فيلادلفيا) وبلغ عددهم (15) مُحكم، وطلب منهم إبداء آرائهم وملاحظاتهم حول مدى انتماء كل فقرة للمجال الذي تنتمي اليه، ووضوح المعنى والصياغة اللغوية وإجراء أي تعديلات مناسبة كتعديل أو حذف أو دمج، حيث أشار (85%) من المُحكّمين أن المجالين مُتداخلين مع بعضها البعض، وأنّ هناك فقرات تتداخل مع بعضها واجمعوا على أن هذا المقياس هو أحادي البعد (مثابرة وإصرار) وليس ثنائي البعد، وهذا يتطلب دمج الفقرات تحت مجال واحد فقط وإخراجه بصورته النهائية. ثم استخدم الباحثان صدق البناء من خلال تطبيقه على عينة استطلاعية من خارج عينة الدراسة مكونه من (350) طالباً وطالبة من جامعة اليرموك، وذلك للتحقق من دلالات صدق فقرات المقياس بصورته الجديدة والمكونه من (12) فقرة، ولحساب قيم معاملات ارتباط الفقرات بالمقياس، وأشارت نتائج التحليل الى أن الفقرات (5، 11) حصلت على مُعامل ارتباط مُصحح أقل من (0.20)، حيث تم حذفها وإعادة حساب معامل الارتباط المُصحح للفقرات، وأصبح المقياس بصورته النهائية يتكون من (10) فقرات، وجميعها كانت مقبولة لأغراض الدراسة. واستخدم الباحثان التحليل العاملي الاستكشافي لمعرفة مدى تشعب فقرات المقياس وأظهرت أن الفقرات تشعبت بتشعبات تزيد عن (0.40) ضمن البعد الذي تتبع له، وتروحت بين (0.507) و(0.756)؛ وإجراء التحليل العاملي التوكيدي للتحقق من صحة وموثوقية نتائج التحليل العاملي الاستكشافي، ومعالجة مؤشرات التعديل وبهذا أصبح المقياس مُكوّناً من (10) فقرات. وللتحقق من ثبات المقياس قام الباحثان بحساب معامل الاتساق الداخلي لفقرات المقياس وتم استخدام معادلة كرونباخ ألفا (Cronbach–Alpha)، وتبيّن أن قيم معاملات ثبات الاتساق الداخلي كرونباخ ألفا لفقرات مقياس المثابرة والإصرار ككل بلغت (0.757).

أما مؤشرات صدق وثبات المقياس في الدراسة الحالية فقد قام الباحث بإجراءات الصدق من خلال الصدق الظاهري، وعرضه على عينة من المُحكّمين بلغ عددهم (10) مُحكمًا، في تخصصات علم النفس والإرشاد النفسي والقياس والتقويم، وطلب منهم إبداء الآراء حول المقياس من حيث سلامتها اللغوية ووضوحها، أو أي ملاحظات وتعديلات يرونها مناسبة، ولم يُبدي المحكمون أي تعديلات أو ملاحظات ترتبط بحذف أي فقرة من المقياس، وبقي مكوناً من (10) فقرات، واعتمد الباحث ما نسبته (80%) من إجماع المُحكّمين. وللتحقق من مؤشرات صدق البناء، فقد تم حساب معاملات الارتباط بيرسون بين فقرات المقياس وبين الدرجة الكلية للمقياس، والجدول (1) يبين ذلك.

الجدول (1) قيم معاملات الارتباط بين فقرات المقياس وبين الدرجة الكلية للمقياس

رقم الفقرة	مضمون الفقرات	معامل الارتباط
1	تجاوزت كثيراً من الصعوبات حتى أحقق إنجازاً هاماً.	.734**
2	تُشغلني الأفكار والمشاريع الجديدة عن الأفكار والمشاريع السابقة.	.772**
3	تتغير اهتماماتي من سنة إلى أخرى.	.759**
4	لا تحد العقبات والمصاعب من عزيمتي أبداً.	.751**
5	أعتبر نفسي شخصاً مكافحاً.	.739**
6	أقوم بتحديد هدف ما، ولكنني أسعى لتحقيق هدف آخر مختلف غيره.	.722**
7	أجد صعوبة في المحافظة على تركيزي لتحقيق أهداف تحتاج بضعة أشهر لإنجازها.	.756**
8	أقوم بإتمام ما أبدأ به.	.818**
9	لقد أنجزت أهدافاً استغرقت سنوات من العمل.	.758**
10	أنا شخص مجتهد ومثابر.	.828**

*دال عند مستوى دلالة 0.05 ** دال عند مستوى دلالة 0.01

ويُلاحظ من الجدول (1) أن قيم معاملات ارتباط الفقرات تراوحت بين (0.722-0.828)، وقد تم اعتماد المعيار لقبول الفقرة بأن لا يقل معامل ارتباطها عن (0.20)، وبذلك فقد قُبلت فقرات المقياس جميعها حيث لم يتم حذف أي فقرة من فقرات المقياس.

وكما تم التحقق من ثبات المقياس من خلال استخدام ثبات الإعادة، وذلك بحساب معامل الثبات لإعادة (Test-Retest) على عينة من خارج عينة الدراسة الأصلية ومكونة من (50) طالباً وطالبة، وأعيد تطبيق الاختبار بفواصل زمني مقداره أسبوعان واستخراج معامل الثبات عن طريق معامل الارتباط بيرسون بين التطبيقين حيث بلغ معامل الثبات (0.873)، وكما تم التحقق من الثبات باستخدام معادلة كرونباخ ألفا (Cronbach-Alpha)، للتحقق من ثبات الاتساق الداخلي حيث بلغت (0.90)، مما يدل على أن المقياس يتمتع بنسبة ثبات مرتفعة ومناسبة لأغراض الدراسة.

نتائج الدراسة

للإجابة عن السؤال الأول والمتعلق بمستوى المثابرة والإصرار (GRIT)؛ حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة على كل بُعد من أبعاد مقياس المثابرة والإصرار (GRIT) لدى الطلبة وعليها مُجتمعاً، ويبين جدول (2) ذلك.

جدول (2): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة على كل بُعد من أبعاد مقياس المثابرة والإصرار (GRIT) لدى الطلبة مرتبة تنازلياً وفق المتوسط الحسابي

الرقم	البُعد	المتوسط الحسابي *	الانحراف المعياري	الرتبة	المستوى
6		3.78	1.24	1	مرتفع
7		3.77	1.21	2	مرتفع
2		3.59	1.15	3	متوسط
3		3.56	1.30	4	متوسط
9		3.26	1.24	5	متوسط
4		3.11	1.05	6	متوسط
8		3.07	1.09	7	متوسط
5		3.05	1.12	8	متوسط
10		3.00	1.16	9	متوسط
1		2.78	1.04	10	متوسط
	المثابرة والإصرار (GRIT) ككل	3.30	0.63		متوسط

ويُلاحظ من الجدول (2) أن مستوى المثابرة والإصرار (GRIT) لدى الطلبة ككل (متوسط) بمتوسط حسابي (3.30). حيث جاءت الفقرة رقم (6) التي نصت على " أقوم بتحديد هدف ما، ولكنني أسعى لتحقيق هدف آخر مختلف غيره" في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.78) وبمستوى (مرتفع)، تلاها في المرتبة الثانية الفقرة رقم (7) التي نصت على " أجد صعوبة في المحافظة على تركيزي لتحقيق أهداف تحتاج بضعة أشهر لإنجازها" وبمتوسط حسابي (3.77) بمستوى (مرتفع)، أما الفقرة رقم (1) التي نصت على " تجاوزت كثيراً من الصعوبات حتى أحقق إنجازاً هاماً" فقد جاءت في المرتبة الأخيرة، وبمتوسط حسابي (2.78) وهي من أدنى مستويات المتوسط.

نتائج السؤال الثاني الذي نص على: "هل تختلف مستويات المثابرة والإصرار (GRIT) لدى الطلبة باختلاف الجنس؟".

حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة على مقياس المثابرة والإصرار، وفقاً لمتغير الجنس:

جدول(3):المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأفراد عينة الدراسة

مقياس	الجنس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدالة الاحصائية
المثابرة والإصرار (GRIT)	ذكر	3.21	0.71	0.000
	أنثى	3.40	0.67	

ويُلاحظ من الجدول (3) وجود فروق ظاهرية بين المتوسطات الحسابية لتقديرات أفراد عينة الدراسة على مقياس المثابرة والإصرار (GRIT) وفقاً لمتغير الجنس.

مناقشة النتائج

مناقشة نتائج السؤال الأول: الذي ينص على "ما مستوى المثابرة والإصرار (GRIT) بين الطلبة".

وللإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة، وأظهرت النتائج الى أن الطلبة كان لديهم مستويات متوسطة من المثابرة والإصرار (GRIT).

يُفسر الباحث هذه النتيجة من خلال المنهاج الدراسية وطبيعة المحتوى الذي يقوم بطرح نماذج واقعية للمثابرة والإصرار، واستخدام أساليب التدريس التي تقوم على ربط المحتوى العلمي بحياة الطلبة وبواقعهم الملموس وأحداثهم اليومية، لسهيل عملية التعلم واستدامته فتزيد دافعيتهم ويشعرون بالرضا والسعادة أثناء التعلم، ويتخلون عن الشعور السلبي تجاه أنفسهم ويمنحهم مشاعر إيجابية تجعلهم أكثر قدرة على بذل الجهد والمثابرة والإصرار بدرجات عالية.

وقد يعزو الباحث السبب الى التنشئة الأسرية والأساليب الوالدية المستخدمة في التعامل مع الأبناء ورعايتهم من خلال مراقبتهم وتحسس احتياجاتهم وتلبية متطلباتهم ومعاملتهم بطريقة حسنة، وتوفير الأمان الأسري لهم ليتمكنوا من بناء تصورات راقية عن والديهم وبناء جسور من الثقة العالية بينهم تنعكس على ثقتهم بذاتهم فتزيد من مستويات مثابرتهم وإصرارهم، وبنفس الوقت يكون الوالدين نموذج للأبناء يتعلمون منهم ويقلدونهم، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (Duckworth, 2016) ودراسة هوارد وآخرون (Howard et al, 2019) حيث أكدوا على أهمية التنشئة الاسرية والمعاملات الحكيمة داخل الأسرة، ويكون الوالدين نموذجاً من المثابرة والإصرار للأطفال ليقلدونهم، فالأسلوب الوالدي من أهم الآليات لتنميتها.

وقد يفسر الباحث هذه النتيجة من خلال البرامج التربوية التي تركز على تنمية المثابرة والإصرار والورش التدريبية التي تساهم في تعزيزها، فهي سمة يمكن تعليمها واكتسابها بالممارسة والتدريب المكثف حيث تُعد

الممارسة مَطْلَب أساسي لتنمية قدرات الطلبة وللتعامل مع معيقات والضعفوات الأكاديمية، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الين وآخرون (Alan et al, 2016) ودراسة فازونيا وآخرون (Vazonyi et al, 2019) في التأكيد على أهمية البرامج التدريبية والممارسة لتعلمها وتطويرها حيث تُعد من متطلبات القرن واحد وعشرون، واكسابهم المهارات المرتبطة بها كالثبات وتحديد الهدف والصمود حيث أصبحت هدف أساسي في الميادين التربوية.

ويمكن رد هذه النتيجة الى نظرية أدلر التي ترى أن مشاعر النقص والعجز التي يعيشها الأفراد تقودهم للكفاح والعمل بجد واجتهاد ومثابرة العالية للوصول الى التميز، وأنَّ هذا النوع من المشاعر سيمنحهم القوة التي تدفعهم لخوض التحديات وتحويلها من نقص الى تفوق والتغلب على المشاعر السلبية، فتصبح أسلوب حياة يتصف به. وقد يكون السبب هو قدرة الطلبة على تبني أهداف مستقبلية واضحة ذات قيمة شخصية، ووعيهم بها وترتيبها وفقاً لأولويات تحقيق الهدف، ويسيرون بخطى ثابتة دون تراجع أو استسلام مؤمنين ومتمسكين بها (Buzzetto & Mitchell, 2019; Werner et al, 2019). وتختلف هذه النتيجة مع دراسة اوشير وآخرون (Usher et al, 2018) حيث ترى أن جميع الطلبة لديهم مستويات منخفضة من المثابرة والإصرار.

مناقشة السؤال الثاني: والذي ينص على "هل تختلف مستويات المثابرة والإصرار (GRIT) باختلاف

الجنس؟"

أظهرت نتائج التحليل الإحصائي أن الطالبات حصلن على مستويات مثابرة وإصرار (GRIT) أعلى منها لدى من الطلاب في مدارس لواء المزار الشمالي.

أن تفوق الإناث في المثابرة والإصرار على الذكور يمكن أن يكون بسبب نظرة الإناث للمدرسة وتطلعاتهن المستقبلية، فالمدرسة هي المكان الوحيد الذي تجده كمتنفس لها والطريق الوحيد لإثبات ذاتها أكاديمياً وللتخلص من القيود المفروضة عليها، فيتكون لديهن إحساساً عالياً بأن لديهن القدرة على الإنجاز ودافعية داخلية تمنحهن الثقة لبذل المزيد من المثابرة والإصرار والجهد لإنجاز المهمات المطلوبة للحصول على تحصيل أكاديمي أفضل، وبسبب القيود على الأنثى المفروضة والقوانين الصارمة عليها للبقاء في المنزل، مما يجعلها قادرة على المتابعة والمثابرة والإصرار من خلال استثمار الوقت المنزلي لإنجاز المهمات فيصبحن مثابرات في المدرسة ومثابرات في المنزل ويبدلن جهداً إضافياً أكثر من الذكور لتحقيق أهدافهن المستقبلية.

ويتفق الباحث مع دراسة ستوارت (Stewart, 2015) بأن الاختلاف بين الجنسين قد تعود لطريقة تفكيرهم أو لطبيعة الاهتمامات المختلفة من حيث الإجابة على فقرات المقياس، ففي المقياس لم يتم تحديد الجانب الذي يقيسه كالجانب الأكاديمي أو المهني، فعلى سبيل المثال عبارة (أنا مجتهد) إذا فكر الطالب بالجانب الأكاديمي والاجتهاد من المحتمل أن يجيب ينطبق علي تماماً، وإذا فكر بالجانب المهني من المحتمل أن يجيب بدرجة متوسطة، لذلك قد تتغير إجابة الطلبة على الفقرة كلياً إذا تم تحديد الجانب الذي تقيسه.

وقد يعزو الباحث ارتفاع مستوى المثابرة والإصرار لدى الإناث الى قدرتهن على التحمل ومقاومة الإغراءات والتفكير العميق بالمهمات على اختلافها، والتمكن منها قبل الخوض فيها لتذليل الصعوبات ومقاومة الإحباط والاستمتاع بأداء المهمة، وهذا يتفق مع دراسة دكوورث وآخرون (Duckworth et al, 2007) أن

المثابرة والإصرار (GRIT) لإنجاز المهمات الأكاديمية تتطلب بذل الجهد وتحمل المشقة وقدرة عالية على مقاومة الإغراءات وتأجيل الإشباع، وأنّ الإناث لديهن قدرة على الالتزام بالمهام الأكاديمية وقدرة أعلى في التحمل مع بذل الجهد للوصول الى القمة والإنجاز بعيداً عن التسوية الأكاديمي، وكما لديهن قدرة أكبر على تصحيح مسارات العمل والتقييم والتصحيح الذاتي.

وأنّ الإناث يتمتعن بقدر عالية من السعادة والتفاؤل والمرتبطة بالمثابرة والإصرار، ولديهن ورضا أكثر عن حياتهن مما يدفعهن للاستمرار وبذل الجهد لإنجاز المهمات وهذه النتيجة تتفق مع دراسة دكوورث (Duckworth, 2016) أن السعادة والرضا يرتبطان ببذل الجهد والمثابرة لإنجاز المهمات المطلوبة دون كلل. وقد يعود الى امتلاك المعلمات واهتمامهن في مدارس الإناث بالكفايات التدريسية والأساليب والاستراتيجيات من خلال عقد الدورات التأهيلية مما ساعد على توظيفها بشكل مناسب داخل الغرفة الصفية، والتي من شأنها غرس قيمة المثابرة والإصرار (GRIT) لدى الطالبات وصقل مهارتهن وتميبتها.

وتتفق هذه النتيجة مع ودراسة تشانج (Chang, 2014) ودراسة ستيوارت (Stewart, 2015) ودراسة اريول وآخرون (Oriol et al, 2017) ودراسة تابيار وكيليكسي (Taspiar & Kulekei, 2018) ودراسة اوشر وآخرون (Usher et al, 2019) ودراسة الشرمان والزرغول (2020)، أن الإناث حصلن على مستويات أعلى من الذكور بالمثابرة والإصرار، وكما اختلفت مع دراسة فاوست (Faust, 2017) ودراسة هودج (Hodge et al, 2017) حول أن كلا الجنسين لا يوجد فروق بينهم في المثابرة والإصرار.

التوصيات

بناءً على نتائج الدراسة يوصي الباحثان بما يأتي:

1. العمل على تنمية المثابرة والإصرار لدى الطلبة ولقدرتها على تنمية كفاءاتهم وتعزيز مهاراتهم.
2. عقد الدورات التدريبية والورش العمل من قبل وزارة التربية والتعليم لتميتها لدى الطلبة، ولما لها من أثر ملحوظ في تحسين التحصيل الأكاديمي لديهم.
3. ضرورة إجراء المزيد من الدراسات لاختبار صدق مقياس المثابرة والإصرار (GRIT) لدى عينات وشرائح عمرية مختلفة.

المراجع

المراجع العربية

الشرمان، علاء الدين والزرغول، رافع. (2020). نموذج سببي للعلاقة بين الضبط الذاتي والفاعلية الذاتية الأكاديمية والمثابرة والإصرار (GRIT) والتحصيل الأكاديمي. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن.

المراجع الإنجليزية

- Bazelais, P., Lemay, D. J., & Doleck, T. (2016). How Does Grit Impact College Students' Academic Achievement in Science?. *European Journal of Science and Mathematics Education*, 4(1), 33-43.
- Bazelais, P., Lemay, D., Doleck, T., Hu, X., Vu, A., & Yao, J. (2018). Grit, Mindset, and Academic Performance: A Study of Pre-University Science Students. *Eurasia journal of mathematics, science and technology education*, 14.
- Buzzetto-Hollywood, N., & Mitchell, B. C. (2019). GRIT AND PERSISTENCE: FINDINGS FROM A LONGITUDINAL STUDY OF STUDENT PERFORMANCE. *Issues in Informing Science & Information Technology*, (16), 377-391.
- Chang, W. (2014). Grit and Academic performance: Is Being Gritting Better?. *Open Access Dissertations*. paper 1306.
- Chen, X, Zhang, G, Yin, X, Li, Y, Cao, G, García, C. G & Guo, L. (2019). The Relationship Between Self-Efficacy and Aggressive Behavior in Boxers: The Mediating Role of Self-Control. *Front. Psychol.* 10(12), 1-9.
- Credé, M., Tynan, M. C., & Harms, P. D. (2017). Much ado about grit: A meta-analytic synthesis of the grit literature. *Journal of Personality and social Psychology*, 113(3), 492-511.
- Duckworth, A. & Quinn, P. (2009). Development and Validation of The Short Grit Scale (Grit-S). *Journal of Personality Assessment*, 91 (2),166-174.
- Duckworth, A. L. (2016). *Grit: The Power of Passion and Perseverance*. New York, NY: Scribner.
- Duckworth, A. L., Peterson, C., Matthews, M. D., & Kelly, D. R. (2007). Grit: perseverance and passion for long-term goals. *Journal of personality and social psychology*, 92(6), 1087.
- Duckworth, A., & Gross, J. J. (2014). Self-control and grit: Related but separable determinants of success. *Current directions in psychological science*, 23(5), 319-325.
- Duckworth, A., & Gross, J. J. (2014). Self-control and grit: Related but separable determinants of success. *Current directions in psychological science*, 23(5), 319-325.
- Dweck, C. S., Walton, G. M., & Cohen, G. L. (2014). *Academic Tenacity: Mindsets and Skills that Promote Long-Term Learning*. Bill & Melinda Gates Foundation.
- Faust, L. E. (2017). *A Study of Grit and Self-efficacy in Students in Development Placements*. Theses and Dissertation (All). 1513 .<http://Knowledge.Library.iup.edu/etd/1513>
- Fillmore, E. P. (2015). *Grit and Beliefs About Intelligence: The Relationship And Role These Factors Play In The Self-Regulatory Processes Involved In Medical Students Learning Gross Anatomy*. Indiana University.
- Fillmore, E. P. (2015). *Grit and Beliefs About Intelligence: The Relationship And Role These Factors Play In The Self-Regulatory Processes Involved In Medical Students Learning Gross Anatomy*. Indiana University.

- Gonzalez, O., Canning, J. R., Smyth, H., & MacKinnon, D. P. (2019). A Psychometric Evaluation of the Short Grit Scale. *European Journal of Psychological Assessment*. <http://dx.doi.org/10.1027/1015-5759/a000353>.
- Hodge. B, Wright. B & Bennett. P. (2017). The Role GRIT In Determining Engagement And Academic Outcomes For University students. *Research In Higher Education*, 59(4), 448-460.
- Howard, J. M., Nicholson, B. C., & Chesnut, S. R. (2019). Relationships between positive parenting, overparenting, grit, and academic success. *Journal of College Student Development*, 60(2), 189-202.
- Khine, M. S., & Arepattamannil, S. (2016). Non-cognitive skills and factors in educational attainment. Springer.
- Lin, C. L. S., & Chang, C. Y. (2017). Personality and family context in explaining grit of Taiwanese high school students. *Eurasia Journal of Mathematics, Science and Technology Education*, 13(6), 2197-2213.
- Mason. H. D. (2018). Grit And Academic Performance Among First Year University students: A Brief Report. *Journal of Psychology in Africa*, 28(1), 66-68.
- Sunbul. Z. A. (2019). How Grit Mediates Relation Between Personality and GPA In University Students? *Cypriot Journal of Educational Science*, 14(2), 257-265.
- Taspinar. H. K & Kulekci. G. (2018). GRIT: An Essential Ingredient of Success In The EFI Classroom. *Intrenational Journal of Languages Education And Teathing*, 6(3), 208-226.
- Wei, H., Gao, K., & Wang, W. (2019). Understanding the relationship between grit and foreign language performance among middle school students: The roles of foreign language enjoyment and classroom environment. *Frontiers in psychology*, 10, 1508.

عنوان البحث

فرص دولة قطر في التعاون السيبراني مع حلف شمال الأطلسي (الناتو)

عبد الرحمن سعيد الكواري¹

¹ باحث في مجال الدراسات الأمنية النقدية

بريد الكتروني: aal061@dohainstitute.edu.qa

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21112>

تاريخ القبول: 2021/10/12م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

تحت ظل التطور المستمر للتكنولوجيا توجد تهديدات عديدة يمكن للقراصنة الإلكترونيين والمخربين من استغلالها لتحقيق مأرب غير سرعية. بينما تسعى الدول للاعتماد على أحدث البرامج لحماية أنفسها، نشأت تحت قيادة حلف شمال الأطلسي تحالفاً وتعاوناً لصد الهجمات الإلكترونية وبناء سياسات تساعد الدول الأعضاء من تطوير دفاعاتها السيبرانية. تهتم هذه الورقة بدراسة الفرص التي يمكن لقطر استغلالها لتعزيز قدراتها السيبرانية بعد تعاونها مع حلف شمال الأطلسي. وتستخدم الورقة منهجية دراسة الحالة لفهم وتحقيق ذلك.

RESEARCH ARTICLE

**QATAR'S OPPORTUNITIES IN CYBER COOPERATION WITH THE
(NORTH ATLANTIC TREATY ORGANIZATION (NATO))****Abdul Rahman Saeed Al-Kuwari¹**¹ researcher in critical security studiesHNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21112>**Published at 01/11/2021****Accepted at 12/10/2021****Abstract**

Under the continuous development of technology, there are many threats that hackers and saboteurs can exploit to achieve a non-speedy purpose. As countries seek to rely on the latest programs to protect themselves, under the leadership of NATO, an alliance and cooperation has emerged to fend off cyberattacks and build policies to help member states develop their own cyber defenses. This paper studies the opportunities that Qatar can exploit to enhance its cyber capabilities after its cooperation with NATO. The paper uses case study methodology to understand and achieve this.

المقدمة

تعاني الدول من هجمات واختراقات سيبرانية، وقد تتعرض بعض الدول الضعيفة في مجال الأمن السيبراني إلى هجمات منظمة من قبل دولة أخرى، يوضح سيناريو اختراق وكالة الأنباء القطرية ذلك، تسعى غالباً الدول لبناء سياسات تعزز فيها من قدراتها وإمكانياتها في مواجهة التحديات المختلفة. يكون ذلك عن طريق التحالفات مما يشكل لها شبكة متينة من العلاقات التي تتيح لها إمكانيات وتقنيات متنوعة يمكن الاستفادة منها ضد أي تهديد يحول في الأفق. تهتم الورقة بدراسة النموذج القطري وإمكانية الاستثمار في تحالفه مع حلف شمال الأطلسي لتطوير قدراته السيبرانية. حيث يوجه البحث اهتمامه على ثلاث جوانب مهمة:

الأولى: المشكلة التي تعانيها قطر في تأمينها لمجالاتها السيبرانية، وسيتم استخلاص نقاط الضعف عن طريق دراسة اختراق وكالة الأنباء القطرية "قنا".

الثانية: الجهود الدبلوماسية التي تتيح لقطر التعاون مع الناتو في المجالات السيبرانية، وبناءً على دراسة مستوى التعاون والمميزات التي يمكن لقطر الاستفادة منها، ستأتي في المرحلة الثالثة.

الثالثة: الإمكانيات التي بحوزة الناتو، وفرص قطر في الاستفادة منها. تكمن أهمية هذه الورقة في تعزيز رؤية قطر لمواكبة التطور التقني المستمر والسريع في مجال الأمن السيبراني، وسيكون ذلك عن طريق الإجابة على السؤال البحث: كيف يمكن لدولة قطر الاستفادة من تحالفها مع الناتو لتعزيز استراتيجية الدفاع السيبراني لديها؟ كما سيعتمد البحث على منهج دراسة الحالة في سبيل تحقيق ذلك.

حيثيات اختراق وكالة الأنباء القطرية (قنا)

بالرغم من قيام قطر باعتماد استراتيجية أمن سيبراني في 2014 مرتكزة على تحقيق مستوى عالٍ من الحماية تحمي بها المنشآت الحيوية وتسطيع من خلالها التصدي للهجمات السيبرانية في الوقت المناسب¹، إلا أن ذلك لم يكن كافياً، إذ تمكنت مجموعة من القراصنة باختراق وكالة الأنباء القطرية في تاريخ 23 مايو 2017. استخدم المخترقون تقنيات مبتكرة من خلال استغلال ثغرة إلكترونية على الموقع الإلكتروني للوكالة²، وتوضح وزارة الداخلية القطرية أن المخترقين قاموا بعملية استطلاع إلكترونية لموقع الوكالة لتحديد نقاط الضعف وتمت العملية في تاريخ 19 أبريل 2017³ باستخدام برمجيات متعددة⁴. يفسر مختصون في المجال أن المخترقين قاموا باستخدام تكتيك الاصطياد بالرمح "Spear Phishing"⁵ لاختراق أحد هواتف الموظفين في الوكالة واستخدامه

¹ QATAR NATIONAL CYBER SECURITY STRATEGY, Qatar government, PP vi- vii, 2014, <https://bit.ly/32kxjEW>

² تصريح لوزارة الداخلية بشأن قرصنة موقع وكالة الأنباء القطرية، وزارة الخارجية، <https://bit.ly/3iXqC1U>

³ المؤتمر الصحفي لوزارة الداخلية القطرية حول قرصنة وكالة الأنباء القطرية، التلفزيون العربي، الدقيقة 4:00 الى 4:30 الى 2:00، 2017، <https://bit.ly/2RZBFf2>

⁴ بحسب المؤتمر الصحفي الذي تناوله فيه وزارة الداخلية القطرية كيفية الاختراق، فقد ذكرت الوزارة ان البرمجيات المستخدمة هي: (PureVPN, Offshore Dedicated Privacy Made Easy, Private internetaccess).

⁵ According to Mohammed Aldorani, this is similar to fishing, the term used to phis for any vulnerable target in collecting user's credentials such as user identification and passwords, and any other related security

كنقطة عبور لجهاز الخادم الرئيسي وبذلك كانت وسائل الاتصال عن بعد بين أجهزة الموظفين الشخصية والجهاز الرئيسي للوكالة أحد الثغرات التي تسمح بوصول الفيروسات للجهاز⁶، وفي تحقيقات لاحقة أعلنت على وسائل الاعلام القطرية تبين أن المخترقين استخدموا شركة وهمية في أذربيجان للتعامل مع مختصين في المسح والكشف عن الثغرات الأمنية في شبكة الوكالة، حيث أنهم قدموا إليهم مجموعة من المواقع لتفحصها بحجة أن الشركة تقوم بإصلاحها، وكان من ضمن تلك المواقع موقع وكالة الأنباء القطرية⁷. تمكن المخترقون من السيطرة على حسابات الوكالة في منصات وسائل التواصل الاجتماعي⁸. بحسب التقارير المعلنة من وزارة الداخلية القطرية أن تحميل البرمجيات الخبيثة تمت في 22 إبريل 2017 في تمام الساعة 3:40 صباحاً، ومن ثم قام المخترقون بإجراء بعض التعديلات على البرمجيات الخبيثة التي تم تحميلها من قبلهم في الجهاز الرئيسي ليتمكنهم من التحكم الكامل في الشبكة مما سمح لهم بالحصول على كافة العناوين والأرقام السرية للشبكة. تؤكد التقارير ان المخترقين قاموا بالدخول للشبكة عدة مرات للتأكد من قدرتهم على الهجوم⁹. ويستنتج من ذلك:

- 1- اتصال الموظفين مع الخادم الرئيسي للوكالة عن طريق هواتفهم أو أجهزة متصلة بالإنترنت، غير مؤمنة ضد الهجمات، مما جعلها نقطة عبور للخادم الرئيسي.
- 2- ضعف في قدرة النظام على الكشف عن الفيروسات، حيث أنه تم تحميل برمجيات خبيثة ساعدت على التحكم بالشبكة ولم يتمكن النظام من كشفها.

تحالف قطر مع الناتو

تهتم قطر بتعزيز قدراتها السيبرانية بمختلف الطرق، ويعتبر التحالف مع الناتو خطوة أساسية في هذا الاتجاه، ويوضح وزير الخارجية القطري ذلك " نحن في قطر نركز تعاوننا في مجالات العمل المشترك والتدريب والتعليم والدفاع السيبراني وأمن الطاقة والتخطيط لمواجهة الطوارئ المدنية وإدارة الأزمات"¹⁰. سيساعد ذلك قطر في تطوير قدراتها عن طريق الاستفادة من تقدم الدول الأعضاء في حلف الناتو في مجال الأمن السيبراني. تؤكد الخارجية القطرية رغبة قطر في تحقيق الأمن السيبراني ومواجهة التحديات السيبرانية من خلال التعاون مع حلف الناتو¹¹. يساعد التحالف المشترك بين قطر والناتو على انخراطها في سياسات الردع والدفاع وتعزيز الأمن بين أطراف الحلف، حيث قامت قطر بالمشاركة في القمة رقم 29 لحلف الناتو، والتي تضمنت جلسات لتطوير هيكل

passwords. Spear Phishing is more a targeted approach to attack whereby a hacker would look for a specific target to attack. Both terms are most popular as this hacking method has become widespread.

⁶ محمد الدوراني، تأثير الهجمات السيبرانية على البنى التحتية.. الحرب السيبرانية ودول مجلس التعاون الخليجي، معهد الدوحة للدراسات العليا، قطر، تم البث عن طريق الحساب الرسمي للمعهد في تويتر، 2020، الدقيقة 33 الى 34، <https://bit.ly/2ZX2bds>

⁷ عام على اختراق "قنا" .. هكذا قرصنت دول الحصار عقول شعوبها، الخليج أونلاين، 2018، <https://bit.ly/30r70MD>

⁸ المؤتمر الصحفي لوزارة الداخلية القطري حول قرصنة وكالة الأنباء القطرية، الدقيقة 1:40 الى 2:00.

⁹ المؤتمر الصحفي لوزارة الداخلية القطري حول قرصنة وكالة الأنباء القطرية، الدقيقة 4:40 الى 5:00.

¹⁰ نائب مجلس الوزراء وزير الخارجية يجتمع مع الأمين العام لحلف شمال الأطلسي الناتو، وزارة الخارجية القطرية، 2019،

<https://bit.ly/38FTvh0>

¹¹ المصدر السابق.

حلف الناتو ليتلاءم مع متطلبات الاستجابة السريعة للأزمات، ودور قطر والدول الأخرى في الاستجابة لها¹². ويوضح وزير الخارجية التركي مولود تشاوش أوغلو أن التحالف القطري مع الناتو سيتضمن تحالفاً على المستوى العسكري وتعاوناً على الصعيد المادي لتحقيق رادع فعال ضد التهديدات الأمنية¹³، كما يعزز التحالف من مرونة المبيعات في المجال العسكري بين قطر والدول الأعضاء في الناتو، يوضح مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الخليج العربي تيموثي لاندركينغ أن التحالف "سيسمح لقطر بالاستفادة من مزايا في مجال التجارة العسكرية والتنسيق الأمني"¹⁴. أيضاً يجب الإشارة الى التسهيلات في المبيعات التي يكمن لقطر الحصول عليها، والتي ستساعد في تطوير الدفاعات القطرية في عدة جوانب منها الجانب السيبراني، فبحسب إبراهيم السعيد الخبير في شؤون حلف شمال الأطلسي "تكمن في تكثيف التعاون مع قطر في الجوانب العسكرية والدفاعية من خلال تسهيل إجراءات شراء الأسلحة والتكنولوجيا العسكرية المتقدمة والأنظمة الأمنية المتطورة، علاوة على استفادة قيادات الدفاع من الدورات التكوينية المشتركة مع الجيش الأمريكي"¹⁵، وتسعى قطر لتطوير هذه العلاقات بشكل مستمر لتستطيع تحقيق ردع فعال من اعتداءات خصومها، لذلك تقوم بتكثيف المحادثات وتطوير العلاقات مع الناتو، يصف جلال سلمي أحد المتخصصين في العلاقات الدولية، أن هذه العلاقات "تُعلي من رصيد قطر الإقليمي كدولة صغيرة المساحة كبيرة النفوذ"¹⁶.

بحسب ما سبق ذكره يمكن استخلاص أن هنالك ثلاث فرص رئيسية ستمكن قطر من الاستفادة من الناتو لتعزيز قدراتها السيبرانية:

الأول: تسهيل للمبيعات العسكرية ومنها البرمجيات وأنظمة الدفاع السيبراني.

ثانياً: التدريب في المجالات المختلفة والتي تشمل الجانب السيبراني.

ثالثاً: التنسيق الأمني الذي قد يدعم قطر في مجالات عدة مثل تبادل المعلومات.

القدرات السيبرانية للناتو

تلعب الشراكات القوية بين الدول الأعضاء في الناتو دوراً رئيسياً في معالجة التحديات السيبرانية بفعالية، ركز الناتو على وضع التدابير لتلبية المتطلبات الأمنية، حيث حددت قمة مجلس شمال الأطلسي للناتو (NAC) لعام 2002، التي أقيمت في جمهورية التشيك، دخول الدفاع الإلكتروني كقضية مهمة تستحق الاهتمام الجماعي للحلف¹⁷، ويوضح الجنرال فولفجانج رينر نائب رئيس أركان الفضاء السيبراني للناتو أن تحديات الفضاء السيبراني

¹²مسؤولة في الناتو: انضمام قطر إلى الحلف مهم جداً، صحيفة الشرق، 2018، <https://bit.ly/3ltvIEj>

¹³مريم بومديان، وزير خارجية تركيا لـ الشرق: قطر طرف وازن في معادلة القوى الدولية لمواجهة الإرهاب، صحيفة الشرق، 2018،

<https://bit.ly/3eWX5o4>

¹⁴واشنطن: نعمل لإعلان قطر حليفاً رئيسياً من خارج الناتو.. وهذه المزايا التي ستحصل عليها، صحيفة الشرق، 2020،

<https://bit.ly/3ktOvOs>

¹⁵الوالي أحمد، خبير بشؤون "الأطلسي": هذه دلالات إعلان قطر حليفاً رئيسياً للناتو، الخليج أونلاين، 2020، <https://bit.ly/2GdJs6L>

¹⁶أحمد يوسف، قطر.. حليف رئيسي للناتو يسعى لعصوية كاملة، الانظول وكالة الأنباء التركية، 2020، <https://bit.ly/3eWssil>

¹⁷ Jeffrey L.Caton, NATO cyberspace capability: a strategic and operation evolution, U.S. Army College, P2,2016, <https://bit.ly/32rIGv0>

تؤثر على الدفاعات السيبرانية للنااتو، ويجب أن يتسم موقفنا التشغيلي بالمرونة والتكيف والتعاون¹⁸. أدت الهجمات السيبرانية على إستونيا في 2007 والتي اتبعت تكتيكات مثل "تكتيك رفض الخدمة- DDOS"¹⁹، حيث كانت إستونيا تعتمد بشكل كامل في معاملاتها الحكومية والمصرفية على الانترنت، وتسببت الهجمات التي جاءت على شكل موجات على مدار ثلاثة أسابيع بتعطيل قدرة المستخدم من الانتفاع بالخدمات²⁰. يوضح جيمس لويس من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية أن هجمات DDOS تستخدم بشكل أكثر شيوعاً في الأنشطة غير المشروعة²¹، حيث وجّه المهاجمون ما يقرب من مليون جهاز كمبيوتر في استونيا للتقدم بعدد هائل من الطلبات في نفس الوقت، مما أدى إلى زيادة حركة المرور إلى ما هو أبعد من المستويات العادية من النشاط وبالتالي إيقاف الخوادم²². توالى الهجمات على دول أعضاء بالنااتو، ففي 2008 وقعت هجمات إلكترونية على جورجيا مشابهة لسابقتها، فقد استهدفت الهجمات على مواقع حكومية منها موقع مكتب رئيس جورجيا كما قام المخبرين باختراق قناتان تلفزيونية²³، وتبع المخربون تكتيك رفض الخدمة (DDoS) وأشارت إلى أن هجمات DDOS تزامنت مع تحرك القوات الروسية إلى أوسيتا الجنوبية ردًا على العمليات العسكرية الجورجية. تسببت هجمات DDOS في تعطيل معظم مواقع الويب الحكومية الجورجية²⁴، دفع ذلك النااتو لإعادة النظر في استراتيجيته الأمنية السيبرانية²⁵، ووضع أول سياسة دفاع إلكتروني في 2008، وفي عام 2014 جعل النااتو الدفاع الإلكتروني جزءاً أساسياً من الدفاع الجماعي معلناً أن هجوماً إلكترونياً يمكن أن يؤدي إلى تطبيق بند الدفاع الجماعي (المادة 5) من المعاهدة التأسيسية لحلف النااتو علاوة على ذلك، في عام 2016 اعترف الحلفاء بالفضاء الإلكتروني كمجال للعمليات العسكرية، وتعهدوا كذلك بتعزيز الدفاعات السيبرانية لشبكاتهم وبنيتهم التحتية الوطنية كمسألة ذات أولوية²⁶. أما على الصعيد الفني فقد قام النااتو بتطوير قدراته للكشف والتصدي للهجمات الإلكترونية، وعلى صعيد الموارد البشرية فقد قام بتوظيف قدراته في التخطيط لوضع استراتيجيات وسياسات تحقيق الأمن السيبراني، ويخصص النااتو مبالغ كبيرة لتطوير برمجيات الجدار الناري لديهم، كما ساهم

¹⁸ NATO LEADERS CALL FOR GREATER COLLABORATION IN CYBERSPACE, Vigilia Pretium libertatis, NATO, <https://bit.ly/3kc7LAI>

¹⁹ Emilio Iasiello, Cyber Attack: A Dull Tool to Shape Foreign Policy, International Conference on Cyber Conflict, P2, 2013, <https://bit.ly/3exmd4u>

²⁰ مايا أوتاراشفيلي، القرصنة الروسية ليست جديدة... الحرب الإلكترونية الأولى في أستونيا، المجلة، 2017، <https://bit.ly/3f2ymOX>

²¹ STEPHEN W. KORNS and JOSHUA E. KASTENBERG, Georgia's Cyber Left Hook, ARMY WAR COLLEGE CARLISLE BARRACKS PA STRATEGIC STUDIES INSTITUTE, P60, 2009, <https://bit.ly/3n4eWvM>

²² Vincent Joubert, Five years after Estonia's cyber attacks: lessons learned for NATO, Research Division, NATO Defense college, Rome, NO. 76, P1, 2012, https://www.files.ethz.ch/isn/143191/rp_76.pdf

²³ بريطانيا وأمريكا تساند جورجيا بتحميل روسيا مسؤولية استهدافها بهجمات إلكترونية، شبكة الجزيرة الإعلامية، 2020،

<https://bit.ly/38FpwFF>

²⁴ المصدر السابق، ص 64.

²⁵ التهديدات الجديدة: الأبعاد الإلكترونية، مجلة النااتو، حلف شمال الأطلسي (النااتو)، <https://bit.ly/3kRTLfn>

²⁶ Laura Brent, NATO'S role in cyberspace, NATO, 2019, <https://bit.ly/2U16Qrk>

التقدم التكنولوجي لدى الدول الأعضاء في الحلف إلى تطوير الصناعات التقنية مثل خط إنتاج جهاز FAST360 الخاصة بشركة Arkoon حيث تدمج أجهزة FAST360 مجموعة كاملة من تقنيات الأمان (جدار الحماية، VPN، مكافحة الفيروسات، مكافحة البريد العشوائي) كما يقدم خدمات الشبكة مثل (NAT، VLAN، التوجيه الديناميكي) وميزات QoS (إدارة النطاق الترددي)²⁷. ساهمت القوائم المشتركة بين دول الأعضاء في الناتو من تعزيز قدرات الجدار الناري للناتو، حيث قاموا بإنشاء قائمة يطلق عليها اسم "قائمة بصمة الفيروسات" والتي يتم تحديثها بشكل مستمر لتمكين برمجيات مكافحة الفيروسات (الجدار الناري) من كشف الفيروسات الخبيثة. يقوم مركز الاتصال والمعلومات في الناتو بإدارة عدة وكالات فرعية وتقدم أكثر من 150 خدمة في مجالات متعددة منها (التدريب، التخطيط، تقديم المعلومات، تقديم الدعم التقني في مجالات مختلفة، وغيرها...)²⁸، من ضمن هذه الوكالات مركز الأمن السيبراني الذي يقدم مميزات مهمة قد تستفيد منها قطر، مثل المشاركة في تبادل المعلومات والثغرات الأمنية بين دول الاعضاء والدول المشاركة²⁹، ويقدم المركز مشروع الدفاع السيبراني متعدد الجنسيات والذي يقوم بتطوير عدة جوانب من الأمن السيبراني من خلال تشاؤك عدة دول لتطوير البرمجيات الأمنية، حيث يغطي مواضيع مثل (تطوير برمجيات الإنذار السيبراني المبكر، تطوير وسائل الكشف عن التهديدات ورصدها، تطوير برمجيات تخفيف الهجمات الإلكترونية من خلال الاستجابات شبه الآلية وغيرها...)³⁰. يتضمن هيكل الدفاع السيبراني في الناتو مركز الناتو للاستجابة للهجمات الإلكترونية (NCIRC)³¹، المكون من 200 خبير وهذه الهيئة مختصة بحماية شبكة الناتو والحفاظ على معلوماتها من القرصنة وتصنف كهيئة دفاعية³². طور الناتو تقنيات تساعده في الحروب التقليدية ويشرف مركز عمليات الفضاء الإلكتروني (CYOC) على دعم القدرات التقليدية والنووية بقدرات هجومية إلكترونية يمكنها أن تعزز تقدم الجيش على الأرض³³. تسمح الإجراءات الموضحة من قبل الناتو فيما يتعلق بالاستجابة السريعة والفعالة في حالة حدوث أزمة إلكترونية، حيث يوفر فريق التدخل السريع استجابة فنية منسقة. كما يتيح تبادل المعلومات بين وكالات الناتو فرصة أكبر لكشف هوية المعتدي³⁴، وغالباً ما تكون فرق التدخل السريع التابعة للناتو فرق صغيرة مكونة

²⁷ Arkoon FAST360 A10, NATO, <https://bit.ly/36volGr>

²⁸ What we do, NATO Communications and Information Agency (NCIA), <https://bit.ly/3I4ZP4W>

²⁹ NATO's Cyber Security Centre, NATO Communications and Information Agency (NCIA), <https://bit.ly/2I0upOV>

³⁰ Multinational Cyber Defence Capability Development (MN CD2), NATO Communications and Information Agency (NCIA), <https://bit.ly/3exvYzv>

³¹ قطر.. مجلس الوزراء يوافق على إنشاء وكالة للأمن السيبراني، الخليج أونلاين، 2020، <https://bit.ly/32ga0fy>

³² NATO Cyber Defence, NATO, 2019, <https://bit.ly/3mPRwu0>

³³ LILLIAN ABLON, ANIKA BINNENDIJK, QUENTIN E. HODGSON, BILYANA LILLY, SASHA ROMANOSKY, DAVID SENTY, JULIA A. THOMPSON, Operationalizing Cyberspace as a Military Domain, RAND corporation, P 8, 2019, <https://bit.ly/3kW4yFU>

³⁴ Vincent Joubert, Five years after Estonia's cyber attacks: lessons learned for NATO, Research Division, P 4.

من 4 إلى 6 أشخاص³⁵. توفر رابطة الدول المستقلة التابعة لحلف النااتو في بلجيكا خبراء في تكنولوجيا المعلومات قابلين للانتشار في دول الحلفاء للدعم التشغيلي والتقني³⁶. بالإضافة الى ذلك، يلقي النااتو اهتماماً كبيراً في تطوير الموارد البشرية من خلال التركيز على توظيف الخبرات في مجال الأمن السيبراني. ويهتم بنشر الثقافة الأمنية الفضاء الالكتروني بين الموظفين غير المتخصصين في مجال الأمن السيبراني، من خلال إنفاق ميزانيات طائلة من أجل نشر الوعي الأمني للفضاء السيبراني لدى العاملين في المؤسسات والمواقع الحساسة في دول الاعضاء³⁷. كما يقوم مركز الاتصال والمعلومات في للنااتو بإدارة تقديم الدعم الاستشاري من خلال الخبراء، تقديم الدورات التدريبية في مجال الأمن السيبراني³⁸. لضمان التنسيق المستمر والتطوير للاستراتيجيات المتبعة للأمن السيبراني يقيم النااتو تدريبات سيبرانية سنوية تهدف الى الاستجابة للسيناريوهات المختلفة والتي يمكن وقوعها كما تهدف للتكامل في التنسيق بين دول الأعضاء على جميع المستويات التكتيكية والاستراتيجية³⁹، ويمثل تمرين لوك شيلد "Locked Shields" أحد الأمثلة التي تُمكن هذه التمارين الخبراء في مجال الأمن السيبراني من تعزيز مهاراتهم في الدفاع عن أنظمة تكنولوجيا المعلومات الوطنية والبنية التحتية الحيوية في ظل هجمات الوقت الفعلي. ينصب التركيز على السيناريوهات الواقعية والتقنيات المتطورة ومحاكاة التعقيد الكامل للحدث السيبراني الضخم، بما في ذلك اتخاذ القرارات الاستراتيجية والجوانب القانونية والاتصالات⁴⁰، إنه تدريب الفريق الأحمر مقابل الفريق الأزرق، حيث يتم تشكيل الأخير من قبل الدول الأعضاء في مركز التميز التعاوني للدفاع السيبراني التابع لحلف النااتو (CCDCOE⁴¹)، تلعب الفرق الزرقاء المشاركة دور فرق الرد السريع الوطنية التي يتم نشرها لمساعدة دولة خيالية في التعامل مع الحوادث السيبرانية واسعة النطاق وجميع تداعياتها المتعددة. بالإضافة إلى الحفاظ على حوالي 4000 نظام افتراضي أثناء مواجهة أكثر من 2500 هجوم، يجب أن تكون الفرق فعالة في الإبلاغ عن الحوادث وتنفيذ القرارات الاستراتيجية وحل تحديات الطب الشرعي والقانونية والإعلامية. لمواكبة التطورات التكنولوجية، تركز لوك شيلد على سيناريوهات واقعية وتقنيات متطورة وشبكات ذات صلة وطرق هجوم⁴²، ولقد استفادة دول عدة حليفة للنااتو مثل الأردن من المشاركة في التمارين لتعزيز قدراتها

³⁵ Z'hra M. Ghavam, NATO'S PREPAREDNESS FOR CYBERWAR, NAVAL POSTGRADUATE SCHOOL, p 44, 2016, <https://bit.ly/32ocfxu>

³⁶المصدر السابق.

³⁷ Neil robinson, Spending for success on cyber defence, NATO Review, 2017, <https://bit.ly/3jYW4fX>

³⁸ What we do, NATO Communications and Information Agency (NCIA), <https://bit.ly/3I4ZP4W>

³⁹ LILLIAN ABLON, ANIKA BINNENDIJK, QUENTIN E. HODGSON, BILYANA LILLY, SASHA ROMANOSKY, DAVID SENTY, JULIA A. THOMPSON, Operationalizing Cyberspace as a Military Domain, P 12.

⁴⁰ Locked Shields, CCDCOE, The NATO Cooperative Cyber Defence Centre of Excellence, <https://bit.ly/3p1RBgp>

⁴¹ وهو مركز مختص بتطوير وتعزيز القدرات السيبرانية لدى النااتو، كما يهتم بتطوير العقيدة والمفهوم، والوعي والتدريب، والبحث والتطوير، والتحليل والدروس المستفادة.

⁴²المصدر السابق

الأمنية وسد الثغرات السيبرانية⁴³. يقيم الناتو عدة تمارين تعبويه للجيش في المجال السيبراني مثل تمرين سيبر كوليوشون وشارك فيه 28 دولة، يوضح مدير التمرين المقدم أندريس كوسك طبيعة التمرين "توم الفرق الفنية بتحديد وتحلل وتوقف البرامج الضارة شديدة التعقيد"⁴⁴. أصدر الناتو دليل تلين ميل 2.0 في سبيل تحليل سلسلة التشريعات القانونية في عالم الفضاء السيبراني وتصنيف الهجمات التي قد ترقى لحرب سيبرانية⁴⁵، يهدف الدليل الذي يتم تطويره من فترة إلى أخرى إلى وضع تحليل منطقي يربط المبادئ الرئيسية التي يجب أن تُخذ في الحسبان عند الحروب بالعالم السيبراني، مثل التشريعات القانونية وحقوق الانسان.

فرص قطر في الاستفادة من الناتو

تعمل العديد من الدول الأعضاء في الناتو بمجال تطوير البرمجيات الدفاعية لتأمين منشئاتها كما تمتلك بعض الدول مثل الولايات المتحدة وبريطانيا قدرات سيبرانية هجومية وأخرى في التجسس الإلكتروني⁴⁶، يعمل حلف شمال الأطلسي تحت نظام حماية مركزي ضد الهجمات عبر الفضاء الإلكتروني⁴⁷، وفي ظل جميع المعطيات السابقة يمكن الاستفادة من ذلك في تعزيز أمنها السيبراني عبر المجالات التالية:

أولاً: الإصلاحات الداخلية

هنالك عدة إجراءات يمكن لقطر اتخاذها قبل النظر في فرص التحالف مع الناتو، وتعتبر هذه الاجراءات إجراءات احترازية من أجل المحافظة على الأمن السيبراني. يمكن ان يشكل منع اتصال الموظفين عبر أجهزتهم الشخصية بال خادم الرئيسي للوزارة أو المؤسسة أو حتى الشركات المساهمة اجراً يمنع من استخدام الأجهزة الشخصية كنقطة عبور. كما يفسر العديد من المختصين بعض النواحي التي يجب إعادة النظر فيها لكي تتمكن قطر من تحقيق أمنها السيبراني، يوضح محمد الدوراني أحد المتخصصين في مجال الأمن السيبراني ومدير سابق للحاسب الالي في الأمانة العامة بمجلس التعاون، أن هنالك عدة ركائز يجب على قطر أن تتبناها إذا ما أرادة أحرارز تقدم فعال في هذا المجال منها:

1- إنشاء مركز للسيطرة والتحكم السيبراني بغرض الدفاع عن البنية التحتية الالكترونية، ويجب أن يتمتع هذا المركز بصلاحيات مباشرة الكيانات الحاسوبية في المؤسسات المختلفة.

⁴³ CYBER COALITION 16: NATOS LARGEST CYBER DEFENCE EXERCISE, Vigilia Pretium libertatis, NATO, <https://bit.ly/3pa1rgc>

⁴⁴ NATO EXERCISE CYBER COALITION 17 UNDERWAY IN ESTONIA, Vigilia Pretium libertatis, NATO, <https://bit.ly/32peKPW>

⁴⁵ Tallinn Manual 2.0, CCDCOE, The NATO Cooperative Cyber Defence Centre of Excellence, <https://bit.ly/36bRw0R>

⁴⁶ JAMES A. LEWIS, THE ROLE OF OFFENSIVE CYBER OPERATIONS IN NATO'S COLLECTIVE DEFENCE, The Tallinn Papers, NO.8, P7, 2015, <https://bit.ly/3n89rwp>

⁴⁷ انخراط نشاط ونظام دفاعي حديث، تبناه قادة والحكومات في لشبونة "المفهوم الاستراتيجي للدفاع والأمن للدول الأعضاء في منظمة حلف شمال الأطلسي"، حلف شمال الأطلسي (الناتو)، 2010، <https://bit.ly/3mJWUij>

2- عدم التعامل عن بُعد مع الحاسوب الرئيسي المتصل بالبنية التحتية الالكترونية، ويقصد بعدم التعامل عن بعد أي عدم استخدام الهاتف أو الأجهزة الذكية الأخرى لتوقيع البريد لدى المسؤولين أو اعتماد المعاملات عن بعد.

3- الاعتماد على الكوادر الوطنية لتأمين البنية التحتية السيبرانية، وذلك أن في حال الاعتماد على بعض الشركات الأجنبية قد يتسبب في تسريب معلومات عن نظام الحماية المتبع لدى هذه المؤسسات⁴⁸.

يوافق على ذلك أحمد محمد بني عيسى أحد الخبراء المختصين في إدارة الأزمات الالكترونية، ان من المهم الاستثمار في الموارد البشرية المحلية وتقليل الاعتماد على الشركات الأجنبية في وظيفة تأمين الشبكات والبنية التحتية السيبرانية. يمكن ذلك من خلال تخصيص ميزانيات تساعد الموارد البشرية على الحصول على البرمجيات اللازمة في تأمين الفضاء السيبراني الخاص بقطر⁴⁹. نظراً لتوجه قطر نحو استخدام الانترنت في تعاملاتها اليومية، حيث أصبحت هنالك العديد من المواقع الحكومية التي تقدم الخدمات للمستفيدين، توصي الدراسة بوضع حد معين لاستقبال الطلبات، وذلك عن طريق وضع رقم معين إذا وصلت الطلبات لهذا الرقم يقوم الجهاز بتعليق الطلبات مؤقتاً حتى يتم الانتهاء من جزء من الطلبات السابقة، وبذلك يستطيع استقبال الطلبات المعقدة على شكل دفعات والتي تتيح ضبط الحركة المرورية لتدفق الطلبات خلال الموقع.

الإصلاحات من خلال خبرات الناتو

فرص تطوير البرامج وسد الثغرات التقنية

1- تمكن مخربو قناة قنا من التسلل ووضع برمجيات خبيثة دون تمكن برمجيات الحماية من كشفهم، لذلك هنالك فرصة من الاستفادة من الجدار الناري الذي يطوره الناتو، كجزء من جدار ناري وطني يحمي جميع الشبكات القطرية.

2- يمكن لقطر أن تسد ثغرات أمنية في شبكاتها إذا ما تمكنت من الحصول على قائمة بصمة الفيروسات تحت بند تبادل المعلومات المبرمة مع الناتو في اتفاقية التعاون.

3- يمكن كذلك من خلال التسهيلات المقدمة أن تحصل على عقود مبيعات لأنظمة أمن سيبرانية متطورة
4- يلزم قطر تقديم الدعم المالي للناتو كجزء من الاتفاقية، لذلك يمكن أن تستثمر قطر أموالها في مشاريع تعود عليها بفائدة أكبر من غيرها مثل الاستثمار في مشروع الدفاع السيبراني، الذي يقوم على تطوير برمجيات الكشف على النظام، وبرمجيات الإنذار المبكر، وغيرها من البرمجيات.

فرص تطوير الموارد البشرية

1- يمكن التعاون مع مركز الأمن السيبراني التابع للناتو لتقديم دورات تدريبية للكوادر القطرية.
2- يمكن الاستفادة من خطة الناتو لنشر الوعي الأمني في المجال السيبراني لغير العاملين في المجال، لتثقيف الموظفين في الوزارات والهيئات الحكومية والقطاع الخاص في قطر.

فرص تطوير الجيش القطري

⁴⁸ محمد الدوراني، قتال غير مرئي: الحرب السيبرانية في الأزمة الخليجية، مركز الجزيرة للدراسات، ترجمة: كريم الماجري، ص 9، 2018.
⁴⁹ أحمد محمد بني عيسى، دور إدارة الأزمات الالكترونية في حماية المنشآت الحيوية، دراسات أمنية استراتيجية، وزارة الداخلية القطرية، العدد الاول، ص 18، 2020.

1- يمكن الاستفادة من التقنيات التي يقدمها مركز عمليات الفضاء الالكتروني، لدعم القوات المسلحة القطرية بتقنيات تساعد في المناورة ضد الأعداء .

2- يمكن الاستفادة من التدريبات التي يقيمها النااتو في تطوير الخبرات وتنسيق الجهود في حالة الهجمات السيبرانية المنظمة.

فرص تعزيز قدرات القيادة والسيطرة القطرية

بعد انشاء وكالة الأمن السيبراني في قطر، يمكن للقائمين على الوكالة الاستفادة من خبراء واستشاريي الاتصالات والمعلومات لدى النااتو في وضع أسس القيادة والسيطرة السيبرانية، كما يمكن الاستفادة من فرق التدخل السريع للنااتو في تقديم الدعم الفني في حالة الازمات.

الخاتمة

استند البحث على ثلاث ركائز أساسية، الأولى وهي معرفة الثغرات عن طريق دراسة اختراق وكالة قنا، ثم معرفة ما يمكن أن تقدمه الاتفاقية مع حلف النااتو لقطر، ومن ثم تحديد القدرات التي يمتلكها النااتو في المجال السيبراني وكيفية الاستفادة منها. في النهاية وبناءً على الحاجة القطرية وما يمكن الحصول عليه تم تقديم عدة توصيات، استهدف البحث قطر لتصبح مثلاً يحتذى به كدولة صغيرة ذات علاقات متينة حيث يمكن الاستفادة من هذا النموذج في التخطيط للاستفادة من العلاقات والتحالفات لتوفير الأمن في شتى المجالات وخصوصاً السيبراني منها. كما قدم البحث عدة توصيات على المستوى التنفيذي والتكتيكي الذي يمكن لقطر من خلاله أن تعزز قدراتها السيبرانية وفي فترة بسيطة حيث بدأت التوصيات بإصلاحات داخلية وهي أساسية وبتوصية خبراء في المجال، ثم امتدت إلى سبل الاستفادة من التعاون بينها وبين النااتو، ويمكن لقطر أن تحقق ذلك بسهولة إذ أن الموارد البشرية والمادية متوفرة لديها وتوجد هنالك فرصة لتسريع عجلة التنمية وتطوير البنية التحتية إذا ما استغلت قطر تحالفها مع النااتو الذي أثبت أنه في خلال سنوات قليلة أصبح قوة سيبرانية فعالة.

المصادر والمراجع

المصادر العربية

- محمود، قاصد، جواد الحمد، عاطف الجولان، عبد الحميد فخري، "الأزمة الخليجية 2017 البُعد الآخر، 2017، <http://bit.ly/2OseJ7J>
- مرور عام على اختراق وكالة الأنباء القطرية (قنا)، مكتب الاتصال الحكومي، 2018، <https://bit.ly/2JGiupK>
- تصريح لوزارة الداخلية بشأن قرصنة موقع وكالة الأنباء القطري، وزارة الخارجية، <https://bit.ly/3iXqC1U>
- المؤتمر الصحفي لوزارة الداخلية القطري حول قرصنة وكالة الأنباء القطرية، التلفزيون العربي، الدقيقة 4:00 الى 4:30 الى 2:00، 2017، <https://bit.ly/2RZBFf2>
- محمد الدوراني، تأثير الهجمات السيبرانية على البنى التحتية.. الحرب السيبرانية ودول مجلس التعاون الخليجي، معهد الدوحة للدراسات العليا، قطر، تم البث عن طريق الحساب الرسمي للمعهد في توتر، 2020، الدقيقة 33 الى 34، <https://bit.ly/2ZX2bds>
- عام على اختراق "قنا".. هكذا قرصنت دول الحصار عقول شعوبها، الخليج أونلاين، 2018، <https://bit.ly/30r70MD>
- ما خفي أعظم - ليلة القرصنة، قناة الجزيرة، 2018، الدقيقة 4:00 الى 4:30، <https://bit.ly/2GeMgjW>
- الاستراتيجية الوطنية للأمن السيبراني، وزارة المواصلات والاتصالات، <https://bit.ly/38mnDOe>
- تحقيق للجزيرة: قرصنة "قنا" تمت من وزارة سيادية بالسعودية، شبكة الجزيرة الإعلامية، 2018، <https://bit.ly/2UcC5zL>
- محمود، قاصد، جواد الحمد، عاطف الجولاني، عبد الحميد فخري، "الأزمة الخليجية 2017 البُعد الآخر، 2017، <http://bit.ly/2OseJ7J>.
- مسار قرصنة وكالة الأنباء القطرية وصولاً للإمارات، موسوعة الجزيرة الإلكترونية، 2017، <http://bit.ly/2nr0Hbc>
- سمو امير البلاد الشيخ صباح الأحمد: الأهم اننا اوقفنا الحل العسكري للأزمة الخليجية، الحدث الإخبارية، الدقيقة 1:40، 2017، <https://bit.ly/3kPM6yu>
- نائب مجلس الوزراء وزير الخارجية يجتمع مع الأمين العام لحلف شمال الأطلسي الناتو، وزارة الخارجية القطرية، 2019، <https://bit.ly/38FTvh0>
- مسؤولة في الناتو: انضمام قطر إلى الحلف مهم جداً، صحيفة الشرق، 2018، <https://bit.ly/3ltvIEj>
- مريم بومديان، وزير خارجية تركيا ل الشرق: قطر طرف وازن في معادلة القوى الدولية لمواجهة الإرهاب، صحيفة الشرق، 2018، <https://bit.ly/3eWX5o4>
- واشنطن: نعمل لإعلان قطر حليفاً رئيسياً من خارج الناتو.. وهذه المزايا التي ستحصل عليها، صحيفة الشرق، 2020، <https://bit.ly/3ktOvOs>
- الوالي أحمد، خبير بشؤون "الأطلسي": هذه دلالات إعلان قطر حليفاً رئيسياً للناتو، الخليج أونلاين، 2020، <https://bit.ly/2GdJs6L>
- أحمد يوسف، قطر.. حليف رئيسي للناتو يسعى لعضوية كاملة، الانظول وكالة الانباء التركية، 2020، <https://bit.ly/3eWssil>

مايا أوتاراشفيلي، القرصنة الروسية ليست جديدة... الحرب الإلكترونية الأولى في أستراليا، المجلة، 2017،

<https://bit.ly/3f2ymOX>

بريطانيا وأميركا تساند جورجيا بتحميل روسيا مسؤولية استهدافها بهجمات إلكترونية، شبكة الجزيرة الإعلامية، 2020،

<https://bit.ly/38FpwFF>

التحديات الجديدة: الأبعاد الإلكترونية، مجلة الناتو، حلف شمال الأطلسي (الناتو)، <https://bit.ly/3kRTLfn>،

قطر.. مجلس الوزراء يوافق على إنشاء وكالة للأمن السيبراني، الخليج أونلاين، 2020، <https://bit.ly/32ga0fy>

وهو مركز مختص بتطوير وتعزيز القدرات السيبرانية لدى الناتو، كما يهتم بتطوير العقيدة والمفهوم، والوعي والتدريب، والبحث والتطوير، والتحليل والدروس المستفادة.

انخراط نشاط ونظام دفاعي حديث، تبناه قادة والحكومات في لشبونة "المفهوم الاستراتيجي للدفاع والأمن للدول الأعضاء

في منظمة حلف شمال الأطلسي"، حلف شمال الأطلسي (الناتو)، 2010، <https://bit.ly/3mJWUij>

محمد الدوراني، قتال غير مرئي: الحرب السيبرانية في الأزمة الخليجية، مركز الجزيرة للدراسات، ترجمة: كريم الماجري، ص 9، 2018.

أحمد محمد بني عيسى، دور إدارة الازمات الإلكترونية في حماية المنشآت الحيوية، دراسات أمنية استراتيجية، وزارة الداخلية القطرية، العدد الاول، ص 18، 2020.

المصادر الأجنبية

QATAR NATIONAL CYBER SECURITY STRATEGY, Qatar government, PP vi- vii, 2014, <https://bit.ly/32kxjEW>

Hassan, Shatha Zakary, "The Qatari Crisis and Its Impact on Gulf Relations & Journal of Law.", Political Sciences, 2018.

Jeffrey L.Caton, NATO cyberspace capability: a strategic and operation evolution, U.S. Army College, P2,2016, <https://bit.ly/32rIGv0>

NATO LEADERS CALL FOR GREATER COLLABORATION IN CYBERSPACE, Vigilia Pretium libertatis, NATO, <https://bit.ly/3kc7LA1>

Emilio Iasiello, Cyber Attack: A Dull Tool to Shape Foreign Policy, International Conference on Cyber Conflict, P2, 2013, <https://bit.ly/3exmd4u>

STEPHEN W. KORNS and JOSHUA E. KASTENBERG, Georgia's Cyber Left Hook, ARMY WAR COLLEGE CARLISLE BARRACKS PA STRATEGIC STUDIES INSTITUTE, P60, 2009, <https://bit.ly/3n4eWvM>

Vincent Joubert, Five years after Estonia's cyber attacks: lessons learned for NATO, Research Division, NATO Defense college, Rome, NO. 76, P1, 2012, https://www.files.ethz.ch/isn/143191/rp_76.pdf

Laura Brent, NATO'S role in cyberspace, NATO, 2019, <https://bit.ly/2U16Qrk>

Arkoon FAST360 A10, NATO, <https://bit.ly/36volGr>

What we do, NATO Communications and Information Agency (NCIA), <https://bit.ly/3l4ZP4W>

- NATO's Cyber Security Centre, NATO Communications and Information Agency (NCIA), <https://bit.ly/2I0upOV>
- Multinational Cyber Defence Capability Development (MN CD2), NATO Communications and Information Agency (NCIA), <https://bit.ly/3exvYzv>
- NATO Cyber Defence, NATO, 2019, <https://bit.ly/3mPRwu0>
- LILLIAN ABLON, ANIKA BINNENDIJK, QUENTIN E. HODGSON, BILYANA LILLY, SASHA ROMANOSKY, DAVID SENTY, JULIA A. THOMPSON, Operationalizing Cyberspace as a Military Domain, RAND corporation, P 8, 2019, <https://bit.ly/3kw4yFU>
- Vincent Joubert, Five years after Estonia's cyber attacks: lessons learned for NATO, Research Division, P 4.
- Z'hra M. Ghavam, NATO'S PREPAREDNESS FOR CYBERWAR, NAVAL POSTGRADUATE SCHOOL, p 44, 2016, <https://bit.ly/32ocfxu>
- Neil robinson, Spending for success on cyber defence, NATO Review, 2017, <https://bit.ly/3jYW4fX>
- What we do, NATO Communications and Information Agency (NCIA), <https://bit.ly/3l4ZP4W>
- LILLIAN ABLON, ANIKA BINNENDIJK, QUENTIN E. HODGSON, BILYANA LILLY, SASHA ROMANOSKY, DAVID SENTY, JULIA A. THOMPSON, Operationalizing Cyberspace as a Military Domain, P 12.
- Locked Shields, CCDCOE, The NATO Cooperative Cyber Defence Centre of Excellence, <https://bit.ly/3p1RBgp>
- CYBER COALITION 16: NATOS LARGEST CYBER DEFENCE EXERCISE, Vigilia Pretium libertatis, NATO, <https://bit.ly/3pa1rgc>
- NATO EXERCISE CYBER COALITION 17 UNDERWAY IN ESTONIA, Vigilia Pretium libertatis, NATO, <https://bit.ly/32peKPW>
- Tallinn Manual 2.0, CCDCOE, The NATO Cooperative Cyber Defence Centre of Excellence, <https://bit.ly/36bRw0R>
- JAMES A. LEWIS, THE ROLE OF OFFENSIVE CYBER OPERATIONS IN NATO'S COLLECTIVE DEFENCE, The Tallinn Papers, NO.8, P7, 2015, <https://bit.ly/3n89rwp>

عنوان البحث

مفهوم استراتيجية الردع في سياق الامن الدولي

عبد الرحمن سعيد الكواري¹

¹ باحث في مجال الدراسات الأمنية النقدية

بريد الكتروني: aal061@dohainstitute.edu.qa

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21113>

تاريخ القبول: 2021/10/12م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

تهدف الدراسة لتسليط الضوء على واحدة من اهم النظريات التي يتم تبنيها في العديد من الدول في سياق الامن الدولي. تهدف الدراسة لتقديم بحث يوضح للمهتمين بالدراسات الأمنية والعلاقات الدولية مفاهيم أساسية عن نظرية الردع وتفرعاتها. كما تهتم هذه الدراسة لوضع مفهوم معمق عن استراتيجية الردع التقليدية بالتحديد وذلك نظراً لقلّة المصادر والادبيات العربية في هذا المجال. تحاول الدراسة من خلال الإجابة على السؤال البحثي: ما هي فلسفة استراتيجية الردع والردع التقليدي؟ وتقوم باستخدام المنهج الوصفي في فهم الظاهر وتوضيح بعض المفاهيم المرتبطة والمتعلقة بها.

المقدمة

تهدف الدراسة لتسليط الضوء على واحدة من اهم النظريات التي يتم تبنيها في العديد من الدول في سياق الامن الدولي. تهدف الدراسة لتقديم بحث يوضح للمهتمين بالدراسات الأمنية والعلاقات الدولية مفاهيم أساسية عن نظرية الردع ونقرعاتها. كما تهتم هذه الدراسة لوضع مفهوم معمق عن استراتيجية الردع التقليدية بالتحديد وذلك نظراً لقلّة المصادر والادبيات العربية في هذا المجال. تحاول الدراسة من خلال الإجابة على السؤال البحثي: ما هي فلسفة استراتيجية الردع والردع التقليدي؟ وتقوم باستخدام المنهج الوصفي في فهم الظاهر وتوضيح بعض المفاهيم المرتبطة والمتعلقة بها.

مفهوم الردع

تعد استراتيجية الردع من الخطط التي تبني على فرضية تهديد الخصم بالخسائر التي قد تلحق به اذا ما قدم للقيام بأعمال تضر أمن الدولة الرادعة، فقد تلجأ الدولة الرادعة إلى عدة أساليب لثني الخصم من التسبب بحرب أو حتى تهديد مصالحها، وقد تتراوح أساليب القيام بذلك من استخدام القوة إلى الأساليب الدبلوماسية والقوة الناعمة، ولا تعد استراتيجية الردع من المواضيع الحديثة في الدراسات الأمنية ودراسات الحروب فقد اشتهرت منذ القدم، حيث يؤرخ ريجيرد¹ بأن الإغريق القدامى اتبعوا هذه الخطط في الصدام بين الأثينيين والسبابة²، وقد يتبين ذلك في قول ثوسيديديس: "عندما يكون هناك خوف متبادل، يفكر الرجال مرتين قبل أن يهاجموا بعضهم البعض"³، ولم ينتشر هذا المفهوم عند الإغريق فقط بل عرف الصينيون القدامى مفهوم الردع ايضاً، فقد ذكر سان تزو في عام 512 قبل الميلاد ذلك في كتابته المعروف بـ فن الحرب قائلاً "إن هزيمة العدو دون قتال يتطلب مهارة أكبر من المهارة المطلوبة لتحقيق النصر في ميدان المعركة"⁴، بمعنى أن القادة القدامى كانوا مدركين خطورة الحرب وتتضمن هذه الفلسفة أبعاداً سياسية وقدرة على المناورة الدبلوماسية قبل العسكرية لإيقاف الحرب، أما في القرن التاسع عشر يصف كارل فان كلاوزفيت مفهوم إخافة الخصم بـ "الخطر لا يهيمن على القائد من خلال تهديده فقط، ولكن من خلال تهديد كل من معه، ليس فقط في الوقت الحاسم ولكن في جميع الأوقات"⁵، وهذا يدل على أهمية استمرار إخافة العدو من خلال أخذ تهديده في ما يملك، بينما يفسر في العصر الحالي وزير الدفاع الأميركي آش بارتر الخوف الناتج من الردع بقوله "كلمة Deterrence أي الردع تحتوي على كلمة terre والتي تعني الخوف أو الإرهاب، وهذا يعني القيام بإخافة شخص ما لكي لا يقوم بشيء لا ترغب بأن يقوم به، عن طريق العواقب التي قد يجنيها من قيامه بهذا العمل"⁶، أي بمعنى آخر القيام بردع الخصم المحتمل من خلال إقناعه بعدم اتخاذ قرار يؤدي إلى استخدام العنف وذلك عن طريق التوضيح له بأن تكاليف القيام بذلك سوف تفوق الفوائد التي يأمل في الحصول عليها فإذا ما كان رأس الدولة المعتدية مقتنعاً بأن الخسائر المحتملة

¹ Notice: Professor of International political theory at the department of war studies, king's college, University of Cambridge.

² Richard Ned Lebow, "Thucydides and Deterrence," Security Studies, 2007, 167, shorturl.at/efwxM.

³ Lindsay, Joel R, and Erik Gartzke, "Cross-Domain Deterrence as a Practical Problem and a Theoretical Concept.," [Cross-Domain Deterrence: Strategy in an Era of Complexity, Ed. Erik Gartzke and Jon Lindsay], 2016, 1, <https://bit.ly/2XSk3pt>.

⁴ سن تزو، فن الحرب، الطبعة الاولى (دمشق سوريا: دار الكتب العربية، 2010)، 43.

⁵ Carl Von Clausewitz, ON WAR (37: Oxford World Classics, 2008), 87.

⁶ How Deterrence Is Changing, Explained by Defense Secretary Ash Carter (Vox, 2016), sec. 55 sec to 120 sec, <https://bit.ly/2C30OB7>.

من ردود الفعل قد تفوق العائد المتوقع فسوف يتوقف عن القيام بذلك، يقول ميكافيللي في كتابه فن الحرب "إن الحروب قادت الأمراء إلى الفقر"⁷ في كناية عن الخسائر التي قد تلحق بالمعتدي بسبب الحرب. لم تكن فكرة تجنب الحرب فكرة حديثة، يقول سن تزو "القتال والانتصار في جميع المعارك لا يعد مهارة، المهارة هي كيفية كسر مقاومة العدو دون قتال"⁸، فإذا ما تمكنت الدولة من كسر رغبة خصومها في الحرب فهو يعد إنجازاً أكبر من خوض الحرب والانتصار فيها. كانت استراتيجية الردع الشاملة والمتبادلة أحد العوامل التي تسببت بإشعال سباق التسلح بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأميركية في القرن الماضي، بهدف تحقيق التوازن في القوى العسكرية وردع الخصم، أيضاً ربما كانت قناعة الدول العظمى بتكلفة الحرب التي تفوق الأرباح المتوقعة سبباً في عدم نشوب حرب بين قوتين عظيمين منذ عام 1945، يقول لورنس فريدمان "قد يكون الردع بدأ بعد الحرب العالمية الثانية كوسيلة لردع الاتحاد السوفيتي بعدم البدء بحرب عالمية ثالثة"⁹، ولذلك بعد الحرب العالمية الثانية، تطور الردع لأول مرة إلى استراتيجية متقنة وأصبحت في نهاية المطاف طريقة مميزة لضمان سلامة الأمن القومي¹⁰، ووسيلة تتبناها الدول لتجنب السلوك غير المرغوب في السياسات الدولية.

تتضمن مكونات الردع عدة ركائز (القدرة والمصدقية والاتصال). يقصد بالقدرة إمكانية تسليح ونشر القوات العسكرية بطريقة من شأنها إلحاق خسائر فادحة في صفوف العدو وقد وتصل حتى تسديد هجمات انتقامية لا يمكن للعدو تحمل خسائرها، أما المصدقية فهي الرغبة الحقيقية باستخدام هذه الوسائل ضد الخصم، الاتصالات وهي إيصال الاشارات للعدو بخطورة الاقدام على الخيار العسكري¹¹، ولذلك دائماً ما تواجه السياسيين والعسكريين تساؤلات مثل:

ما العوامل المرتبطة بالنجاح أو الفشل في الردع؟

ما هي متطلبات سياسة الردع الموثوقة؟

وللإجابة عليها يجب إقناع الخصم بالآتي:

1. أن لدى الدولة قدرة عسكرية فعالة ستستخدمها في حال تعرضت للهجوم.

2. أنها قد تفرض عليه تكاليف تفوق إمكاناته¹².

لذلك تتميز استراتيجية الردع بفلسفة تمكّن الدولة التي تعرضت لهجوم من أي نوع من دولة أخرى بالرد بطريقة مختلفة، يفسر ذلك وزير الدفاع الأميركي آش بارتر بقوله "قد نتعرض لهجوم سيراني لكن يمكننا اختيار وسيلة العقاب المناسبة"¹³، ولذلك يمكن دمج إمكانيات متنوعة لدى الدولة لإخافة وردع العدو، يسميها بعض الباحثين (خيارات الردع) وقد لا تكون بالضرورة قدرات عسكرية، فقد يلجأ الرادع إلى الإمكانيات الاقتصادية أو تحالفات

⁷ نيقولا ماكافلي، فن الحرب، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الكتب العربية، 2015)، 20.
⁸ سن تزو، فن الحرب، الطبعة الأولى (دمشق سوريا: دار الكتب العربية، 2010)، 12.

⁹ Freedman, Deterrence, 15.

¹⁰ Patrick M Morgan, Deterrence Now (Cambridge, New York, Melbourne, Madrid, Cape Town, Singapore, São Paulo: CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, 2003), 3, <https://bit.ly/37pRRwY>.

¹¹ Robert P and Haffa Jr, "The Future of Conventional Deterrence: Strategies for Great Power Competition," Air University Press, 4, 12 (2018): 96, <https://bit.ly/2AqentJ>.

¹² Morgan, Deterrence Now, 4.

¹³ How Deterrence Is Changing, Explained by Defense Secretary Ash Carter.

مع دول أخرى لتحقيق الردع¹⁴. هنالك عدة أشكال للردع عندما توضع في قالب صياغة السياسات العامة للدول، فهناك الردع المتبادل والردع من طرف واحد، كما أن هنالك الردع التقليدي والردع النووي، وأيضاً الردع العام والردع الفوري، كما يوجد الردع بالتحالف، والردع السيبراني، يبين الجدول التصنيفي رقم (1) الفرق بين كل هذه الاستراتيجيات.

نوعية الردع	التعريف	الهدف	الوسيلة
الردع المتبادل	يقصد به أخذ كل طرف للتدابير اللازمة لردع الطرف الآخر من القيام بأي عمل يهدد مصالحه ¹⁵ .	إعاقة قدرة الخصم على المبادرة بالهجوم	تستخدم عدة وسائل اقتصادية- تحالفات- قوة عسكرية.
الردع النووي	يكون بامتلاك السلاح النووي والتلويح باستخدامه عند الحاجة ¹⁶ .	منع الخصم من التفكير بالحرب أو بدء الاعتداء	الأسلحة النووية.
الردع التقليدي	القائم على قوة متنوعة من الأسلحة التقليدية التي قد تلحق أضراراً جسيمة بالعدو ¹⁷	منع الخصم من تحقيق أهدافه العسكرية وإلحاق الخسائر به.	استخدام القدرات والتسليح البري البحري الجوي.
الردع العام أو الواسع	إظهار واستعراض القوة كورقة تحذير للأعداء المحتملين وربما لتساعدها في فرض رغباتها في العلاقات الدولية ¹⁸ .	القدرة على ردع المنافسين في المجتمع الدولي، ليس من الضرورة وجود تهديد عسكري.	متنوعة
الردع الفوري	لمنع هجوم وشيك قد ينتج عن أزمة مفاجئة، ويمكن اعتباره تدخل سريع لتجنب الحرب ¹⁹ ، وقد يكون في الاستراتيجية الشاملة لبعض الدول خطط طوارئ، مع ذلك قد يغيب عنها حساب بعض التفاصيل.	تدارك الزمة ومنع الخصم من القيام بأي عمل متهور، أو وضع المعوقات أمامه لمنعة من العمليات العسكرية.	متنوعة
الردع بالتحالف	هو قيام دولة بالتحالف مع دولة أو دول أخرى بردع هجوم أو تهديد قد يقع عليها من أي طرف ²⁰	تحقيق الردع بالتحالف مع آخرين	متنوعة
الردع السيبراني	يقوم على ردع عمليات سرقة المعلومات، وعمليات التخريب والقرصنة الالكترونية ²¹ .	منع الاختراق	الإمكانات التكنولوجية

¹⁴ "Department of Defense Dictionary of Military and Associated Terms" (Department of Defense, 11 2010), 67, <https://bit.ly/3hnOsmW>.

¹⁵ STEPHEN L. QUACKENBUSH, "Deterrence Theory: Where Do We Stand?" Cambridge University Press 37 (2011): 749-50.

¹⁶ Lawrence Freedman and Jeffrey Michals, The Evolution of Nuclear Strategy, 4th ed. (Palgrave Macmillan, 2019), 6-9.

¹⁷ Richard J. Harknet, "The Logic of Conventional Deterrence and the End of the Cold War," Security Studies 4 (1994): 86-89, <https://bit.ly/3foldPo>.

¹⁸ STEPHEN L. QUACKENBUSH, "General Deterrence and International Conflict: Testing Perfect Deterrence Theory," Routledge 36 (2010): 60-62, <https://doi.org/10.1080/03050620903554069>.

¹⁹ Arthur Tulak, "New Era of Deterrence, The Return of Great Power Competition Blurs the Line between Conflict and Peace," INDO-Pacific Defense forum, 2019, <https://bit.ly/2UJtXaO>.

²⁰ Curtis S. Signorino and Ahmer Tarar, "A Unified Theory and Test of Extended Immediate Deterrence," University of Rochester, 2004, 4, <https://bit.ly/2AyQjF7>.

²¹ معلومات عن قطر، "حكومة قطر الالكترونية"، n.d., <https://bit.ly/3e14Zul>.

يوجد هنالك ثلاث عناصر يجب أخذها في الاعتبار عند تحليل فاعلية الردع:

الأولى: نوايا الخصم المعتدي: هي نقطة البداية لأي تحليل لنجاح أو فشل الردع من قبل الطرف المعتدى عليه.

ثانياً: وضوح الهدف من الردع: بمعنى أن تحدد الدولة أماكن الضعف لديها ومواطن التهديد وتقوم بتقويتها²².

ثالثاً: إقناع الخصم: إقناعه بقدرة الدولة على الرد المناسب أو الذي قد يفوق الهجوم الاول²³.

استراتيجية الردع التقليدية

إن جوهر الاستراتيجية العسكرية هو كيفية استخدام الهجوم والدفاع لقواتهم المسلحة، كما أن أي عمل عسكري هو إمداد لأهداف سياسة، يذكر كلاوزفيت "في الحرب تؤدي العديد من الطرق إلى النجاح، وأنها لا تتطوي جميعها على الهزيمة الصريحة للخصم، وهي تتراوح من تدمير قوات العدو، غزو أراضيها، احتلال مؤقت....، وهي مشاريع ذات غرض سياسي"²⁴ ولفهم كيف يمكن لقطر أن تردع خصوم مثل الدول الثلاث باستخدام القوة العسكرية التقليدية يجب معرفة وسيلة هجومه ونقاط قوته، يرجح جون ميرشايمر أن هناك عدة استراتيجيات للمهاجم يمكنه الاختيار بينها:

أولاً: أن يسعى إلى هزيمة الخصم من خلال الانخراط في العديد من معارك الإبادة، يعتمد النصر على انسحاب الدفاع إلى النقطة التي لم تعد فيها المقاومة ممكنة.

ثانياً: يمكن للمهاجم استخدام استراتيجية يشار إليها باسم الحرب الخاطفة. توفر الحركة والسرعة لهزيمة الخصم بشكل حاسم دون الانخراط في سلسلة من المعارك الدموية²⁵.

ثالثاً: استراتيجية الأهداف المحدودة وتهدف إلى الاستيلاء على قسم محدد من أراضي العدو ثم الانتقال إلى وضع دفاعي لصد الهجوم المضاد المتوقع، تاركاً المدافع أمام الأمر الواقع، ويكون المدافع أمام خيارين إما الاستسلام أو بدء حرب استنزاف لاستعادة الأراضي المفقودة²⁶.

من الجدير بالذكر أن الحروب محدودة الأهداف قد تتحول إلى حروب غير محدودة بسبب تغير الظروف، ومع ذلك هناك أحياناً ظروف تكون فيها الضرورة السياسية للحرب قوية جداً لدرجة أن الدول ستميل للحرب على أي حال، ل، يشرح هذا المنطق سبب اندلاع حرب أكتوبر 1973²⁷ التي هدفت مصر من ورائها إلى استعادة أراضيها التي احتلتها إسرائيل.

يقصد بالردع التقليدي بأنه وسيلة من الوسائل التي تقوم عليها نظرية الردع والذي يسعى إلى منع اندلاع الحرب من خلال حرمان الخصم من أهدافه في ساحة المعركة باستخدام الأسلحة والقوات التقليدية في الجيش، يوضح لورانس فريدمان شكل الأهداف التي قد يستهدفها الخصم "إن بداية حرب جديدة لن تقتصر على إطلاق الصواريخ، بل تمتد لانفجار الألغام التي وضعت بالسر.....، كما ستسقط المباني الحكومية، ومرافق الاتصالات،

²² Michael J Mazarr, "Understanding Deterrence," Rand Corporation, n.d., 9, <https://bit.ly/2YOxycV>.

²³ Mazarr, 9-10.

²⁴ Carl Von Clausewitz, ON WAR, 37.

²⁵ John J Mearsheimer, "Precision-guided Munitions and Conventional Deterrence," Survival, 2016, 68-69, <https://bit.ly/3e0hcjA>.

²⁶ WALTER C. LADWIG III, "Indian Military Modernization and Conventional Deterrence in South Asia," The Journal of Strategic Studies 38 (2015): 737, <https://bit.ly/2UFcfoJ>.

²⁷ John Mearsheimer, "Conventional Deterrence: An Interview with John J. Mearsheimer," Strategic Studies Quarterly-Air University Press 12 (2018): 4, <https://bit.ly/30Xufik>.

وسوف يتم تعطيل الموانئ البحرية والسكك الحديدية والخطوط الجوية، كما سيتم مهاجمة المنشأة الصناعية الهامة²⁸، لذلك لتحقيق ردع تقليدي ناجح يتطلب الأمر القدرة على تنفيذ عمليات عسكرية تقليدية فعالة بسرعة وقوة مع توفير الدعم اللوجستي المطلوب، كما يتطلب الأمر قيادة قادرة على اتخاذ قرارات سريعة وحاسمة لتحقيق ذلك²⁹.

الحرب لا تقع فجأة بدون مقدمات، بل تكون نتيجة أزمة متفاقمة أو نزاع معقد، وبالتحديد عندما يعتقد أحد الأطراف أن النصر ممكن، في المقابل سيثبت الردع عندما يرى المهاجم أن تكاليف مثل هذه الأعمال ستكون عالية وفرص نجاحهم منخفضة، ولذلك تقوم فلسفة الردع التقليدي على أن تكون القوة المدافعة قادرة على استيعاب هجوم العدو، كما يجب أن تكون قادرة أيضًا على إعادة تشكيل نفسها بسرعة بحيث تكون أمامها فرصة معقولة لتحديد أو تدمير ما يكفي من قوات المعتدي ودعم البنية التحتية العسكرية وإلحاق خسائر مؤلمة للعدو³⁰، بينما قد يفشل الردع التقليدي كغيره إذا ما كانت تصرفات الخصم غير عقلانية وملهمة، يوضح إدوارد رودس أحد المتخصصين في دراسة الردع مشكلتين رئيسيتين تواجهان استراتيجية الردع، الأولى: إذا ما كان المعتدون المحتملين على استعداد للمجازفة بتلقي عواقب وخسارة الحرب، والثانية: هو أن المعتدين المحتملون يكونون على يقين من النصر في الحرب³¹، هذا لا يعني أن استراتيجية الردع فاشلة إذا كان الخصم غير مبالي، كما يجب الأخذ بعين الاعتبار أن الموقف الدفاعي غالباً أقوى من الموقف الهجومي، فيؤكد كارل فان كلوزفيت أن الدفاع هو أشد أشكال الحرب قوة³²، ولا يتوقف الأمر عند صد هجوم الخصم بل يجب أن تعيد القوات تشكيل نفسها بسرعة أيضًا حتى تتاح لها فرصة توجيه ضربات في مراكز ثقل العدو العسكرية لتمكن أي موجة تقدم ثانية. يعتمد موقف المدافع على النشر الدائم للقوات الكافية في مواقعه³³، ولضمان استمرار الردع يجب على قيادات الجيش أن يطوروا التسليح والخطط الدفاعية حسب التغيير المستمر للظروف المحيطة بهم، يؤكد سن تزو على ذلك في كتابة فن الحرب "بناءً على مدى توافق الظروف، على المرء أن يعدل خطته"³⁴.

الخاتمة

تمر الدول بعدة تعقيدات في سياق تفاعلها مع المجتمع الدولي، فقد تجد نفسها مهددة من قبل دول أخرى، لذلك قد تشكل استراتيجية الردع فرصة لنجاتها من أن تكون ضحية لتدخل عسكري من هذه الدول، أو حتى أن تكون عرضة للتدخلات الخارجية في سياستها الداخلية دون أن تستطيع عمل شيء يحفظ أمنها واستقرارها. تطرح الدراسة مفهوم الردع كملاذ للدول الصغيرة في الحفاظ على أمنها من خطر الضغوطات التي قد تمارسها دول أكبر منها أو تحالفات إقليمية، ويبين الردع بثتى أنواعه أنها استراتيجية قديمة تطورت بتطور الوسائل والتكنولوجيا

²⁸ Freedman and micharls, The Evolution of Nuclear Strategy, 42.

²⁹ Jaime Garcia Covarrubias., "The Significance of Conventional Deterrence in Latin America," . . Military Review 84 (2004): 38–39, <https://bit.ly/37Ljwsr>.

³⁰ Solomon and Jonathan F, "Demystifying Conventional Deterrence: Great-Power Conflict and East Asian Peace.," Strategic Studies Quarterly, 2013, 118, <https://bit.ly/2AIXosF>.

³¹ Edward Rhodes, "Conventional Deterrence," Comparative Strategy, 2000, 226–27, <https://bit.ly/2zN3v8W>.

³² Chiabotti, "Clausewitz as Counterpuncher: The Logic of Conventional Deterrence," Strategic Studies Quarterly, 2018, 9, <https://bit.ly/2NbJigh>.

³³ Jonathan F. Solomon, "Demystifying Conventional Deterrence: Great-Power Conflict and East Asian Peace," Strategic Studies Quarterly 7 (2013): 119, <https://bit.ly/2Bp4gWa>.

³⁴ سن تزوو, فن الحرب, الطبعة الاولى:12.

التي يمكن استخدامها لتفعيل الردع، وقد تطرقت الدراسة إلى الجوانب النظرية من الاستراتيجية وشمل تعريفات تفسر الفرق بين تفاصيل استراتيجيات الردع.

قائمة المراجع

- سن تزو، فن الحرب، الطبعة الاولى (دمشق سوريا: دار الكتب العربية، 2010)، 43.
- نيقولا ماكيافلي، فن الحرب، الطبعة الارلى (القاهرة: دار الكتب العربية، 2015)، 20.
- Notice: Professor of International political theory at the department of war studies, king's college, University of Cambridge.
- Richard Ned Lebow, "Thucydides and Deterrence," Security Studies, 2007, 167, shorturl.at/efwxM.
- Lindsay, Joel R, and Erik Gartzke, "Cross-Domain Deterrence as a Practical Problem and a Theoretical Concept.," [Cross-Domain Deterrence: Strategy in an Era of Complexity, Ed. Erik Gartzke and Jon Lindsay], 2016, 1, <https://bit.ly/2XSk3pt>.
- Carl Von Clausewitz, ON WAR (37: Oxford World Classics, 2008), 87.
- How Deterrence Is Changing, Explained by Defense Secretary Ash Carter (Vox, 2016), sec. 55 sec to 120 sec, <https://bit.ly/2C30OB7>.
- Patrick M Morgan, Deterrence Now (Cambridge, New York, Melbourne, Madrid, Cape Town, Singapore, São Paulo: CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, 2003), 3, <https://bit.ly/37pRRwY>.
- Robert P and Haffa Jr, "The Future of Conventional Deterrence: Strategies for Great Power Competition," Air University Press, 4, 12 (2018): 96, <https://bit.ly/2AqentJ>.
- Morgan, Deterrence Now, 4.
- How Deterrence Is Changing, Explained by Defense Secretary Ash Carter.
- "Department of Defense Dictionary of Military and Associated Terms" (Department of Defense, 11 2010), 67, <https://bit.ly/3hnOsmW>.
- STEPHEN L. QUACKENBUSH, "Deterrence Theory: Where Do We Stand?" Cambridge University Press 37 (2011): 749–50.
- Lawrence Freedman and jeffrey micharls, The Evolution of Nuclear Strategy, 4th ed. (palgrave macmillan, 2019), 6–9.
- Richard J. Harknet, "The Logic of Conventional Deterrence and the End of the Cold War," Security Studies 4 (1994): 86–89, <https://bit.ly/3foldPo>.
- STEPHEN L. QUACKENBUSH, "General Deterrence and International Conflict: Testing Perfect Deterrence Theory," Routledge 36 (2010): 60–62, <https://doi.org/10.1080/03050620903554069>.
- Arthur Tulak, "New Era of Deterrence, The Return of Great Power Competition Blurs the Line between Conflict and Peace," INDO-Pacific Derense forum, 2019, <https://bit.ly/2UJtXaO>.
- Curtis S. Signorino and Ahmer Tarar, "A Unified Theory and Test of Extended Immediate Deterrence," University of Rochester, 2004, 4, <https://bit.ly/2AyQjF7>.
- Michael J Mazarr, "Understanding Deterrence," Rand Corporation, n.d., 9, <https://bit.ly/2YOxycV>.
- Mazarr, 9–10.

- John J Mearsheimer, "Precision-guided Munitions and Conventional Deterrence," *Survival*, 2016, 68–69, <https://bit.ly/3e0hcjA>.
- WALTER C. LADWIG III, "Indian Military Modernization and Conventional Deterrence in South Asia," *The Journal of Strategic Studies* 38 (2015): 737, <https://bit.ly/2UFcfoJ>.
- John Mearsheimer, "Conventional Deterrence: An Interview with John J. Mearsheimer," *Strategic Studies Quarterly-Air University Press* 12 (2018): 4, <https://bit.ly/30Xufik>.
- Freedman and micharls, *The Evolution of Nuclear Strategy*, 42.
- Jaime Garcia Covarrubias., "The Significance of Conventional Deterrence in Latin America," . . *Military Review* 84 (2004): 38–39, <https://bit.ly/37Ljwsr>.
- Solomon and Jonathan F, "Demystifying Conventional Deterrence: Great-Power Conflict and East Asian Peace.," *Strategic Studies Quarterly*, 2013, 118, <https://bit.ly/2AIXosF>.
- Edward Rhodes, "Conventional Deterrence," *Comparative Strategy*, 2000, 226–27, <https://bit.ly/2zN3v8W>.
- Chiabotti, "Clausewitz as Counterpuncher: The Logic of Conventional Deterrence," *Strategic Studies Quarterly*, 2018, 9, <https://bit.ly/2NbJigh>.
- Jonathan F. Solomon, "Demystifying Conventional Deterrence: Great-Power Conflict and East Asian Peace," *Strategic Studies Quarterly* 7 (2013): 119, <https://bit.ly/2Bp4gWa>.

RESEARCH ARTICLE

A BRIEF SURVEY OF MOBILE ANDROID MALWARE AND CLASSIFICATION TECHNIQUES TOLLS

Maha Adam Gumaa¹

¹ Computer Sciences, ALNeelain University

Email: angleeee@live.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21114>

Published at 01/11/2021

Accepted at 20/10/2021

Abstract

The invention of smartphones is one of the most important achievements in the twenty-first century, as smartphones play an important role in our daily life in various fields such as social networks, education, banking services and reservations such as airline tickets, hotels, browse the Internet and many more. The Android operating system has become one of the most widely used platforms these days, the rapid increase in the use of Android and free applications has contributed to a significant increase in building applications loaded with malware that cause damage to devices or steal sensitive information for users. this study aims to discuss a brief survey of mobile android malware and classification techniques tools, and also discuss the types of malware that infect the Android system, as well as the life cycle of malware, and finally the techniques of malware detection that used for analysis of Android system.

Key Words: Android, Malware Type, Android Malware Detection, Static Analysis, Dynamic Analysis and Hybrid Analysis, Machine Learning algorithms.

نبذة موجزة عن البرمجيات الضارة التي تصيب نظام الأندرويد وأدوات وتقنيات تصنيفها

مها آدم جمعة¹

¹ علوم الحاسوب، جامعة النيلين، السودان

بريد الكتروني: angleeee@live.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21114>

تاريخ القبول: 2021/10/20م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

يعد اختراع الهواتف الذكية من أهم الإنجازات في القرن الحادي والعشرين ، حيث تلعب الهواتف الذكية دورًا مهمًا في حياتنا اليومية في مختلف المجالات مثل الشبكات التواصل الاجتماعية والتعليم والخدمات المصرفية والحجوزات مثل تذاكر الطيران والفنادق و تصفح الإنترنت وغيرها الكثير. أصبح نظام التشغيل اندرويد أحد أكثر المنصات انتشارا و استخدامًا هذه الأيام ، وقد ساهمت الزيادة السريعة في استخدام اندرويد ومجانية التطبيقات الي زيادة كبيرة في بناء تطبيقات مصابة بالبرامج الضارة التي تسبب تلفًا للأجهزة او تكون سببا في سرقة معلومات حساسة للمستخدمين . تهدف هذه الدراسة إلى مناقشة مسح موجز لأدوات تقنيات تصنيف البرمجيات الخبيثة لأجهزة الأندرويد المحمولة ، وكذلك مناقشة أنواع البرامج الضارة التي تصيب نظام الأندرويد ، بالإضافة إلى دورة حياة البرامج الضاره ، وأخيرًا تقنيات اكتشاف البرامج الضارة التي تستخدم في تحليل نظام الأندرويد.

1. Introduction

Smartphone's are used everywhere, by everyone, for everything; they are the most recent technological trend of our lives today. Today's social life necessitates that we be constantly connected to the internet via smart phones; additionally, smart phones are rapidly being integrated into enterprises, government agencies, and even the military; in fact, smart phones are used by everyone on the planet from all ages and for various usages. All of these are reasons for the wide development of Smartphone's hardware and software. Smart phones are based on several platforms; one of the most popular is Android. Its operating system free and open source is based on the Linux kernel is mainly designed for devices with touch - screen smart such as telephones and tablet computers, developed the Android system by the open alliance for mobile phones which is operated by Google. The Android system user interface is mainly based on direct processing by using tactile gestures that are largely compatible with realistic movements, such as clicking, wiping and pinching, in order to manipulate objects on the screen panel, in addition to the virtual keyboard for text entry. Google developed touch devices, as well as Android TV devices for televisions, Android Auto for cars, and Android Wear for watches. Each is developed with a special user interface [3]. Types of Android systems are also used on laptops, game consoles, digital cameras, and other electronic devices. Android has the largest installation base among all operating systems of any kind. It is the best-selling operating system on tablets since 2013, while on smartphones it is dominant by any standard. Globally, Android is estimated to have around 86% of the smartphone market worldwide, which is surprising when you consider that in 2009 it had a 3.9% share figure 1 shows Share of smartphone quarter.

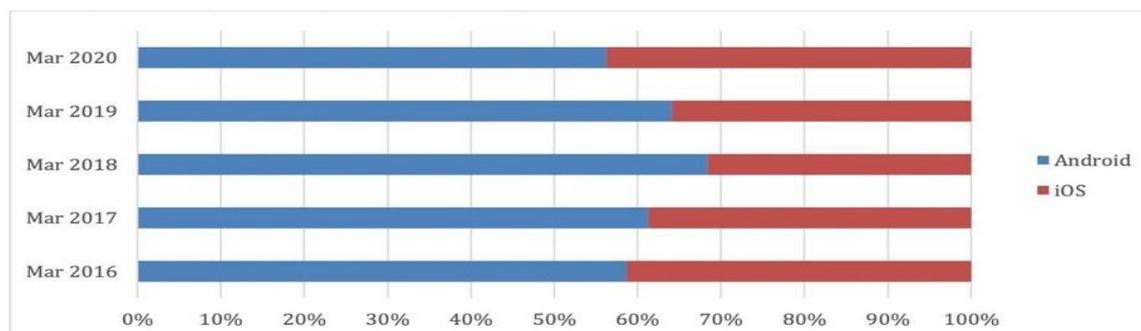


Figure 1. Share of smartphone activations quarter.

The popularity of Android has enabled the application marketplace to grow dramatically, and the black market presence has also grown rapidly, where paid applications are modified for free download and from untrusted websites or stores. When a smartphone user uses his phone, he may be exposed to various information security threats, which can disrupt the operation of the Smartphone and transmit or modify the user data. As a result, Android applications must ensure the privacy and integrity of the data they handle. There are several countermeasures and studies being conducted to ensure app privacy and integrity by detecting and preventing Malware threats in mobile devices. Some of these are signature-based antivirus scanners that detect known Malwares efficiently, while others rely on a detection and classification method in which they classify source code to detect Malware, even if it has no background in mobile applications. These countermeasures and studies differ in terms

of accuracy and mobile resource consumption.

Definition of Android Malware

Mobile malware is malicious software that is specifically designed to target mobile devices such as Smartphone's and tablets in order to access private data. Although mobile malware is not as common as malware that attacks traditional workstations [5], it is a growing threat because many companies now allow employees to connect to corporate networks using personal devices, potentially bringing unknown threats into the environment.

1.1 Malware Life Cycle

Malware for mobile platforms in general and Android in particular reproduce the behavior of viruses encountered on desktop [1] [2]. Their life cycle is structured around seven main phases.

- **Creation:** Step in which the programmer designs and implements all malicious code that will be included in the malware.
- **Gestation:** Stage during which the malicious application infiltrates and settles in the system that it wants to infect. It remains inactive throughout this stage. This is why its presence remains totally unknown for the user.
- **Reproduction or infection:** The malware reproduces a significant number of times before manifesting in this phase. The author of the malware seeks to remotely control devices and access private data. Malware spreads via file sharing or social engineering techniques on Android. It uses SMS, Bluetooth, WI-FI as communication means and often disguise themselves as a normal application.
- **Activation:** Some malware activates their destruction routine when certain conditions are satisfied (internal countdown reaches for example). The activation be done remotely. The purpose of this phase is to appropriate gradually all device resources.
- **Discovery:** The user notices strange behavior and suspects the presence of a malicious application. This strange behavior may include performance losses, current changes in the Web browser home page or the unavailability of certain system functions. Anti-viruses often assist the user in detecting malicious actions in sending alerts to the device owner. However, the furtive character of certain malware may extend, even complicate this phase.
- **Assimilation:** Antiviruses update their virus database after the discovery of new malware. If possible, a fix or antidote is also proposed to eliminate this threat
- **Elimination:** This is the phase when the antivirus discovering the malware prompts the user to remove it. It marks the death of the malware.

1.2 Types of mobile malware

Malicious software can be defined as mobile malware. This software is designed for mobile operating systems. Mobile malware is any code that is inserted, changed, or removed from a mobile application in order to harm or impair the intended system's operation. Malware comes in a variety of forms, including Adware, bots, spyware, viruses, Trojans, worms, rootkits, and Ransom ware are all examples of malware [3]. The majority of mobile malware is designed to disable or harm a mobile device, allowing a malicious user to remotely control the smartphone or steal personal information stored on the device. For many years, mobile malware has posed a threat to smartphones [3].

- A. Adware** which stands for advertising-supported software that automatically delivers advertisements. Common examples of adware are Pop-up ads and advertisements on websites. Often, software and applications offer free versions which bundle adware. Most adware is sponsored or written by advertisers and serves as a revenue-generating tool, but some adware is specifically designed to deliver advertisements, and it is not uncommon for adware to come bundled with spyware that can track user activity and steal personal information highly sensitive information. Adware/spyware bundles are significantly more dangerous and damaging than adware on its own due to the additional capabilities of spyware.
- B. Bot** a mobile bot is a type of malware that runs automatically after being installed on a device by a user. It gains complete access to the device and its contents and begins communicating with and receiving commands from one or more command and control servers. A botmaster is a cybercriminal who adds and manages infected devices to a network of mobile bots (botnet).
- C. Spyware** is a very common type of malware infection on mobile devices. It's malware that allows attackers to access all of your phone's information, including contacts, calls, texts, and other sensitive data, as well as hijack your microphone and camera. This data is collected and sent to a remote server. It is frequently attached to free software downloads or user-clicked links. Peer-to-peer (P2P) file sharing has increased the prevalence of spyware and its consequences.
- D. Trojans** are malware disguised as legitimate software and apps. They can be used to harvest your sensitive data, spy on your activity, delete files, gain access to your device, download other malware, and more. Requires users to activate it. In mobile devices, cybercriminals typically insert Trojans into non-malicious executable files or apps on the device. The user activates the Trojan virus when he or she clicks or opens a file. Once activated, Trojans can infect and deactivate other applications or the device itself and paralyze the device after a certain period of time or a certain number of operations. Banking Trojans target both

international and regional banks by using fake versions of legitimate mobile apps or through phishing campaigns [6, 9].

- E. Worms** is a type of malware that infects other devices while remaining active on infected systems. Cybercriminals can transmit worms through short message service ([SMS](#)) or Multimedia Messaging Service ([MMS](#)) text messages and typically do not require user interaction to execute commands.
- F. Viruses** are a type of malware that has the ability to replicate and spread to other computers. Viruses frequently spread to other computers by attaching themselves to various programs and executing code when a user opens one of those infected programs. Viruses can also spread Web application vulnerabilities through script files, documents, and cross-site scripting [9].
- G. Rootkits** covert method of bypassing security restrictions to gain unauthorized access to the system. In simpler words [4], a backdoor is a piece of code that allows others to go in and out of a system without being detected.

Ransomware is a type of malware that locks the data on a victim's device or the device itself, Typically, encryption is used, and payment is demanded before the data or device is decrypted and access is restored to the victim. Unlike other types of attacks, the victim is usually notified of the occurrence of an exploit and given instructions on how to recover the data. Cybercriminals often demand payment in a [crypto currency](#) such as [Bit coin](#), so that the cybercriminal's identity remains unknown.

2. Android Malware Classification Techniques

The goal of malware analysis is to understand how malware works and how to detect and eliminate it. Malware detection, as a profession, includes various techniques and principles, and a general classification with two major categories has been proposed.

4.1 Android Malware Analysis Techniques

4.1.1 Static Analysis is the technique that deals with the features which are extracted from the suspect file or Appellation without executing. It is a preliminary analysis technique that entails extracting useful information from the suspect file [6]. The most common method of evasion is known as an Update Attack, in which malicious content is downloaded and installed as section of an update. Static analysis techniques are incapable of detecting this. As extracted from AndroidManifest.xml, the most common features of static analysis are permission and API calls [7]. The authors [15] presented an android malware detection approach based on static features of the Android applications such as Standard Permissions with Application Programming Interface (API) calls, Non-standard Permissions with API-calls, this classifier achieved Android malware detection accuracy of 99.6%

4.1.2 Dynamic Analysis detection detects malware based on the malware's execution behavior. Within that case, detection is accomplished by monitoring the execution of Android malware activity during runtime [8]. Contains a formalized paraphrase. [10] The authors proposed a dynamic malware detection framework

for Android. Generated a system call capture system that collects and extracts system call traces from all applications during their run-time interactions with the phone platform. Following that, all of the collected system call data is aggregated and analyzed in order to detect and classify Android application behavior and achieved 96% accuracy.

4.1.3 Hybrid Analysis is an advanced security tool that applied to detect malware. Its combination of static and dynamic analysis methods Researchers sometimes prefer to use hybrid analysis, which combines static and dynamic analysis capabilities, to improve malware detection [6]. The authors of [9] presented a hybrid approach for detecting android malware based on both static and dynamic analysis. Collecting app behavior data in the runtime system calls of android applications in a dynamic way and processing the data in a static and offline measure. And then offline compare them to both the malware and benign collected pattern sets to classify the unknown application.

4.2 Android Malware Detection techniques

Today, intrusion detection systems (IDS) are the heartbeat of network management and a critical component of any institution's network security strategy. An IDS monitors the network for malicious activity and policy violations and reports that information to determine whether the unusual activity is a security risk or another type of anomaly. Detection techniques can be divided into three categories its signature-based (SB), anomaly-based (AB), and specification-based (SPB) detection.

4.2.1 Signature-based detection is a malware detection method in which at least one byte of the software is compared to an existing signature of previously known malicious software, which is stored in a database known as Blacklist. [11] The idea is that most malware will be recognized through patterns or signatures. The inability of signature-based intrusion detection systems to detect unknown attacks is one of their most significant limitations. Malicious actors can simply change their attack sequences within malware and other types of attacks to avoid detection. Data transmission can also be encrypted to avoid detection by signature-based tools entirely. Furthermore, APTs are frequently carried out by threat actors who change their signature over time. This is the most widely used malware detection method [13].

4.2.2 Anomaly-based detection or behavior intrusion detection system (IDS) goes beyond identifying specific attack signatures to detect and monitor malicious or unusual patterns of behavior. This particular system uses statistical, AI, and machine learning techniques to analysis massive amounts of data and network traffic and identify anomalies [11]. By monitoring behaviors that may be associated with attacks, the probability of detecting and mitigating a Malware program before the network is compromised increases.

With an anomaly-based, that everything that does not match the existing normalized baseline—for example, a user attempting to log in outside of normal business hours, new products being added to a network without authorization, or a flood of

new IP addresses attempting to connect to a network—raises a potential red flag.

4.2.3 Specification-based detection is a combination of the anomaly-based detection approach and signature-based malware approach. It's also monitors for any deviation, but instead of detecting the event that occurred of specific attack patterns, it looks for deviations in their behavior from the normal specification. A policy governs the events that occur from the program to the operating system.

For any given event, this policy specifies actions such as "allow," "deny," or "log." Some browsers, for example, have a policy of not instantly executing any file downloaded from a webpage that is not on the Whitelist. Such specification policies are extremely effective in preventing device infection via methods such as "drive-by downloads."

3. Machine Learning algorithms

It's part of artificial intelligence involving the design and development of algorithms and techniques that enable devices to possess the property of (learning). There are two types of learning: inductive and deductive. Big data inductively inferred general rules and judgments. The primary goal of automated learning is to extract useful information from data [14]. There are many type of algorithms we will explain some of them as follows:

5.1 Support Vector machine (SVM) is a supervised machine learning algorithm which can be used for classification or regression tasks. It is, mainly used in classification tasks. In the SVM algorithm, each data item is plotted as a point in n-dimensional space (where n is the number of features), with the value of each feature being the value of a specific coordinate [14-16]. And after that, we perform classification by locating the hyperplane that best distinguishes the two classes figure 2 shows a SVM example.

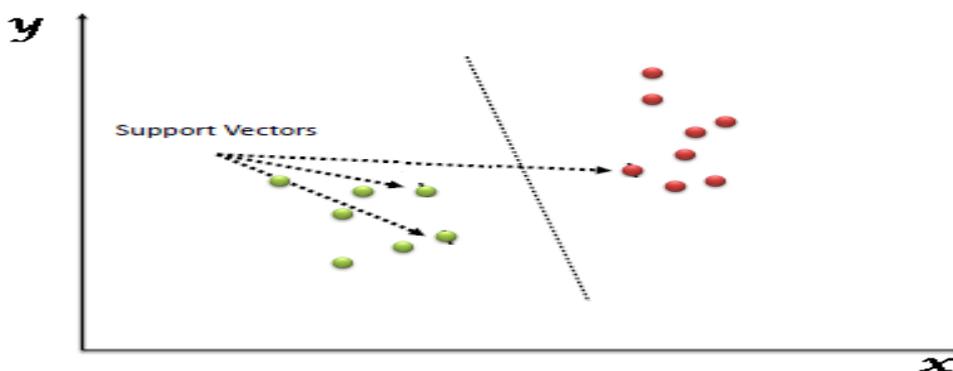


Figure 2: Support Vector machine example.

Existence and uniqueness of solutions co-ordinates are used to calculate support vectors. The SVM classifier is a frontier that best distinguishes between the two classes (hyper-plane/line).

5.2 Random Forest (RF), also known as random decision forests, are an ensemble learning algorithm for classification, regression, and other tasks that involve training a large number of decision trees and then predicting the class that is the

mode of the classes (classification) or the mean/average prediction (regression) of the individual trees. Random decision forests compensate for the proclivity of decision trees to outperform their training set. [16] figure 3 shows a RF example.

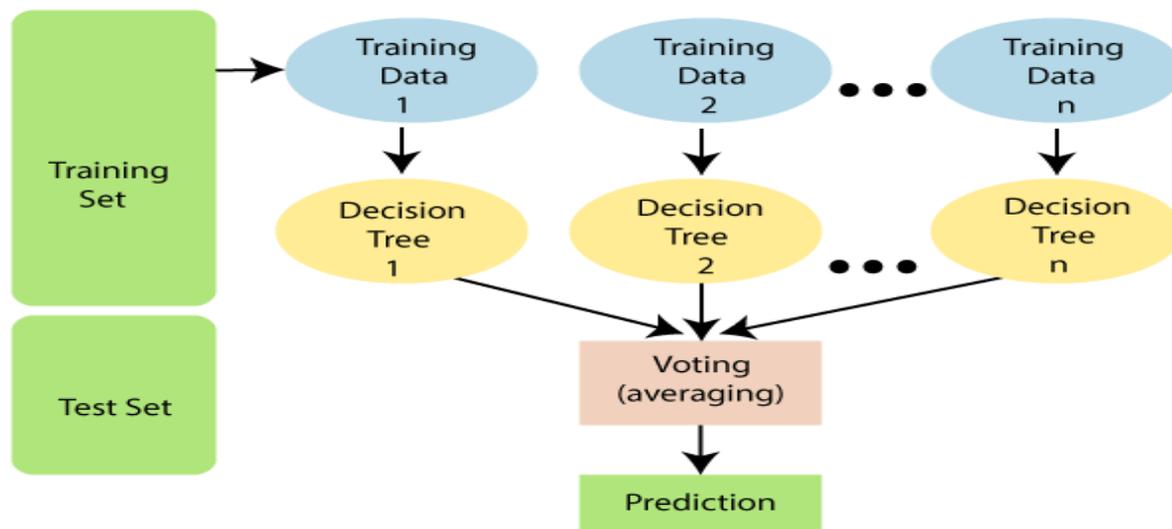


Figure 3: Random Forests example.

Random forests outperform decision trees in general, but their accuracy is lower than that of gradient boosted trees. Even so, data characteristics can have an impact on their performance.

5.3 Naïve Bayes is a probabilistic machine learning algorithm based on the Bayes Theorem, used in a wide variety of classification tasks. Assumption of the algorithm, that, all the input features are independent of each other and no correlation exists between them [14]. Being a probabilistic model, Naïve Bayes' outputs a posterior probability of belonging to a class given the input features.

$$P(A/B) = P(A/B_1, B_2, B_3, B_4 \dots B_n)$$

$$P(A/B) = \frac{P(B/A)P(A)}{P(B)}$$

For each A possible outcomes or A number of classes. Of classes. Here,

$P(A/B)$ is the posterior probability that given feature B belongs to class A and $P(A)$ is the prior probability of the class A independent of the data, and $P(B/A)$ is the likelihood which is the probability of the predictor given the class and $P(B)$ is the prior probability of the predictor which is the normalizing factor.

5.4 k-Nearest Neighbors (KNN) algorithm is a simple, easy to implement supervised machine learning algorithm that can be used to solve both classification and regression

problems. The output of k-NN classification is a class membership. A plurality vote of its neighbors classifies an element, with the element assigned to the class nearest k neighbors k is a positive integer, typically small. If $k = 1$, the element is simply assigned to the class of the element's single nearest neighbor [17]. The output of k-NN regression is the element's property value. This value is the mean of the values of the k closest neighbors [17]. A useful technique for both classification and regression is to assign weights to the contributions of the neighbors, so that the closer neighbors contribute more to the average than the farther ones. A common weighting scheme, for example, is to assign a weight of $1/d$ to each neighbor, where d is the distance between them. The neighbors are chosen from a set of objects for which the class for k-NN classification or object property value for k-NN regression is known [14]. This can also be considered of as the algorithm's training set, though no explicit training is required.

6. Conclusion

Due to the rapid and continuous development in the smart phone market and the significant increase in the number of applications and services provided to users, so that these devices integrate to the users every day activities. In this regard, malicious software (malware) has emerged as a major security concern in this domain. This study explains an overview of Android and discusses the types of malware that infect the Android system. And also explain the analysis approach. These three major approaches are static, dynamic and hybrid analysis approaches. Static analysis is a quick and low-cost analysis method that can be used to detect mobile malware. It examines a mobile program without requiring the program's code to be executed because it can detect mobile malware prior to the program's execution under inspection. Dynamic evaluation detects mobile malware after or during the execution of the program under inspection. Hybrid analysis combines both static and dynamic analysis approaches. And also discussed approaches to discovering malware and its type is signature-based (SB), anomaly-based (AB), and specification-based (SPB) detection. Finally, explain some of the machine learning algorithms.

References:

- [1] Hachem, N., Mustapha, Y.B., Granadillo, G.G. and Debar, H., 2011, May. Botnets: lifecycle and taxonomy. In *2011 Conference on Network and Information Systems Security* (pp. 1-8). IEEE.
- [2] Pandey, S.K. and Mehtre, B.M., 2014, April. A lifecycle based approach for malware analysis. In *2014 Fourth International Conference on Communication Systems and Network Technologies* (pp. 767-771). IEEE.
- [3] Sahin, M. and Bahtiyar, S., 2020, November. A Survey on Malware Detection with Deep Learning. In *13th International Conference on Security of Information and Networks* (pp. 1-6).
- [4] Suarez-Tangil, G., Tapiador, J.E., Peris-Lopez, P. and Ribagorda, A., 2013. Evolution, detection and analysis of malware for smart devices. *IEEE Communications Surveys & Tutorials*, 16(2), pp.961-987.
- [5] Zolkipli, M.F. and Jantan, A., 2011, March. An approach for malware behavior identification and classification. In *2011 3rd International Conference on Computer Research and Development* (Vol. 1, pp. 191-194). IEEE.
- [6] RIASAT, R., SAKEENA, M., Chong, W.A.N.G., SADIQ, A.H. and WANG, Y.J., 2016. A Survey on Android Malware Detection Techniques. *DEStech Transactions on*

Computer Science and Engineering, (wcne).

- [7] Alqahtani, E.J., Zagrouba, R. and Almuhaideb, A., 2019, June. A Survey on Android Malware Detection Techniques Using Machine Learning Algorithms. In *2019 Sixth International Conference on Software Defined Systems (SDS)* (pp. 110-117). IEEE.
- [8] Damodaran, A., Di Troia, F., Visaggio, C.A., Austin, T.H. and Stamp, M., 2017. A comparison of static, dynamic, and hybrid analysis for malware detection. *Journal of Computer Virology and Hacking Techniques*, 13(1), pp.1-12.
- [10] Bhatia, T. and Kaushal, R., 2017, June. Malware detection in android based on dynamic analysis. In *2017 International Conference on Cyber Security And Protection Of Digital Services (Cyber Security)* (pp. 1-6). IEEE.
- [11] Chakravarty, A.K., Raj, A., Paul, S. and Apoorva, S., 2019. A study of signature-based and behaviour-based malware detection approaches.
- [12] [Michael Rezek](#),(December 9, 2020),what is the difference between signature-based and behavior-based intrusion detection systems, Retrieved, 2021, Mar25 From <https://accedian.com/blog/what-is-the-difference-between-signature-based-and-behavior-based-ids/>
- [13] Shanthamallu, U.S., Spanias, A., Tepedelenlioglu, C. and Stanley, M., 2017, August. A brief survey of machine learning methods and their sensor and IoT applications. In *2017 8th International Conference on Information, Intelligence, Systems & Applications (IISA)* (pp. 1-8). IEEE.
- [14] Wang, H., Ma, C. and Zhou, L., 2009, December. A brief review of machine learning and its application. In *2009 international conference on information engineering and computer science* (pp. 1-4). IEEE.
- [15] Singh, A.K., Jaidhar, C.D. and Kumara, M.A., 2019. Experimental analysis of android malware detection based on combinations of permissions and API-calls. *Journal of Computer Virology and Hacking Techniques*, 15(3), pp.209-218
- [16] Osisanwo, F.Y., Akinsola, J.E.T., Awodele, O., Hinmikaiye, J.O., Olakanmi, O. and Akinjobi, J., 2017. Supervised machine learning algorithms: classification and comparison. *International Journal of Computer Trends and Technology (IJCTT)*, 48(3), pp.128-138.
- [17] Baqersad, M., Mohammadafzali, M., Choubane, B., Holzschuher, C., Hamedi, A. and Ali, H., 2018. Application of laser macrotexture measurement for detection of segregation in asphalt pavements. *Journal of Transportation Engineering, Part B: Pavements*, 144(3), p.04018032.

RESEARCH ARTICLE

GRAPH APPROACH FOR ANDROID MALWARE DETECTION USING MACHINE LEARNING TECHNIQUES

Maha Adam Gumaa¹

¹ Computer Sciences, ALNeelain University

Email: angleeee@live.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21115>

Published at 01/11/2021

Accepted at 20/10/2021

Abstract

Day by day, the number of users of mobile devices such as smartphones and tablets is increasing. the Android operating system is considered one of the most widely used and widespread operating systems. However, Android based apps can be highly vulnerable to various types of malware attacks, due to its popularity in the mobile market and its open nature. These applications need to use a number of sensitive permission files during installation and runtime, which malware developers exploit to launch attacks on users. In this paper, an approach was proposed and made based on the most important permissions and API calls. This is done by selecting and generating features based on the graph and then using machine learning techniques to train and classify the malware detection tool. The results of the experiment show that this approach achieves an accuracy rate of up to 97% when using the algorithm random forest and a recall rate of 96 % which prove the effectiveness and advantages of approach.

Key Words: Android; Malware Detection; Machine Learning; Permission; API calls; Static Analysis

نهج الرسم البياني لاكتشاف البرمجيات الضارة لنظام الأندرويد باستخدام تقنيات التعليم الآلي

مها آدم جمعة

¹ علوم الحاسوب، جامعة النيلين، السودان

بريد الكتروني: angleeee@live.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21115>

تاريخ القبول: 2021/10/20م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

يومًا بعد يوم ، يتزايد عدد مستخدمي الأجهزة المحمولة مثل الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية. يعتبر نظام الأندرويد أحد أكثر أنظمة التشغيل استخدامًا وانتشارًا. ومع ذلك ، يمكن ان تكون التطبيقات القائمة والمستندة علي الأندرويد معرضة بشدة لأنواع مختلفة من هجمات البرامج الضارة ، نظرًا لشعبيتها في سوق الأجهزة المحمولة وطبيعتها المفتوحة. تحتاج هذه التطبيقات إلى استخدام عدد من ملفات الأذونات الحساسة أثناء التثبيت ووقت التشغيل ، والتي يستغلها مطورو البرامج الضارة لشن هجمات على المستخدمين. في هذه الورقة ، تم اقتراح نهج ووضعه على أساس أهم الأذونات واستدعاءات واجهة برمجة التطبيقات. يتم ذلك بواسطة تحديد وإنشاء الميزات بناءً على الرسم البياني ثم استخدام تقنيات التعلم الآلي لتدريب أداة اكتشاف البرامج الضارة وتصنيفها. تظهر نتائج التجربة أن هذا النهج يحقق معدل دقة يصل إلي 97% عند استخدام خوارزمية الغابة العشوائية ومعدل استدعاء 96% مما يثبت فعالية ومزايا النهج.

1 Introduction

Smartphones and tablets have grown in popularity as their costs have decreased and their features, capabilities, and service availability have increased. In a variety of fields, Android devices and tablets have become an indispensable part of our daily and practical lives. This increased the level of protection. Operating systems have also played a significant role in the adoption and spread of mobile devices and applications, allowing malicious software to emerge (malware). This is also true of the Android operating system. The Android operating system has long been a major player in the mobile operating system market. As of June 2018, the Google Play store had over 3.3 million apps [1], and Android had 54.2 percent of the global market share as of December 2018. According to the global study, the first quarter of this year saw the sale of approximately 329 million smartphones based on the "Android" operating system, accounting for 86 percent of total sales. Because of its openness and free availability, has not only become a big player in the mobile device market, but also a desirable aim for cybercriminals [2]. Malware or malicious payload exploits Android security problems to launch a variety of attacks, including those for privileges, remote control, unauthorized financial charges, and personal information theft, resulting in non-private financial losses. As a result, there is an urgent need to detect and analyze the malicious payload when installing and using an Android app. Machine learning techniques have been widely used in malware detection. This method approaches malware detection as if it were a binary classification problem (for example, classifying an application as malicious or benign). It can deal with classic pattern recognition and machine learning techniques. This method outperforms traditional dynamic and static methods in terms of scalability and time consumption because it does not thoroughly investigate the substance and details of software. The two most important factors influencing the performance of machine learning-based approaches [2] are feature selection and learning rate [3,4]. APIs and permissions are frequently identified as attributes because they contain detailed security information about critical resources that processes can access. However, in most current works, these features are extracted with the level of accuracy of the entire application, and the contexts associated with them are ignored, resulting in a high rate of false positives in discovery. To address this issue, we propose a static Android malware detection method that improves on existing business by taking feature contexts into account. As primary features, this paper identifies two types of program properties. Permissions that are sensitive to security and the number of API calls, each of which is associated with a different type of context. These fundamental features are combined with their contexts to produce new features, which are then used to train and test a classifier model by embedding them in a feature vector space. The main challenge of our approach is feature recovery in order to achieve better performance, lower consumption, and feature generation. We define the program architecture as a

collection of graphs and provide a graph reduction transformation to simplify its structures and improve feature generation performance. Based on the reduced graphs, we can create an efficient feature extraction graphing algorithm. In summary, the following are the paper's main contributions:

- propose a graph-based feature selection technique for combining the two kinds of raw features to serve as newly created features. These features outperform traditional machine learning-based approaches because they include rich semantic knowledge about program behaviors.
- propose a graph-based feature generation approach that can safely remove irrelevant graph nodes and edges and minimize the complex structure of a graph to a simpler version because it is only concerned with the APIs and permissions to be called. As a result, an efficient algorithm for feature generation is produced.

3 Background and Related Work

Each and every Android application AndroidManifest.xml is included. File with the necessary permissions and API calls and other parameters application. This list of permissions is given to the user additional resources during installation. The application is downloaded after the user grants all of the permissions. The application's Java code may contain the malicious element of the malware samples. If the manifest file has the necessary permissions, the API calls in the code are invoked. This is why permissions are the most commonly used static feature in Android malware detection. In recent years, Android malware detection has received a lot of attention, and many techniques and tools have been proposed to detect the rapidly growing Android malware. Android malware detection is classified into three major categories: static detection, dynamic detection, and hybrid detection. In the subsections that follow, this section reviews of related works all of the detection types that have been published in the journal articles.

1-Static Detection: Static methods seek to examine the manifest file elements, Java code, or the sequence of API calls within the code. In [5] Through the supervised learning process, two machine learning (SVM) and (KNN) were applied and evaluated to perform classification of the feature set into either benign or malicious applications (apps). This work entails static analysis of apps, manifest files, and system call logs generated by said app, which can improve results when compared to individual feature analysis. and results was achieved for a dataset of real malware and benign apps indicate the average accuracy rate of 79.08% and 80.50% with average true positive rate of over 67.00% and 80.00% using SVM and KNN, respectively.in [6] Their ML algorithms first individually analyze the intent filters and permissions requested in an app's manifest.xml file. resulted in a significantly large difference in detection accuracy as a result of due to the relatively low relevance of intent filters alone However, combining both static features yielded detection accuracy results of 91.7% percent (SVM) and 91.4% percent (KNN), which is an improvement over the classification results of both individual feature sets. In [7] the work using permissions and APIs as

program features are extracted from the manifest.xml and Similar files, respectively. employed and their effectiveness was measured using the Linear-Support Vector Machine (L-SVM) classifier. It was observed that this classifier achieved Android malware detection accuracy of 99.6% for the combined features. In [8] The effectiveness of four different machine learning algorithms in conjunction with features selected from Android manifest file permissions to classify applications as malicious or benign is investigated in this study. And the results, on a test set consisting of 5,243 samples, produce accuracy, recall, and precision rates above 10 80%. Of the considered algorithms (Random Forest, Support Vector Machine, Gaussian Naïve Bayes, and K-Means), Random Forest performed the best with 82.5% precision and 81.5% accuracy. And in [9] The study's goal is to create an efficient system for detecting malware in Application Programmable Interfaces (APIs) and classifying it as worms, viruses, Trojans, or normal. To classify malware that occurred in API call sequences, the Multi-Dimensional Nave Bayes Classification (MDNBS) is used. The performance of existing and proposed techniques is evaluated and compared using True Positive Rate (TPR), False Positive Rate (FPR), precision, recall, f-measure, and accuracy measures. In [10] proposed a framework based on static analysis that extracts a set of features from an app's AndroidManifest.xml and disassembled code to actually create a features vector SVM was used on the dataset to learn a distinction between the two types of apps (benign and malicious).

2-Dynamic Detection: Dynamic analysis methods monitor and inspect the implemented code's interaction with the system. The primary benefit of this technique is that it detects dynamic code loading and records application behavior during running time. They take time, but they are successful against malware obfuscation. In [11] proposes a dynamic analysis approach that mimics human interactions with Monkey Runner and extracts system API calls at runtime. It also suggests SAIL, a new feature selection approach for discovering prominent system calls from application fields, and then employs machine learning techniques to detect potential malicious files. In [13] To detect malicious apps, authors examined dynamic API calls and system calls. In this paper focus on static permissions and api based detection.

Table 1: Brief description of some earlier derived techniques with their accuracy

REF	GOL	METHODOLOGY	DESCRIPTION	ACCURCY
[5]	Detection	Static	manifest file and system call logs	79%
[6]	Detection	Static	intent and permissions	91%
[7]	Detection	Static	permissions and APIs	99%
[8]	Detection	Static	permissions and APIs	80%
[9]	Detection	Static	API call sequences	—
[10]	Detection	Static	AndroidManifest.xml	94%
[11]	Detection	Dynamic	API calls	95%
[13]	Detection	Dynamic	API calls and system calls	96%

4 Implementation and Experiment

This section describes the methodology of the experiment which were performed to the effectiveness of our model for detecting malware and extracting the features by using graph as well as analyzing the performance of the machine learning algorithms. The experimental methodology presented in this paper it is illustrated in the following figure (1). In our detection model, we employ a three-pronged research methodology: The first step is to create the CFG of the Android malware dataset, the second step is to extract features from the CFG and create a training dataset, and the third step is to generate classifiers based on specific machine learning algorithms and then detect malware using these classifiers.

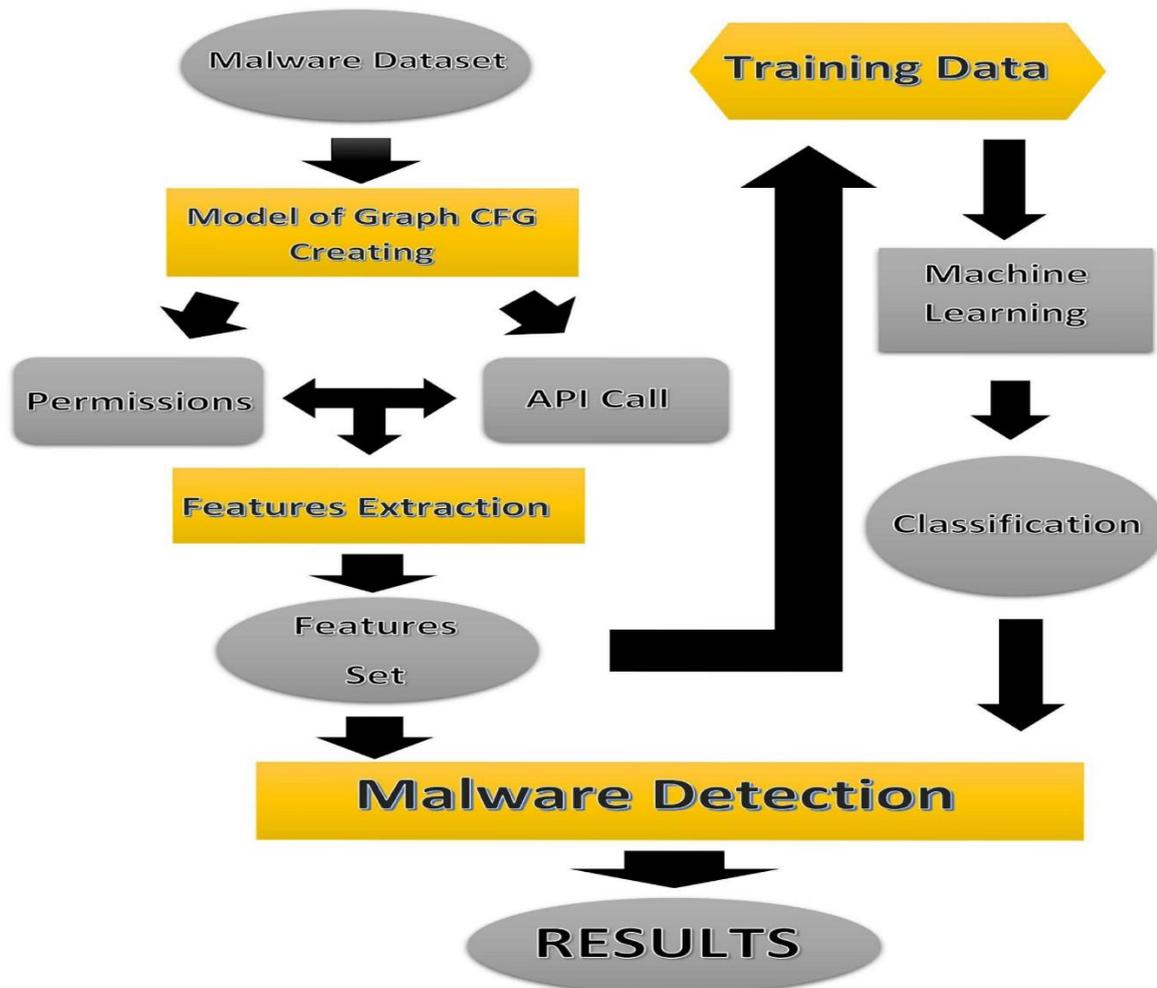


Figure (1) Describe architecture of the module detection.

4.1 Features extraction

The dataset has been processed through many steps that include data cleaning, and data transformation. Then, the processed dataset is used for extra representative features. extract four types of features by using graph approach which are manifest permissions, API calls signature, intent, and other features commands sign Figure 6 show that. The permissions and API calls are strong features for detecting malware in Android systems and they achieve good performance when they applied with machine learning techniques. The feature extraction stage produces many features These features may include irrelevant elements that increase the risk of overfitting and lengthen model training time. As a result, the dataset should be transformed from a high dimension

dataset to a low dimension dataset with no loss of total information. To achieve that, then applied the feature selection stage by selecting the most frequent permissions and API calls in both benign and malware applications.

Algorithm 1 Graph Construction Algorithm

INPUT:

- dataset (**D**), columns represent the features set (**F**), rows represent the Android applications values.
- categories dataset (**D2**) the rows describes each unique feature (**Fi**) category (**Ci**).

Output:

frequency graph **G (V, E)**

- 1 - extract the columns (**F1, F2... Fn**) of **D** in **F**.
- 2 - Let **C = (C1, C2... Cn)** set of categories in (**D2**).
- 3 - For each category **Ci ∈ D2**, add node **Vi** to the set of nodes **V** if **Vi ∈ V**.
- 4 - For each feature **Fi ∈ D**, add edge **Ei** to set of edges **E** if **Ei ∈ E**.
- 5 - Return Graph **G (V, E)**.

Then, used ANOVA filter (Analysis of Variance) SelectKBest method to select the best n-features according to the k highest scores. The results show that the feature vector with 182 features achieves the best performance. As shown in the following algorithms. Table 7 show the features selection number for each category permissions and API calls.

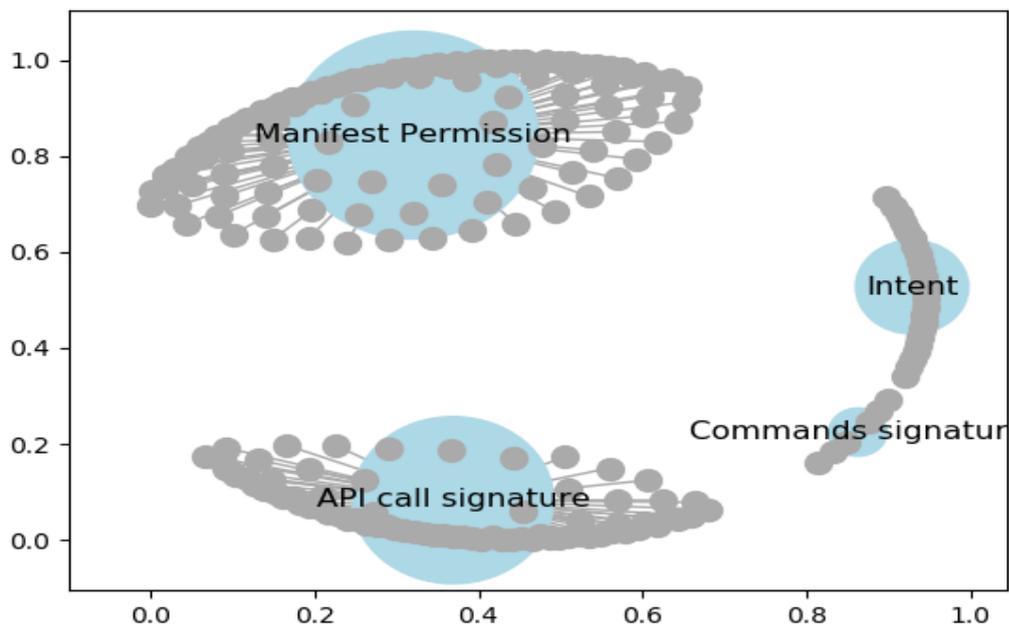


Figure (6) Explain Dataset category

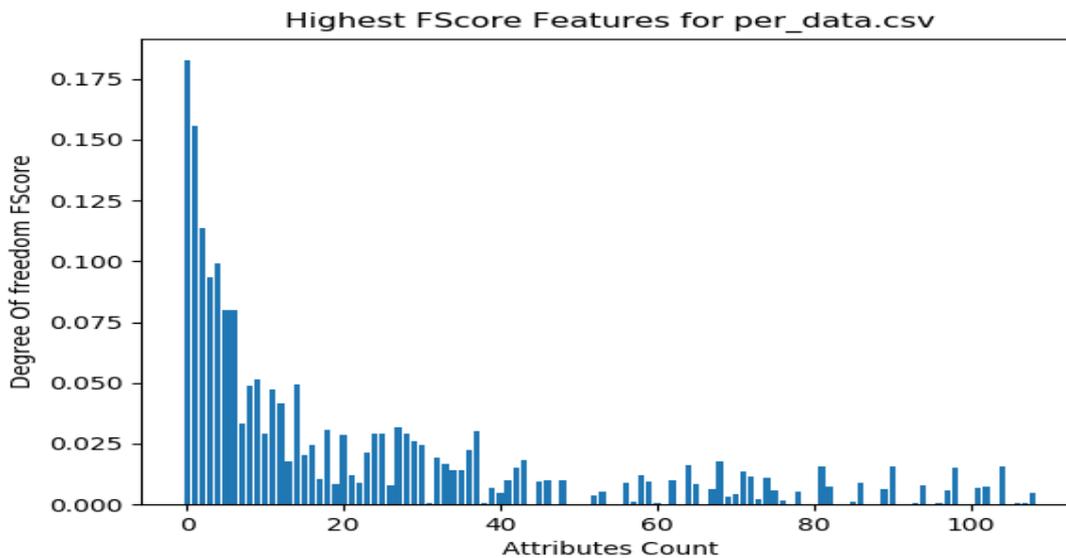


Figure (2) Explain highest F-Score Features for API calls

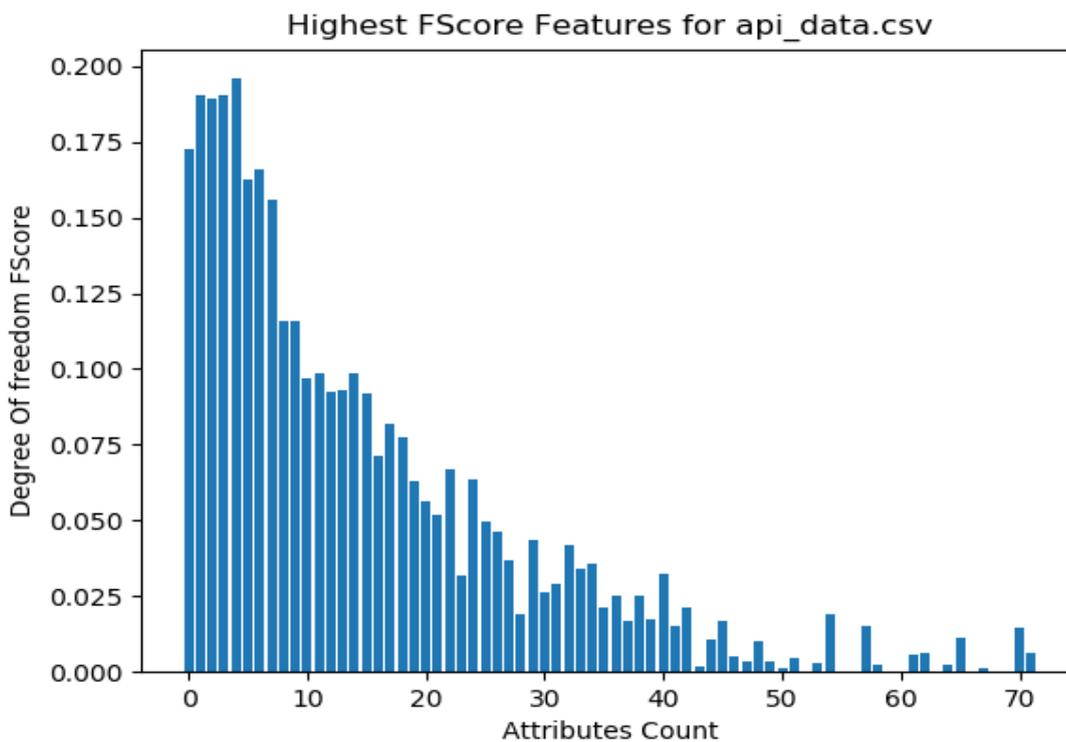


Figure (3) Explain highest F-Score Features for Permission

The suggested framework represents the relationship between various permissions and API calls in each application using graphs. The program utilizes Algorithm 1 to build a graph $G(v, e)$ by representing a single permission or single api calls at vertex V and a couple of permissions and API calls connected by an adjusted edge e . Each edge weight increases when the same permission and API couple appears in various applications. An application with an only one or no permission or api calls actually adds nothing to analysis or detection. And According to the SelectKBest method to select the best features from the permission graph and the API graph for each application, the best features are selected in the following table (2and 3).

Table (2): Show Feature Name for API Calls and Frequency

Feature Name for API Calls	Frequency
['transact']	0.195746
['onServiceConnected']	0.193616
['bindService']	0.193237
['attachInterface']	0.19082
['ServiceConnection']	0.175773
['android.os.Binder']	0.172378
['Ljava.lang.Class.getCanonicalName']	0.167181
['Ljava.lang.Class.getMethods']	0.160376
['Ljava.lang.Class.cast']	0.124507

Table (3): Show Feature Name for Permission and Frequency

Feature Name for Permission	Frequency
['SEND_SMS']	0.183952843
['READ_PHONE_STATE']	0.147901394
['GET_ACCOUNTS']	0.107922138
['RECEIVE_SMS']	0.099231633
['READ_SMS']	0.088655911
['USE_CREDENTIALS']	0.083306345
['MANAGE_ACCOUNTS']	0.079848816
['WRITE_SMS']	0.056954176

4.2 Machine learning classifiers

The algorithms used in our module during the experiment and after the extraction and selection of the best features are Random Forest, K-Nearest Neighbor, Decision Tree, and Logistic Regression. Finally, the all classifier is used to determine whether a file is malware or benign, using two distinct features: API calls and Permission.

4.3 Metrics

For the purpose of evaluating the results, we use confusion matrices that were created for each classifier. Five metrics were used for the performance emulation of the detection approaches. These include: true positive rate (TPR), true negative ratio (TNR), false positive ratio (FPR), false negative ratio (FNR), and weighted average F-measure. The definition of these metrics are as follows:

True Positive Rate (TPR)

(Recall) TPR is defined as the correctly predicted value of the malware classifier. It is

calculated as follows $TPR = \frac{TP}{TP+FN}$ (1)

False Positive Rate (FPR)

Similarly, the FPR is defined as the incorrectly predicted value of malware. It is calculated as follows: $FPR = \frac{FP}{TN+FP}$ (2)

True Negative Ratio (TNR)

is defined as the ratio of normal that was correctly classified as normal. It is calculated as follows: $TNR = \frac{TN}{TN+FP}$ (3)

False Negative Ratio (FNR)

is defined as the ratio of malware predicted that was incorrectly classified as normal It is calculated as follows: $TNR = \frac{FN}{TP+FN}$ (4)

Precision and recall are the basic measures that are mainly used to evaluate the performance of classification. Precision is defined as the positive predictive value, which is mainly used to return the relevant results. Moreover, it is a measure of accuracy that provides a predicted number of class as follows.

$$\text{Precision} = \frac{TP}{TP+FP} \quad (5) \quad \text{Recall} = \frac{TP}{TP+FN} \quad (6)$$

F-Measure

F-measure is a combination of both precision and recall, when the same weight is given. Moreover, higher values of precision, recall, and f-measure indicates that the efficiency of classification [15]. It is calculated as follows:

$$F - \text{Measure} = \frac{2 \times (\text{Recall} \times \text{Precision})}{\text{Recall} + \text{Precision}} \quad (7)$$

Accuracy The proportion of the total number of the apps that are correctly classified whether as benign or malware [15]. It is calculated as follows:

$$\text{Accuracy} = \frac{TP+TN}{TP+FP+FN+TN} \quad (8)$$

True positives (TP) are the number of malware samples that are correctly classified, while false negatives (FN) are the number of malware samples that are incorrectly classified. True negatives (TN) are the number of benign samples correctly classified, whereas false positives (FP) are the number of benign samples incorrectly classified. The F-measures are the accuracy metrics that include both recall and precision.

4.4 RESULTS AND DISCUSSIONS

The main objective of this paper is to suggest an approach to detect malware under the Android platform and to achieve this we have taken several steps starting from dataset until machine learning models training, testing, and evaluation. It was used Dataset consisting of feature vectors of 215 attributes extracted from 15,036 applications The collected dataset is good enough to build android malware detection models, but it has an imbalanced class distribution problem. This problem related to the Android malware detection domain where there are many more benign applications than malicious. This causes a problem and affects the model's performance. There are many methods used to deal with the imbalanced dataset such a OrdinalEncoder and transform. The feature-matrix is created during the feature selection stage. The matrix is then used for

training, testing, and evaluating machine learning models. use four classifiers to evaluate them. The five metrics T P R, F P R, calculated for this mode of supplying the dataset are shown in Table 4.

Table 4: Explain FPR and TPR of existing proposed techniques

ML Method	TPR	FPR
DT	0.971	0.0470
RF	0.968	0.0162
kNN	0.973	0.0468
LOG	0.962	0.0599

In this research using two different types of evaluation methods 10-fold cross-validation, 66 % split-validation and the results show that the classifier with the best accurate Random Forest, K-Nearest Neighbor, Decision Tree, Logistic Regression

Splitting Dataset

The first method is to divide dataset into percentages, which means that classification results are evaluated on a subset of the original data. then divided dataset by 66 percent for evaluation. Table 5 displays the tow metrics Prec., Recall and F- measure, accuracy calculated for this mode of supplying the data set show in Figure 4. the accuracy for splitting data set is given. The Figure 4 shows the Random Forest is the highest accuracy it has achieved accuracy in detecting malware of 97%. and Logistic Regression lower accuracy it has achieved 95%

Table 5: Algorithms evaluation Splitting dataset validation

ML Algorithms	Recall	Precision
Decision Tree	97	97
Random Forest	96.8	99
K-Nearest Neighbor	97	97
Logistic Regression	96	96

Table 6: Algorithms evaluation 10-fold validation

ML Algorithms	Recall	Precision
Decision Tree	96	97
Random Forest	96.2	98
K-Nearest Neighbor	95	94.9
Logistic Regression	85.2	83

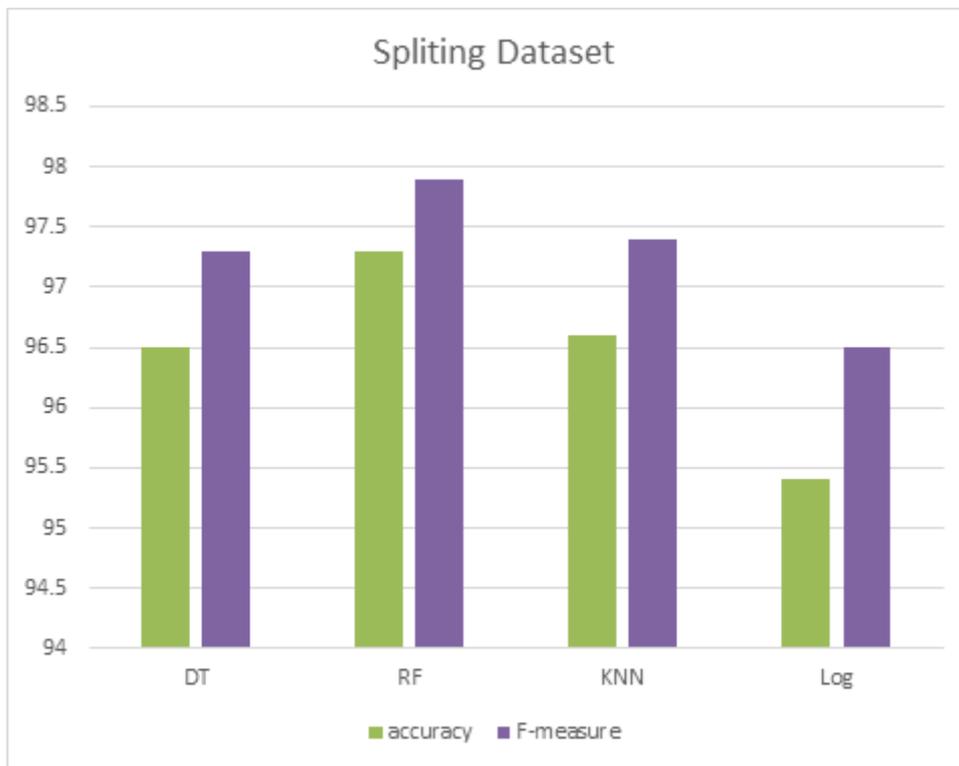
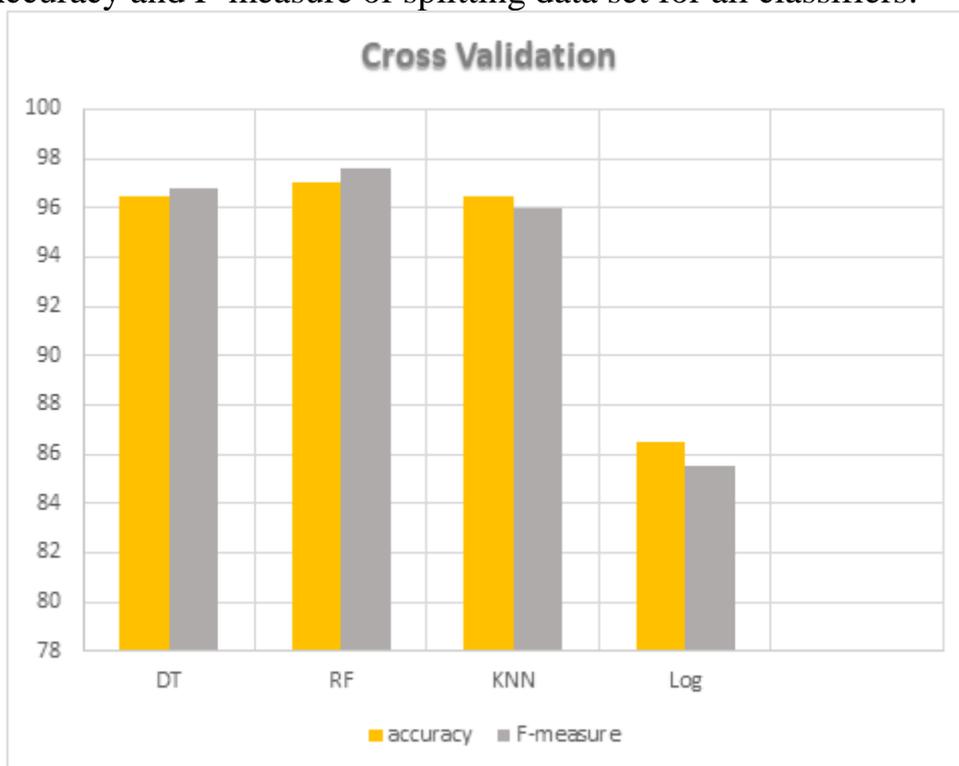


Figure 4: Accuracy and F-measure of splitting data set for all classifiers.



. Figure 5: Accuracy and F-measure of cross validation for all classifiers

```

##### Splitting training and testing set #####
from sklearn.model_selection import train_test_split

X = newDataset.iloc[:3799,:].values
x_train,x_test,y_train,y_test = train_test_split(X,y,test_size=0.25,random_state=0)

##### Imports #####

from sklearn.linear_model import LogisticRegression
from sklearn.neighbors import KNeighborsClassifier
from sklearn.tree import DecisionTreeClassifier
from sklearn.ensemble import RandomForestClassifier

##### Logistic Regression #####
logisticregression = LogisticRegression()
logisticregression.fit(x_train,y_train)
logisticRegression_y_pred = logisticregression.predict(x_test)

##### K-NN #####
knn_classifier = KNeighborsClassifier(n_neighbors = 5, metric = 'minkowski', p = 2)
knn_classifier.fit(x_train, y_train)
knn_y_pred = knn_classifier.predict(x_test)

##### Decision Tree #####
DT_classifier = DecisionTreeClassifier(criterion = 'entropy', random_state = 0)
DT_classifier.fit(x_train, y_train)
DT_y_pred = DT_classifier.predict(x_test)

##### Random Forest #####
RF_classifier = RandomForestClassifier(n_estimators = 10, criterion = 'entropy', random_state = 0)
RF_classifier.fit(x_train, y_train)
RF_y_pred = RF_classifier.predict(x_test)

##### Confusion Matrixs #####
from sklearn.metrics import confusion_matrix
cm_logReg = confusion_matrix(y_test,logisticRegression_y_pred)
cm_knn = confusion_matrix(y_test,knn_y_pred)
cm_DT = confusion_matrix(y_test,DT_y_pred)
cm_RF = confusion_matrix(y_test,RF_y_pred)

```

. Figure 6: Explain code for Splitting Dataset by using SKlearn library

Cross Validation

WEKA divides the data set into 10 parts (called "folds"), holds out each part in turn, and then averaged nearly the results to perform 10-fold cross-validation. As a result, each data point in the data set is tested once and trained nine times. Table 6 displays the results obtained by employing four different machine learning classification methods. Figure 5 depicts the percentage accuracy achieved by all four classifiers. The Figure 5 shows the Random Forest is the highest accuracy it has achieved accuracy in detecting malware of 97%. and Logistic Regression lower accuracy it has achieved 86.5%. K-Nearest Neighbor and Decision Tree reports the equal second highest accuracy of 96.5%.

Processing time

Processing time is defined as the amount of time required to complete the task, which

is expressed in terms of seconds. Furthermore, it is clear that the time required to build the model with a limited number of features is regarded as effective. According to the results of the analysis, the proposed random forest requires less processing time than the other methods. Because the proposed technique reduces computation complexity to 0.10 s, it takes less time to classify malware.

DISCUSSION

The aim of this paper is design a module to detect the android malware to achieve this It was used Dataset consisting of feature extracted from 15,036 applications (5,560 malware apps from Drebin project and 9,476 benign apps). The dataset has been used to develop and evaluate multilevel classifier fusion approach for Android malware detection, published in the IEEE. The dataset has been many processed. This processed used to extract the best features by using graph approach which are manifest permissions, API calls signature. Evaluate this model by using four machine learning classifier techniques which are Random Frost, K-Nearest Neighbor, Decision Tree, Logistic Regression. In this model interested in the Recall metric than other metrics because the effect of classifying benign applications as malware is less than the effect of classifying malware applications as benign applications table 7 show that.

Table7: Features categories Experiment Results

no	Features categories	No of Features	Recall
1	Permissions only	110	95
2	API calls only	73	96
3	Permissions & API calls	182	97.3

In summarization, the experimental results demonstrate that our detection method can identify Android malware applications with 97.3 percent accuracy and 96.8 percent recall for the best classifier. On average, the proposed method takes 5 seconds to analyze.

5 Conclusion

In this paper, a static approach is proposed to detect Android malware which concentrates on feature selection and feature generation using graphs. Combine the two raw features permissions and API calls to create new features and train the classifier using machine learning techniques. The evaluation results demonstrate that random forest is the best feature set classification technique. Achieving accuracy 97.3% and recall 96.8% the proposed approach requires 10 seconds for analysis on average. At the moment, the approach can only provide a binary classification for an application: malware or benign, but it cannot differentiate the malware family group of the application or reveal the effects of malware payload on the application's behaviors. These two flaws will be handled in the near future by enhancing existing work.

Dataset Availability

<http://ieeexplore.ieee.org/document/8245867/> or

<https://www.sec.cs.tu-bs.de/~danarp/drebin/download.html>

6 References

- [1] Sharma, S., Kumar, R. and Rama Krishna, C., 2021. A survey on analysis and detection of Android ransomware. *Concurrency and Computation: Practice and Experience*, p. e6272.
- [2] Rodríguez-Mota, A., Escamilla-Ambrosio, P.J. and Salinas-Rosales, M., 2017. Malware analysis and detection on Android: the big challenge. In *Smartphones from an Applied Research Perspective*. IntechOpen.
- [3] Mahindru, A. and Singh, P., 2017, February. Dynamic permissions based android malware detection using machine learning techniques. In *Proceedings of the 10th innovations in software engineering conference* (pp. 202-210).
- [4] Lee, Y.K. and Kim, D., 2020. A Taxonomy for Security Flaws in Event-Based Systems. *Applied Sciences*, 10(20), p.7338.
- [5] Kakavand, M., Dabbagh, M. and Dehghantanha, A., 2018, November. Application of machine learning algorithms for android malware detection. In *Proceedings of the 2018 International Conference on Computational Intelligence and Intelligent Systems* (pp. 32-36).
- [6] Kumaran, M. and Li, W., 2016, November. Lightweight malware detection based on machine learning algorithms and the android manifest file. In *2016 IEEE MIT Undergraduate Research Technology Conference (URTC)* (pp. 1-3). IEEE.
- [7] Singh, A.K., Jaidhar, C.D. and Kumara, M.A., 2019. Experimental analysis of android malware detection based on combinations of permissions and API-calls. *Journal of Computer Virology and Hacking Techniques*, 15(3), pp.209-218.
- [8] Mcdonald, J., Herron, N., Glisson, W. and Benton, R., 2021, January. Machine Learning-Based Android Malware Detection Using Manifest Permissions. In *Proceedings of the 54th Hawaii International Conference on System Sciences* (p. 6976).
- [9] Jerlin, M.A. and Marimuthu, K., 2018. A new malware detection system using machine learning techniques for API call sequences. *Journal of Applied Security Research*, 13(1), pp.45-62.
- [10] Arp, D., Spreitzenbarth, M., Hubner, M., Gascon, H., Rieck, K. and Siemens, C.E.R.T., 2014, February. Drebin: Effective and explainable detection of android malware in your pocket. In *Ndss* (Vol. 14, pp. 23-26).
- [11] Ananya, A., Aswathy, A., Amal, T.R., Swathy, P.G., Vinod, P. and Mohammad, S., 2020. SysDroid: a dynamic ML-based android malware analyzer using system call traces. *Cluster Computing*, pp.1-20.
- [12] Mahindru, A. and Singh, P., 2017, February. Dynamic permissions based android malware detection using machine learning techniques. In *Proceedings of the 10th innovations in software engineering conference* (pp. 202-210).
- [13] Afonso, V.M., de Amorim, M.F., Grégio, A.R.A., Junquera, G.B. and de Geus, P.L., 2015. Identifying Android malware using dynamically obtained features. *Journal of Computer Virology and Hacking Techniques*, 11(1), pp.9-17.
- [14] Mahindru, A. and Singh, P., 2017, February. Dynamic permissions based android malware detection using machine learning techniques. In *Proceedings of the 10th innovations in software engineering conference* (pp. 202-210).
- [15] Jerlin, M.A. and Marimuthu, K., 2018. A new malware detection system using machine learning techniques for API call sequences. *Journal of Applied Security Research*, 13(1), pp.45-62.

عنوان البحث

مواجهة الأوبئة في الفقه الإسلامي والتشريع الجنائي

دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والتشريع الوضعي

مستشار دكتور/ محمد جبريل إبراهيم¹

¹ نائب رئيس هيئة قضايا الدولة، عضو الجمعية المصرية للإقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع
بريد الكتروني: gebrelmohamed865@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21116>

تاريخ القبول: 2021/10/23م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

تناولت هذه الدراسة آليات الفقه الإسلامي لمواجهة مخاطر تفشي الأوبئة ، فالفقه الإسلامي كتنقين شامل رصد أساليب وطرق متعددة لتدابير الوقاية من الأوبئة ، فقد اشتمل علي العديد من التدابير الوقائية من الأمراض الوبائية والاحتياطات الصحية اللازمة للمحافظة علي صحة الإنسان عند ظهور الكوارث الوبائية ، وقد وضع علماء الفقه الإسلامي في اجتهاداتهم قواعد كلية تسمو في روعتها، وعلو غايتها عن مبادئ القانون الوضعي في العصر الحديث - وإن اختلفت الأسماء والمصطلحات - فانتم منهج الوقاية في الفقه الإسلامي بالتوسع والشمول ما بين الحث والإرشاد ، وبين الحظر والمنع ، وأخذت هذه التدابير عدة صور منها الحجر الصحي كما هو متعارف عليه اليوم، أو عزل المريض بمرض معدٍ ، وكذلك تبني فكرة التباعد الإجتماعي ، ومن مقتضي كل هذه التدابير أن تقترن بالتجريم الوقائي ، بوضع العقوبة الرادعة عند الإقدام علي مخالفة هذه التدابير الوقائية. ثم تناولت الدراسة منهج القانون الوضعي في مواجهة الأوبئة بالمقارنة بمنهج الشريعة الإسلامية ، وبيان نقاط القوة والضعف في النظامين .

مقدمة

كان للفقه الإسلامي فلسفة عبقرية في الوقاية من الأوبئة ، يتفرد بها عن غيره من الأنظمة حتي سبق بها القواعد الوضعية المستحدثة ، وذلك بما تضمنته قواعد الفقه الإسلامي من مناهج وأنظمة متكاملة ، لم تترك شاردة ولا واردة إلا وقد حكمتها .

فاتسم منهج الفقه الإسلامي بالتوسع في وسائل وآليات الوقاية من نقل العدوى ، مع وضع الحلول ووسائل العلاج، وإن كان التركيز إنما ينصب على المنهج الوقائي للفرد وللمجتمع عن طريق المنع والحظر ، وأيضاً بالحث والإرشاد علي السواء، حتي يتم إتخاذ التدابير الوقائية لمنع انتشار العدوى .

فكان أمر الوقاية من الأوبئة من الموضوعات التي تناولها الفقه الإسلامي ، فواجه نقشي الأوبئة بعدة آليات كان منها الحجر الصحي والذي يتضمن صورتان من الإمتناع ، أولهما الإمتناع عن الخروج من الأماكن المصابة بالمرض المعدي ، وثانيهما الإمتناع عن الدخول إلي هذه الأماكن .

ومن آليات مواجهة نقشي الأوبئة في الفقه الإسلامي عزل المريض بمرضٍ معدٍ ، ويأخذ ذلك صورة منع المريض بمرض معدٍ من مخالطة غيره من الأصحاء ؛ حتي لا ينشر العدوي إليهم .

ومن آليات الفقه الإسلامي أيضاً تبني فكرة التباعد الإجتماعي ، والتي تتضمن ابعاد الأفراد عن بعضهم البعض ، وترك مسافات بينية بينهم حتي يتم إطفاء نقشي المرض المعدي .

ولم تتجاهل قواعد الفقه الإسلامي فرض العقاب علي من يتسبب في إلحاق الضرر والأذى بنقل العدوي إلي غيره ، سواء أكان ذلك عن طريق العمد أو عن طريق الخطأ ، فأخضعت الشريعة الإسلامية مخالفة تدابير الوقاية من نقل العدوى للعقوبات المقررة وفقاً للقواعد العامة في قانون العقوبات الإسلامي إذا ما ترتب علي هذه المخالفة ضرر ، وإن كانت هذه العقوبات ليس لها تنظيمياً خاصاً .

وفي هذه الدراسة نقلني الضوء علي سمات الفقه الإسلامي في مجال الوقاية من الأوبئة ، وآلياته في منع نقشيها والعقوبات التي يقررها علي منع يتعمد نشر الأمراض المعدية ، أو ينشرها بسلوكياته الخاطئة ، ذلك بالمقارنة مع منهج القانون الوضعي في مجال العزل والحجر الصحي .

أهمية الدراسة :

تتجلي أهمية هذه الدراسة فيما أظهره الواقع من خطورة السلوكيات التي تتسبب في نشر الأوبئة ، ولما تتميز به هذه السلوكيات من تمايز واختلاف ؛ أدي إلي التزايد المستمر في انتشار عدوى الأمراض الوبائية ، وزيادة أعداد الضحايا ، وما يؤدي إليه ذلك من خلل إجتماعي ، فقد يضحى المجتمع كله مصاب بالأمراض المعدية ، ويصبح المجني عليه بين عشية وضحاها جانياً فيقع تحت برائن العقاب ، في حين أنه يستحق المساعدة والأخذ بيده إلي بر الأمان .

فقد ينتقم هذا المريض لمصيره المؤلم، فيقوم متعمداً بنقل مرضه إلي آخرين بقصد قتلهم ، أو إيذائهم فيصبح في محل إتهام ؛ وهو ما يعد صورة من صور الإجرام الحديث الذي لم تحط به النصوص الجنائية التقليدية القائمة حتى الآن بنصوص خاصة ، حيث ظلت هذه النصوص تسعي فقط إلي أن تؤثم ما يمكن أن نطلق عليه الأفعال الإجرامية التقليدية، ولم تنجح إلي الآن محاولات أفراد قوانين خاصة يمكن تطبيقها علي مثل هذه الصور

من صور الإجرام الحديث (1) .

لذلك فإن أهمية هذا البحث تكمن في الإحاطة بالقواعد الفقهية التي يشملها التشريع الإسلامي التي تتعلق بالاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية ، واقتراح تطبيقها ووضعها في موضع التنفيذ في نطاق القوانين الوضعية، وربطها بالجانب التطبيقي لإنزالها علي الواقع ، فتفيد في زيادة فاعلية الإجراءات الوقائية للوقاية من الأوبئة .

أهداف الدراسة :-

تهدف الدراسة إلي إلقاء الضوء علي القواعد الفقهية الواردة في التشريع الإسلامي ، التحقق من مدي كفايتها لتوفير الحماية ضد السلوكيات التي تخالف الاحتياطات الصحية للوقاية من أنتشار الأوبئة ، فلا شك أن هذه السلوكيات التي قد تتسبب في نشر الأوبئة و انتقال العدوي تثير الخوف ، وتسبب الرعب ، وبرغم من خطورتها البالغة ، فإن تجريمها في القوانين الوضعية ما زال في صورة احتياطات وقائية بموجب القواعد القانونية القائمة والتي لا يترتب علي مخالفتها إلا عقوبات يسيرة غير رادعة لا تتناسب مع قيمة المصلحة المحمية ، ولا مع بشاعة الجرم المرتكب ، وهو ما يثير الجدل حول مدي توافر الحماية الجنائية للحق في الوقاية من الأوبئة والأمراض المعدية ، الأمر الذي تناولته الشريعة الإسلامية في موضع التطبيق فجرمت كل فعل يتسبب في إحداث الضرر ، وإلحاق الأذى بالغير .

خطة الدراسة :

جاءت الدراسة في فصلين ، يسبقها مقدمة وتعبها خاتمة علي النحو الآتي :

الفصل الأول : سياسة الفقه الإسلامي في الوقاية من الأوبئة

المبحث الأول : سمات المنهج الإسلامي في الوقاية من الأوبئة .

المطلب الأول : التوسع في وسائل الوقاية من الأوبئة في الفقه الإسلامي .

المطلب الثاني : الحظر و المنع في مجال الوقاية من نقل العدوى في الفقه الإسلامي .

المبحث الثاني : وسائل الوقائية من الأوبئة في الفقه الإسلامي .

المطلب الأول : الحجر الصحي في الفقه الإسلامي .

المطلب الثاني : عزل المريض بمرض معد في الفقه الإسلامي .

المطلب الثالث : فكرة التباعد الإجتماعي في الفقه الإسلامي .

المبحث الثالث : العقاب علي مخالفة التدابير الوقائية في الفقه الإسلامي .

المطلب الأول :العقاب علي نقل العدوي عن طريق العمد .

المطلب الثاني :العقاب علي نقل العدوي عن طريق الخطأ .

الفصل الثاني : سياسة القانون الوضعي في الوقاية من الأوبئة

المبحث الأول : صور الحماية الجنائية للوقاية من الأوبئة بتدابير عامة

المطلب الأول :فرض إجراءات حظر التجول

(1) د / مهند سليم المجند : جرائم نقل العدوى - دراسة مقارنة بين القانون المصري والفقه الإسلامي والنظام السعودي - مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشر والتوزيع - ط 2012 - ص 180.

المطلب الثاني : فرض بعض إجراءات الحجر الصحي والبيطري

المطلب الثالث : التطعيم الإجباري

المبحث الثاني : وسائل الحماية الجنائية للوقاية من الأوبئة بتدابير فردية

المطلب الأول : عزل المريض بمرض معد

الفرع الأول : التأصيل القانوني لفكرة العزل

الفرع الثاني : تقييد فكرة العزل .

المطلب الثاني : التعامل مع موتى الأوبئة

المطلب الثالث : الإلتزام بإرتداء الكمامات الواقية

المبحث الثالث : العقاب علي مخالفة التدابير الوقائية في القانون الوضعي

الفصل الأول

سياسة الفقه الإسلامي في الوقاية من الأوبئة

سبقت الشريعة الإسلامية كافة القوانين الوضعية في وضع التدابير الوقائية للوقاية من الأمراض المعدية ، وذلك بأن وضعت بعد القواعد والإجراءات الناجعة في منع انتشار الأوبئة والأمراض المعدية ، ولقد أتسمت هذه الإجراءات بالتوسع والحزم ، ومن هذه الإجراءات العزل الصحي ، والحجر الصحي والبيطري ، وكذلك فكرة التباعد الإجتماعي ، ذلك ما سنتناوله في هذا الفصل علي النحو الآتي :

المبحث الأول

سمات المنهج الإسلامي في الوقاية من الأوبئة

من يتمن في منهج الشريعة الإسلامية تجاه الأوبئة، يجد أن هذا المنهج يتوسع في وسائل الوقاية من نقل العدوى ، مع وضع وسائل العلاج، وإن كان التركيز إنما ينصب على المنهج الوقائي للفرد وللمجتمع عن طريق المنع والحظر ، وأيضاً بالحث والإرشاد علي السواء، حتي يتم إتخاذ التدابير الوقائية لمنع انتشار العدوى ، وذلك بتقوية المناعة المكتسبة لدى الناس، ومواجهة الأمراض تحوطاً منها، واتقاء لشرها قبل وقوعها⁽²⁾.

ويعمد منهج الشريعة الإسلامية إلى تجنب الفرد والمجتمع كل الأسباب والعوامل المؤدية إلى تفشي الأوبئة و الإصابة بالمرض المعدي ؛ حتى يكون الأصل في حياة الناس العافية وليس المرض، وحتى لا يتحول المجتمع كله بفعل الأمراض المختلفة إلى مصحات أو مستشفيات ، ويأخذ هذا المنهج أسلوبين لمنع تفشي الأوبئة أولهما : التوسع في وسائل الوقاية من الأوبئة⁽³⁾ ، وثانيهما : الحظر والمنع⁽⁴⁾، وفيما يلي سنعرض لأسلوبي الوقاية من الأوبئة في الفقه الإسلامي علي النحو الآتي :

المطلب الأول : التوسع في وسائل الوقاية من الأوبئة في الفقه الإسلامي .

المطلب الثاني : الحظر و المنع في مجال الوقاية من نقل العدوى في الفقه الإسلامي.

المطلب الأول

(2) د / محمد عبد الغني شامة : الإسلام إصلاح وتهذيب - عرض وتحليل للحدود والتعزير - مكتبة وهبة - ص 25.

(3) د/ أحمد شوقي الفنجري : الطب الوقائي في الإسلام - تعاليم الإسلام الطبية - الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 2013 - ص 15 .

(4) د / يوسف القرضاوي: رعاية البيئة في شريعة الإسلام - دار الشروق بالقاهرة - ط 2001 - ص 23.

التوسع في وسائل الوقاية من الأوبئة في الفقه الإسلامي

تتخذ الشريعة الإسلامية منهجاً وقائياً شاملاً كأساس لها، وبما يندرج تحت قاعدة سد الذرائع والتي تقضي بإغلاق جميع السُّبُل المؤدية إلى المحرمات أو إلى الضرر⁽⁵⁾.

ويندرج تحت هذه القاعدة قاعدة: "درء المفسد مقدم على جلب المصالح"⁽⁶⁾ فكل ما يمكن أن يترتب عليه ضرر يُحظر ويُمنع، مع عدم الالتفات إلى المصالح المرجوة من ورائه، أخذاً بقاعدة "الدفع أولي من الرفع"⁽⁷⁾؛ بمعنى أن منعا لشيء قبل وقوعه يُعد أقوى في التأثير في التعامل مع ذلك الشيء الضار مما لو انتظرنا أن يقع ثم نحاول بعد ذلك إزالته، هذا بالإضافة إلى كون الدفع عن طريق الوقاية يُعد أسهل وأيسر وأقل تعقيداً من علاج آثار الضرر الذي حلّ ووقع، وهذا قد يجبر أضراراً ومفاسد أخرى معه، وهذا ما تعنيه عبارة "الوقاية خير من العلاج"، ولذلك فقد رصد الفقه الإسلامي وسائل الوقاية من الأوبئة فيما يلي :-

أولاً : الأمر بالتداوي من الأمراض المعدية :

حثت الشريعة الإسلامية علي التداوي ، والأمر به لمن أصابه أي مرضٍ ، وهذا ما لا يتنافي مع التوكل علي الله خالق الداء والدواء ، فإذا تم التداوي يتم حصار المرض فلا ينتقل للآخرين ، ولقد أكدت السنة النبوية الشريفة علي إعلاء قيمة الصحة ، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " من أصبح معافي في جسده آمناً في سربه، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا " (8) .

وروي البخاري عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ " (9) .

فأمرت السنة النبوية بالتداوي ورغبت فيه ، ففي مسند الأمام أحمد من حديث زياد بن علاقة عن أسامة ، أن شريك قال :

كنت عند النبي صلي الله عليه وسلم وجاءت الأعراب ، فقالوا يا رسول الله : أنتداوي ؟

فقال : " نعم يا عباد الله تداووا ، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء ، غير داء واحد قالوا : وما هو ؟ قال : " الهرم " .

وفي لفظ " إن الله لم ينزل داء إلا وله شفاء علمه من علمه ، وجهله من جهله .

وفي الصحيحين : عن عطاء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء " .

وروي عن مسلم في صحيحه من حديث أبي الزبير عن جابر بن عبد الله ، عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال : " لكل داء دواء ، فإن أصيب دواء الداء ، برأ بإذن الله عز وجل " (10) .

(5) الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة 257/3-300.

(6) السيوطي: الأشباه والنظائر - ص 179 - 223، وابن نجيم - الأشباه والنظائر - ص 90 -، الزرقا: المدخل الفقهي العام، فقرة 590.

(7) السيوطي: المرجع السابق - ص 560.

(8) أخرجه ابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد ، ورمز له السيوطي بالحسن ، والخبرها عن عبد الله بن محسن ، وقال الترمذي حسن غريب .. مشار إليه في الطب النبوي - ص 275 .

(9) أخرجه الترمذي وابن ماجه ورمز له السيوطي بالحسن ، مشار إليه في الطب النبوي - ص 276 وما بعدها .

(10) أخرجه الأمام أحمد وأبو داود - واللفظ له - ، والترمذي والنسائي في الكبرى - مشار إليه في الطب النبوي - ص 275 .

ويتضح مما سبق أن الشريعة الإسلامية تحض علي التداوي والترغيب في السعي للعلاج ، وهذا ما لا يتعارض مع التوكل علي الله سبحانه وتعالى ، فهو من أنزل الداء ، وهو من أنزل الدواء ، فإذا تم التخلص من المرض المعدي بالعلاج والتداوي قلت فرصة انتقاله إلي الغير .

ثانياً : الحد من الاختلاط بين الجنسين في المؤسسات المختلفة :

لم يعد الحديث عن التباعد ومنع الإختلاط بين الجنسين حديثاً مترمناً رجعياً ، بل نادى به بعض المؤسسات في الغرب لما يحدثه الاختلاط من مشكلات إجتماعية (11) ، فقد ثبت أن الإختلاط بين الشباب والشابات يتناسب طردياً مع انتشار الفاحشة ومن ثم انتشار الأمراض والأوبئة المعدية، والحد من الاختلاط بين الجنسين يُعدُّ من قبيل سد الذرائع، فكان المراد هنا أن الإختلاط ذريعة لإثارة الشهوات، وهذه ذريعة للزنا، والزنا ذريعة لتفشي الأمراض المعدية ، فيجب سد كل هذه الذرائع .

كما أمرت الشريعة الإسلامية بغض البصر عن المحرمات وقايةً من الوقوع فيها، وكان النهي للرجل والمرأة علي حد سواء، كما نهت عن خلوة الرجل بالمرأة للوقاية من وقوع كليهما في الفاحشة(12).

ثالثاً: في مجال زواج المريض بمرضٍ معدٍ من شخص سليم :

المعاشرة الجنسية هي من أكثر أسباب انتشار الأمراض المعدية (13) ؛ لذلك فمن حق أولياء المرأة منعها إذا وافقت على الزواج من شخص مصاب بمرضٍ معدٍ، ونكاح المرأة من غير ولي باطل وفقاً لرأي جمهور العلماء، ومنهم مالك والشافعي وأحمد وجمهور أصحابهم وأتباعهم عدا الحنفية، وعلى رأي الجمهور يكون للأولياء الحق في منع موليتهم من الزواج بمرضٍ معدٍ ، ولا تستطيع المرأة أن تدعي عند القاضي بأن أولياءها عضلواها ؛ لأن الزوج في هذه الحالة ليس كفؤاً لها ، والعضل كما يقول ابن قدامه: "منع المرأة من التزوج بكفئها إذا طلبت ذلك " .

رابعاً : في مجال الحمل والإنجاب للمرأة المصابة بمرضٍ معدٍ :

فالمرأة المصابة بمرضٍ معدٍ عليها تجنُّب الحمل والإنجاب، ويلزمها اتخاذ الاحتياطات والوسائل التي تحول دون الحمل، وذلك وقايةً لجنينها من انتقال العدوى إليه (14) .
ونشير إلي أنه لا مانع شرعاً من أن تقوم الأم بحضانة طفلها، إذا أصيبت بالمرض المعدي، إلا أن الأحوط عدم إرضاعها لطفلها إذا أمكن تواجد امرأة ترضعه، أو في حال توافر بدائل له عن لبن الأم، أمّا في حال تعذر ذلك فلا مفر من إرضاعه حمايةً له من الهلاك (15).

(11) <https://www.albayan.ae/science-today/studies-research>

(12) د/ أحمد شوقي الفنجري : الطب الوقائي في الإسلام - مرجع سابق - ص 207.

(13) صدر مرسوم في عام 1929 يوجب علي محرري وثائق الزواج أن يحصلوا من راغبي الزواج علي إقرار كتابي بخلوهم من الأمراض المعدية السرية - انظر خطاب وزارة الصحة إلي وزارة العدل في 13/2/1929، ومنشور وزارة العدل للمحاكم الشرعية في 16/5/1929.

(14) قدرت بعض الإحصائيات أن فيروس الإيدز ينتقل من الأم المصابة إلي جنينها بنسبة 1 إلي 3 أثناء فترة الحمل، إذ أن دم الأم المصابة يتصل بدم الجنين من خلال المشيمة، بل أنه يمكن أن تتم العدوى في لحظة الوضع أو حتى بعد الولادة من خلال لبن الثدي ... انظر د / شكري صالح إبراهيم : الإيدز وأثره في التفريقين الزوجين - مرجع سابق - ص 315 .

(15) د / أحمد شرف الدين: الأحكام الشرعية للأعمال الطبية- الطبعة الثانية 1987 - ص 109. ود / أحمد محمد لطفي أحمد: الإيدز وآثاره الشرعية والقانونية - دار الجامعة الجديدة 2007 - ص 296.

خامساً : الحث علي النظافة :

عني الفقه الإسلامي بالنظافة ، فالنظافة في الإسلام عبادة والأدلة على ذلك كثيرة قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) (16) ، وقال سبحانه تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (17) ، وقال تعالى: (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) (18) ، وقال صلي الله عليه وسلم (الطَّهْرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ) رواه مسلم .

ولذلك يجب الالتزام بأحكام النظافة الشخصية العامة والاحتياطات الخاصة بتحاشي الأمراض المعدية والوبائية ، ومن ذلك غسل اليدين بالماء والصابون ولبس الكمامات والقفازات، والالتزام بالتوجيهات الصحية الصادرة من الجهات المسؤولة واجب شرعاً للتوقي من تفشي الوباء ، ويجوز استخدام المعقمات المشتملة على الكحول في تعقيم الأيدي وتعقيم الأسطح والمقايض وغيرها، حيث أن مادة الكحول غير نجسة شرعاً .

وفي هذا الشأن نشرت صحيفة نيوز ويك الأمريكية تقريراً تحت عنوان " هل يمكن لقوة الصلاة وحدها وقف الجائحة؟ "

وتضمن التقرير الإشارة إلي السنة النبوية والهدي النبوي عند تفشي الأوبئة ، حيث أشارت الصحيفة إلي أن النبي محمد صلي الله عليه وسلم - ومنذ ما يقرب من 1400 عام - هو أول من أمر بالحجر الصحي عند اجتياح الوباء ، وذكرت الصحيفة الحديث الشريف بأن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال " إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا إليها ، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها فراراً منه "

كما أشار التقرير إلي أن النبي محمد صلي الله عليه وسلم أمر بالنظافة وذكر الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث علي ذلك ، حيث قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " النظافة من الإيمان " ، وقال أيضاً : " بركة الطعام تكمن في غسل اليدين قبل وبعد الأكل " وقال أيضاً : " اغسل يديك بعد استيقاظك من النوم فلا تعلم أين تحركت يداك خلال نومك " (19) .

ففي الوقت الذي لم يكن فيه النبي صلي الله عليه وسلم خبيراً بشئون الأوبئة القاتلة قدم نصائح نافعة وناجحة تمنع تفشي الوباء ، وهي نفسها النصائح التي تأخذ بها منظمة الصحة العالمية والهيئات الصحية في شأن مواجهة تفشي فيروس كورونا المستجد (20) .

فيا تري من أخبر هذا النبي الكريم بكل هذا البيان ؟

المطلب الثاني**الحظر والمنع للوقاية من الأوبئة في الفقه الإسلامي**

باستقراء أصول الفقه الإسلامي تبرز قواعد الحفاظ علي النفس ، وهي قواعد مستلهمة من بعض الآيات الواردة في كتاب الله تعالى ، وبالنظر في السنة النبوية المطهرة نجدتها تؤكد لنا جدية المنهج الإسلامي في وضع

(16)سورة المائدة آية 6 .

(17)سورة البقرة آية 222 .

(18)سورة المدثر ، آية 4 .

(19) رواه البخاري (162) ، ومسلم (278) ، أورده تقرير نشرته مجلة نيوز ويك الأمريكية تحت عنوان " هل يمكن للصلاة أن توقف تفشي الوباء ؟ "

أوردت فيه أحاديث النبي صلي الله عليه وسلم المتعلقة بالطهارة والحجر الصحي .

(20)https://alsharq.com/article/22/3/2020 .

المحاذير الصارمة، التي من شأنها شد الانتباه لحظر ارتكاب المخالفات التي تؤدي إلي انتشار الأوبئة ، والأخذ بكل أسباب الحيطة والحذر لضمان عدم الإصابة بها ، والوقوع في العلة⁽²¹⁾.

ولقد وضعت الشريعة الإسلامية الكثير من المحظورات التي من شأنها الحفاظ علي النفس من الهلاك ، والإبتعاد عن مصادر ومسببات نقل عدوى الأمراض المعدية ، ونرصد فيما يلي بعض المحظورات الصارمة للوقاية من نقل العدوي ، وذلك علي النحو التالي :-

أولاً : عدم قتل النفس أو إيذائها :

الثابت أن مقصود الشرع من الخلق خمسة مقاصد، وهي أن يحفظ عليهم دينهم، وأنفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم ؛ لذا أمر الله تعالى بالحفاظ علي النفس وعدم اهلاكها أو إيذائها ومن ذلك قوله تعالى :
" ولا تلقوا بأيديكم إلي التهلكة " ⁽²²⁾، " ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً " ⁽²³⁾، وفي ذلك أمر لعدم تعريض النفس للهلاك عن طريق أي سبب كان ، ولا شك أن الإصابة بالأمراض المعدية من المهلكات ، لذا حثت الشريعة الإسلامية علي توقيها .

ومن هنا حرمت الشريعة الإسلامية علي الفرد أن يعرض نفسه للتهلكة ، بل وأمرته أن يحافظ علي جسده ؛ لأن هذا الجسد أمانه سيسأل عنها يوم القيامة ، فقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتي يسأل عن أربع ، عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه"

وظهر أهتمام الشريعة الإسلامية بحفظ النفس من خلال سن التدابير الوقائية التي تمنع حدوث الأذى للنفس البشرية عن طريق توفير الوسائل الكفيلة بحفظ النفس ، ووقايتها من الأذى ، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم " المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير "

وهنا يكمن الفرق بين الشريعة الإسلامية وغيرها من القوانين الوضعية ، فهذه الأخيرة أكتفت بوضع الكثير من النصوص التي تجرم إلحاق الأذى بالنفس ولكنها خلت من وسائل الحفاظ عليها ، بعكس الشريعة الإسلامية التي وفرت الوسائل الكفيلة بحفظ النفس من أي ضرر أو أذى فضلاً عن حفظها من الهلاك والازهاق .

ومن أهم وسائل الحفظ تحريم الإضرار بالنفس أو إلحاق الأذى بها أو الإقدام علي الأنتحار والوعيد الشديد علي ذلك ؛ لأن واهب الحياة هو الله ، والإنسان لا يملك حياته ليتصرف فيها بالأذى أو الإلتلاف أو الإزهاق .

ومن أهم وسائل العلاج حرص الشريعة الإسلامية علي توفير وسائل علاج النفس بالتداوي ، وصيانتها وعدم إلتافها، حتي لو أضر الإنسان غير باع ولا عاد للمحظور بغرض وقاية النفس من الهلاك ⁽²⁴⁾ .

ثانياً : عدم تعريض الغير للخطر :

مثلما أهتمت الشريعة الإسلامية بالحفاظ علي النفس ، أهتمت كذلك بالحفاظ علي حياة وصحة الغير بصرف النظر عن جنس هذا الغير أو عمره أو ديانتة أو حتي حالته الصحية ، فقد نهي الرسول صلي الله عليه وسلم

(21) د / أحمد حسني أحمد طه: المسؤولية الجنائية عن نقل عدوي الإيدز في الفقه الإسلامي والقانون الجنائي الوضعي - دار الجامعة الجديدة 2005 - ص 30.

(22) سورة البقرة - الآية 195.

(23) سورة النساء - الآية 29.

(24) د/ أحمد شوقي الفنجري : الطب الوقائي في الإسلام - مرجع سابق - ص 207.

عن التبول في الماء أو التغوط في مجراه، كما نهي عن الشرب من الماء النجس أو التوضؤ منه (25)، وكذلك نهي عليه الصلاة والسلام عن الشرب من فم القربة أو السقاء (26).
كما دعا الرسول صلي الله عليه وسلم إلي إماطة الأذى عن الطريق، وجعلها من شعب الإيمان، حيث يقول عليه الصلاة والسلام " الإيمان بضع وسبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق " (27).
كل ذلك يهدف إلي حماية الناس بغض النظر عن حالتهم ، والحفاظ علي صحتهم وحياتهم من مخاطر انتقال مسببات الأمراض إليهم .

ثالثاً : حظر تعاطي الخمر والمخدرات :

تعاطي الخمر والمخدرات تعد من أسباب نقل العدوى عن طريق حقنها من يد ليد، فيقول الله عز وجل : " إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر " (28).

فلا شك أن المجتمعات التي استباحت تعاطي المخدرات والخمر واستهانت بإدمانها تعاني من انتشار الأمراض المعدية كالإيدز والتهاب الكبد الوبائي ، خاصة بين الفئات التي تتعاطى المخدرات عن طريق الحقن ، فقد تلاحظ في البلاد التي تنتشر فيها العدوى ، زيادة إدمان المخدرات (29) .

فمشكلة تعاطي المخدرات شديدة الصلة بمشكلة انتشار عدوي الأمراض المعدية مباشرة عن طريق استعمال الإبر الملوثة في حالة تعاطي المخدر عن طريق الحقن الوريدي ، وهي تمثل مشكلة كبيرة في ظل تعامل الاجهزة الأمنية معها من القانونية البحتة وليس من الناحية الصحية .

رابعاً : حظر كل الممارسات الجنسية غير المشروعة :

توسع الفقه الإسلامي في حظر كل صور الأعمال غير المشروعة التي يمكن عن طريقها نقل العدوى، فحُرمت الاتصال الجنسي غير المشروع (30)، فحُرمت الزنا، وهو كل وطء في غير ملك وحل سواء أكان مرتكبه محصناً أي متزوجاً، أو غير محصن، فإذا كان الجاني محصناً فحده الرجم حتي الموت (الإعدام) ، وإن لم يكن محصناً فحده الجلد (31) .

فحظر الفقه الإسلامي جميع الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والفاحشة هي " ما عَظُم قُبْحُهُ من الأفعال والأقوال " وقد حَرَّمَ الله الفواحش، فقال عز وجل: " قل إنَّما حَرَّمَ رِبِّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن " (32)، ونهانا حتى عن القرب منها: " ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن " (33) والشيطان هو الذي يحرص على

(25) قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: " لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ولا يغتسل فيه من الجنابة " صحيح البخاري - ج 1 - ص 81.

(26) نهي رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الشرب من فم القربة أو السقاء، وأن يمنع جاره أن يغرز خشبة في داره " أخرجه : مسلم (1609)

(27) صحيح البخاري - ج 4 - ص 145.

(28) سورة المائدة: الآية -90 و91.

(29) مستشار د / محمد جبريل إبراهيم : المشكلة الجنائية والمدنية التي يثيرها مرض كورونا المستجد - مركز الأهرام للطباعة والنشر - ط 2021 - ص 156.

(30) راجع: د/ أحمد محمد لطفي أحمد: الإيدز وآثاره الشرعية والقانونية - مرجع سابق - ص 54.

(31) د/ محمد نيازي حتاتة: جرائم البغاء - دراسة مقارنة - رسالة جامعة القاهرة - ص 125.

(32) سورة الأعراف " الآية: 33.

(33) سورة الأنعام: الآية: 51.

نشر الفاحشة، ويقول الله تعالى: " الشيطانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ " (34)، إذاً فكل من يسير على هذا النهج فيه شبهة من الشيطان، وأعظم الفواحش اللواط، فإنه عنوان انتكاس الفطرة البشرية، والذين يمارسونه أحط من الحيوانات وأضل منها، "ولوطاً إذ قال لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ، أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ " (35).

كذل كمن الفواحش التي جاء الإسلام بتحريمها جريمة الزنا: " ولا تقربوا الزنا إنَّه كان فاحشَةً وساء سبيلاً " (36). فيجب على الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي منع كل الوسائل التي تدعو إلى الزنا: " إنَّ الذين يحبون أن تشيعَ الفاحشَةُ في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة " (37)، فكل من نشر المواد الخليعة أو روج لها أو تساهل في أمرها لغرضٍ في نفسه يدخل في هذه الآية.

وفي الحديث الصحيح: " لم تظهر الفاحشةُ فيقوم قط حتى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا " (38)، فهذه الأمراض المعدية تأكيد لهذا الحديث الشريف، ولن تكون الأمراض المعدية الخطيرة مثل مرض الإيدز هو الأخير ما دام الناس يتمادون في فحشهم .

لذا ففي باب الوقاية من الأمراض البوائية فقد حرمت الشريعة الإسلامية المتعة المحرمة، وغير الشرعية إذ حرمت المباشرة الجنسية في الدبر لما يسبب ذلك من أمراض جسمية ونفسية، قال تعالى: " ولا تقربوهن حتى يظهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين " (39) ، و في السنة النبوية يقول الرسول صلي الله عليه وسلم: " لا ينظر الله إلي رجل جامع امرأته في دبرها " (40).

كما أن الشريعة الإسلامية نهت عن مواطأة النساء في الطمث أيام الحيض، فيقول رسول الله صلي الله عليه وسلم " أقبل وأدبر، واتق الحيضة والدبر " (41)؛ لأن ذلك يسبب ضرراً بليغاً بصحة الرجل والمرأة على السواء، فقد يكون سبباً للاثتهابات التي قد تؤدي إلى العقم عند الرجل قال تعالى: - "ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض، ولا تقربوهن حتى يطهرن " (42)؛ فالدم النازل من الرحم يعتبر فاسداً، وهو مزرعة للميكروبات التي قد تصيب مجري البول، ولكن الإسلام رغم نهيه القاطع عن الجماع في فترة الحيض فهو ينهي الرجل عن مقاطعة المرأة أو إهمالها (43).

ومن هنا يتضح لنا الاختلاف بين القانون الوضعي، والشريعة الإسلامية في تجريم الاتصال الجنسي غير المشروع، فالمشرع الوضعي قد حدد صور الاتصال علي سبيل الحصر في الزنا بالمفهوم القانوني والاعتصاب

(34) سورة البقرة: الآية: 26.

(35) سورة النمل: الآية: 55.

(36) الإسراء: الآية: 32.

(37) سورة النور: الآية - 19.

(38) سنن ابن ماجه - 1322/2 - حديث رقم 4019 تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - 1902.

(39) سورة البقرة: الآية: 222.

(40) أخرجه الترمذي في الجامع (1165) كتاب الرضاع، وابن الجارود في المنتقى (729) والجرجاني في تاريخ جرجان (327/1) وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (7801).

(41) أخرجه الترمذي في الجامع (2980) كتاب تفسير القرآن.

(42) سورة البقرة: الآية: 222.

(43) د/ أحمد شوقي الفنجري: الطب الوقائي في الإسلام - مرجع سابق - ص 205.

وهتك العرض والبغاء، أما الشريعة الإسلامية فقد جرّمت كل صور الاتصال غير المشروع علاوة على ذلك فإن التشريع الوضعي قد جعل شكل السلوك الإجرامي سبباً لتخفيف ولتشديد العقاب، أما الشريعة الإسلامية فقد جعلت من صفة الجاني سبباً لتشديد وتخفيف العقاب، فالشريعة الإسلامية تعاقب علي الرذيلة في ذاتها ولا أهمية لأن تكون الجريمة قد تعدي أثرها للغير أو أبتعد (44).

لذلك فإننا نرى ضرورة تدخل المشرع من أجل تجريم كل صور الاتصال الجنسي غير المشروع (45) أسوة بمنهج الشريعة الإسلامية في هذا المجال، فإذا كانت الدواعي الصحية قد دفعت التشريعات الوضعية إلي تجريم البغاء في حقبة تاريخية معينة انتشر فيها مرض الزهري وغيره من الأمراض المعدية فإن ظهور الإيدز وكورونا المستجد، وما يحمله من خطورة علي النواحي الصحية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع لجدير بتدخل المشرع في تلك الآونة لتجريم كل صور الاتصال الجنسي غير المشروع، ورفع قيد الشكوى كأحد القيود علي تحريك الدعوي الجنائية، وجعل جريمة الزنا من حق المجتمع قبل أن تكون من حق الزوج أو الزوجة، فمن أهم وسائل القضاء علي الظاهرة القضاء علي مسبباتها (46).

الحلول التي وضعتها الشريعة الإسلامية لمنع تفشي الأوبئة :-

لم تضع الشريعة الإسلامية النهي فقط، بل وضعت مع النهي الحل للمشكلات التي تنتسب في تفشي الأوبئة وذلك علي النحو الآتي :

تسهيل الزواج وتشجيعه في حالة ثبوت الخلو من الأمراض المعدية :

إذ يقول عز وجل: "وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم" (47)، ويقول رسول الله - صلي الله

(44) د / عبد القادر عودة: التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي مرجع سابق - ص 199 ، الشيخ جاد الحق علي جاد الحق: بحوث وفتاوي إسلامية في قضايا معاصرة - ص 322، ود/ لاشين محمد يونس - دور الشريعة الإسلامية في حماية الإنسان من مرض الإيدز - مجلة المحاماة - السنة الثانية والعشرون سبتمبر 1998 - ص 254.

(45) أقيمت عدة دعاوي للطعن في بعض المواد الواردة في الباب الرابع من قانون العقوبات المصري بعدم الدستورية، إلا أنها رفضت بناء علي سند شكلي وهو صدور هذه المواد قبل صدور الدستور، علي أنه لو ورد أي تعديل علي هذه المواد في ظل الدستور المتضمن أن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع فسيقضي بعدم دستورتها .

انظر حكم المحكمة الدستورية العليا في حكمها رقم 34 لسنة 10 ق دستورية بجلسة 3 فبراير 1990، حيث ورد في منطوق الحكم: ".....وحيث أنه ترتيباً علي ما تقدم، ولما كان مبني الطعن هو مخالفة المواد 273 و274 و275 و276 من قانون العقوبات للمادة الثانية من الدستور لخروجها علي مبادئ الشريعة الإسلامية التي تجعل الزنا من جرائم الحدود علي ما سلف بيانه، وإذ كان القيد المقرر بمقتضي هذه المادة - بعد تعديلها في 22 مايو 1980 والمتضمن إلزام المشرع بعدم مخالفة الشريعة الإسلامية، لا يتأتى إعماله بالنسبة للتشريعات السابقة عليه، وكانت المواد المشار إليها من قانون العقوبات لم يلحقها أي تعديل بعد التاريخ المذكور فإن النعي عليها وحالتها هذه بمخالفة المادة الثانية من الدستور - يكون في غير محله، الأمر الذي يتعين معه الحكم برفض الدعوي....."

وانظر أيضاً الدعوي رقم 226 لسنة 26 ق دستورية - بجلسة 2006/10/8 والتي قضى فيها " بعدم قبول الدعوي لسابقة الفصل فيها " .

(46) تقدم الدكتور / عبد المهيم بكر سالم أثناء عمله باللجنة التشريعية لتعديل القانون الجنائي باقتراح تجريم الزنا ولو من غير الزوجين بمعناه في الشريعة الإسلامية بعد أن قدر أن ليس في مثل هذا التجريم اعتداء علي الحرية الشخصية فهي مكفولة بالزواج واقتراح لتفادي الافتراء في شأن التجريم وهو لصيق بالاعتبار أن يكون مبدأ إثباته حتي لا يكون ذريعة للإضرار بالناس وانتهاك حرمتهم - راجع د/ عبد المهيم بكر سالم: القسم الخاص في قانون العقوبات - دار النهضة العربية - ط 1977 ص 721.

(47) سورة النور: الآية 32.

عليه وسلم : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج " (48).
 فقد رصد فقهاء الشريعة الإسلامية أسباب نقل العدوى وكان من أهمها الممارسات الجنسية غير المشروعة ؛ ولذا
 شرع الزواج ليكون طريقاً صحيحاً للعلاقة بين الجنسين يضمن تحقيق الأغراض الطيبة لهذه العلاقة وليس
 الأمراض المعدية (49) ، فإذا كانت الشريعة الإسلامية تضيق على مرتكبي الفواحش، وأوجبت عليهم العقوبات
 القاسية الشديدة ، فإنها شرعت الطريق السليم لإشباع الرغبات الجنسية عن طريق الزواج، ومن ثمَّ يجب على
 الدولة وأفراد المجتمع الجد والاجتهاد في تبسيط أمر الزواج والإعانة عليه بتقديم الدعم للراغبين فيه ، وفي إقامة
 الزواج الجماعي للشباب في المؤسسات المختلفة ، وتوفير الوظائف المناسبة لهم لإقامة الأسر السوية (50).
 ونعرض في الفصل التالي لصور التدابير الوقائية من الأوبئة في الفقه الإسلامي ، ونشير أخيراً إلي أن ما
 سبق لم يكن مقارنة بين الشريعة الإسلامية، وبين القانون الوضعي، وحاشا لنا أن نعقد هذه المقارنة بين ما شرعه
 الله سبحانه وتعالى، وما يتصف به من كمال، وإحكام، وبين ما وضعه البشر من قوانين بما تتصف به من
 قصور، ونقصان، فتلك إذن مقارنة باطلة، وإنما أوردنا ذلك للاهتمام به وتطبيقه .

المبحث الثاني

وسائل الوقائية من الأوبئة في الفقه الإسلامي

لقد عرفت الشريعة الإسلامية منذ أربعة عشر قرناً من الزمان الوقاية من انتشار الأوبئة ، ولقد وضعت القواعد
 الكلية في الفقه الإسلامي الحلول لكثير من المشكلات التي تعاني منها المجتمعات الحديثة ، ومن هذه القواعد
 الكلية قاعدة سد الذرائع (51)، فمنهج الفقه الإسلامي في مواجهة الأمراض الوبائية يرتكز علي هذه القاعدة (52)،
 لذلك حرص الفقه الإسلامي علي تنظيم الإحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية، ومن أهم صور هذه
 الإحتياطات الحجر الصحي، وكذلك عزل المريض بمرضٍ معدٍ، والتباعد الإجتماعي ونعرض كل ذلك فيما يلي :

المطلب الأول : الحجر الصحي في الفقه الإسلامي .

المطلب الثاني : عزل المريض بمرضٍ معدٍ في الفقه الإسلامي .

المطلب الثالث : فكرة التباعد الإجتماعي في الفقه الإسلامي .

المطلب الأول

الحجر الصحي في الفقه الإسلامي

جاء في الصحيحين عن عامر ابن سعد ابن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد ماذا سمعت
 من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعون فقال أسامة - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الطاعون

(48) صحيح البخاري - الجامع للصحيح - 412/3 - الترمذي - السنن 201/1.

(49) د/ أحمد محمد لطفي أحمد : الإيدز وأثاره الشرعية والقانونية - مرجع سابق - ص 57 .

(50) د/ أحمد شوقي الفنجري: الطب الوقائي في الإسلام - مرجع سابق - ص 202.

(51) معناها: أن الفعل السالم عن المفسدة متي كان وسيلة للمفسدة، منع منه، فالذريعة هي الفعل الذي ظاهره الإباحة ولكنه يفضي إلي فعل المحظور - ويرد

أصل القاعدة إلي قول الرسول صلى الله عليه وسلم " دع ما يريبك إلي ما لا يريبك " راجع: د/ شريف محسن محمود : مصادر تشريع الأحكام في الفقه

الإسلامي - المقدم للنشر والتوزيع 2004 - ص 23.

(52) د/ محمد الحبش: بحث بعنوان الإيدز وباء العصر - قراءة في منهج الإسلام في مواجهة الفحشاء - منشور علي شبكة الانترنت في موقع:

<http://thawra.alwehda.gov.sy>

رجز أرسل علي طائفة من بني إسرائيل وعلي من كان قبلكم - فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه " (53).

وقال ابن القيم: "وقد جمع النبي صلي الله عليه وسلم في نهيه عن الدخول إلي الأرض التي هو بها ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه؛ فإن في الدخول في الأرض التي هو بها تعريضاً للبلاء وموافاة له في محل سلطانه، وإعانة الإنسان علي نفسه - وهذا مخالف للشرع والعقل بل تجنبه الدخول إلي أرضه من باب الحمية التي ارشد الله سبحانه إليها وهي حمية عن الأمكنة والأهوية المؤذية - وأما نهيه عن الخروج من بلده ففيه معنيين: أحدهما: حمل النفوس علي الثقة بالله والتوكل عليه، والصبر علي أقضيته والرضا بها (54) (55).

وثانيهما: ما قاله أئمة الطب أنه يجب علي كل محترز من الوباء أن يخرج من بدنه الرطوبات الفضلية - ويقلل الغذاء - ويميل إلي التدبير المخفف من كل وجه إلا الرياضة والحمام فإنهما يحب أن يجزر.. " (56).

وفي الصحيح أن عمر بن الخطاب خرج إلي الشام حتي إذا كان يسرع لقيه أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام (57)، فاختلفوا فقال لابن عباس ادع لي المهاجرين الأولين - قال فدعوتهم - فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال له بعضهم خرجت لأمر فلا نري أن ترفع عنه، وقال آخرون معك بقية الناس وأصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فلا نري أن تقدمهم علي هذا الوباء، فقال عمر ارتفعوا عني ثم قال ادع لي الأنصار فدعوتهم له فاستشارهم فسلخوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال - ارتفعوا عني ثم قال - ادع لي من ها هنا من مشيخة قريش أمن مهاجرة الفتح فدعوتهم له فلم تختلف عليه منهم رجلان قالوا نري أن ترفع الناس ولا تقدمهم علي هذا الوباء فأذن عمر في الناس أي مصبح علي ظهر فأصبحوا عليه فقال أبو عبيدة بن الجراح يا أمير المؤمنين أفراراً من قدر الله تعالي - قال نعم - نفر من قدر الله تعالي إلي قدر الله تعالي ! (58).

أرأيت لو كان لك ابل فهبطت وادياً له عدوتان أحدهما خصبة والأخرى جدبة ألسنت إن رعيتها الخصبة رعيتها بقدر الله تعالي وإن رعيتها الجدبة رعيتها بقدر الله؟

قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجاته فقال أن عندي في هذا علماً سمعت

(53) أخرجه أيضاً مسلم وأبو داود والترمذي وأبن ماجه والنسائي، وأحمد - انظر ابن القيم - ص 35.

(54) د/ أحمد شوقي الفنجري : الطب الوقائي في الإسلام - مرجع سابق - ص 209.

(55) " ذكر الفقه الإسلامي نوعين من الحجر الصحي ، النوع الأول : الإمتناع عن الخروج من الأرض الذي ظهر فيها الوباء ، والثاني : الإمتناع عن الدخول إلي أرض ظهر فيها الوباء ... " انظر في تفصيل ذلك د / عثمان عبد

الرحمن عبد اللطيف : الأوبئة العالمية والمسئولية الدولية ... - مرجع سابق - ص 84 .

(56) انظر - د/ أحمد السعيد الزقرد: تعويض ضحايا مرض الإيدز- دار الجامعة الجديدة - هامش ص 50.

(57) وهو ما يعرف في التاريخ الإسلامي بطاعون عمواس - وهو وباء وقع في بلاد الشام في عهد عمر بن الخطاب سنة 18 هجريه بعد فتح بيت المقدس، وإنما سمي بطاعون عمواس نسبة إلى بلدة صغيرة في فلسطين بين الرملة وبيت المقدس وذلك لأن الطاعون نجم بها أولاً ثم انتشر في بلاد الشام فُسب إليها. وقال الواقدي: "توفي في طاعون عمواس من المسلمين في الشام خمسة وعشرون ألفاً"، وقال غيره: "ثلاثون ألفاً". و من أبرز من ماتوا في الوباء أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان وغيرهم من أشرف الصحابة ، و عُرفت هذه السنة بعام الرمادة للخسارة البشرية العظيمة التي حدثت فيها. راجع البداية والنهاية: لأبن كثير - الجزء السابع- طبعة مكتبة الصفا 2003 م - 1423 هـ - ص 63..

(58) د / نسرين عبد الحميد: المسئولية الجنائية عن نقل عدوي مرض أنفلونزا الطيور- دار الكتب القانونية - ص 104.

رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول: " إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه " (59)(60).

ونضيف أنه إذا كان عدم الإقدام إلي أرض موبوءة يعد أمراً مفهوماً، فإن عدم الخروج من أرض موبوءة يعد أمراً مستغرباً!

ولجلاء ذلك فإن إعجاز السنة النبوية قد نهت عن عدم الخروج من الأرض الموبوءة؛ لأن الشخص قد يحمل فيروس المرض دون أن يظهر عليه المرض، فينقل المرض إلي أماكن أخرى، ويصيب غيره دون أن يعلم (61). ويؤخذ من قول الرسول صلي الله عليه وسلم: " إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها " (62) أمور منها :

- 1- تجنب الأسباب المؤدية إلي انتشار الأمراض والبعد عنها .
- 2- الأخذ بالعافية التي هي مادة مصالح المعاش والمعاد .
- 3- ألا يستشقوا الهواء الذي قد عفن وفسد، فيكون سبباً للتلوث .
- 4- ألا يجاوز المرض الذين قد مرضوا بذلك، فيحصل له بمجاورتهم من جنس أمراضهم وهو ما يدل عليه الحديث (63).

والرسول صلي الله عليه وسلم ولكمال شفقتة علي الأمة ونصحها لها نهى عن الأسباب التي تعرضهم لوصول المرض إلي أجسامهم، سيما وقد يكون في الجسم تهيؤ واستعداد لقبول المرض، وقد تكون الطبيعة سريعة الانفعال قابلة للاكتساب من أبدان مجاورة ومخالطة؛ لذلك فرض عدم الدخول إلي أرض انتشر بها المرض، وكذلك عدم الخروج منها إن كانوا فيها (64).

تقييد مناسك الحج والعمرة :

أدى تزايد أعداد المصابين بفيروس كورونا القاتل وتفشيه في عدد كبير من دول العالم، إلي اتخاذ دول العالم عدداً من الإجراءات الوقائية من أجل الحد من انتشار الفيروس علي أراضيها، ومنها ما أعلنت عنه المملكة العربية السعودية، حيث قررت تعليق الدخول إلي المملكة لأغراض العمرة وزيارة المسجد النبوي الشريف مؤقتاً، وذلك كإجراء احترازي علي خلفية انتشار فيروس كورونا الجديد (COVID-19) (65).

كما فرضت بعض الإجراءات خلال موسم الحج نتيجة تفشي الفيروس، ويرى بعض أهل الفقه أنه لا يجوز تعطيل فريضة الحج إلا بموجب أسباب كبرى بينها انتشار الأوبئة، وهي الواقعة التي لن تكون الأولى حال

(59) وأخرجه أيضاً أبو مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي وأحمد - وابن القيم - ص 35.

(60) راجع: الأمراض المعدية، وأساليب مكافحتها، وحكم تعمد نقل العدوي بها للدكتور / الغريب إبراهيم محمد الرفاعي - دفع الضرر العام بإثبات الضرر

الخاص - دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون - دار الكتب القانونية - السبع بنات - ص 85.

(61) د/ مهند سليم محمد المجلد: أحكام الحجر الصحي في القانون المصري والنظام السعودي - مرجع سابق - ص 65 .

(62) الحديث صحيح: رواة البخاري كتاب الطب باب ما يذكر في الطاعون برقم (5397) 2163/5 وباب ما يكره في الاحتفال في الفرار من الطاعون برقم)

6572 (6572) 2557/6 ومسلم كتاب الطب، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها برقم (2118) 1738/4.

(63) نيل الاوطار: للشوكاني، 375/7 - طبعة دار الجبل - بيروت 1973.

(64) انظر زاد المعاد - لشمس الدين أبي عبد الله محمد - ابن قيم الجوزية - تحقيق محمد عبد القادر عطا - طبعة شركة التقوي - الجزء الثالث - ص

حدثها حيث يذكر عدد كبير من المؤرخين أن شعائر فريضة الحج تعطلت على مر التاريخ حوالى أربعين مرة (66).

وكانت أول هذه المواسم التي تعطل فيها الحج جزئياً أو كلياً جرى في عام 940 ميلادية، وكان بسبب هجوم القرامطة وسفكهم دماء حجاج بيت الله، واقتلاعهم بعد مذبحه رهبة الحجر الأسود ونقله إلى مدينة "هجر" بالبحرين.

وتبعاً لذلك، تقول كتب التاريخ إن موسم الحج تعطل بعد واقعة سرقة الحجر الأسود لعدة سنوات، يقال إنها بلغت عشرة أعوام، لم تؤد فيها مناسك الحج (67).

الموسم الذي تعطل فيه الحج جرى في عام 968 ميلادية، ويقول ابن كثير إن هذا الداء انتشر في مكة المكرمة "فمات به خلق كثير، وفيها ماتت جمال الحجيج في الطريق من العطش ولم يصل منهم إلى مكة إلا القليل، بل مات أكثر من وصل منهم بعد الحج".

وفي عام 1000 ميلادية انقطع المصريين عن الحج في عهد العزيز بالله الفاطمي بسبب شدة الغلاء، كذلك تكرر الأمر في عام 1028 ميلادية، ولم يتمكن المصريون من أداء فريضة الحج في عام 1168 بسبب حرب داخلية.

وتعطل موسم الحج في عام 1030 ميلادية، حيث لم يؤد الفريضة إلا مجموعة من العراق، وانقطع أهل خراسان والشام ومصر عن الحج في موسم عام 1039 ميلادية.

أما آخر التواريخ التي تعطل فيها الحج جزئياً أو كلياً، فيعود إلى عام 1799، حيث توثقت قوافل الحجيج أثناء الحملة الفرنسية لانعدام الأمن على الطرقات (68).

المطلب الثاني

عزل المريض بمرض معدٍ في الفقه الإسلامي

عرفت الشريعة الإسلامية كيفية الحفاظ علي صحة الأفراد ، ووقايتهم من الأوبئة و الأمراض المعدية عن طريق عدم مخالطة المرضى ، وأمرت بالفرار من مصادر العدوى والبعد عنها ، والإلتزام بالإحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية قبل أن تدعو إليها القوانين الوضعية الحديثة أو تقررها المنظمات العالمية في العصر الحالي ، فحثت علي عدم مخالطة المريض بمرض معدٍ من جهة ، ومن جهة أخرى دعت إلي عزل هذا المريض بمرض معدٍ .

أولاً: عدم مخالطة المريض بمرض معدٍ :

يقول الله تعالى: (خذوا حذرکم)، ويقول أيضاً سبحانه وتعالى : - " ولا تقتلوا أنفسکم إن الله کان بکم

(66) مقال لمفتي الجمهورية الدكتور شوقي علام مفاده إن الناظر في التاريخ الإسلامي يجد أن توقف فريضة الحج بسبب الأزمات والأوبئة قد تكرر في كثير من السنوات عبر القرون، حتى زمن قريب؛ وذلك لأسباب عديدة، منها: البرد الشديد، وانتشار الأمراض، واشتداد العطش، والاضطرابات السياسية وعدم الاستقرار الأمني، والاضطرابات الاقتصادية والغلاء الشديد، وثوران الرياح والعواصف، وفساد الطريق، ونحو ذلك. جريدة الوطن المصرية في عددها الصادر في يوم الاثنين الموافق 2021/6/14 .

(67) د/ عبد العزيز بن سعود العويد : معجم تاريخ الحج - ط 2001 - ص 16 .

(68) الأستاذ / جمعه علي : انقطاع الحج، مجلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية، مجلد 5، عدد 10، كلية دار العلوم، 2009.

رحيماً⁽⁶⁹⁾ وقوله - سبحانه - : " ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة " (70).

وفي السنة الشريفة وردت أحاديث عديدة في الصحيحين عن رسول الله صلي الله عليه وسلم تنهي عن مخالطة المرضى الذين أصيبوا بأمراض معدية كالجدام والطاعون ، ونحوها فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله أنه كان في وفد تقيف رجل مجذوم " فأرسل إليه النبي صلي الله عليه وسلم " أرجع فقد بايعناك " (71).

وكذلك قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " لا تديموا النظر إلي المجذومين " (72) للفائدة الطبية المترتبة علي ذلك؛ حيث أن الطبيعة نقالة، فإذا أدام النظر إلي المجذوم وخيف عليه أن يصيبه ذلك بنقل الطبيعة، وقد جرب الناس أن المجامع إذا نظر إلي شيء عند الجماع وأدام النظر إليه، انتقل من صفته إلي الولد، وحكي بعض رؤساء الأطباء: أنه أجلس ابن أخ له للكحل، فكان ينظر في أعين الرمد فيرمد، فقال له: اترك الكحل، فتركه فلم يعرض له رمد، قال: لأن الطبيعة نقالة (73).

وذكر البيهقي وغيره : أن رسول الله صلي الله عليه وسلم تزوج امرأة من غفار، فدخل عليها، فأمرها فنزعت ثيابها، فرأي بياضاً عند ثدييها، فانحاز النبي صلي الله عليه وسلم عن الفراش، فلما أصبح قال : " الحقي بأهلك، وحمل لها صداقها " (74).

كما ذكر عن الرسول صلي الله عليه وسلم في شأن المجذوم أيضاً أنه قال :- " كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين " (75) .

فما تأمر به الشريعة الإسلامية هو عدم مخالطة المريض بمرضٍ معدٍ ، وإن كان ذلك لم يأخذ شكل الإلزام، بل ورد كإرشاد للجماعة كسلوك صحيح، يحقق المصلحة لهم جميعاً؛ بالوقاية من الأمراض، والمحافظة علي صحتهم (76)، فعندما قال عليه الصلاة والسلام : " فر من المجذوم فرارك من الأسد " رواه البخاري ومسلم، وعندما أمر بعزل من به مرضٍ معدٍ في قوله : " لا يوردن ممرضٌ علي مصح " رواه البخاري ومسلم (77)، فهذه التوجيهات النبوية الشريفة وغيرها تأمر بأن يحذر من العدوى عند وقوع المرض (78) .

(69) سورة النساء: الآية 29.

(70) سورة البقرة: الآية 195.

(71) وأخرجه أيضاً الأمام أحمد، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن جرير، وأخرجه مسلم - كتاب السلام - باب اجتناب المجذوم ونحوه - حديث رقم 2231.

(72) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه (3543) كتاب الطب، وأحمد (2076)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (7269)، والسلسلة الصحيحة (1064).

(73) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لأبن قيم الجوزية - تحقيق الأستاذ / سيد عمران - دار الحديث - ط أولي 2002 ص 245.

(74) إسناد ضعيف: أخرجه أحمد في مسنده (12/ ص 423) حديث رقم 15974، والحاكم في مستدرکه (4/ص 34) من طريق زيد بن كعب بن عجرة عن أبيه....وسكت عنه وقال الذهبي: قال ابن معين: زيد ليس بثقة.

(75) أخرجه ابن السني وأبو نعيم في الطب عن عبد الله بن أبي أوفى ، ورمز له السيوطي بالضعف في الجامع الصغير من 5-41 مشار إليه في الطب النبوي ص 215 .

(76) راجع - الوقاية في الإسلام - د/ أسامة عبد الله قايد: المسئولية الجنائية للأطباء - مرجع سابق - ص 80.

(77) أخرجه البخاري (5771) كتاب الطب، ومسلم (2221) كتاب السلام.

(78) د/ سلطان بن إبراهيم الهاشمي: موقف الشريعة الإسلامية من الأمراض المعدية - رسالة - جامعة قطر - منشور علي شبكة الانترنت - sultan.i@qu.edu.qa - ص 4.

وحيث يقول رسول الله صلي الله عليه وسلم : " لا عدوي (79)، ولا هام (80)، ولا صفر (81)، ولا يحل الممرض (82) علي المصح وليحلل المصح (83) حيث شاء " فقالوا يا رسول الله وما ذاك ؟ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم " أنه أذي " (84).

ومن خلال ما سبق يمكن أن نخلص أن الشريعة الإسلامية في حقيقتها ترشد إلي تجنب الأمراض المعدية، فهي ترشد إلي أخذ الحيطة، والحذر، وعدم مخالطة من به مرضٍ معدٍ، إلا أن ذلك لا يصل إلي حد عزل المريض بمرضٍ معدٍ، أو حرمانه من ممارسة حياته (85).

ثانياً: عزل المريض بمرضٍ معدٍ :

يقول ابن وهب: في المبثلي يكون له في منزله سهم، له حظ في شرب، فأراد من معه في المنزل إخراجه منه، وزعموا أن استقاءه من مائهم الذي يشربونه مضر بهم، فطلبوا إخراجه من المنزل - قال ابن وهب: إذا كان له مال أن يشتري لنفسه من يقوم بأمره، ويخرج في حوائجه، ويلزم هو بيته فلا يخرج، وإن لم يكن له مال خرج من المنزل، وإذا لم يكن فيه شيء، وينفق عليه من بيت المال (86).

وقال عيسي - في قوم ابتلوا بالجذام وهم في قرية موردهم واحد، ومسجدهم واحد، فيأتون المسجد فيصلون فيه، ويجلسون فيه معهم، ويردون الماء ويتوضؤون، فيتأذى بذلك أهل القرية، وأرادوا منعهم من ذلك كله - قال: أما المسجد فلا يمنعون الصلاة فيه، ولا من الجلوس، ألا تري إلي قول عمر بن الخطاب للمرأة المبتلاة - لما رآها تطوف بالبيت مع الناس - " لو جلست في بيتك لكان خيرا لك؟ " ولم يعزم عليها بالنهي عن الطواف، ودخول البيت، وأما استقاؤهم من مائهم، وورودهم المورد للوضوء وغير ذلك، فيمنعون، ويجعلون لأنفسهم صحيحاً يستقي لهم الماء في أنية، ثم يفرغها في أنيتهم، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " لا ضرر ولا ضرار" (87)، وذلك ضرر بالأصحاء، فأري أن يحال بينهم وبين ذلك، ألا تري أنه يفرق بينه وبين زوجته، ويحال بينه وبين وطء جواريه للضرر؟ فهذا منه (88).

وقال ابن حبيب عن مطرف في الجذامى: وأما الواحد والنفر اليسير، فلا يخرجون من الحاضرة، ولا من قرية، ولا من سوق، ولا من مسجد جامع؛ لأن عمر لم يعزم علي المرأة وهي تطوف بالبيت، وكذا معيقب الدوسي قد جعله عمر رضي الله عنه علي بيت المال، وكان عمر يجالسه ويواكله، ويقول له: " كل مما يليك "

(79) لا عدوى : أي لا يعدي شئ شيئاً.

(80) هام: اسم طائر من طيور الليل كانوا يتشاءمون به فيصدهم عن مقاصدهم.

(81) صفر: كان العرب يزعمون أن في البطن حية تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه.

(82) الممرض: أي ذو الماشية المريضة.

(83) المصح: ذو الماشية الصحيحة.

(84) أخرجه البخاري معلقاً - كتاب الطب - باب الجذام - حديث رقم 5707، ومسلم في كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيره ولا هامه - حديث رقم 2220.

(85) راجع الآراء الفقهية في عزل المريض بمرضٍ معدٍ في بحث للدكتور / سلطان بن إبراهيم الهاشمي: موقف الشريعة الإسلامية من الأمراض المعدية - مرجع سابق - ص 5.

(86) انظر - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لأبن قيم الجوزية- المرجع السابق - تحقيق الأستاذ سيد عمران - دار الحديث - طبعة أولى 2002 - ص 243.

(87) حديث صحيح: أخرجه ابن ماجه في كتاب الأحكام (2/ ص 333) حديث رقم 2341، وأحمد في مسنده حديث رقم 2862 ورواه الألباني في إرواء الغليل (3/ص 408) حديث رقم 896 جميعاً من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(88) انظر - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لأبن قيم الجوزية- المرجع السابق - ص 244.

فإذا كثروا : رأيت أن يتخذوا لأنفسهم موضعاً، كما صنع بمرضي مكة، ولا يمنعون من الأسواق لتجارتهم، وشراء حوائجهم، أو الطواف للسؤال، إذا لم يكن إمام يرزقهم من الفئ، ولا يمنعون من الجمعة، ويمنعون عن غير ذلك؛ لأن صون النفوس والأجسام عن المفسدة واجب (89).

فقد اختلف الفقهاء في هذه المسألة علي ثلاث أقوال:

القول الأول: يعزل المريض بمرضٍ معدٍ عن الجماعات .

وهو قول جمهور الفقهاء من الشافعية والحنابلة وبعض المالكية (90)، واستدل هذا الرأي بعدة أدلة منها :

1- الحديث الشريف " لا ضرر ولا ضرار " حيث أن المصلين يتأذون من المريض المصاب بمرضٍ معدٍ أشد من تأديهم بمن يأكل بصل أو ثوم، وقد نهى النبي صلي الله عليه وسلم من يأكلهما أن يقرب المسجد لتأذي الملائكة من رائحتهما (91) .

2 - الأثر الذي رواه مالك في الموطأ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه مر بامرأة مجذومة وهي تطوف بالبيت فقال لها : يا امة الله لا تؤذي الناس لو جلست في بيتك فجلست .

فمر بها رجل بعد ذلك فقال لها : " إن الذي كان نهاك قد مات فأخرجي " فقالت : ما كنت لأطيعه حياً واعصيه ميتاً " (92).

القول الثاني: لا يعزل المريض بمرضٍ معدٍ :

وهو قول عند المالكية (93)، واستدلوا بالأثر السابق عن عمر رضي الله عنه، وقالوا في توجيه الاستدلال: بأن عمر رضي الله عنه لم يعزم علي المرأة المجذومة بالنهي عن الطواف ودخول البيت (94)، وإنما خاطبها علي سبيل الرفق من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (95).

القول الثالث: يمنع المريض بمرضٍ معدٍ عن مخالطة الناس ابتداءً وعلي وجه العموم، إذا كان له موضع يبتعد فيه عن الناس، وكان له من يخدمه، فلا يلحق ضرره بهم، وأما لو لم يكن له موضع، ولا خادم، ولكن ترتب علي مخالطته للناس ضرراً لهم فإنه يمنع عنهم، وهذا أحد الأقوال عند المالكية (96).

وأري أن الرأي الراجح هو الرأي الثالث لقوة حجته، وضعف حجة الرأي المخالف، فإذا ترتب علي مخالطة المريض بمرضٍ معدٍ للناس ضرراً لهم فإنه يعزل عنهم، وهذا أحد الأقوال عند المالكية (97) استناداً لحديث

(89) الفروق للقرافي (237/4).

(90) مواهب الجليل (184/2) حاشية الدسوقي (389/1) التاج والإكليل (556/2) نهاية المحتاج (160/2) معني المحتاج (476/1)، أسني المطالب (215/1) مطالب أولي النهي (699/3).

(91) د/ الغريب إبراهيم محمد الرفاعي: دفع الضرر العام بإثبات الضرر الخاص، دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون - دار الكتب القانونية - السبع بنات - ص 89.

(92) المنتقي شرح الموطأ (81/3).

(93) مواهب الجليل (184/2) حاشية الدسوقي.

(94) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم - ص 278 - ط - دار إحياء العلوم.

(95) المنتقي شرح الموطأ (81/3).

(96) مواهب الجليل (184/2)، وحاشية الدسوقي (389/1) الطرق الحكمية - ص 279.

(97) مواهب الجليل (184/2)، وحاشية الدسوقي (389/1) الطرق الحكمية - ص 279.

الرسول صلي الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار (98) .

المطلب الثالث

فكرة التباعد الإجتماعي في الفقه الإسلامي

عرف الفقه الإسلامي ما يعرف حالياً بمصطلح التباعد الإجتماعي عند نقشي الوباء ، فإذا كان عزل المريض المصاب بالوباء واجب شرعي كما هو معروف ، فإن الأصحاء يجب عليهم التقييد بما يسمى بالتباعد الإجتماعي أثناء التعامل مع عامة الناس ، وكذلك أثناء الحجر المنزلي فيجب كذلك التقييد بالتباعد الاجتماعي عن أسرته والمخالطين له من عائلته ، ويقصد بالتباعد الإجتماعي ذلك الإجراء الإحترازي الذي يتم عن طريق الحفاظ على الابتعاد مسافة آمنة عن الآخرين لا تقل عن ستة أقدام أي ما يعادل 1.8 متر (99) .

فالمعروف أن الفيروسات صغيرة جداً وتبقي في الجو وتتعلق في الهواء لفترة ، ولا يمكننا رؤيتها بالعين المجردة ، ويمكن للسعال أو العطس أن يقذف الفيروسات في الهواء لمسافة تصل إلى ستة أقدام (1.8 متر) ، ويمكن أن تعيش الفيروسات على الأسطح مثل المناضد والكراسي ومقابض الأبواب أو الهاتف وكذلك علي الأقمشة (100) .

لذا توصي منظمة الصحة العالمية بالتباعد الإجتماعي بين الأشخاص للمسافات المحددة ، لعدم نقل العدوي بين الناس ، ونحتاج إلى مزيد من السلامة من خلال البقاء في المنزل والابتعاد عن الآخرين وغسل اليدين كثيراً وتغطية الوجه عند السعال والعطس (101) .

حيث يؤكد الأطباء والمختصون أن التجمعات تؤدي إلى سرعة نقشي الوباء ، والإصابة بالمرض ، ولذلك لا بد من الأخذ بالأسباب، والابتعاد عن التجمعات بجميع أشكالها وصورها ، ويشمل ذلك جواز إغلاق المساجد لصلاة الجمعة والجماعة وصلاة التراويح، وصلاة العيد، وتعليق أداء المسلمين للحج والعمرة، وتعليق الأعمال، وإيقاف وسائل النقل المختلفة، ومنع التجوال، وإغلاق المدارس والجامعات والأخذ بمبدأ التعليم عن بُعد وأماكن التجمع الأخرى، وغيرها من صور الإغلاق .

ويكشف المؤرخون أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان في تعامله مع الوباء في منتهى الحذر، حيث لم يدخل هو ومن معه إلى الشام، كما حاول إخراج المعافين من أرض الوباء، فضلاً عن قيامه بتحمل المسؤولية كاملة بعد انجلاء هذا الوباء، فرحل إلى الشام وأشرف على حل المشكلات وتصريف تبعات هذه الأزمة (102) . بالرغم من رفض الصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجراح الخروج من الشام، وقد كان والياً عليها، عملاً بما جاء في حديث الرسول بعدم الخروج من أرض الطاعون، واعتقاداً أن في ذلك فرارا من قدر الله، وقال حينها مقولته الشهير: "إني في جند المسلمين، ولا أجد بنفسي رغبة عنهم".

(98) أورد تقرير نشرته صحيفة نيوز ويك الأمريكية تعاليم النبي محمد صلي الله عليه وسلم فيما يتعلق بالوقاية من الأوبئة ، تضمن الأمر بالحجر الصحي والنظافة كما وردت في أحاديث النبي صلي الله عليه وسلم .

(99) د / عثمان عبد الرحمن عبد اللطيف : الأوبئة العالمية والمسؤولية الدولية - دار النهضة العربية 2020 - ص 100 .

(100) اللوائح الصحية الدولية لسنة 2005 الخاصة بمنظمة الصحة العالمية .

(101) انظر موقع منظمة الصحة العالمية علي شبكة الانترنت :

<http://www.emro.who.int/ar/health-topics/infectious-diseases/index.html>

(102) د/ مهند سليم محمد المجدل: أحكام الحجر الصحي في القانون المصري والنظام السعودي - مرجع سابق - ص 66 .

فقام الوالي عمرو بن العاص بتنفيذ الإجراءات التي ارتأها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمواجهة الوباء القاتل في الشام، وهي إجراءات شبيهة بالحجر الصحي، حيث أخذ بن العاص بنصيحة عمر بن الخطاب بالخروج بالناس إلى الجبال؛ لأن الطاعون لا ينتشر هناك؛ فخطب فيهم قائلاً: "أيها الناس، إن هذا الوباء إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار، فتحصنوا منه في الجبال"،

وحين أراد الله - سبحانه وتعالى - للغمّة أن تَنْقُشَ ، وَلِوَبَاءِ أَنْ يَنْكُشَفَ ، هَيَأَ لَهُ أَسْبَابَهُ ، فَكَانَتْ نَهَائِيَهُ هَذَا الْمَرَضِ بَعْدَ إِرَادَةِ اللَّهِ -سَبْحَانَهُ - عَلَى يَدِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، فَحِينَ تَوَلَّى أَمْرَ الشَّامِ بَعْدَ مُعَاذِ رَأْيِ أَنَّ هَذَا الْمَرَضَ يَشْتَعَلُ وَيَنْتَشِرُ حَالَ اجْتِمَاعِ النَّاسِ ، فَأَصْدَرَ أَمْرَهُ بِأَنْ يَهْجُرَ النَّاسُ الْمُدُنَ ، وَيَنْقَرُقُوا فِي الْجِبَالِ وَالْمَنَاطِقِ الْمُرْتَفَعَةِ ، فَبَلَغَ عَمْرٌ مَا صَنَعَ عَمْرُو ، فَأَعْجَبَهُ فِعْلُهُ وَمَا كَرِهَهُ ، وَمَا هِيَ إِلَّا شَهْرٌ وَ أَيَّامٌ ، إِلَّا وَقَدْ ارْتَفَعَ الْبَلَاءُ ، وَانْتَهَتْ الْعُدْوَى ، وَعَادَ النَّاسُ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ بَعْدَ أَيَّامِ الْمَوْتِ ، وَمَأْسَاةٍ غَائِرَةٍ لَا تُنْسَى ، وَبِتِلْكَ الطَّرِيقَةِ اسْتَطَاعُوا الْقَضَاءَ عَلَى الْوَبَاءِ الَّذِي شَكَّلَ خَطْرَةً كَبِيرَةً عَلَى دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ ؛ وَذَلِكَ أَخْذًا بِأَسْبَابِ الْوَقَايَةِ مِنْهُ ، وَالْقَضَاءَ عَلَيْهِ

وكذلك لا يجوز لمن ظهرت عليه أعراض المرض أن يخفي ذلك عن السلطات الطبية المختصة وكذلك عن المخالطين له، كما ينبغي على من يعرف مصاباً غير معترف بالمرض أن يعلم الجهات الصحية عنه ؛ لأن ذلك يؤدي إلى انتشار هذا المرض واستفحال خطره، وعليه تنفيذ كل ما يصدر عن السلطات الطبية المختصة من تعليمات ، وعليها التعامل مع من أصيب بهذا المرض وأخفاه، قال الله تعالى: (وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (103) .

وبخصوص الطاعون جاء الحديث الصحيح عن رسول الله صلي الله عليه وسلم (فليس من رجل يقَع الطاعونُ فيمكُثُ في بيته صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتَبَ اللهُ له إلا كان له مثلُ أجرِ الشَّهِيدِ) البخاري .

تعطيل صلاة الجماعة بسبب تفشي مرض كورونا المستجد :

يتفرع عن تبني فكرة التباعد الاجتماعي في أداء صلاة الجماعة ، أن تتم وفق ضوابط معينة ، فقد أفادت دار الإفتاء المصرية، عن حكم ترك صلاة الجمعة والجماعة وغلقت المساجد وقت انتشار فيروس كورونا المستجد "كوفيد 19"، بأنه : "لا شك أن خطر الفيروسات والأوبئة الفتاكة المنتشرة وخوف الإصابة بها أشد، خاصة مع عدم توافر دواء طبي ناجع لها، لذا فالقول بجواز الترخيص بترك صلاة الجماعات في المساجد عند حصول الوباء ووقوعه بل توقعه أمر مقبول من جهة الشرع والعقل، وإذا أخبرت الجهات المعنية بضرورة منع الاختلاط في الجمع والجماعات بقدر ما وألزمت به، فيجب حينئذ الامتنال لذلك، ويتدرج في ذلك بما يراعى هذه التوصيات والإلزامات ويبقى شعار الأذان " (104) .

والأصل في ذلك ما ورد في الصحيحين أن ابن عباس قال لمؤذنه في يوم مطير: "إذا قلت: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، فلا تقل: حي على الصلاة، قل: صلوا في بيوتكم"، قال: فكان الناس استكروا ذلك، فقال: «أتعجبون من ذا، قد فعل ذا من هو خير مني، إن الجمعة عزمة -أي: واجبة-، وإني كرهت أن

(103) سورة البقرة آية 195 .

(104) دار الإفتاء المصرية - فتوى رقم 4993 بتاريخ 2020/3/17 .

أخرجكم فتمشوا في الطين والدَّحَض -أي: والزَّل والزَّلِق" (105) .

المبحث الثالث

العقاب على مخالفة تدابير الوقاية في الفقه الإسلامي

سبقت الشريعة الإسلامية كافة النظم التشريعية المعاصرة في وضع نصوص تكفل حماية الأنفس من العدوان عليها بأي لون من ألوان العدوان، وذلك بوضع العقوبة المناسبة لكل جرم⁽¹⁰⁶⁾، ففي الشريعة الإسلامية فإن العقاب على مخالفة تدابير الوقاية من نقل العدوى يخضع للقواعد العامة للتجريم إذا ترتب على هذه المخالفة أذى أو ضرر، فيعتبر تعمد نقل العدوى إلي الشخص السليم بأية صورة عمل محرم، ويعد من كبائر الآثام ويستوجب عقوبة دنيوية، وهذه العقوبة تتفاوت بقدر جسامة الفعل وأثره على الأفراد وتأثيره على المجتمع⁽¹⁰⁷⁾، ولا يقتصر العقاب على تعمد نقل العدوى، بل وكذلك العقاب على نقلها بطريق الخطأ، ونعرض فيما يلي العقاب على نقل العدوى بطريق العمد، ثم العقاب على نقل العدوى بطريق الخطأ، وذلك على التفصيل الآتي:

المطلب الأول: العقاب على نقل العدوى بطريق العمد .

المطلب الثاني: العقاب على نقل العدوى بطريق الخطأ .

المطلب الأول

العقوبة المقررة على نقل العدوى بطريق العمد

من المتصور أن يتعمد الشخص نقل عدوى المرض المعدي إلي غيره، وذلك انتقاماً أو حسداً، فمن ينقل الدم الملوث إلي شخص سليم دون إجراء الفحوصات الخاصة بالدم، يعتبر مخالفاً للتدابير الوقائية، ومن يستعمل محاقن ملوثة بمسببات الأمراض المعدية من الأطباء والممرضات، يعتبر مخالفاً للتدابير الوقائية، ومن لا يهتم بتعقيم أدوات الجراحة الطبية، ولم يتخذ الاحتياطات الصحية من الجراحين يعتبر مخالفاً للتدابير الوقائية، ومن يقوم بالتخطيط والتدبير لنقل العدوى إلي الآخرين إما بمواقعتهم جبراً أو خداعاً، أو بالتغريب بالأطفال والفتيات الصغيرات، أو بحقن ضحاياهم بالدماء الملوثة بفيروس المرض أو بغير ذلك⁽¹⁰⁸⁾.

والرأي السائد بين الفقهاء⁽¹⁰⁹⁾ يري أن تعمد مخالفة التدابير الوقائية فيترتب على هذه المخالفة نقل العدوى الذي يؤدي إلي الموت، فإن ذلك يعد قتلًا بطريق السبب إذا ترتب عليه القتل، والسبب المؤدي إلي القتل هو: ما أثر في التلف ولم يحصله أي ما كان علة للموت، ولكنه لم يحصله بذاته بل بواسطة أخرى⁽¹¹⁰⁾، ويرى المالكية⁽¹¹¹⁾، والشافعية⁽¹¹²⁾، والحنابلة⁽¹¹³⁾ إلي أن القتل بالسبب مساو للقتل المباشر في وجوب القصاص

⁽¹⁰⁵⁾ رواه البخاري (616)، ومسلم (699)

⁽¹⁰⁶⁾ فضيلة الشيخ الدكتور / محمد سيد طنطاوي: المقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام - ط 2007 - ص 109.

⁽¹⁰⁷⁾ د / عبد الحليم منصور: الأحكام الفقهية لتجاوز حدود حق الاستمتاع بالزوجة في الفقه الإسلامي والقانون الجنائي - ط 2002 - مرجع سابق - ص 258.

⁽¹⁰⁸⁾ د / أحمد محمد لطفي: الإيدز وآثاره الشرعية والقانونية - مرجع سابق - ص 461.

⁽¹⁰⁹⁾ د / أحمد حسني أحمد طه: المسؤولية الجنائية الناشئة عن نقل عدوي الإيدز في الفقه الإسلامي - مرجع سابق - ص 35.

⁽¹¹⁰⁾ د/ أحمد محمد لطفي أحمد: الإيدز وآثاره الشرعية والقانونية - مرجع سابق - ص 461.

⁽¹¹¹⁾ بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد - دار الفكر - بيروت 1998 - ص 134 .

⁽¹¹²⁾ الحاوي الكبير، ج 15 ص 185.

⁽¹¹³⁾ المبدع شرح المقنع، ج 7 ص 196.

واستدلوا علي ذلك بأن القتل بال مباشر والقتل بالسبب أدي كل منهما إلي إزهاق روح المجني عليه فهما متساويان في النتيجة (114).

وإذا كان الشخص الذي يخالف الإحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية ويتعمد هذه المخالفة ، ويقصد بها الإضرار بغيره ، فيستخدم ما يحمله من فيروسات كسم يقتل به غيره فيري جمهور الفقهاء من المالكية (115) والشافعية (116) والحنابلة (117) والزيدية (118) والأباضية (119) والأمامية (120) أن القتل بالسم يوجب القصاص، فإذا صُيف شخص غيره بمسموم فأكل المضيف مع عدم علمه بكون الطعام مسموماً ومات من ذلك وهو بالغ عاقل، فإن ذلك يوجب القصاص (121).

وبوصف هذا الفعل بأنه قتل بالتسبب وفقاً للقواعد العامة في الشريعة الإسلامية، إذا ما ترتب علي هذا الفعل موت المجني عليه، فإنه يستوجب العقاب (122).

والعقوبة المقررة للقتل بالسبب تتمثل في عقوبات أصلية، وهي القصاص، والدية في حالة سقوط القصاص، والكفارة عند بعض الفقهاء، وعقوبات تبعية تتمثل في الحرمان من الميراث والحرمان من الوصية (123).

وخلاصة ما سبق أن تعمد مخالفة تدابير الوقاية من نقل العدوى في الشريعة الإسلامية تخضع للعقوبات المقررة وفقاً للقواعد العامة في قانون العقوبات الإسلامي إذا ما ترتب علي هذه المخالفة ضرر ، وإن كانت هذه العقوبات ليس لها تنظيمياً خاصاً .

المطلب الثاني

العقاب علي نقل العدوي بطريق الخطأ

كما تقع العدوي بفعل عمدي تقع كذلك بفعل غير عمدي ، وقد تتسبب في قتل من يصاب بالمرض ، ويعرف الفقه الإسلامي القتل الخطأ بأنه : أن يفعل الإنسان فعلاً لا يريد به إصابة المقتول فيصيبه ويقتله (124) .

وقال ابن المنذر : أن القتل الخطأ أن يرمي الرامي شيئاً فيصيب غيره ، وهذا قول عمر بن عبد العزيز ، وقتادة

(114) يري الأحناف أن القتل بالتسبب لا يوجب القصاص، وإنما يوجب الدية علي العاقلة - للمزيد انظر تبيين الحقائق، 102/6، والعيانية، 214/10، والبحر الرائق، 334/8، ومجمع الأنهر، 618/2.

(115) المدونة، 656/4، منح الجليل شرح مختصر خليل - لمحمد بن أحمد بن عليش 88/9 - طبعة دار الفكر - بيروت - حاشية الصاوي علي الشرح الصغير 339/4

(116) تحفة المحتاج 382/8 مغني المحتاج 218/5، إعانة الطالبين، 113/4

(117) الإنصاف، 440/9، والمغني، 212/8، كشاف القناع، 509/5، وشرح منتهي الإرادات، 256/3، نيل المآرب، 242/2

(118) البحر الزخار، 229/6

(119) شرح النيل وشفاء العليل، 219/15

(120) شرائع الإسلام، 182/4، الروضة البهية، 152/10

(121) ذهب الحنفية والظاهرية إلي أنه لا يجب القصاص في القتل بالسم مطلقاً لأنه أكله باختياره من غير إلقاء حسي ولا شرعي من الجاني، ولأنه ارتكب جنائية ليس لها حد مقدر. للمزيد يراجع المبسوط للسرخسي، 153/26، بدائع الصنائع 235/7، ورد المختار 542/6، وتبيين الحقائق 101/6، ومجمع الأنهر 622/2.

(122) تراجع توصيات الندوة الفقهية الطبية الإسلامية عن " رؤية إسلامية للمشاكل الاجتماعية لمرض الإيدز " التي عقدت في الكويت خلال الفترة من 23-25 جمادى الآخرة سنة 1414هـ، 6-8 ديسمبر سنة 1993 م المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، الكويت ص 4.

(123) عبد القادر عودة: التشريع الجنائي الإسلامي - الجزء الثاني - مرجع سابق - ص 113.

(124) المغني ، 205/9 .

، والنخعي ، والزهري ، وابن شبرمة ، والثوري ، ومالك ، والشافعي ، وأصحاب الرأي (125) .

وذكر الفقهاء صورتين للقتل الخطأ :

الأولي : الخطأ الواقع في الفعل : وصورته أن يقصد صيداً فيصيب آدمياً ، أو يقصد رمي مشترك فيصيب مسلماً .

الثانية : الخطأ الواقع في القصد : كأن يرمي إنساناً ظناً منه أنه حربي أو مرتد فإذا هو مسلم (126) .

فإذا قام المصاب بمرض معدٍ بأي فعل من الأفعال التي من شأنها نشر مرضه في مجتمعه ، أو نقله إلي غيره بدون قصد ، فإن صفة غير العمدية تلحق بالفعل ويعاقب ناقلاً العدوي علي جريمة نقل العدوي عن طريق الخطأ ، ومن أمثلة النقل غير العمدية للمرض المعدي مخالطة حامل فيروس كوفيد 19 اغيره من الأصحاء بدون علمه بحمل المرض ، مما يسبب نقل الفيروس إليهم بدون قصد .

ولقد تطلب الفقهاء أن يترتب علي الفعل الخطأ نتيجة تتمثل في وفاة المجني عليه ، أما إذا لم يترتب علي الفعل الخطأ أي نتيجة فلا عقاب عليه ، ويترتب علي القتل الخطأ الحكم بعقوبة تتمثل في الدية .

مشروعية الدية :

من ارتكب جنابة القتل خطأ يجب عليه الدية إلي أولياء المقتول أخذاً من قوله تعالى :- (وما كان لمؤمن

أن يقتل مؤمناً إلا خطأً ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلي أهله إلا أن يصدقوا)

وهذه الدية تجب علي العاقلة وفقاً لما ذهب إليه الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة (127) .

وذهب أبو بكر الأصم ومن نحا نحوه إلي أن دية الخطأ يتحملها الجاني وحده ولا تتحمل العاقلة عنه شيئاً (128)

واستدل أبو بكر الأصم علي ذلك بقول الله تعالى :- (ولا تزرر وزرراً أخري) (129) ، وقوله :- (ولا

تكسب كل نفس نفساً إلا عليها) (130) ، فدللت هاتان الآيتان علي أن كل إنسان يتحمل نتيجة فعله ولا يؤخذ أحد

بفعل غيره .

ويري الجمهور علي أن دية الخطأ تتحملها العاقلة واستدلوا علي ذلك بما روي عن أبي هريرة أن رسول الله

صلي الله عليه وسلم قضي في جنين امرأة من بني لحيان سقط ميتاً بفترة عبد أو أمة ثم إن المرأة التي قضي

عليها بالفترة توفيت فقضي رسول الله صلي الله عليه وسلم بأن ميراثها لبنينها وزوجها وأن العقل علي عصبتها

(131) .

وجاء في المغني أن جنابات الخطأ تكثر ودية الأدمي كثيرة فإيجابها علي الجاني في ماله يحفف به ، فاقتضت

(125) الإجماع لابن المنذر ، ص 114 ، طبعة مكتبة الصفا - القاهرة .

(126) بدائع الصنائع ، 234/7 ، المغني 306/9 ، البحر الرائق 330/8 ، تحفة الفقهاء 103/3 أحكام القرآن للجصاص ، 316/2 ، الفتاوي الهندية 3/6 .

(127) بدائع الصنائع ج 7 - ص 377 ، بداية المجتهد ج 2 - ص 337 ، وروضة الطالبين ج 7 - ص 200 وما بعدها ، الحاوي الكبير للماوردي ج 16 -

ص 156 ، المبدع شرح المقنع ج 7 - ص 201 ، المغني ج 11 ، ص 553 .

(128) بدائع الصنائع ج 7 ص 377 وما بعدها ، ومفاتيح الغيب ج 5 - ص 382 الطبعة الثانية دار الغد العربي .

(129) سورة الأنعام آية رقم 164 .

(130) سورة الأنعام آية رقم 164 .

(131) سنن النسائي ج 8 - ص 42 .

الحكمة إيجابها علي العاقلة علي سبيل المواسة للقاتل والإعانة له تخفيفاً عنه غذا كان معذوراً في فعله (132) .
 وجاء في بدائع الصنائع " ولأن القاتل إنما يقتل بظهور عشيرته فكانوا كالمشاركين له في القتل (133) .
 ويتضح من خلال ما تقدم رجحان قول الجمهور من فقهاء الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة ، وذلك لأن
 السنة تؤيد مدعاهم أما الاستدلال بعموم الآيات السابقة فقد خصصتها الأحاديث الواردة عن النبي صلي الله عليه
 وسلم والتي تفيد تحمل العاقلة دية القتل الخطأ .

الفصل الثاني

الوقاية من الأوبئة في القانون الوضعي

لم يبخل المشرع الوضعي في سبيل الوقاية من انتشار الأمراض المعدية والوبائية بالتدخل لتجريم السلوكيات
 التي تمثل خطراً علي الصحة العامة، وذلك بإصدار تشريعات وقائية لمواجهة مخاطر انتقال العدوى وتفشي
 الأوبئة (134) فالقانون كمجموعة من القواعد العامة المنظمة لسلوك الأفراد في المجتمع مدعو في غالب الأحيان
 للتدخل لمنع السلوك الخطر، وإن تدخله مطلوب بجدية في مجال الوقاية من الأمراض المعدية والوبائية ؛ وذلك
 بتجريم السلوكيات المخالفة للإحتياجات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية والوبائية (135) .
 ولقد تعددت مواقف المشرع المصري بالتدخل في التجريم الوقائي، وتطوّرت هذه التدخلات دون التوقف عند
 مجال محدّد لموضوع تدخله، بل شملت عدة مجالات بفرض بعض الإحتياجات الصحية الوقائية ، وفرض
 الجزاءات الجنائية لمن يخالفها ، أو يرتكب أفعال من شأنها تهديد الصحة العامة ولقد جاء تدخل القانون الجنائي
 في مجال الوقاية من الأمراض المعدية عن طريق تدابير عامة ، وأخرى فردية ، ونفصل ذلك فيما يلي:
 المبحث الأول : أساليب الحماية الجنائية للوقاية من الأوبئة بتدابير عامة.
 المبحث الثاني : أساليب الحماية الجنائية للوقاية من الأوبئة بتدابير فردية.

المبحث الأول

أساليب الحماية الجنائية للوقاية من الأوبئة بتدابير عامة

صدرت بعض القوانين في مجال الإحتياجات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية كتدابير وقائية ذات طابع
 عام، واتسمت بالتوسع في التجريم الوقائي بصورة عامة في عدة مواضع، يمكن أن نرصدها في إطار الحماية
 الجنائية بفرض حظر التجول ، وفرض إجراءات الحجر الصحي والبيطري ، ووتعميم التطعيم ، وذلك علي النحو
 الآتي :

(132) المغني لابن قدامة ج 11 - ص 553 .

(133) بدائع الصنائع للكاساني ج 7 - ص 378 .

(134) صدر القانون رقم 137 لسنة 1958 بشأن الأحتياجات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية والمعدل بالقانون رقم

55 لسنة 1979 ، وغيره من القوانين التي تهدف إلي الوقاية من نقل عدوي الأمراض الخطيرة .

المطلب الأول

فرض إجراءات حظر التجول

في إطار خطة الدولة الشاملة لحماية المواطنين من أي تداعيات محتملة لتفشي الأوبئة ، فقد تم فرض حالة حظر التجول والتباعد الإجتماعي ، وتقليل فرص الاختلاط ، لذلك فقد صدر قرار رئيس مجلس الوزراء رقم 768 لسنة 2020 بفرض حظر التجول لمواجهة فيروس كورونا المستجد (136) .

واستناداً للقانون رقم 162 لسنة 1958 بشأن قانون الطوارئ، والذي منح الحق لرئيس الجمهورية أو من يفوضه بفرض عدة تدابير لأحتواء الأزمات الكبرى مثل انتشار الأوبئة ومنها فيروس كورونا ، وتتمثل التدابير الاحترازية والأوامر التي منحها القانون لرئيس الجمهورية أو من يفوضه متى أعلنت حالة الطوارئ في فرض حظر التجول ، و منع الناس من التحرك في طرق البلد أو التنقل فيها ، لظروف استثنائية ، لمدة زمنية معينة ، وهناك فرق بين حظر التجول وفرض الإقامة الجبرية ومن ذلك :

- أن المصدر لحظر التجول هي السلطة التنفيذية ، بينما الأمر بفرض الإقامة الجبرية هو القاضي
- أن حظر التجول لا يخص شخص معين، بل هو قرار يشمل جميع الأشخاص في البلد مع وجود بعض الاستثناءات ، بخلاف الإقامة الجبرية فإنها تخص أشخاص معينين ، وقد تخص شخص واحد فقط .
- أن الإقامة الجبرية تعد عقوبة ، وهي من بدائل السجن ، ولا يعاقب بها إلا محكوم عليه بسبب جريمة ارتكبتها ، بخلاف حظر التجول فإن المخاطبين الخاضعين له لم يرتكبوا جرماً ، ولا يعد عقوبة في حقهم ، بل هو مفروض عليهم بهدف الحفاظ عليهم .

- الحظر يعلن للكافة عن طريق جميع وسائل الإعلام الرئيسية ، من قنوات تلفزيونية وإذاعية محلية رسمية ، وصحف ومجلات ورقية أو إلكترونية وجريدة رسمية ، في حين أن الإقامة الجبرية لا تعلن إلا للمحكوم عليهم بها.

وقد يكون حظر التجول بسبب الكوارث و الأعاصير أو قد يكون بسبب الرياح المحملة بالأتربة التي تعيق الحياة الطبيعية ، أو الحالات التي يخشى فيها من انتشار الأمراض الوبائية المعدية ، أو تسربات الإشعاعات والمفاعلات النووية ، فيتم وضع قيود على حرية الأشخاص في الاجتماع والانتقال والإقامة والمرور في أماكن أو أوقات معينة وكذلك تكليف أي شخص أو مؤسسة بتأدية أي عمل من الأعمال الضرورية خلال فترات محددة .

ومن ذلك أيضاً وضع قيود على مواعيد فتح المحال العامة وإغلاقها، وكذلك الأمر بإغلاق هذه المحال كلها أو بعضها أو تشغيلها ببعض قوتها ، وكذلك تعطيل وسائل النقل الجماعي العامة أو الخاصة في أوقات الحظر .

وفي هذه الأحوال يمكن الإستيلاء على أي منقول أو عقار والأمر بفرض الحراسة على الشركات والمؤسسات وكذلك تأجيل أداء الديون والالتزامات المستحقة، والتي تستحق على ما يستولى عليه أو على ما تفرض عليه الحراسة ، وإخلاء بعض المناطق أو عزلها وتنظيم وسائل النقل وحصر المواصلات وتحديدتها بين المناطق

(136) صدر هذا القرار ونشر في الجريدة الرسمية بتاريخ 2020/3/24 .

المختلفة، ويجوز بقرار من رئيس الجمهورية توسيع أو تضيق المحظورات السابقة⁽¹³⁷⁾. أما عن تنفيذ هذه التدابير ومنها وضع قيود على حرية الأشخاص في الاجتماع والانتقال والمعروف بحظر التجول فقد نص قانون الطوارئ رقم 162 لسنة 1958 على أن "تتولى قوات الأمن أو القوات المسلحة تنفيذ الأوامر الصادرة من رئيس الجمهورية وأمن يقوم مقامه، وإذا تولت القوات المسلحة هذا التنفيذ يكون لضباطها ولضباط الصف إبتداء من الرتبة التي يعينها وزير الحربية سلطة تنظيم المحاضر للمخالفات التي تقع لتلك الأوامر.

فأي شخص يتجاوز المواعيد التي تم تحديدها لحظر التجول والتواجد بالشوارع والطرق العامة تحرر ضده جنائية كسر حظر التجول وهي جنائية أمن دولة عليا، حيث تقيد القضية جنائية أمن دولة عليا طوارئ، تنظرها محكمة أمن الدولة العليا طوارئ، وهنا تعد أحكامها نهائية ولا يقبل الطعن فيها بأي طريق من طرق الطعن أو المعارضة أو الاستئناف ولا تقبل إلا التظلم أمام الحاكم العسكري، كما أن حضور المتهم فيها وجوبي. وتضمن قرار رئيس مجلس الوزراء رقم 768 لسنة 2020 عقوبة كسر حظر التجول فتم تحديدها بالسجن و الغرامة المالية والتي تصل لأربعة آلاف جنيه أو أحدي هاتين العقوبتين⁽¹³⁸⁾.

والغرامة هنا تخيرية للقاضي لإقترانها بالسجن، أو السجن المشدد فقط دون الغرامة، ووفقاً للمادة 16 من قانون العقوبات فإن عقوبة السجن هي وضع المحكوم عليه في أحد السجون العمومية وتشغيله داخل السجن أو خارجه في الأعمال التي تعينها الحكومة المدة المحكوم بها عليه ولا يجوز أن تنقص تلك المدة عن ثلاث سنين ولا أن تزيد على خمس عشرة سنة إلا في الأحوال الخصوصية المنصوص عليها قانوناً.

أما الفئات المستثناة من حظر التجول فهم العاملين في الحقل الطبي بالمستشفيات والمراكز الطبية كما يستثني العاملين في وسائل الإعلام، والعاملين علي المركبات التي تنقل الأدوية والمستلزمات الطبية والمواد البترولية والغذائية والحاصلات الزراعية والخضر والفاكهة وما يماثلها⁽¹³⁹⁾.

ولقد كان القانون رقم 137 لسنة 1958 بشأن الاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية المعدل بالقانون رقم 55 لسنة 1979 قد تضمن بعض إجراءات الحجر الصحي مثل حظر الخروج أو الدخول من أو إلي الجهات الموبوءة، فقد أعطي المشرع لوزير الصحة سلطة إصدار القرار باعتبار جهة ما موبوءة؛ ليُتخذ بشأنها كافة التدابير اللازمة لمنع انتشار العدوى فيها، حيث نصت المادة 20 من هذا القانون علي أنه: - " لوزير الصحة العمومية بقرار منه اعتبار جهة ما موبوءة بأحدي الأمراض المعدية وفي هذه الحالة يكون للسلطات الصحية المختصة أن تتخذ التدابير اللازمة لمنع انتشار المرض من عزل وتطهير وتحصين ومراقبة وغير ذلك ولها علي الأخص أن تمنع الاجتماعات العامة أو الموالد من أي نوع كان وأن تعدم المأكولات والمشروبات الملوثة وأن تزيل الأزيار وتغلق السبل العامة وترفع الطلمبات وتردم الآبار وتغلق الأسواق ودور

⁽¹³⁷⁾ راجع المادة الأولى من قرار رئيس مجلس الوزراء رقم 768 لسنة 2020.

⁽¹³⁸⁾ المادة الثانية عشرة من قرار رئيس مجلس الوزراء رقم 768 لسنة 2020.

⁽¹³⁹⁾ المادة الثالثة عشرة من قرار رئيس مجلس الوزراء رقم 768 لسنة 2020.

السينما والملاهي أو المدارس أو المقاهي العامة أو أي مؤسسة أو أي مكان تري في إدارته خطراً علي الصحة العامة وذلك بالطريق الإداري " .

وتنص المادة 26 من ذات القانون علي أنه :- " كل مخالفة لأحكام الباب الرابع يعاقب عليها بغرامة لا تقل عن جنية مصري ولا تتجاوز عشرة جنيهاً أو بالحبس لمدة شهر فإذا كان المرض من القسم الأول تكون العقوبة غرامة لا تقل عن خمسة جنيهاً ولا تجاوز مائة جنية أو الحبس مدة شهرين ويجوز الحكم بمصادرة وسائل النقل وغيرها من الأشياء التي تكون قد استعملت في ارتكاب الجريمة وذلك مع عدم الإخلال بأية عقوبة أشد يقضي بها قانون العقوبات أو أي قانون آخر .

ويشير تطبيق قرار رئيس مجلس الوزراء رقم 768 لسنة 2020 بشأن حظر التجول و المعمول به في الفترة من 2010/3/24 حتي 2020/6/27 إشكالية في ظل وجود المادة 26 من القانون رقم 137 لسنة 1958 بشأن الإحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية وتعديلاته ، وهي إشكالية إزدواج العقاب علي نفس الفعل بنصين عقابيين مختلفين ! وهما المادة الثانية عشرة من قرار رئيس مجلس الوزراء رقم 768 لسنة 2020 ، والمادة السادسة والعشرين من القانون رقم 137 لسنة 1958 بشأن الأمراض المعدية ، ولا يحل هذه الإشكالية ورود عبارة " مع عدم الإخلال بأي عقوبة أشد تنص عليها القوانين المعمول بها " فهذه العبارة التي تصدرت المادة 12 من القرار رقم 768 لسنة 2020 لا تجبر هذه الإشكالية ولا تحلها .

فعند الإلتزام بمدارج التشريع يكون القانون أعلى مرتبة من القرار الوزاري حتي وإن كان صادراً من رئيس مجلس الوزراء استناداً لقانون الطوارئ ، فصحة القرار الوزاري الصادر بموجب تفويض تشريعي رهينة بعدم وجود تضاد أو تناقض بينه وبين نص القانون ، وعند التعارض يتم تطبيق نص القانون .

وعلي كل حال فقد تم إلغاء حظر التجول بموجب قرار رئيس مجلس الوزراء رقم 1246 لسنة 2020 برفع حظر انتقال وتحرك المواطنين بكافة أنحاء الجمهورية علي جميع الطرق ، وإعادة فتح المطاعم والصالات الرياضية والمقاهي واستقبال دور العبادة للمصلين لأداء الشعائر الدينية اعتباراً من يوم السبت الموافق 2020/6/27 ، ومن ثم يكون تطبيق نص المادة 12 من قرار رئيس مجلس الوزراء رقم 768 لسنة 2020 قاصر علي الفترة من 2020/3/24 حتي 2020/6/27 بالنسبة لحظر التجول و مخالفات الإحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية في هذه الفترة المذكورة فقط ، ويجب تطبيق النص الواجب التطبيق ، وهو نص المادة 26 من القانون رقم 137 لسنة 1958 بشأن الأمراض المعدية لأن تطبيق نص المادة 12 من القرار رقم 768 لسنة 2020 غير صحيح قانوناً ، وتجدر الإشارة في هذا الشأن إلي ضرورة التدخل التشريعي لتعديل القانون رقم 137 لسنة 1958 بوضع العقوبات المناسبة .

وفي العراق وفي سياق التدخل التشريعي لمواجهة تفشي الأوبئة فقد تضمن قانون الصحة العامة العراقي بعض الإحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية ، فنصت المادة 45 من قانون الصحة العامة العراقي رقم 89 لسنة 1981 والمعدل بالقانون رقم 54 لسنة 2001 علي أنه :-

" تحدد الأمراض الانتقالية والمتوطنة المشمولة بأحكام هذا القانون بتعليمات يصدرها وزير الصحة أو من يخوله "

ونصت المادة 46 من ذات القانون علي أنه :- " أولاً - يجوز لوزير الصحة أو من يخوله أن يعلن ببيان يصدره أية مدينة أو أي جزء منها منطقة موبوءة بأحد الأمراض الخاضعة للوائح الصحية الدولية.

ثانياً - للسلطات الصحية في هذه الحالة إتخاذ جميع الإجراءات الكفيلة بمنع انتشار المرض ولها في سبيل ذلك :-

- ا - تقييد حركة تنقل المواطنين داخل المنطقة الموبوءة والدخول إليها أو الخروج منها .
- ب - غلق المحلات العامة كدور السينما والمقاهي والملاهي والمطاعم والفنادق والحمامات وأي محل عام آخر خاضع للإجازة والرقابة الصحية وكذلك المؤسسات التعليمية والمعامل والمشاريع ودوائر الدولة والقطاع الاشتراكي والمختلط والخاص.
- ج - منع بيع الأغذية والمشروبات والمرطبات والتلج ونقلها من منطقة الى أخرى وإتلاف الملوث منها.
- د - عزل ومراقبة ونقل الحيوانات والبضائع .

ثالثاً - لوزير الصحة تكليف أي من ذوي المهن الطبية والصحية بتقديم الخدمات الطبية للمواطنين عند حدوث الأوبئة وفي حالات الطوارئ وللمدد التي تتطلبها تلك الحوادث والحالات " (140) .

ويتضح من نصوص هذا القانون أن السلطات الصحية في العراق لها في حالة تفشي الأوبئة أن تصدر قرارا بتقييد حرية تنقل المواطنين ، وبوضع قيود علي حرية الأشخاص في الاجتماع والانتقال والإقامة والمرور في أماكن أو أوقات معينة وكذلك تكليف أي شخص أو مؤسسة بتأدية أي عمل من الأعمال الضرورية خلال فترات محددة .

ومن ذلك أيضاً وضع قيود علي مواعيد فتح المحال العامة وإغلاقها، وكذلك الأمر بإغلاق هذه المحال كلها أو بعضها ، وكذلك تعطيل وسائل النقل الجماعي العامة أو الخاصة في أوقات الحظر ، ومنع بيع الأغذية والمشروبات والمرطبات والتلج أو نقلها من منطقة الى أخرى وإتلاف الملوث منها .

وفي الأردن فقد أوجب المشرع الأردني في قانون الصحة العامة رقم 47 لسنة 2008 علي السلطات الصحية في حالة تفشي مرض وبائي في المملكة أو أي منطقة فيها أن تتخذ جميع الإجراءات وبصورة عاجلة لمكافحة ومنع انتشاره ، والإعلان عن هذا الوباء بوسائل الإعلام المختلفة ويتم نشر الإعلان في الجريدة الرسمية .

ويكون الوزير مخولاً باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة للقضاء على الوباء ، وله في سبيل ذلك عزل المصابين أو المعرضين للإصابة أو المشكوك في إصابتهم ومنع انتقالهم وإعطاء الأمصال والمطاعيم والمعالجة والتفتيش وإتلاف المواد الملوثة ودفن الموتى ومعاينة وسائل النقل ووضع اليد على العقارات ووسائل النقل للمدة التي

(140) أضيفت الفقرة (ثالثاً) من هذه المادة بموجب المادة (4) من قانون التعديل الثامن لقانون الصحة العامة رقم 89 لسنة 1981، والصادر برقم 54 لسنة 2001 فأصبحت بالشكل المذكور

تقتضيها الضرورة مقابل تعويض عادل (141) .

وباستقرار نصوص هذا القانون يتضح أن المشرع الأردني أوجب علي السلطات الصحية في الأردن في حالة تفشي مرض وبائي أن تصدر قراراً بمنع انتقال المواطنين وحظر تجولهم لحين ارتفاع الوباء عن البلاد . ويلاحظ أن المشرع الأردني ونظراً لخطورة تفشي الأمراض الوبائية فقد ألزم السلطات الصحية باتخاذ الإجراءات الوقائية ، ولم يترك لها حرية الاختيار في ذلك ، بحث إذا لم تقم باتخاذ هذه الإجراءات تكون مقصرة في أداء مهامها .

وفي قطر صدر المرسوم بقانون رقم 11 لسنة 1968 بشأن الإحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية والذي تم تعديله بالقانون رقم 9 لسنة 2020 ، وأعطى الحق للوزير بقرار منه عند ظهور مرضٍ معدٍ ، اعتبار جهة ما موبوءة بهذا المرض، وفي هذه الحالة يكون للجهة الصحية المختصة أن تتخذ جميع التدابير اللازمة لمنع انتشار العدوى من عزل وتطهير وتحصين ومراقبة وغير ذلك .

ولها على الأخص أن تمنع الاجتماعات العامة من أي نوع كان ، وأن تعمد المأكولات والمشروبات الملوثة وأن تزيل أواني حفظ مياه الشرب وسبل المياه العامة وأن ترفع الحنفيات وتردم الآبار وتغلق الأسواق و المدارس والمقاهي العامة أو أية مؤسسة أو مكان ترى في إدارته خطراً على الصحة العامة .

ولمجلس الوزراء، بناءً على اقتراح الوزير، وبغرض الحد من انتشار المرض المعدي، أن يتخذ الإجراءات والتدابير العامة المناسبة للمحافظة على الصحة العامة، بما في ذلك فرض القيود على حرية الأشخاص في التجمع والانتقال والإقامة والمرور في أماكن أو أوقات معينة (142) .

وفي الكويت صدر القانون رقم 8 لسنة 1969 بشأن الإحتياطات الطبية للوقاية من الأمراض السارية ، والمعدل بالقانون رقم 19 لسنة 1980 ، والمعدل بالقانون رقم 4 لسنة 2020 ، وقد منح هذا القانون وزير الصحة والسلطة التنفيذية الحق في اتخاذ تدابير واحتياطات أكثر قسوة في حال تفشي مرض وبائي ما ، مثل عزل مناطق بأكملها، ومنع التجول، وتخويل الأطباء والمعاونين الصحيين وغيرهم ممن يعينهم وزير الصحة دخول المساكن في أي وقت ودون إذن أصحاب تلك المنازل للبحث عن المرضى وعزلهم وإجراء التطعيم والتطهير وغير ذلك من الإجراءات الصحية اللازمة، وإتلاف المأكولات والمشروبات بل واتخاذ أي تدابير أو احتياطات أخرى يراها وزير الصحة ضرورية، وهي سلطة واسعة تتغول علي حقوق الإنسان والحريات الفردية والأساسية، إلا أنها مقبولة في ظل هذا الظرف الاستثنائي المتمثل في تفشي الأوبئة (143) .

ولا شك في أن من أهم ما نص عليه القانون المذكور هو العقوبات الواردة فيه حيث أن المواد 15 ، 16 ، 17 من هذا القانون ترتب العقاب علي مخالفة أي مادة من مواده ، وهي الحبس والغرامة بحسب الأحوال وعلى النحو التفصيلي الوارد في القانون، وبهذا يكون المشرع قد أنقذ السلطة التنفيذية من معضلة قانونية ، وهي عدم

(141) راجع قانون الصحة العامة الأردني رقم 47 لسنة 2008 المواد 21 وما بعده .

(142) راجع المادة 10 من المرسوم بقانون رقم 11 لسنة 1968 الصادر في قطر بشأن الإحتياطات الصحية للوقاية من

الأمراض المعدية والمعدل بالقانون رقم 9 لسنة 2020 .

(143) راجع مواد القانون رقم 8 لسنة 1969 بشأن الإحتياطات الطبية للوقاية من الأمراض السارية والمعدل بالقانون رقم 19 لسنة 1980 والمعدل بالقانون رقم

4 لسنة 2020 .

وجود نص قانوني يرتب عقوبة على مخالفة لوائح الضبط، وعدم جواز قيام السلطة التنفيذية بإصدار قرار بتجريم أي فعل وتقرير عقوبة على ارتكابه، لمخالفة ذلك لمبدأ شرعية الجرائم والعقوبات، وهكذا تكون المواد 15 ، 16 ، 17 ذات الطبيعة الجنائية من أفضل حسنات القانون رقم (8) لسنة 1969 رغم أنها لم تسلم من النقد إذ أن العقوبات الواردة فيها يسيرة ولا تتناسب مع جسامة وخطورة الأفعال المرتكبة .

ومن ناحية أخرى، ومن نافلة القول أن للدولة الحق في منع أي أجنبي من دخول البلاد وإبعاد أي أجنبي مقيم فيها، وهو حق سيادي لها سواء في الظروف العادية أو الاستثنائية، ولا شك بأن مثل هذه الإجراءات لو اتخذت بناء على أسباب سائغة تتعلق بحماية الصحة العامة فإنها ستكون مقبولة قانون .

ونفاذاً للقانون رقم 8 لسنة 1969 بشأن الإحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية سالف الذكر فقد صدر قرار نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية الكويتي رقم 279 لسنة 2020 بشأن حظر التجول ، وسرعان ما تم تطبيق هذا القرار في حكم حديث لمحكمة كويتية صدر برقم 264 لسنة 2020 دائرة جنح الأحداث في جلسة 2020/3/31 ضد حدث خالف قرار نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية رقم 279 لسنة 2020 بشأن تنظيم حركة المرور والتجول الصادر بتاريخ 2020/3/22 .

لأن المتهم في تاريخ 2020/3/22 وفي تمام الساعة السادسة والنصف مساءً تواجد بالطريق العام في غير الأحوال المصرح بها قانوناً ، وذلك بأن قاد مركبة وتجول بها في الطريق العام بالمخالفة للقوانين والقرارات الوزارية الصادرة بهذا الشأن ، مع علمه بصدر القرار رقم 279 لسنة 2020 بشأن حظر التجول في الفترة من الساعة الخامسة مساءً وحتى الرابعة صباحاً .

فقدّم للمحاكمة وتم معاقبته بالعقوبة المنصوص عليها في المادة 15 / 1 من القانون رقم 8 لسنة 1969 بشأن الإحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية بالحبس لمدة ثلاثة أشهر⁽¹⁴⁴⁾ .

المطلب الثاني

فرض بعض إجراءات الحجر الصحي و البيطري

من مظاهر الحماية الجنائية للوقاية من الأوبئة فرض بعض الإجراءات الوقائية لتجنب انتشار العدوى ، ومن ذلك ما تضمنه القانون رقم 44 لسنة 1955 في شأن إجراءات الحجر الصحي ، فقد تضمن هذا القانون في المادة 2/28 منه جواز عزل الشخص المشتبه في إصابته بأحد الأمراض الموجبة للعزل إذا رأت السلطات الصحية أن هناك يمثل خطراً بالغاً من انتقال العدوى منه إلي الآخرين .

كما تضمن هذا القانون بعض إجراءات الحجر الصحي الخاصة بنظام الرقابة علي سفر الحجاج المسافرين من الأراضي المصرية والعائدين إليها ، والحجاج العابرين الذين يمرون بالموانئ المصرية إذا كان بينهم مريضاً بمرض كورنتيني ، ورجب ربان السفينة في إنزاله بأحد الموانئ المصرية ، فقد نصت المادة 93 من هذا القانون علي أنه : " إذا حدثت إصابة بأحد أمراض الطاعون أو الكوليرا أو الحمى الصفراء علي ظهر سفينة الحجاج التي تتقل حجاج أجنبية عند عودتهم عن طريق قناة السويس ورجب ربان السفينة في إنزال المصاب بأحد الموانئ المصرية فعليه أن يتجه بالسفينة مباشرة إلي المحطة الصحية بالطور "

⁽¹⁴⁴⁾الحكم رقم 264 لسنة 2020 دائرة جنح الأحداث الكويتية بجلسة 2020/3/31 .

كما نصت المادة 94 من ذات القانون علي أنه : " عند وصول أية سفينة حجاج إلي المحطة الصحية بالطور علي الوجه المبين بالمادة السابقة فعلي السلطة الصحية أن تنزل المصاب وأن تطبق علي السفينة الأحكام المبينة بالقسم 51 من هذا القانون بشأن الأحكام الخاصة لكل من الأمراض الكورنتينية "

كما تضمنت المادة 11 من قانون الأمراض المعدية وتعديلاته خضوع الحجاج للتطعيم والتحصين ضد الأمراض المعدية قبل مغادرتهم الأراضي المصرية وفقاً للإجراءات التي يصدر بها قرار من وزير الصحة العمومية، وله أن يتخذ كافة الإجراءات اللازمة لمنع دخول أي مرض من الأمراض المعدية عن طريق الحجاج، وذلك كله مع عدم الإخلال بقانون الحجر الصحي رقم 44 لسنة 1955 ، والمعدل بالقانون رقم 45 لسنة 1958 ، و13 لسنة 1968 والذي تضمن أحكاماً خاصة بالمراقبة الصحية لنقل الحجاج أثناء موسم الحج (145) .

ونشير إلي أنه قد تم إصدار السلطات المصرية قرارها بمنع من هم دون الخامسة عشر، ومن هم فوق الخامسة والستون من عمرهم من السفر إلي المملكة العربية السعودية لأداء فريضة الحج أو العمرة، خشية انتشار مرض أنفلونزا الخنازير، وذلك أبان ظهور هذا المرض في البلاد (146).

وفي ذات الشأن كان قد صدر قرار وزير الصحة العمومية رقم 339 لسنة 1959 في شأن الاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية بالنسبة لعمال الترحيل، ولقد حدد من ينطبق بشأنهم هذا القرار، وبعد ذلك اشترط ضرورة حمل عمال الترحيل لبطاقة صحية توضح تحصينهم ضد الأمراض المعدية، ومنع هذا القرار انتقال عمال الترحيل ما لم يحملوا هذه البطاقة الصحية واستلزم هذا القرار ضرورة إبلاغ السلطة الصحية بجهة عمل عمال الترحيل للتأكد من حالتهم الصحية والشهادات الصحية التي يحملونها (147).

وفي هذا الشأن وبمناسبة إعلان منظمة الصحة العالمية في تاريخ 2020/3/11 عن أن فيروس كورونا المستجد وباءً عالمياً ويمثل جائحة فقد صدر قرار رئيس مجلس الوزراء رقم 718 لسنة 2020 بتعليق حركة الطيران الدولي من وإلي البلاد ، وذلك لمنع خروج أو دخول أي شخص للبلاد (148) .

وفي سبيل حماية الإنسان من نقل العدوى ببعض الأمراض التي تنتقل من الطيور صدر المرسوم الملكي في 21 مايو 1930 بشأن منع انتشار مرض البستاكويزيس بين الإنسان والطيور (149) .

(145) راجع المادة 83 وما بعدها من قانون الحجر الصحي رقم 44 لسنة 1955.

(146) تم الطعن علي هذا القرار بموجب الطعن رقم 16020 لسنة 17 ق، ونظر الطعن أمام محكمة القضاء الإداري بقنا التي أصدرت حكمها في الشق العاجل بجلسة 2011/1/13 برفض طلب وقف التنفيذ، وإحالة الشق الموضوعي إلي هيئة المفوضين، إلي أن تم إلغاء القرار أمام المحكمة الإدارية العليا.

(147) المواد الأولى والثانية والرابعة من القرار رقم 339 لسنة 1959 في شأن الاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية بالنسبة لعمال الترحيل - راجع الأستاذ / عادل السيوي - الرسالة السابقة - ص 27.

(148) بموجب هذا القرار تم تعليق حركة الطيران الدولي حتي 2020/3/31 وتم مد العمل بهذا القرار بموجب قرار رئيس مجلس الوزراء رقم 768 لسنة 2020 .

(149) البستاكويزيس هو مرض بكتيري فيروسي يصيب الطيور وينتقل للإنسان وهو ناتج عن الإصابة بنوع من الفيروسات أو البكتيريا وتنتقل العدوي للإنسان عن طريق استنشاق الفيروسات والبكتيريا من فضلات وريش الطيور المصابة ومن أعراضه مثل الأنفلونزا التي يمكن أن تتطور إلي نزلة شعبية أو التهاب رئوي والسخونة والآلام في العضلات والمفاصل.

وبعد إلغاء هذا المرسوم بالقانون رقم 137 لسنة 1958 بشأن الاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية المعدل بالقانون رقم 55 لسنة 1979 فقد صدر قرار وزير الصحة رقم 379 لسنة 1970 بتحديد طريقة فحص الطيور المخصصة للزينة لمنع انتقال الأمراض منها إلى الإنسان، وتضمن المرسوم بقانون رقم 137 لسنة 1958 المعدل بالقانون رقم 55 لسنة 1979 الحماية من انتقال المرض من الحيوانات القادمة من الخارج، فورد في الباب الثالث الذي خصصه المشرع للمراقبة التي تباشرها وزارة الصحة العمومية بالنسبة للأشخاص والحيوانات والبضائع والأشياء القادمة أو المستوردة من الخارج بغرض منع انتشار الأمراض المعدية ، كما تناول هذا الباب أيضاً كيفية مراقبة الحجاج لمنع دخول الأمراض المعدية عن طريقهم⁽¹⁵⁰⁾.

ولقد تضمن القانون رقم 137 لسنة 1958 سالف الذكر وتعديلاته في المادة رقم 23 منه :
" أنه لوزير الصحة أن يتخذ الإجراءات اللازمة لمنع انتقال العدوى من الإنسان أو الحيوان أو بواسطة الحشرات أو أي وسيلة أخرى " (151).

إلا أن إجراءات الحجر البيطري و الحماية الحقيقية ضد انتقال الأمراض المعدية من الحيوان إلى الإنسان (152) نجدها قوية و جليلة في قانون الزراعة رقم 53 لسنة 1966 حيث نظم المشرع المصري أحكام الحجر البيطري في الفصل الثاني من الباب الثاني - الخاص بالصحة الحيوانية وذلك في الكتاب الثاني الخاص بالثروة الحيوانية في المواد 133 ، و 134 ، و 135⁽¹⁵³⁾.

وقد أكد المشرع علي حظر دخول الحيوانات المستوردة إلا بعد استيفاء إجراءات الحجر البيطري؛ وذلك للتأكد من خلوها من الأمراض الوبائية والمعدية، فإن كان استيراد الحيوانات الحية لغرض ذبحها، فإنه يجب إجراء عملية الذبح خلال مدة ثلاثين يوماً علي أن تودع خلال هذه المدة في محجر بيطري لمنع تسرب الأمراض المعدية.

ولقد نصت المادة 108 من ذلك القانون علي سلطة وزير الزراعة في تنظيم تصدير واستيراد الحيوانات والدواجن والطيور الحية، وله حظر التصدير والاستيراد متى اقتضت ذلك تنمية الثروة الحيوانية أو المحافظة عليها، وله أيضاً سلطة إصدار قرارات في مسائل عدة تخص موضوعات الحجر البيطري مثل تحديد الأمراض المعدية والوبائية، وتحديد أنواع الحيوانات واللحوم والمنتجات والمتخلفات الحيوانية⁽¹⁵⁴⁾.

ولقد أصدر وزير الزراعة القرار رقم 46 لسنة 1967 بشأن تحديد الحيوانات والأمراض المعدية والوبائية التي

(150) د/ عادل يحيي قرني: الحماية الجنائية للحق في الصحة - مرجع سابق - ص 212.

(151) مادة 23 من قانون الاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية رقم 137 لسنة 1958 المعدل بالقانون رقم 55 لسنة 1979 .

(152) حددت المادة 124 من قانون الزراعة رقم 53 لسنة 1966 المقصود بالحيوان بأنه الحيوانات والدواجن والطيور التي يصدر بتحديد قرار من وزير الزراعة، ولقد صدر قرار وزير الزراعة رقم 29 لسنة 1967 بتحديد الحيوانات والطيور وهي: " الفصيلة البقرية والجاموس والأغنام والماعز والفصيلة الخيلية (الخيول - البغال - الحمير) والجمال والخنازير والحيوانات الوحشية والأرانب والدجاج والبط والإوز والرومي والحمم " راجع الوقائع المصرية - في 2 مايو سنة 1967 - العدد 63.

(153) الجريدة الرسمية في 10 سبتمبر سنة 1966 - العدد 206.

(154) تنص المادة 135 من القانون رقم 53 لسنة 1966 علي أنه: " يصدر وزير الزراعة قرارات في المسائل الآتية: تحديد أنواع الحيوانات أو اللحوم والمنتجات والمتخلفات الحيوانية وكذلك الأمراض المعدية والوبائية التي تنطبق عليها أحكام هذا الفصل.

(أ) تحديد نظام وإجراءات العمل في المحاجر البيطرية والرسوم المقررة علي الحيوانات التي تخضع للحجر البيطري وحالات الإعفاء منها.....)

تطبق عليها أحكام الحجر البيطري⁽¹⁵⁵⁾.

كما أصدر القرار رقم 47 لسنة 1967 بشأن تحديد لائحة الحجر البيطري⁽¹⁵⁶⁾.

ويعاقب علي مخالفة المادة 133 بالحبس مدة لا تقل عن شهر ولا تزيد عن ستة أشهر وبغرامة لا تقل عن ثلاثين جنيهاً ولا تزيد علي مائة جنيهاً أو بأحدي هاتين العقوبتين، وذلك فضلاً عن مصادرة الحيوانات أو اللحوم أو المنتجات أو المتخلفات المهربة (م 140) من قانون الزراعة، كما نصت الفقرة الثانية من ذات المادة علي معاقبة الشروع بعقوبة الجريمة ذاتها⁽¹⁵⁷⁾.

وبالرغم من ذلك فقد ظهر التخطب أثناء أزمة تفشي مرض جنون البقر أو الحمى القلاعية أو أنفلونزا الطيور في مصر، وكذلك إبان ظهور مرض أنفلونزا الخنازير، فقد أعلنت السلطات عن فرض حظر علي نقل الدواجن بين المحافظات، ووسعت نطاق الإجراءات المفروضة أصلاً علي استيراد الطيور الحية وشدت ضوابط الحجر الصحي، وقامت بالتخلص من الحيوانات أو الطيور الحية أو المريضة أو الميتة، وأغلقت حديقة الحيوان في القاهرة فضلاً عن سبع حدائق مماثلة في أنحاء مصر لمدة أسبوعين بعد نفوق 83 طائر بعضها نفق بسبب إصابته بالمرض، كما قررت السلطات الإدارية القضاء علي عشرة آلاف طائر بعد أن ظهر الفيروس في مزرعة دواجن بالقرب من القاهرة، وأجبرت الحكومة الأهالي للتخلص من الدواجن التي يقومون بتربيتها في المنازل⁽¹⁵⁸⁾.

وفي فلسطين فقد أوجب المشرع الفلسطيني في قانون الصحة العامة رقم 20 لسنة 2004 علي وزارة الصحة اتخاذ التدابير الوقائية والعلاجية اللازمة لحصر انتشار الأمراض المعدية ومن ذلك الحجر الصحي ، وذلك بالتنسيق مع الجهات المختصة بمكافحة الأمراض المعدية وغير المعدية والوراثية بالوسائل كافة ، وعليها مراقبة معدلات انتشار تلك الأمراض من خلال جمع المؤشرات اللازمة⁽¹⁵⁹⁾ .

وأوجب المشرع علي الوزارة اتخاذ ما يلزم لمنع تفشي الأوبئة ومن ذلك :- فرض التطعيم الوقائي أو العلاج اللازم ، ومصادرة المواد الملوثة أو أية مواد يمكن أن تكون مصدراً للعدوى وإتلافها بالتنسيق مع الجهات المختصة ، وكذلك تجهيز و دفن الموتى جراء تلك الأمراض بالطريقة التي تراها مناسبة .

وإذا أصيب شخص أو اشتبه بإصابته بأحد الأمراض المعدية المحددة من الوزارة، وجب الإبلاغ عنه فوراً إلي أقرب مؤسسة صحية، والتي عليها إبلاغ الجهة المعنية بذلك في الوزارة ، ويقع واجب الإبلاغ المنصوص عليه في المادة السابقة علي :-

- كل طبيب قام بالكشف على المصاب أو المشتبه بإصابته وتأكد من ذلك أو توقعه
- كل من تشمله - لهذا الغرض - تعليمات الوزارة في حينه.

⁽¹⁵⁵⁾ الوقائع المصرية العدد 63 في 1967/5/2 وهو المعدل بالقرار رقم 13 لسنة 1980 - الوقائع المصرية - العدد 135 في 1980/7/9.

⁽¹⁵⁶⁾ الوقائع المصرية العدد 63 في 1967/5/3 المعدل بالقرار رقم 8 لسنة 1981 ثم القرار رقم 47 لسنة 1982 - الوقائع المصرية العدد 235 في 17 / 1982 / 10.

⁽¹⁵⁷⁾ د/ رضا عبد الحليم عبد المجيد: النظام القانوني لكوارث الأوصاف الحيوانية والنباتية بالتطبيق علي جنون البقر - أنفلونزا الطيور - تلف المزروعات - دراسة مقارنة بالقانون الفرنسي - مرجع سابق - ص 13.

⁽¹⁵⁸⁾ د/ نسرين عبد الحميد نبيه: المسؤولية الجنائية عن نقل عدوى مرض أنفلونزا الطيور في الشريعة والقانون - مرجع سابق - ص 86.

⁽¹⁵⁹⁾ راجع الفصل الثالث من قانون الصحة العامة الفلسطيني رقم 20 لسنة 2004 المواد 9 و10 و11 .

و يجوز للوزارة عزل المصاب بالأمراض الوبائية أو المشتبه به أو المخالط لأي منهما في المكان المناسب وللمدة التي تحددها أو إخضاعه للمراقبة الصحية أو إيقافه مؤقتاً عن مزاولته عمله ، و على الوزارة توفير العلاج المناسب مجاناً للأمراض الوبائية التي تحددها .

لوزارة الصحة الفلسطينية فرض الحجر الصحي في فلسطين لمنع انتقال الأمراض الوبائية منها وإليها ، وذلك بقرار من الوزير المختص .

وبهدف منع انتقال الأمراض الوبائية من فلسطين وإليها يجوز للوزارة بالتنسيق مع الجهات المعنية القيام بما يلي :-

1- المعاينة الصحية لوسائل النقل البرية والبحرية والجوية العامة والخاصة .

2- إجراء الفحوصات الطبية على المسافرين القادمين والمغادرين .

3- عزل الحيوانات ومراقبتها.

4- تحديد الشروط الصحية الواجبة لدخول البضائع أو المواد المستوردة من الخارج (160) .

ويلاحظ أن المشرع الفلسطيني لم يعطي للسلطات الصحية خيارات اتخاذ الاجراءات الوقائية لمنع انتشار الأوبئة بل أوجب عليها ذلك بحيث لو لم تقم بذلك تكون هذه السلطات مقصرة في أداء واجبها ، وذلك لخطورة التعامل مع مثل هذه الحالات .

ولقد فرض المشرع الفلسطيني العقاب علي مخالفة هذه الإجراءات فنص في المادة 81 من قانون الصحة العامة الفلسطيني علي أنه :

" مع عدم الإخلال بأية عقوبة أشد ينص عليها قانون آخر، يعاقب كل من يخالف أي حكم من أحكام هذا القانون، بالحبس مدة لا تزيد على سنتين، وبغرامة لا تزيد على ألفي دينار، أو بإحدى هاتين العقوبتين " وتتص المادة 82 من ذات القانون علي أنه :- " 1- تكون عقوبة الحبس وجوبية، إذا ترتب على المخالفة خسارة في الأرواح أو أضرار جسيمة في الأموال .

1- تضاعف العقوبة في حال تكرار المخالفة "

المطلب الثالث

فرض التطعيم الإجباري

يعتبر التطعيم والتحصين من أهم الواجبات التي تقوم بها الدولة تجاه مواطنيها لتحقيق أعلى معدلات الصحة ، ويمكن للسلطات النظر في إمكانية تطعيم الأشخاص المعرضين بحكم ممارستهم لمهن معينة لمخاطر العدوى (161)، كنوع من الإجراءات التي تتخذها السلطات الإدارية للمحافظة علي الصحة العامة، ومنع انتشار الأمراض المعدية المتوطنة (162)؛ فالتطعيم الإجباري يعد التزاماً قانونياً مفروضاً علي الأفراد من قبل الدولة بوصفها سلطة ضبط تتجاوز المصلحة العامة المبتغاة من الفائدة الخاصة التي تعود علي المتلقين له سواء في مرحلة الطفولة

(160) راجع قانون الصحة العامة الفلسطيني رقم 20 لسنة 2004 المواد 12 و 13 و 14 و 15 .

(161) يراجع - د/ نسرين عبد الحميد نبيه: المسؤولية الجنائية عن نقل عدوي مرض أنفلونزا الطيور في الشريعة والقانون - مرجع سابق - ص 73.

(162) د / محمد أنس قاسم جعفر، ود / عبد العظيم عبد السلام: النشاط الإداري - المرجع السابق - ص 45.

(163)، أم عند السفر إلي خارج الدولة أو القدوم إليها (164).

ولقد تناول المشرع المصري تنظيم عمليات التطعيم الواقي من الأمراض المعدية، وفرض عقوبات علي مخالفتها، مبتدئاً بمرض الجدري كمرضٍ معدٍ حيث صدر الأمر العالي في 17 ديسمبر 1890 بشأن التطعيم الواقي من مرض الجدري المعدل بالأمر العالي الصادر في 6 أغسطس سنة 1897 والذي تم تعديله بالقانون رقم 9 لسنة 1917 ثم صدر أخيراً قرار وزير الصحة العمومية في 13/4/1959 بشأن تنظيم عمليات التطعيم ضد الجدري (165).

وبمناسبة انتشار وباء الكوليرا صدر القانون رقم 10 لسنة 1917 بشأن الاحتياطات التي يعمل بها للوقاية من الكوليرا، ولقد تم تعديل هذا القانون بالقانون رقم 3 لسنة 1927 ولقد صدرت تشريعات عديدة أخرى بشأن تداول الطعم الواقي من مرض الكوليرا منها القانون رقم 144 لسنة 1947، والقانون رقم 149 لسنة 1947 بفرض بعض القيود للوقاية من الكوليرا، والقانون رقم 150 لسنة 1947 بفرض عقوبة علي مخالفة أوامر الاستيلاء والتكاليف الصادرة في سبيل مكافحة وباء الكوليرا، واتخاذ تدابير للمحافظة علي الصحة العامة عند ظهور وباء الكوليرا أو الطاعون (166).

ولقد صدر القانون رقم 109 لسنة 1931 بشأن التطعيم باللقاح الواقي من الأمراض المعدية، وتبعية القانون رقم 24 لسنة 1940 الخاص بالإلزام بالتحصين الواقي من الدفتريا، وعدل بالمرسوم بقانون رقم 307 لسنة 1952. ولقد صدر القانون رقم 137 لسنة 1958 بشأن الاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية المعدل بالقانون رقم 55 لسنة 1979 متضمناً النص علي إلغاء القوانين السابقة في المادة 27 منه ، ومقررأ في بابهِ الثاني تنظيم عمليات التطعيم والتحصين ضد الأمراض المعدية (167)، وجرم الإخلال بواجب التطعيم للوقاية من الأمراض المعدية فنص في المادة الثانية منه علي أنه يجب تطعيم الطفل بالطعم الواقي من مرض الجدري خلال ثلاثة أشهر علي الأكثر من يوم ولادته وذلك بمكاتب الصحة أو بالوحدات الصحية الأخرى أو بواسطة المندوب الصحي الذي تسند إليه السلطات الصحية المختصة هذا العمل (168)(169).

ونلاحظ أنه قد شملت هذه التشريعات تطعيم الأطفال، فقد عني المشرع المصري بالأطفال منذ عهد بعيد إذ نص في سنة 1940 كما أسلفنا تحت رقم 24 علي تحصين الأطفال بالمصل الواقي من الدفتريا والجدري (170)، كما وردت عمليات التطعيم الواقي من الأمراض المعدية في قانون الطفل ولقد تأكد ذلك منذ تاريخ انضمام مصر

(163) تنص المادة 25 من قانون الطفل رقم 12 لسنة 1996 المعدل بالقانون رقم 126 لسنة 2008 علي أنه يجب تطعيم الطفل وتحصينه بالطعوم الواقية من الأمراض المعدية، وذلك دون مقابل بمكاتب الصحة والوحدات الصحية وفقاً للنظم والمواعيد التي تبينها اللائحة التنفيذية لهذا القانون..

(164) د/ أسامة أحمد بدر: ضمان مخاطر المنتجات الطبية - دراسة مقارنة - دار الكتب القانونية - ص 269

(165) انظر الوقاية في التشريع المصري - الدكتور / أسامة عبد الله قايد - المسؤولية الجنائية لأطباء - مرجع سابق - ص 83 وما بعدها.

(166) ألغيت هذه القوانين بالمادة 27 من القانون رقم 137 لسنة 1958.

(167) تضمن القانون رقم 137 لسنة 1958 في مواده 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9 تنظيم عمليات التطعيم والتحصين ضد الأمراض المعدية.

(168) راجع د/ شريف سيد كامل: الحماية الجنائية للأطفال - مرجع سابق - ص 105.

(169) د/ السيد محمد عتيق: القتل بدافع الشفقة - مرجع سابق - هامش ص 85.

(170) انظر المواد 2، 3، 6 من القانون رقم 24 لسنة 1940 والمذكرة الإيضاحية للقانون المنشور في الوقائع المصرية عدد 45 في 25 ابريل لسنة 1940 وقرارات أغسطس سنة 1940.

لأحكام الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل (171).

وقد صدر قانون الطفل رقم 12 لسنة 1996 معتمياً بأمر التطعيم والتحصين، فنصت المادة (25) من هذا القانون علي أنه: " يجب تطعيم الطفل وتحصينه بالطعوم الواقية من الأمراض المعدية، وذلك دون مقابل بمكاتب الصحة (172)، وفقاً للنظم والمواعيد التي تبينها اللائحة التنفيذية (173)، ويقع واجب تقديم الطفل للتطعيم أو التحصين علي عاتق والده أو الشخص الذي يكون الطفل في حضنته، ويجوز تطعيم الطفل أو تحصينه بالطعوم الواقية بواسطة طبيب خاص مرخص له بمزاولة المهنة، بشرط أن يقدم من يقع عليه واجب تقديم الطفل للتطعيم أو التحصين شهادة تثبت ذلك إلي مكتب الصحة أو الوحدة الصحية قبل انتهاء الميعاد المحدد، وإذا خالف الشخص المخاطب بهذا الواجب القانوني (174)، فإن المادة 26 من هذا القانون تقضي بمعاقبته بالغرامة التي لا تقل عن عشرين جنيهاً، ولا تزيد علي مائتي جنية (175).

ونفاذاً للقانون المذكور صدر قرار رئيس مجلس الوزراء رقم 3452 لسنة 1997 باللائحة التنفيذية لقانون الطفل، ونظم الفصل الثالث منه تطعيم الطفل وتحصينه ضد الأمراض المعدية، وذلك في المواد من 26 إلي 30 من هذه اللائحة (176).

ولقد أثار موضوع التطعيم الإجباري من قبل جدلاً واسعاً، علي خلفية انتشار بعض الأمراض المعدية التي ظهرت في العالم فأثارت الذعر بين المجتمعات، مما حدا بالسلطات إلي إتباع سياسة التطعيم الإجباري للوقاية من هذه الأمراض كنوع من الضبط الإداري (177)، إلا أن فكرة التطعيم الإجباري منذ نشأتها لم تكن مقبولة لدى

(171) د/ شريف سيد كامل: الحماية الجنائية للأطفال - مرجع سابق - ص 105.

(172) وهذا النص يقابل ما تقضي به المادة الثانية من القانون رقم 137 لسنة 1958 في شأن الاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية المعدل بالقانون رقم 55 لسنة 1979، ولكنه جاء بصورة شاملة لكل الأمراض المعدية.

(173) وفقاً للمادة (27) من هذه اللائحة:

(أ) يجب تقديم الطفل للتطعيم بالطعم الواقي من مرض الدرن قبل اكتمال الشهر الأول من عمره.
(ب) يتم إعطاء الطفل عند بلوغه شهرين من عمره جرعة أولي من طعم شلل الأطفال وجرعة أولي من الطعم الثلاثي أو الرباعي وجرعة أولي من طعم الالتهاب الكبدي الفيروسي ب.

(ج) تعطي للطفل الجرعة الثالثة من الطعوم الثلاثة المذكورة عند بلوغه ستة أشهر .

(د) يعطي الطفل جرعة رابعة من طعم شلل الأطفال وجرعة من طعم الحصبة، عند بلوغه تسعة أشهر .

(هـ) يعطي الطفل جرعة منشطة من طعم شلل الأطفال وأخري منشطة من الطعم الثلاثي، عند بلوغه ثمانية عشر شهراً.

(174) المقصود هنا هو والد الطفل أو من يكون الطفل في حضنته وفقاً لنص المادة 25 من القانون 12 لسنة 1996.

(175) د/ شريف سيد كامل: الحماية الجنائية للأطفال - مرجع سابق - ص 106.

(176) تضمنت هذه المواد وجوب تطعيم الطفل وتحصينه بالطعوم الواقية من الأمراض المعدية، وذلك دون مقابل، بمكاتب الصحة والوحدات الصحية، وفقاً للنظم والمواعيد المبينة. ويقع واجب تقديم الطفل للتطعيم أو التحصين على عاتق والده أو الشخص الذي يكون الطفل في حضنته. ويجوز تطعيم الطفل أو تحصينه بالطعوم الواقية بواسطة طبيب خاص مرخص له بمزاولة المهنة، بشرط أن يقدم من يقع عليه واجب تقديم الطفل للتطعيم أو التحصين شهادة تثبت ذلك إلى مكتب الصحة أو الوحدة الصحية قبل انتهاء الميعاد المحدد.

(177) في مجال وقاية الإنسان من الأمراض المعدية يتم التطعيم والتحصين ضد هذه الأمراض خاصة للأطفال، وكذلك عند الدخول أو الخروج من البلاد، ويمكن الإشارة إلي التشريعات التالية في مجال التطعيم:

القانون رقم 1 لسنة 1926 بشأن مقاومة الملاريا.

القانون رقم 131 لسنة 1946 بشأن مقاومة الجذام.

القانون رقم 123 لسنة 1956 بشأن التحصين ضد الدرن.

القانون رقم 137 لسنة 1958 بشأن الوقاية من الأمراض المعدية.

البعض لانتقادها مبررات الضرورة العلاجية، وشرط الرضا من جهة، ومن جهة أخرى لما يمارس من ممارسات تجارية في عمليات التطعيم، وعدم الثقة في صلاحيتها، ونسوق فيما يلي لمبررات الراضون للتطعيم الإجباري وكذلك لحجج المؤيدون له:

أولاً: مبررات الراضون للتطعيم الإجباري:

بدأ التطعيم الإجباري في الانتشار في بدايات القرن التاسع عشر علي يد الطبيب الإنجليزي إدوارد جينيرز بعد نجاحه في حماية ثلاثة عشر فرداً من مرض الجدري وذلك بحقنهم بسائل (live infectious) مأخوذ من قروح وقشور مصابين بالجدري البقري، تسببت تلك العملية في إحداث مرض الجدري البقري وهو مرض حمي فيروسي خفيف الوطأة، وإعطاء مناعة ضد مرض الجدري، وأطلق إدوارد جينيرز علي المادة التي قام بحقنها (vacca).

وكان التطعيم بالمجان للفقراء وإلزامياً لكل الأطفال في شهور حياتهم الثلاث الأولى، ويعاقب الآباء الذين لا يقومون بتطعيم أبنائهم بالسجن أو بالغرامة.

ويسود الاعتقاد أن معارضة التطعيم الإجباري أمراً مستجداً، وحدث فقط مع ازدياد أعداد التطعيمات التي يتلقاها الفرد الآن، ولكن في الحقيقة بدأت مناهضة فكرة التطعيم الإجباري مع صدور أول قانون للتطعيم في بريطانيا سنة 1840 للتطعيم ضد الجدري، ولم تخب نار تلك المعارضة حتى اليوم، ولم تختلف حجج المعارضون في الماضي عن حججهم اليوم، ويمكن حصر هذه الحجج فيما يلي:

1- العمل الطبي الذي يستند إلي سبب الإباحة لأبد له من توافر شروط معينة فيه حتي ينتج أثره المبيح في نفي الصفة الجنائية عما يتضمنه من أفعال ماسة بسلامة الجسم..... وأبرز هذه الشروط الواجب توافرها في العمل الطبي: رضاء المريض بالعلاج والخضوع لكافة ما يستوجبه الإجراء الطبي من أعمال يتم ممارستها علي جسمه .

ففي النطاق الطبي يعد مبدأ الرضا ذا أهميه كبيرة فالرضاء الصادر من المريض إلي الطبيب المعالج بمثابة التصريح بالمساس بالجسم للعلاج أو لإجراء عملية جراحية ولذلك يلزم القانون الطبيب في الحالات العادية التي لا تدخل في حالة الضرورة، وحالات تحتاج إلي إنقاذ المريض كما لو كانت حالته لا تسمح باتخاذ الموافقة من المريض نظراً لحالته في غير هذه الحالات لا بد من اتخاذ الموافقة المسبقة لإجراء أي عملية تمس بجسم الإنسان، وفي حالة الرفض فلا يجوز القيام بأي إجراء بدون الرضاء (178).

وإذا كان لا يجوز إجبار المريض علي العلاج، إذ أن من حقه قبول العلاج أو رفضه (179)؛ فمن ثم فإن الشخص - ومن باب أولي - يكون حراً في قبول التطعيم أو رفضه .

2 - ومن جهة أخرى فإنه لا بد أن ينطوي العمل الطبي علي قصد الشفاء، وتوافر المصلحة العلاجية حتي يكتسب صفة المشروعية التي تنفي كل مسئولية جنائية عن الطبيب الذي يقوم به (180)، وبالرغم من أن أحداً لم يضع تعريفاً وضابطاً محدداً للمقصود بالمصلحة العلاجية أو قصد الشفاء بوصفه واحداً من أهم شروط مشروعية

(178) د / أسامة عبد الله قايد : المسئولية الجنائية للأطباء - مرجع سابق - ص 107 وما بعدها .

(179) T.GI, Paris, 4 oct. 1995 , D. 1996.28, note JCP. 1996.11.22615, note laude

(180) د/ محمود نجيب حسني: أسباب الإباحة في التشريعات العربية - جامعة الدول العربية - معهد الدراسات العربية العالية 1962 رقم 84 ص 119 .

ذلك العمل - وربما كان هذا السكوت والعزوف من جانب الفقه عن وضع معيار يتحدد بمقتضاه كنه المصلحة العلاجية المنتجة للأثر المبيح في العمل الطبي يبرره أن صور المرض بوجه عام والممارسات الطبية علي وجه الخصوص كانت محددة للغاية حتى وقت قريب بحيث لم تكن ثمة حاجة تدعو إلي الدخول في مثل هذه المسائل الفنية المحضة والتي يعد أهل الخبرة من الأطباء هم أصحاب الرأي فيها دونما نزاع - ورغم هذا القصور في تحديد المقصود بالمصلحة العلاجية من الوجهة القانونية إلا أنه يمكن ومن خلال تحليل التطبيقات التي وضعها واستقر عليها فقه القانون الجنائي للحق في سلامة الجسد أن نتلمس صور المصلحة العلاجية التي تبيح العمل الطبي بما يتضمنه من أفعال ماسة بالجسم لم تكن لتمر مرور الكرام لولا وجود قصد الشفاء والمصلحة العلاجية⁽¹⁸¹⁾.

3 - كما أن الطابع التجاري للطعوم، وغرض تحقيق الربح أدي إلي وجود أزمة ثقة فيها إذ يصعب جداً القطع بيقين أن عمليات تصنيع الطعوم، وتصديرها، واستيرادها قد جاءت جميعها وبكافة مراحلها من أجل الوقاية من الأمراض فقط، وخلوها من وجود المقابل المادي المدفوع إذ ما جدوى مثل هذه الإجراءات للقائمين بها إن لم تعود عليهم بربح مادي وفير⁽¹⁸²⁾.

ثانياً: مبررات المؤيدون للتطعيم الإجباري:

1- ليس هناك ما يؤدي إلي زعزعة الثقة في التطعيم الذي تقوم به السلطات المعنية حيث أنه يقع علي عاتق القائم بعملية التحصين التزام محدد بسلامة الشخص المحصن، إذ ينبغي ألا يؤدي ذلك إلي الإضرار به؛ وهذا يقتضي أن يكون المصل Vaccin سليماً لا يحمل للشخص عدوي مرض من الأمراض وأن يعطي بطريقة صحيحة⁽¹⁸³⁾.

والمقام بعملية التحصين يتمثل في وزارة الصحة بحكم تنظيمها؛ حيث أن من مسئولياتها توفير الوقاية والعلاج، وفقاً للقرار الجمهوري رقم 242 لسنة 1996 بشأن تنظيم وزارة الصحة والسكان الذي يحدد أهداف وزارة الصحة بأنها الحفاظ علي صحة المواطنين عن طرق تقديم الخدمات الصحية الوقائية والعلاجية، والعمل علي تحسين صحة الأفراد، كما يدخل في اختصاصات الوزارة العمل علي توفير الدواء واتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان جودته وفعاليتها⁽¹⁸⁴⁾.

ويكمل جهود وزارة الصحة في توفير الخدمات الصحية الوقائية والعلاجية بعض المؤسسات الطبية التعليمية التابعة للجامعات، وللقوات المسلحة والشرطة وبعض الهيئات الأخرى⁽¹⁸⁵⁾، ويشرف علي تقديم الرعاية الصحية في مصر المجلس الأعلى للرعاية العلاجية التأمينية ومجلس الصحة المسئول عن وضع خطة عامة لضمان العلاج الطبي لجميع المواطنين.

2- يعد التطعيم الإجباري عملاً طبياً يهدف إلي تحصين الأفراد ضد الأمراض المعدية والأوبئة حفاظاً علي

(181) د/ مهند صلاح أحمد: الحماية الجنائية للجسم البشري في ظل الاتجاهات الطبية الحديثة - مرجع سابق - ص 262

(182) د/ نسرین عبد الحمید نبیه : وباء أنفلونزا الخنازير بين وجوب تصدي التشريعات له وآثاره المدمرة علي الاقتصاد العالمي - مرجع سابق - ص 236

(183) د / محمد حسين منصور: المسؤولية الطبية - منشأة المعارف بالإسكندرية ص 168.

(184) القرار منشور في الجريدة الرسمية - العدد 30 بتاريخ 1 أغسطس 1996.

(185) تشارك جهات عامة أخرى في تقديم خدمات الرعاية الصحية المباشرة للمواطنين أبرزها الهيئة العامة للتأمين الصحي، وهيئة المستشفيات التعليمية، والمؤسسة العلاجية، والقطاع الخاص.

الصحة العامة أما عن فعالية المصل أو التحصين فهذا التزام بعناية ينبغي أن يبذل فيه القائم به الجهد واليقظة في اختياره واتفاقه مع الأصول العلمية الحديثة حتى يحصل علي النتيجة المرجوة وهي التحصين ضد الوباء أو المرض المخشي منه وبذلك فإن التطعيم الإجباري لا ينفصل عن العمل الطبي - فإذا كان العمل الطبي البحت يهدف إلي العلاج فإن التطعيم يهدف إلي الحفاظ علي الصحة العامة وتحصين الأفراد ضد الأمراض المعدية والأوبئة (186).

3 - وغالباً ما يكون التحصين إجبارياً، وليس رضائي، وتقوم به الدولة ممثلة في وزارة الصحة لمواجهة وباء ما مما يوجب الإلزام، وهذا ما يجعلها مسئولة عن المضار والحوادث التي قد تنتج عن عملية التحصين أياً كان المكان الذي تجري فيه، إذ أنها المكلفة بضمان سلامة المواطنين في هذا الصدد وهذا الالتزام بتحقيق نتيجة يترتب علي الإخلال به أثاره مسئوليتها، وهذا ما نص عليه القانون الفرنسي صراحة (187). وفي مصر أيضاً تسأل الدولة باعتبارها متبوعة عن الأخطاء الصادرة من تابعيها فالقائمين بعمليات التطعيم الإجباري هم دائماً من العاملين لدي وزارة الصحة (188).

المبحث الثاني

أساليب الحماية الجنائية للوقاية من الأوبئة بتدابير فردية

صدرت بعض التشريعات كطول وقائية فردية لمواجهة نقل العدوى، وذلك بالتوسع في التجريم الوقائي بصورة فردية، ويمكن أن نرصد هذه التشريعات في عزل المريض بمرضٍ معدٍ، وكذلك في إجراءات التعامل مع موتى الأوبئة، والإلزام بإرتداء الكمامات الواقية، وذلك علي التفصيل الآتي: -

المطلب الأول

عزل المريض بمرضٍ معدٍ

اعتنق المشرع المصري فكرة التحفظ علي المرضى بمرضٍ معدٍ (189) وعزلهم عن المجتمع، وذلك في عدة حالات كسياسة لمواجهة الأمراض المعدية والوقاية منها، ويتم ذلك عن طريق فصل المرضى عن غيرهم، عدا موظفي الصحة القائمين بالعلاج، بطريقة تمنع انتشار العدوى حتى تمام شفائهم (190).

(186) د/ أسامة أحمد بدر: ضمان مخاطر المنتجات الطبية - دراسة مقارنة - دار الكتب القانونية ص 268.

(187) L.75-401,25 mai 1975

(188) د/ محمد حسين منصور: المرجع السابق ص 169.

(189) وهو ما يتوافق مع الرأي الشرعي والقرارات الدولية ومن ذلك ما جاء في قرار المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالاشتراك مع مجمع الفقه الإسلامي ومنظمة الصحة العالمية ووزارة الصحة الكويتية: حيث جاء فيه ما نصه (تؤكد المعلومات الطبية المتوافرة حالياً أن العدوى بفيروس الإيدز لا تحدث عن طريق المعاشية أو الملامسة أو التنفس أو الحشرات في الأكل أو الشرب أو المراحيض أو حمامات السباحة أو المقاعد وأدوات الطعام وغير ذلك من أوجه المعاشية في الحياة العادية)

(190) المادة الأولى من القانون رقم 44 لسنة 1955 الخاص بإجراءات الحجر الصحي.

ومنهج المشرع المصري في شأن العزل قد تدرج من حيث الوجوب والجواز، فيكون العزل وجوبياً وفي أماكن محددة ومخصصة لذلك في حالات معينة، كما ورد في نص الماد 16 من القانون رقم 137 لسنة 1958 بشأن الاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية المعدل بالقانون رقم 55 لسنة 1979 ، وقد يكون العزل جوازياً، فيتم في منزل المريض، كما جاء بالمادة 17 من ذات القانون (191).

ويكون العزل بتخصيص أماكن خاصة لتجميع المرضى بمرضٍ معدٍ خطير في أماكن تخصص لهم كمستعمرات منزلة ، وقد يكون في المستشفى أو في وحدة الرعاية الصحية، أو تخصيص أماكن في المرافق العامة لهؤلاء المرضى، مثل تخصيص أماكن في المدارس، أو وسائل النقل، أو في الحدائق العامة، أو في الأماكن التي تمارس فيها الأنشطة الاجتماعية، والرياضية والثقافية (192) ، وقد يكون العزل في منزل المريض ذاته .
ونسوق فيما يلي تأصيل لفكرة العزل، ثم الحد منه وتقييده وذلك في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول

التأصيل القانوني لفكرة عزل المريض بمرضٍ معدٍ

تستند فكرة التحفظ علي المريض، وعزله عن الأصحاء إلي القانون لمواجهة الأمراض المعدية والوقاية منها، ونشير إلي أن العزل هنا أو التحفظ علي المريض لا يمثل عقوبة عليه بقدر ما هو حماية له ولغيره ؛ لذلك فقد وردت فكرة التحفظ علي المريض وعزله في القانون رقم 131 لسنة 1946 بشأن مكافحة الجذام - والذي أعطي للسلطات الصحية سلطة واسعة في مقاومة هذا المرض حيث أجاز لهذه السلطات سلطة الكشف الطبي الجبري علي كل من يشتبه فيه بالإصابة بمرض الجذام، وكذلك سلطة التحفظ علي المريض بهذا الوباء، وأيضاً عزله، وقد صدر قرار وزير الصحة العمومية محدداً كيفية تقرير عزل المصابين بمرض الجذام (193).

(191) راجع د/ الغريب إبراهيم محمد الرفاعي : دفع الضرر العام بإثبات الضرر الخاص - دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون - دار الكتب القانونية - سنة 2011 - ص 104.

(192) تجيز المادة 2/28 من قانون الحجر الصحي عزل الشخص المشتبه في إصابته بأحد الأمراض الموجبة للعزل إذا رأت السلطات الصحية أن هناك خطراً بالغا من انتقال العدوى منه ، وكذلك تجيز المادة العاشرة من القانون رقم 137 لسنة 1958 في شأن الاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية هذا العزل - وفي ولاية تكساس في سنة 1987 صدر تشريع يسمح بعزل الأشخاص الذين يحملون فيروس مرض الإيدز .

(193) تنص المادة الأولى من القانون رقم 131 لسنة 1946 بشأن مكافحة الجذام علي أنه: "لوزير الصحة العمومية بقرار يصدره أن يأمر بإجراء الكشف الطبي علي الأفراد والجماعات للوصول إلي حصر المصابين بمرض الجذام " كما تنص المادة الثالثة من ذات القانون علي أنه: " للسلطة الصحية إذا اشتبهت في إصابة شخص بمرض الجذام أن تكلفه الحضور للكشف الطبي في المكان والميعاد اللذين تحددهما له فإذا لم يحضر جاز إحضاره بواسطة البوليس وبناء علي أمر كتابي من الطبيب المختص " كما تنص المادة العاشرة من ذات القانون علي أنه: " يجب أن يكون علاج المصاب بالجذام إجبارياً ولو لم يكن المصاب به معزولاً طبقاً للنظام الذي يضعه وزير الصحة العمومية بقرار منه فإذا انقطع المصاب غير المعزول عن العلاج ترفع السلطة الصحية أمره إلي اللجنة المنصوص عليها في المادة (5) لتقرير عزله أن كان في انقطاعه عن العلاج ما يعرض الغير لخطر العدوى وذلك بغير إخلال بالعقوبات المنصوص عليها في هذا القانون " وتنص المادة الرابعة من القانون المذكور علي أنه: " إذا ثبت من الكشف الطبي علي شخص أنه مصاب بمرض الجذام تحفظ السلطة عليه وترفع أمره إلي اللجنة المنصوص عليها في المادة (5) في مدي 24 ساعة من تاريخ الكشف وإلي أن يصدر قرار اللجنة لا يجوز للمريض أن ينتقل من المحل الذي يقيم فيه إلي محل آخر إلا بتصريح خاص من السلطة الصحية، ولهذه السلطة أن تتخذ جميع الاحتياطات اللازمة لمنع انتقال العدوى ومنها تطهير مساكن الأشخاص الذين تثبت إصابتهم بمرض الجذام وأماكن عملهم وملابسهم ومفروشاتهم أما إذا اقتضت الضرورة إعدام الملابس والمفروشات فيجب التحفظ عليها لحين أخذ موافقة الوزارة علي ذلك، كذلك يكون لها الحق في عزل المصاب مؤقتاً إلي أن تتخذ الإجراءات اللازمة لعزله نهائياً " وتنص المادة الخامسة من ذات القانون علي أنه: " كل من تثبت إصابته بمرض الجذام يعزل ويصدر بعزله أمر من لجنة مؤلفة من ثلاثة أطباء أخصائيين يعينون بقرار من وزير الصحة العمومية "

وبمقتضى ذلك يتم حالياً عزل مرضى الجذام في مستعمرات معزولة، مثل مستعمرة العامرية، ومستعمرة قنا، ومستعمرة أبو زعبل الكائنة في منطقة أبو زعبل التي تم إنشائها منذ عام 1933 بمنطقة أبو زعبل بمحافظة القليوبية .

وأيضاً تضمن قانون الأمراض المعدية رقم 137 لسنة 1958 المعدل بالقانون رقم 55 لسنة 1979 النص علي جواز عزل المرضى أو المشتبه في إصابتهم بأحد أمراض القسامين الثاني والثالث، ويتم العزل بالنسبة لأمراض القسم الثاني في منزل المريض أو في الأماكن التي تخصص لهذا الغرض متي توافرت فيها الشروط التي تقرها السلطات الصحية، وبالنسبة إلي أمراض القسم الثالث فيترك للمريض اختيار مكان العزل ما لم تقرر هذه السلطات ضرورة عزله في مكان آخر (194).

كما تضمنت المادة 18 من ذات القانون جواز العلاج عن طريق المؤسسات الأهلية المرخص لها في ذلك، وأن تقبل علاج المرضى بأحد الأمراض الواردة في القسامين الثاني والثالث إذا خصصت لهذا الغرض قسماً مستقلاً عن باقي أقسامها، ويحدد وزير الصحة العمومية بقرار منه الاشتراطات الواجب توافرها في تلك المؤسسات للترخيص لها بذلك، وفي جميع الأحوال التي يتم فيها العزل خارج المعازل الحكومية يجب أتباع التعليمات التي تصدرها السلطات الصحية في هذا الشأن (195).

كما تضمنت المادة 19 من القانون سالف الذكر علي أن للسلطات الصحية المختصة أن تراقب الأشخاص الذين خالطوا المريض، وذلك خلال المدة التي تقرها، ولها أن تعزل مخالطي المصابين بالكوليرا أو الطاعون الرئوي أو الجمرة الخبيثة الرئوية في الأماكن التي تخصصها لذلك، ولها أن تعزل المخالطين المصابين بأمراض أخرى إذا امتنعوا عن تنفيذ إجراءات المراقبة علي الوجه الذي يحدده (196).

وبالنسبة للأجنبي الذي يثبت حملة للفيروس، وانتظاراً لإتمام إجراءات ترحيله تجيز المادة (17) من القانون سالف الذكر عزل الأجنبي المصاب سواء في منزله، أو في الأماكن التي تخصص لهذا الغرض متي توافرت الشروط التي تقرها السلطات الصحية (197) ، فإذا لم يوجد المكان المناسب لعزل الأجنبي سلم لسفارة دولته التي تلتزم بمراقبته إلي حين مغادرته للبلاد (198).

كما طبقت سياسة العزل علي المصاب المسجون حيث توجب المادة 47 من قانون تنظيم السجون رقم 396 لسنة 1956 علي مدير أو مأمور السجن إخطار الإدارة الطبية بمصلحة السجون ومفتش صحة الجهة عند إصابة مسجون بمرضٍ معدٍ أو الاشتباه في ذلك، كما تقرر المادة 49 من القانون ذاته وجوب عزل المسجون بأمراض معدية عن باقي المسجونين، ويعد ذلك تماشياً مع ما هو معمول به دولياً (199).

كما توجب المادة 46 من ذات القانون وضع المسجون عند إيداعه بالسجن تحت الاختبار الصحي مدة عشرة أيام

(194) د/ فتوح عبد الله الشاذلي: أبحاث في القانون والإيدز - مرجع سابق - ص 55 .

(195) د/ الغريب إبراهيم محمد الرفاعي : دفع الضرر العام بإقتبات الضرر الخاص - دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون - دار الكتب القانونية - ص 85.

(196) د/ فتوح عبد الله الشاذلي: أبحاث في القانون والإيدز - مرجع سابق - ص 55.

(197) د/ أحمد محمد لطفي أحمد: الإيدز وآثاره الشرعية والقانونية - مرجع سابق - ص 190.

(198) د/ فتوح عبد الله الشاذلي: أبحاث في القانون والإيدز - مرجع سابق - ص 55.

(199) J-rgens.R , HIV/AIDS in prisons: final report , Montreal, Canada HIV / AIDS legalnetwork , Canadian Aids Society , 1996 , pp. 81 -88 (Responsibility of prison systems).

يجري خلالها الفحص الطبي له، ولا يسمح له بالاختلاط بغيره من المسجونين ولا أداء العمل ولا الزيارة من الخارج⁽²⁰⁰⁾.

ويذكر أن المرضى بمرضٍ معدٍ ليسوا هم وحدهم من يمارس عليهم العزل فقد تقرر ذلك من قبل في القانون رقم 141 لسنة 1944 بشأن حجز المصابين بأمراض عقلية - فأجاز حجز المصاب في قواه العقلية إذا كان من شأن هذا المرض أن يخل بالأمن أو النظام العام أو يخشى منه علي سلامة المريض أو سلامة الغير⁽²⁰¹⁾. وأوجب هذا القانون علي طبيب الصحة إذا رأي شخصاً مصاباً بمرضٍ عقلي..... أن يأمر بحجزه بواسطة البوليس⁽²⁰²⁾.

إلا أنه يجدر القول أن العزل المقصود في المواضع السابقة يكون بغرض توفير نوع من الرعاية ولا يقتصر علي تقديم العلاج، بل يتضمن دعماً معنوياً واجتماعياً للمريض ولأسرته يتم توفيره عن طريق المتخصصين⁽²⁰³⁾.

الفرع الثاني

تقييد فكرة عزل المريض بمرضٍ معدٍ

إن فكرة عزل المريض بمرضٍ معدٍ هي فكرة مقيدة بضوابط وشروط ولا يجب التوسع فيها، فالعزل وعدمه يتوقف علي نوع المرض المعدي ومدى خطورته، فليس كل الأمراض المعدية الواردة في الجدول الملحق بالقانون رقم 137 لسنة 1958 وتعديلاته من الخطورة بمكان بحيث تستدعي عزل المريض، فليس من المستساغ معاملة مريض الإيدز كمريض البرد أو الزكام أو السعال⁽²⁰⁴⁾.

ومن جهة أخرى فإن تقرير أمر العزل والبت فيه لا ينبغي أن يكون بيد القانونيين وحدهم، أو الأطباء وحدهم⁽²⁰⁵⁾؛ فالفئة الأولى لا تستطيع تقدير مدى خطورة المرض، أو كيفية انتقاله، والفئة الثانية أيضاً لم تحسم هذه القضية بعد، ناهيك عما في الموضوع من أبعاد قانونية شائكة؛ لذلك يلزم تضافر الجهود لاستظهار ما شاب الأمر من غموض⁽²⁰⁶⁾.

وإذا قلنا بوجود العزل بالنسبة للمصابين بأمراض معينة مثل كورونا المستجد و الإيدز، وعدم وجوبه بالنسبة للمصابين بأمراض أخرى (مثل مرضي السعال الديكي) وذلك علي حسب خطورة المرض المعدي، فإنه يجب مراعاة بعض الضمانات والتي تتمثل في ضرورة توفير العناية الطبية اللازمة، والإمكانات العالية في مكان

(200) د/ فتوح عبد الله الشاذلي: أبحاث في القانون والإيدز - مرجع سابق - ص 55.

(201) المادة الرابعة من القانون 141 لسنة 1944 بشأن حجز المصابين بأمراض عقلية.

(202) المادة الخامسة من ذات القانون.

(203) راجع الدراسة الميدانية لحالات مصابة بالإيدز -د/ محمد حسن غانم؛ سيكولوجية مرضي الإيدز - ط1 القاهرة -دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

2008 - ص 187.

(204) تنظم المادتان 16، و17 من القانون رقم 137 لسنة 1958 بشأن الاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية المعدل بالقانون 55 لسنة 1979

العزل الوجوبي، والعزل الجوازي علي حسب نوع المرض المعدي، فيكون وجوباً بالنسبة لأمراض القسم الأول، وجوازيماً بالنسبة لأمراض القسم الثاني والثالث.

(205) د / أحمد محمد لطفي: الإيدز وأثاره الشرعية والقانونية - مرجع سابق - ص 195.

(206) يجب أن يشارك في تقرير عزل المريض بمرضٍ معدٍ أخصائي نفسي، وأخصائي اجتماعي لتحديد مدى ملائمة العزل من عدمه .

العزل، كما يلزم توفير الدعم النفسي، والرعاية الاجتماعية للمريض لعدم تقاوم الخطورة، كما يجب حصر نطاق المرض في الشخص المعزول، وعدم انتقاله للمقربين منه مثل زوجته أو أقربائه الذين يمكن عزلهم عزلاً منزلياً . وبالرغم من أن العزل الوارد في المواضع سالفة الذكر هو مجرد إيداع حاملي المرض، أو المصابين به في مراكز متخصصة لتوفير قدر من الرعاية الصحية والدعم المعنوي لهم، إلي جانب ضمان تحييد خطر انتقال العدوى أو تخصيص أماكن خاصة لهم، إلا أن هذا الإجراء قد يتعارض مع نص المادة 54 من الدستور المصري الصادر في 2014 والتي تقرر أن " الحرية الشخصية حق طبيعي، وهي مصونة لا تمس، وفيما عدا حالة التلبس بالجريمة لا يجوز القبض على أحد، أو تفتيشه، أو حبسه، أو تقييد حريته بأي قيد، إلا بأمر قضائي مسبب يستلزمه التحقيق.... " (207).

كما تنص المادة 62 من دستور 2014 علي أنه: " حرية التنقل، والإقامة، والهجرة مكفولة، ولا يجوز إبعاد أي مواطن عن إقليم الدولة، ولا منعه من العودة إليه، ولا يكون منعه من مغادرة إقليم الدولة أو فرض الإقامة الجبرية عليه، أو حظر الإقامة في جهة معينة عليه إلا بأمر قضائي مسبب ولمدة محددة، وفي الأحوال المبينة في القانون"

وواضح مما سبق أنه لا يجوز حبس أي إنسان أو تقييد حريته إلا إذا كان قد ارتكب جريمة وكانت ضرورة التحقيق في هذه الجريمة تستلزم هذا التقييد (208)، فإذا كان أمر تقييد حرية الإنسان لا يكون إلا عند ارتكابه جريمة، فمن ثم فإن عزل المريض بمرض معدٍ انتقاء العدوى، يعد اعتداء علي الحق في الحرية (209).

ولذلك يجب أن يكون العزل مقيداً بكون المرض شديد الخطورة مثل مرض كوفيد 19 أو الجذام أو مرض الإيدز، فلا يعزل المصاب بالسعال الديكي أو الأنفلونزا، فمناطق العزل أن يكون هذا المرض من الأمراض التي تهدد الصحة العامة بصورة خطيرة ، فمن ثم يكون هذا الإجراء ضرورياً لحماية المجتمع من مخاطر العدوى ، فلا يتخذ من المرض سبباً لتقييد حرية الفرد؛ والتي هي في جوهرها التزام السلطة بغل يدها عن التعرض للشخص المريض في بعض نواحي أنشطته المادية والمعنوية (210).

ولقد استقرت أحكام محكمة القضاء الإداري المصرية علي أنه: " الحرية الشخصية حق مقرر للفرد لا يجوز الحد منه أو انتقاصه إلا لمصلحة عامة في حدود القوانين واللوائح المنظمة لهذا الحق، ولما كان حق التنقل هو فرع

(207) راجع أيضاً نص المادة 54 من دستور 2014، وكذلك - راجع د/ أحمد فتحي سرور: الوسيط في قانون الإجراءات الجنائية- مرجع سابق - ص 56 حيث يري سيادته أن كل إجراء جنائي يسمح به القانون يجب أن يكون مقيداً بالضمانات القانونية درءً لخطر التحكم في مباشرته وإلا كان مخالفاً لقرينة البراءة .

(208) يري البعض أنه إذا لم تكن هناك جريمة فلا يوقع تدبير سالب للحرية أو مقيد لها مع الاحتفاظ بأخذ تعهد بكفالة أو بغير كفالة لعدم مساسه بالحرية وعلي أي حال إذا أخذت الدولة بأي تدبير منعي يجب النص قانوناً عليه ؛ لأنه لا تدبير إلا بنص - راجع د / محمد محمد مصباح القاضي: الحماية الجنائية للحرية الشخصية.... - مرجع سابق - ص 21.

(2) Foutouh El Chazli : le sida au regard du droit égyptien , in droit et sida , comparais on internationale , C N R S - Op.Cit , 1994,P .158.

(210) د/ محسن العبودي: الحريات الاجتماعية بين النظم المعاصرة والفكر السياسي الإسلامي، دراسة منشورة في حقوق الإنسان، إعداد الدكتور محمود شريف بسيوني، الدكتور محمد السعيد الدقاق، الدكتور عبد العظيم وزير، المجلد الثالث - دراسة تطبيقية عن العالم العربي 1989 ص 68

من الحرية الشخصية فإنه لا يجوز مصادرتة بغير علة ولا مناهضته دون مسوغ أو تقييد بلا مقتض (211). ولقد قرر المجلس الدستوري الفرنسي لحرية الذهاب والإياب قيمة دستورية، واعتبرها من الحريات الأساسية التي تدخل في نطاق الحرية الشخصية ، وبقراره الصادر في 4 مايو سنة 1988 أكد المبدأ الذي أنتهجه بصدد هذه التجربة إذ الغي القرار الصادر من الإدارة برفض تجديد جواز سفر أحد الموظفين مقررًا أنه: " لا يجوز وضع قيود علي حرية التنقل سوي القيود المنصوص عليها في القانون والتي تشكل التدابير الضرورية في المجتمع الديمقراطي لصيانة أمن الوطن وحفظ النظام العام ومنع الجرائم وحماية الصحة والأخلاق والقانون وحماية حريات الآخرين" (212).

أما الفقه الإسلامي فقد اقر للأفراد الحق في حرية الانتقال، إلا أن ممارسة هذا الحق يجب أن تكون في الحدود المرسومة له، والأصل أن لهذا الحق مجال واسع فلم يُقيد الفقه الإسلامي ممارسته إلا في أضيق الحدود، والقيود التي قررها الفقه الإسلامي علي هذا الحق تلتقي مع الأصول العامة في السياسة الشرعية الإسلامية، إذ تهدف في النهاية إلي تحقيق منفعة، أو درء أذي، ومن أمثلة ذلك تقييد حرية الانتقال بسبب انتشار مرضٍ معدٍ، ولا يوجد قيد علي حق الإنسان في الغدو والرواح داخل البلاد طالما توافق ذلك مع السياسة الشرعية التي ينتهجها الفقه الإسلامي (213).

المطلب الثاني

التعامل مع موتى الأوبئة

لا يمر وباء إلا ويكون له ضحايا كثيرة وجثث يلزم التعامل معها ، فالميت علي إثر الإصابة بالوباء يلزمه تجهيز كالغسل والتكفين والدفن ، إلا أن موتى الأوبئة ليسوا كغيرهم ، فبمجرد الإصابة بالوباء يتحول المصاب إلي مصدر رعب للآخرين فينفضون من حوله ويهربوا ، وإذا مات يتكونه وكأن يد الموت تمتد إليهم من جسده المسجي ، ولا يهتمون بغسل ولا تكفين ولا صلاة ولا دفن . ولأن كل هذه الإجراءات من الأهمية بمكان، فقد تكفلت منظمة الصحة العالمية بتنظيمها وبيان التعامل بموجبها (214) ، وفيما يلي نعرض لهذه الإجراءات :

أولاً : تغسيل الميت بالوباء وتكفينه :-

قامت منظمة الصحة العالمية بوضع بعض الإجراءات فيما يخص غسل الميت بسبب وباء ، فيجب أن يتخذ المغسلين الاحتياطات والتدابير الوقائية الصارمة لإتمام الغسل بدون ضرر ، ويضع وزير الصحة بقرار منه القواعد والإجراءات الصحية التي تخضع لها حالات الوفاة الناتجة عن الإصابة بالأمراض المعدية الوبائية التي يحددها، بما في ذلك الاشتراطات الخاصة بتصريح الدفن، ومكانه، وإتمام غسل المتوفى وتكفينه والصلاة عليه

(211) حكم رقم 3551 لسنة 7 ق قضاء إداري جلسة 1954/12/28 منشور في مؤلف د/ نعيم عطية: المنع من السفر - مرجع سابق - ص 5 وما بعدها - وكذلك حكم المحكمة الإدارية العليا في الطعن رقم 3316 لسنة 49 ق عليا جلسة 2007/3/24 الدائرة الأولى عليا "

(212) leclercq , no. 309,p. 191.

(213) د/ صبحي عبده سعيد: السلطة والحرية في النظام الإسلامي - دراسة مقارنة - الناشر دار الفكر العربي 1982 ص 134.

(214) راجع اللوائح الصحية الدولية لسنة 2005 الخاصة بمنظمة الصحة العالمية .

وغير ذلك من الطقوس الدينية المتبعة لدفن الموتى ، و يتم الدفن في هذه الحالة تحت إشراف السلطات الصحية المختصة ، ويمكن أن يتم ذلك وفقاً لما يلي :-

أولاً :- يجب إبلاغ أجهزة الخدمات الوقائية والطب الوقائي عند حدوث الوفاة .

ثانياً :- لا يجوز غسل الميت بسبب الوباء بمعرفة ذويه إلا إذا كانت لديهم الإمكانيات لذلك .

ثالثاً :- أن يتم الغسل للميت بمرض وبائي بوضعه في حمام مائي مطهر بدون لمس أو تدليك ، من قبل المغسلين ، فيجوز تغسيل الموتى بسبب الوباء وتكفينهم بدون اللمس المباشر، عن طريق رش الماء عن بُعد ، وإن تعذر ذلك يسقط وجوب الغسل .

رابعاً :- يجب أن يكون الغسل في مكان مغلق ومستقل ومجهز لهذه العملية ، ويطهر بالمواد المطهرة قبل وبعد عملية الغسل ، ويجوز غسل موتي الأوبئة بأجهزة التحكم عن بعد ، والتي تجمع بين الوفاء بشروط وسنن غسل الموتى في الشريعة الإسلامية ، وبين الإشتراطات الصحية والبيئية اللازمة .

خامساً :- يجب التخلص من كل الأدوات المستخدمة في عملية الغسل بعد تمام الغسل ، عن طريق الحرق أو الدفن ، ويفضل استخدام الأدوات ذات الاستخدام الواحد ولمرة واحدة .

سادساً :- علي القائمين بعملية الغسل ارتداء البدل والكمادات والقفازات التي تمنع نفاذ أي شيء إليهم أثناء عملية الغسل .

سابعاً :- التكفين في ثلاث أثواب يلف بها الميت وفقاً للشرع ، وتسد كل منافذه بالقطن أو القماش لمنع تسرب ما به من سوائل .

ثانياً : دفن موتي الأوبئة :

بداية لا يجوز بأي حال من الأحوال منع أو الإمتناع عن دفن جثة أي ميت ، ولكن بشرط إتخاذ الإجراءات الوقائية اللازمة (215) .

ولقد وضعت منظمة الصحة العالمية مجموعة من الإحتياجات الصحية الوقائية التي يلزم إتخاذها عند دفن الموتى المتأثرين بالأوبئة ، ونهيب بالمشرع المصري للتدخل لتنظيم ذلك وتعديل القانون 137 لسنة 1958 للوقاية من نقل العدوي بما يتناسب مع التقاليد والأعراف المصرية في شأن دفن الموتى ، لأن هذه الإجراءات تهدف إلي حماية المجتمع من انتشار العدوي ، وهذه الإجراءات تتمثل فيما يلي :-

أولاً :- يتم الدفن بمعرفة السلطات الصحية المختصة ، و لا يجوز دفن الجثة من قبل ذويها ، وإن كان يسمح لهم بحضور مراسم الدفن .

ثانياً :- تدفن الجثة بمعرفة الطب الوقائي وشعبة الأوبئة بالإدارة الصحية المختصة ، بالتعاون مع الوحدات المحلية والإدارية بالمحافظة .

ثالثاً :- لا يجوز نقل الجثة خارج المنطقة التي تمت فيها الوفاة ، ويتم الدفن في المقبرة المخصصة لذلك داخل نطاق المدينة التي حدثت فيها الوفاة .

رابعاً :- يتم التجهيز للجثة عن طريق متخصصين متخذين للإحتياطات الصحية الصارمة ، ويتم سد منافذ

(215) ما زلنا نجد الدعوة للمشرع للتدخل التشريعي وتنظيم أمر تجهيز موتي الأوبئة ودفنهم ، لأن الوقائع الحديثة أظهرت القصور التشريعي في هذا الأمر حينما أعترض أهالي علي دفن موتي الأوبئة في مقابر البلد .

الجثة كافة لمنع تسرب الإفرازات منها ، ولف الجثة بقماش مشبع بمحلول الفورمالين ، ويكون القماش من ثلاث طبقات.

خامساً :- توضع الجثة في تابوت معدني في توضع في قاعدته طبقة من مادة الفحم أو نشارة الخشب مضافاً إليها مادة الفورمالين المطهرة وتسد جنبات التابوت وفتحاته باللحام.

سادساً :- يوضع التابوت المعدني داخل صندوق خشبي سمكه 2 سم وجوانبه غير قابلة لنفوذ السوائل ، ويحكم غلقه بالمسامير .

سابعاً :- يتم دفن الميت في قبر يحفر بعمق مترين تحت الأرض مع إضافة المواد المطهرة إلي قاع القبر وإلي التراب الذي يغطي به التابوت .

ثامناً :- يكون الدفن بحضور وإشراف السلطات الصحية بالتعاون مع السلطات الإدارية ويحرر محضر بذلك ، وتسلم شهادة الوفاة إلي ذوي المتوفي بعد إنتهاء إجراءات الدفن .

تاسعاً:- لا يجوز نقل جثة المتوفي إلا بعد إنقضاء سنتين من تاريخ الدفن ، وبعد الحصول علي تصريح بذلك من السلطات الصحية المختصة .

ويلزم في حالة تفشي الأوبئة التعامل مع نقل الجنازات وتجهيزها بكل حرص ، واتخاذ كافة الوسائل الاحترازية ، فيكون دخول الجناز إلى البلاد بغية دفنها فيها أو المرور منه حسب الشروط التالية:

أ - أن يكون دخول الجنازة أو مرورها عن طريق المنافذ الرسمية الحدودية للبلاد سواء كانت بحرية أو جوية أو برية والتي تعينها الجهات الصحية المختصة .

ب - أن يكون برفقة الجنازة شهادة وفاة وإجازة نقل متضمنة أسم ولقب وسن المتوفى ومحل وتاريخ وسبب الوفاة صادرة من الجهة الصحية المختصة في محل الوفاة أو محل الدفن في حالة فتح القبر وإخراج الجثة، ومحررة بلغة البلد الذي صدرت منه أو بإحدى اللغات العربية أو الانجليزية أو الفرنسية على أن تصدق من قبل السفارة المصرية أو من يقوم مقامها في البلد المنقولة منه الجنازة.

ج - أن توضع الجثة في تابوت معدني سبق تغطية قاعة بطبقة سمكها خمسة سنتمترات من مادة ماصة كالفحم النباتي أو نشارة الخشب أو مسحوق الفحم مضافاً إليها مادة مطهرة.

د - يجب أن تلف الجثة بقماش مشبع بمحلول مطهر ويقلل التابوت المعدني إقفالاً محكماً بواسطة اللحام ويوضع داخل صندوق خشبي ويثبت بصورة محكمة ويكون سمك هذا الصندوق الخشبي سنتمترين وتكون جوانبه غير قابلة لنفوذ السوائل منها ويحكم إقفاله بواسطة مسامير لولبية.

هـ - لا يجوز نقل جثة الشخص المتوفي بسبب أحد الأمراض الوبائية إلا بعد انقضاء سنتين من تاريخ الدفن، وبشرط الحصول على إجازة خاصة من الجهة الصحية المختصة .

المطلب الثالث

الإلتزام بإرتداء الكمامات الواقية

لم يكن - حتي عهد قريب - يوجد أي إلتزام قانوني يحتم علي الأشخاص إرتداء الكمامات الطبية لمنع

انتشار الأوبئة والأمراض المعدية التي تنتقل عن طريق الجهاز التنفسي والرذاذ حال العطس أو السعال أو التحدث عن قرب ، حتى صدر قرار رئيس مجلس الوزراء في مصر برقم 1069 لسنة 2020 بتاريخ 2020/5/19 والذي تضمن في مادته الحادية عشرة أنه : " يلتزم العاملون والمترددون علي جميع الأسواق أو المحلات أو المنشآت الحكومية أو المنشآت الخاصة أو البنوك أو أثناء التواجد بجميع وسائل النقل الجماعية سواء العامة أو الخاصة بإرتداء الكمامات الواقية وذلك لحين صدور إشعار آخر "

ولقد رتب القرار علي مخالفة هذا الإلتزام عقوبة قاسية ، حيث نص القرار في مادته الرابعة عشرة على أنه مع عدم الإخلال بأي عقوبة أشد تنص عليها القوانين المعمول بها، يُعاقب كل من يخالف حكم المادة الحادية عشرة من هذا القرار بغرامة لا تجاوز أربعة آلاف جنيه، ويُعاقب كل من يخالف باقي أحكام هذا القرار بالحبس وبغرامة لا تجاوز أربعة آلاف جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين "

ويستند القرار إلي القانون رقم 162 لسنة 1958 بشأن قانون الطوارئ، والذي منح الحق لرئيس الجمهورية أو من يفوضه بفرض عدة تدابير لاحتواء الأزمات الكبرى مثل انتشار الأوبئة ومنها فيروس كورونا ، وتتمثل التدابير الاحترازية والأوامر التي منحها القانون لرئيس الجمهورية أو من يفوضه متى أعلنت حالة الطوارئ في فرض إرتداء الكمامات .

ولا شك أن أجواء الخوف والرعب من تفشي الوباء قد دفع التشريعات المختلفة إلي فرض المزيد من الإحتياطات والتدابير الوقائية لمنع انتشار العدوي ، ولقد سهل الفرع الذي يخلقه الوباء لتقبل الناس لكل هذه القيود ودفعمهم للتخلي طوعاً عن بعض حرياتهم من أجل الحفاظ علي صحتهم والحرص علي حياتهم⁽²¹⁶⁾ .

ويتضح مما سبق أن مجال تطبيق القرار من حيث المكان يسري علي جميع الأماكن العامة بدون استثناء بما فيها الشوارع العامة والطرق الخاصة ، وجميع الأسواق أو المحلات أو المنشآت الحكومية أو المنشآت الخاصة أو البنوك أو أثناء التواجد بجميع وسائل النقل الجماعية سواء العامة أو الخاصة، ولا يسري هذا القرار علي المكاتب الخاصة أو داخل المنازل .

ومن حيث الأشخاص فإن هذا القرار يخاطب به جميع الأشخاص دون التقيد بجنس أو بسن معين، فيسري علي الأطفال بهدف الحفاظ علي صحتهم، وإن كانت المسؤولية الجنائية لا تنعقد بالنسبة لهم في حالة مخالفة القرار بسبب صغر السن⁽²¹⁷⁾، ومن حيث الزمان فإن القرار يسري في أي وقت ليلاً أو نهاراً ، طالما ظل هذا القرار سارياً .

ولقد لقي قيد إرتداء الكمامات الطبية سنده العلمي في الأدلة الصحية والدعم الواقعي الذي يؤيد إرتداء الكمامات الطبية سواء كان الفرد سليم صحياً ، أو مصاباً بالمرض ؛ لأن في ذلك حماية للصحة العامة من زيادة تفشي الوباء

⁽²¹⁶⁾مستشار د / محمد جبريل إبراهيم : الحماية الجنائية للوقاية من الأمراض المعدية -دراسة مقارنة -دار النهضة العربية 2020 - ص 124 .

⁽²¹⁷⁾يعتبر صغر السن من أحد أسباب امتناع المسؤولية الجنائية في القانون المصري ، وعلة ذلك أن الشخص في السنوات الأولى من عمره لا يكتمل إدراكه ونموه العقلي فهو غير كامل الأهلية التي تسمح له بتفهم ما هي أفعاله والنتائج المترتبة عليها .

المبحث الرابع

العقاب المقرر في القانون الوضعي لمخالفة التدابير الوقائية

المفترض في التشريعات أنها تواكب التطورات في المجتمع، والواضح من خلال استطلاع القوانين والقرارات المتعلقة بالأمراض المعدية أن معظمها قد وضع منذ أكثر من قرن أو نصف قرن من الزمان، فأصبحت العقوبات المقررة بموجبها غير مناسبة (218).

فقد صدر القانون رقم 15 لسنة 1912 بشأن الاحتياطات الصحية من الأمراض المعدية وذلك لمواجهة انتشار بعض الأمراض المعدية والتي كان من أهمها الطاعون في عام 1912.

كما صدر القانون رقم 10 لسنة 1917 بشأن الاحتياطات التي يعمل بها للوقاية من الكوليرا - والقانون رقم 21 لسنة 1920 المعدل بالقانون رقم 18 لسنة 1928 بشأن طلب فرش الحلاقة إلى الإقليم المصري.

والقانون رقم 10 لسنة 1931 بشأن التطعيم باللقاح الواقي من الأمراض المعدية والقانون رقم 44 لسنة 1947 بشأن تداول التطعيم باللقاح الواقي من مرض الكوليرا والقانون رقم 149 لسنة 1947 بشأن القيود الواجبة الإلتزام للوقاية من الكوليرا والقانون رقم 953 لسنة 1947 باتخاذ تدابير للمحافظة علي الصحة العامة عند ظهور وباء الطاعون أو الكوليرا (219).

ومن قبل ذلك صدر الأمر العالي في 31 يناير 1889 بشأن الرقابة الصحية علي الأشخاص القادمين للقطر المصري من جهة موبوءة ببعض الأمراض المعدية، وكذلك الأمر العالي في 17 ديسمبر 1890 بشأن التطعيم الواقي من مرض الجدري، بل أن وزارة الداخلية قد تدخلت بقرار في 14 يونيو 1914 بهدف مراقبة الحجاج والتأكد من خلوهم من الأمراض قبل الدخول إلي القطر المصري.

بل أن المشرع المصري قد افرد قانوناً خاصاً للأمراض الزهرية وهو القانون رقم 158 لسنة 1950 للحد من انتشارها - ونهيب بالمشرع إصدار قانون مماثل لمواجهة مرض الإيدز الذي لا يقل خطورة عن الأمراض الزهرية حتي يترك المشرع أمره لمجرد قرارات وزارية، خاصة وأن مبررات إصدار تشريع لمقاومة الأمراض الزهرية، هي نفسها المبررات التي يمكن الاستناد إليها لإصدار تشريع للوقاية من مرض الإيدز (220).

وقد وضعت هذه القوانين والقرارات في وقت لم يكن العلم قد توصل لاكتشافاته العلمية المعاصرة في شأن الأمراض المعدية، والتي رغم كثرتها وعظمتها لم تكشف كل الغموض الذي يحيط بالأمراض المعدية الوبائية (221).

وعلي سبيل المثال فإن المشرع المصري لم يواكب التطورات الاجتماعية في مجال مكافحة الأوبئة من خلال العقوبات المقررة في القانون رقم 137 لسنة 1958 بشأن الاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية

(218) القانون رقم 158 لسنة 1950 بشأن الأمراض الزهرية، والقانون رقم 137 لسنة 1958 قد صدرا في الخمسينات من القرن الماضي، وما زال ساريين حتي الآن.

(219) راجع وجهة نظر معتبرة للدكتور /عبد الحميد بلقاضي: تقييد التدخل الجنائي بالحد الأدنى وحدود اعتباره مبدأ موجها للسياسة الجنائية المعاصرة - مجلة الحقوق - مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت - العدد الثالث - السنة الثلاثون - سبتمبر 2006 - ص 221.

(220) القانون رقم 158 لسنة 1950 الخاص بمكافحة مرض الزهري. منشور في الوقائع المصرية - في 18/9/1950 العدد 91.

(221) بالرغم من أن التقدم في العلوم الطبية قد أدى إلي القضاء علي الكثير من الأمراض المعدية إلا أن ظهور الممارسات الطبية والعلمية الحديثة قد أفرزت إشكاليات جديدة لا تقوي العقاقير التقليدية علي شفاءها - راجع د/ عادل يحيي قرني: الحماية الجنائية للحق في الصحة - مرجع سابق - ص 11.

وتعديلاته؛ حيث أن عدم مراعاة التدابير المقررة في الباب الرابع من قانون مكافحة الأمراض المعدية في مصر يعرض المخالف للعقوبة المنصوص عليها في المادة 26 من القانون المذكور، وهي الغرامة التي لا تقل عن جنية مصري ولا تجاوز عشرة جنيهات أو الحبس لمدة شهر، وهي عقوبة لا تتناسب البتة مع قيمة المصلحة محل الحماية، ولا مع خطورة الأمراض المعدية (222).

فهذه العقوبة علي مخالفة التدابير الوقائية تعد صورة غير جدية للعقاب، لما تتسم به العقوبة من خفة وضعف، وكذلك فإنها تطبق علي من يتمتع من الأشخاص المذكورين في المادة 13 من القانون ذاته عن التبليغ فوراً عن إصابة شخص أو الاشتباه في إصابته بفيروس الإيدز، ولم يرتب المشرع أية مسؤولية جنائية علي المريض نفسه عن عدم التبليغ (223)، إلا في القانون رقم 131 لسنة 1946 بشأن مكافحة الجذام، والقانون رقم 158 لسنة 1950 بشأن الأمراض الزهرية الذي تضمن إلزام المريض بأن يعالج نفسه لدي طبيب مرخص بمزاولة المهنة (مادة 2) (224).

ومن جهة أخرى فإنه بالنسبة للتعامل في الدم ومشتقاته فإن هذه التشريعات لم تتعرض لمدي مسؤولية الطبيب أو مراكز الدم الرئيسية والفرعية عن نقل العدوي أو عن الآثار السلبية التي تنتج عن عمليات نقل الدم غير السليمة نتيجة تلوث الدم بالأمراض المعدية (225).

وإن وجدت قواعد تحدد المسؤولية لمراكز الدم في مواجهة من يتطوع بدمه ولكن لم تحدد هذه القواعد أركان لتلك المسؤولية (226)، وهل هي مسؤولية مدنية أم جنائية؟ إذ لم يشرع النص الجنائي الخاص بالمسؤولية الجنائية عن نقل الدم الملوث بمرض خطير للمتلقي، وهذا يعني بلا شك أن هذه المسؤولية تركت لتحكم بالقواعد العامة (227).

وإن كان كل ذلك يرجع إلي أن بعض الفقه يري أن التدابير العقابية لن يكون لها مبرر بالنظر إلي البواعث النبيلة، وأن الجزاءات الجنائية قلما يكون لها مقتضي في هذا المجال لعدم جدواها (228)، وأن قانون العقوبات لا يلعب في مجال الوقاية غير دور شديد التواضع، وأن الوقاية الفعالة ضد مخاطر انتقال العدوى تتطلب علي العكس تراجعاً من قانون العقوبات (229).

إلا أن جانباً آخر يري عكس ذلك، ويرى أهمية تدخل المشرع الجنائي لحماية المجتمع من انتشار الأمراض المعدية ومن تفشي الأوبئة، وأن تدخل المشرع إزاء حماية المجتمع من عدد قليل من الأمراض المعدية وترك الباقي بغير احتياط يعد نقصاً في التشريع يصيبه بالعطب فيجب تلافيه (230)، خاصة وأن الاتفاقية الأوروبية

(222) د/ فتوح عبد الله الشاذلي: أبحاث في القانون والإيدز - مرجع سابق - ص 69.

(223) يمكن اعتبار المريض شريكاً في جريمة عدم التبليغ إذا كان هو الممرض علي عدم التبليغ، أو هو الذي أشار بمنع المكلف بذلك.

(224) الأستاذ / عادل السيوي: الرسالة السابقة - ص 35.

(225) د / أحمد إبراهيم المعصراني: المسؤولية الجنائية عن عمليات نقل الدم الملوث - الرسالة السابقة - ص 231.

(226) باستثناء القرار بقانون رقم 178 لسنة 1960 نجده لا يتعلق إلا بمسؤولية مركز الدم أو بنك الدم في مواجهة من يتطوع بدمه، لا في مواجهة من ينقل إليه.

(227) د/ أحمد إبراهيم المعصراني: المسؤولية الجنائية عن عمليات نقل الدم الملوث - الرسالة السابقة - ص 232.

(228) د/ فتوح عبد الله الشاذلي: أبحاث في القانون والإيدز - ص 107.

(229) د/ أحمد إبراهيم المعصراني: المسؤولية الجنائية عن عمليات نقل الدم الملوث - الرسالة السابقة - ص 227.

(230) د/ خالد موسى توني: المسؤولية الجنائية في مجال عمليات نقل الدم - رسالة دكتوراه جامعة القاهرة - ص 539.

لحقوق الإنسان تجيز تدخل القانون الجنائي في مكافحة الأمراض المعدية وأجازت حجز الأشخاص الذين يحتمل قيامهم بنشر المرض (231).

وأياً كانت التشريعات المتعددة الصادرة بهدف الحماية من العدوى بالفيروسات الخطيرة، إلا أنها نصوص قد تبقى جامدة لا محل لها من التطبيق؛ إذ لم تتوفر للجهات الملزمة بتطبيقها الإمكانيات التي تسمح لها بتوفير آليات التطبيق من فحص طبي وتحاليل مجانية سريعة بدون مقابل، وضمان السرية (232).

وعلي ذلك يمكن أن يفلت المجرم من العقاب لعدم إمكانية تطبيق النص، أو بحجة أنه مريض ويكفيه ما يعاني من آلام المرض، فالأمر لا يتعلق إداً بالمسئولية الجنائية للمريض من حيث كونه مريض، ولكن يتعلق بالمسئولية الجنائية للجاني الذي يستخدم مرضه كسلاح للقضاء علي الأبرياء وذلك أن حامل الفيروس سواء كان مصاباً بالمرض أم لا! يعد بمثابة خطر لما يسببه من عدوى (233).

وحيث أن العقوبة المناسبة للسلوك الإجرامي تعد من أهم آليات الحماية الجنائية الفعالة للحق في السلامة الجسدية، وآية ذلك أن خفة العقوبات التي وضعها المشرع المصري للوقاية من الأمراض المعدية، أو الأمراض الزهرية، أو الجذام، وأخيراً مرض كورونا المستجد أدت إلي مخالفة هذه التدابير بكل سهولة ويسر (234)، كما أدت خفة هذه العقوبات إلي تشجيع ذوي النفوس الضعيفة علي ارتكاب جرائم ماسة بالحق في السلامة الجسدية، ومن هنا فإننا نكاد نجزم بأن هذه العقوبات قد أخفقت في توفير الحماية الجنائية للفرد ضد السلوكيات التي تمثل اعتداء علي الحق في السلامة الجسدية، أو تدابير الوقاية من الأوبئة.

فما زال الردع غائباً، والمسئولية الجنائية غير منعقدة بصورة جدية عن مخالفة تدابير الوقاية، وإن انعقدت فإن العقوبة لا تحقق الردع، بل تغري علي عدم احترامها؛ إذ لا تتناسب البتة مع خطورة نقل الأمراض المعدية (235)، وهو الأمر نفسه الذي يتعلق بالعقوبات المقررة لمخالفة قانون الأمراض الزهرية (236)، وقانون مكافحة الجذام (237).

ولا شك أن ذلك يعني عدم توافر الحماية الجنائية لمواجهة هذه الأمراض المكتشفة في ظل قصور هذه التشريعات القديمة، فبالنسبة لمرض كوفيد 19 الناتج عن الإصابة بفيروس كورونا فلا يمكن أن تطبيق عليه الأحكام الواردة في القانون رقم 137 لسنة 1958 بشأن الأمراض المعدية، بعد أن تم إدراجه ضمن القسم الأول في الجدول الملحق بهذا القانون بموجب قرار وزيرة الصحة رقم 145 لسنة 2020.

وفي المقابل لذلك نجد أن كثيراً من التشريعات المقارنة قد واجهت الأوبئة بسن تشريعات خاصة أو تعديل التشريعات القائمة، وهو ما حدث علي إثر تفشي فيروس كورونا المستجد وإعلان منظمة الصحة العالمية عن جائحة كورونا، فقد عكفت معظم الدول علي قوانينها لتقنين القواعد التي يمكن بها مواجهة الجائحة، أو تعديل

(231) د/ جميل عبد الباقي الصغير: القانون الجنائي والإيدز - مرجع سابق - ص 23.

(232) د / أمين مصطفى محمد: الحماية الجنائية للدم من عدوى الإيدز والالتهاب الكبدي الوبائي - مرجع سابق - ص 37.

(233) د/ جميل عبد الباقي الصغير: المرجع السابق - ص 24.

(234) يرجع السبب في ذلك إلي كون هذه القوانين ترمي إلي الوقاية والتدابير الاحترازية، ولم تتناول المسئولية الجنائية في حالة نقل العدوى.

(235) د/ فتوح عبد الله الشاذلي: أبحاث في القانون والإيدز - مرجع سابق - ص 69.

(236) القانون رقم 137 لسنة 1958 بشأن الأمراض المعدية.

(237) القانون رقم 131 لسنة 1946 بشأن مقاومة الجذام.

القوانين القديمة لتواكب ما جد من تطورات طبية ، وهو ما حدث في الكويت بتعديل القانون رقم 8 لسنة 1969 بشأن الاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض السارية بالقانون رقم 4 لسنة 2020 ، وفي قطر تم تعديل القانون رقم 11 لسنة 1968 بشأن الأمراض المعدية بموجب القانون رقم 9 لسنة 2020 (238) .

ولا شك أن هذه العقوبات الواردة في القوانين الصحية ، وقوانين الإحتياطات الصحية تعد غير رادعة و لا تعد مواكبة لخطورة تفشي الأوبئة ، خصوصاً فيما يتعلق بالتشريع المصري الذي لم يضع تشريعاً يتضمن عقوبات مناسبة ، في حين سعت كثيراً من الدول إلي مواكبة التطورات الهائلة في مجال مكافحة الأمراض المعدية (239)، فقد أصبحت مسألة تفشي الأوبئة محل تحديث تشريعي في دول عربية عديدة ، وكذلك مسألة نقل العدوى من شخص مريض إلي شخص سليم أصبحت محل تجريم في أكثر الدول الأوربية (240)، مثل النمسا وسويسرا وتشيكوسلوفاكيا تجرم العلاقات الجنسية غير المحمية بالشرعية؛ لأنها تشكل أهم طرق ووسائل نقل العدوى، وكذلك في ألمانيا فإن نقل العدوى يمثل فعل مضر بالصحة، وفي سويسرا يمثل إصابة بدنية خطيرة - وأيضاً تبنت الدنمارك قانوناً يعاقب عن فعل نقل فيروس الإيدز (241).

وباستقراء مسالك التشريعات المقارنة في مادة الوقاية من الأوبئة علي خلفية حادثة هذه الأفعال كأفعال تجريم، نجد أن رجال القانون بدورهم كانوا مجبرين علي القيام بوضع قواعد التجريم في مجال الوقاية من الأوبئة ، ولكن نظراً لغياب القواعد القانونية المشتركة فإن كل دولة تواجه مثل هذه الأوضاع بوضع القواعد التي تناسبها كأساس يمكن البناء عليه (242).

ولا نحيد في هذا الشأن أن يصدر قانون خاص ليحكم مرض معين ، فلا ميزة في سن قانون لمواجهة مرض كوفيد 19 علي وجه الخصوص ، فقد يأتي اليوم الذي يكتشف فيه العلم لقاح لهذا المرض فيقضي عليه فيكون أثر بعد عين ، ولا يكون لهذا القانون محلاً للتطبيق ، لذلك فالأفضل سن قانون لمواجهة الأوبئة علي وجه العموم ، ولا يكون قاصراً علي مرض معين .

وإن كان هذا لا يقدر في جدية وأهمية تخصيص قانون خاص لمواجهة مرض معين ، كمرض الإيدز عن طريق سن تشريع خاص به مثال ذلك المرسوم بقانون رقم 62 لسنة 1992 الصادر بدولة الكويت في شأن الوقاية من مرض متلازمة العوز المناعي المكتسب (الإيدز) وفي هذا المرسوم بقانون واجه المشرع الكويتي هذا المرض بكثير من الإجراءات الوقائية فنصت المادة (11) منه علي أنه :

" الشخص المصاب بفيروس الإيدز الذي لم يخطر الجهة المختصة بوزارة الصحة بحالته حال علمه بذلك، وكذلك في حالة عدم التزامه بالإجراءات الصحية والإرشادات الوقائية التي تقررها الوزارة، وكذلك في حالة عدم توقيه نقل عدوي المرض إلي الغير يعاقب بالحبس مدة لا تزيد علي ستة شهور، وبغرامة لا تتجاوز خمسمائة

(238) مستشار . د / محمد جبريل إبراهيم : المسؤولية الجنائية الناشئة عن نقل العدوي - مرجع سابق - ص 81 .

(239) راجع القانون رقم 9 لسنة 2020 بشأن الأمراض المعدية الصادر في قطر ، والقانون رقم 4 لسنة 2020 بشأن الأمراض السارية الصادر في الكويت .

(240) د/ أمين مصطفى محمد : الحماية الجنائية للدم - مرجع سابق - ص 30.

(241) د/ السيد محمد عتيق : المشكلة القانونية التي يثيرها مرض الإيدز من الوجهة الجنائية - المرجع السابق - ص 75.

(242) انظر د / السيد محمد عتيق: المشكلة القانونية التي يثيرها مرض الإيدز من الوجهة الجنائية - مرجع سابق - ص 16.

دينار أو بأحدي هاتين العقوبتين "

فبمقتضى هذه المادة يلتزم المصاب بفيروس الإيدز بإخطار الجهة المختصة بوزارة الصحة بحالته حال علمه بذلك.

وكذلك نصت المادة 15 من ذات المرسوم بقانون علي أنه : -

" مع عدم الإخلال بأي عقوبة اشد يكون منصوصاً عليها في القوانين الأخرى يعاقب كل من يخالف أحكام المواد 2 و3 و7 و11 و13 من هذا القانون بالحبس مدة لا تزيد علي ستة شهور وبغرامة لا تتجاوز خمسمائة دينار أو بأحدي هاتين العقوبتين، ويعاقب بالحبس مدة لا تجاوز سبع سنوات وبغرامة لا تجاوز سبعة آلاف دينار كل من علم أنه مصاب بفيروس الإيدز وتسبب بسوء قصد في نقل العدوى إلي شخص آخر ."

ويلاحظ أن هذه المادة تتضمن التجريم لمخالفة أحكام المرسوم بقانون رقم 62 لسنة 1992، ووضعت عقوبة الحبس والغرامة كعقوبة لمخالفة هذه التدابير سواء بقصد أو بغير قصد (243).

الخاتمة

الفقه الإسلامي كتقنين شامل رصد أساليب وطرق متعددة لتدابير الوقاية من الأوبئة ، فقد اشتمل علي العديد من التدابير الوقائية من الأمراض الوبائية والاحتياطات الصحية اللازمة للمحافظة علي صحة الإنسان عند انتشار الأوبئة ، وقد وضع علماء الفقه الإسلامي في اجتهادهم قواعد كلية تسمو في روعتها، وعلو غايتها عن مبادئ القانون في العصر الحديث - وإن اختلفت الأسماء والمصطلحات - فانتسم منهج الوقاية في الفقه الإسلامي بالتوسع والشمول ما بين الحث والإرشاد ، وبين الحظر والمنع ، وأخذت هذه التدابير عدة صور منها الحجر الصحي كما هو متعارف عليه اليوم، أو عزل المريض بمرضٍ معدٍ ، وتبني فكرة التباعد الإجتماعي ، ومن مقتضى التجريم الوقائي أن يقترن بالعقاب والردع بوضع العقوبة علي مخالفة التدابير الوقائية ، فتكون مخالفة تدابير الوقاية من نقل العدوى في الشريعة الإسلامية خاضعة للعقوبات المقررة وفقاً للقواعد العامة في قانون العقوبات الإسلامي إذا ما ترتب علي هذه المخالفة ضرر ، وإن كانت هذه العقوبات ليس لها تنظيمياً خاصاً .
وبعرض منهج المشرع الوضعي في مجال الوقاية من الأوبئة ، يتضح بجلاء تفوق الشريعة الإسلامية التي اتسم منهجها بالتوسع في الوقاية من الأوبئة ، ووضعت العقاب الرادع لكل مخالفة لقواعد الوقاية الوبائية .

(243) المرسوم بقانون رقم 62 لسنة 1992 الذي صدر في دولة الكويت بشأن الإيدز.

قائمة المراجع :-

أولاً التفسير وعلوم القرآن :

- 1- أحكام القرآن لابن العربي الملكي المتوفي سنة 543 هجرية - طبعة دار الفكر العربي .
 - 2- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - المالكي - المتوفي سنة 671 م - طبعة دار العلم للتراث .
- ثانياً كتب الحديث :-

- 1- السنن الكبرى للبيهقي - المتوفي سنة 458 هـ - طبعة دار الفكر العربي .
- 2- سنن الترمذي المتوفي سنة 279 هـ - طبعة دار الكر - بيروت الطبعة الثانية 1983 .
- 3- سنن الدارقطني - المتوفي سنة 385 هـ - دار المعرفة - بيروت 1966 م .
- 4- سنن النسائي - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده 1963 م .
- 5- سنن اب داود - دار الفكر - بيروت لبنان .
- 6- المشترك مع الصحيحين للإمام الحاكم النيسابوري - دار الكتب العلمية - بيروت 1990 م .
- 7- نيل الأوطار للشوكاني - دار الجيل - بيروت 1973 م .

ثالثاً : كتب المذاهب الفقهية :

(أ) الفقه الحنفي :

- 1- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي - المتوفي سنة 743 هـ - دار الكتاب الإسلامي .
- 2- المبسوط للسرخسي - المتوفي سنة 490 هـ .
- 3- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني - طبعة 1996 .
- 4- الفتاوي الهندية للشيخ نظام وجماعة من علماء الهند - دار الفكر 1991 م .
- 5- حاشية بن عابدين - دار الفكر للطباعة والنشر .

(ب) الفقه المالكي :

- 1- بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد - دار الفكر - بيروت 1998 .
- 2- حاشية الدسوقي علي الشرح الكبير - طبعة دار إحياء الكتب العربية .
- 3- شرح الزرقاني علي مختصر خليل - طبعة دار الفكر - بيروت 1398 هـ .
- 4- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل - للحطاب - طبعة دار الفكر 1992 .
- 5- المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس - طبعة دار الفكر - بيروت .
- 6- الشرح الصغير للدردير - دار الفكر للطباعة والنشر .

(ج) الفقه الشافعي :

- 1- نهاية المحتاج إلي شرح المنهاج للرملي - مصطفى البابي الحلبي وأولاده .
- 2- مغني المحتاج إلي معرفة ألقاظ المنهاج - للشيخ الشربيني - مطبعة الحلبي 1377 هـ .

- 3- شرح جلال الدين علي المنهاج - دار إحياء الكتب العربية .
 - 4- حاشية قليوبي علي المنهاج - دار إحياء الكتب العربية .
 - 5- المهذب للشيرازي - مصطفى الحلبي - طبعة ثالثة 1396 هـ .
 - 6- روضة الطالبين للإمام زكريا يحيى بن شرف النووي - المكتبة الإسلامية - بيروت 1405 هـ
- (د) الفقه الحنبلي :
- 1- إعلام الموقعين عن رب العالمين - لابن القيم الجوزية - دار الحديث - ط 1997 .
 - 2- الإقناع في فقه الإمام أحمد - للمقدس - دار المعرفة - بيروت .
 - 3- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف علي مذهب الغمام أحمد بن حنبل - منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت .
 - 4- الروض المربع بشرح زاد المستنقع - للبهوتي - دار الفكر 1982 .
 - 5- كشف القناع عن متن الإقناع - للعلامة الشيخ منصور بن يونس البهوتي - طبعة دار الفكر 1982 .
 - 6- منار السبيل في شرح الدليل علي مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، للشيخ إبراهيم بن محمد بن سالم ضويان - طبعة دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الأولى 1418 هـ .
 - 7- المبدع شرح المقنع - لأبي إسحاق برهان الدين إبراهيم محمد بن محمد عبد الله بن محمد بن مفلح الحنبلي
- دار الكتب العلمية بيروت - طبعة أولي 1997 .
- رابعاً : المراجع الحديثة في الفقه الإسلامي :
- 1-د/ أحمد شوقي الفنجري : الطب الوقائي في الإسلام - تعاليم الإسلام الطبية - الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 2013 .
 - 2- د / حسن الشاذلي : الجنايات في الفقه الإسلامي - دراسة مقارنة - دار الكتاب الجامعي .
 - 3- د / عبد الحليم منصور: الأحكام الفقهية لتجاوز حدود حق الاستمتاع بالزوجة في الفقه الإسلامي والقانون الجنائي- ط 2002 .
 - 4- أ / عبد القادر عودة : التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الرابعة عشرة 1417 هـ .
 - 5- فضيلة الشيخ الدكتور / محمد سيد طنطاوي: المقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام - ط 2007 .
 - 6- د/ مهند سليم محمد المجلد: أحكام الحجر الصحي في القانون المصري والنظام السعودي مقارناً بالفقه الإسلامي- ط 2009 .
 - 7- د / محمد عبد الغني شامة : الإسلام إصلاح وتهذيب - عرض وتحليل للحدود والتعزير - مكتبة وهبة - طبعة 2011 .

- 8- د / يوسف القرضاوي: رعاية البيئة في شريعة الإسلام - دار الشروق بالقاهرة - ط 2001 .
خامساً : الكتب القانونية العربية :
- 1- د / أحمد حسني أحمد طه : المسؤولية الجنائية الناشئة عن نقل همدوي الإيدز في الفقه الإسلامي والقانون الجنائي - دار الجامعة الجديدة - ط 2007 - .
- 2- د/ أحمد محمد لطفي : الإيدز وآثاره الشرعية والقانونية - دار الجامعة الجديدة للنشر - طبعة 2005
- 3- د/ الغريب إبراهيم محمد الرفاعي: دفع الضرر العام بإثبات الضرر الخاص، دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون - دار الكتب القانونية - السبع بنات .
- 4- د / عثمان عبد الرحمن عبد اللطيف : الأوبئة العالمية والمسؤولية الدولية - دار النهضة العربية . 2020
- د مستشار / محمد جبريل إبراهيم : الحماية الجنائية للوقاية من الأوبئة - دراسة مقارنة - دار النهضة العربية - ط 2020 .
- سادساً : الكتب القانونية الأجنبية :
- 1- المراجع الفرنسية :-

Merle (R.) et Vitu (A.); traite de droit criminal Droit penal special par vitu t. 2ed (cujas) paris 1982.

Merle (R.) et Vitu ; - traite de droit criminal t.I.Droit penal general 6 eme ed cujas (paris) 1984.

PRADEL (J.) ; droit penal compare ed dalloz. 1995.

RASSAT (M.L.); droit penal special infractions des et contre les particuliers dalloz 2 edition 1999et edition 1997.

STEFANI, (G.) LEVASSEUR (G.) et BOULOC (B.) ; Droit penal general 16 eme ed dalloz 1997.

VERON (M.) ; droit penal special 7 eme ed armand colin 1999.

VIRIDIANA (F.); l'erreur Sur le droit commentaire d'arret travaux diriges de droit penal procedure penology dirige par Gabriel Roujou de Boubee ellipses ed 2001.

2- المراجع باللغة الإنجليزية:

Andrew Ashworth; principles of criminal law Oxford university press fourth edition 2003.

Antonio Cassese ; international criminal law Oxford University press edition 2003.

Donald H.J.Herman; torts private law suits about aids in aids and the law a guide for

the public edited by harlon Dalton.

Ian Loveland ; Frontiers of criminality sweet – Maxwell third edition 1995.

Janet dine and james gobert ; cases materials on criminal law Oxford University press fourth edition 2003.

John E; Douglas , ann W.burgess, allen G. Burgess and Robert K.Ressler ; crime classification manual jossey– Bass second edition 2006.

John langone ; Aids ; the facts little brown company edition 1991.

Jonathan herring criminal law palgrave Macmillan fourth edition 2005.

Michael J Allen ; cases and materials on criminal law seventh edition London sweet Maxwell 1997.

Neil Small ; Aids the challenge avbury edition 1993.

Nigle G Foster and Satish Sule ; Gernay legal system and laws Oxford university press third edition 2002.

P.R. Glazebrook ; statutes on criminal law fifteenth edition Oxford University press 2005/2006.

Richard Elliot ; criminal law hiv / aids final canadian Hiv/Aids legal network and Canadian aids society montreal 1996.

Richard May ; criminal evidence London sweet and Maxwell third edition 1995.

Richard Ward and Amanda ; Walker and Walker's English legal system Oxford University press Ninth edition 2005.

Sepulveda (J.) ; Fineberg (H.) and mann (J.) ; Aids , Prevention through education ; A.world view Oxford University press 1992.

Smith and Hogan, Criminal law eleventh edition 2005.

Web Sits (internet):

–[http://www.aidslaw.ca/maincontent/issues/criminal la final report.](http://www.aidslaw.ca/maincontent/issues/criminal%20law%20final%20report)

–[http.w.w.w.montreal ca/doc/csc/scc/en index.html.](http://www.w.w.w.montreal.ca/doc/csc/scc/en/index.html)

–Canadian hiv/aids legal network Canadian aids society internet w.w.w.aids law ca / or through national aids cleari

عنوان البحث

سيادة الدول في ظل التحولات الدولية

د. أحمد اسحق شنب محمد¹

¹ استاذ القانون الدولي العام / جامعة نيالا

بريد الكتروني: shanabahmed53@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21117>

تاريخ القبول: 2021/10/23م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

تتناول الورقة سيادة الدول في ظل التحولات الدولية، وتهدف الورقة لمعرفة مفهوم وأنواع وخصائص السيادة، وأثر التحولات الدولية على سيادة الدول، وعوامل تقلص سيادة الدول، وتستند الورقة على فرضيات تتلخص في: السيادة في القانون الدولي أصبحت نسبية، تقلص مظاهر سيادة الدول في النظام الدولي الجديد، أن العولمة تنتقص من سيادة الدول. تتمثل مشكلة الورقة في التساؤل الرئيس: ما هو أثر التحولات الدولية على سيادة الدول؟ هل أدت التحولات الدولية إلى انقاص سيادة الدول؟ كيف يؤثر النظام الدولي الجديد على سيادة الدول؟ ما هي مظاهر انتهاك العولمة لسيادة الدول؟ ولإجابة على هذه التساؤلات، تتبع الورقة المنهج الوصفي، والمنهج الاستقرائي، مع استخدام أسلوب الملاحظة والتحليل. توصلت الورقة لعدد من النتائج، منها: أن مبدأ المساواة في السيادة بين الدول المستقلة، المشار إليه في الفقه القانوني، إنما هو مبدأ نظري ويكاد يكون العمل في الغالب والواقع على غير ذلك. أن المجال الخاص للدول يقلص باستمرار، كلما انخرطت الدول في علاقات منظمة قانونياً مع الأشخاص الآخرين في المجتمع الدولي. وقدمت الورقة بعضاً من التوصيات منها: تعزيز الانتماء للدولة واحترام سيادتها من خلال بناء المواطنة السليمة الواعية. التوسع في نظام الحكم الذاتي الداخلي في الدولة، ليشمل كافة أطياف المجتمع، واشتراط الموافقة على نظام الحكم من الجميع دون استثناء.

الكلمات المفتاحية: السيادة، القانون الدولي، التحولات الدولية، النظام الدولي الجديد.

RESEARCH ARTICLE

SOVEREIGNTY OF STATES IN LIGHT OF INTERNATIONAL TRANSFORMATIONS

Dr. Ahmed Ishag Shanab Mohmmed

¹ Professor of International Law, University of Niyala

Email: shanabahmed53@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21117>

Published at 01/11/2021

Accepted at 23/10/2021

Abstract

The paper deals with the sovereignty of states in light of international transformations, and the paper aims to know the concept, types and characteristics of sovereignty, the impact of international transformations on state sovereignty, and factors of diminishing state sovereignty. What is new is that globalization detracts from the sovereignty of states. The problem of the paper is the main question: What is the impact of international transformations on the sovereignty of states? Have international transformations diminished the sovereignty of states? How does the new international order affect the sovereignty of states? What are the manifestations of globalization's violation of the sovereignty of states? To answer these questions, the paper follows the descriptive approach. And the inductive approach, with the use of the method of observation and analysis. The paper reached a number of results, including: that the principle of equality of sovereignty among independent states, referred to in legal jurisprudence, is a theoretical principle, and work is almost always done, and the reality is otherwise. The private sphere of states is constantly shrinking, as states engage in legally regulated relations with other persons in the international community. The paper presented some recommendations, including: Strengthening belonging to the state and respecting its sovereignty through building sound and conscious citizenship. Expanding the system of internal self-government in the country to include all segments of society, and requiring approval of the system of government by all without exception.

Key Words: sovereignty, international law, international transformations, the new international order.

مقدمة:

السيادة الوطنية تمثل إحدى المواضيع المحورية في الدراسات السياسية والقانونية بصفة عامة، وفي علم العلاقات الدولية بصفة خاصة، فموضوع السيادة كان ولا يزال يحظى بأهمية بالغة في الفكر السياسي والقانوني، ذلك أن السيادة تعد من المحددات المركزية للدولة الوطنية.

فالسيادة الوطنية تعتبر أحد الأركان الجوهرية التي تقوم عليها نظرية الدولة في الفكر السياسي والقانوني، فالسيادة مفهوم قانوني وسياسي يتعلق بالدولة باعتبارها تشكل أحد أهم خصائصها وشروطها الأساسية، كما أنها تعد من المحددات السياسية والقانونية للدولة كعضو في المجتمع الدولي، وأيضاً يتجسد بموجبها الاستقلال الوطني للدولة، وكذا مساراتها مع الوحدات السياسية الأخرى المشكلة للنظام الدولي.

غير أن هذه الأركان والركائز المعيارية والساعية لتقديس سيادة الدولة وتعزيز هيبتها، فقدت كثيراً من صلابتها في ظل التحولات الدولية الراهنة التي عرفها عالم ما بعد الحرب الباردة، وخاصةً في ظل بروز قضايا جديدة على أجندة السياسة العالمية كمكافحة الإرهاب، بالإضافة إلى تنامي ديناميكيات التعاون الدولي التي تحولت تدريجياً إلى عولمة معقدة التركيبية، ومتعددة الفواعل ومركبة المضامين والأهداف.

فضلاً عن ظهور معايير تأسيسية جديدة ذات أبعاد جوهرية باعتبارها متمحورة حول الإنسان، وما ترتب عليها من إقرار مفاهيم جديدة كالأمن الإنساني، والحماية الدولية لحقوق الإنسان، وحق التدخل الإنساني والديمقراطي، الأمر الذي أدى إلى تفكيك القيم التي أسستها القواعد الآمرة للقانون الدولي، كمبدأ السيادة الوطنية، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول.

يتم تناول السيادة الوطنية، في هذه الورقة، التي باتت تواجه وضعاً خطيراً، والواضح في العمل على تقليص وانكماش نطاق السيادة، ونقلها من مفهومها المطلق إلى المفهوم المرن أو النسبي، لتكون السيادة في ظل القانون الدولي المعاصر في حدها الأدنى، وذلك من واقع بعض الذرائع المستحدثة في بعض القيود التي تتيح التدخل في شؤون الدولة الداخلية، كالقول بانعدام الديمقراطية أو عدم احترام حقوق الإنسان فيها، وهذا ما حمل بعض الباحثين والمحللين السياسيين، بالحديث عن زوال أو اختفاء ظاهرة السيادة الوطنية، وهو حكم يراه البعض الآخر مبالغاً فيه، إلا أن هناك اتفاقاً على خطورة ما جل بالسيادة الوطنية للدول المتوسطة، والنامية بصفة خاصة.

بناءً عليه يتم تناول هذا الموضوع من خلال تقسيم الورقة إلى المحاور التالية:

أولاً: مفهوم ومظاهر وخصائص السيادة. ثانياً: ممارسة السيادة في ظل القانون الدولي المعاصر. ثالثاً: السيادة في ظل النظام الدولي الجديد. رابعاً: أثر العولمة في اختراق السيادة الوطنية. خامساً: مستقبل السيادة الوطنية.

أولاً: مفهوم ومظاهر وخصائص السيادة.

تعد السيادة الوطنية من المقومات الأساسية التي يقوم عليها صرح القانون الدولي المعاصر، كما يُعد مفهومها من المفاهيم المهمة التي اهتم بها فقهاء القانون، وباحثوا السياسة على قدم المساواة، وذلك منذ أن جاء به المفكر

الفرنسي جان بودان، عام 1576م، في كتبه الستة عن الدولة، وقد برزت فكرة السيادة بمستوياتها المتعددة منذ ظهور المجتمعات البشرية الأولى، إلا أنها عرفت عدة تطورات عبر مختلف العصور⁽¹⁾.

مفهوم السيادة:

يقوم مفهوم السيادة على سلطة الدولة المطلقة في الداخل واستقلالها في الخارج، وأن الدولة تمتلك سلطة الهيمنة فوق إقليمها وأفرادها، وأنها مستقلة من أي سيطرة خارجية، وأن السيادة هي أعلى درجات السلطة، أما الحكومة فهي السلطة التي تمارس السيادة في الدولة لحفظ النظام، وتنظيم الأمور داخلياً وخارجياً، والحكومة كبناء، هي أجهزة ومؤسسات الحكم في الدولة، وتقوم بوضع القواعد القانونية، وتنفيذها، وتفصل في نزاعات الأفراد، مشتملةً على أعمال التشريع والتنفيذ والقضاء⁽²⁾.

تعريف السيادة لغة:

السيادة لغةً: من سود، ويقال: فلان سيّد قومه إذا أُريد به الحال، وسائِدٌ إذا أُريد به الاستقبال، والجمع سَادَةٌ، ويقال: سادهم سُوداً سُوداً سيادةً سيّدودة استادهم كسادهم وسوّدهم هو المُسوّد الذي سادته غيره، فالمُسوّد السَيّدُ. والسَيّدُ يطلق على المالك والشريف والفاضل والكريم والحليم والزوج والرئيس والمقدّم، وأصله من سادَ يَسودُ فهو سَيّود، والرّعاية السَيّادة والرياسة. وخلاصة المعنى اللغوي للسيادة أنها تدل على المُقدّم على غيره جاهاً أو مكانة أو منزلة أو غلبة، وقوة ورأياً وأمرأ⁽³⁾.

تعريف السيادة اصطلاحاً:

تأخذ السيادة مفهوم السلطة العليا المطلقة التي تغردت وحدها بالحق في إنشاء الخطاب المُلزم المتعلق بالحكم على الأشياء والأفعال⁽⁴⁾. كما تعني امتلاك الدولة السلطة العليا والهيمنة المطلقة والتحكم الكامل على وفي أرضها ورعاياها ومؤسساتها وخياراتها ومواقفها، وأن تكون مستقلةً عن أي سلطان آخر سواءً كان داخلياً أو خارجياً، وأن تكون لها الكلمة العليا والوحيدة في جميع ما تقوم به من أعمال، وأن لا تعلو عليها أية سلطة أو أي هيكل أو كيان آخر⁽⁵⁾.

والتعريفات السابقة متقاربة، ولعل أشملها لمفهوم السيادة اصطلاحاً، هو التعريف الأخير، لوصفه السيادة بأنها سلطة عليا ومطلقة، وإفرادها بالإنزام، وشمولها بالحكم لكل الأمور، والعلاقات سواءً التي تجري داخل الدولة أو خارجها.

بهذا يمكن القول بأن السيادة هي اصطلاح قانوني، يعبر عن صفة من له السلطة، وهو لا يستمد هذه السلطة إلا من ذاته، ولا يشاركه فيها غيره، والسيادة أشمل من السلطة، إذ أن السلطة هي ممارسة السيادة، ويعتبر الكاتب

¹. ريمون حداد، العلاقات الدولية، بيروت: دار الحقيقة، 2000م، ص23.

². أحمد سرحال، قانون العلاقات الدولية، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2000م، ص28.

³. مجالدين الشيرازي، القاموس المحيط، ج3، بيروت: عالم الكتب، (ب: ت)

⁴. عبد الواحد الناصر، العلاقات الدولية الراهنة، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 2003م، ص62.

⁵. المرجع نفسه، ص67.

الفرنسي جان بودان أول من وضع تحديداً لمفهوم السيادة، حين قال: إنها السلطة العليا المعترف بها، والمسيطر على المواطنين والرعايا دون تقييد قانوني، ما عدا القيود التي تفرضها القوانين الطبيعية والشرائع السماوية⁽⁶⁾.

هناك بعض التعريفات المختلفة، التي قدمها فقهاء القانون ورجال السياسة، منها:

- **تعريف جون أوستن:** بأن السيادة تقوم على فكرة القانون الطبيعي مفادها وجود رئيس أعلى في الدولة لا يطيع أحد، بل يفرض هو طاعته على الجميع، وهذا الرئيس هو صاحب السيادة في المجتمع⁽⁷⁾.

- **تعريف توماس هوبز:** مؤسساً فكرته في السيادة على الإنسان، وذلك بأنه، مصلحي وذاتي التفكير ولا يحافظ على عهوده وعقوده ولا يطيع قوانين المجتمع إذا لم ينسجم ذلك مع مصالحه، ومن هنا فقد نشأت الحاجة إلى سلطة عليا تستطيع أن تفرض النظام والسلم الاجتماعي على مجموعات قد لا تتجه نحو العيش بسلام وانسجام مع بعضها البعض، وبالتالي فإن سلطة الدولة وسيادتها ضرورية للبقاء، ولا يمكن نقض العقد الاجتماعي الأصل الذي تضمن التنازل عن الحقوق الطبيعية لصالح الدولة، ولأن الحاجة لمثل هذا التنازل، ضرورة مستمرة لضمان السلم الاجتماعي والحياة الجيدة⁽⁸⁾.

- **تعريف مصطفى أبو زيد فهمي:** بأنها السلطة الأصلية التي تتبع سائر السلطات الأخرى منها، وهي لا تتبع من أي منها لأنها الأصل⁽⁹⁾.

- **تعريف محكمة العدل الدولية في قضية مضيق كورفو عام 1949م،** المتلخص في أن، السيادة بحكم الضرورة هي ولاية الدولة في حدود إقليمها ولاية انفرادية ومطلقة، وأن احترام السيادة الإقليمية فيما بين الدول المستقلة يعد أساساً جوهرياً من أسس العلاقات الدولية⁽¹⁰⁾.

بناءً على ما تقدم، يمكن القول أن السيادة تعتبر المميز الرئيسي للسلطة السياسية للدولة، ولأهمية هذا المميز، فقد انتقل من كونه صفة إلى اسم، فبدلاً من القول السلطة السياسية ذات السيادة أصبح الحديث عن سيادة الدولة، ليُقصد بها نفس المضمون: استقلالية الدولة وعدم خضوعها لأي سلطة أخرى.

مظاهر سيادة الدولة:

تتمثل سيادة الدولة في مظهرين، هما⁽¹¹⁾:

أ. **المظهر الخارجي:** يكون بتنظيم علاقاتها مع الدول الأخرى في ضوء أنظمتها الداخلية، وحريتها في إدارة شؤونها الخارجية، وتحديد علاقاتها بغيرها من الدول، وحريتها بالتعاقد معها، وحقها في إعلان الحرب أو التزام الحياد. فالسيادة الخارجية للدولة، هي مرادفة للاستقلال السياسي، ومقتضاها عدم خضوع الدولة

⁶. أحمد أبو الوفا، الوسيط في القانون الدولي العام، القاهرة: دار النهضة العربية، 1996م، ص38

⁷. ريمون حداد، مرجع سابق، ص75.

⁸. حافظ إبراهيم وآخرون، السيادة والسلطة: الأفاق الوطنية والحدود الدولية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م، ص63.

⁹. عبدالقادر القادري، القانون الدولي العام الرباط: مكتبة المعارف، 1984م، ص92.

¹⁰. سهيل حسين الفيتلي، الوسيط في القانون الدولي العام، بيروت: دار الفكر العربي، 2002م، ص125.

¹¹. علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1995م، ص103.

صاحبة السيادة لأية دولة أجنبية، والمساواة بين جميع الدول أصحاب السيادة، فتنظيم العلاقات الخارجية يكون على أساس من الاستقلال، وهي تعطي الدولة الحق في تمثيل الأمة والدخول باسمها في علاقات مع الأمم الأخرى، وأن هذا المظهر لا يعني أن تكون سلطتها عليا، بل المراد أنها تقف على قدم المساواة مع غيرها من الدول ذات السيادة، ولا يمنع هذا من ارتباطها وتقييدها بالتزامات أو معاهدات دولية مع غيرها من الدول.

ب. المظهر الداخلي: يكون ببسط سلطانها على إقليمها وولاياتها، وبسط سلطانها على كل الرعايا، وتطبيق أنظمتها عليهم جميعاً، ولا ينبغي أن يوجد داخل الدولة سلطة أخرى أقوى من سلطة الدولة، وينبغي أن تكون سلطة الدولة على سكانها سامية وشاملة، وألا تعلق عليها سلطة أخرى أو تتنافسها في فرض إرادتها.

وكلا المظهرين في الدولة مرتبط بالآخر، فسيادتها الخارجية هي شرطاً لتحقيق سيادتها الداخلية.

خصائص سيادة الدولة:

تتلخص خصائص سيادة الدولة فيما يلي:

- سيادة شاملة وهي التي تطبق على جميع المواطنين في الدولة، ومن يقيم في إقليمها أي بمعنى شمول السيادة للإقليم وما عليه من أشخاص وجمعيات وأموال وثروات، باستثناء ما يرد في الاتفاقيات والمعاهدات الدولية مثل: الدبلوماسيين، وموظفي المنظمات الدولية، ودور السفارات، الذين يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية⁽¹²⁾.
- سيادة لا يمكن التنازل عنها وهي أن الدولة لا تستطيع أن تتنازل عن السيادة، لأنها إذا تنازلت عنها فقدت ذاتها، فالدولة والسيادة مفهومان متلازمان ومتكاملان لا يجوز التصرف فيهما⁽¹³⁾.
- سيادة مطلقة بمعنى أنها أعلى صفات الدولة، ويكون للدولة بذلك السلطة على جميع المواطنين، ولا مكان لسلطة أخرى منافسة أو معارضة، إلا أن هذا الإطلاق الذي كان خاصة أساسية في سيادة الدولة في الفقه التقليدي بدأ يخضع لقيود كثيرة سواء في المجال الداخلي أو المجال الخارجي، ويرجع ذلك إلى ما يسود الدولة المعاصرة من مبدأ سيادة القانون، والذي تحولت بمقتضاه الدولة من دولة استبدادية إلى دولة قانونية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن سيادة الدولة تتأثر وتتغير بناءً على التطورات والتحولات التي تطرأ على مستوى العلاقات الدولية، لأن الملاحظ أن هذه الظواهر الجديدة مثل العولمة، والنظام الدولي الجديد، والتدخل الدولي، وغيرها، أضحت تشكل خطراً وعائقاً حقيقياً للسيادة الوطنية⁽¹⁴⁾.
- سيادة دائمة وهي التي تدوم بدوام قيام الدولة، والعكس أيضاً صحيح أي بمعنى أن بقاء السيادة مرتبط ببقاء الدولة، وانتهائها بانتهاء الدولة، والسيادة تكون شبيهة بحرية الفرد التي لا تنتهي إلا بانتهائه.

¹². عبدالقادر القادري، مرجع سابق، ص 98.

¹³. عبد الواحد الناصر، مرجع سابق، ص 102.

¹⁴. حافظ إبراهيم وآخرون، مرجع سابق، ص 76.

• سيادة غير قابلة للتقادم بمعنى أن السيادة لا تسقط حتى لو توقف العمل بها لمدة معينة، سواءً كانت هذه المدة طويلة أو قصيرة، كما في حالة الدول المستعمرة سابقاً، والتي عادت عن طريق مبدأ الانبعاث أي بمعنى بعد نيلها الاستقلال⁽¹⁵⁾.

• سيادة لا تتجزأ بمعنى أنه لا يوجد في الدولة الواحدة سوى سيادة أو سلطة عليا واحدة، والتي لا يمكن تجزئتها، وذلك مهما كان النظام الدستوري أو الإداري لهذه الدولة، فسواءً أكانت دولة موحدة أو اتحادية، أو كانت تتبع نظام اللامركزية أو نظام المركزية الإدارية، فإنها ذات سيادة واحدة، وقد أثير موضوع تجزئة سيادة الدولة بمناسبة الصلاحية التي تم إعطاؤها للمنظمات الدولية التي تتخذ قرارات في بعض المسائل التي تدخل أساساً في نطاق السيادة والسلطان الداخلي للدولة، وقد ذهب معظم الفقهاء إلى أن السيادة لا تتجزأ، ومصدر مبدأ عدم التجزئة يعود إلى كون السيادة متلازمة مع شخصية الدولة، وأن الأمر لا يعدو أن يكون في هذه الحالة مجرد توزيع اختصاصات تمارس تطبيقاً للسيادة، حيث تعاقدت الدول على منح المنظمة الدولية اختصاصات لكي تمارسها داخل حدودها بإرادتها ورضاهها، ودون أن يمثل ذلك انتهاكاً لسيادتها⁽¹⁶⁾.

بيد أن قضية التجزئة الخاصة بسيادة الدولة ترتبط بمبدأين أساسيين، هما:

1. مبدأ عدم قابلية السيادة للتنازل عنها، وقد كان جان جاك روسو، أول المفكرين الذين ذكروا فكرة عدم تنازل الشعب عن سيادته في كتابه العقد الاجتماعي، حيث ذكر أن السيادة ليست إلا تعبيراً عن الإرادة العامة، ويمتنع على الأفراد التنازل عنها، لأن هذا التنازل يؤدي بشكل قهري إلى زوال الإرادة، فحين تزول الإرادة تنعدم الشخصية القانونية، وتنعدم معها السيادة⁽¹⁷⁾.

2. يرتبط مبدأ وحدة السيادة وعدم تجزئتها بمبدأ عدم إمكانية نقل السيادة وعدم إمكانية تفويضها والتفويض يُقصد به التوكيل أي بمعنى أن المفوض يفوض إلى المفوض إليه بعض الصلاحيات، ويبقى للمفوض الحق في العود عن قراره وممارسة الصلاحيات التي تم تفويضها مباشرة دون الرجوع إلى المفوض إليه، وهو ما يختلف عن التنازل الذي يعني الترك النهائي، وبالتالي زوال صفة المتنازل عن ممارسة الحقوق موضوع التنازل، والتفويض لا يمكن أن يتناول أساس الحق، بل تطبيقاته ونتائج العملية، وكل تنازل للدولة عن سيادتها هو باطل ومستحيل لأن السيادة لا يمكن تفويضها، ولأن التفويض يُعد في هذا المقام كالتنازل يفقد الدولة إرادتها وشخصيتها⁽¹⁸⁾.

ثانياً: ممارسة السيادة في ظل القانون الدولي المعاصر

من قبيل الصحيح أنه لا يوجد سلطة أعلى من السيادة، ولكن تبقى السيادة في إطار القانون الدولي المعاصر مرهونة بعدة تطورات للمجتمع الدولي، ولذلك فإن السيادة، يتطور مضمونها ومجالها تبعاً لتلك التطورات في إطار

¹⁵. سهيل حسين الفيثلي، مرجع سابق، ص 132.

¹⁶. أحمد سرحال، مرجع سابق، ص 79.

¹⁷. ريمون حداد، مرجع سابق، ص 87.

¹⁸. المرجع نفسه، ص 169.

العلاقات الدولية، وهذا ما يحد أحياناً من ممارسة السيادة في بعض المجالات، الأمر الذي يجعل للسيادة حدود في إطار القانون الدولي، وتختلف هذه القيود من ظرف إلى آخر، ومن زمن لآخر، ومن بين هذه القيود، قيد السيادة في ظل فكرة التضامن الدولي.

يشكل التضامن الدولي مرحلة فاصلة في الانتقال من حياة العزلة أو الفوضى الدولية إلى مرحلة التجمع وانتظام العلاقات الدولية، وقد بدأت أفكار التضامن الدولي عند الفلاسفة الأوائل في الشرق والغرب على حد سواء، وأخذت مداها العملي مع الاتحادات الدولية لتحقيق بعض المصالح المشتركة، وتنظيمها وصولاً إلى الفاصل التاريخي الأهم المنشئ لعصبة الأمم، ومنها إلى الأمم المتحدة، فقد أفرز واقع العلاقات الدولية استحالة فكرة الاكتفاء الذاتي للدولة، وإمكانية العيش بمعزل عن المجتمع الدولي⁽¹⁹⁾.

وقد أجبر واقع الحاجات المتنامية للدول على تجاهل دعواتها بالسيادة المطلقة، والتنازل عن مبدأ التمسك الجامد بالاختصاصات الحصرية في عدة مجالات لأجل تحقيق غايات تسد هذه الحاجيات، ونتج عن ذلك تداخل علاقات الدول مع بعضها البعض، وقد عبر الفقه الدولي عن هذا التداخل بالتضامن الدولي، وهو يمثل ذلك الإسهام في عمل مشترك يفترض تعدد القائمين بالعمل، ويكون ثمرة لرغبة عدد من القوى⁽²⁰⁾.

هذا ما أثبتته التحديات الدولية الراهنة، أن أي اختلاف أمني أو سياسي أو حتى اقتصادي في دولة ما، قد يؤثر بصورة أو بأخرى في دولة أخرى في نطاق المجتمع الدولي، فهناك العديد من المشاكل في عدة مجالات التي لا يوجد لها حل إلا بتضامن من المجتمع الدولي كافة، لأجل الحفاظ على استقراره، وهذه الحاجات تحولت إلى مطلب التزم به الحاكم السياسي ونفذه من خلال عمل قانوني، يحدد التزامات الدول المتضامنة ويبين حقوقها، وللتضامن الدولي عدة نماذج، كمجلس الأمن الدولي، والذي تأسس على فكرة التضامن الدولي، لتحقيق الأمن الجماعي بصورة موحدة لمجموعة الدول على فرض عدم انقسام الأمن أو تجزئته، ويكون بذلك نتاج مصلحة دولية مشتركة، ولتحقيق هذا الأمن الجماعي يحتاج الأمر إلى منظمات دولية وأفضل جهاز يقوم بهذا الأمر هو مجلس الأمن، ولكنه في إطار ممارسته لنشاطاته في سبيل ضمان الأمن الجماعي فإنه يصطدم بالسيادة الوطنية واختصاصها الداخلي⁽²¹⁾.

بيد أن مجلس الأمن أخذ يباشر اختصاصه في جميع المسائل التي يراها من زاويته، المتعلقة بحفظ الأمن والسلم الدوليين، كما أن قيد احترام سيادة الدول لم يعد له وجود في إطار سلطات مجلس الأمن، ذلك لأن مبدأ حفظ السلم والأمن الدوليين واحترام حقوق الإنسان أسمى وأعلى من مبدأ احترام السيادة، وهذا نظراً للتصور القائم وقت صياغة ميثاق الأمم المتحدة، كمنظمة أمنية بالدرجة الأولى تهدف إلى توفير آلة دولية تمنع تكرار الحروب بين الدول عن طريق تطبيق نظام الأمن الجماعي والتزام الدول بتنفيذ قرارات مجلس الأمن.

¹⁹. عماد جاد، التدخل الدولي بين الاعتبارات الإنسانية والأبعاد السياسية، القاهرة: مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، 2006م، ص162.

²⁰. عمران عبد السلام محمد الحاج، مجلس الأمن وحق التدخل لفرض احترام حقوق الإنسان، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في القانون العام،

(غير منشورة)، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة الرباط، 2001م، ص21.

²¹. المرجع نفسه، ص34.

بهذا يتضح أن نطاق السيادة قد تراجع وتقلص أمام التطورات الدولية الراهنة من صيغته المطلقة إلى النسبية، بحيث أصبح وسيلة لا غاية، ويعمل على تحقيق الخير العام الداخلي والدولي، على اعتبار أن الإنسان هو الهدف الأسمى له، بحيث لم تعد السيادة مسوغاً لانتهاك حقوق الإنسان، لاسيما وأن الدولة ملتزمة في ممارستها لمظاهر سيادتها بالقانون الدولي، وما يتضمنه من التزامات تفرض عليها احترام حقوق الإنسان وكرامته، وبذلك ظهرت فكرة تدويل حقوق الإنسان أي بمعنى إخراجها من الاختصاص الداخلي للدول وجعلها في إطار الاختصاص الدولي، وكانت لهذه التطورات انعكاسات على السيادة الوطنية⁽²²⁾.

ثالثاً: السيادة في ظل النظام الدولي الجديد

لقد أصبح القانون الدولي في ظل النظام العالمي الجديد، إحدى أدوات اختراق حرمة الاختصاص الداخلي والوسيلة المثلى للحد من السيادة، وقد كتب براين أوركار، تحت عنوان، تألم السيادة: (إن الكثير من التطورات في عصرنا أصبحت تتحدى مصداقية مبدأ سيادة الدولة، ونحن نعيش اليوم مرحلة نمو الاعتماد المتبادل الشامل، ذلك أن الاهتمام بالأم الإنسانية وبحقوق الإنسان كان عادة ما يتوقف في الماضي عند الحدود)⁽²³⁾.

انطلاقاً من مبدأ سيادة الدولة، يأتي المبدأ المصاحب والمكمل لسيادة الدولة وهو مبدأ عدم التدخل، غير أن القضية الجوهرية تبقى معرفة ماهية الشؤون الداخلية والتي يعبر عنها أيضاً بالمجال المحفوظ، ولتحديده فقد عرفه الفقه الدولي بأنه: ذلك الذي تكون فيه أنشطة الدولة أو اختصاصاتها غير مقيدة بالقانون الدولي، وينتج عن هذا التعريف مسألة في غاية الأهمية، وهي أن المجال الخاص للدولة يتقلص كلما توسعت الالتزامات ذات الطبيعة التعاقدية أو العرقية⁽²⁴⁾.

وبزيادة التعاون الدولي يمكن القول أن المجال الخاص للدول يتقلص باستمرار كلما انخرطت الدول في علاقات منظمة قانونياً مع الأشخاص الآخرين في المجتمع الدولي، كالتزامها بالاتفاقيات المتعددة الأطراف سواء فيما يتعلق الأمر بحقوق الإنسان، أو حفظ السلام أو تحقيق مبادئ الاعتماد المتبادل، وعادة ما تكون الدولة مضطرة بمقتضى التزامها إلى التنازل عن بعض الاختصاصات التي كانت تدرج سلفاً ضمن المجال المحفوظ، وذلك لفائدة مؤسسات دولية أو تنظيمات إقليمية، وهي في هذه الممارسة لا تنقص في الواقع من سيادتها بقدر ما تعبر عن تلك السيادة⁽²⁵⁾.

ويتبين من مراجعة أحكام القضاء الدولي أن هناك اتجاهاً لترجيح علو القانون الدولي على القانون الداخلي، ففي حكمها الصادر بتاريخ 18 ديسمبر 1951 في قضية المصائد، ذهبت محكمة العدل الدولية إلى أن حجية

²². سعيد الركاكي، مقرب في دراسة العلاقات الدولية، مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، 1991م، ص 117.

²³. عبد الكريم علوان، الوسيط في القانون الدولي العام، الكتاب الأول: المبادئ العامة، عمان: مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1997م، ص 132.

²⁴. محمد تاج الدين الحسيني، المجتمع الدولي وحق التدخل، سلسلة المعرفة للجميع، منشورات رمسيس، العدد 18، الرباط، 2004م، ص 137.

²⁵. عبد العزيز النويضي، اشتراطيه حقوق الإنسان: ربط المساعدة باحترام حقوق الإنسان في العلاقات بين الدول، المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، سلسلة مواضيع الساعة، رقم 18، 1999م، ص 37.

تحديد البحر الإقليمي بالنسبة للغير، إنما تتبع من القانون الدولي العام، وفي حكمها الصادر في 27 يناير 1952م، بشأن حقوق ومصالح رعايا الولايات المتحدة الأمريكية في المغرب، أعلنت أن القوانين الصادرة في المغرب سنة 1948م، تتعارض مع القانون الاتفاقي السابق عليها⁽²⁶⁾.

كما أن العديد من القضايا المرتبطة بالبيئة والصحة والاقتصاد التي كانت تحسم في إطار الاختصاص الداخلي لكل دولة أو حتى في الإطار الإقليمي، أصبحت أهم تلك القضايا اليوم تتجاوز حدود الدول مثل حماية البيئة وندرة المياه واستفحال المجاعة والأمراض الفتاكة، وتوحيد الجهود بشأن هذه القضايا ومثيلاتها أصبح يفترض اتخاذ تدابير لن تكون فعالة إلا إذا اتخذت بشكل جماعي.

من جهة أخرى قدم كوفي عنان، الأمين العام السابق للأمم المتحدة، في المشروع الذي طرحه على الجمعية العامة في دورتها الـ54، اعتبار أن السيادة لم تعد خاصة بالدولة القومية التي تعتبر أساس العلاقات الدولية المعاصرة ولكن تتعلق بالأفراد أنفسهم، وهي تعني الحريات الأساسية لكل فرد والمحافظة من قبل ميثاق الأمم المتحدة، وبالتالي فهو يدعو إلى حماية الوجود الإنساني للأفراد، وليس حماية الذين ينتهكونها، وبهذا الطريق يكون قد أزال العقبات أمام المنظمات الدولية لكي تباشر أعمالها في مشروع التدخل لوقف انتهاكات حقوق الإنسان دون تفويض من الأمم المتحدة⁽²⁷⁾.

التدخل الإنساني وإشكالية السيادة:

التدخل الإنساني أو التدخل لأغراض إنسانية، هو مفهوم قديم حديث في آن واحد، وظهر هذا المفهوم في إطار ما عرف بحماية حقوق الأقليات وبعض الجماعات العرقية الأخرى، وكان ذلك بالتقريب في منتصف القرن التاسع عشر⁽²⁸⁾.

تم النظر إلى مبدأ التدخل الإنساني في ذلك الوقت باعتباره إحدى الضمانات الأساسية التي ينبغي اللجوء إليها لكفالة الاحترام الواجب لحقوق الأفراد الذين ينتمون إلى دولة معينة ويعيشون - على الرغم من ذلك - على إقليم دولة أخرى⁽²⁹⁾.

أما الآن، وبالتحديد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وقيام منظمة الأمم المتحدة، فقد أضحت المسألة الخاصة بالحماية الدولية لحقوق الإنسان - بصرف النظر عن الانتماءات الوطنية أو العرقية أو الدينية أو السياسية أو غيرها - تمثل أحد المبادئ الأساسية للتنظيم الدولي المعاصر.

وإذا كانت الضمانات الدولية لحقوق الإنسان التي قررتها المواثيق والاتفاقيات الدولية ذات - الصلة - ومنها الضمانة المتمثلة في إمكان تدخل المجتمع الدولي لكفالة الاحترام الواجب لهذه - الحقوق - قد ظلت كمبدأ عام،

²⁶. المرجع نفسه، ص 39.

²⁷. عبد العزيز النويضي، مرجع سابق، ص 41.

²⁸. صادق محروس، المنظمات الدولية والتطورات الراهنة في النظام الدولي، مجلة السياسة الدولية، العدد (122)، القاهرة: مركز الأهرام للبحوث والدراسات الاستراتيجية، أبريل 1995، ص 17.

²⁹. المرجع نفسه، ص 19.

بعيدة عن مجال التطبيق الفعلي خلال العقود الأربعة الأولى من حياة الأمم المتحدة، فإن المشاهد هو أن الضمانة المتعلقة بإمكانية التدخل الإنساني، قد أضحت مؤخرًا على قائمة الإجراءات التي يلجأ إليها لفرض مثل هذا الاحترام.

وقد أصدرت الجمعية العامة في عام 1988م، القرار 43/131 المتعلق بالمساعدة الإنسانية لضحايا الكوارث الطبيعية والحالات الاستعجالية المشابهة. وقد اعتبرت الأمم المتحدة ضمن هذا القرار، أن بقاء الضحايا بدون مساعدة يمثل تهديدًا لحياة الإنسان ومساسًا بالكرامة الإنسانية⁽³⁰⁾، ومن ثم فإن الاستعجال يحتم سرعة التدخل مما يجعل حرية الوصول إلى الضحايا شرطاً أساسياً في تنظيم عمليات الإسعاف، وهذا يقتضي أن الوصول إلى الضحايا لا ينبغي أن تعرقه لا الدولة المعنية ولا الدول المجاورة، إلا أن القرار أكد على السيادة والوحدة الترابية والوحدة الوطنية للدول، كما اعترف بأنه يقع على عاتق الدول أن تعتني بضحايا الحوادث الطبيعية والحالات المشابهة التي تقع فوق إقليمها.

إن التدخل الإنساني لا يؤثر بشكل كبير على السيادة عندما يقتصر على التزويد بالمواد الغذائية والطبية أو حتى إيفاد بعض المدنيين لمعالجة أوضاع الكوارث المستعصية، إلا أن الأمر يختلف عندما يتعلق بتدخل قوة مسلحة لمنع بعض خروق حقوق الإنسان⁽³¹⁾.

في هذا المنحى، شكلت حرب كوسوفو مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات الدولية، فقد أدت إلى إعادة تشكيل النظام الدولي، أو الدخول على العكس من ذلك في مرحلة جديدة من الفوضى في العلاقات الدولية.

تذرع قادة حلف شمال الأطلسي بأن حرب كوسوفو هي حرب أخلاقية لأن الهدف منها هو القضاء على سياسة التطهير العرقي في كوسوفو بهزيمة الرئيس الصربي، ولأنه يتعين منع الحكام الدكتاتوريين من ارتكاب الأعمال الوحشية حتى يستمرروا في السلطة، لكن الحرب الأخلاقية مفهوم نسبي ينطوي على ازدواجية المعايير، فالحلف الأطلسي والولايات المتحدة الأمريكية لم يفكرا بالتدخل في بلدان أخرى رغم وجود اعتبارات مماثلة. والأمثلة على ذلك عديدة ومنها إبادة الجنس البشري بأبشع الصور في رواندا وسيراليون وليبيريا وأنغولا والكونغو الديمقراطية. ولا يكتثران لما حل ويحل ببعض الشعوب من تدمير وتشيتت كالشعب الفلسطيني المحتل⁽³²⁾.

غير أن حرب كوسوفو وإن تم تبريرها بوقف انتهاكات النظام الصربي لحقوق الإنسان في كوسوفو، فإن الهدف الحقيقي منها هو تثبيت أوضاع معينة وفرض ترتيبات محددة في إطار تكريس التفوق الغربي الشامل بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وباتجاه بلورة دور جديد لحلف شمال الأطلسي يجعل منه مؤسسة عالمية. فقد تصاعدت وتيرة المناداة بإعادة تقويم التدخل العسكري خاصة بعد تدخل الحلف الأطلسي في كوسوفو دون موافقة مجلس الأمن، وعقدت مؤتمرات ودراسات عديدة حول الأمر، بما في ذلك قيام مكتب الأمين العام للأمم المتحدة عام 2000م، بإجراء مشاورات موسعة حول وضع أسس سليمة للتدخل العسكري بواسطة الأمم المتحدة،

³⁰. للمزيد من التفصيل: أنظر ديباجة القرار 43/131 الفقرة 3.

³¹. محمد تاج الدين الحسيني، مرجع سابق، ص 161.

³². عبد الواحد الناصر، حرب كوسوفو: الوجه الآخر للعولمة، سلسلة كتاب الجيب، العدد السابع، منشورات جريدة الزمن، الرباط، أكتوبر 1999م، ص 47.

ومطالبة كوفي عنان، المجتمع الدولي للتوافق من جديد على تعريف التدخل الإنساني وتحت مسؤولية أية جهة والكيفية التي يتم بها ذلك⁽³³⁾.

وبمبادرة من الحكومة الكندية تم تكوين اللجنة الدولية حول التدخل والسيادة الوطنية، المكونة من شخصيات دولية من مختلف أنحاء العالم. قدمت اللجنة تقريرها ونشرته في ديسمبر 2001م، ورحب به الأمين العام للأمم المتحدة كوثيقة مهمة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار. ويشير التقرير إلى أن الاعتبار الأساسي ينبغي أن يكون مسؤولية (توفير الحماية) وليس (حق التدخل)، مما يضع القرار في إطار حاجات وحقوق المواطنين، بدلا عن مصالح أو خلافات الدول. وتشمل مسؤولية توفير الحماية ليس فقط التدخل، بل منع الانتهاكات من الوقوع، ومسؤولية إعادة البناء، وخلصت اللجنة إلى أن التدخل العسكري ينبغي أن يكون إجراءً استثنائياً يتم اللجوء إليه فقط في الانتهاكات الجسيمة التي تتسبب في وقوع أذى بالغ الخطورة أو ترجح وقوعه، كالقتل الجماعي بنية الإبادة أو نتيجة فعل الدولة أو عجزها أو إهمالها أو التطهير العرقي واسع النطاق سواء عن طريق القتل أو الترحيل القسري أو الإرهاب أو الاغتصاب⁽³⁴⁾.

خرق السيادة بدعوى مكافحة الإرهاب:

للحرب على الإرهاب ثلاثة أبعاد ظاهرة، بعد قيادي، إذ أنها حرب تخوضها الولايات المتحدة بشراسة كبيرة من أجل قيادة العالم على أساس الزعامة الأمريكية الأحادية، وبعد انتقامي من حيث أنها تتطوي على الانتقام الأمريكي للمذلة والهوان الناتج عن هجمات 11 سبتمبر 2001م، ولهذه الحرب أيضا بعد وقائي بسبب تحويل الحرب ضد القاعدة في أفغانستان إلى حرب وقائية أو استباقية⁽³⁵⁾.

أثارت أحداث 11 سبتمبر 2001م، تساؤلات عديدة حول مسألة التدخل بدعوى مكافحة الإرهاب إثر الهجوم على الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك اليوم ارتأت أمريكا أنها تعتبر نفسها في حالة حرب بسبب الاعتداء الذي وقع عليها، وأنها ستقوم بالرد دفاعا عن نفسها، غير أن أحد فقهاء القانون الدولي، وهو في ذات الوقت عضو ورئيس سابق للجنة القانون الدولي التابعة للأمم المتحدة، سارع إلى القول بعد أيام معدودة على وقوع هجمات 11 سبتمبر 2001م بأن الأمر لا يتعلق بالحرب⁽³⁶⁾.

لذلك فإن هذه الهجمات باعتراف الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها تشكل بدون شك تهديدا للسلم والأمن الدوليين كما أكدت ذلك قرارات مجلس الأمن⁽³⁷⁾، لكن على الرغم من تصنيف الإرهاب في خانة تهديد السلم والأمن الدوليين، وإبداء المجلس استعداداه لاتخاذ كافة الترتيبات للرد على أحداث 11 سبتمبر ومحاربة الإرهاب، لم يرق المجلس نفسه بمباشرة إجراء محدد بموجب الفصل السابع، إذ يقتضي ذلك بالضرورة تحديد الجهة-الدولة-

³³. محمد تاج الدين الحسيني، مرجع سابق، ص164.

³⁴. أمين مكي مدني، التدخل والأمن الدوليان: حقوق الإنسان بين الإرهاب والدفاع الشرعي، المجلة العربية لحقوق الإنسان، العدد العاشر،

المعهد العربي لحقوق الإنسان، تونس، يونيو 2003م، ص113.

³⁵. عبد الواحد الناصر، مرجع سابق، ص121.

³⁶. أمين مكي مدني، مرجع سابق، ص114.

³⁷. ليلي حلاوة، السيادة: جدلية الدولة والعولمة، القاهرة: دار النهضة، 2001م، ص132.

التي ينبغي أن توجه ضدها إجراءات القمع، الأمر الذي لم يكن متاحا بالنسبة للمجلس، حتى وإن كان تنظيم القاعدة هو الجهة التي وجهت إليها أصابع الاتهام، فلم يثبت أن حكومة طالبان وأفغانستان - الدولة - هي الجهة التي تقف وراء العدوان. غير أن تأكيد القرار على حق الدول في ممارسة حق الدفاع عن النفس، ترك الباب مفتوحا لتبرير ما أعلنته الولايات المتحدة عن الحرب على الإرهاب بالأسلوب الذي ارتأته، وفي هذا يمكن القول أنه على الرغم من نص القرار على مبدأ ممارسة حق الدفاع عن النفس، ينبغي أن يكون بموجب الميثاق⁽³⁸⁾.

غير أن العمليات العسكرية للولايات المتحدة المنفردة أو بالاشتراك مع القوات المسلحة التابعة للدول الأخرى في التحالف العسكري ضد الإرهاب، لم تخضع لأي تحديد زمني أو لأي رقابة من قبل مجلس الأمن، وهما شرطان جوهريان من شروط الدفاع الشرعي بحسب مقتضيات ميثاق الأمم المتحدة.

إن الحرب على الإرهاب هي حرب أمريكية الأهداف والمصالح، وتكاد تكون حربا صليبية جديدة بالمفهوم التاريخي للحرب، وتستند إلى تبريرات تهدم المكاسب التي حققها القانون الدولي منذ إنشاء الأمم المتحدة، وهي مكاسب توصف بأنها مبادئ قانونية عالمية، كالمبادئ المتعلقة بتحريم استخدام القوة واحترام السيادة والاستقلال السياسي والسلامة الإقليمية للدول ومبدأ عدم التدخل⁽³⁹⁾.

لقد تم إضفاء صفات الحرب العالمية على الحرب الجديدة ضد الإرهاب. وحسب تعبير وزير الدفاع الأمريكي -الأسبق- دونالد رامسفيلد، لن تنتهي هذه الحرب باحتلال منطقة أو بانهزام قوة عسكرية معادية، لأنها تتطلب عملية ضبط سياسي وأمني واستخباري على المدى الطويل وتحقيق الشفافية في الأنشطة السياسية والاقتصادية والمالية لجميع الدول⁽⁴⁰⁾، وهو ما يعني تجاوز جميع المكتسبات التي حققها مبدأ السيادة القانونية للدول وخاصة المستضعفة منها، على امتداد قرون عديدة بوصفه ركنا جوهريا في القانون الدولي.

إن الحرب على الإرهاب هي سابقة خطيرة في العلاقات الدولية من حيث إنها تعطي الولايات المتحدة وحلفائها فرصة ابتداء شرعية دولية جديدة موازية وبديلة عن شرعية الأمم المتحدة، فهذه الشرعية الجديدة المزعومة ستفتح الباب على مصراعيه أمام أي تدخل بدعوى الدفاع عن المبادئ أو المحافظة على المصالح تحت ذريعة محاربة الإرهاب، وفي التواجد الدائم في منطقة مصالح حيوية وإستراتيجية بالنسبة لأية مواجهة محتملة مع القوى الكبرى الأخرى كروسيا والصين أو مع القوى الإقليمية المجاورة كإيران وباكستان وأفغانستان، وهي بالإضافة إلى ذلك مقاربة تنطوي على صياغة جديدة لمبدأ التدخل الذي تتحصن وراءه الدول الصغيرة لحماية سيادتها الوطنية واستقلالها، وبحيث يتم إضفاء المشروعية على التدخل الجماعي من خلال استثناء الحرب على الإرهاب من قاعدة تحريم استخدام القوة، ومن الخضوع للقيود والضوابط التي يفرضها القانون الدولي وذلك بدعوى ممارسة الحق في الدفاع الشرعي بصورة جماعية .

³⁸ . محمد تاج الدين الحسيني، مرجع سابق، ص 192.

³⁹ . عبد الواحد الناصر، مرجع سابق، ص 86.

⁴⁰ . المرجع نفسه، ص 112.

ادوات النظام الدولي الجديد التي تمس بسيادة الدوله:

من خلال ما سبق تناوله، يمكن القول أن سيادة الدول في ظل النظام الدولي الجديد، قد تراجعت وتقلصت، بسبب توافر مفاهيم وأدوات جديدة متمثلة في:

أ. مكافحة الارهاب: بات الارهاب حسان طرودة الذي تستخدمه بعض الدول للتدخل بشؤون الدول الاخرى، وضرب سيادتها، خاصة انه للان لا يوجد تعريف واضح ومتفق عليه للإرهاب، وقد كثرت مؤخرا صور التدخل بسيادة الدول تحت ذريعة الارهاب.

ب. احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية: هناك اتجاه متنامي في وضع الاتفاقيات والضمانات التي تحفظ هذه الحقوق في العالم، حتى باتت جانب مهم من جوانب تدخل المنظمات والدول في سياسات وسيادة دول العالم، ولعل موضوع حقوق الانسان والحريات من بين المواضيع الحساسة والتي تلاقي صدى في ارجاء العالم وتستطيع ان تكسب تضامن دولي مع قضاياها، وهنا لا بد من الإشارة الى دور الدولة أو النظام في هذا الجانب، اذ ان الأنظمة التي لا تحترم حقوق مواطنيها ولا تحقق الحريات الاساسية لهم، وتعطي المجال للمؤسسات الدولية وباقي الدول ان تتدخل بشؤونها وتفرض عليها الشروط والعقوبات⁽⁴¹⁾.

ج. الشركات عابره القارات: والتي تشكل اليوم قوة اقتصادية عظمى، فإننتاجها يزيد بمعدل يبلغ نحو ضعف معدل نمو الاقتصاد الداخلي للدولة الصناعية المتقدمة، ومن المتوقع أن يكون لنحو 500 أو 600 شركة من هذه الشركات في منتصف هذا القرن ملكية ما لا يقل عن ثلثي مجموع الأصول الثابتة في العالم بأسره، وأن تقوم بإنتاج أكثر من نصف الإنتاج العالمي، والشركات عابرة القارات تمارس سيطرة مركزية كاملة من البلد الأصلي على فروعها المنتشرة في أنحاء العالم، وجميع الفروع تعمل تحت نظام دقيق، وفي إطار إستراتيجية عالمية وسيطرة عالمية مشتركة، ذلك لأن المركز الرئيس للشركة عابرة القارات هو بمثابة الدماغ، والجهاز العصبي المركزي لهذه الإستراتيجيات⁽⁴²⁾.

د. صندوق النقد الدولي والبنك الدولي: هما منظمتان أمميتان. صندوق النقد الدولي هو وكالة متخصصة من منظومة بريتون وودز تابعة للأمم المتحدة، أنشئ بموجب معاهدة دولية في عام 1944م، للعمل على تعزيز سلامة الاقتصاد العالمي، ويقع مقر الصندوق في واشنطن، ويديره أعضاؤه الذين يشملون جميع بلدان العالم تقريباً ويقوم على ضبط النقد الدولي واستقراره⁽⁴³⁾.

البنك الدولي هو أحد الوكالات المتخصصة في الأمم المتحدة التي تعنى بالتنمية. وقد بدأ نشاطه بالمساعدة في إعمار أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية وهي الفكرة التي تبلورت خلال الحرب العالمية الثانية في بريتون

⁴¹. ليلي حلاوة، مرجع سابق، ص182.

⁴². أمين مكي مدني، مرجع سابق، ص117.

⁴³. عبد العزيز النويضي، مرجع سابق، ص127.

وودز بولاية نيو هامبشير الأمريكية، و يمارس عمليات الإقراض ودراسات الجدوى في مجال الإنشاء والتعمير للدول المتضررة من الحروب والدول الفقيرة ضمن شروط قاسية⁽⁴⁴⁾.

ورغم أن صندوق النقد الدولي والبنك الدولي مؤسستان تابعتان للأمم المتحدة، دورهما دعم الاقتصاد العالمي، والمعاملات التجارية بين البلاد المختلفة، فإنه عادة ما يتم اتهامهما بكونهما أحد أدوات الشركات العالمية لبناء إمبراطورية تسيطر على اقتصاد العالم، وتهزم الدول، ونهب وتدمير اقتصاد الدول النامية، والمؤسستان تتبنيان سياسات رأسمالية تساعد على السوق الحر، فهما يرفضان أية قيود من الدول المقترضة على النقد الأجنبي، وضد الرقابة على الصرف، وضد أي تدخل من الحكومات على السياسات النقدية، ويعتبر البعض أن البنك الدولي وصندوق النقد، هما أبرز أدوات النظام العالمي الجديد حيث يقومان بإقراض الدول الفقيرة بقصد التنمية بينما تقوم بتطبيق الشروط الخاصة بها، والتي عادة ما تكون ضد مصلحة الدول الفقيرة، إذ تقوم المؤسستان بإقراض الدول الصغيرة بما يساعد حكومات الدول الكبرى على التدخل اقتصادياً في هذه الدولة، عبر استثمارات وجماعات ضغط تجعل من هذه الدول تابعة لها.

هـ. نشر الديمقراطية: تأخذ بعض الدول شعار نشر الديمقراطية في دول العالم وخاصة دول العالم الثالث، ليكون هذا سبباً لانتهاك سيادة تلك الدول، والتأثير في قراراتها وإدارتها لشؤونها الخاصة، ولعل هذا الموضوع تشارك فيه أيضاً الأنظمة في العالم الثالث خاصة تلك التي لا تسمح للديمقراطية بالنمو والتحرك، أو حتى تمنع وجود الديمقراطية في دولها وبالتالي، تعطي الذريعة للمنظمات والمؤسسات العالمية وبعض الدول للتدخل في شؤون هذه الدول⁽⁴⁵⁾.

و. منظمة التجارة العالمية: هي منظمة عالمية مقرها مدينة جنيف في سويسرا، مهمتها الأساسية هي ضمان انسياب التجارة بأكبر قدر من السلاسة واليسر والحرية. وهي المنظمة العالمية الوحيدة المختصة بالقوانين الدولية المعنية بالتجارة ما بين الدول.

تأسست المنظمة عام 1996م، لبدء مرحلة جديدة للاقتصاد العالمي، وتتطوي إتفاقية إنشاء منظمة التجارة الدولية على تحويل قدر من صلاحيات اتخاذ بعض القرارات الوطنية إلى منظمة التجارة، حيث أوجبت على الدول ضرورة التواصل معها قبل اتخاذ القرارات المتعلقة بالتجارة، بالإضافة إلى التحكم بتحديد أنواع الدعم المسموح به والدعم غير المسموح به⁽⁴⁶⁾.

إن منظمة التجارة العالمية هي تجسيد للنظام الدولي الجديد على المستوى المؤسسي، فقد تعدت منظمة التجارة العالمية على سيادة الدول من خلال قوانينها في السلع والخدمات وحقوق الملكية الفكرية، ومن خلال هيئة فض المنازعات والتحكيم، حيث تحول مفهوم التجارة لدى المنظمة من مفهوم تقليدي إلى مفهوم يشمل البيئة والعمل وحقوق الإنسان والعمال.

44. أمين مكي مدني، مرجع سابق، ص121.

45. ليلى حلاوة، مرجع سابق، ص196.

46. ليلى حلاوة، مرجع سابق، ص209.

تؤثر شروط نظام العضوية في منظمة التجارة العالمية على السيادة الوطنية، لأن هذه الشروط لا تنتهك السياسة الاقتصادية وسياسة الحماية فقط، ولكنها تؤثر سلباً في السياسة الامنية، فالقبول بشرط تعديل القوانين الداخلية، كي تتماشى وأهداف ومبادئ منظمة التجارة يعني قيام الدولة بإلغاء قوانين تهدف إلى حماية الامن الوطني⁽⁴⁷⁾.

رابعاً: أثر العولمة في اختراق السيادة الوطنية.

لعل أبرز التدفقات التي يعرفها النظام الدولي الراهن هي ظاهرة العولمة، هذه الظاهرة التي تعني الاتجاه المتزايد نحو تدويل السلع والأفكار ورؤوس الأموال على مستوى العالم الأرحب⁽⁴⁸⁾، كما تعني من الناحية الموضوعية تجاوز الولاءات القديمة، كالولاء للوطن أو الأمة أو الدين وإحلال ولاءات جديدة محلها، وفي هذا السياق، فالعولمة من شأنها أن تؤدي إلى تراجع عام في دور الدولة وانحسار نفوذها، وتخليها عن مكانتها شيئاً فشيئاً لمؤسسات أخرى تتعاضد قوتها يوماً بعد يوم، ويتعلق الأمر بالشركات العملاقة متعددة الجنسيات والمؤسسات الدولية العالمية⁽⁴⁹⁾.

المؤشرات العديدة على التراجع الكبير في سيادة الدولة القومية، وسلطتها، جعل الكثير من الكتاب يقولون بفكرة تلاشي الدولة بفعل العولمة، فجلال أمين مثلاً، ورغم إثارته إلى ظاهرة التغير المثمرة لوظائف الدولة على مر العصور يؤيد في تحليله فرضية اختفاء الدولة لمصلحة الشركات متعددة الجنسية لأن الحكومات أصبح من الصعب عليها ضبط الأنشطة التجارية للشركات داخل حدود بلادها، حيث أن هذه الشركات قد تلجأ إلى عملية الموازنة التنظيمية، فإذا كانت شركة ما تعارض سياسة حكومة معينة فيمكنها التهديد بالحد من إنتاجها المحلي أو إيقافه وزيادة إنتاجها في دولة أخرى أو حتى الإطاحة بالنظام السياسي القائم، كما فعلت شركة I.T.T الأمريكية التي أطاحت بنظام سالفا دور ألندي، رئيس دولة شيلي، في عام 1973م⁽⁵⁰⁾.

لقد تمكنت الشركات متعددة الجنسيات من القفز فوق الحدود التي تفصل بين الدول والأقطار وإزالة الحواجز الجمركية، وتغلبت على كل القيود التي تحول دون تدفق المعلومات والبيانات، فسلبت بذلك الكثير من سلطات الدول التي كانت تمارسها ضمن حدودها السياسية، التي هي من أهم مقومات سيادتها الوطنية، فأصبحت هذه الدول اليوم عاجزة عن تطبيق ما كانت تقوم به بالأمس من نفوذ وصلاحيات على أرضها⁽⁵¹⁾.

يمكن القول بأن العولمة قادت الدولة الوطنية في اتجاهين يهددان بانتزاع سيادتها الوطنية لصالح كيانات جديدة فوق وطنية، أو تفكيكها إلى كيانات إثنية دون وطنية، تفقد الدولة في ظلها طابعها كمثل حقيقي للقوى الاجتماعية المتجددة، ودول العالم الثالث مهددة أكثر من غيرها بهذين الخطرين، خطر انتزاع السيادة ونقلها إلى

⁴⁷. جلال أمين، العولمة والدولة، العرب والعولمة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م، ص 157.

⁴⁸. محمد الصوفي، تحولات النظام الدولي في عصر العولمة، بيروت: مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م، ص 12.

⁴⁹. المرجع نفسه، ص 17.

⁵⁰. محمد سعد أبو عامود، العولمة والدولة، مجلة السياسة الدولية، العدد (161)، القاهرة: مركز الأهرام للبحوث والدراسات، يوليو 2005م، ص 203.

⁵¹. محمد علي الفراء، العولمة والحدود، مجلة عالم الفكر، العدد 4، المجلد 32، أبريل- يونيو 2004، ص 80.

كيانات دولية أكبر منها كمنظمة التجارة العالمية والمؤسسات العالمية الدولية، أو كيانات إقليمية أضخم منها كمشروع الشرق الأوسط الكبير والشراكة الأورومتوسطية⁽⁵²⁾. والخطر الثاني هو صراع الهويات والحروب الأهلية التي تهدد بتفتيت السيادة، وتمزيق الوحدة الوطنية، وتؤدي إلى انفرط عقد الدولة إلى مرحلة أسماها برهان غليون "التعويم التاريخي للمجتمع"⁽⁵³⁾.

مما سبق، يمكن الوصول إلى أن تأثير انتهاك العولمة لسيادة للدول، من الناحية السياسية، يتجلى في: تزايد دور المؤسسات والمنظمات الدولية، وتزايد دور الهيئات الداخليه أو الكيانات المحلية، وإذابة دور الدولة القومية وتحولها لشرطي لتأمين مصالح الرأسمالية العالمية، أما من الناحية الاقتصادية، فيظهر التأثير في: عدم قدرة الدولة على السيطرة على مواردها وتوجيه انشطتها الاقتصادية، سطوة وتأثير الشركات العابره للقارات على اقتصاد الدولة، الاندفاع نحو النزعه الاستهلاكية، زيادة الاعتماد على التكنولوجيا وبالتالي تراجع الحاجة للعمالة البشرية وزيادة في العاطلين عن العمل.

أما في الجانب الاجتماعي، يتضح التأثير من خلال: تأثر الولاء القومي بمفاهيم اخرى كالعالمية وفوق القومية، تراجع في العدالة الاجتماعية خاصة بعد ان تفقد الدولة، أو تضعف سيطرتها، على قطاع الخدمات في الدولة، التوزيع الطبقي للمجتمع، وضعف درجة الالتزام بالأنماط الاجتماعية للدولة وما يصاحبها من صراع اجتماعي.

عليه يمكن الوصول إلى أن تأثير العولمة على سيادة الدولة يتمثل في أن قدرات الدول تتناقص تدريجياً بدرجات متفاوتة فيما يتعلق بممارسة سيادتها في ضبط عمليات تدفق الأفكار والمعلومات والسلع والأموال والبشر عبر حدودها.

خامساً: السيادة الوطنية ورؤيتها المستقبلية

استناداً على المتغيرات والتحولات التي طرأت على شبكة العلاقات الدولية الراهنة، في عالم ما بعد الحرب الباردة، وعلى جميع الأصعدة والمستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، فإن مستقبل السيادة الوطنية يمكن أن يتخذ أربعة سيناريوهات أساسية، تتلخص في:

السيناريو الأول: اختفاء السيادة: يقوم على فكرة تلاشي واضمحلال السيادة بحكم تأثير قوى العولمة بجميع أبعادها واتجاهاتها الإستراتيجية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، لتصبح الوظيفة الجديدة للدولة هي خدمة المصالح المسيطرة، ولا سيما أن للدول الكبرى دور كبير في تدعيم هذا التوجه لتحقيق مصلحتها عالمياً.

السيناريو الثاني: استمرارية السيادة، ويستند على أن السيادة الوطنية قد أصبحت نسبية أي بمعنى أنها مرنة بما يمكنها من استيعاب والتكيف مع المتغيرات الدولية الراهنة، كما يقر هذا الاتجاه بتراجع دور الدولة، ويرتبط بقاء السيادة الوطنية بالمقابل بديمومة واستمرار الدولة، فالتطورات الراهنة في النظام الدولي لن يأتي على السيادة

⁵². محمد إبراهيم منصور، العولمة ومستقبل الدولة القطرية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد (288)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002م، ص149.

⁵³. برهان غليون، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1995م، ص198.

تماماً، وإنما يعمل على إضعافها، ولكنه في ذات الوقت يرفض فكرة اختفاء السيادة، بل إنها ستظل قائمة بنسبية السيادة.

السيناريو الثالث: الحكومة العالمية. ويؤكد على فكرة تحول وانتقال السيادة الوطنية إلى مؤسسات الحكم العالمي هدفاً في تحقيق الحكومة العالمية المنشودة، أي بمعنى أن الدولة ستتأزل عن سيادتها لصالح حكومة عالمية منبثقة من نظام عالمي ديمقراطي، وتغير العولمة طرح فكرة الحكومة العالمية ليس باعتبارها حلاً بعيد المنال، وإنما باعتبارها عملية في طور التكوين.

السيناريو الرابع: تفكيك الإقليم. هنا تكون الدولة موجودة، إلا أنها غير قادرة على مباشرة مظاهر سيادتها على إقليمها، بسبب تفككها إلى عشرات الدول القومية الصغيرة في داخل الإقليم الواحد، أي بمعنى أنه من شأن هذا التشظي في داخل الإقليم الواحد، أن يحدث انقسامات واختلافات في التوجيه والتوجه، والذي بدوره يعيق ممارسة الدولة سيادتها في ظل هذا التشظي، ويبدو هذا واضحاً في العديد من المطالبات التي تعلق تارة تحت دعوى التعبير عن هويات من حقها التعبير عن نفسها، وتارة أخرى تحت توطيد صلة المواطن بالسلطة، وتارة تحت دعوى احتجاج على تحيز النظام الدولي الجديد لجماعات دون أخرى، وأيضاً ما يؤيد هذا السيناريو ذلك التزايد في الحروب الأهلية والنزعات الانفصالية، وهو ما يجعل احتمالية حدوثه أكثر واقعية، إلا أن هناك بعضاً من التحفظات التي تلاحقه، بدعوى أنه لا بد من وجود قوى مضادة تعمل على هذا السيناريو، فقط بسبب خطورته الشديدة، كي لا يخرج عن السيطرة، لتحقيق المبتغى.

بقراءة تحليلية، فإن السيناريو الثاني القائل بمرونة السيادة واستمراريتها، هو الأكثر تطابقاً مع الواقع الدولي الراهن، وهذا راجع إلى عاملين أساسيين، أولهما: أن السيادة لم تعد مطلقة، ذلك أنها ملزمة باحترام القوانين والأعراف الدولية، وكذا القيام بالتزاماتها الدولية، بما يناسب القوى الكبرى المحركة للمجتمع الدولي، وهو ما يؤكد على أنها أصبحت مرنة ومشروطة.

أما ثانيهما هو التأكيد على استمرارية السيادة باعتبار أن سيادة الدولة هي الركيزة الأساسية التي يقوم عليها النظام الدولي، مضافاً إلى ذلك أن الدولة في نهاية المطاف هي التي تقرر الحرب والسلام في العلاقات الدولية.

مما سبق يتضح أن السيادة الوطنية قد عرفت نقلة نوعية من بعدها التقليدي الذي يقوم على مطلق حرية الدولة في التصرف بلا قيود ولا ضوابط في المجالين الداخلي والخارجي، إلى البعد النسبي أو ما يعرف بالسيادة المحدودة أو المقيدة بأداء الالتزامات الدولية، ومن هذا المنطلق فإن نظرية السيادة المطلقة لم تعد موجودة، خاصة في ظل نسق عولمي يتميز بتنامي ديناميات الاعتماد المتبادل، والترابط الشبكي على المستوى العالمي، حتى أصبحت الدولة في ظل المتغيرات الدولية الراهنة كائناً اعتبارياً أكثر منه طبيعياً بفعل انكماش القيمة المادية للمجال الوطني.

وأيضاً بحكم تنامي دور الفواعل غير الوطنية، وميوعة القدرة الرقابية للدولة على حدودها بسبب النشاطات والعمليات العابرة للحدود، فقد تقوضت وأفرغت السيادة من محتواها الاستقلالي حيث أن السيادة الوطنية في ضوء التحولات الدولية الراهنة، هي عرضة للتآكل من الأعلى من الخارج، بفعل الضغوطات والتدخلات الخارجية، ومن

الأسفل من الداخل بفعل المطالب الداخلية، والصراعات بدعوى الهوية، والحركات الانفصالية، والتي غالباً ما تؤدي إلى تفتت السيادة، وتمزيق الوحدة الوطنية وذلك كله، لتكون السيادة الوطنية في ظل شبكة العلاقات الدولية الراهنة طوعاً ورهناً بما يتناسب والأوضاع والظروف الدولية المستحدثة.

خاتمة:

تناولت الورقة السيادة في ظل التحولات الدولية، وجاءت مقسمة على خمسة محاور، تعرض أولها إلى مفهوم ومظاهر وخصائص السيادة، فيما تطرق ثانياً إلى ممارسة السيادة في ظل القانون الدولي، فيما نخب ثالثاً إلى توضيح السيادة في ظل النظام الدولي الجديد، وفيه تم توضيح مبدأ السيادة في ظل القانون الدولي، وكذلك المبادئ الجديدة التي ينادي بها النظام الدولي الجديد والأدوات المستخدمة التي قادت لتراجع وتقلص السيادة الدولية.

أما رابع المحاور، فقد أشار إلى أثر العولمة في اختراق السيادة الوطنية، وفيه تم التعرض إلى مفهوم العولمة، واتجاهات العولمة التي تهدد بانتزاع السيادة الوطنية للدول، وكذلك تأثير العولمة على سيادة الدول في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

خامس المحاور تطرق إلى الرؤية المستقبلية للسيادة والتي تنحصر في أربعة سيناريوهات، تتمثل في اختفاء السيادة، استمرارية السيادة، الحكومة العالمية، تفكيك الإقليم.

نتائج:

1. أن مبدأ السيادة دائم مستمر لا يتغير، إلا أن صورتها وحقيقتها والمسئوليات التي تنهض بها تتغير مع الزمن أو يعاد توزيعها.
2. أن التطورات العالمية الحالية أدت إلى تدويل السيادة وتوسيع نطاقها بحيث لم تعد خاصة بالشعب والدولة وحدها، بل يشارك فيها المجتمع الدولي ممثلاً في القوى المتحكمة به.
3. أن مبدأ المساواة في السيادة بين الدول المستقلة، المشار إليه في الفقه القانوني وإنما هو مبدأ نظري ويكاد يكون العمل في الغالب والواقع على غير ذلك.
4. أن السيادة ترتبط من حيث طبيعتها ومدى اتساع أو ضيق نطاق تطبيقها بقدرات الدولة وإمكاناتها الذاتية، أي أن القوة شرط من شروط ممارسة السيادة والحفاظ عليها، وهو ما يثير في النهاية قضية العدالة الدولية.
5. أن المجال الخاص للدول يتقلص باستمرار، كلما انخرطت الدول في علاقات منظمة قانونياً مع الأشخاص الآخرين في المجتمع الدولي.
6. أن نطاق السيادة قد تراجع وتقلص أمام التطورات الدولية الراهنة، من صيغته المطلقة إلى النسبية، بحيث أصبح وسيلة لا غاية.

7. أن نظرية السيادة المطلقة لم تعد موجودة، خاصة في ظل نسق عولمي يتميز بتنامي ديناميات الاعتماد المتبادل، والترابط الشبكي على المستوى العالمي.

توصيات:

1. تعزيز الانتماء للدولة واحترام سيادتها من خلال بناء المواطنة السليمة الواعية.
2. التوسع في نظام الحكم الذاتي الداخلي في الدولة، ليشمل كافة أطراف المجتمع، واشتراط الموافقة على نظام الحكم من الجميع دون استثناء.
3. لا بد من توضيح أن العولمة لا يمكن إيجاد حل ناجح للتعامل معها من خلال دولة واحدة فقط، بل تحتاج الى تكتلات وتجمعات، لذا لا بد من احسان انتقاء التكتلات والاحلاف.

قائمة المراجع:

- ريمون حداد، العلاقات الدولية، بيروت: دار الحقيقة، 2000م، ص23.
- أحمد سرحال، قانون العلاقات الدولية، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2000م، ص28.
- مجد الدين الشيرازي، القاموس المحيط، ج3، بيروت: عالم الكتب، (ب: ت)
- عبد الواحد الناصر، العلاقات الدولية الراهنة، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 2003م، ص62.
- أحمد أبو الوفا، الوسيط في القانون الدولي العام، القاهرة: دار النهضة العربية، 1996م، ص38
- حافظ إبراهيم وآخرون، السيادة والسلطة: الآفاق الوطنية والحدود الدولية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م، ص63.
- عبدالقادر القادري، القانون الدولي العام الرباط: مكتبة المعارف، 1984م، ص92.
- سهيل حسين الفيتلي، الوسيط في القانون الدولي العام، بيروت: دار الفكر العربي، 2002م، ص125.
- علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1995م، ص103.
- عماد جاد، التدخل الدولي بين الاعتبارات الإنسانية والأبعاد السياسية، القاهرة: مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، 2006م، ص162.
- عمران عبد السلام محمد الحاج، مجلس الأمن وحق التدخل لفرض احترام حقوق الإنسان، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في القانون العام، (غير منشورة)، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة الرباط، 2001م، ص21.
- سعيد الزركاكي، مقترح في دراسة العلاقات الدولية، مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، 1991م، ص117.
- بد الكريم علوان، الوسيط في القانون الدولي العام، الكتاب الأول: المبادئ العامة، عمان: مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1997م، ص132.
- محمد تاج الدين الحسيني، المجتمع الدولي وحق التدخل، سلسلة المعرفة للجميع، منشورات رمسيس، العدد 18، الرباط، 2004م، ص137.
- عبد العزيز النويضي، اشتراطيه حقوق الإنسان: ربط المساعدة باحترام حقوق الإنسان في العلاقات بين الدول،

- المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، سلسلة مواضيع الساعة، رقم 18، 1999م، ص37.
- صادق محروس، المنظمات الدولية والتطورات الراهنة في النظام الدولي، مجلة السياسة الدولية، العدد (122)، القاهرة: مركز الأهرام للبحوث والدراسات الاستراتيجية، أبريل 1995، ص17.
- للمزيد من التفصيل: أنظر ديباجة القرار 34/131 الفقرة 3.
- عبد الواحد الناصر، حرب كوسوفو: الوجه الآخر للعولمة، سلسلة كتاب الجيب، العدد السابع، منشورات جريدة الزمن، الرباط، أكتوبر 1999م، ص47.
- أمين مكي مدني، التدخل والأمن الدوليان: حقوق الإنسان بين الإرهاب والدفاع الشرعي، المجلة العربية لحقوق الإنسان، العدد العاشر، المعهد العربي لحقوق الإنسان، تونس، يونيو 2003م، ص113.
- ليلى حلاوة، السيادة: جدلية الدولة والعولمة، القاهرة: دار النهضة، 2001م، ص132.
- جلال أمين، العولمة والدولة، العرب والعولمة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م، ص157.
- محمد الصوفي، تحولات النظام الدولي في عصر العولمة، بيروت: مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م، ص12.
- محمد سعد أبو عامود، العولمة والدولة، مجلة السياسة الدولية، العدد(161)، القاهرة: مركز الأهرام للبحوث والدراسات، يوليو 2005م، ص203.
- محمد علي الفراء، العولمة والحدود، مجلة عالم الفكر، العدد 4، المجلد 32، أبريل- يونيو 2004، ص80.
- محمد إبراهيم منصور، العولمة ومستقبل الدولة القطرية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد (288)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002م، ص149.
- برهان غليون، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1995م، ص198.

عنوان البحث

أنموذج التحول الثقافي الاجتماعي في منظور القرآن

دراى أبوبكر¹

¹ من دولة ساحل العاج ولد في عام ١٩٨٧ الميلادي درس الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدرسة سبيل النجاح في ماركوري أديجان ثم التحق بجامعة المصطفى العالمية حيث درس فيها علوم القرآن والتفسير في مرحلة السانسان والماجستير والدكتوراه.
رقم تلفون / 00989393626907
بريد الكتروني: drameaboubacar2000@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21118>

تاريخ القبول: 2021/10/12م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

إنّ القرآن الكريم كتاب حياة وهداية و نور حيث نزل تدريجياً لإخراج الناس من الظلمات الى النور، وهذه العملية التحوّلية الثقافية الاجتماعية هي الهدف الرئيس من نزول القرآن، فهذه الأطروحة التي بين أيدنا على عنوان (أنموذج التحوّل الثقافي الاجتماعي في منظور القرآن) وقد سلكت الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي، واستنبط الآيات والروايات والاعتماد على الكتب القيمة، مع مقارنة نظرية القرآن بنظريات أخرى في الموضوع . وعلى هذا الأساس فإنّ القرآن الكريم - في عملية التحوّل الثقافي الاجتماعي - قد أسست على الفطرة والعقل والايمان بالله والعدالة الاجتماعية والتدرّج في التّشريعات ووحدة القلوب و تأمين الحاجات البشرية الواقعية المعنوية والمادية و العرف الحسن وحرّية الالتزام و القيم والأخلاق السامية، وقد أثر كلّ من هذه المبادئ على حياة الفرد والمجتمع ، و كذلك مرّت عملية التحوّل بمراحل عديدة - خلال مسيره - في تحوّل ثقافة الفرد والمجتمع، وهي : مرحلة البيان ، ومرحلة الإبطال ، ومرحلة الإصلاح ، ومرحلة الخلق الثقافي الاجتماعي التي هي بمثابة المرحلة التأسيسية .

وأما النتيجة التي توصلنا إليها هي : أنّ الأنموذج التحوّل الثقافي الاجتماعي في القرآن تتحلّى بالشمولية والجامعية و النظم والهداية، و أنّ الانسان محور التحوّل والتغيير الاجتماعي، وأنّ نجاح عملية التحوّل مشروط بتطبيق الوحي المقدس الذي بمثابة الطريق بين الانسان وربّه، وأنّ لعملية التحوّل مراحل تطبيقية، بدء من الفرد ثم الأسرة ثم العشيرة والمجتمع ثم العالم، و قد يشمل التحوّل جميع أبعاد الحياة الثقافية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقيم والعلاقات الاجتماعية بالعدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي، وأنّه لا بدّ من حماية التحوّل بتأسيس الحكومة الاسلامية، مع أركانها التنفيذية والتشريعية والقضائية، و تشريع الجهاد دفاعاً عن الاسلام، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حفاظاً للنظام العام وتأميناً لحياة الفرد والمجتمع .

الكلمات المفتاحية: التحوّل، الثقافة، المجتمع.

RESEARCH ARTICLE

A MODEL OF CULTURAL AND SOCIAL TRANSFORMATION IN THE PERSPECTIVE OF THE QUR'AN

Drame Aboubacar¹

¹ From the country of Côte d'Ivoire, he was born in 1987 AD. He studied primary, middle and high school at Sabeel An-Najah School in Marcory Abidjan, then went to Al-Mustafa International University, where he studied Qur'anic and Tafsir sciences at the Linus, Master's and Ph.D.

Phone number / 00989393626907

Email / drameaboubacar2000@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21118>

Published at 01/11/2021

Accepted at 12/10/2021

Abstract

The Noble Qur'an is a book of life, guidance and light as it was revealed gradually to bring people out of darkness into light. In fact, this process of social, cultural transformation is the main goal of the revelation of Qur'an. This research followed the descriptive and analytical approach, deducing verses and narrations and relying on valuable books, while comparing the theory of the Qur'an with other theories on the subject. On this basis, the Noble Qur'an - in the process of cultural and social transformation – has been founded on instinct, reason, belief in God, social justice, gradualism in legislation, unity of hearts, provision of realistic human needs, moral and material, good custom, freedom of commitment, and lofty values and morals. In fact, all these foundations have had a great impact on the life of the individual and society, and the process of transformation also passed through many stages - during its course - in the transformation of the culture of the individual and society, namely: the stage of statement, the stage of nullification, the stage of reform, and the stage of cultural and social creation, which are the foundational stages.

As for the conclusion we reached is that the model of cultural and social transformation in the Qur'an was characterized by comprehensiveness, universality, order and guidance, that human being is the center of transformation and social change, and the success of the transformation process is conditional on the application of the Holy Revelation, which is the path between man and his Lord, and that the process of applying the stages of transformation Starting with the individual, then the family, then the clan, the community, then the world, and the transformation may include all dimensions of cultural life, social, belief, economic, political, values and social relations with social justice and social solidarity, and that the transformation must be protected by establishing the Islamic government, with its executive, legislative, and legislative pillars, Jihad in defense of Islam, enjoining good and forbidding evil, in order to preserve public order and to secure the life of the individual and society.

Key Words: the social. the cultural .the transformatio

مقدمة البحث

إنّ الانسان البشري في حاجة ماسة الى الكمال والترقي الى ربه والفوز برضاه حيث السعادة الأبدية الخالدة والحياة الطيبة السرمديّة ولتحقيق هذا الكمال والفوز بتلك السعادة الخالدة، أرسل الله الي الانسان الرُّسل والانبياء عليهم السلام وأنزل الكتب السماوية على رأسها القرآن الكريم ولن يصل الانسان الى هذه الغاية الكبرى إلاّ بالتحول الحقيقي في جميع مجالاته الاعتقادية، الاخلاقية، السياسية، الاقتصادية، الثقافية، والاجتماعية، حيث يقول : (الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) إبراهيم الآية الأولى وهذا الإخراج هو (التحول الاجتماعي الجزري) المعبر عنه بلغة العصر وهو كذلك الهدف الرئيس المنشود من أهداف نزول القرآن الكريم كما صرّح به بعض الآيات القرآنية، وعلى هذا الأساس كان من الجدير بالذكر أن يمعن الباحثون أنظارهم واهتمامهم إلى التحقيق والبحث في مثل هذا الموضوع المهم بل أهم، وقد لاحظنا قصور الباحثين في مجال موضوع التحول الثقافي الاجتماعي مع أنّ البشرية في أمس الحاجة إليها لضمان وتأمين احتياجاتهم في حياتهم الثقافية الاجتماعية،، وعليه قد صمّمنا أن نسدّ هذا الفراغ ونعالجه في هذه الأطروحة تأصيلاً علمياً، وللوصول إلى منشودنا وهدفنا اخترنا عنوان : (أنموذج التحول الثقافي الاجتماعي من منظور القرآن) حيث نبين فيه مجالات علمية التحول الثقافي في القرآن مع ذكر المراحل التي مرّ بها الاصلاح القرآني وللإجابة على هذه الأطروحة كان لا بُدّ من بيان السؤال الأصلي وهو: (ما هو أنموذج التحوّل الثقافي الاجتماعي في القرآن الكريم مبادئه، مراحلها، مجالاته وتطبيقاته)؟ ولكي نقلّي الضوء على الموضوع نحتاج الى استخراج أسئلة فرعية وهي كالتالي ذكرها:

الأسئلة الفرعية المطروحة في البحث

إجابة على السؤال الرئيس للبحث نحتاج الى استخراج أسئلة فرعية وهي:

1- ماهي مراحل التحوّل الثقافي الاجتماعي في القرآن الكريم ؟

2- ماهي مجالات التحوّل الثقافي الاجتماعي وتطبيقاته في القرآن الكريم ؟

ضرورة البحث: يمكن القول بأنّ الأمة الاسلامية في أمس الحاجة إلى التّعرف بالثقافة الاسلامية بصفة عامّة، والثقافة القرآنية بصفة خاصّة وقد لاحظنا - بعد تتبّعنا الحثيث الرسائل العلمية - أنّ الباحثين والمحقّقين الكرام لم يُعالجوا حقّ المعالجة موضوع التحوّل الثقافي الاجتماعي في القرآن الكريم من حيث المبادئ والمراحل والنماذج، وإجابة لسدّ هذه الحاجة العلمية الماسة رأينا أنّه يجب علينا أن نقوم بهذه المسئولية لأسباب وعوامل عدّة منها :

- حاجة الأمة الاسلامية بصفة عامّة إلى معرفة مبادئ ومراحل عملية التحوّلات الثقافية الاجتماعية التي مرّ بها القرآن الكريم نظرياً وتطبيقياً في مجالات حياتهم والعلمية والتربوية الثقافية والاجتماعية.
- حاجة المبلّغين والدعاة الكرام والمرتبين إلى التّعرف بمبادئ ومراحل عملية التحوّلات الثقافية الاجتماعية في القرآن، وتثقيفهم فيها واتخاذها نماذج تطبيقية في مسير حركاتهم ونشاطاتهم الدعوية والارشادية والتوجيهية في جميع مجالاتها

- ضرورة تثقيف المسلمين وخاصة الشباب والناشئين من النسل الجديد على الثقافة القرآنية النورانية،

الأهداف التي يسعى البحث إلى تحقيقها: هي :

1- لقاء الضوء على الهدف الرئيس لنزول القرآن الكريم الذي هو التحول (التغيير الجذري الاجتماعي) بأسلوب تدريجي ، ومنهجه في سبيل تحقيق ذلك الهدف السامي .

3 لقاء الضوء على مناهج القرآن الكريم في عرض مرحلية عملية التحول الثقافي الاجتماعي.

4 إثبات شمولية الثقافة الاسلامية من خلال معارف (القرآن الكريم والسنة الطاهرة) وصلاحيتهما لجميع أبعاد أصعدة الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية والسياسية والاقتصادية.

منهجية البحث : منهجنا في هذا البحث هو المنهج التوصيفي والتحليلي

حدود البحث: أما بحثنا فهو يمحور فيما يلي ذكره وهو أنه :

من حيث الزمان ، فهو يقتصر على نموذج التحول الثقافي الاجتماعي في عصر البعثة .

ومن حيث المكان ، فهو في صدد التحولات الثقافية الاجتماعية وقت نزول الوحي .

ومن حيث الموضوع ، فهو بحث قرآني ، ثقافي ، إجتماعي في بيان نموذج التحول الثقافي الاجتماعي في القرآن الكريم ومبادئه ومراحلها ، مع بيان الآثار المترتبة عليها

الدراسات السابقة : يمكن القول - بعد البحث والفحص في البحوث العلمية والكتب المتخصصة في الموضوع - أننا قد اطلعنا على بحوث ودراسات سابقة في الموضوع منها ما يلي :

أولاً : المجتمع الانساني في القرآن الكريم،

لمؤلفه السيد محمد باقر الحكيم، رحمه الله

من محتويات ذلك الكتاب:

- المجتمع الانساني نشؤوه، عناصره.
- تاريخ المجتمع الانساني .
- أثر الهوى والدين في المجتمع .
- النظرية الكونية في حركة التاريخ .
- الدين والعلاقات الاجتماعية.
- خصائص المجتمع الاسلامي

علاقة الكتاب بالأطروحة : ذكر المؤلف بعض كليات متعلقة بالبحث كالمجتمع الانساني والاسلامي عناصره وخصائصه. ثانياً : منطق تفسير القرآن (4)

المؤلف : دكتور محمد علي رضائي الاصفهاني

محتويات الكتاب : مباحث جديدة في علم التفسير (لسان القرآن، علم فهم النص، ثقافة عصر القرآن) علاقة الكتاب بالأطروحة : لقد ذكر المؤلف نظريات العلماء في تأثير القرآن بثقافة عصره و خصائص الثقافة الجاهلة العامة والخاصة . إلا انه لم يتطرق بذكر مبادئ التحول الثقافي الاجتماعي .

رابعاً : مبادئ وهيكلية النظام الثقافي من منظور القرآن

مقالة دكتور رضا آقايي ونصر الله نظري تحت عنوان: فهذه المقالة قد عالجت مبادئ النظام الاسلامي وعناصره، وبعض مبادئ النظام الثقافي بشكل مختصر وبدون ذكر الآثار المترتبة عليها في ثقافة المجتمع .

خامساً : (التغييرات الاجتماعية من منظور القرآن) باللغة الفارسية

أطروحة رسالة دكتوراه لسماحة الشيخ محمد يعقوب بشوي:

قد عالج الباحث فيها الموضوعات التالية وهي :

1- بيان نظريات علماء الاسلام والغرب في التغييرات الاجتماعية .

2- تسليط الضوء على عوامل التغييرات وشروطها وأقسامها وموانعها وأهدافها وطرقها ورسالتها

لكنه لم يتطرق الحديث فيها بذكر مبادئ ومراحل التحولات الثقافية، والآثار المترتبة.

وعلى ضوء ما سبق من الدراسات السابقة في الموضوع، فإن موضوع الثقافة قد عولج بشكل كلي مجمل، فمنهم من اختصر بالتأليف فيها في مجال ذكراًقسامها بدون تحليل، ومنهم من بحث فيها مختصراً مُخلاً، ومنهم من كتب مقالات فيها بدون الالتفات الى بيان أنموذجها وهيكليتها، فنحن في هذه الأطروحة - إن شاء المولى الكريم - نريد أن نسلط الضوء على أنموذج التحول الثقافي الاجتماعي في القرآن مع التركيز على بيان مبادئه ومراحله، وتطبيقاته ومجالاته، و بيان الآثار المترتبة على كل من هذه المبادئ والمراحل، ذلك بأسلوب منهجي وصفي تحليلي ، وإضافة الى مقارنة النظريات في الموضوع .

المبحث الأول : مفاهيم وكليات

1- الثقافة

الثقافة لغة : تأتي كلمة الثقافة في اللغة العربية لمعان كثيرة منها :

- 1- إقامة العوج ، (ثقف) الثاء والقاف والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع ، وهو إقامة درء الشيء . ويقال ثقفت القناة إذا أقمت عوجها 1..
- 2- الحذاقة والفتنة ، الحذق في إدراك الشيء و فعله،.
- 3- الظفر بالشيء والامساك به، جاء في قوله الحكيم : (فاما تتقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلمهم يذكرون) 3 أي الظفر بهم في الحرب .
- 4- المصادفة ، ومنه قوله تعالى: (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) 4 اي صادفتموهم
- 5- الإدراك الدقيق المحيط، بأن يكون الموضوع تحت النظر مع الحذق. و هذه الخصوصية منظورة في كل من معاني الأخذ و الدرك و الفهم و الظفر و إقامة العوج و غيرها، حتى تكون من مصاديق الأصل. 5
- 6- جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق بها 6 لذا كل من تبخر أو تقن في تلك المعارف والفنون يسمى متقفا .

يتبين لنا - من خلال ما ذكرنا - ان مشتقات كلمة (الثقافة) تحتوي معان كثيرة منها:

الفتنة والحذقة والسرعة و الظفر بالشيء والامساك به والمصادفة والادراك الدقيق المحيط ، وجملة العلوم والمعارف والفنون ، فكل من هذه المعاني تعطي معنى إدراك الشيء أو المعلوم إدراكا تاما دقيقا مصادفا له والاحاطة الكلية به .

مفهوم الثقافة في الاصطلاح

يمكن القول بأن أول من استعمل مصطلح الثقافة هو (ادوارد تايلور (1871م):) 7 في كتابه (الثقافة البدائية)، ففيه عرّف الثقافة بانها:

1 - ابو الحسين ، أحمد بن فارس بن زكريا مقاييس اللغة ، بيروت طبعة جديدة ملونة 1429 هـ 2008 م ج1 ص 382

2 - المفردات في غريب القرآن، ص 174

3 - سورة الانفال الاية 57

4 - سورة الاية 191

5 - المصطفي ، الحسن ، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، تهران ، ط 1 ، 1417 م ج2، ص: 20

6 - مجموعة من الدكتوراة، دراسات في الثقافة الاسلامية، مكتبة الفلاح، الطنبح السابعة، السنة 1414 هـ ، 1994م الكويت، ص 8

7 - شاعر امريكي، ولد عام 1645، وتوفي عام: 1729

1- ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والقانون والقيم والمعايير والاخلاق والعادات والتقاليد وغيرها مما يكسبه الانسان من خلال حياته كعضو في المجتمع 8 وقد تأثر العلماء بهذا التعريف وان حاول الذين جاءوا من بعد ذلك ليعرفوا الثقافة بتعاريف تربطها بالتاريخ تارة، وبالتعليم أخرى، وبالتربية ثالثة، فتلكم التعاريف جعلت الثقافة نتائج للمعاصرة من خلال التفاعلات التاريخية، أو ما يرثه المجتمع من موارث مختلفة على مستويات سياسية واقتصادية واجتماعية ومختلفة.

التعريف المختار : هو أنّ الثقافة عبارة : مجموعة الأفكار والعقلية المكتسبة المستمدة من العقيدة والقيم والعلوم والتقاليد والعادات واللغة وغيرها المتأثرة في حياة الفرد أو المجتمع المعنوية والمادية .

2 المجتمع

يمكن القول بأنه لا يوجد - الى الآن - تعريف لفظي خاص للمعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة، بحيث يقبله جميع علماء الاجتماع فضلا عن وجود تعريف حقيقي لها . وقد اعترف بهذا الامر العالم الاجتماعي المعاصر المسمى ب(بوتومور) حيث يقول : هناك مشكلة أخرى لا بدّ من مواجهتها وهي ان لكلّ مجتمع تركيبا اجتماعيا معيناً، وان كانت هناك عدة مجتمعات تنتشبه في تركيبها الاجتماعي، ولكن كيف ينبغي لنا تعريف المجتمع؟ وبعبارة أخرى: كيف نعين حدود التركيب الاجتماعي الخاص؟ فهل الهند الى هذه الاواخر كانت مجتمعا واحدا ام مجموعة من المجتمعات التي توجد بينها ثقافة موروثه ولا سيما الثقافة الدينية؟ في كثير من المواد يكون تعيين الحدود لمجتمع ما أمرا صعبا للغاية⁹ وعلى هذا الأساس فانه يكمن أن نذكر عدّة تعاريف للمجتمع:

1- وقد عبّر عن مفهومه العالم الاجتماعي (أنتوني غدنز) في كتابه : علم الاجتماع، قائلاً :«المجتمع (society): يعتبر مفهوم المجتمع واحد من أهم مفاهيم الفكر السوسولوجي. وهو مجموعة من الناس يعيشون في حيّز معيّن ويخضعون لنظام واحد من السلطة السياسية، وهم على وعي بأنّ لهم هويّة تميزهم عن المجتمعات الأخرى المحيطة بهم. «10. و عرّفه كذلك : (أنه نسق من العلاقات المتداخلة التي يرتبط بها الافراد بعضهم ببعض)¹¹

2- إنّ المجتمع هو (المجموعة من الافراد الانسانيين الذين يعيشون تلقائيا ولهم تقاليد وعادات واحدة وامال وغايات يريدون تحقيقها بوسائل مرسومة)¹²

3- (كلّ اجتماع ينطوي على العلاقات التي تنشأ بين الافراد الذين يعيشون داخل نطاق في هيئة وحدات او جمادات...)¹³

⁸ - عبد الله ابراهيم الكعبد، صحيفة يومية ، مقال منشور في صحيفة الرياض الصادرة من مؤسسة اليمامة الثقافية، صحيفة يومية / ص 5، العدد رقم (455) ليوم الاثنين من عام / 2008م

⁹ - تي، بي، باتومور، جامعه شناسي، ترجمة حسن منصور وحسن حسيني كلجاهي، ص 124

10 - أنتوني غدنز - علم الاجتماع ص 761 ترجمة الدكتور فايز الصباغ

11 - انتوني غدنز، علم الاجتماع، ص 79.

12 - سعفان، حسن، أسس علم الاجتماع ، ص 79

التعريف المختار : هور أنّ المجتمع عبارة : عن مجموعة من الناس تربطهم أنظمة وقوانين وقيم وآداب وعادات وتقاليد ويعيشون حياة إجتماعية في أرض واحدة .

ويستفاد من هذه التعاريف :

1- لزوم كون أفراد المجتمع مشتركين معا في لوازم الحياة الاجتماعية كالأنظمة والقوانين والقيم والأخلاق والآداب والعادات والتقاليد وغيرها .

2- لزوم حياة المجتمع على أرض واحدة ، لأن كونهم متفرقين في أماكن مختلفة لا يتحقق عليهم معنى المجتمع .

3- التحوّل

ألف : التحوّل ، الحول والتحوّل واحد قال تعالى: (لَا يَبْعُونَ عَنْهَا حَوْلًا) فمعناه لا يبغون عنها تحولا 14 وحال الشيء حولاّ وحؤولا. وأحال، والأخيرة عن ابن الإعرابي كلاهما تحول.

أصل الحَوْلُ تَغْيِيرُ الشَّيْءِ وَانْفِصَالُهُ عَنْ غَيْرِهِ، وَباعتبار التَّغْيِيرِ قِيلَ: حَالَ الشَّيْءُ يَحُولُ حَوْلًا، وَاسْتِحَالًا: تَهَيُّأً لِأَنْ يَحُولَ، إِلَى مَا قِيلَ فِيهِ وَباعتبار الانفصال قِيلَ: حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ كَذَا، 15 وَقَوْلُهُ تَعَالَى: اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ 16 إِنَّ الْأَصْلَ الْوَاحِدَ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ هُوَ تَبَدُّلُ الْحَالَةِ وَالتَّحَوُّلُ مِنْ صُورَةٍ أَوْ جَرِيَانٍ أَوْ حَالَةٍ أَوْ صِفَةٍ أَوْ بَرْنَامِجٍ إِلَى أُخْرَى 17

نستنتج من هذه التعاريف المذكورة أن مفردة التحوّل اذا أُطلقت يراد بها إنتقال حالة الشيء أو صورته إلى أخرى، أو تحوّل نظام أو برنامج إلى آخر، سواء كان ايجابيا او سلبا .

ب : التحوّل اصطلاحاً

ذكر العلماء أقوالا كثيرة في تعريف التحوّل الاصطلاحي نذكر منها ما يلي :

التعريف الاول : كلّ تحوّل يطرأ على البناء الاجتماعي خلال فترة من الزمن، فيحدث تغيّر في الوظائف والأدوار والقيم والأعراف وأنماط العلاقات السائدة في المجتمع 18

التعريف الثاني : كلّ ما يطرأ على المجتمع في سياق الزمن على الأدوار والمؤسسات والأنظمة التي تحتوي على

¹³ شاهين، مصطفى، علم الاجتماع والمجتمع الاسلامي، ص 42

¹⁴ -: العكبري، ابو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت:616هـ)، املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات، دار الكتب العلمية، بيروت-1399هـ/1978م.

¹⁵ - الراغب ، الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ،مصدر سابق، ج 1، ص 137

¹⁶ - سورة الانفال الآية 24

¹⁷ - المصطفوي ، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مصدر سابق ، ج2، ص: 318

¹⁸ - إبراهيم بن محمد آل عبد الله، والدكتور عبد الله بن حمد الدليمي، علم الاجتماع للصف الثالث الثانوي. قسم العلوم الشرعية والعربية (بنين). المملكة العربية السعودية، 1430. 1431هـ/ 2009 - 2010م، ص 91.

البناء الاجتماعي من حيث النشأة والنمو والاندثار 19

نستنتج من هذه التعاريف أنّ كل انتقال من حال الى حال آخر، أو من نظام الى نظام آخر، في زمن معين يسمّى بالتحوّل .

يمكن ان نعرض نموذجا للتحوّل الاصطلاحي بما يلي :

تحوّل المجتمع المكي والمدني من حالة و نظام جائر وثقافة جاهلية من زمن معين، خلال 23 عاما الى نظام عادل وثقافة إسلامية، بل الى تأسيس حكومة ودولة إسلامية مبنية على الايمان بالله، تسودها العدالة والأمن والاستقرار والتكافل الاجتماعي . ومنه كذلك تحولات الانبياء عليهم السلام في قومهم عبر تاريخ البشر .

المبحث الثاني : مراحل التحوّل الثقافي الاجتماعي في القرآن

يعلّمنا القرآن الكريم أنّه مرّ نزوله - في تغيير وتحوّل ثقافة المجتمع - بمراحل وهي : تحوّل الفرد والأسرة والمجتمع والعشيرة والعالم وهي :

الفرع الأول : التحوّل الفردي

إنّ التحوّل الفردي هو عبارة عن إيجاد التغيير والتحول في نفس الانسان الفرد في رؤيته الكونية من معرفة الله وتوحيده عن طريق إيمانه بآياته وصفاته، ومعرفة نفسه ما لها وما عليها، ومن اين وفي أين وإلى أين، قال تعالى : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) ²⁰ وكذلك ايجاد التحوّل في الناحية التربوية والتزكية الروحية للانسان، وأجل أهمية التزكية أقسم الله تعالى في سورة الشمس في إحدى عشر مرة ثم بيّن مكانتها، قال تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) ²¹ ومعلوم أن تزكية النفس وتربيتها، من أهداف بعثة الانبياء عليهم السلام، قال تعالى : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُرَكِّبُهُمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ) ²² فالآية الكريمة تبين لنا أن عملية التحوّل الثقافي لا يتم إلا بالمعرفة الموافقة بالكتاب والحكمة والتزكية الروحية .

الفرع الثاني : تحول الأسرة

بعد التحوّل الثقافي الفردي انتقل القرآن الى مرحلة اصلاح وتحول الأسرة، علما أن إصلاح البيت مقدّم على إصلاح العشيرة والمجتمع والمحيط . الأسرة تطلق في الاسلام على الجماعة المكوّنة من الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين الذين يقيمون معا في مسكن واحد، وعندما نقيد الاسرة بقولنا : الاسرة المسلمة، فلا بد لأفرادها من ان يكونوا في افكارهم وعواطفهم وسلوكهم من الملتزمين بأحكام الاسلام. ²³ من النموذج التحولي

¹⁹ - الفاروق ، وكي، يونس ، الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي، القاهرة، دار النشر ، عالم الكتب ، سنة النشر 1970 م ص 343..

²⁰ - سورة فصلت الاية 53

²¹ - سورة الشمس الاية 9-10

²² - سورة الجمعة الاية 2

²³ - القريشي، باقر شريف ، نظام الاسرة في الاسلام، بيروت، دار الاضواء، 1367هـ ش، 1988م-1408هـ ق، ص 18، والخولي، الدكتور

سناء ، الاسرة والحياة العائلية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1404هـ ق، 1984م، ص 35

القرآني، تحول الأسرة والعائلة النبوية الكريمة بعد التحول الفردي المتمثل في حضرة الرسول صلى الله عليه واله وسلم، بالمعرفة الالهية وتزكية النفس كما صرّحت بذلك أوائل الآيات من سورتي العلق والمزمل، أمره الله أن يأمر أهله بالصلاة والصبر عليها قال تعالى في محكم آياته قوله تعالى: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا» الآية ذات سياق يلتئم بسياق سائر آيات السورة فهي مكية كسائرهما على أنها لم نظفر بمن يستثنيها ويعدّها مدنية، وعلى هذا فالمراد بقوله «أَهْلَكَ» بحسب انطباقه على وقت النزول خديجة زوج النبي صلى الله عليه واله وسلم و علي عليه السلام و كان من أهله و في بيته أو هما و بعض بنات النبي صلى الله عليه واله وسلم. فقول بعضهم: إن المراد به أزواجه و بناته و صهره علي، و قول آخرين: المراد به أزواجه و بناته و أقرباؤه من بني هاشم و المطلب، و قول آخرين: جميع متبعيه من أمته غير سديد، نعم لا بأس بالقول الأول من حيث جري الآية و انطباقها لا من حيث مورد النزول فإن الآية مكية و لم يكن له (صلى الله عليه واله) بمكة من الأزواج غير خديجة عليها السلام. 24 و قوله الحكيم (قوا أنفسكم و أهليكم النار) فلاية الكريمة تخاطب جميع المؤمنين بحفظ الأسرة وهي الزوجات والأولاد ومن في معناهم ووقايتها من النار، وحمائتهم عن الانحراف الى أية ثقافة باطلة، وذلك بالتعليم والتربية وترسيم الطريق والمنهج الصحيح لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

الفرع الثالث: التحول العشائري

بعد مرحلة تغيير وتحول الأسرة، نأتي الى المرحلة الثالثة وهي مرحلة تحوّل العشيرة، وعشيرة الرجل قرابته سموا بذلك لأنه يعاشروهم و هم يعاشرونه انتهى²⁵. . وقد أمر صلى الله عليه واله بالدعوة علنا ذلك بعد تلك السنوات الثلاث التي مرت بالدعوة في قوله تعالى: (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) 26 و قوله تعالى: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» و خص عشيرته و قرابته الأقربين بالذكر بعد نهي نفسه عن الشرك و إنذاره تنبيها على أنه لا استثناء في الدعوة الدينية و لا مداهنة و لا مساهلة كما هو معهود في السنن الملوكية فلا فرق في تعلق الإنذار بين النبي و أمته و لا بين الأقارب و الأجانب، فالجميع عبيد و الله مولاهم. 27 وعندما نزلت الآية الكريمة: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» 28 أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله دعوته أمام الناس، فصعد على جبل الصفا ودعا أقرباءه وأعدّ لهم وليمة، وفي ذلك اليوم كان المسلمون يعدون الأصابع 29. وقد اقيمت الوليمة مرتين، إذ في المرة الأولى لم يُعطِ أبو لهب النبي صلى الله عليه وآله فرصة للكلام، وفي المرة الثانية سخروا من كلامه صلى الله عليه وآله والتفتوا لأبي طالب قائلين له: «قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع». وفي هذه المأدبة كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله يرى بعين الغيب انتشار الإسلام الأكيد، حتى إنّه عين خليفة ووارثاً له فيها³⁰. فهذه هي أسلوب القرآن الكريم في عملية تحول ثقافة المجتمع بمُراعاة التدرّج، حيث بدأ بإصلاح الفرد ثم

24 - الطباطبائي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج 14 ، 239

25 - الطباطبائي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج 14 ، 239

26 - سورة الحجر الآية 94

27 - الطباطبائي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج 15 ، ص 328:

28 - سورة الشعراء الآية 214

29 - ابن الأثير ، الكامل لابن الأثير ، مصدر سابق، ج 1، ص 486

30 - الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج 2، ص 63.

اصلاح الأسرة وبعدهما انتقل الى إصلاح العشيرة التي هي الأسرة الكبيرة كما بيّنتها الآية الكريمة..

الفرع الرابع : التحول المجتمعي

والتحوّل المجتمعي أو الاجتماعي وهو عبارة : عن كلّ تحول يقع في التنظيم الاجتماعي، سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة، والتغيّر الاجتماعي على هذا النحو ينصبّ على كلّ تغيير يقع في التركيب السكاني للمجتمع، أو في بنائه الطبقي، أو نظمه الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية، أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكاناتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها³¹ طبق هذا التعريف الشامل يتبين لنا أن التحول المجتمعي يحتاج الى فترة زمنية وأنه يعمّ أبعاد الحياة الاجتماعية، من فكرة و أخلاق و قيم و علاقات اجتماعية ويتأثر به أفراد المجتمع أيًا كانوا، لذا لما يقرّ الاسلام ثقافته في المجتمع المكّي حوّل وضعه الاجتماعي وغيره ممّا كان من قبل .

بعد عرض نماذج التحول الثقافي في الفرد المتمثّل في شخصية النبي عليه واله السلام، وإلى الأسرة النبوية الكريمة وعشيرته، نأتي الآن إلى التحول المجتمعي وهو مجتمع مكة المكرمة، في قوله تعالى : (وَ كَذَلِكَ أُوحِيَنا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) بلغته و أسلوبه (لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى) و هي مكة (وَ مَنْ حَوْلَها)³² من أهل الجزيرة العربية، و الغاية من عروبة القرآن، هي أن يفهم هؤلاء الدعوة لاستعمالها لغتهم التي يعرفونها و يملكون أسرارها و عناصر ثقافتها، و لعل التركيز على هذه المنطقة باعتبارها الساحة التي تنطلق فيها الدعوة و تتحرك منها الحركة الإسلامية، و قوله تعالى : (وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَ مَنْ حَوْلَها)³³ فالمجتمع المكّي كان نقطة انطلاق وقاعدة أساسية حركية لمنع التحوّل الثقافي الاجتماعي للأمة الاسلامية قبل تأسيس الدولة الاسلامية في المجتمع المدني .

تأثير التحوّل الثقافي الاجتماعي في المجتمع المدني

بعد أن أخرج التحوّل الثقافي الاسلامي شطأه في المجتمع المكّي، وبعد قبول عدد قليل دعوة الرسول ص لم تكن الحالة الاجتماعية في مكة صالحة لأوائل المسلمين للبقاء فيه لشدة التعذيب والتهمة، عزموا ترك مكة مهاجرين الى المدينة، وقد تأثرت الهجرة في عملية التحوّل الثقافي الاجتماعي، حيث أتاحت للمسلمين أن يؤسسوا مؤسسات ثقافية منها :

أولا : بناء المسجد، (مؤسسة دينية ثقافية).

ثانيا : التكافل الاجتماعي، (مؤسسة اجتماعية).

ثالثا : بناء السوق، (مؤسسة إقتصادية).

رابعا : تأسيس قوة عسكرية (مؤسسة دفاعية).

³¹ - الدكتور أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. ط 2. بيروت/ لبنان: مكتبة لبنان، 1406هـ/ 1986م/ 382.

³² - سورة الشورى الآية 7

³³ - سورة الانعام الآية 92

خامسا : تأسيس نظام إداري (مؤسسة سياسية) .

الفرع الخامس : التحول العالمي

بعد مرحلة التحول المجتمعي تأتي مرحلة التحول العالمي، علما أن التحول والتغيير الثقافي الاسلامي لم يكن منحصرًا في المجتمع المكّي ولا المجتمع المدني، ولم يكن يخاطب قوماً دون آخر أو جنساً خاصاً دون غيره، بل انتشر التحول الثقافي الاسلامي من مكّة ومن حوله إلى سائر الناس ومن بلغ كما عبّر عليه القرآن، في قوله تعالى : (وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا)³⁴ وفي قوله تعالى : (وَ أَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) أي أنّ القرآن قد نزل عليّ لكي أنذركم، و أنذر جميع الذين يصل إليهم - عبر تاريخ البشر، و على امتداد الزمان و في أرجاء العالم كافة- كلامي، و أحذرهم من عواقب عصيانهم³⁵. والرسول صلى الله عليه وآله وسلم، في تحقيق عمليّة التحول لنشر الثقافة الاسلامية أرسل إلى ملوك العالم رسائل وتعاظمت في هذه الأثناء قدرة الإسلام وتوسع نفوذه فانتشر أول شعاع لشمسه خارج الجزيرة العربية، وقام الرسول بإرسال سفراء محملين برسائل إلى كسرى (ملك ايران)، وقيصر (حاكم الروم)³⁶، والنجاشي (حاكم الحبشة)، والمقوقس (حاكم مصر) وإلى عدّة أخرى من الرؤساء والحكام أداءً لتكليفه الإلهي ولدعوتهم إلى الإسلام فكان جواب بعضهم إيجابياً، وسكت بعضهم الآخر ماعدا خسرو برويز (شاه ايران) وهذا دليل على إمّا: أنّ التبليغ الإسلامي الصحيح قد وصلهم فاطلعوا على حقائق الإسلام، أو أحسّوا بقدرته ووصلتهم أخباره فكان صلاحهم في عدم المواجهة العسكرية مع المسلمين³⁷. كما ثبت عند المؤرخين أنه صلى الله عليه وآله وسلم، أرسل ما يقارب 60 سفراء حاملين رسالة الاسلام العالمية والشاملة التي كانت عوامل وأسباب لتحوّل العالم الى قبول الثقافة الاسلامية . لقد أثبتت معارف القرآن عالمية وشمولية الدين الاسلامي وصلاحيته لكل زمان ومكان وفي جميع أصعدة الحياة، وأنه ليس له حدود جغرافية ولا يخصّ قوماً دون قوم أو جنساً دون أجناس أخرى، ومن الآيات القرآنية الدالة على ذلك كثيرة يمكن ان نقسمها الى عدّة مجموعات منها :

- 1- مجموعة الآيات التي تبيّن أن رسالة نبي الاسلام تشمل جميع الناس وأن خطابه ورسالته عالمية وأنه نبي العالم أجمع كما في قوله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ³⁸ وقوله (وما هو الا نذر للعالمين)³⁹
- 2- مجموعة الآيات التي توضّح أن أحكام وقوانين الاسلام عامّة وشاملة لجميع أبناء البشريّة من كل لون وعنصر ولغة، ولم تُحدّد بجهة خاصّة

³⁴ - سورة الشورى الآية 7

³⁵ - سورة الانعام الآية 19 تفسير الامثل في الآية

³⁶ القرطبي ، تفسير جامع البيان، مصدر سابق ، ج 2، ص 288.

³⁷ - المصدر نفسه .

³⁸ - سورة الانبياء الآية 107

³⁹ - سورة القلم الآية 52

2- مجموعة الآيات التي تشير إلى ان الاسلام دين عالمي كامل سيظهر ويغلب على كافة الاديان والثقافات من خلال إرادة الله الغالب وذلك وعد إلهي حتمي لقوله الحكيم (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) ⁴⁰

فجميع هذه الايات تصبّ مصبّ شمولية وعالمية ثقافة القرآن الكريم في كافة أبعاد الحياة الاجتماعية والثقافية والأحكام والقوانين والاخلاق التي تشمل جميع أجناس الناس بلا حدود جغرافي أو قوم دون آخر وهذا ما أخبر الله به نبيّه عليه وآله الصلاة والسلام، بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ⁴¹.

المبحث الثالث: مجالات التحول الثقافي الاجتماعي

يمكن القول بأنّ عمليّة التحول الثقافي الاجتماعي تعمّ مجالات كثيرة وإليكم بيانها :

الفرع الأول : التحوّل الثقافي

والتحوّل الثقافي هو ايجاد التغيير والتحوّل من تلكم الرؤية الكونيّة الجاهلية من المعرفة والمعتقدات الفاسدة السائدة الى الرؤية الكونية الاسلامية من المعرفة والاعتقاد الصحيح المتمثّل في الايمان الصحيح بوحداية الله وصفاته الكمالية وبرسوله وبالكتاب والملائكة والقدر والمعاد، وكذلك ظاهرة العملية التغييرية القرآنية في ايجاد العدالة والمساواة في المجتمع وبناء القيم الدينية والانسانية وتربية أفراد المجتمع بالاخلاق الفاضلة وإصلاح عاداتهم وتقاليدهم السيئة وغيرها، يُعتبر تحوّلًا ثقافيًا في ثقافة الفرد والمجتمع . قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ⁴² وقد خلق القرآن الكريم في المجتمع الاسلامي تحولات في مجال معارف ثقافية وهي :

إيجاد تحولات من الرؤية الكونية السلبية التي كانت مستحكمة على أفكار ونظريات الجاهلية قبل نزول نور القرآن التي بينت معرفة الوجود أنّها عبارة : (عن القوانين الطبيعية للوجود واحكامه الفلسفيّة المبحوثة في الحكمة، كوجود المطلق وأبديته، وأبديّة الروح، لانها مجرّة) ⁴³ و كذلك مبادئ معرفة الرؤية الكونية وخصائصها، قال تعالى : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) ذلك من معرفة الله توحيده والحكمة المكنونة في خلق هذا الكون والطبيعة وأسرارها العجيبة، وكشف آفاق معرفة العوالم كلّها، عالم الطبيعة السماوية والأرضية، وحكمتها في إثبات وجود الله وتوحيده والمعاد .

الفرع الثاني : التحوّل الاعتقادي:

إنّ التحوّل الاعتقادي عبارة عن عمليّة تحوّلية تغييرية من الشرك الى التوحيد ومن عبادة المخلوقين والأحجار والتمائيل الى عبادة الخالق الواحد. وهو من أهم التحولات وأعلىها وأصعبها وهو بمثابة المحو الأساسي الثابت أي

⁴⁰ - سورة التوبة الاية 33

⁴¹. سورة الأنبياء الايه/107

⁴² - سورة الجمعة الاية 2

⁴³ - الطباطبائي، محمد حسين، بداية الحكمة، مصدر سابق 12 - 30

الدعوة إلى عبادة الله (العقيدة- التوحيد) ولا يتغير في أي حال من الأحوال، فهو المحور الثابت في العملية التغييرية النبوية فهو الدعوة إلى عبادة الله أي (العقيدة أطروحة التوحيد- النبوة- المعاد) حيث كان النبي بل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، يركزون على الجانب العقائدي الإلهي باعتباره أساس بناء المجتمع الإنساني السليم، وجوهر العملية التغييرية النبوية.44 ولذا اذا تتبعنا القرآن الكريم نجد ان ثلثه يدور حول موضوع العقيدة من معرفة الله وصفاته والتوحيد والعدل والنبوة والمعاد، ذلك لاهميته وفضله. ومن الآيات التي تبين أن المبدأ الأساسي والمحور العام في دعوات الأنبياء في طول التاريخ البشري، هو أطروحة التوحيد الخالص لله وحده وقى قضى رسول الاسلام إحدى عشر عاما في تأسيس العقيدة والايان في المجتمع المكّي، وفي المدينة كذلك لأهمية العقيدة ولكونها أساس لجميع التحولات. قال تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) 45 فهذه هي القاعدة المشتركة في خط عبادة الله الواحد بعيدا عن عبادة أيّ موجود آخر، لننطلق في كل طقوسنا و عاداتنا و تقاليدنا من ذلك، فلا نأخذ بأية وسيلة من وسائل التعبير عن العادة مما يشير إلى الشرك أو يلتقي به مهما كانت، وَ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا فِي الْفِكْرِ وَ الْعَمَلِ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، و في ضوء ذلك، لا مجال لأي خضوع لذاته، و لا طاعة لأوامره و نواهيه، و لا التزام بخطه في حركة الحياة و الإنسان على مستوى الانتماء إليه في ذلك كله، لأنه يمثل الانحراف عن الحقيقة التوحيدية، التي تؤكد وحدانية الله في الربوبية و وحدة الإنسان في عبوديته لله، و في مساواة كل تنوعاته على صعيد الإنسانية؛ فليست هناك إنسانية في الدرجة الفوقية و أخرى في الدرجة التحتية من حيث الذات، بل إن التمايز ينطلق من الصفات المكتسبة أخلاقا و فكريا و عملا، فهذه الآيات كلها تصبّ مصبّ توحيد و تخصيص العبادة لله وحده، وهو بيان المحور الثابت لجميع الرسل والأنبياء عليهم السلام .

الفرع الثالث : التحوّل الأخلاقي

يمكن القول بأن التحوّل الأخلاقي بمثابة عملية القرآن الكريم في تحرير الانسان وتزكيته حتى يعرف نفسه وربّه وغيره من بني جنسه والكون الذي يعيشه، وعلى هذا الاساس قد علاج القرآن الكريم موضوع الاخلاق وفلسفتها والأعجاز الاخلاقي وتزكية النفس وتربيتها تربية حسنة، حيث جعل لها ضوابط وعناصر التي تقوم عليها، ذلك في مجالات متعدّدة منها:

- 1- تأثير التحوّل الاخلاقي في الحياة الفردية والاجتماعية والدينية
- 2- تأثير التحوّل الاخلاقي في معنويات الانسان وتوجيهه في رقيه الى سلك السعادة والكمال.
- 3- تربية الفرد والاسرة والعشيرة والمجتمع بجميع ابعاده تربية حسنة .
- 4- تحسين علاقة الانسان مع ربه وعلاقته بنفسه وعلاقته بالغير وعلاقته الطبيعة والكون
- 5- تزكية الانسان وتربته بالتخلي عن الرزائل الأخلاقية وضررها، وحثّه على التحلي بالأخلاق الفاضلة المحمودة ومكارم الاخلاق .

44 . محمد عبد الجبار ، المجتمع ، مصدر سابق ، ص 116

45 - سورة ال عمران الآية 64

لقد اعتنى الإسلام بأخلاق المسلمين وعلاقتهم ببعضهم وبالأخرين وزرع فيهم بذور الأخلاق الرفيعة والعادات الشريفة ونمى فيهم روح التواضع والحلم والعدالة والكرم والعفو والوفاء والصدق والأمانة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واعتبر الإسلام الأخلاق وتزكية النفوس وتهذيبها أحد أعظم التوجهات في رسالات الأنبياء وتبينت آيات القرآن الكريم الدعوة إلى ذلك عبر طائفة كثيرة من التوجيهات على كل صعيد منها قول ربنا سبحانه وتعالى: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" 46

وعليه فالقرآن قام بدوره لعلاج وإصلاح تلك المشكلة الاجتماعية والأخلاقية فخط خطوات عملية لحماية الفرد والمجتمع، فمن هذه الخطوط الإصلاحية:

نشر العلم والمعرفة وحثّ النَّاسَ عليه لمكافحة الجهل والخرافات، وشكل عقيدة الإيمان به وعدله تعالى والجزاء الأخروي، وكذلك سدّ جميع الحاجات الإنسانية بالتكافل الاجتماعي وقضى على الفقر بتشريع الفرائض المالية كفريضة الزكاة والخمس وغيرها، وبالوقاية التشريعية، حينما حرّم القتل والسرقة والزنا ..، حرّم كلّ الطرق والعوامل المؤدية إلى فساد وسقوط أخلاق الإنسان كالخمر والقمار والرقص والغنا والخلاعة وغيرها، وشرع الضغط الاجتماعي على مرتكبي الجرائم والجنایة وسيلة الإقلاع عنها. وفتح الله سبحانه لعباده أبواب التوبة والإنابة لينقذهم من التماذي في الجريمة واليأس من الإصلاح ولمساعدتهم على العودة إلى حياة الطهر والاستقامة. وكذلك شرع قانون العقوبات حفظاً لسلامة النظام وحماية للأمن البشري، ولولا وجودها لتحوّلت الحياة إلى غاية وحشية وبهذه الضمانات التربوية والقانون والاجتماعية عالج الإسلام موضوع الجريمة والفساد ونادى ببناء المجتمع النظيف من الجرائم والمعاصي والفساد.

الفرع الرابع : التحول السياسي

فالساسة في المصطلح الإسلامي هي الولاية وتدير شؤون الرعية بما يصلحها، بخلاف السياسة الغربية 47 . إنّ السياسة الحقّة هي سياسة الأنبياء وهي الخلافة الإلهية لأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام على خلقه وهي تابعة لسلطتهم على الناس في كل الشؤون الخاصة والعامة . وعليه فالتحول السياسي هو إقامة دين الله وتبدير شؤون العباد والدولة على محوريّة :

العدالة وقال تعالى : (..وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) 48 والمساواة بين الناس أغنيائهم وفقرائهم في العطاء والاحترام والمعاملة . والشورى قال تعالى : (وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) 49

46 - سورة الجمعة الآية 2

47 . التي لاتخلو من كسب المصالح و المنجزات السياسة بأي طريق كان

48 - سورة النساء / الآية 58

49 - سورة شورى الآية 38

الفرع الخامس : التحوّل الاقتصادي:

الاقتصاد الإسلامي هو مجموعة المبادئ والأصول الاقتصادية التي وردت في نصوص القرآن والسنة، ومقاصدهما والتي يمكن تطبيقها بما يتلاءم مع ظروف الزمان والمكان. وقد عالج الاقتصاد الإسلامي مشاكل المجتمع الاقتصادية وفق المنظور الإسلامي للحياة. ومن هذا التعريف يتضح أنّ أصول ومبادئ الاقتصاد الإسلامي التي وردت في القرآن والسنة الطاهرة، هي أصول لا تقبل التعديل لأنها صالحة لكل زمان ومكان بصرف النظر عن تغير الظروف مثل الزكاة وغيرها. فالتحوّل الاقتصادي الإسلامي هو عبارة عن : تحوّل اقتصادي من مصدر انساني ناقص عاجز عن تأمين وضمان الحاجات البشرية الى مصدر الهي رباني كامل يضمن جميع المتطلبات والحاجات البشرية، و من معاملة ربوية والغش والتطفيف التي لا تقبلها القيم الانسانية ولا العقل السليم الى معاملة قيمية غير ربوية، ومن مبدأ متغير غير صالح لكل زمان ومكان الى مبدأ ثابت صالح كل زمان ومكان، ومن اقتصاد ناقص غير شامل لجميع الحياة البشرية الى اقتصاد قيم وشامل لجميع مقتضيات وحقوق الحياة الانسانية المعنوية والمادية، ومراعاة كافة الحقوق الفردية والجماعية، ومن مبدأ لا اخلاقي ولا قيمية، الى مبدأ اخلاقي ذي قيم دينية انسانية متكاملة .

الفرع السادس : التحوّل الاجتماعي:

يمكن القول أنّ للتحوّل الاجتماعي مفاهيم كثيرة منها : أن كلّ تحول يطرأ على البناء الاجتماعي خلال فترة من الزمن، فيحدث تغيير في الوظائف والأدوار والقيم والأعراف وأنماط العلاقات السائدة في المجتمع⁵⁰ أو كلّ ما يطرأ على المجتمع في سياق الزمن على الأدوار والمؤسسات والأنظمة التي تحتوي على البناء الاجتماعي من حيث النشأة والنمو والاندثار⁵¹ نستنتج من هذين تعريفين أن التحوّل هو عبارة عن الانتقال من نظام اجتماعي إلى آخر، وأن التغيير الذي يحدث داخل المجتمع أو التحوّل الذي يطرأ على أيّ من جوانب المجتمع خلال فترة زمنية محددة يعتبر تحوّل اجتماعياً سواء أكان تحوّلًا تدريجياً أم سريعاً كلياً أم جزئياً، إيجابياً أم سلبياً .

الخاتمة

إنّ أنموذج القرآن الكريم في عملية التحوّل الثقافي الاجتماعي بنظامه الدقيق وشموليته وهدايته الأقوم قد أثر تدريجياً على الانسان البشري فحوّل ثقافته الاجتماعية بمبادئه ومبانيه العقلانية والفطرية وأصوله الايمانية وقيمه وأخلاقياته السامية، وعدالته الاجتماعية وبمراعاة العرف الحسن، فأخرج بذلك الانسان من حوالك الجاهلية بجميع أشكالها الفكرية و الاعتقادية والاجتماعية والقانونية والأخلاقية الى نور الهداية والكمال والسعادة الأبدية حيث صحّ رؤيته المعرفية والكونية في معرفة نفسه ما لها و ما عليها، وبيان حقيقة ما يحيطه في مجتمعه الانساني وغير الانساني، من المخلوقات والوجودات، كما أوجد تحوّلًا إيجابياً في نظريته في عالم ماوراء الطبيعة، و في عالم الطبيعة، وعلمه - عن طريق الرّسل عليهم السلام،- الهدف المكنون من خلقه من عُنصرين

⁵⁰ - إبراهيم بن محمد آل عبد الله، و عبد الله بن حمد الدليمي، علم الاجتماع للصف الثالث الثانوي. قسم العلوم الشرعية والعربية (بنين).

المملكة العربية السعودية، 1430. 1431هـ/ 2009م - 2010م، ص 91.

⁵¹ - الفروق زكي يونس ، الخدمة الاجتماعية والتغيير الاجتماعي/مصدر سابق ص 343.

أساسيين الرّوحيّ والجسمي، هو العبادة والخضوع المطلق لله الحقّ، ولتحقيق تلك العبادة، أمر الله الإنسان باتباع برنامج ومنهج خاصّ وهو الوحي المقدّس المتمثّل بالقرآن الكريم والسنة الطاهرة، ذلك ليصلح - بتطبيقهما والعمل بمقتضاهما - نفسه وأسرته ومُجتمعها والعالم كلّها، من جميع الثقافات السلبية، ومن ثمّ شرط نجاح التحوّل الثقافيّ الاجتماعيّ المطلوب بوجود قائد ناجح وهو الإنسان الكامل المتمثّل برسول الإسلام محمد صلى الله عليه وآله، كذلك علق نجاح عملية التحوّل الثقافيّ الحقيقيّ بالمشاركة الجماعية و الاستعداد التامّ والقوة المعنوية والماديةّ مقابل أعداء الإسلام، و السعي الحثيث على إيجاد التّراحم فيما بين المسلمين والتعاون الاجتماعيّ و العبادة الجماعية والاخلاص فيها والعمل الصّالح .

وصلّى الله على محمّد آل محمّد وسلّم

اقتراحات وتوصيات

لأهمية البحث والتحقيق في الموضوعات القرآنية بصفة عامّة، وفي موضوع ومجال التحوّل الثقافيّ الاجتماعيّ بصفة خاصّة، ومكانة إلقاء الضوء على مسيرة علمية التغيير الثقافيّ الاجتماعيّ في النظرية القرآنية، فإننا نقترح للمحقّقين والباحثين في الجامعات في الكليات والدراسات العليا و في المعاهد الدينية والحوزات العلمية إمعان النظر في البحث في الموضوعات التالية وهي ما يلي :

أولاً : التحقيق في البحوث الاجتماعية السياسية والتربوية الاخلاقية وغيرها في القرآن الكريم، مقارنة بواقع جغرافيات الباحث ومنطقته وحلّ مشاكلها .

ثانياً : التحقيق في الموضوعات الحقوقية القانونية في القرآن الكريم تطبيقاً مع دستور دولة الباحث .

ثالثاً : التوجّه الكامل للبحث في ردّ الشبهات المتعلقة بالقرآن الكريم وما تمسّ قداسة الأنبياء عليهم السلام بصفة عامّة، والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، بصفة خاصّة.

رابعاً : العناية الكافية بمعالجة موضوعات الثقافة الاسلامية ومقارنتها بالثقافة الغربية .

خامساً : إقترحي وتوصيتي متعلّقة بموضوع الأطروحة وهي :

- 1- أصول الايمان بعالم الطبيعة وآثارها على ثقافة الفرد والمجتمع . (دراسة منهجية تحليلية) .
- 2- أصول الايمان بعالم ما وراء الطّبيعة وآثارها على الفرد والمجتمع . (دراسة منهجية تحليلية).
- 3- النظرية القرآنية في تأمين الحاجات البشرية المعنوية والمادية . (دراسة وصفية تأصيلية) .
- 4- العقل والفطرة وآثارهما في بناء الثقافة الاسلامية . (دراسة وصفية تحليلية) .
- 5- دور الدين وآثاره في التحوّل الثقافيّ في القرآن الكريم . (دراسة وصفية تحليلية).
- 6- مبادئ الحضارة الاسلامية و الغربية السكولارية، (دراسة مقارنة) .

المصادر :

القرآن الكريم .

- 1- ابن تيمية، الاستقامة ، تحقيق در محمد رشاد سالم ، جامعة الامام محمد ابن مسعود الاسلامية الرياض .
- 2- ابن خلدون، عبد الرحمن محمد، مقدّمة ابن خلدون (الطبعة السابعة)، مصر: دار نهضة مصر.2014م.
- 3- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ط، دار الفكر، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون."معجم مقاييس اللغة" (212/1)؛ المخصص"؛ لابن سيده (505/1)، دار إحياء التراث العربي - بيروت - 1417 هـ 1996م، ط الأولى. وفي: لأبي
- 4- أحمد طاهر مسعود (2011)، المدخل إلى علم الاجتماع العام ، عمان-الأردن: دار جليس الزمان للنشر والتوزيع.
- 5- الأشقر، عمر سليمان، نحو ثقافة اسلامية أصيلة، الناشر : دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ط4، سنة 1414 هـ 1994م.
- 6- اصدارات مجموعة الاعلام الجديد، الاصدار، الثقافة مفاهيمها ومدلولاتها وآراء الفلاسفة، رقم 64
- 7- الأصفهاني، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد، مفردات الفاظ القرآن - بيروت، ط2، 2010م 1431هـ.
- 8- تي، بي، باتومور، جامعه شناسي، ترجمة حسن منصور وحسن حسيني كلجايي.
- 9- جعفرى، تبريزي، محمد تقى، تحقيقي در فلسفه علم، الناشر : مؤسسة تدوين ونشر آثار الاستاذ العلامة محمد تقى جعفرى، سنة 1393ش،
- 10- الحكيم ، محمد باقر، المجتمع الانساني في القرآن الكريم، المركز الاسلامي المعاصر، الطبعة الاولى، صيف 2003م بيروت صفحة 107
- 11- سعفان، حسن شحاته، أسس علم الاجتماع، القاهرة : درا النشر، دار النهضة العربية، ط9، سنة النشر 1976 م .
- 12- السمالوطي، نبيل، بناء المجتمع الاسلامي ونظمه، دراسة في علم الاجتماع الاسلامي، درا ومكتبة الهلال، بيروت، 1428 هـ - 2007 م
- 13- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة الثالثة، 1397هـ . 1977م.

- 14- سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق . بيروت، دار الثقافة الدار البيضاء، طبعة1، 1420هـ . 2000م.
- 15- السيوري، الفاضل حمال الدين ابي عبد الله، المقداد بن عبد الله، ايران، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، ط 1، 1380هـ ش 1422هـ .
- 16- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، 1993م - 1414هـ
- 17- شاهين، مصطفى، علم الاجتماع والمجتمع الاسلامي، دار الاحياء التراث والطباعة 1991م.
- 18- الطباطبائي، محمد حسين، بداية الحكمة، مؤسسة المعارف الاسلامية، مكتبة ملاذ للكتب المصورة تاريخ 2020 م.
- 19- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت- لبنان، ط 2، 1422هـ - 2002م .
- 20- الطبرسي، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان، الطبعة الأولى مؤسسة التأريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع. ط1، 1415هـ.
- 21- عصمت تحسين عبدالكريم ، علم الاجتماع المعاصر (الطبعة الأولى)، الأردن: الجنادرية للنشر والتوزيع.
- 22- على أسدي، مواجه آيات وروايات با جنبه هاي منفي فرهنگ پذيرى، قم، مؤسسة التعليم والتربية الامام الخميني للنشر، ط 1، زلازل كوثر، 1388هـ ش .
- 23- عليزاده، عبدالرضا، نگاهي به جامعه شناسي معرفت ماكس شلر، مجلة حوزه و دانشگاه، العدد 11 و 12 (1376 هـ . ش)، قم، دفتر همكارى حوزه و دانشگاه
- 24- محمد باقر، الصدر، السنن التاريخية في القرآن الكريم، دار التعارف للمطبوعات، 1904هـ 1989م.
- 25- محمد تقي فلسفي، الشباب والشيخ والكهول. ترجمة عباس حسين الأسدي، الطبعة الأولى 1412هـ . 1992م. مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع . لبنان . بيروت.
- 26- محمد تقي فلسفي، الطفل بين الوراثة والتربية، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت-لبنان.
- 27- محمد جواد مغنية، فلسفة الاخلاق، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، مطبعة ستار، ط1، 1428 هـ، 2007م

- 28- محمد حلمي مراد، أصول الاقتصاد، ج1، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1961م.
- 29- محمد صفوح الأخرس (1983)، علم الاجتماع، دمشق-سوريا: جامعة دمشق.
- 30- محمد عبد الجبار، المجتمع. بحوث في المذهب الإجماعي القرآني، دار الأضواء . بيروت . لبنان ط1 . بيروت 1408 هـ 1987 هـ.
- 31- محمد فؤاد عبدالباقي، معجم ألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية 2021 م
- 32- محمد، رشيد رضا، الوحي المحمدي، مؤسسة العز الدين سنة 1406 هـ
- 33- المحمي، محمد عنجيني، حقوق الانسان بين الشريعة والقانون نسا ومقارنة وتطبيقا، دار عمان، ط 1، 1423 هـ 2002 م .
- 34- مرتضى مطهري، المجتمع والتاريخ، تعريب محمد علي آذرشب، تحقيق وتصحيح عبد الكريم الزهيري الناشر: قلم مكنون الطبعة الأولى: 2008م، المطبعة : شريعت إيران قم . باساز قدس. مكتبة الإمام الصادق عليه السلام.
- 35- مرتضى، مطهري، مجموعه آثار، الطبعة الثامنة، طهران، الناشر صدرا، 1380 هـ . ش.
- 36- مصباح ، يزدي، محمد تقي ، جامعه وتاريخ از دیدگاه قران، مؤسسة انتشارات امير كبير شركة چاپ ونشر بين الملل، ط7، 1391 ش
- 37- مصباح، اليزدي محمد تقي، النظرة القرآنية للمجتمع والتاريخ، دار النشر التابعة لمؤسسة الامام الخميني، ط 4 سنة 1379 هـ ش، 1421 هـ 2000م.
- 38- مصطفى الخشاب و دراسة المجتمع ، طبعة أولى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة : 1977 ، ص 166 - 168 .
- 39- مغنية، محمد جواد، فلسفاتنا، دار ومكتبة الهلال تاريخ النشر 1993 م
- 40- مؤدب، سيد رضا، مبادئ تفسير قران، ايران جامعة قم، ط1، سنة 1386 ش.
- 41- النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الاسلامية و أساليبها، الطبعة الثانية 1403م / 1983م
- 42- النحلاوي، عبد الرحمن، التربية الإجتماعية في الإسلام، الناشر: دمشق دار الفكر، المطبعة : مكتبة الأسد، الطبعة. الإعادة الأولى.

عنوان البحث

خصائص الفتوى عند الشيخ محمد قريو

د. مصطفى عبدالرازق محمد بالرازق¹

¹ كلية الشريعة والقانون - الجامعة الأسمرية-ليبيا

بريد الكتروني: ms.razg@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21119>

تاريخ القبول: 2021/10/12م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

يهدف البحث إلى إبراز خصائص الفتوى عند الشيخ محمد قريو وذلك من خلال مجموعة من المحاور تتعلق بما اتصفت به من الواقعية والمحلية، وما يتعلق بمواضيعها وطريقة عرضها، وعلاقتها بالجانب الاجتماعي، وطريقة الشيخ في الاستدلال فيها وأمانته العلمية، وموقفه من المذاهب الأخرى وغيرها من المحاور.

الكلمات المفتاحية: فتاوى - قريو - الاجتهاد- الواقعية - المحلية.

RESEARCH ARTICLE

**CHARACTERISTICS OF THE FATWA OF SHEIKH
MUHAMMAD QARYU****Dr. Mustafa Abdel Razek Mohamed Belrazek¹**

¹ College of Sharia and Law - Asmarya University - Libya
Email: ms.razg@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21119>

Published at 01/11/2021**Accepted at 12/10/2021****Abstract**

The research aims to highlight the characteristics of the fatwa of Sheikh Muhammad Qariu, through a set of axes related to what characterized it of realism and locality, and what is related to its topics and method of presentation, and its relationship to the social aspect, and the Sheikh's method of inference in it and his scientific honesty, and his position on other doctrines and other axes.

Key Words: fatwas - Qario - ijtiḥad - realism - local.

المقدمة

أهمية الموضوع:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنّ موضوع البحث يستمد أهميته من كونه متعلقاً بالكلام عن فتاوى عالم من علماء البلاد الليبية، الذي أفنى عمره في خدمة أهله، والنصح لهم، وخدمة مذهبه المالكي، إفتاءً، وتديراً، وتأليفاً، فرأيت أن من الواجب في حقي كطالب علم متخصص في الدراسات الإسلامية، ومن البلاد الليبية، أن أساهم في إبراز جهوده العلمية، ولما كان الشيخ قد اشتهر في بلده بالفتوى، وكانت له فتاوى مكتوبة متفرقة قام بجمع بعضها الدكتور جمعة الزريقي في كتاب سماه فتاوى محمد قريو وبعض آثاره العلمية، وبعد حصولي على نسخة من هذا الكتاب لاحظت لي فكرة دراسة هذه الفتاوى، وإبراز خصائصها في بحث علمي تحت عنوان: **خصائص الفتوى عند الشيخ محمد قريو. أسباب اختياره:**

بالإضافة إلى ما ذكرته سابقاً، هناك أسباب أخرى لاختيار هذا الموضوع منها:

1- المساهمة في إبراز جهود علماء ليبيا، وإسهامهم في خدمة المذهب المالكي.

2- التعرف على أسلوب الشيخ قريو في الفتوى، ومنهجه فيها.

3- رغبتني في إظهار الخصائص التي تميزت بها هذه الفتاوى، وإبرازها للقراء.

إشكالياته:

الإشكالية التي سيركز البحث على حلها تتمثل في التساؤل التالي: ما هي خصائص الفتوى عند الشيخ محمد

قريو؟.

الدراسات السابقة: الدراسات التي تتعلق بالشيخ، والتي وقفت عليها تتمثل في:

1- فتاوى الشيخ محمد قريو وبعض آثاره العلمية، جمع وتحقيق جمعة الزريقي.

2- منهج فقهاء ليبيا في الإفتاء، الشيخ قريو وجوابه في مسألة أجره العمال الصناع ممن يدفع لهم القروض المصرفية بالفائدة الربوية أنموذجاً، لمحمد شيرة، نشرت مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة.

3- جهود الشيخ محمد قريو في خدمة العقيدة من خلال كتابه "شرح لب العقائد الصغير"، ورقة بحثية قدمها سالم رحيل للمؤتمر العلمي الموسوم بـ محمد بن مفتاح قريو - رحمه الله - سيرة ومسيرة.

4- جهود علماء ليبيا في الفتوى على المذهب المالكي، الشيخ محمد مفتاح قريو أنموذجاً، للباحثة زينب الغصني، نشرت مجلة الجامعة الأسمرية.

هذه هي الدراسات التي اطلعت عليها، والتي تتعلق بالشيخ قريو، وكما هو واضح فإن الدراسة الأولى والثانية تتعلق بجانب التحقيق للفتاوى، والدراسة الثالثة تتعلق بجانب العقيدة، وأما الدراسة الرابعة فقد ركزت فيها الباحثة على جهود الشيخ قريو في الإفتاء، ومدى مساهمته في إثراء المذهب المالكي.

وأما موضوع هذا البحث فهو يتعلق بخصائص الفتوى عند الشيخ قريو، من حيث واقعيتها وطريقة الاستدلال

فيها، وعلاقتها بالجانب الاجتماعي، وغير ذلك من المحاور التي سيأتي ذكرها لاحقاً، وقد قسمت الكلام في الموضوع إلى مبحثين:

المبحث الأول: نبذة مختصرة عن معنى الفتوى، وحكم التصدي لها، والفرق بينها وبين قضاء القاضي.

المبحث الثاني: خصائص الفتوى عند الشيخ قريو، وسيكون الكلام فيه مقسماً على مجموعة من المحاور، تناولت كل واحد منها بالبيان، والتمثيل لما أقوله من خلال فتاوى الشيخ.

الخاتمة: واحتوت على مجموعة من النتائج.

المبحث الأول

نبذة مختصرة عن معنى الفتوى، وحكم التصدي لها، والفرق بينها

وبين قضاء القاضي

أولاً: معنى الفتوى لغة وشرعاً:

الفتوى جمعها فتاوى، وأصلها من الفعل أفتى، وهو يطلق في اللغة على عدة معانٍ منها:

- 1- التوضيح، والإبانة، يقال: "أفتاه في الأمر: أبانه له"⁽¹⁾، قال تعالى: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ}⁽²⁾، قال ابن عطية في تفسير هذه الآية: "أي يبين لكم حكم ما سألتكم عنه"⁽³⁾.
 - 2- تعبير الرؤيا، وتفسيرها، يقال: "أفنت فلاناً رؤياً رآها، إذا عبّرتّها له"⁽⁴⁾.
 - 3- الإجابة عن السؤال، يقال: "أفنته في مسألته، إذا أجبتة عنها"⁽⁵⁾، فالفتوى ناتجة عن سؤال موجه من المستفتي الراغب في معرفة الحكم الشرعي في واقعة ما إلى المفتي الذي يجيبه عن ذلك.
- وأما تعريفها في الاصطلاح فقد عرفها صاحب مواهب الجليل بقوله: "الإخبار عن حكم شرعي لا على وجه الإلزام"⁽⁶⁾، والإخبار عن الحكم الشرعي قد يكون شفويّاً، أو كتابياً، وهذا ما أوضحه بعض أهل العلم عند تعريفه لها بقوله: "الإخبار لفظاً، أو كتباً بالحكم على غير وجه الإلزام"⁽⁷⁾.
- وبالنظر في التعريفين يفهم منهما أنّ المستفتي غير ملزم باتباع الحكم الصادر من المفتي، فهو مخير في ذلك، إن شاء أخذ بالفتوى، وعمل بها، وإن شاء تركها، ولم يعمل بها.

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط الثالثة، 1414هـ، 15/147.

(2) النساء: 127.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1422هـ، 2/118.

(4) المصدر نفسه.

(5) مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مصطفى حجازي ومن معه، دار الهداية، 211/39.

(6) الحطاب، مواهب الجليل، دار الفكر، بيروت، ط الثالثة، 1412هـ، 1/32.

(7) الزرقاني، شرح مختصر خليل، صححه عبدالسلام أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1422هـ، 3/190.

ثانياً: حكم التصدي للفتوى:

لا بد لمن يتصدى للفتوى في النازلة، أن يكون من أهل العلم المبرزين في الفن المستفتى فيه، وأن تتوفر فيه شروط الاجتهاد، ويختلف حكم تصديه للفتوى باختلاف حاله، فقد يتعين عليه وجوباً التصدي للإفتاء، وذلك إذا نزلت به نازلة تتعلق بنفسه؛ لأنَّ المجتهد لا يجوز له أن يقلد غيره، وكذلك إذا كانت النازلة تتعلق بغيره، ولم يوجد غيره ليستفتي فيها، أو وجد ولكن خشي فوات النازلة دون معرفة حكمها الشرعي.⁽⁸⁾

وقد يكون حكم تصديه للفتوى فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، وهذا في حالة وجود غيره ممن هو أهل للفتوى، ولم يخش فوات النازلة.

قال النووي: "... الإفتاء فرض كفاية، فإذا استفتي وليس في الناحية غيره، تعين عليه الجواب، فإن كان فيها غيره وحضر، فالجواب في حقهما فرض كفاية".⁽⁹⁾

وفي بعض الحالات يكون الحكم مكروهاً، وذلك في المسائل التي لا يتوقع حدوثها، فقد سئل الإمام مالك عن مسألة لم تقع، فكره إجابة السائل، ورأى ذلك مما لا فائدة في الخوض فيه، وقد سجل لنا القاضي عياض هذا الموقف في مداركه بقوله: "وسأله رجل عراقي عن رجل وطىء دجاجة ميتة، فخرجت منها بيضة، فأفقت البيضة عنده عن فرخ يأكله؟، فقال مالك: سل عما يكون، ودع ما لا يكون".⁽¹⁰⁾

وذكر صاحب كتاب صفة الفتوى، أنَّ العامي إذا سأل عن مسألة لم تقع، لم تجب إجابته، لكن تستحب، وقيل: تكره؛ أن بعض السلف كان لا يتكلم فيما لم يقع".⁽¹¹⁾

وقد يكون الإفتاء حراماً، وذلك إذا صادمت الفتوى دليلاً قطعياً من نص أو إجماع؛ لأنَّ من شروط الاجتهاد أن لا يخالف نصاً قطعياً.⁽¹²⁾

ثالثاً: الفرق بينها وبين قضاء القاضي:

سبق وأن ذكرت معنى الفتوى، وبقي لي أن أوضح معنى قضاء القاضي حتَّى يتضح الفرق بينهما، فأقول: عرّف العلماء قضاء القاضي بقولهم: "القضاء: الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام".⁽¹³⁾

وبهذا يمكن القول إنَّ كلاً من الفتوى والقضاء إخبار عن حكم الله تعالى، ولكنهما يختلفان من

(8) انظر الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، تح: عادل الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط2، 1421هـ، 386/2، وابن الصلاح، أدب المفتي والمستفتي، تح: موفق عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط2، 1423هـ، ص109.

(9) النووي، آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، تح: بسام الجابي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1408هـ، ص35.

(10) القاضي عياض، ترتيب المدارك، تح: ابن تايوت ومن معه، مطبعة فضالة، المغرب، ط1، 191/1.

(11) أحمد النميري، صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة، 1397هـ، ص30.

(12) انظر أمير بادشاه، تيسير التحرير، دار الفكر، بيروت، 76/3، وعمر مولود، الوسيط في أصول الفقه الإسلامي، الجامعة المفتوحة، ليبيا، ط2، 2002م، ص433.

(13) مواهب الجليل، 86/6.

حيث الإلزام والتفويض للحكم في القضاء، وعدم الإلزام في الفتوى، وكذلك شمول الفتوى لعبادات الناس ومعاملاتهم، بينما القضاء يختص بالمعاملات، وأيضاً فإن الفتوى ناتجة عن توجه سؤال من المستفتي إلى المفتي، ومن ناحية أخرى فإن معتمد المفتي في فتواه على الأدلة الشرعية من القرآن والاحاديث النبوية وغيرها من الأدلة المعتبرة، بينما القاضي يعتمد في حكمه على تتبع الحجج، وسماع البيّنات، والإقرارات. (14)

قال القرافي مبيناً الفرق بين المفتي والقاضي: "مثال الحاكم والمفتي مع الله تعالى - والله المثل الأعلى - مثال قاضي القضاة يولي شخصين، أحدهما نائبه في الحكم والآخر ترجمان بينه وبين الأعاجم، فالترجمان يجب عليه اتباع تلك الحروف، والكلمات الصادرة عن الحاكم، ويخبر بمقتضاها من غير زيادة ولا نقص، فهذا هو المفتي، يجب عليه اتباع الأدلة بعد استقراءها، ويخبر الخلائق بما ظهر له منها من غير زيادة ولا نقص إن كان المفتي مجتهداً، وإن كان مقلداً فهو نائب عن المجتهد في نقل ما يخص إمامه لمن يستفتيه، فهو كلسان إمامه، والمترجم عن جنانه، ونائب الحاكم في الحكم ينشئ من إلزام الناس، وإبطال الإلزام عنهم ما لم يقرره مستنبيه، الذي هو القاضي الأصلي، بل فوض ذلك لنائبه، فهو متبع لمستنبيه من وجه، وغير متبع له من وجه، متبع له في أنه فوض له ذلك، وقد امتثل، وغير متبع له في أن الذي صدر منه من الإلزام لم يتقدم مثله في هذه الواقعة من مستنبيه، بل هو أصل فيه، فهذا مثال الحاكم مع الله تعالى، هو ممثّل لأمر الله تعالى في كونه فوض إليه ذلك، فيفعله بشروطه، وهو منشئ؛ لأن الذي حكم به تعين، وتعيّنه لم يكن مقرراً في الشريعة، وليس إنشأؤه لأجل الأدلة التي تعتمد في الفتاوى،... بل الحاكم يتبع الحجاج، والمفتي يتبع الأدلة، والمفتي لا يعتمد على الحجاج بل على الأدلة، والأدلة: الكتاب، والسنة، ونحوهما، والحجاج: البيّنات، والإقرار، ونحوهما". (15)

المبحث الثاني

خصائص الفتوى عند الشيخ محمد قريو

لا شك أنّ لفتاوى الشيخ قريو قيمة علمية عظيمة؛ وذلك لما احتوته من معلومات قيمة ومتنوعة، ولما تميزت به من خصائص قد لا توجد في كتب الفقه المعهودة؛ لأنّها تجسد واقعاً ملموساً، وصورة حية، تحتف بها معطيات، وأحوال مؤثرة في الأحكام، بحيث لا يمكن إصدارها إلا بمعايشة هذه الوقائع، وتحقيق المناط فيها، وفي المحاور التالية توضيح لخصائص الفتوى عند الشيخ قريو مدعمة بمجموعة من الأمثلة من خلال فتاويه:

أولاً: الواقعية: إنّ مما تتميز به الفتاوى عموماً، وفتاوى الشيخ قريو خصوصاً عن بقية كتب الفقه الأخرى، هي واقعيته، فهي تتناول قضايا واقعية قد حدثت، ومشكلات ملموسة قد حصلت، تستدعي معرفة حكمها الشرعي، فهي إذن ليست قضايا افتراضية لا وجود لها في الواقع الملموس، ومن أمثلة

(14) انظر الشاطبي، فتاوى الشاطبي، تح: محمد أبو الأجناب، مكتبة العبيكات، الرياض، ط الرابعة 1421هـ، ص 101.

(15) القرافي، الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، تح: عبدالسلام بلاجي، دار ابن حزم، بيروت، ط الأولى، 1431هـ، ص 63.

ذلك في فتاوى الشيخ: ما ذكره عند كلامه على مسألة قيام أهل الميت بضيافة المعزين، وهي قيامهم بعد فراغهم من دفن ميتهم بذبح الذبائح وطبخ اللحم والطعام، وجمع الناس عليه، وهي عادة كانت موجودة عندهم، فقد قال بعد أن فصل في المسألة: "إذا علمت ما ذكره الكاتب لتلك الصحائف، وما ذكرناه زيادة عليه، تعلم أن فقهاء المذاهب الأربعة، لم يختلفوا في ضيافة المأتم، بل اتفقوا على أنها بدعة مكروهة كراهة تحريمية، وأن علة الكراهة فيها شبهها بفعل الجاهلية في إنفاقهم على النياحة، وأن الأصل فيها الخبر المروي عن جرير رضي الله عنه (16) وأن حقيقتها هي الطعام الذي يصنعه أهل الميت في أيام العزاء، ويجمعون الناس لأكله، إذ لم يفرقوا بين الأغنياء والفقراء في الدعوة إليه". (17)

ثم ذهب إلى تقسيمها إلى أركان ثلاثة، الأول: ما يصنعه أهل الميت من الطعام الثاني: جمع الناس عندهم للأكل، الثالث: عدم تفريقهم بين الأغنياء والفقراء في الدعوة إليه، ثم دلل لأول والثاني بخبر جرير الذي تقدم ذكره، وللتألف ما ذكره قاضيخان (18) في فتاويه من التفريق بين الضيافة وغيرها، ثم قال: "ويؤخذ من كلام قاضيخان أيضاً أن أهل الميت إذا صنعوا طعاماً، وخصوا به الفقراء، يكون حسناً لا مكروهاً، وكذلك إذا خصوا به من يأتي للتعزية من بلاد أخرى بعيدة، يشق الرجوع إليها بدون استراحة عند أهل الميت". (19)

ثانياً: المحلية: تصطبغ الفتاوى في بعض مسائلها بالصبغة المحلية من حيث المكان، والزمان والأعراف وغير ذلك، ومن المعروف أن الفتوى تتأثر بهذه العوامل المحلية، فقد تطبق الفتوى في مسألة معينة في مكان ما، بينما لا يمكن تطبيقها في مكان آخر، أو زمن آخر؛ وذلك راجع إلى اختلاف الظروف والأحوال المحيطة بها، ومن أمثلة ذلك عند الشيخ ما جاء في مسألة ملكية أرض زريق التي سئل عنها الشيخ قريو وهي أرض تقع في منطقته ولها ظروف خاصة بها، وملخصها أن هذه الأرض كانت مشاعاً بين أهل زريق، وكانت مغطاة في معظمها بالكثبان الرملية، فقامت الدولة بتشجيرها؛ منعاً لزحف الرمال عليها وحمايتها من الناس، وسمحت لأهل القرية باستغلال الأرض الطينية المحيطة بها، فقام أهل القرية باستصلاحها، والاستفادة منها، لكن على اختلاف حصولهم على مساحات الأرض في القلة والكثرة، وقد سجلت هذه الأرض في سجلات الدولة، وصرفت لها وثائق حيازة، مبنية فيها حدود الأرض ومساحتها، وجعلت ملكيتها على سبيل الحيازة ووضع اليد. (20)

فأجاب الشيخ بما نصه: "إن الذي فهمته من خلال القول، هو سيطرة الدولة على هذه الأرض

(16) أبو عمرو جرير بن عبد الله البجلي أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين يوماً حضر القادسية وغيرها روى عنه بنوه وغيرهم توفي سنة: 51هـ. انظر ابن الأثير، أسد الغابة، تح: علي معوض وعادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ط 1، 1415هـ، 529/1.

(17) قريو، فتاوى محمد قريو وبعض آثاره العلمية، تح: جمعة الزريقي، جمعية وأبشروا، مصراتة، ط 1، 11437هـ، 154/1.

(18) الحسن بن منصور بن أبي القاسم محمود بن عبد العزيز الأوزجندي الفرغاني المعروف بقاضي خان تفقه بأبي إسحاق الصفاري وغيره، من مؤلفاته: الفتاوى، توفي سنة: 592هـ. انظر القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانة، كراتشي، 205/1.

(19) فتاوى محمد قريو وبعض آثاره العلمية، 154/1.

(20) انظر المصدر نفسه، 166/1.

بسبب قيامها بصد الرمال بالأشجار، مما جعلها تمنع من يقوم بالتعرض للغابة وجعلها تبين نوع ملكية الناس الذين عمّروا الأرض بأنّها وضع يد، والمهم أن تفهم مني هذا البيان، أربعة أشياء حق للدولة التصرف فيها: البحار، والسبخا، والوديان، قوز الرمل إذا لم يوجد له سند يثبت ملكيته، والله أعلم".⁽²¹⁾

ثم بين قضية امتلاك الأرض بوضع اليد فقال: "إذا وضع شخص يده على أرض - أي حازها -، ولم يقد أحد بإخراجها، ولا التعرض له بدليل مدة تجاوزت العشر سنوات، فيصبح متصرفاً، يُعطي من يشاء ويمنع من يشاء، يُحكم له بامتلاك الأرض، والله أعلم".⁽²²⁾

ثالثاً: الاستدلال: لما كانت الفتوى هي بيان لحكم الله تعالى في القضية المسؤول عنها، فلا بد أن يكون مصدر هذا الحكم هو الأدلة الشرعية، فالأساس الذي تركز عليه الفتوى هو الدليل الشرعي، وهو نهج الرسول ﷺ في إجاباته عن أسئلة الصحابة، فكان يضرب لهم الأمثال، ويوضح المسألة بنظائرها، مع أن قوله وحده حجة، فقد روي أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: «إِنَّ أُمَّي نَذَرْتُ أَنْ تَحُجَّ، فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟»، قَالَ: نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَةً؟، أَقْضُوا لِلَّهِ، فَإِنَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ». ⁽²³⁾

وهو المنهج الذي سلكه أصحابه من بعده، وكذلك فعل من جاء بعدهم من التابعين، فكان أحدهم يذكر حكم المسألة، ثم يذيل قوله بذكر الدليل الذي استند عليه الحكم.

والمتمامل في فتاوى الشيخ قريو، يلاحظ أن بعضها لا يخلو من ذكر الدليل الشرعي، الذي يدعم الفتوى ويوضحها، وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك للتوضيح:

1- القرآن الكريم: استشهد الشيخ بالآيات القرآنية في كثير من المسائل، وقدمها على غيرها من المصادر التي استعان بها في فتاويه، فمثلاً في مسألة حكم الاحتفال بالمولد النبوي، استدلت على وجوب تعظيم النبي ﷺ وتوقيره بقوله تعالى: ﴿قَالِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. ⁽²⁴⁾

واستدل على وجوب الألفة، والتعاون والتأزر بين المسلمين بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّقْوَىٰ﴾. ⁽²⁵⁾ وبقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. ⁽²⁶⁾

وفي تحديد مصارف الزكاة ذكر أن الله تعالى تولى بيان مصرفها بنفسه؛ تبرئةً لنبيه، وإجماعاً لألسنة اللامزين، فلا يجوز أن تُصرف لغيرهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ

⁽²¹⁾ فتاوى محمد قريو وبعض آثاره العلمية، 167/1

⁽²²⁾ المصدر نفسه.

⁽²³⁾ البخاري، صحيح البخاري، تح: محمد الناصر، كتاب جزاء الصيد، باب الحج والنذور عن الميت، دار طوق النجاة، ط 1، 1422هـ، 18/3.

⁽²⁴⁾ الأعراف: 157.

⁽²⁵⁾ المائدة: 2.

⁽²⁶⁾ الحجرات: 10.

وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَّاتِ قُلُوبَهُمْ وَفِي الرَّقَابِ وَالْعَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ قَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»⁽²⁷⁾.

وفي مسألة تحديد أقل مدة الحمل، ذكر أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، ثم بيّن أن مستند هذا الحكم هو القرآن الكريم، فقال: "لأن قولته تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾⁽²⁸⁾، إن ضمنت إليه قوله تعالى: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾⁽²⁹⁾، بقي عن مدة الفصال من الثلاثين شهرا لمدة الحمل ستة أشهر، فدل ذلك على أنها أمد للحمل، يولد فيه الجنين كاملا " ⁽³⁰⁾.

2- الأحاديث النبوية: استدل الشيخ قريو بالأحاديث النبوية، واستشهد بها في بعض المسائل التي أفتى فيها، وهذا فيه دلالة على اهتمامه بالحديث النبوي والاستدلال به على رأيه في المسائل المعروضة عليه، وفيه أيضاً رد على من يتهمون علماء المالكية - خاصة المتأخرين منهم - بعدم استدلالهم بالحديث النبوي، وطريقته في الاستدلال بالحديث فيها تنوع فأحيانا يورد نص الحديث مع ذكر روايته في بعض المسائل، ويهملها في البعض الآخر، مع التزامه بتخريج الحديث من كتب السنة في البعض، فمثال الأول: قوله في مسألة ضيافة المعزين: "ويكره اتخاذ الضيافة من أهل الميت؛ لأنه يُشرع في السرور لا في الشورور، وهي بدعة مستقبحة، روي عن الإمام أحمد، وابن ماجه بإسناد صحيح عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: «كُنَّا نَعِدُ الْجَمَاعَةَ عِنْدَ أَهْلِ الْمَيْتِ وَصَنَعَهُمُ الطَّعَامَ بَعْدَ دَفْنِهِ مِنَ النَّيَاحَةِ»⁽³¹⁾.

فقد أورد الحديث بروايته عن جرير مع عزوه إلى كتب السنة التي خرجته.

وقوله أيضاً في نفس المسألة: وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا عَقْرَ فِي الْإِسْلَامِ»، ثم بين أن المقصود به أن يذبح الإنسان على القبر بقرة أو شاة⁽³²⁾.

فقد أورد الحديث دون عزوه إلى المصادر الحديثية، والحديث أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب الذبح عند القبر⁽³³⁾.

ومثال الثاني: ما ذكره في مسألة الأرض المحبسة على المسجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شَعْرَهُ، وَرَوْتَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽³⁴⁾، ثم قال:

⁽²⁷⁾ التوبة: 60.

⁽²⁸⁾ الأحقاف: 15.

⁽²⁹⁾ لقمان: 14.

⁽³⁰⁾ فتاوى محمد قريو وبعض آثاره العلمية. 139/1.

⁽³¹⁾ أحمد بن حنبل، المسند، تح: شعيب الأرنؤوط ومن معه، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421هـ، 505/11، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، تح: محمد عبد الباقي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي الاجتماع إلى أهل الميت وصنعه الطعام، دار إحياء الكتب العربية، 514/1.

⁽³²⁾ فتاوى محمد قريو وبعض آثاره العلمية، 150/1.

⁽³³⁾ أبو داود، سنن أبي داود، تح: محمد عبد الحميد، كتاب الجنائز، باب كراهية الذبح عند القبر، المكتبة العصرية، بيروت، 216/3.

أخرجه البخاري".⁽³⁴⁾

ولفظ البخاري الذي وقفت عليه هو: «مَنْ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلُهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». ⁽³⁵⁾

وكذلك في مسألة صندوق التكافل الأهلي بعد أن فصل في المسألة، ذكر أن النبي ﷺ قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرًا فَهُوَ رَدٌّ» ⁽³⁶⁾ ، ثم قال: "رواه مسلم وأحمد". ⁽³⁷⁾

وفي بعض الأحيان يورد الحديث مجرداً من اسم راويه، وبدون تخريجه من كتب السنة ومن أمثلة ذلك قوله: "...ويندب إن كان وسيلة للخير كالطعام، إذا قصد به التقوي على العبادة، «وماء زمزم لما شرب له»، ويحرم إن كان وسيلة للمحرم...» ⁽³⁸⁾، فقد أورد الحديث في سياق كلامه مجرداً عن راويه، وبدون تخريجه من المصادر الحديثية والحديث أخرجه ابن ماجة عن جابر بن عبد الله ⁽³⁹⁾

وأحياناً لا يذكر نص الحديث، بل يكفي بالإشارة إليه فقط، ومن أمثله: ما جاء في مسألة الحمل الذي طال في بطن أمه بعد وفاة والده فبعد أن فصل في المسألة بذكر أقوال أهل العلم فيها قال: "...والأدلة تدل على صدق المرأة في دعواها، وأن الولد الذي أنجبته ينسب لأبيه... بحسب الشرع الشريف". ⁽⁴⁰⁾

فقد أشار الشيخ في فتواه هذه إلى قوله ﷺ: «الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ» ⁽⁴¹⁾، واكتفاء الشيخ بالإشارة هنا دون ذكر نصه، ربما يرجع ذلك لعلمه بشهرة الحديث، فهو مروى في أغلب كتب الصحاح والسُنن، أو ربما يرجع لرغبته في اختصار الفتوى دون التطويل؛ مراعاة لحال السائل، أو لغير ذلك، والله أعلم.

وأما ما يتعلق بالحكم على الحديث، فإن الملاحظ على الشيخ عدم ذكره إلا في القليل النادر، كما في مسألة ضيافة أهل الميت للمعزين فقد قال بعد أن تكلم في المسألة: "ويستحب لجيران أهل الميت، والأقرباء الأبعد، تهيئة طعام لهم، يشبعهم يومهم وليلتهم لقوله ﷺ: «اصْنَعُوا لِأَهْلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَهُمْ مَا يَشْعَلُهُمْ»". ⁽⁴²⁾، ثم قال: "حسنه الترمذي وصححه الحاكم". ⁽⁴³⁾

⁽³⁴⁾ فتاوى محمد قريو وبعض آثاره العلمية، 1/188.

⁽³⁵⁾ صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرسا في سبيل الله، 4/28.

⁽³⁶⁾ مسلم، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة، 3/1343.

⁽³⁷⁾ فتاوى محمد قريو وبعض آثاره العلمية، 1/260.

⁽³⁸⁾ المصدر نفسه، 1/79.

⁽³⁹⁾ سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب الشرب من ماء زمزم، 2/1018.

⁽⁴⁰⁾ فتاوى محمد قريو وبعض آثاره العلمية، 1/145.

⁽⁴¹⁾ الإمام مالك، الموطأ، تح: كلال علي، كتاب الأفضية، باب القضاء بإلحاق الولد بأبيه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1430هـ، ص562.

⁽⁴²⁾ الترمذي، سنن الترمذي، تح: أحمد شاکر ومن معه، أبواب الجنائز، باب ما جاء في الطعام يصنع لأهل الميت، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ، 3/314.

⁽⁴³⁾ فتاوى محمد قريو وبعض آثاره العلمية، 1/145.

3- الإجماع: استشهد الشيخ قريو في بعض المسائل بالإجماع، فمن الأمثلة التي حكى فيها الإجماع مسألة وجوب تعظيم النبي ﷺ، فقد قال: "أما تعظيم النبي ﷺ فهو واجب بالكتاب والسنة والإجماع... وإجماع الأمة على أن من لم يحبه وأهله وأمته لم يؤمن به". (44)

وفي مسألة انتفاع الأحياء والأموات بالدعاء، قال الشيخ: "وقد نص كثير منهم على أن قراءة القرآن على الميت إذا نوى بها القارئ نفع الميت عند الشروع فيها، ودعا بإيصال ثوابها إليه عند الفراغ منها، فإنها تكون من قبيل الدعاء والدعاء ينفع الأحياء والأموات بإجماع أهل السنة". (45)

4- القواعد الفقهية: استعان الشيخ بالقواعد الفقهية لإثبات الأحكام لبعض المسائل، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما جاء في مسألة دعوة القاضي، أو الحكمين الخصوم للصلح، فقد قال بعد أن تكلم في المسألة، وذكر أقوال العلماء، واستدل من القرآن والسنة: "وهذا يدل على أن الحاكم مصيب في حكمه في الظاهر، وإن أخطأ في الصواب عند الله في الباطن"، ثم قال: "الحديث والآية يدلان على أن حكم الحاكم لا يحل الحرام؛ لأنه لا يتناول إلا الظاهر على القول الصحيح". (46)

فقد أشار الشيخ هنا إلى القاعدة الفقهية: "حكم الحاكم هل يتناول الظاهر والباطن أو لا يتناول إلا الظاهر وهو الصحيح". (47)

رابعاً: الأمانة العلمية في نقل الأقوال: طريقة الشيخ في نقله لأقوال العلماء للاستدلال بها على رأيه تتلخص في النقاط التالية:

1- تقييد الشيخ في الغالب بالنص عند النقل من المصدر، وفي بعض المواضع ينقله بتصرف دون أن ينبه على ذلك، كما فعل عند نقله لكلام التسولي، فقد نقل كلاماً عن التسولي ونصه: "أن أفعال العبادات إذا عمّت يلتمس لها وجه ما أمكن، ولا تنقيد بالمشهور، ولا بمذهب واحد". (48)

فقد نقله الشيخ بتصرف دون أن ينبه على ذلك؛ لأن نص التسولي في البهجة هو: "أن ما ارتكبه الناس، وتقدم في عرفهم، وجرى به عملهم، ينبغي أن يلتمس له وجه شرعي ما أمكن على خلاف أو وفاق، إذ لا يلزم ارتباط العمل بمذهب معين، ولا بمشهور من قول قائل". (49)

2- التزم الشيخ في فتاويه بعزو الأقوال إلى أصحابها، أو إلى مصادرها التي نقل عنها، وله في ذلك طريقتان:

أ- إذا نقل نصاً لعالم من العلماء، يذكره منسوباً إلى صاحبه مع مصدره بقوله: قال فلان أو كقول فلان، والأمثلة على ذلك كثيرة، من ذلك ما ذكره عند كلامه على مسألة الإحتفال بالمولد النبوي (50)،

(44) المصدر نفسه، 82/1-83.

(45) المصدر نفسه، 158/1.

(46) المصدر نفسه، 257/1.

(47) الوشرسي، إيضاح المسالك، تح: الصادق الغرياني، دار الحكمة، ليبيا، ط2، 1997م، ص177.

(48) فتاوى محمد قريو وبعض آثاره العلمية، 80/1.

(49) التسولي، البهجة في شرح التحفة، تح: محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ، 82/1.

(50) فتاوى محمد قريو وبعض آثاره العلمية، 82/1.

فقد نقل كلاماً لابن الحاج⁽⁵¹⁾ مبيناً مصدره فقال: "...بل جوز صاحب المدخل تزيينها بالكثان الرفيع أو القطن فقال في نصح: "وَأَمَّا إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْكَثَّانِ الرَّفِيعِ، أَوْ الْقُطْنِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا فَذَلِكَ مِنَ الْبِدَعِ وَلَا يَصِلُ إِلَى التَّحْرِيمِ؛ لِأَنَّ أَصْلَهُ مُبَاحٌ".⁽⁵²⁾

وأيضاً قوله: "قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي⁽⁵³⁾ في كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ما نصح: "أخذ بعض العلماء من هذه الآية.....".⁽⁵⁴⁾

ب- أحياناً ينقل قولاً منسوباً إلى صاحبه بدون أن يذكر مصدره كما فعل ذلك في كثير من المواضع، منها على سبيل المثال لا الحصر قوله في مسألة مدة الحمل: "وقال ابن عبد البر: هذه مسألة لا أصل لها إلا الاجتهاد..."⁽⁵⁵⁾، وكقوله أيضاً: "وقال الضحاك: وضعتي أمي وقد حملت بي في بطنها سنتين"⁽⁵⁶⁾، فقد نقل هنا كلاماً لابن عبد البر، والضحاك، ولم يذكر المصادر التي نقل عنها.

ج- ينقل الشيخ في بعض المواضع من فتاويه كلاماً بالمعنى، ويعبر عنه بأسلوبه ذاكراً مصدره، مثال ذلك ما جاء في مسألة الزكاة فقد قال: "...أو كانت له كتب يحتاج إليها ولو كثرت جداً، إذا كانت فيه قابلية لها كما قال البرزلي نقلاً عن شيخه ابن عرفه، أو كانت له غرفة للسكنى، أو بيت للكراء، إذا كان الكراء للمعيشة لا للكنز كما قال البرزلي نقلاً عن اللخمي".⁽⁵⁷⁾

أيضاً قوله في مسألة بيع الحيوان بالوزن: "...يؤخذ من كلام المواق، والحطاب والخرشي على خليل، أن محل المنع إذا كان البيع بالوزن القديم، وهو ما يقع لخصوص اللحم بعد تمام السلخ، ونزوع الحشوة".⁽⁵⁸⁾

خامساً: موقفه من المذاهب الأخرى: لا يتقيد الشيخ بالمذهب المالكي في بعض المسائل، بل يقوم بجلب أقوال العلماء من المذاهب الأخرى وعرضها، ومقارنتها، ثم يقوم باستخلاص الرأي الذي يراه مناسباً للفتوى من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله في مسألة مصارف الزكاة: "بل أئمة المذاهب الأربعة اتفقوا على أن المستحقين للزكاة، يشترط في مجموعهم لا في جميعهم شروط خمسة..."⁽⁵⁹⁾، ثم ذكر أقوال كل مذهب مفصلاً، مُقَارِنًا بينها، ثم ذكر خلاصة قولهم في المسألة فقال: "أعلم أن خلاصة ما تحصل من كلامهم على تخصيص الأصناف الثمانية أن الزكاة لما كثر فيها الكلام في عهد النبي ﷺ... تولى الله مصرفها بنفسه؛ تبرئةً لنبيه وإجمالاً لألسنة اللامزين..."

(51) محمد بن محمد العبدري الفاسي، كان فقيهاً عارفاً بمذهب مالك، من شيوخه: أبو إسحاق المطمطي، من مؤلفاته: المدخل، توفي سنة: 737هـ. انظر محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 2012م، 536/1.

(52) ابن الحاج، المدخل، دار التراث، القاهرة، 273/1.

(53) محمد الأمين الجكني الشنقيطي، من علماء شنقيط، حج عام 1367هـ، واستقر مدرساً في المدينة المنورة، وتوفي بمكة، من مؤلفاته: أضواء البيان في تفسير القرآن، توفي سنة: 1393هـ، أنظر الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ط5، 45/6.

(54) فتاوى محمد قريو وبعض آثاره العلمية، 139/1.

(55) المصدر نفسه، 142/1.

(56) المصدر نفسه، 143/1.

(57) المصدر نفسه، 95/1.

(58) فتاوى محمد قريو وبعض آثاره العلمية، 112/1.

(59) المصدر نفسه، 93/1.

فهي تدل على أنَّ الزكاة محصورة على هؤلاء الأصناف لا تتعداهم، ولا تدفع لغيرهم ... فلذلك نص المالكية أنها لا تجزئ لغير الأصناف الثمانية".⁽⁶⁰⁾

سادساً: الاجتهاد: عند النظر في فتاوى الشيخ يظهر جلياً قدرته على الاجتهاد واستخلاص الأحكام للمسائل المسؤول عنها، خاصة التي يكثر فيها الخلاف بين أهل العلم، فالغالب من طريقة الشيخ في مثل هذه المسائل جلب أقوال العلماء في المسألة المسؤول عنها، ثم يقوم باستخلاص الرأي الذي يراه صواباً حسب رأيه، ومعمده في ذلك إما على القياس، أو الترجيح بين الأقوال، ومن الأمثلة على ذلك، ما جاء في مسألة الاصطياد - بالفلور - وهي بندقية لصيد الطيور - فبعد أن جلب أقوال العلماء في الشروط اللازم توفرها في آلة الصيد، وقام بمقارنتها وتحليلها قال: "الفلور ليس من القسم الأول على كل حال... وحينئذ فإما أن يكون من القسم الثاني إن كان من النوع الغليظ، ومن القسم الثالث إن كان من النوع الرقيق، وكلاهما لا يجوز الصيد به، وعلى هذا فمن أفتى بجواز الاصطياد به فقد خرج عن الشروط التي اشترطها الفقهاء في آلة الصياد، وصار مخالفاً للكتاب والسنة والقياس، وهذا ما ظهر لنا".⁽⁶¹⁾

وكذلك من الحالات التي استعمل فيها الشيخ القياس جواز إعطاء الزكاة لأصحاب سيارات النقل، فقد نقل عن الشافعية أنَّ من قدر على مال يساوي نصف ما يكفيه أو أكثر لا يخرج عن كونه مسكيناً تُعطى له الزكاة، ولو كان مالكاً لسفينة، إذا كان يعمل عليها للمعيشة لا لكنز المال، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾.⁽⁶²⁾

ثم ألحق بالسفينة سيارات النقل، إذا كان صاحبها يعمل عليها للمعيشة لا لكنز المال، وكذلك الأرض التي يحتاج إليها الفلاح في معيشته من الفلاحة.⁽⁶³⁾

وفي مسألة الطعام الذي يُعد لقراء القرآن في أيام العزاء، قال بعد جلب أقوال العلم فيها: "والراجح في ذلك الطَّعام التَّقْصِيل، وهو أنَّ القراء الذين يأكلونه إذا كان فيهم أغنياء يكون من ضيافة المأتم، وإذا لم يكن فيهم أغنياء لم يكن من ضيافة المأتم".⁽⁶⁴⁾

سابعاً: اتصالها بالجانب الاجتماعي: من الملاحظ في فتاوى الشيخ اتصالها بالجانب الاجتماعي، ويظهر ذلك جلياً في المسائل التي تشكل على الناس، وتجعلهم في ضيق وحرَج، خاصة في المسائل التي تضاربت فيها الأقوال، فيتدخل الشيخ بعلمه وذكائه ليزيح عنهم هذا الحرَج، موضحاً لهم القول السديد في المسألة، مستعيناً بالأدلة لدعم رأيه، وللدرد على من خالفه فيها، ومن المسائل التي وقع فيها الإشكال، وجعلت الناس في حيرة من أمرهم وسئل عنها الشَّيخ من مائة رجل أو أكثر كما صرح بذلك الشيخ نفسه قضية بيع الحيوان بالوزن، فقد أفتى الشيخ فيها

⁽⁶⁰⁾ المصدر نفسه، 94/1.

⁽⁶¹⁾ فتاوى محمد قريو وبعض آثاره العلمية، 267/1.

⁽⁶²⁾ الكهف: 79.

⁽⁶³⁾ انظر فتاوى محمد قريو وبعض آثاره العلمية، 96/1.

⁽⁶⁴⁾ المصدر نفسه، 155/1.

بالجواز، ثم ظهرت فتوى بمنعه، فوقع الناس في حيرة، فقام الشيخ بالرد على المخالف ببيان عدم صواب رأيه، واعتماده على قراءات خاطئة لنصوص الكتب التي اعتمد عليها في فتواه متناوياً في رده كل ما يتعلق بجزئيات المسألة، فكان رده شافياً وافياً. (65)

ثامناً: طريقة عرض الفتوى: تختلف طريقة عرض المسائل في الفتاوى عن بقية كتب الفقه العامة فالغالب في الفتوى أن تكون مقرونة بالمسألة المستفتى فيها، وقد تذكر أحياناً أسماء أصحاب المسألة، وكذلك مكان حدوثها، ومن أمثلة ذلك في فتاوى الشيخ قريو، ما قاله في مسألة الأرض المحبسة على المسجد المعروضة عليه بعد الحمدلة والصلاة على النبي ﷺ: "وبعد فقد سألني أعيان قرية جامع الغيران الغربية، التي بين رأس العمارات ورأس غومة عن قطعة حبسها رجل من أفراد تلك القرية على الجامع المذكور، والآن احتاجوا إليها وإلى القطيعات المجاورة لها؛ ليجعلوهن جبانة لدفن أمواتهم... فهل يجوز لهم ذلك أم لا؟".

فأجبت بأن التحبيس سنة قديمة، مرغّب فيها على سبيل الاستحباب... (66)، ثم أخذ يفصل في المسألة ويستجلب أقوال أهل العلم فيها.

فالشاهد هنا أنّ الشيخ عند عرضه للفتوى ذكر أسماء المستفتين وموقع الأرض المسؤول عنها.

تاسعاً: مواضيع الفتاوى: مواضيع الفتاوى المطبوعة والتي وقفت عليها متنوعة، وهي ليست مرتبة حسب الترتيب المعهود في كتب الفقه التي تبتدئ بالطهارة والصلاة ثم الزكاة... وهكذا، بل جاءت متفرقة ابتدأت بالإجابة عن سؤال يتعلق بحديث نبوي سئل عنه الشيخ، وانتهت بسؤال يتعلق بالصيد، كما اشتملت أيضاً على فتاوى وتعليقات لبعض الشيوخ على بعض المسائل وتخللتها أيضاً تعليقات للمحقق على بعض القضايا في المتن، ولكن يمكن بنظرة متفحصة تقسيمها حسب مواضيعها إلى ستة أقسام:

القسم الأول: مسائل تتعلق بالحديث النبوي وحكم سب الدين.

القسم الثاني: مسائل تتعلق بالعبادات، وتشتمل على فتاوى في الصلاة، والذكر والزكاة، والصيد.

القسم الثالث: مسائل تتعلق بأحكام الأسرة والموارث، وتشتمل على فتاوى في نكاح الشغار، وأقصى مدة الحمل، والميراث.

القسم الرابع: مسائل تتعلق بعبادات الناس، وتشتمل على حكم الاحتفال بالمولد النبوي، والضيافة في المآتم.

القسم الخامس: مسائل تتعلق بالبيع وما شاكله، وتشتمل على فتاوى في البيع، والملكية، والحياسة، والمغارسة، والأحباس، والمناقلة.

القسم السادس: مسائل تتعلق بالدعاوى، وتشتمل على حكم دعوة القاضي، أو الحكمين الخصوم للصلح.

(65) انظر فتاوى محمد قريو وبعض آثاره العلمية، 1/109.

(66) المصدر نفسه، 1/187.

الخاتمة

- بعد جولة علمية مع فتاوى الشيخ قريو، يأتي بيان أهم نتائجها التي تم التوصل إليها، وقد وقفت بتوفيق من الله تعالى على جملة من النتائج أسجلها في النقاط التالية:
- 1- من خصائص الفتوى عند الشيخ قريو تميزها بالواقعية، وذلك من خلال علاجها لقضايا واقعة يلمسها الناس في حياتهم واصطباغها أيضاً بالصبغة المحلية من حيث الزمان والمكان، فهي تتناول المسائل التي وقعت في منطقتها.
 - 2- اعتمد الشيخ في فتاويه على مجموعة من الأدلة، بعضها متفق عليه بين أهل العلم وبعضها مختلف فيه.
 - 3- تُظهر الفتاوى مدى قدرة الشيخ الاجتهادية في استصدار الأحكام للمسائل المعروضة عليه، وذلك من خلال قياساته وترجيحاته.
 - 4- التزم الشيخ في فتاويه بالأمانة العلمية في نقل الأقوال، فهو لا ينقل قولاً لعالم من العلماء أو نصاً من كتاب إلا ويصرح باسمه أو يشير إليه.
 - 5- لم يتقيد الشيخ في بعض الفتاوى بالمذهب المالكي الذي ينتمي إليه بل نجده يستعين بأراء المذاهب الأخرى، ويقارن بينها، وقد يرجح بعضها إذا رآه صواباً، ولو خالف مذهبه.

المصادر والمراجع

- 1- ابن الأثير، أسد الغابة، تح: علي معوض وعادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ.
- 2- ابن الحاج، المدخل، دار التراث، القاهرة.
- 3- ابن الصلاح، أدب المفتي والمستفتي، تح: موفق عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط2، 1423هـ.
- 4- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1422هـ.
- 5- ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تح: محمد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- 6- ابن منظور، لسان العرب، ، دار صادر، بيروت، ط الثالثة، 1414هـ.
- 7- أبو داود، سنن أبي داود، تح: محمد عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
- 8- أحمد النميري، صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة، 1397هـ.
- 9- أحمد بن حنبل، المسند، تح: شعيب الأرنؤوط ومن معه، مؤسسة الرسالة، ، ط1، 1421هـ.
- 10- أمير بادشاه، تيسير التحرير، دار الفكر، بيروت.

- 11- البخاري، صحيح البخاري، تح:محمد الناصر، دار طوق النجاة، ط1 ، 1422هـ.
- 12- الترمذي، سنن الترمذي، تح: أحمد شاکر ومن معه، مكتبة مصطفى الحلي، مصر، ط2، 1395هـ.
- 13- التسولي، البهجة في شرح التحفة، تح: محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.
- 14- الحطاب، مواهب الجليل، دار الفكر، بيروت، ط الثالثة، 1412هـ.
- 15- الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، تح:عادل الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط2، 1421هـ.
- 16- الزرقاني، شرح مختصر خليل، صححه عبدالسلام أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى 1422هـ.
- 17- الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ط15.
- 18- الشاطبي، فتاوى الشاطبي، تح: محمد أبوالأجفان، مكتبة العبيكات، الرياض، ط الرابعة 1421هـ.
- 19- عمر مولود، الوسيط في أصول الفقه الإسلامي، الجامعة المفتوحة، ليبيا، ط2 ، 2002م.
- 20- القاضي عياض، ترتيب المدارك، تح: ابن تاويت ومن معه، مطبعة فضالة، المغرب، ط1.
- 21- القرافي، الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، الإمام القرافي،:عبدالسلام بلاجي، دار ابن حزم، بيروت، ط الأولى، 1431هـ.
- 22- القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، كراتشي.
- 23- قريو، فتاوى محمد قريو وبعض آثاره العلمية، تح:جمعة الزريقي، جمعية وأبشروا، مصراتة، ط1، 1437هـ.
- 24- مالك، الموطأ، تح: كلال علي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 ، 1430هـ، ص562.
- 25- محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 2012م.
- 26- مرتضى، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مصطفى حجازي ومن معه، دار الهداية.
- 27- مسلم، صحيح مسلم، تح:محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 28- النووي، آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، تح: بسام الجابي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1408هـ.
- 29- الوثنريسي، إيضاح المسالك، تح:الصادق الغرياني، دار الحكمة، ليبيا، ط2، 1997م.

عنوان البحث

**الأنماط القيادية لدى مديري المدارس الثانوية الحكومية وأثرها على سير العملية
التعليمية من وجهة نظر المعلمين**

د. إبراهيم علي احمد طلافحة¹ د. فراس محمود بني يونس²

¹ وزارة التربية والتعليم/ الأردن

بريد الكتروني: Talafha82@yahoo.com

² قسم التربية الخاصة والارشاد النفسي، جامعة عجلون الوطنية

بريد الكتروني: firas.r86@hotmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21120>

تاريخ القبول: 2021/10/12م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

تناولت هذه الدراسة الأنماط القيادية لدى مديري المدارس الثانوية الحكومية في محافظة عجلون وأثرها على سير العملية التعليمية من وجهة نظر المعلمين. وقد تكونت عينة الدراسة من (221) معلم ومعلمة. وبينت نتائج الدراسة أن أكثر الأنماط المتبعة هو النمط الديمقراطي وتلاه الأوتوقراطي وأخرا المتسيب أو المتساهل. كما بينت النتائج أن هناك أثر ذات دلالة إحصائية للنمط القيادي على العملية التعليمية، فقد بينت ان معلمي المدارس الذي يديرها مديري من النمط الأوتوقراطي يميلون إلى ابتداء الأسباب الوهمية للتغيب عن العمل والأكثر رغبة في الانتقال من المدرسة، وكذلك هم الأكثر التزاماً بمواعيد الحصص المدرسية، وتلاه في ذلك النمط المتسيب ثم النمط الديمقراطي. وأظهرت النتائج عدم وجود أثر لمتغيرات الجنس، والخبرة، والدرجة العلمية على النمط القيادي وسير العملية التعليمية. واستنتج الباحثان من هذه النتائج أن على مديري المدارس إعادة النظر في النمط القيادي المستخدم في بعض المدارس، ومحاولة تحسينه لسير العملية التعليمية نحو الأفضل.

الكلمات المفتاحية: القيادة، الأنماط القيادية.

RESEARCH ARTICLE**STYLES OF LEADERSHIP FOR SCHOOL PRINCIPALS AT PUBLIC SECONDARY SCHOOLS AND THEIR IMPACT ON THE EDUCATIONAL PROCESS FROM THE TEACHERS POINT VIEW.****Ibrahim Ali Ahmed Talafha¹****Fras Mahmoud Bani Younus²**¹ Ministry of Education, Jordan

Email: Talafha82@yahoo.com

² Aglon National University

Email: fras.r86@hotmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21120>**Published at 01/11/2021****Accepted at 12/10/2021****Abstract**

This study tackles the Styles of Leadership for School Principals at Public Secondary Schools and their Impact on the Educational Process from the Teachers point view. The survey consists of (221) teachers: males and females. Its results have shown that the most followed style is the democratic one, then the autocratic and finally the free rein or laissez fair style. The results have also shown that there is an impact with a statistical indicator for the leadership style on the educational process. It shows that teachers working at schools run by principals following the autocratic style have a great tendency towards absenteeism under no authentic reasons and they are obsessed with a desire to transit from the school. These teachers are the most committed ones to the time of the classes. However, this style is followed by the free rein or laissez fair and the democratic styles. The results have also shown that there is no impact of gender, experience, and the academic degree on the leadership style and the educational process. From these results, the researcher has found out that school principals should reconsider the leadership style adopted at some schools and try to better it for the sake of the educational process.

Key Words: leadership, leadership styles.

المقدمة:

يعتبر وجود قادة تربويين يسرون بالمؤسسة التربوية الى الأمام ويدفعون العملية التعليمية نحو الأفضل (البدرى، 2001) من خلال ممارستهم للعمل الإداري بأساليب قيادية محفزة داعمة للمعلمين وعلاقه مبنية على مبدأ الاحترام للرأي والرأي الآخر متقبلاً منهم الانتقاد برحابة صدر مشاركاً لهم في اتخاذ القرارات، مرغباً في العمل لا مرهباً (نشوان ونشوان، 2004)، باستخدام كافة الطرق والوسائل المتقدمة والمتاحة لتحقيق الهدف من التعليم الا وهو الارتقاء بالمجتمعات لمواكبة كل حديث، يعتبر امر ضروري في ظل التطورات الحديثة والسريعة في المنظومة التربوية، والمؤسسات التعليمية هي من اكثر المتأثرين بسلسلة التغيرات السريعة التي طرأت على مجالات الحياة، كيف لا وهي أكثر المؤسسات تفاعلياً واتصالاً مع المنظومة المجتمعية بكافة أطيافها، وهذا لن يتحقق إلا بتوفر قيادة مدرسية تؤمن بالتغيير والتحديث وُجلى اهتمامها إعداد مواردها البشرية، فالطالبة تعدهم للحياة التي تنتظرهم والمعلمين تدفعهم للإيمان بان الثروة الحقيقية لبناء الأمم هي بين أيديهم فلا بد ان نسير بهم على الطريق الصحيح، ويشير (عياصرة، والفاضل، 2006) أن المؤسسات التربوية تعد أداه حيوية في المجتمعات الإنسانية وهي العنصر القادر على مواجهة التغيرات والتحولت المعاصرة.

وقد أولت الكثير من الدول ومنها الأردن اهتماماً خاصاً للإدارة المدرسية وتحسين فعاليتها (الطعاني، 1999)، وقد أشارت البحوث التربوية والنفسية إلى أهمية الأنماط القيادية للمدير واقتترانها بنجاح، وتطوير المؤسسات التربوية وتجويد التعليم (العمرى، 2003).

وأهتمت الدراسات التربوية بالأنماط القيادية لمديري المؤسسات التربوية وحظيت بكثير من الدراسات، فقد أشار عساف (2005) أن المدير الفعال هو الذي يمارس نمط إيجابي فعال في المناخ التربوي بوجه عام والمعلمين بوجه خاص مما ينعكس إيجابياً على الطلبة.

إن الصفات أو السمات التي نسعى أن تتوفر في قياداتنا التربوية والتي تعكس انماطهم القيادية التي يمارسونها في ادارة المؤسسات التعليمية هي مفتاح ابواب التقدم والنجاح والرقي، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتكشف عن الأنماط القيادية لمديري المدارس الحكومية للمرحلة الثانوية وأثرها على سير العملية التعليمية والتي تمثلت في هذه الدراسة في إنعكاس نمط القائد التربوي على العملية التعليمية من خلال سلوكيات المعلمين المتأثرين بنمط القيادة التربوية التي يعملون بظلمها في محافظة عجلون .

مشكلة الدراسة

يجمع المهتمون ان المؤسسات التعليمية هي اللبنة الأساسية الأولى في إعداد الأجيال للمستقبل، ومن خلال تجربتي في إدارة إحدى المؤسسات التربوية واطلاعي على العلاقة الوثيقة بين نمط القيادة للقائد التربوي المتبع وسلوكيات المعلمين وبالتالي سير العملية التعليمية، والمتمثلة في هذه الدراسة بالسلوكيات التي يمارسها القائد التربوي كلا حسب نمطه وسلوكه وأثرها على سلوكيات المعلمين ومن وجهة نظرهم، جاءت هذه الدراسة للتركيز على اهمية انتقاء النمط القيادي للقادة التربويين الذي يساعدهم فيرفع مستوى مؤسساتهم التربوية وفق سلوكيات

تدفع معلمهم نحو العمل، بما يمتلك القائد التربوي من سلوكيات مؤثرة بكافة الأفراد الموجودين معه لرسم معالم مستقبل مشرق للأجيال القادمة.

اسئلة الدراسة

حاولت الدراسة الحالية الاجابة على الاسئلة التالية:

1- ما هي الأنماط القيادية لدى مديري المدارس الحكومية للمرحلة الثانوية في عجلون وأثرها على سير العملية التعليمية من وجهة نظر المعلمين؟

2- ما هي الأنماط القيادية لدى مديري المدارس الحكومية للمرحلة الثانوية في عجلون وأثرها على سير العملية التعليمية من وجهة نظر المعلمين تبعاً لمتغير الجنس، وسنوات الخبرة، والدرجة العلمية؟

أهداف الدراسة

هدفت الدراسة الحالية إلى الآتي:

1- التعرف على الأنماط القيادية لدى مديري المدارس الحكومية الثانوية في عجلون وأثرها على سير العملية التعليمية من وجهة نظر المعلمين.

2- التعرف على الأنماط القيادية لدى مديري المدارس الحكومية الثانوية في عجلون وأثرها على سير العملية التعليمية من وجهة نظر المعلمين تبعاً لمتغير الجنس، وسنوات الخبرة، والدرجة العلمية.

أهمية الدراسة

تتمركز أهمية هذه الدراسة في لفت نظر مديري المدارس الحكومية في محافظة عجلون إلى أهمية النمط القيادي الذي يمارسونه في مدارسهم من وجهة نظر معلمهم وأثره على سير العملية التعليمية، بهدف تحسينها لتصبح عملية جاذبة لا منفرة للمعلم والطالب على حد سواء، فالتعليم مهنة نسعى لتطويرها من خلال قادتتها، وقد تساعد نتائج هذه الدراسة في الكشف عن أكثر أنماطها انتشاراً وأثرها على العملية التعليمية ووضعها في المسار الصحيح، إذ ركزت هذه الدراسة على الكشف عن سلوكيات مديري المدارس المؤثرة على معلمي المرحلة الثانوية وبالتالي تأثير ذلك على سير العملية التعليمية.

مصطلحات الدراسة

القيادة: عرفها العديد من المهتمين أنها قدرة الفرد على التوجيه والإرشاد لشخص أو جماعة وتحفيزهم للوصول إلى الأهداف (ليكرت).

وقد عرفها عياصرة (2006) بأنها سلوك يقوم به فرد يوجه به الجماعة عند القيام بنشاط معين.

وقد عرفها عريفج (2007) أنها محاولة استمالة أفراد الجماعة للتعاون على تحقيق هدف يتفقون عليه ويقتنعون بأهميته ويعملون على تحقيقه.

النمط الديمقراطي: عرفه حمادات (2007) بأنه القيادة التي تهتم بالمرؤوسين وتستخدم التحفيز

الإيجابي القائم على اشباع الحاجات والرغبات لهم.

النمط الأوتوقراطي (الدكتاتوري): عرفه حمادات (2007) القيادة التي تقوم على الاستبداد والتعصب الأعمى والتفرد باتخاذ القرار واستخدام أساليب الفرض والتخويف لتنفيذ الأوامر.

النمط المتسيب المتساهل: عرفه أبو النصر (2009) أنه القيادة الفوضوية التي لا تتدخل في مجريات الأمور بحيث يترك القائد الحرية للتابعين.

التعريفات الاجرائية

القيادة المدرسية: هي القدرة على التي يمتلكها مدير المدرسة في توجيه وتحفيز المعلمين للعمل على تحقيق الأهداف لرفع مستوى العملية التعليمية للمستوى المطلوب.

النمط القيادي: السلوك القيادي الذي يتبعه مدير المدرسة لتسير العملية التعليمية وتمثل بهذه الدراسة بثلاث أنماط هي الديموقراطي، الأوتوقراطي، والمتسيب.

حدود الدراسة:

اقتصرت هذه الدراسة على معلمي المدارس الحكومية الثانوية في عجلون الكبرى وذلك لتشابه الظروف التعليمية والاجتماعية للمعلمين ومديري المدارس وهي المدارس التابعة لمركز المحافظة للعام الدراسي 2021/2020م.

الإطار النظري والدراسات السابقة

تعنى القيادة التربوية بالعملية التعليمية وسيرها في الاتجاه الذي يحقق الأهداف المشتركة لجميع مكوناتها، وقد عرفها البدري (2005) بأنها السلوك الذي يقوم به الفرد حين يوجه نشاط الجماعة نحو هدف مشترك، موظفا مصادر قوته القيادية في التأثير بسلوك الآخرين، حيث يقوم مدير المدرسة بتوجيه الأفراد من دافع نمطه القيادي الذي يتميز ويؤمن به وبمهامه التي يتميز بها، بتوجيه واقناع من يشاركه في العمل بقبول الأهداف العامة والخاصة وحثهم على تحقيقها، وتتصف القيادة بأنها عملية ديناميكية تعبر عن علاقة الرئيس بالمرؤوس أي أنها علاقة إنسانية مؤثرة في سلوك الآخرين (عباس وبركات، 1979)، ويصنف (البدري، 2005) مهارات القائد التربوي الى ثلاث هي:

1-المهارات التصورية والمتعلقة بالأبداع والابتكار والتي تساعده في التخطيط.

2-المهارات الفنية والمتعلقة بالأساليب والمهارات الفنية والتي ترتبط بالجانب العملي للإدارة.

3-المهارات الإنسانية وتتعلق بمهارات القائد في التواصل مع الآخرين ودفعهم إلى العمل دون قهر أو اجبار.

ويؤكد التربويين أن إيمان القائد التربوي بنظريه قيادية دون غيرها، وتطبيقها تعكس نمطه القيادي،

وقد حدد (السعود، 2009) النظريات التالية للقائد:

نظرية الرجل العظيم: وتطلق من أن القائد يتمتع بمواهب خارقة تمكنه من إحداث التغييرات وهذه المواهب لن يجدها في اتباعه (البدري 2005).

نظرية السمات: وتقوم هذه النظرية على أن القائد يتميز عن الاتباع بعدد من الصفات التي تؤهله لتحمل مركز القيادة مثل ذلك: الطول، والقوة، والذكاء، والتنبؤ (العرفي، ومهدي 1996).

النظرية الوظيفية: تقوم على الجمع بين نظريتي السمات والمواقف حيث تؤكد أن القيادة تقوم في جوهرها على التفاعلي بين الشخصية والموقف (البدري، 2005).

النظرية الموقفية: ارتبطت هذه النظرية بالعالم فيدلير ويطلق عليها نظرية الاحتمال، وتقوم على أن القائد قد ينجح في موقف دون الآخر (البدري 2005).

النظرية التفاعلية: ويرى أصحابها أن عمليات التفاعل الاجتماعي تبرز دور القائد (عريفج، 2007). مما سبق ندرك أن تبني القائد وإيمانه بإحدى هذه النظريات دون غيرها يعكس النمط القيادي الذي يوظفه في إدارة شؤون المؤسسة التعليمية التي يرأسها، وهناك عدد من الأنماط القيادية والتي تعتبر الأكثر شيوعاً وهي:

النمط التسلطي أو الأوتوقراطي (The Autocratic Style): وهو المستبد بالرأي الذي يفرض رايه ولا يسمح بالناقاش، ويكون منعزلاً عن مجموعته وان السلطة له لا لغيره ويظهر العداء لكل من يخالفه الرأي (عطوي، 2001)، كما أن هذا النمط يعكس سلبيته على الأفراد التابعين ويؤمن أن العمل مرهون به وإذا ما تغيب اضطرب العمل (أسعد، 2004).

النمط الديمقراطي (The Democratic Style): وهو مبدا المشاركة الجماعية نمط المشجع النمط الذي يقترح ولا يملئ ولا يفرض، يترك للآخرين حرية الرأي ووضع البدائل ويراعي رغبات الآخرين، متعاون مبدع ومبتكر (حسان والعجمي، 2007).

النمط المتسبب المتساهل (Laissez Faire Style): يتميز هذا النمط من القادة بالتخلي عن أدوارهم في تحمل المسؤولية والمتابعة للتابعين ويقوم هو بدور الوسيط حيث يمد التابعين بالمعلومات وترك المبادرة لهم والاكتفاء بنقل النتائج إلى السلطة العليا (عريفج، 2007)، يطلق الحرية للعاملين لأنه غير قادر على اتخاذ القرار أو نتيجة لعدم معرفته، فيشعر العاملون بالضيق والاحباط وعدم الاحترام للقائد وهو أقل أنماط فاعلية (حمادات، 2007).

الدراسات السابقة

الدراسات العربية:

في دراسة بعنوان نمط القيادة السائد في مديريات التربية والتعليم بمحافظة غزة أجراها مغاري (2009) بينت النتائج أن نمط القيادة الديمقراطي هو السائد تلاه النمط الأوتوقراطي، كما بينت النتائج وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط القيادة الديمقراطي وصنع القرار، في حين بينت النتائج عدم وجود علاقة ذات دلالة بين تقديرات العاملين تعزى لمتغيرات الجنس، وسنوات الخبرة، والمسمى الوظيفي، والمؤهل العلمي.

وفي دراسة أجراها شحادة (2009) بعنوان العلاقة بين أنماط السلوك القيادي وأنماط الاتصال لدى الإداريين الأكاديميين من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الفلسطينية، بينت نتائج الدراسة أن النمط الديمقراطي هو الأكثر شيوعاً، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين النمط القيادي وأنماط الاتصال تعزى للجنس، والمؤهل العلمي، والخبرة العلمية.

أجريت عياصرة (2004) دراسة عن العلاقة بين الأنماط القيادية ودافعية المعلمين أظهرت أن النمط القيادي السائد هو الديمقراطي ثم الأوتوقراطي وأخيراً المتسيب لصالح الذكور والأوتوقراطي يعزى للخبرة، كما بينت الدراسة وجود ارتباط إيجابي بين الأوتوقراطي والنمط التسيبي ومستوى دافعية المعلمين نحو مهنتهم.

وفي دراسة أجراها الطويل (1992) بعنوان أنماط السلوك القيادي لمديري المدارس الثانوية وأثرها في العلاقة بين الإدارة والمعلمين وتصور المعلمين لفعالية الإدارة في الأردن، توصل فيها الباحث أن المعلمون وصفوا سلوك مديريهم بالإنسانية في العمل ومنخفض في العمل.

وفي دراسة القيسي (1988) بعنوان أنماط القيادة الإدارية السائدة لمديري المدارس الإعدادية وعلاقتها ببعض المتغيرات كما يراها أعضاء الهيئة التدريسية، توصل فيها أن النمط الديمقراطي هو الأكثر شيوعاً، وأن هناك علاقة دالة بين متغيري الخبرة والتدريب للمدير والنمط القيادي له.

الدراسات الأجنبية:

دراسة: جادوت (Leadership Style Organization Politica (Eran Vigoda- GADOT, 2007) and Employees Performance) هدفت الدراسة للتعرف على العلاقة بين الأنماط القيادية واداء الموظفين وبينت نتائج الدراسة وجود علاقة ذات دلالة بين النمط القيادي والاداء الوظيفي للعاملين.

دراسة لي و تشونغ (Lee & Chuang, 2005): (The Impaxt of Leadership on Stress and Turnover Intention-Taiwan Insurance Industry as an Example) هدفت الدراسة للتعرف على علاقة الأنماط القيادية للقادة والسمات الشخصية للتابعين وبينت نتائجها وجود علاقة ذات دلالة بين النمط القيادي وضغط العمل ومعدل دورانهم.

دراسة هواكنز (HAWKINS) تناولت الدراسة العلاقة بين الأنماط القيادية والمناخ المدرسي من وجهة نظر المعلمين وكانت نتائجها ان النمط القيادي لمدير المدرسة له أهمية كبرى في المناخ العام وبينت ان كلما كان السلوك من النمط الداعم يكون المناخ اكثر انفتاحاً.

الطريقة والاجراءات

منهج الدراسة: لتحقيق اهداف الدراسة استخدمت الباحثان المنهج المسحي معتمدة على الاستبانة كأداة رئيسية لغايات التوصل إلى النتائج ملحق رقم (1).

مجتمع الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة من معلمي المدارس الحكومية الثانوية لمحافظة عجلون.

عينة الدراسة: شملت الدراسة معلمي المدارس الحكومية الثانوية لمنطقة عجلون الكبرى ذكور وإناث وقد بلغ عدد معلمي المدارس المذكورة (221) معلمو معلمة ويبين جدول (1) التكرارات والنسب المئوية لعينة الدراسة.

جدول (1)

التكرارات والنسب المئوية لعينة الدراسة

النسبة	التكرار	الفئات	
39.8	88	ذكر	الجنس
60.2	133	انثى	

نتائج الدراسة:

السؤال الأول: ما هي الأنماط القيادية لمديري المدارس المتبعة في المدارس الحكومية للمرحلة

الثانوية في عجلون وأثرها على سير العملية التعليمية من وجهة نظر المعلمين؟
ولبيان الأنماط القيادية لمديري المدارس الثانوية من وجهة نظر معلمي المدارس تم حساب التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للأنماط القيادية المتبعة في المدارس الحكومية للمرحلة الثانوية من وجهة نظر المعلمين جدول (2).

جدول (2)

النمط	التكرار	النسبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
ديمقراطي	150	67.9	3.47	.543
أوتوقراطي	48	21.7	3.00	.492
متساهل	23	10.4	2.57	.645

وتم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لبيان أثر النمط القيادي على سير العملية التعليمية في المدارس الحكومية الثانوية لمنطقة عجلون الكبرى من وجهة نظر المعلمين جدول (3)

جدول (3)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأثر النمط القيادي على سير العملية التعليمية

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	الفئات	
1.035	3.15	150	ديمقراطي	الاتصال المفضل مع المعلمين لدى المدير الكتابي
.544	3.71	48	أوتوقراطي	
.846	3.48	23	متساهل	
.956	3.31	221	المجموع	
.702	2.67	150	ديمقراطي	يتفهم المدير سبب عدم إنجازي للعمل أحياناً
.546	3.00	48	أوتوقراطي	
.706	2.96	23	متساهل	
.685	2.77	221	المجموع	
.873	2.70	150	ديمقراطي	أقوم بمبادرات إبداعية في المدرسة دون الطلب مني
.778	2.77	48	أوتوقراطي	
.714	2.65	23	متساهل	
.835	2.71	221	المجموع	

0.880	2.49	150	ديمقراطي	ابتدع أسباب وهمية للتغيب عن الدوام المدرسي
0.794	2.92	48	أوتوقراطي	
0.947	2.48	23	متساهل	
0.883	2.58	221	المجموع	
0.959	2.67	150	ديمقراطي	ارغب في الانتقال من مدرستي
0.841	2.88	48	أوتوقراطي	
0.846	2.48	23	متساهل	
0.926	2.70	221	المجموع	
1.067	2.61	150	ديمقراطي	التزم بمواعيد الحصص الصفية
1.038	2.67	48	أوتوقراطي	
0.982	2.65	23	متساهل	
1.048	2.63	221	المجموع	

يبين الجدول (3) تباينا ظاهريا في المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية بسبب اختلاف فئات متغير النمط القيادي، ولبيان دلالة الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تم استخدام تحليل التباين الاحادي حسب الجدول (4).

جدول (4)

تحليل التباين الاحادي لأثر النمط القيادي على العملية التعليمية

الدالة الإحصائية	قيمة ف	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	المصدر	
.001	6.886	5.974 .868	2 218 220	11.948 189.129 201.077	بين المجموعات داخل المجموعات الكلي	الاتصال المفضل مع المعلمين لدى المدير الكتابي
.005	5.479	2.470 .451	2 218 220	4.941 98.290 103.231	بين المجموعات داخل المجموعات الكلي	يتفهم المدير سبب عدم إنجازي للعمل أحيانا
.826	.192	.135 .703	2 218 220	.270 153.197 153.466	بين المجموعات داخل المجموعات الكلي	أقوم بمبادرات إبداعية في المدرسة دون أطلب مني
.012	4.496	3.401 .756	2 218 220	6.802 164.899 171.701	بين المجموعات داخل المجموعات الكلي	ابتدع أسباب وهمية للتغيب عن الدوام المدرسي
.207	1.586	1.353 .853	2 218 220	2.705 185.982 188.688	بين المجموعات داخل المجموعات الكلي	ارغب في الانتقال من مدرستي
.948	.053	.059 1.108	2 218 220	.117 241.457 241.575	بين المجموعات داخل المجموعات الكلي	التزم بمواعيد الحصص الصفية

يتبين من الجدول (4) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$) تعزى للنمط القيادي في جميع الفقرات باستثناء الاتصال المفضل مع المعلمين لدى المدير الكتابي، ويتفهم المدير سبب عدم إنجازي للعمل أحيانا، وابتدع أسباب وهمية للتغيب عن الدوام المدرسي، ولبيان الفروق الزوجية الدالة احصائيا بين المتوسطات الحسابية تم استخدام المقارنات البعدية بطريقة LSD كما هو مبين في الجدول (5).

جدول (5)

المقارنات البعدية بطريقة LSD لأثر النمط القيادي على الاتصال المفضل مع المعلمين لدى المدير الكتابي، ويتفهم المدير سبب عدم إنجازي للعمل أحياناً، وابتدع أسباب وهمية للتغيب عن الدوام المدرسي:

متساهل	ديمقراطي	المتوسط الحسابي	النمط القيادي	
		3.15	ديمقراطي	الاتصال المفضل مع المعلمين لدى المدير الكتابي
	*.56	3.71	أوتوقراطي	
.23	.32	3.48	متساهل	
		2.67	ديمقراطي	يتفهم المدير سبب عدم إنجازي للعمل أحياناً
	*.33	3.00	أوتوقراطي	
.04	.29	2.96	متساهل	
		2.49	ديمقراطي	ابتدع أسباب وهمية للتغيب عن الدوام المدرسي
	*.42	2.92	أوتوقراطي	
*.44	.02	2.48	متساهل	

* دالة عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$).

يتبين من الجدول (5) وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$) بين النمط الديمقراطي والنمط الأوتوقراطي وجاءت الفروق لصالح النمط الأوتوقراطي في كل من الاتصال المفضل مع المعلمين لدى المدير الكتابي، ويتفهم المدير سبب عدم إنجازي للعمل أحياناً، وابتدع أسباب وهمية للتغيب عن الدوام المدرسي.

السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$) في الأنماط القيادية لمديري المدارس في المدارس الحكومية الثانوية في عجلون من وجهة نظر معلمي المدارس تعزى لمتغيرات الجنس، وسنوات الخبرة، والدرجة العلمية.

ولبيان أثر النمط على سير العملية التعليمية حسب متغيرات الدراسة تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية حسب متغيرات الجنس، وسنوات الخبرة، والدرجة العلمية والنمط القيادي، ولبيان الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تم استخدام اختبار "ت" لمتغيري الجنس وسنوات الخبرة وتحليل التباين الاحادي لمتغيري الدرجة العلمية والنمط القيادي، والجدول (6) توضح ذلك.

أولاً: متغير الجنس

جدول (6) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار "ت" حسب متغير الجنس

يتبين من الجدول (6) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$) تعزى لأثر الجنس في جميع الفقرات باستثناء ابتدع أسباب وهمية للتغيب عن الدوام المدرسي، وجاءت الفروق لصالح الذكور.

الدلالة الإحصائية	درجات الحرية	قيمة "ت"	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	الجنس	
.060	219	-1.891	.908	3.16	88	ذكر	الاتصال المفضل مع المعلمين لدى المدير الكتابي
			.977	3.41	133	انثى	
.890	219	-.139	.643	2.76	88	ذكر	يتفهم المدير سبب عدم إنجازي للعمل أحياناً
			.714	2.77	133	انثى	
.219	219	1.233	.730	2.80	88	ذكر	أقوم بمبادرات إبداعية في المدرسة دون الطلب مني
			.897	2.65	133	انثى	
.015	219	2.459	.830	2.76	88	ذكر	ابتدع أسباب وهمية للتغيب عن الدوام المدرسي
			.901	2.47	133	انثى	
.489	219	.693	.900	2.75	88	ذكر	أرغب في الانتقال من مدرستي
			.945	2.66	133	انثى	
.633	219	.478	.991	2.67	88	ذكر	التزم بمواعيد الحصص الصفية
			1.087	2.60	133	انثى	

ثانياً: سنوات الخبرة

جدول (7) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار "ت" حسب متغير سنوات الخبرة

الدلالة الإحصائية	درجات الحرية	قيمة "ت"	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	سنوات الخبرة	
.072	219	1.807	.808	3.48	66	أقل من 10 سنوات	الاتصال المفضل مع المعلمين لدى المدير الكتابي
			1.005	3.23	155	عشر سنوات فأكثر	
.792	219	.264	.795	2.79	66	أقل من 10 سنوات	يتفهم المدير سبب عدم إنجازي للعمل أحياناً
			.635	2.76	155	عشر سنوات فأكثر	
.391	219	-.859	.905	2.64	66	أقل من 10 سنوات	أقوم بمبادرات إبداعية في المدرسة دون الطلب مني
			.805	2.74	155	عشر سنوات فأكثر	
.055	219	-1.929	.928	2.41	66	أقل من 10 سنوات	ابتدع أسباب وهمية للتغيب عن الدوام المدرسي
			.856	2.66	155	عشر سنوات فأكثر	
.634	219	.477	1.012	2.74	66	أقل من 10 سنوات	أرغب في الانتقال من مدرستي
			.890	2.68	155	عشر سنوات فأكثر	
.441	219	-.772	1.055	2.55	66	أقل من 10 سنوات	التزم بمواعيد الحصص الصفية
			1.046	2.66	155	عشر سنوات فأكثر	

يتبين من الجدول (7) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$) تعزى لأثر سنوات الخبرة في جميع الفقرات.

ثالثاً: الدرجة العلمية

جدول (8)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية حسب متغير الدرجة العلمية

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	الفئات	
.758	3.65	48	بكالوريوس	الاتصال المفضل مع المعلمين لدى المدير الكتابي
1.068	3.24	72	دبلوم عال	
.982	3.34	50	ماجستير	
.858	3.06	51	دكتوراه	
.956	3.31	221	المجموع	
.789	2.88	48	بكالوريوس	يتفهم المدير سبب عدم إنجازي للعمل أحياناً
.643	2.85	72	دبلوم عال	
.667	2.62	50	ماجستير	
.642	2.71	51	دكتوراه	
.685	2.77	221	المجموع	
.915	2.81	48	بكالوريوس	أقوم بمبادرات إبداعية في المدرسة دون الطلب مني
.732	2.67	72	دبلوم عال	
1.033	2.56	50	ماجستير	
.654	2.82	51	دكتوراه	
.835	2.71	221	المجموع	
.834	2.33	48	بكالوريوس	ابتدع أسباب وهمية للتغيب عن الدوام المدرسي
.855	2.53	72	دبلوم عال	
.939	2.66	50	ماجستير	
.865	2.82	51	دكتوراه	
.883	2.58	221	المجموع	
.922	2.79	48	بكالوريوس	أرغب في الانتقال من مدرستي
.883	2.60	72	دبلوم عال	
1.048	2.62	50	ماجستير	
.865	2.82	51	دكتوراه	
.926	2.70	221	المجموع	
.996	2.67	48	بكالوريوس	التزم بمواعيد الحصص الصفية
1.124	2.57	72	دبلوم عال	
1.110	2.46	50	ماجستير	
.903	2.84	51	دكتوراه	
1.048	2.63	221	المجموع	

يبين الجدول (8) تبايناً ظاهرياً في المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية بسبب اختلاف فئات متغير الدرجة العلمية، ولبيان دلالة الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تم استخدام تحليل التباين الأحادي حسب الجدول (9).

جدول (9) تحليل التباين الاحادي لأثر الدرجة العلمية

الدالة الإحصائية	قيمة ف	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	المصدر	
.018	3.416	3.023 .885	3 217 220	9.068 192.009 201.077	بين المجموعات داخل المجموعات الكلية	الاتصال المفضل مع المعلمين لدى المدير الكتابي
.180	1.643	.764 .465	3 217 220	2.293 100.938 103.231	بين المجموعات داخل المجموعات الكلية	يتفهم المدير سبب عدم إنجازي للعمل أحياناً
.326	1.160	.807 .696	3 217 220	2.422 151.044 153.466	بين المجموعات داخل المجموعات الكلية	أقوم بمبادرات إبداعية في المدرسة دون الطلب مني
.040	2.827	2.153 .761	3 217 220	6.458 165.243 171.701	بين المجموعات داخل المجموعات الكلية	ابتدع أسباب وهمية للتغيب عن الدوام المدرسي
.454	.877	.753 .859	3 217 220	2.260 186.428 188.688	بين المجموعات داخل المجموعات الكلية	أرغب في الانتقال من مدرستي
.294	1.246	1.363 1.094	3 217 220	4.090 237.485 241.575	بين المجموعات داخل المجموعات الكلية	التزم بمواعيد الحصص الصفية

يتبين من الجدول (9) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$) تعزى للدرجة العلمية في جميع الفقرات باستثناء الاتصال المفضل مع المعلمين لدى المدير الكتابي، وابتدع أسباب وهمية للتغيب عن الدوام المدرسي، ولبيان الفروق الزوجية الدالة احصائياً بين المتوسطات الحسابية تم استخدام المقارنات البعدية بطريقة LSD كما هو مبين في الجدول (10).

جدول (10) المقارنات البعدية بطريقة LSD لأثر الدرجة العلمية على الاتصال المفضل مع المعلمين لدى المدير

الكتابي وابتداع أسباب وهمية للتغيب عن الدوام المدرسي

الدرجة العلمية	المتوسط الحسابي	بكالوريوس	دبلوم عال	ماجستير	دكتوراه
الاتصال المفضل مع المعلمين لدى المدير الكتابي	بكالوريوس	3.65			
	دبلوم عال	3.24	*.41		
	ماجستير	3.34	.31	.10	
	دكتوراه	3.06	*.59	.18	.28
ابتدع أسباب وهمية للتغيب عن الدوام المدرسي	بكالوريوس	2.33			
	دبلوم عال	2.53	.19		
	ماجستير	2.66	.33	.13	
	دكتوراه	2.82	*.49	.30	.16

* دالة عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$).

يتبين من جدول (10) الآتي:

_ وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$) بين بكالوريوس من جهة وكل من دبلوم عال، ودكتوراه من جهة أخرى وجاءت الفروق لصالح بكالوريوس في الاتصال المفضل مع المعلمين لدى المدير الكتابي.

_ وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$) بين بكالوريوس ودكتوراه وجاءت الفروق لصالح دكتوراه في ابتدع أسباب وهمية للتغيب عن الدوام المدرسي.

مناقشة نتائج الدراسة

أولا النتائج المتعلقة بالسؤال الأول:

ما هي الأنماط القيادية لمديري المدارس المتبعة في المدارس الحكومية الثانوية في عجلون وأثرها على سير العملية التعليمية من وجهة نظر معلمي المدارس؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية للأنماط القيادية المتبعة في المدارس الحكومية الثانوية في عجلون وأثرها على سير العملية التعليمية من وجهة نظر معلمي المدارس. حيث جاء النمط القيادي الديمقراطي في الدرجة الأولى وبمتوسط حسابي (3.47) وتلاه النمط الأوتوقراطي بمتوسط حسابي (3.00) وفي الدرجة الأخيرة النمط المتساهل. ومن وجهة نظر الباحثان أنه في ظل الظروف التي نعيشها ومن انعكاس الواقع الاجتماعي للمجتمعات أصبح مديري المدارس أكثر اندفاعاً وإيماناً بالعمل لن ينجح ولن تسير المؤسسات التعليمية وفق متطلبات العصر إلا باحترام الرأي والآخر والمشاركة في اتخاذ القرارات والعمل بروح الفريق والتركيز على العلاقات الإنسانية، فالقائد الذي يمتلك المهارات الإنسانية الدافعة للعمل دون قهر، يتقن التواصل بمهاره وهذا ما أكدته نتائج الدراسة.

ولبيان أثر النمط القيادي على سير العملية التعليمية في المدارس الثانوية ومن وجهة نظر المعلمين تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لبيان أثر النمط القيادي على سير العملية التعليمية في المدارس الحكومية الثانوية في عجلون من وجهة نظر المعلمين جدول (3) حيث يظهر تبايناً ظاهرياً في المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية بسبب اختلاف فئات متغير النمط القيادي، ولبيان دلالة الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تم استخدام تحليل التباين الأحادي حسب الجدول (4) ويظهر عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) تعزى للنمط القيادي في جميع الفقرات باستثناء الاتصال المفضل مع المعلمين لدى المدير الكتابي، ويتفهم المدير سبب عدم إنجازي للعمل أحياناً، وابتدع أسباب وهمية للتغيب عن الدوام المدرسي، ولبيان الفروق الزوجية الدالة إحصائياً بين المتوسطات الحسابية تم استخدام المقارنات البعدية بطريقة (LSD) كما هو مبين في الجدول (5). الذي يتبين منه وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$) بين النمط الديمقراطي والنمط الأوتوقراطي والمتساهل وجاءت الفروق لصالح النمط الأوتوقراطي في كل من الاتصال المفضل مع المعلمين لدى المدير الكتابي، ويتفهم المدير سبب عدم إنجازي للعمل أحياناً،

وابتدع أسباب وهمية للتغيب عن الدوام المدرسي.

يستجج الباحثان من النتائج السابقة لأثر النمط القيادي على سير العملية التعليمية ان هناك عدد من السلوكيات التي يمارسها القائد التربوي تدفع بالمعلمين نحو سلوكيات تؤثر سلبا على سير العمل في المؤسسة التعليمية ومنها كما تبين من نتائج التحليل التي بينت ان النمط الأوتوقراطي في القيادة والتي تميل الى التقليدية العلمية لصاحبها فريدريك تايلور (الطويل، 1997). وخاصة في عملية الاتصال فطرق التواصل الكتابية وابتداع أسباب وهمية من المعلمين للتغيب عن العمل تؤكد نفور المعلمين وعدم رغبتهم في العمل، ولا بد من الاشارة ان القائد التربوي ومن وجهة نظر الباحثان في كثير من المواقف الإدارية يستطيع ان يمارس اكثر من نمط قيادي وحسب الموقف المتبنى للنظرية الموقفية والتي تقوم على ان القائد قد ينجح في موقف دون اخر وهذا ما تؤكد نتائج الدراسة حيث اظهرت تفهم مديري النمط الأوتوقراطي عدم انجاز الاعمال في موعدها أحيانا.

كما اظهرت النتائج ان النمط الديموقراطي جاء في الدرجة الثالثة وبمتوسط حسابي (3.15) حيث قلت نسبة استخدامه للطرق الكتابية في التواصل وكذلك ابتداع المعلمين الأسباب الوهمية للتغيب عن العمل كيف لا وهذا النمط يمتاز بميله الى الإيمان بالعلاقات الإنسانية وتفهم المرؤوسين واحترام رايهم، وجميعها تدفع المعلمين الى العمل برغبة .

أما النمط المتساهل وهو القائد الضعيف ولا يملك رغبة في القيادة وتحمل مسؤولية القرارات جاء في الدرجة الثانية بين مديري المدارس الثانوية في عجلون الذين يفضلون الاتصال الكتابي، الا ان معلميه لا يبتدعون أسباب وهمية للغياب فهم متأكدون من عدم المتابعة والنتائج تؤكد ان رغبة المعلمين كذلك في الانتقال من المدرسة جاءت الأقل بين جميع الأنماط فلا مسائلة عند التغيب عن العمل من قبل مديرهم، بل المهم إرضاء العاملين لضمان الوقوف الى جانبه، كما ان العملية التعليمية يمكن ان تسير دون تخطيط، ويتجنب اتخاذ القرار لوحدة لعدم رغبته في تحمل النتائج.

وتتوافق نتائج هذه الدراسة مع دراسة (حسين المنبع، 2000) حيث أجرى دراسة بعنوان أثر النمط القيادي لمديري المدارس الثانوية بتأديتهم لأدوارهم الوظيفية من وجهة نظر المعلمين، كما تتوافق مع دراسة (عياصرة، 2004) ودراسة (القيسي، 1988).

مناقشة نتائج السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha=0.05$) في الأنماط القيادية لمديري المدارس في المدارس الحكومية الثانوية في عجلون من وجهة نظر معلمي المدارس تعزى لمتغيرات الجنس وسنوات الخبرة والدرجة العلمية.

في ضوء النتائج وحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبارات لمتغيرات الجنس وسنوات الخبرة والدرجة العلمية لبيان أثر الأنماط القيادية على سير العملية التعليمية تبعا للمتغيرات الثلاث جاءت النتائج على النحو التالي :

عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لأثر الجنس لكافة الأنماط القيادية باستثناء سلوك معلمي اختلاف في ابتداع أسباب وهمية للتغيب عن العمل لصالح الذكور.

وكما بينت نتائج حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبارات والجدول البعدية عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لسنوات الخبرة أو الدرجة العلمية باستثناء الاتصال المفضل للمديرين مع المعلمين الكتابي وابتداع أسباب وهمية للتغيب عن العمل حيث وجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح البكالوريوس. ومن وجهة نظر الباحثان ان مديري المدارس ممن يحملون درجة البكالوريوس ممن ينتمون الى النمط الأوتوقراطي يطبقون التعليمات والقوانين بحزم ولا يجذبون تحمل المسؤولية أمام رؤسائهم.

ويستنتج الباحثان من هذه الدراسة ان مهارة التواصل وهي المهارة التي يقوم بها الأفراد بهدف التواصل مع الآخرين سواء من خلال التحدث أو الاستماع قد يفتقدها معظم مديري المدارس ويفضلون التواصل الكتابي وتعزو الباحثان السبب وراء هذا السلوك الذي يفضله مديري المدارس ومن خبرتها الشخصية الى كثرة العمل اليومي المنوط بالمديرين. أما بخصوص ابتداع أسباب وهمية من المعلمين للتغيب عن العمل ممن يعملون في المؤسسات التربوية التي قائدها من النمط الأوتوقراطي القائد الذي يلتزم بالعمل والذي يسعى الى الارتقاء بالمؤسسات التعليمية الناجحة الفاعلة والتي يتبع بها المديرين سلوك إداري مهتم بالعمل وعلاقته مع المعلمين بحدود ما يقومون به من اعمال وواجبات، وهذا ما لا يعكسه القائد الذي يهتم بالعلاقات الإنسانية الديموقراطي المتفهم المتعاون الذي يبني علاقته على الثقة والاحترام المتبادلين بينه وبين مرؤوسيه.

المصادر والمراجع

- أبو النصر، محمد. (2009). **قادة المستقبل القيادة المتميزة الجديدة**، ط1. المجموعة العربية للتدريب والنشر - القاهرة مصر.
- احمد، احمد. (1998). **تحديث الإدارة التعليمية**. الاسكندرية: مكتبة المعارف الحديثة.
- اسعد، وليد. (2004). **الإدارة المدرسية**. عمان: مكتبة المجتمع العربي.
- البدري، طارق عبد الحميد (2010). **الاساليب القيادية والإدارية في المؤسسات التعليمية**، ط1. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر.
- البدري طارق عبد الحميد (2005). **اساسيات الإدارة التعليمية ومفاهيمها**. عمان: دار الفكر ناشرون وموزعون.
- حسان، حسن محمد والعجمي، محمد حسنين (200). **الإدارة التربوية**. عمان: دار الميسرة للنشر والتوزيع.
- حسين، عبده (2000). **علاقة النمط القيادي لمديري المدارس الثانوية بتأدية ادوارهم الوظيفية من وجهة نظر اعضاء الهيئة التعليمية** رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة عمان العربية للدراسات العليا.
- حمادات، محمد حسين (2006). **القيادة التربوية في القرن الجديد**. عمان: دار الفكر.
- حمادات، محمد حسين (2006). **القيادة التربوية في القرن الجديد**. عمان: دار حامد.

- السعود، راتب سلامة (2009). الإدارة التربوية مفاهيم وافاق. عمان: طارق للخدمات التربوية.
- الطراونة، لطيف يوسف (2000). "تقدير الاحتياجات التدريبية لمديري المدارس الحكومية في محافظة الكرك". مؤتمه للبحوث والدراسات. م15، ع11، 3-44.
- الطعاني، حسن (1999). "دراسة ميدانية لبناء برنامج تدريبي لمديري المدارس الثانوية في الأردن في ضوء ادائهم لمهامهم المطلوبة". مجلة مركز البحوث التربوية، جامعة قطر، 22، 122-170.
- الطويل، هاني عبد الرحمن (1999). الإدارة التعليمية مفاهيم وافاق. عمان: دار وائل.
- شحادة، رائف (2008). "العلاقة بين انماط السلوك القيادي وانماط الاتصال لدى الإداريين الأكاديميين من وجهة نظر اعضاء هيئة التدريس في الجامعات الفلسطينية". فلسطين جامعة النجاح الوطنية، رسالة ماجستير.
- عامر، سعيد (2000). البعد الثالث لإدارة القرن الحادي والعشرون. القاهرة: شركة وليد سيرفس للاستشارات والتطوير الإداري.
- عباس على وبركات عبدالله (1997). مدخل الى علم الإدارة. دار النظم للنشر عمان.
- العرفي، عبد الله ومهدي، عباس (1996). مدخل الى الإدارة التربوية. بنغازي: منشورات جامعة قار يونس.
- عريفج، سامي سلطي (2007). الإدارة التربوية المعاصرة. عمان: دار الفكر ناشرون وموزعون.
- العساف، ليلي موسى (2005). الاتصال الإداري واساليب الإدارة الإدارية في المؤسسات التربوي. عمان: دار ومكتبة الحاضر للنشر والتوزيع.
- عطوي، جودت عزت (2001). الإدارة المدرسية الحديثة: مفاهيمها النظرية وتطبيقاتها العملية. دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- العمرى، خالد (2003). "الموجه قائد للتغيير والتطوير التربوي". ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الأول للتوجيه التربوي، ابو ظبي.
- عياصرة، علا محمد (2006). الإدارة التربوية اصولها وتطبيقاتها المعاصرة. ط3. بنغازي: دار الكتب.
- عياصرة، على والفاضل، محمد (2006). الاتصال الإداري واساليب الإدارة الإدارية في المؤسسات التربوية. القيسي، هناء محمود. الأنماط القيادية الإدارية السائدة لدى المدارس الإعدادية وعلاقتها ببعض المتغيرات كما يراها اعضاء الهيئة التدريسية. بغداد، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، رسالة ماجستير غير منشورة.
- محمد عبد الله المنبع "أثر الأنماط القيادية للمديرين على اعمالهم في المدارس". مجلة الملك سعود التربوية مجلة العلوم التربوية (ص، ص 221 222، 1989).
- نشوان، يعقوب ونشوان جميل (2004). السلوك التنظيمي في الإدارة والاشراف التربوي. عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.

- Eran Vigoda–Gadot (2007). **Leadership Style Organizations politics, and Employees Performance**. Division of Public Administration and Policy. School of Political Sciences , University of Haifa, Israel. Full text article. www.emeraldinsight.com.
- Hawkins, T (2002). **Principal Leadership style And Organization Climate a study of Perceptions of leadership style behavior on school climate in international school**. Dissertation Abstracts International, a 62\11,p 3639.
- Tsai–Hua Chuang (2005). **The Impact of Leadership Style on Job Stress and Turnover Intention. Taiwan Insurance Industry as an example**. Department of Business Management. Tatung University. Taiwan www.Academic-papers.org\ocs2\session\Papers\E1\619.doc, visited on March 16, 2009.

اللاهوت المريمي المسيحي في ظل العهدين القديم والجديد

سهام صالح¹

¹ باحثة دكتوراه تخصص مقارنة أديان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله. فاس/ المغرب

البريد الإلكتروني: Sihamsalhi2211@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21121>

تاريخ القبول: 2021/10/20م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

الحديث عن السيدة مريم عليها السلام، يدفعنا إلى استحضار سيرتها المتصفة بالقدسية والتفرد، لتحليل مجرياتها التاريخية وتحديد مدى تطابقها أو اختلافها مع ما حيك حولها من أخبار ثيولوجية وليتورجية أدرجت ضمن ما وصف باللاهوت المريمي. وقد تجاذبت الديانات السماوية مناحي هذه الشخصية لتتباين النظرة إليها، بين المتهم لها بأبشع الصفات، والمتشفع بها باعتبارها الشريكة في الفداء والخلص. مما يجعل موضوع السيدة مريم يتجاوز المروي إلى علاقة تأثير وتأثر تمخض عنها خلق لصورة جديدة لها، تجمع التاريخي والعقدي والأسطوري. ويأتي هذا البحث، معتمدا على استقراء الكتب المقدسة، وفي إطار البحث العلمي المعزز بعلم مقارنة الأديان، لتناول هذه الشخصية، للخروج بنتائج في غاية الأهمية، توضح حقيقتها.

الكلمات المفتاحية: اللاهوت المريمي، الكتاب المقدس، الفرق المسيحية، السيدة مريم

RESEARCH ARTICLE

MARIAMIAN THEOLOGY UNDER THE OLD AND NEW TESTAMENTS

Siham Salhi¹

¹ Ph.D. Researcher specializing in religion comparison, Faculty of Arts and Humanities – Sais, Sidi Mohammed ben Abdullah University. Fes/ morocco.
Email: Sihamsalhi2211@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21121>

Published at 01/11/2021

Accepted at 20/10/2021

Abstract

When Talking about Maryam, we find ourselves prompted to evoke her sacred character and uniqueness in order to analyze her history, and determine either it is compatible or not when studying the theoretical and liturgical news included in what was described as Mariamian theology. The monotheistic religions attracted the aspects of this character to make several different views, some of them accuse her with bad qualities, others saw her as a holy women blessed in the heavens, and the partner in redemption and salvation. This makes Maryam's topic transcend the narrated one, to a relationship of influence that resulted creating a new image for her, which include historical, dogmatic, and legendary.

Key Words: Mariamian Theology, The Bible, Christian Differences, Mary

مقدمة:

كانت ولا تزال شخصية السيدة مريم مثار جدل كبير في الفكر الديني عموماً، والمسيحي منه على وجه الخصوص. فطبيعة هذه الشخصية طبيعة إشكالية في أبعادها ومراميها، تتفرع بين مقدس لها مؤسس لسلطتها على الفكر المسيحي، ومنكر لحقيقتها، متجاوز كل المعطيات الدينية بشأنها، معتبر ما حيك حولها مجرد أساطير لا أساس لها من الصحة أو الحق. والواضح أن هناك غموضاً يصل إلى حد الإبهام في تناول هذه الشخصية الوازنة في الفكر الديني، والتي أنشئت حولها مذاهب وتوجهات فلسفية وفكرية متعددة أضفت عليها معالم شخصية قدسية امتدت آثارها إلى أنساق مختلفة من الفكر الديني المسيحي. لم تتناول المجادلات اللاهوتية السيدة مريم على وجه مباشر، بل المسيح بالأحرى، ومع ذلك سنرى كيف أدت هذه المجادلات إلى نتائج تختص بالعقيدة المريمية.

إشكالية الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الإحاطة بمجموعة من القضايا والمسائل المرتبطة بالسيدة مريم عليها السلام، بتحديد مواضع التوافق والافتراق في سيرتها بين النظرة اليهودية والمسيحية. كما تهدف الدراسة إلى الإجابة عن السؤال المحوري التالي: إلى أي مدى تفردت السيدة مريم عليها السلام عن باقي نساء العالمين؟ وما الذي يميزها عن غيرها من النساء؟

- سؤال تتفرع عنه مجموعة من الأسئلة سيحاول البحث الإجابة عنها وهي:
- كيف كانت طبيعة الحمل وكيف تم وصف الولادة في الكتابات الانجيلية؟
- لماذا حافظت مريم على لقب البتول رغم ولادتها للمسيح عليه السلام؟ وما حقيقة ذلك؟
- ما هي الظروف التي أدت إلى وصف مريم بوالدة الإله؟ وما هو الأصل التاريخي لهذه التسمية؟
- ما الذي أدى إلى ظهور اللاهوت المريمي؟
- كيف ترجم تقديس السيدة مريم إلى عبادة متصلة بالأيقونات والتماثيل؟

أهمية الدراسة

تتبع أهمية هذا الموضوع من أهمية الكتب السماوية نفسها، فقد شكل الكتاب المقدس وعلى مر العصور أحد المحددات الأساسية والموجهات المركزية للعقل المتدين اليهودي ثم المسيحي. لتكون العقائد والأفكار والتصورات التي احتواها هذا الكتاب مؤثرة لا محالة على الواقع الاجتماعي والفكري والثقافي للمؤمنين به، ليتجاوز موضوع السيدة مريم المروي إلى علاقة تأثير وتأثر تمخض عنها خلق للمقدس. فقصة مولد وحياة مريم وولادتها للنبي عيسى عليهما السلام بكل تشعباتها وامتداداتها الفكرية والعقدية، توجي إلى كل باحث أو راغب في الاطلاع على مجريات هذه القصة، بأفكار لازمت الفكر الديني عموماً وارتبطت به ارتباطاً وثيقاً، لأنها وجدت فيه التربة الخصبة والمنبت الملائم لمثل هذه التصورات. وانطلاقاً من الأهمية القصوى التي تحتلها مثل هذه البحوث، وخطورة تجليات هذه المواضيع على الواقع الإنساني، كان العزم على اقتحام هذا المجال المليء بالمجازفات المعرفية، والممتلئ بالصعوبات والعراقيل النابعة من طبيعة البحث في الكتب المقدسة نفسها.

دوافع الدراسة

- إبراز نظرة الديانة اليهودية والمسيحية إلى السيدة مريم.
- تحديد شامل لنسب السيدة مريم ونشأتها، ووصفها الديني في الديانة المسيحية بطوائفها المختلفة.
- إبراز الخلاف بين الطوائف المسيحية في تصور المعتقد، والتحول الذي طال العقيدة المسيحية قبل وبعد القرن الرابع الميلادي، والمقصود فترة التوحيد المتعلقة بالمسيحية الأولى وفترة التثليث المتعلقة بالمسيحية الحالية.
- توضيح حقيقة العقيدة المريمية وتبيان كيفية انتقالها من التقديس إلى التأليه والعبادة.

الدراسات السابقة

اعتنى العلماء قديما وحديثا بإبراز العقائد المسيحية، وكان تناول شخصية السيدة مريم عليها السلام منتسبا بالضرورة إلى هذه الدراسات باعتبار علاقتها المباشرة بالمسيح عليه السلام. وقد قمت بالاطلاع على عدد من هذه الكتب التي تناولت هذا الموضوع من قبيل:

وكتاب «**تأليه مريم ابنة عمران والعبادات المقدمة لها عند النصارى**» لمحمد عبد القادر الملكاوي، الذي هدف إلى إثبات تأليه النصارى لمريم ابنة عمران، من خلال كتب النصارى أنفسهم، وبين الفرق التي تؤلّوها، والفرق التي تنكر ذلك، وذكر بعض العبادات المقدمة لها في الكنائس.

وكتاب «**خلاصة اللاهوت المريمي**» للأب أوغسطين دوبرة لاتور، ويعرض القضايا الأساسية في دراسة حياة السيدة مريم ومكانتها فيما يسمى باللاهوت المريمي¹ بطرح كاثوليكي.

وكتاب «**مريم أم الرب ورمز الكنيسة**» لماكس توريان ويعرض مختلف الألقاب والتسميات التي حصلت عليها السيدة مريم انطلاقا من القراءة والرؤية المسيحية للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

وكتاب «**Maria, études sur la sainte vierge**» لمؤلفه Hubert Du manoir، الذي حلل فيه اللاهوت المريمي من خلال الكتاب المقدس والأدب، ومن خلال الليتورجيا البيزنطية واليونانية، كما فسر بعض المفاهيم كالأومنة الإلهية والعذرية والقداسة.

وكتاب «**La vie de Marie, mère de Jésus**» لمؤلفه Franz Michel William، الذي حاول فيه التعريف بمريم وبحياتها داخل الشعب الإسرائيلي باعتبارها امرأة يهودية- قبيل ظهور المسيحية- من خلال دراسة متأنية لسفر المزامير.

كما قدمت مجلة «**Revue de Théologie et de Philosophie**» عددا مهما من المقالات التي تصب في الموضوع، تم فيها تناول الشخصية المريمية من جوانب مختلفة، وبمرجعيات دينية متنوعة.

أولا: السيدة مريم في الكتاب المقدس.

1- سيرة السيدة مريم حسب الرواية الإنجيلية.

ولدت السيدة مريم حوالي سنة 18 قبل الميلاد، في الفترة التي احتل فيها الرومان المنطقة الشمالية من فلسطين التي عرفت باسم الجليل، فهي ابنة حنة «**חנה**» من بيت لحم ويوكايم أو يوقيم «**יְהוֹכָיִם**» من

¹اللاهوت المريمي: هو جزء من علم اللاهوت المسيحي العام يختص بدراسة العقائد المسيحية المتعلقة بمريم.

الناصر، وحسب ما جاء في إنجيل يعقوب الأبوكريفي فقد كان الأبوان يقيمان في الناصرة²، وبالمقارنة بين إنجيلي مرقس (15:40) ومتى (27: 56) ربما كانت أختها هي سالومة أم ابني زبدي، وفي هذه الحالة يكون يعقوب ويوحنا ابني خالة المسيح عيسى وهي نسبية أليصابات زوجة زكريا التي كانت من بنات هارون (إنجيل لوقا 1: 5) مما قد يدفع إلى الظن أنها من سبط لاوي، بينما يكاد الإجماع ينعقد على أنها كانت من نسل داود الملك، وأن عبارة «مَنْ بَيْتِ دَاوُدَ» المذكورة في إنجيل لوقا (1: 27) يمكن أن تكون وصفا لمريم أو ليوسف النجار خطيبها؛ وقد ورد في النسخة السريانية لإنجيل لوقا أن كليهما كان من بيت داود³. وجاء في كتاب «تاريخ يوسف النجار» أنها كانت بنت اثنتي عشرة سنة عندما خطبت ليوسف الذي كان أرملًا في التسعين من عمره، وصاحب عائلة كبيرة، أما القصة الكتابية فتفترض أنه كان شابًا مُقبلا على الزواج لأول مرة⁴. وحسب تقليد تسليم مريم ليوسف، فقد جاء في إنجيل يعقوب الأبوكريفي (8-9) أن مريم لما بلغت الثانية عشرة من عمرها، لم يعد من الممكن أن تبقى بعد في الهيكل، فعمد الكهنة إلى دعوة أرامل القرية من الرجال، وألقوا قرعة في الهيكل على أسمائهم بحيث يتم انتخاب أحدهم لأخذ مريم إلى بيته فوقعت القرعة على يوسف، على حسب العلامة التي أعطاه الملاك بهذا الخصوص لرئيس الكهنة⁵. وأثناء فترة الخطبة ظهر الملاك جبرائيل حاملا معه بشارة الحبل (لوقا 1: 28-35) وبعد أن وجدت مريم نفسها حبلى بواسطة الروح القدس وعلم يوسف بذلك، لم يشأ أن يشهر بها وأراد تخليتها سرا دون أن يعرضها للعار، ليمثل له الملاك في الحلم (متى 1: 18-20) ويقرر أخذها إلى بيت لحم بالقرب من أورشليم حيث كان يتم إحصاء الأهالي من قبل الرومان، لتضطر مريم إلى وضع مولودها في مذود بسبب امتلاء الفنادق بالوافدين⁶.

وبالإجمال، قد تبدو حياة السيدة مريم بعد واقعة الحبل عادية إلى حد ما، خصوصا بعد تخليها عن العيش بالقرية التي ترعرعت فيها متجهة رفقة يوسف النجار للإقامة بمصر، كنوع من التضحية من أجل ابنها، إلا أنها وبعد حادثة الصلب، ستتخذ أبعادا أخرى يتقاطع فيها التقديس بالاتهام.

2- السيدة مريم في الكتابات الكلاسيكية الأولى والمصادر اليهودية القديمة.

قبل التطرق إلى ذكر السيدة مريم وابنها في "العهد الجديد"، وجبت الإشارة إلى الظروف التي صاحبت حضورهما في الحياة الدينية اليهودية، فمما لا شك فيه أن ظهور المسيح كصوت جديد ينادي بالنبوة حاملا معه رسالة سماوية وسط بيئة بسيادة رومانية وثنية، سيجعله محاربا ولو كان يحمل رسالة حقة. وقد وضحت معالم الموقف العدائي ضد المسيح وأمه في أغلب الكتابات الكلاسيكية والمصادر اليهودية القديمة، حيث لقب المؤرخ سوتينيوس Suetonius المسيح باسم كريستوس المحرض Chresto impulsor متهما إياه بتزعم فئة من اليهود الفقراء المهمشين، وبكونه قائدا للشغب ومثيرا للمشاكل، إلا أن هناك من اعتبر سوتينيوس يتحدث عن شخص آخر

² أوغسطين، دوبرة لاتور: خلاصة اللاهوت المريمي traité de mariologie، ترجمة الأب يوسف قوشاقي، بيروت، دار المشرق، (2002). (ص/58).

³ وليم، وهبة بيباوي: دائرة المعارف الكتابية، القاهرة. دار الثقافة، (د.ت). (ص/125).

⁴ Sylvie ; barnay : les mille visages de la vierge marie, l'histoire 12 (n°282)/ 2003, cairn. Paris. (page/ 58).

⁵ سلوان، الأرشمندريت سلوان: سر التجسد. بيروت، تعاونية الأرثوذكسية للنشر والتوزيع، 2006. (ص/25).

⁶ وليم، وهبة بيباوي: دائرة المعارف الكتابية، مرجع سابق. المجلد الخامس (ص/126).

وليس المسيح *Christus*، باعتبار أن مصدر معلوماته غير معروف. وكان سيلسوس ⁷ *Celse* ضد الأصل اليهودي للمسيحية متهما المسيح بتلفيق قصة ولادته من عذراء، وأنه قادم من قرية يهودية ومن امرأة ريفية كانت تكسب عيشها بالغزل، وأن زوجها الذي كان يحترف النجارة طردها عندما أدينت بالزنا، وبينما كانت تجول بخزي، ولدت ابنها سرا، والذي عمل في كبره أجيرا في مصر لأنه كان فقيرا، وهناك تعلم بعض الحيل السحرية التي اشتهر بها المصريون ليعود معطيا لنفسه لقب إله⁸. وكان من ضمن تساؤلات سيلسوس: «هل والدة يسوع جميلة؟ وهل أقام الله علاقة معها لأنها جميلة، على الرغم من أنه لا يستطيع أن يحب جسدا فانيا بطبيعته؟» «ليستدرك أنها «لم تكن غنية ولا من أصل ملكي ولا حتى معروفة عند جيرانها». ثم يعلل بكون هذه الأشياء ليس لها علاقة بمملكة الله⁹. أما كورنيليوس تاسيتوس¹⁰ *Cornelius Tacitus* فيرى أن المسيح غير موجود بالصيغة العقديّة التي يراه بها المنتمون إليه، بل هو أسطورة تاريخية مسيحية لا غير، في حين أن عيسى كان شخصا عاديا أعدم لأنه مجرم.

وتعد تهمة «غير الشرعية» أقدم العبارات المؤرخة من التهم اليهودية حول ولادة يسوع نتيجة زنا، وأن والده الحقيقي كان جنديا رومانيا يدعى بانثيرا *Pantera* وكان هذا الاسم شائعا بين الجنود الرومان في تلك الفترة، لكن معظم المحللين يعتقدون أن بعض اليهود استخدموا هذا الاسم بسبب تشابهه مع الأصل اليوناني لكلمة «عذراء» في هذه الحالة، سيعني هذا أن الأمر مجرد رد فعل يهودي لعقيدة الحبل بلا دنس المسيحية، والتي لم تصبح موضوعا مسيحيا رئيسيا حتى قرابة نهاية القرن الأول الميلادي. ويؤكد سيلسوس أنه استنتج أحكامه من خلال الكتابات المسيحية الإنجيلية وغيرها، ومع تواصله الشخصي مع المسيحيين، إلا أن أوريجين *Origène* يشكك بهذا ويرى أنه مجرد توظيف للأدبيات اليهودية ومعلومات متفرقة، ويمكن القول إن استنتاجات سيلسوس حول يسوع والمسيحية كان هجوما فلسفيا وليس تاريخيا¹¹. وقد تنوعت مواقف العلماء حول حضور أو غياب شخصية المسيح ضمن مخطوطات قمران، حيث وضع البعض فرضية كون يسوع قد أمضى بعضا من سنوات حياته المبكرة بين الأسينيين وتأثر بهم، وذلك من خلال ما وجدوه في سفر حبقوق، في حين رأى البعض الآخر أن قصة يسوع كانت مفبركة بالكامل من خلال تفسير سفر ناحوم¹². كما اعتقدت جماعات المتهودين والأبيونيين بولادة المسيح من علاقة طبيعية بين مريم ورجل عرفته، سواء كان يوسف النجار، أو غيره؛ وربما كان من مبرراتهم لذلك أنه لم يكن يوجد عندهم نص صحيح، أو أصل يوثق به على أن المسيح أشار إلى أنه ولد من عذراء، أو ربما لكون القول الذي كان ظاهرا آنذاك، وشائعا ومعترفا به من الناس، أنه كان ابنها من يوسف النجار من

⁷ سيلسوس *Celse*: مفكر وفيلسوف من أتباع الأفلاطونية المحدثة. له عدة مؤلفات في محاربة المسيحية

⁸ فان، روبيرت فورست: يسوع المسيح خارج العهد الجديد، مدخل إلى الأدلة القديمة، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، 2012. (ص/78) بتصريف بيسير.

⁹ المرجع نفسه. (ص/79).

¹⁰ كورنيليوس تاسيتوس *Cornelius Tacitus*: أعظم مؤرخ روماني، ربما عاش بين 56 و120م تناول عمله في التاريخ ما بين السنوات 69 إلى 96م وهي فترة حكم الإباطرة، ويتألف عمله من اثني عشر كتابا بقي منها أربعة كتب باسم "الحواليات". انظر فان، روبيرت فورست: يسوع المسيح خارج العهد الجديد، مدخل إلى الأدلة القديمة، مرجع سابق. (ص/55-66) بتصريف

¹¹ نفسه ص: 81-82 بتصريف

¹² نفسه ص: 12 بتصريف

علاقة غير شرعية، بمعنى أنها كانت خطيئته ولم تكن بعد زوجة رسمية له؛ وقد ظل ذلك بلا جحد أو إنكار حتى عام 80م الذي كان بداية التفكير والهمس بفكرة الولادة من عذراء، الأمر الذي تأخر كثيرا، وكان جديرا بإثارة شكوك المتهودين؛ أو ربما أن السبب في ذلك هو إقرار القول بولادة المسيح من عذراء كعقيدة أساسية من عقائد الكنيسة لم يتم قبل 150م، وأن أصول الأناجيل الحالية كانت نتيجة لذلك خالية جميعها من قصة الولادة من عذراء التي نراها في إنجيلي متى ولوقا، وهذا يعني أن هذه العقيدة استوجبت بعض الوقت حتى تتمكن الكنيسة من تهيئة وجدان الشعب لتقبل هذا السر الفائق. أو ربما لاقتزان القول بالولادة من عذراء بظهور القائلين بتأليهه وأمه فيما بعد¹³. ومع ذلك فإن فريقا منهم وهم الناصريون (إحدى جماعات الأبيونيين) أقرروا بولادته من عذراء، لكنهم أصروا بحزم على رفض الادعاء له بالألوهية رغم ما بذله أصحاب تلك العقيدة لإقناعهم بها. وعليه، فربما كان إنكار الموحدين لعذراوية مريم، أو بمعنى أدق لولادة المسيح من عذراء، لتأخر القول به، وافتقاد الخبر الصحيح، والحفاظ على نقاء التوحيد.

وفي الأعراف الحاخامية اتهم يسوع¹⁴ بالمعلم الهرطقي، حيث كانت الإشارة إليه بالاسم قليلة وغالبا ما كان يذكر باسم «شخص ما» أو «بن ستادا» أي ابن الخائنة أو «الساحر الشرير» أو «بن بانتييرا» وقد بين نص التلمود البابلي أن اليهود القدماء متورطون في موت يسوع، كما وصفوا أمه مريم باسم «ستادا» وأنها مصففة شعر نساء خائنة لزوجها «بابوس بن يهوذا». كما قدم نص التلمود البابلي¹⁵ (سنهدين 67 أ) اضطرابا في هوية «ستادا» هل هو زوج ماري (أو مريم) الأب أم مريم نفسها، ليتم اعتماد الاختيار الثاني وتوضيح أن «بانتييرا» أو «بانديرا» هو عشيق مريم خارج إطار الزوجية¹⁶.

استنتاجات

مما لا شك فيه أن ولادة السيدة للمسيح بمعجزة إلهية قد أثار نقاشات عديدة لما له من خرق لنواميس البشر ونواميس الطبيعة البشرية، وكخلاصة تحليلية لما سبق يمكن إيراد مختلف النقاط السالفة وغيرها في الجدول التوضيحي التالي:

¹³ حسن، يوسف الأطير: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية، مكتبة الناظفة القاهرة. 2004. ص: 185. بتصرف يسير

¹⁴ الصيغة العربية للاسم العبري يشوع، ومعناه الرب يخلص أو الرب خلاصي. وقد ورد باسم عيسى في الإسلام.

¹⁵ لفظ عبري معناه الدراسة. وهو مؤلف واسع من الأدب الديني اليهودي. يشمل حقبة تاريخية تنطلق من القرن 3 ق.م وتنتهي أواخر القرن 5م لتعريف الشريعة الشفهية التي تأتي مكملة لتعاليم الشريعة المدونة أو التوراة. ويتألف قسمين: المشنة: 777777 ومعناها التشبية أو التريديد. وهي توضيح للشريعة الشفهية وضعه الربانة تحت إشراف الحاخام يهوذا بهناسي بعد التمهيص الدقيق في مختلف الأعراف. وتنقسم المشنة إلى ستة أقسام: يتعلق القسم الأول بأمر الزراعة 777777 والقسم الثاني بالأعياد 777777 والقسم الثالث بالنساء 777777 والقسم الرابع بالأضرار 777777 والقسم الخامس بالأمور المقدسة 777777 والقسم السادس بالتطهيرات 777777. والجمارة: هي مجموعة توضيحات وتعليقات على المشنة. انظر هنري، س عبودي: معجم الحضارات السامية، جروس برس، 1991، بيروت. ص: 281

¹⁶ Epstein, Rabbi I: Contents Of The Soncino Babylian Talmud (1935–1948). London Page: 75–76.

المسيحية	اليهودية	
ماري-ماريا-مادونا mary-maria-madone- marie	מריאם مريم	الاسم
آل داود	אל-דאוד آل داود	النسب
يوكايم-يوقيم	יאהוקים يهوياقيم	الأب
حنة	חנה حنة	الأم
الناصرة (الجليل)	الناصرة (الجليل)	مكان الولادة
يوسف (عند الكاثوليك والأرثوذكس)	באבוס בן יהודה بابوس بن يهوذا (يوسف النجار)	الكفيل
يوسف (عند البروتستانت)	באבוס בן יהודה بابوس بن يهوذا	الزوج
عند الكاثوليك والأرثوذكس: يسوع المسيح عند البروتستانت: يسوع المسيح-جيمس-يهوذا- يوسي-سمعان-يعقوب-أختان (ربما سالومي ومريم)	לאמנואל عمانوئيل	الأبناء
جبريل	لا ذكر له	حامل البشارة
روح القدس	علاقة غير شرعية	طبيعة الحمل
ابن الله (عند الكاثوليك والأرثوذكس) ابن يوسف النجار (عند البروتستانت)	بن ستادا بن بانتيرا/ بانديرا ابن غير شرعي ليوسف	نسب المسيح
بيت لحم في مذود	لا ذكر له	مكان الولادة
تضارب الأقوال في الأناجيل	اتهام بالزنا	رد فعل قوم مريم
دوام البتولية أي قبل وبعد الولادة (عند الكاثوليك والأرثوذكس) عذراء قبل ولادة المسيح (عند البروتستانت)	عذراء قبل ولادة المسيح	البتولية

ثانياً: أسس اللاهوت المريمي.

يبتدئ الثناء على مريم في الأناجيل من البشارة بالمولود، وقد أضربت الكنيسة تماماً عن أي تناول تاريخي يستهدف التعريف بصورتها، واكتفت بتمجيدها وتعظيمها؛ حيث سميت «ملكة السماء»، ولقبت في العصور الوسطى «سيدتنا»، وأطلق عليها اسم «مادونا» في العصر الحديث، ثم «الطاهرة» في العصر الحالي، وهي صفات أضفت عليها نوعاً من الخلود وأسهمت في ظهور العديد من العقائد أطلق عليها اللاهوت المريمي.

1- عقيدة الحبل بلا دنس:

يعتقد النصارى بجميع طوائفهم أن الخطيئة الأصلية تتوارثها الأجيال منذ بدء الخليقة متسلسلة إلى جميع أفراد الجنس البشري، ولا يستثنى منها أحد إلا المسيح المنزه عن الخطيئة على الإطلاق، ويضيف الكاثوليك أن مريم أيضاً قد وجدت منزهة عن الخطيئة. وترى هذه العقيدة أنها دخلت إلى العالم وهي «ممتلئة بالنعمة» وذلك منذ لحظة الحبل بها من أبويها، وهذه النعمة الخاصة قد أعطيت لها بصفة فريدة واستثنائية، نظراً لاستحقاقات ابنها المسيح الفادي، فلكي يتجسد ويصير إنساناً كاملاً كان لابد له من طبيعة إنسانية كاملة غير ملوثة بالخطيئة لذلك وجب أن تكون الأم التي سيأخذ منها طبيعته البشرية طاهرة وبريئة من كل دنس وخطيئة. ويلاحظ أن العبارة «حبل بلا دنس» قد تدعو إلى الالتباس والخلط بين الحبل بلا دنس والحمل البتولي، فالعبارة الأولى تعني أن والدي مريم حبلاً بها من غير الخطيئة الأصلية، في حين أن العبارة الأخرى تعني أن مريم حملت من غير أن تعرف رجلاً، بالمعنى الكتابي للكلمة طبقاً لما جاء في إنجيل لوقا (1: 34). وتتناول العبارة الأولى قداسة مريم منذ دخولها ووجودها في هذا العالم، في حين أن العبارة الأخرى تتناول الحبل بيسوع لدى بشارته الملاك لمريم. والمقصود أن مريم استثنيت من حالة الجنس البشري الخاطئة، وأنها لم تشارك في أي لحظة كانت في تاريخ الخطيئة، حيث لم يكن للسيدة مريم نصيب في هذه الحالة الشاملة لجميع البشر¹⁷.

وقد اعتمد القائلون بهذه العقيدة على براهين من العهد القديم منها ما جاء في سفر التكوين (3: 15) «وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا» والمقصود هنا -حسب الآباء- الشيطان ومريم التي لم يمسهما الفساد الأصلي الذي كان قد عم الطبيعة، أي لم يمسهما دنس الخطيئة الأصلية. أما نصوص العهد الجديد فتشهد -حسب الكنيسة الكاثوليكية- بطريقة أوضح لهذه العقيدة، حيث جاء في قول جبرائيل لها: «لَا تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لِأَنَّكَ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللَّهِ» (لوقا 1: 30) أي إن بشارته مريم بالفرح جاءت تكليلاً لكافة البشارات التي وردت في العهد القديم. ويصر هذا التعليم على أن مريم قد وُلدت من دون «ذنب أصيل» وقد سمح لها هذا بأن تلد يسوع في وضع خاص من النقاء الأخلاقي¹⁸. خلافاً لما يعتقد الكاثوليك، لا يؤمن الأرثوذكس والبروتستانت بعقيدة الحبل بلا دنس، كما أنهم ينفون صحة عقيدة الكنيسة الكاثوليكية القائلة إن مريم شريكة في عمل الفداء، ويرفضون قولهم بعصمة العذراء الكاملة عن الخطأ، ويرون كل ذلك عقائد تمت إضافتها -بلا إجماع- إلى قانون الإيمان المسيحي.

2- البتولية الدائمة.

يعتبر الآباء أن بتولية العذراء هي معطى موضوعي في العهد الجديد لا يقبل أي شك، إلا أن كلمة بتول في العهد القديم كانت تحمل -غالبا- معنى الاحتقار وهو ما وضحته قصة ابنة يفتاح التي كانت تبكي بتوليتها قبل أن تعرف شرف الزواج والأمومة (قضاة 11: 38)، كما حمل لقب بتول معنى العار حسب سفري يوثيل (1: 8) وعاموس (5: 2). وعند اقتراب العهد المسيحي، اتخذ مفهوم البتولية معنى صوفياً، وأصبحت بتولية مريم علامة اكتفائها بحب الله الكامل¹⁹. ويؤكد تقليد الكنيسة العريق بتولية مريم الدائمة، وكونها حملت حملاً بتولياً من الروح

¹⁷ أوغسطين، وبرة لاتور: خلاصة اللاهوت المريمي *traité de mariologie*، مرجع سابق. ص: 82-85 بتصرف

¹⁸ Hubert du manoir : Maria, études sur la sainte vierge. Beauchesne et ses fils 1961 paris. P 680

¹⁹ ماكس، توريان: مريم أم الرب ورمز الكنيسة، ترجمة خليل رستم. بيروت، دار المشرق، (2007). (ص/ 35).

القدس (حسب تأكيد إنجيلي متى ولوقا)، وبقائها عذراء بعد الولادة، أي لم تلد أولادا لا بعد ولادتها ليسوع فحسب، بل لم يقم وصال بينها وبين رجل.²⁰

إن عدم استمرارية بتولية العذراء بعد ولادتها للمسيح لا يعد خطيئة أو عارا ولا يقلل من شأنها ومكانتها، كما أن القول بدوام بتوليتها لم يرد في التاريخ إلا بعد ظهور بدع وهرطقات كثيرة؛ إذ ثبت اقتران العذراء بعد ولادة المسيح بالقدوس يوسف وولادتها لأبناء له حسبما جاء في إنجيل متى (1: 24-25) «فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ يُوسُفُ مِنَ النَّوْمِ فَعَلَ كَمَا أَمَرَهُ مَلَاكُ الرَّبِّ وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ. وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ» أي إنه عرفها بعد إنجابها لابنها البكر يسوع المسيح، ومعنى كلمة يَعْرِفُهَا: أي يجامعها جماع الأزواج، ودليل أن كلمة يعرفها تعني النكاح والوطء ما جاء في سفر التكوين (4: 1-2): «وَعَرَفَ ادمُ حَوَاءَ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ قَايِينَ» وقوله: «ابْنَهَا الْبِكْرَ» دليل على أنه الأول بين إخوته حسب ما ورد في إنجيل لوقا (2: 7) وقد أثبتت النصوص الإنجيلية الأخرى وجود إخوة للمسيح (مرقس 6: 3) و(متى 12: 46)، ومع ذلك فإن آباء الكنيسة أكدوا دائما بتولية مريم الدائمة معالجين حياتها الجنسية بواسطة شرحين بديلين: أولهما أن الأخوة لا تعني الأخوة بشكل حرفي، أي إنهم من الأم نفسها، بل هو اصطلاح عام يشير إلى أبناء العمومة أو الخؤولة، وقد أصبح هذا الشرح هو الشرح القياسي في الغرب، وأيدته الكنيسة الكاثوليكية ودافعت عنه. وفي الشرق أثر المتحدثون باللغة الإغريقية من المسيحيين وجهة نظر مختلفة، بأن قالوا كان الإخوة أبناء يوسف، ولكن من زواج سالف، وبذلك لم يمتلكوا قرابة عضوية بيسوع أو بأمه²¹، ويجنح لهذا الفكر بعض المفكرين واللاهوتيين من البروتستانت، غير أن كثيرين منهم لا يجد غضاضة في قبول فكرة أن إخوة المسيح هم إخوته من مريم ويوسف، وأن زواجها لا يقلل بحال من مركزها العظيم²². والغالب أنهم أبناء مريم ويوسف ولدوا فيما بعد، أثناء زواجهما، ويمكن القول بالإعجاز في عذريتها وقت ميلاد المسيح فقط وليس بعده، ودوام العذرية بعد الولادة يعد محالا ويناقض العقل تماما.

3- تلقيب السيدة مريم بوالدة الإله.

تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية بأن تلقيب مريم بوالدة الإله (theotokos) ضرورة لاهوتية تحتمها حقيقة التجسد الإلهي، بما أن المولود منها هو السيد المسيح «الكلمة» الإله المتأنس، بينما ترفض الكنيسة البروتستانتية ذلك وتتكبر عليها هذا اللقب مكتفية بكونها والدة يسوع الإنسان²³. ومما استند إليه من براهين كتابية في هذه العقيدة من العهد القديم ما استنبط من قول أشعيا النبي: «وَلَكِنْ يُعْطِيكُمْ السَّيِّدُ نَفْسَهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّاوُئِيلَ» (أشعيا 7: 14). أما في العهد الجديد فقد استدلت بقول الملك للعذراء مريم: «الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تَطَّلِكُ فَذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ» (لوقا 1: 35). تضاربت الآراء حول تأليه السيدة مريم في المسيحية الأولى، وكان أهمها قول الكاهن كيرلس الإسكندري

²⁰ Yves-M.-J. Congar: Marie Et L'Église Dans La Pensée Patristique. Revue des sciences philosophiques et théologiques. Vol 38. No 1. Paris. Librairie philosophiques 1954. Pp6-8

²¹ أوغسطين، وبرة لاتور: خلاصة اللاهوت المريمي traité de mariologie، مرجع سابق. (ص/ 99).

²² اليباس، مقار: نساء الكتاب المقدس، القاهرة، دار الثقافة، (1986). (ص/ 197).

²³ مينا، ميخائيل: موسوعة علم اللاهوت، القاهرة، مكتبة المحبة (د.ت). (ص/ 424).

في رده على آراء نسطور²⁴ التي تقول إن مريم ليست أم الإله theotokos، وأنها أم المسيح الإنسان christotokos أي إنها ليست سوى وسيلة لتعطي المسيح طبيعة بشرية. فالإله لم يتخذ جسدا بمعنى أنه ولد حقيقة كإنسان، بل إنه اتحد بإنسان كان موجودا قبل الاتحاد²⁵. وقد ترك هذا النزاع أثرا على جموع المسيحيين الذي انتهى بإقرار لاهوت يسوع ومساواته للآب في الجوهر، مما جعل الناس يبحثون عن شخصية وسطى تقربهم إليه، وقد كانت أمه مريم، ليتم التقرب منها والتعبد لها. ويظهر أن كيرلس الإسكندري تولى الرد على مذهب النساطرة بصيغة شابها اللبس، مما أدى إلى نشوء مذاهب وطوائف أخرى تقول بتأليه السيدة مريم؛ ومن أوائل هذه الطوائف نجد الغنوصية الذين نفوا البشرية عن المسيح، فيما أكدوا على طبيعته الإلهية، وزعموا أن عيوب المادة تتنافى مع طهارة الجوهر السماوي، مؤكدين أن المسيح بدلا من أن يولد من رحم السيدة مريم، نزل على ضفاف نهر الأردن في هيئة إنسان كامل، وأدركته الحواس²⁶. في حين قالت المارسيونية بوجود إلهين أحدهما الإله العادل، أو الإله ديميدج أي الخالق، وهو الإله الذي اتخذ من بني إسرائيل شعبا مختارا وأنزل عليهم التوراة، والآخر الإله الخير الذي ظهر متمثلا بالمسيح، وخلص الإنسانية من خطاياها، وقد كان للإله الأول السلطان حتى ظهر الإله الثاني، وأمه أبطلت جميع أعمال الإله الأول وزال سلطانه، ومن الواضح تأثر هذا المذهب بالزرادشتية²⁷. كما ألهمت فرقة إليان المسيح وقررت أنه ابن الله، فذهبت إلى أن مريم لم تحمل به كما تحمل النساء بالأجنة، وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب، لأن الكلمة الابن دخلت من أذنها وخرجت لتوها من حيث يخرج الولد، وأن ما ظهر من شخص المسيح في الأعين إنما هو خيال بالصورة التي تظهر في المرأة فلم يكن المسيح جسما متجسما كثيفا كما في الحقيقة، وهذا العمل انعكس على أمه التي صارت والدة للإله وجب تقديسها²⁸. أما فرقة البربرانية أو المريميين التي ظهرت في القرن الخامس الميلادي وهم وثنيون اعتنقوا المسيحية كانوا يعبدون الزهرة، حاولوا التقريب بين ما كانوا يعبدون وعقيدتهم الجديدة، فاعتبروا مريم ملكة السماء أو إلهة السماء بدلا من الزهرة، وأطلقوا على أنفسهم اسم المريميين²⁹؛ وقد انقرضت هذه الفرقة تاركة آثارا ورواسب كثيرة في معظم الفرق المسيحية تتمثل في عدة معتقدات وطقوس خاصة بالسيدة مريم تعتنتها جميع الفرق المسيحية ما عدا البروتستانت.

من الطبيعي أن نرى فرقا رفضت ألوهية المسيح وأمه مريم وانحازت عن التوحيد، والحقيقة أن الفرق التوحيدية كانت على مبادئ المسيح، ولكن قوة الفرق الأخرى المدعومة من الدولة الرومانية ظلت تحارب فرق التوحيد حتى أبادت معتنقيها ولم يبق منها إلا القليل. فقد اعتبرت الفرقة الأبيونية المسيح هو المنتظر الذي تحدثت

²⁴ أسقف على القسطنطينية 428م وهو القائل بأن للمسيح أقنومين خلافا للعقيدة الرسمية التي ترى في المسيح أقنوما واحدا في طبيعتين لاهوتية وناسوتية، الشيء الذي جعل كيرلس أسقف الإسكندرية يومئذ إلى عقد مجمع أفسس الثالث في العالم 431م، الذي كفر نسطورا، وعزله، ومنع من نشر آراءه. انظر نهاد خياطة: الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، مرجع سابق. ص: 90

²⁵ ماكس توريان: مريم أم الرب ورمز الكنيسة، مرجع سابق. (ص/ 85 - 86).

²⁶ نهاد، خياطة: الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، مرجع سابق. (ص/ 78).

²⁷ حسن، الباش: المسيح عليه السلام بين اللاهوت والناسوت، دمشق، دار القبس (2017). (ص/ 120).

²⁸ المرجع نفسه. (ص/ 121).

²⁹ إبراهيم، عوض: مع الجاحظ في رسالة الرد على النصارى، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق. (د.ت) (ص/ 16).

عنه أسفار التوراة وأُنكرت ألوهيته³⁰، صرح الآريوس أن المسيح ليس إلها ولا ابنا لله وأمه ليست إلهة، مما أثار معارك من الجدل في جسد كل الكنيسة وهزها لأكثر من نصف قرن، ما أدى إلى ظهور العقيدة النيقاوية (أول مجمع مسكوني في نيقية عام 325م) القاضية بتأليه المسيح، والتي صارت دستور الإيمان المسيحي الأرثوذكسي وأول عقيدة يتم فرضها على جميع الكنائس.

يعتقد الأرثوذكس والكاثوليك بأن النصوص تثبت أن مريم تدعى «والدة الإله» لأنها ولدت المسيح الإله المتأنس والمتجسد، ما يعارض ما جاء في إنجيل يوحنا (3: 6) «الْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ» والسيدة مريم جسد والذي يولد منها لابد أن يكون جسدا فقط، إلا أن تأليه المسيح أدى إلى تأليه أمه وعبادتها وهو النتيجة الحتمية لتلقيها «والدة الإله». ومن مظاهر هذا التأليه عند الأرثوذكس، تقديم ممارسات وطقوس العبادة كإيقاد الشموع والقيام بصلوات التسييح والتمجيد والتعظيم والتضرعات والتوسلات والسجود لها، بالإضافة إلى الصوم في الشهر المريمي وتقديم الذور.

4- مريم في الأيقونة

الأيقونة تعريب لكلمة يونانية تعني صورة أو شبه أو مثال، تصنع وفق أساليب محددة، لكي تخدم أغراضا دينية معينة. تحمل في طياتها تعبيرات ورموزا دينية تعبر عن نصوص العهد القديم والجديد³¹. ورد تحريم عبادة غير الله سواء تعلق الأمر بالتماثيل أو الصور في مواضع عدة من التوراة وأسفار الأنبياء الملحقة بها، حيث نجد في سفر الخروج (20:22) «مَنْ دَبَحَ لِإِلَهَةٍ غَيْرِ الرَّبِّ وَحَدَهُ يَهْلِكُ» وجاء في سفر اللاويين (19: 4) «لا تَلْتَقِثُوا إِلَى الْأَوْثَانِ وَإِلَهَةِ مَسْبُوكَةٍ لا تَصْنَعُوا لِأَنْفُسِكُمْ أَنَا الرَّبُّ الْهَكْمُ». وعلى هذا النظام سارت الديانة المسيحية، على مدى ثلاثة قرون، لكن الجيل الرابع من المسيحيين بدأ يستعمل الصور في بعض الكنائس، ليطم بعد ذلك أخذ هياكل الأصنام الوثنية كما هي وجعلها في الكنائس المسيحية مع تغيير أسمائها من أسماء وثنية إلى أخرى مسيحية، فالتماثيل الذي كان على اسم زيوس صار على اسم بطرس، والذي كان على اسم هرمس صار على اسم بولس، والذي كان على اسم الزهرة صار على اسم مريم العذراء³².

أول أيقونة للسيدة مريم رسمها لوقا الإنجيلي اليوناني الأصل³³، والمعروف أن لوقا هو الوحيد بين الإنجيليين الأربعة الذي أعطى التفاصيل الدقيقة عن حادثة البشارة وسلط الأضواء على شخصيتها. ويمكن القول بأن الكنائس حاليا قد انقسمت إلى قسمين بالنسبة للموقف من الأيقونات والتماثيل، فالكنائس التي تنادي برفض هذه العقيدة هي الكنائس الإنجيلية وفي مقدمتها الكنيسة البروتستانتية، في حين ترى الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية جواز هذه العبادة.

³⁰ حسن، الباش: المسيح عليه السلام بين اللاهوت والناسوت، مرجع سابق. (ص/121).

³¹ أنطون، هبي الأرشمندريت: الصور المقدسة والأيقونات. المكتبة البولسية، بيروت 1989. (ص/20).

³² محمد، أحمد محمد عبد القادر ملكاوي: تأليه مريم ابنة عمران والعبادات المقدمة لها عند النصارى. الرياض، مركز البحوث التربوية جامعة الملك سعود. 1996 (ص/5).

³³ إيما، غريب خوري: الأيقونة شرح وتأمّل، بيروت، منشورات النور (2000). (ص/8).

خاتمة

رام هذا المقال بحث الأسس التي يقوم عليها اللاهوت المريمي الذي أضفى نوعاً من الشرعية والقداسة على أم المسيح، ومن خلال ما تقدم من الشواهد، والكتابات الإنجيلية، وثقافات العصور السابقة، نجد أن هذا الضرب من الدراسات المنصبة في الكتب المقدسة تحمل في طياتها مجموعة من المجازفات الشائكة والملابسات الحساسة التي تصب في الفكر اللاهوتي بشكل عام، فيصعب معالجتها والإحاطة بها لارتباطها بكل ما هو عقدي ثيولوجي، كما نجد أن شخصية السيدة مريم ليست فقط نتيجة ما نقل عنها من العهد الجديد، بل هي كذلك مجموعة من التراكمات الأسطورية التي أسهمت لا محالة في تكوين صورتها ورمزيتها التاريخية، والتي رسمت معالم العقيدة المريمية وكرست لكل ما هو ليتورجي³⁴ ولاهوتي بشأنها، ما جعلت منها شخصية خيالية وأسطورية أكثر من كونها نبية أو قديسة؛ وتبقى القضايا والمسائل المسيحانية التي أثرت آنفاً، بالإضافة إلى تصريحات وتلميحات العهد القديم والكتابات الكلاسيكية اليهودية القديمة، هي المحرك الأساس الذي ميز هذه الشخصية وجعلها بلا منازع أهم نساء الكتاب المقدس.

لائحة المصادر والمراجع

- الكتاب المقدس، ترجمة سيمث وفان دايك. دار الكتاب المقدس. القاهرة. (2010)
- إبراهيم، عوض: مع الجاحظ في رسالة الرد على النصارى، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق. (د.ت)
- الباش، حسن: المسيح عليه السلام بين اللاهوت والناسوت، دمشق، دار القيس (2017).
- بيباوي، وليم وهبة: دائرة المعارف الكتابية، القاهرة. دار الثقافة، (د.ت).
- توريان، ماكس: مريم أم الرب ورمز الكنيسة، ترجمة خليل رستم. بيروت، دار المشرق، (2007).
- حموي، صبحي: معجم الإيمان المسيحي، دار المشرق، بيروت 1994
- خوري، إيما غريب: الأيقونة شرح وتأمل، بيروت، منشورات النور (2000).
- خياطة، نهاد: الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دمشق، دار الأوائل (2010).
- سلوان، الأرشمندريت سلوان: سر التجسد. بيروت، تعاونية الأرثوذكسية للنشر والتوزيع (2006).
- عبودي، هنري: معجم الحضارات السامية، بيروت. جروس بريس (1991).
- فورست، روبيرت أي فان: يسوع خارج العهد الجديد مدخل إلى الدليل القديم ترجمة وسيم حسن عبده. دمشق، صفحات للدراسة والنشر (2012).
- مقار، إلياس: نساء الكتاب المقدس، القاهرة، دار الثقافة، (1986).
- ملكاوي، محمد أحمد محمد عبد القادر: تأليه مريم ابنة عمران والعبادات المقدمة لها عند النصارى. الرياض، مركز البحوث التربوية جامعة الملك سعود. (1996).
- مينا، ميخائيل: موسوعة علم اللاهوت، القاهرة، مكتبة المحبة (د.ت).

³⁴كلمة يونانية معناها الخدمة العامة والرسمية، استعملها البيزنطيون للدلالة على الذبيحة الإلهية، واستعملها المسيحيون للدلالة على القيام بالعمل الكهنوتي بمجملة. انظر لفظ liturgy، صبحي حموي: معجم الإيمان المسيحي، دار المشرق، بيروت 1994. ص 421

- هبي، الأرشمندريت أنطون: الصور المقدسة والأيقونات. المكتبة البولسية، بيروت (1989)
- وبرة لاتور، أوغسطين: خلاصة اللاهوت المريمي *traité de mariologie* ، ترجمة الأب يوسف قوشاقجي، بيروت، دار المشرق، (2002).
- Barnay, Sylvie : Les mille visages de la Vierge Marie, L'Histoire 12 (n°282)/ Cairn. Paris 2003.
- Congar, Yves-M.-J : Marie Et L'église Dans La Pensée Patristique. revue des sciences philosophiques et théologiques. Vol 38. No 1. Paris. Librairie philosophiques 1954.
- EPSTEIN, RABBI DR I: Contents of the Soncinobabylia Talmud .London. (1935-1948)
- Manoir, Hubert du : Maria, études sur la sainte vierge. paris. Beauchesne et ses fils 1961

عنوان البحث

أبو البقاء هبة الله الحلبي ناقداً

أ.د. نزار شكور شاكر¹

¹ جامعة السليمانية – كلية التربية الأساسية

بريد الكتروني: Nzar.shaker@univsul.edu.iq

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21122>

تاريخ القبول: 2021/10/12م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

تسعى الدراسة الحالية إلى التعرف على أبرز المعطيات النقدية ذات الإسهام الفاعل في تأشير سمة الحلبي النقدية ضمن كتاب المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسيديّة، والتي تمثّلت في مظهرين متوازيين لايتنافيان في تقديم أبرز ملامح المشهد النقدي الذي أسهم في بعض جوانبه في الكشف عن الشخصية النقدية، ولهذا الغرض تمّ تقسيم البحث على ثلاثة محاور رئيسة ضمّت أبرز القضايا النقدية التي تطرّق إليها الحلبي في مؤلّفه المذكور والكفيلة بتوظيفاتها ودلالاتها إلى الوصول إلى ذكر أبرز النتائج التي خرج بها هذا البحث .

الكلمات المفتاحية: أبو البقاء الحلبي، النقد، الشعر.

RESEARCH ARTICLE

ABU AL-BAQA'A HIBATULLAH AL-HILLI AS A CRITIC

Prof. Dr. Nizar Shakour Shaker¹

¹ College of Basic Education - University of Sulaimani
Email: nzar.shaker@univsul.edu.iq

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21122>

Published at 01/11/2021

Accepted at 12/10/2021

Abstract

The current study attempts to identify the most prominent critic data that has an active contribution to give the feature of critic within the book “Al-Manaqib Al-Zazidiyah in the news of the Asadi Kings”, which was represented in two parallel and incompatible aspects in presenting the most prominent features of the critical scene, which in some aspects contributed to the disclosure of the critical personality. For this purpose, the research was divided into three main sections, which included the most prominent critical issues that Al-Hilli touched upon in his aforementioned author, which guarantee their employment and implications to reach a mention of the most prominent results that came out of this research.

Key Words: Abu Al-Baqa'a Al-Hilli, Criticism, Poetry.

المقدمة : في الموروث العربي الخالد مصنّفات جمّة في حقول معرفية تبقى مناراً يشع على الإنسانية بمعطياتها الثرة ، ويعدّ كتاب المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأُسدية لمؤلفه أبي البقاء هبة الله الحلبي أحد هذه المصنّفات التي نسعى في هذا البحث إلى تسليط الضوء على مؤلّفه بوصفه ناقدًا للشعر العربي في ضوء مصنفه المذكور ، ولاسيّما ونحن نشهد بعد عملية الاستقراء توظيف طائفة محمودة من النصوص الشعرية الكفيلة للقيام بمحاولة بيان الفرضية البحثية التي يعمل هذا البحث على الوصول ضمن خطوات إلى ذكر أبرز النتائج ضمن هذا الموضوع النقدي ، ولذلك فقد تمّ رصد أبرز القضايا النقدية الواردة في الكتاب ضمن محاور ثلاثة ، وتم ذكر أبرز النتائج ، مع أهم التوصيات التي خرجنا بها من سياق هذا البحث الذي استند على مجموعة من المصادر والمراجع . والله من وراء القصد وهو الهادي إلى السبيل.

مشكلة الدراسة : تكمن مشكلة الدراسة الحالية في رصد الجانب النقدي - الأدبي الوارد في سياق تأليف كتاب المناقب المزيدية في أخبار الدولة الأُسدية على مستوى التبلور المعرفي النقدي ومعطياته على أرض الواقع ، وتلمس أثرها في ظهور بعض ملامح الناقد الأدبي في سياق توجهات الحلبي في إطار التعامل النقدي مع النصوص الشعرية في مؤلّفه .

منهاج الدراسة : المنهاج الوصفي .

أهمية الدراسة : تأتي أهمية الدراسة من أنها تسعى إلى دراسة أبرز المحاور النقدية الواردة في الكتاب المذكور آنفًا ضمن فقرات بحثية متسلسلة من أجل بيان جهود الحلبي النقدية ، وذلك للوصول إلى الإجابة عن السؤال الآتي : هل كان ذلك كفيلاً باطلاق سمة الناقد على الحلبي ؟ وهذا ما يسهم في الكشف عن الجانب النقدي في شخصية الحلبي .

هدف الدراسة : الوقوف الموضوعي على جملة من المعطيات النقدية والعلاقة القائمة بينهما التي تؤشر من جانبها ملامح الحلبي ناقدًا.

الدراسة : من أجل الوقوف على المطب الرئيس من هذا البحث سنقوم برصد أبرز القضايا النقدية الواردة في الكتاب على النحو الآتي :

1- المعنى واللفظ : في ضوء توافر إشارات إلى شرح بعض المعاني الشعرية التي طرقتها الشعراء في سياق تأليف الكتاب ذات الاعتماد على البعد المرجعي¹ نلحظ الإشارة إلى بيان المعنى في الشعر الذاتي ، مع الاحتراز من الوقوع في المحذور على مستوى المعنى القائم في قول المؤلّف ذاته من قصيدة مدح :

يَرم الحَفل حين يقول عنه وقد خفقت لهيبته القلوب
 كما زار الهزبر فلاذّ منه ثعالبُ كلِّ صَوَلتْها الضغيب
 فليسوا بادئِي قَوْل ولولا تهلّله لهابوا أن يُجيبوا

أعني بما له من المهابة في القلوب عن تكلف ما بعد من العيوب))² .

¹ ينظر: الحلبي ، أبو البقاء هبة الله ، كتاب المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأُسدية ، تحقيق : د. صالح موسى درادكة د. محمد عبد القادر خريسات ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة ، 2000 ، 2 : 416 .

² الحلبي 2 : 478-479 . الضغيب صوت الثعلب . الأستاذان المحققان .

ولعلَّ المظهر الأبرز في هذا المطلب البحثي رصد أمر المقاربة في المعنى بين الشعراء ، المؤلف ضمن سياق المصنَّفات ، وتتبع ذلك المعنى الشعري المُستحسن ذوقياً كما ورد في مفردات (غرض الفخر) قديماً القابل للذكر من لدن المؤلف ضمن سياق الانشغال بالإعداد لـ (غرض المديح الرسمي) بوصفه مُقترحاً عملياً أخذ حيزه من التطبيق النصي المعاصر ، بعد التأثر بدوافعه الذوقية - الجمالية ، إذ ((قال المرار بن سعيد الأسيدي ثم الفقعسي يفتخر :

مَنْ كَانَ يَرْقَا عَلَى خَلَجٍ يُعَابُ بِهِ فَاَنْنِي نَاطِقٌ بِالْحَقِّ مَفْتَخِرٌ

... الأبيات . وقال ردي بن منظور بن سُحيم الأسيدي ثم الفقعسي أيضاً يفتخر بمثل هذا المعنى : ... الأبيات . وقال الأفيشر الأسيدي الشاعر : ... الأبيات . وقال المرار بن سعيد أيضاً في مثله : ... الأبيات وكنت أنا قد نظمت قصيدة في مديح ملك العرب سيف الدولة- أعزَّ الله نصره- فلما مرَّ بي هذا المعنى الذي ذكره المرار في المنابر استحسنته فأحببت ذكره فيها فقلت : ... الأبيات))³ .

من جهة أخرى قد يقترن شرح المعنى الشعري للشاعر القديم بتسليط الضوء على بعض التقانات الأسلوبية من نحو توظيف أسلوب الحقيقة والمجاز في الاسم المذكور فيه وبيان أثرها في الكشف عن المقاربة الواقعة في المعنى عند النص العباسي اللاحق ، إذ ((قال الميدان بن صخر الأسيدي :

إِنِّي أَنَا الْمَيْدَانُ عِنْدَ الضَّمِّ لَا كَاتِمٌ لِاسْمِي وَلَا مَعْمِي
فِي الْأَنْفِ مِنْ خَزِيمَةِ الْأَشْمِ أَخِي قَرِيْشٌ وَتَمِيمٌ عَمِي

وإنَّما أراد بقوله : إنني أنا الميدان ، قياساً بالميدان الذي تجري فيه الخيل فأراد إنني إذا نوسبت كشف نسبي سقم الأنساب إذا ضمنت إليه وقيست به كما تكشف جياذ عتاق الخيل ، وجياذها المقرن منها إذا ضم إليها وأجري في الميدان معها فجعل اسمه في ذلك حقيقة ومجازاً ، وقال أبو تمام -رحمه الله- في هذا المعنى :

نَسَبٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نَوْرًا وَمَنْ فَلَقَ الصَّبَاحَ عَمُودًا
عُرْيَانٌ لَا يَكْبُو دَلِيلٌ مِنْ عَمِّي فِيهِ وَلَا يَبْغِي عَلَيْهِ شُهُودًا
نَسَبٌ عَلَى أُولَى الزَّمَانِ وَإِنَّمَا خَلَقَ الْمُنَاسِبَ مَا يَكُونُ جَدِيدًا))⁴

ومن الجدير بالذكر أنه تمَّ تأشير توظيف الأخذ من القول العربي المأثور الوارد في بابه الدلالي على مستوى النص ((قال عمرو بن حوط بن سلمى بن هزيمي بن رياح اليزبوعي :

لَعَمْرُ أَبِيكَ وَالْأَنْبِيَاءِ تُنْمِي لَنَعْمِ الْحَيِّ فِي الْجُلَى رِيَاخُ
أَبَوِ دِينَ الْمَلُوكِ فَهَمْ لِقَاخُ إِذَا هِجُوا إِلَى حَرْبٍ أَشَاخُوا

وهو مأخوذ من قولهم : لقت الحرب بين القوم))⁵ .

³ الحلبي 1: 362-363 . والبيت في الفقعسي ، المرار بن سعيد ، حياته وماتتقى من شعره ، صنعة : د. نوري حمودي القيسي ، مجلة المورد العراقية ، العدد 2 ، السنة 1973 ، 163 . وجاء الصدر برواية : من كان يرقى على ظلع يدارئه .

⁴ الحلبي 1: 366 . والأبيات في أبي تمام ، الديوان ، 1م ، شرح الخطيب التبريزي ، تح : محمد عبده عزام ، دار المعارف القاهرة ، ط5 ، د. ت ، 413 . البيت الثالث : الصدر: شرف ... العجز: أن يكون .

⁵ الحلبي 2: 369 . ولقت الحرب أو العداوة : هاجت بعد سُكون . معجم المعاني الجامع almaany.com . (انترنيت) .

وتمَّ النَّطْرُق في جانب من جوانب قضية المعنى إلى بعض المجاوبات الشعرية القديمة والحديثة الناجمة عن المعنى في النص الشعري القديم المشهور في بابهِ العامل المحفِّز على توليد هذا العنصر التابع للمعنى وعلى الضد / النقيض منه في الآن ذاته في معرض الرد على المقابل ولاسيما في غرض الفخر القبلي القائم على التضاد بين الشعراء في الذود عن قبائلهم والفخر على من سواهم ، إذ ((روي أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَصَحْبِهِ وَآلِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ كَانَ إِذَا أَنْشَدَ قَوْلَ الْأَفْوَهِ الْأَوْدِيِّ :

يَابْنِي هَاجَرَ سَاءَتْ خُطَّةٌ أَنْ تَنَالُوا النُّصْفَ مِنَّا أَوْ تَجَارُوا

" لعن الأفوه " وهذا البيت من قصيدة الأفوه المشهورة التي يفخر بها على نزار، وقد أُجيب عنها قديماً وحديثاً فمن أجابه عنها في عصره الفند الشكري ، واسمه شهل بقصيدة يفخر بها عليه ويرد قوله منها في ذكر هاجر رضي الله عنها :

نَحْنُ أَبْنَاءُ مَعَدِّ ذِي الْعَلَى وَكُنَّا مِنْ هَاجَرَ فخر كباؤ

... (الأبيات) .⁶

ونقل الحلبي ما يشير إلى المعنى الوارد في بعض نصوص الشعر العربي تباعاً وذلك ضمن حيِّز بعض المجاوبات التي جرت في سياق رواية الشعر العربي القديم وذلك بالقول : ((ذكر نصر بن مزروع الكلبى النسابة : أن رجلاً من خثعم عير أنمر بن مدرك الخثعمي وهو ورهطه يلحون عن خثعم إلى أكلب بن ربيعة بن نزار فقال فيهم شعراً منه : ... البيتان ، فأجابه أنمر فقال : ... الأبيات . وإلى هذا المعنى أشار الكميت بن زيد الأسدي حيث يقول :

تَرَى الْجُرْدَ الْعِتَاقَ مُسَوِّمَاتٍ مَقَادَ تَنَالْنَا الْأَوْلَى وَفِينَا

... (الأبيات) .⁷

ومن هذه الدائرة نقل لنا المؤلف أيضاً التعقيب النقدي على الوجه التطبيقي - الموضوعي على ما دار في إطار إحدى المجاوبات الشعرية على وفق رصد بعض المآخذ النقدية في المعنى المعدِّ في هذا السياق من ناحية إتمامه في معرض الإجابة الموجهة إلى الطرف الآخر ، إذ ((قال عمرو بن عدي في طاعة عمرو بن عبد الجن له :

أَمَّا وَدِمَاءٌ مَآثِرَاتٌ كَأَنَّهَا عَلَى قُلَّةِ الْعَزَى أَوْ النَّسْرِ عِنْدَمَا
وَمَا قَدَسَ الرَّهْبَانُ فِي كَلِّ بَيْعَةٍ أَبِيلُ الْأَبِيلِينَ الْمَسِيحُ بِنُ مَرِيْمَا
لَقَدْ دَاقَ مِنَّا عَامِرٌ يَوْمَ لَعَلَّعِ حَسَامٌ إِذَا مَا هَزَّ بِالْكَفِّ صَمَّمَا

⁶ الحلبي 1: 335 . وبيت الأودي ، الأفوه ، الديوان ، تح : د.محمد التونجي ، دار صادر، بيروت ، ط1 ، 1998 ، 75 والعجز برواية : أن تروموا النصف منا ونجار . وبيت الشكري ، الزماني ، الفند ، الشعر ، د. حاتم صالح الضامن ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج4 ، المجلد السابع والثلاثون ، كانون الأول 1986 ، 16 ، برواية :

نحن أولاد معدي ذي الحصى ولنا من هاجر المجد الكبار .

⁷ الحلبي 1 : 304-305 . والأبيات في الأسدي ، الكميت بن زيد ، تح : محمد نبيل طريفي ، دار صادر، بيروت ، ط1 ، 2000 ، 432 باختلاف في الرواية .

قال الطبري : هكذا وجد الشعر غير تام . وكان تقديره بعد القسم أن يكون لقد كان كذا أو لولا كذا إلا أنه لم يظفر له بتمام على ما ذكر)) .⁸

ومن الإلتفاتات النقدية على مستوى رصد المآخذ النقدية التي تنبّه إليها الحلبي ضمن هذا الحقل مذهب الشعراء الأثير في الخروج إلى المبالغة في الغرض الشعري ومتعلقاته من الوصف أو التشبيه المرتبط به ولاسيما بعد تتبع مسار حدث جليل من المصادر القديمة ، والأخذ برأي بعض الرواة في هذا المجال إذ قال بهذا الشأن في أمر أحد الأشراف ، في سياق الإشارة إلى الدوافع الذاتية الموجبة لهذه المبالغة في الوصف الناجز عن النص القديم : ((وإنما كان هوة من أشراف قومه ، ولم يبلغ من الأمور ما يستحق لأجله أن يلبس تاجاً ولا يجوز له ذلك ولا لمثله لولا العادة ... فهذا مما روي انه ممن تتوج ومدح بذلك ، فإذا سمع بذكر تاجه وأنشد مديحه من لا يعلم حقيقة حاله وصورتها ظنّ أنه كان ملكاً ، على أن بعض الرواة دفع ذلك وقال : إنما كانت خرزات له تعمم عليها فمدح بذلك على مذهب الشعراء في التوسع في القول ، وتجاوزهم الحد في المدح والصفات والهجاء والتشبيه وغير ذلك من كل معنى)) .⁹

وكما يبدو فقد أفاد من (المراجع النصية) في تسليط الضوء على هذا العنصر في سياق عملية الاستجابة لطلب الوصف الرسمي - الشعري ، بوصفه دافعاً آخرًا فاعلاً لتأشير عنصر المبالغة لدى الشعراء ، وذلك من منطلق الخروج السافر عن الاتجاه الأخلاقي المحافظ في المجتمع الذي كان سبباً لبعض الشعراء ، لما يفترضه غرض الوصف من نمط ذوقي يلتزم سياقات الأدب المجتمعي إذ ((كان النابغة أنيساً بالنعمان فدخل عليه يوماً فوافق المتجرده عنده متبذلة قد سقط خمارها فلما رأته سترت وجهها بيدها ، فقال له النعمان صفها في شعرك ، فوصفها في قصيدة التي أولها :

من آل أمية رائح أو مغتدي

فأسرف في الوصف ، وتجاوز الحد ، ولم يقتصر على ما ذكره من جمالها ، وخرج إلى الفحش في شعره فقال : ... الأبيات الدالية)) .¹⁰

وبعد الاطلاع على ما جاءت به المصادر من هذا الشأن حدث أن ضمّ الحلبي صوته النقدي إلى ماجاء به بعض الرواة - النقاد من التنبه الموضوعي لما وقع في الأبيات الآتية على مستوى المعنى الشعري من تعريض يذكر بالمعروض به ، الذي كان قد وقف على أمرها من أثر تحديد مسار المبالغة في عملية النظم الشعري ، وبيان المذهب القويم - المُنصف في المعنى الشعري المتحقّق في قول الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم التغلبي الذي يعد خروجاً أيضاً عن الغرض الرئيس من الأبيات في قصيدة (الفخر) :

((أبا هُندٍ فلا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نُحَبِّبَكَ الْيَقِينَا

⁸ الحلبي 1 : 104-105 . والأبيات عدا البيت الثالث باختلاف في الرواية ، وشكل الألفاظ ، في : الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الطبري ، ج 1 ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، د.ت ، 622 .

⁹ الحلبي 1 : 60 .

¹⁰ الحلبي 1 : 152 . والشطر في الذبياني ، النابغة ، الديوان ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، د.ت ، 89 : برواية : أمن آل مية رائح أو مغتدي .

... الأبيات قال بعض الرواة : إن هذه الأبيات وأمثالها مما فيه غمزة وطعن على عمرو بن هند ، ألحقها عمرو بن كلثوم في القصيدة بعد قتله إياه ، وإنه كان أنشده القصيدة في حال حياته وملكه وهي مقصورة على الإفتخار لا غير حتى انتهى إلى قوله :

فكنا الأيمنين إذا التقينا وكان الأيسرين بنو أئينا
فصالوا صولةً فيمن يليهم وصلنا صولةً فيمن يلينا
فأبوا بالنهب والسبايا وأبنا بالملوك مُصقدينَا

فقال: ما زلت مُنصفاً في شعرك حتى استأثرت على بني أبيك باليمين دون الشمال ، وبأسار الملوك دون السبايا والنهب ، ولعلّ الصحيح ما قالوا في هذا الوجه)) .¹¹

ويرجع أمر المبالغة المتحقق في نصوص بعض الشعراء لدى الحلبي من طرف إلى دافع بسيط يتمثل في مذهب الشعراء الدارج في هذا الإطار القائم على تعميق الفكرة في سياق عملية النظم الشعري وذلك لإبراز فاعلية الغرض الشعري في مقالاتهم المرتبطة بأبرز أغراض الشعر العربي ولاسيما ونحن نقرأ ما جاء منه مع غرض الهجاء الذي غالباً ما يجنح نحو هذا الاتجاه في معانيه ومقاصده ، على حسب طبيعته وأهدافه ، مع الإفادة أحياناً من البيانات الاجتماعية الدالة على الشخصية المقصودة بالتشهير في هذا المجال ف ((في الحكم بن أيوب مع ما حكوه عنه من البخل يقول جرير :

خرجن من تهلان أو وادي خيم على قلاصٍ مثل خيطانِ السلم
إذا قطعن علما بـدا علم حتى أنخاها على باب الحكم
خليفةُ الحجاج غير المتهم في ضيضي المجد وبحبوح الكرم

فهذا كان مذهب القوم في مقالهم وتفخيمهم لصغائر الأمور)) .¹²
ولغرض تعميق مجريات البحث في هذا الحقل وصولاً إلى بعض النتائج مضى الحلبي في تتبع مظاهر هذه الإشكالية النصية مع المعنى في غرض شعري آخر بارز من أغراض الشعر العربي هو غرض المدح ، نقرأ بالإفادة مما جاء في رواية المراجع القديمة بهذا الصدد : ((وقد مدح الأعشى النعمان مُبالغاً للحدِّ في القول على عادة الشعراء مُتجاوزاً ، فذكر أن له خيمة مضروبة تقف بفنائها الإبل والخيل فقال :

له قُبَّة مضروبةٌ بفنائها عتاقُ المهاري والجياد الصوافئ))¹³

وفي ضوء عملية استقراء بعض النصوص¹⁴ فتح هذا التعامل الميداني مع النصوص القديمة المجال لدى الحلبي بعض الشيء إلى مناقشة مسألة الصدق والكذب فيما ذهب إليه الشعراء في قصائدهم في ضوء رصد الخروج تارة

¹¹ الحلبي 1 : 130-132 . والأبيات الشعرية في : عمرو بن كلثوم ، الديوان ، تح : د. اميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1991 ، 71 ، 78 ، 83 باختلاف في رواية بعض الأبيات .

¹² الحلبي 1 : 246 . والأبيات في : جرير ، الديوان ، شرح : محمد بن حبيب ، تح : د. نعمان محمد أمين ، دار المعارف القاهرة ، ط3 ، د.ت ، 512-513 . باختلافات في الرواية .

¹³ الحلبي 2 : 484 . قال الأستاذان المحققان : والبيت لم يرد في الديوان . راجع لطفاً : الأعشى الكبير ، الديوان شرح وتعليق : م. محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميز ، د.ت .

¹⁴ ينظر : الحلبي 1 : 334 ، 2 : 524 .

أخرى عن أذواق الممدوحين النقدية أنفسهم من هذا الجانب على حسب ماتمت الإشارة إليه فضلاً عن بعض الأعراف الجديدة التي بات الممدوح ينتظر تطبيقاتها الميدانية من الشاعر على مستوى القصيدة الشعرية بعد تعمق تجليات العصر الإسلامي في هذا الميدان في بلورة الوعي النقدي بمجريات الغرض الشعري ومستجداته الموضوعية ، وإبداء التعاطف معهم من هذا الجانب من لدن الحلي ، مع تأشير العنصر الأبرز الداعم للشعراء في هذا الحقل وذلك بالإفادة من (مزايا اللغة العربية) بفاعلية تذكر، وصولاً في خاتمة البيان إلى ضرورة التزام الموقف القائم على التحقيق الموضوعي فيما تمّ تقديمه من نتاج على امتداد مسيرة الشعر العربي القديم إجمالاً ، نقرأ : ((مذهب العرب في لبس التاج : فأشار إلى ان الخليفة متوجّج ، فادّعوا في أشعارهم لبس التاج لقوم لم يلبسوه ، ثم تجاوزوا إلى وصف المعدوم الذي لم يكن له حقيقة بصفات الموجود المشاهد كدعوى الفرزدق أن تاج قومه يلتهب التهاباً ، ودعوى الآخر أن تاج مالك بن عوف النصري يأتلق ائتلاقاً وكأنهم قالوا : إن غير شيء يلتهب لحسنه التهاباً ويأتلق ائتلاقاً ، ثم ادّعو ذلك للخلفاء الذين لا يستجيزونه ولا يستحلونه بل يرونه في دينهم بدعةً ، وعلى شرفهم منقصة ، ويرون أعظم من كان يلبس التيجان على الحقيقة من ملوك العجم ، وغيرهم من سائر الأمم غير مقارب لهم في شرفهم ولا لاحق بدرجتهم لما فضلهم الله تعالى به وشرفهم بمكانه من الإسلام الذي تضعضع شرف كل شريفٍ خالفه ، وذلك كل عزيز جانبه ، فلهم أن يأنفوا بأن ينسب إليهم مثل ذلك ، ولذلك إنتهر عبد الملك بن مروان عبد الله بن قيس الرقيات حين أنشده في مديحه له :

يأتلق التاجُ فوق مفْرِقه على جبينٍ كأنَّهُ الذَّهَبُ

وقال له أتقول في مُصعب :

إنما مُصعبُ شهابٌ من الله تجلَّتْ عن وَجْهِهِ الظُّلْماءُ

وتمدحني بما تمدح به الأعاجم ؟ وهذا مشهور من مذهب الشعراء حتى أن البحتري بالأمس مدح المعتز -رضي الله - عنه بلبس التاج فقال :

كأنما التاج على رأسه قد حُفَّ بالياقوتِ والدُّر

كواكبُ الفضة في افقها جاءت فحَقَّتْ غُرَّةَ البدر

ومدح المهدي -رضي الله- عنه ينفي ذلك فقال :

لسجادة السجاد أحسنُ منظرًا من التاج في أحجاره وإيقادها

وأمثال ذلك من أقوال الشعراء لا تحصى ، لأنهم إنَّما يتبعون أهواءهم ، غير أنهم أعينوا على ذلك باللغة العربية التي حُصَّتْ بخلال الفضل كلّها ، من الفصاحة والبلاغة والإيضاح والإبانة والعذوبة في الاسماع والحلاوة في القلوب والقبول في النفوس التي ليس لغيرها من سائر اللغات مثله . ولا ما يدانيه ونظموا فيه الشعر الفصيح بالوزن الصحيح ، وكلامهم رائق عذب يغنفر له كل ذنب . وقال بعض العلماء للعرب التوسع في لغاتها ، وإشارة إلى إرادتها وصنّفوا في ذلك كتباً وأقاموا عليه أدلّةً حسنة وأوردوا لهم فيها حججاً واضحة وإشارتهم فيما ذكروه من ذلك كله إلى شرف الممدوحين ، وذلك مُسَلِّمٌ إليهم ، ومطلق لهم مرخص لهم فيه مع العلم بأن أكثر ما ذكروه باطل ومعظمه ما حل ، ومذهب الشعراء معروف ، والكذب منهم مألوف وتجاوزهم الحد في المديح والهجاء ، والتشبيه والرثاء ، وغير ذلك من الصفات معلوم ، وقد قيل : أكذب من مادح أو نائح . فقد تركوا ذلك كلّهم يقولون منه ما شاءوا ، أو يتصرفون فيه على ما أحبوا ، وعلينا استحسان ذلك منهم ، والاعتراف لهم بالفضل

في فصاحتهم وبلاغتهم ، والإقرار بأننا لاندانينهم فيه ، وليس علينا أن نجعله حجّة قاطعة ، ولا بينة قاهره على ما ادعوه ، ولا نلتزمه لهم على الحقيقة ، ولا نقطع بصحة ما ذكروه فيه ، ولو التزمنا لكل من ادّعى له أنه كان ملكاً ، وذكر الشعراء أنه كان متوجّاً لعلو المنزلة وعظم الشأن بمجرد الاسم ، وشواهد الشعر ، خاصة من غير كشف لأحوالهم ، ولا فحص عن أمورهم ، ولا استيضاح لسيرهم ، واقدارهم ، للزمنا أن نسويّ في المنزلة بين كسرى والسموئل ، وقيصر وأكيدر دومة الجندل ، وبين امرئ القيس الشاعر ، وتبع ، وبين فرعون وحبي بن أخطب ، رأس اليهود بخبير ، لاشتراكهم جميعاً في مجرد الاسم وهذا غاية الجهل)) .¹⁵

وقد يفيد سياق عرض النص المتقدّم من زاوية في تعليل نقل الكم المتوافر من الروايات غير الواقعية الموثقة في المؤلّفات المرتبطة بتفضيل الملوك المتقدمين على من سواهم ذات الارتباط بعصور الشعر العربي ، إذ رصد الحلبي أثر عناصر الفصاحة والبلاغة العربية فيها ذات الوقع المحبب إلى النفس ، والمنتيرة للحفظ أو الاستيعاب من جانب آخر على الرغم مما جاء فيها على مستوى الحقيقة من أباطيل جمّة أو معانٍ لايجوز ذكرها ، قائلاً بهذا الصدد غير مبدٍ استغرابه في الوقت ذاته من النصوص الشعرية التي جاءت على خلاف ذلك ، ولاسيّما من زاوية الموضوع الشعري المغاير لما ذكر على وجه الحقيقة أو العُرف السائد : ((وإنّما ذهب الرواة في تفضيلهم الملوك المتقدمين هذا المذهب الذي ذهبوا إليه في تفضيل غيرهم ممن لايجري مجراهم فأعطوهم فوق حقهم من التعظيم ، وادّعوا لهم أضعاف ما استحقوه من التبجيل واعرنا بالفصاحة التي ايدوا بها والبلاغة التي فاتوا الأمم بفضلها ، فنطقوا بكل طريفة عجيبة وفاهاوا بكل مستحسنة غريبة كثروا بها القليل ، وعظّموا بها الصغير ، وفاتوا بها من جاء بعدهم وقدروا من جواهر الكلام وغرائبه ونظمه ونثره على ما لايقدر عليه سواهم فجاءت أشعارهم وخطبهم وأحاديثهم ومحاوراتهم وسيرهم وأمثالهم وكلّ ما نقل عنهم بالفاظ عليها رونق طلاوة ولها في الاسماع والقلوب غزوبة وحلاوة فأنصت إليها السامع استغراباً وتطلّعت إليها نفسه استطرافاً واستحساناً فقالوا ماشاءوا وتبعهم الناس عليه ألا ترى انهم كانوا يسجعون السجع الغريب في أمر باطل مستحيل فيستحسن منهم وينقل عنهم ويضربون المثل السائر من غير شيء ، فيتداول ذكره السامعون ويتحدّث به المتحدّثون من علمهم بأنه مسند إلى باطل موضوع عن غير شيء وإنّما ينقله الناقلون لحلاوة اللفظ ، وما جعل له من حسن الحفظ ... فهذه الموضوعات وأمثالها إنّما نقلها الناس عنهم وتحدّثوا بها مع علمهم بأنّها أباطيل موضوعة استحساناً للفظها لاغير فكيف لا ينقل عنهم ما ساواها مع حسن حظهم في هذه الحال)) .¹⁶

وفي التأكيد على حضور التلاعب اللفظي والتفنن القولبي على نحو فاعل في أقوال الشعراء قديماً الذي بلغ أقصى درجاته المرتبط على سبيل المثال بحديث أثير بات مضرِباً للأمثال بين العرب على الرغم مما يلفه من المجهول على المستوى المعرفي على حد زعم الحلبي - الأمر الذي استدعى اللجوء في مرحلة لاحقة - في ضوء الإمكانيات اللغوية المتاحة لدى الشعراء إلى توظيف عنصر الاشتقاق والاستعارة في المعنى منه المرتبط بغرض المديح

¹⁵ الحلبي 1: 87-90. والبيت الأول يعتدل بدلاً عن يأتلق في : الرقيات ، عبيد الله بن قيس ، الديوان : تح : د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، د. ت ، 5 . والبيت الثاني ، الرقيات : 91. والبيتان : كأنما التاج ... في البحري ، الديوان م 2 ، تح : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3، د. ت . 1011 باختلاف في الرواية كما بيّن ذلك المحققان الفاضلان من قبل ، والبيت : لَسْجَادَةُ السَّجَادِ ... البحري: 2: 677 برواية القافية : وإتقادها .

¹⁶ الحلبي 1: 239-241.

القبلي على سبيل الإعجاب بالقول الدارج والتوسع فيه على وفق نمط يشاكله ، لما يحققه من غاية جمالية مرتقبة تتظافر مع الغرض الشعري المنشود وتتواءم معه . قال الحلبي متسائلاً من هذا الحقل : ((فهذا حديث ماء السماء التي يضرب بها المثل ولا يعلم ماهي وأي فرق بين تسمية المرأة بماء السماء وقطر الندى؟ فكم قد سمعنا بامرأة اسمها قطر الندى لم يذكر ولا يستحسن اسمها ولا يستغرب ولا له تلك النباهة ولا مثل ذلك الحظ في الأسماع من العذوبة والحلاوة . منهم قطر الندى بنت خمارويه بن طولون أبوها ملك مصر وزوجها أمير المؤمنين المعتضد كان في قهرماناتها وجواربها من لعلها تفوق ماء السماء حسناً وجمالاً ونعمةً وحالاً لم ينشد باسمها شاعر ولا ذكرها ذاكر . ثم إنهم لقدرتهم على التفنن في الفصاحة والتصريف في البلاغة ، لم يقنعوا لهم بالتسمية ببني ماء السماء ولا اقتصروا بهم على ذلك حتى اشتقوا لهم أسماء أخر من جنسه واستعاروا معناه فيما مدحوهم به فقالوا : ابن ماء المزن أيضاً)) .¹⁷

وذهب الحلبي في سياق التدايعات الناجمة عن هذا الميدان إلى عرض أنموذج شعري قديم لموضوع غير متعلق بالملوك وأحوالهم ، واسمائهم ، أو بالوقائع ذات المساس بأحوالهم وذلك لتأييد ما جاء به ونادى من ضرورة توافر بعض المقاييس النقدية في النص الشعري القديم غير المرتبطة بغرض شعري محدد من نحو الفصاحة والبلاغة ذات الارتباط المباشر بمكانة النص الشعري في المحصلة على حسب نسبة ذيوعه بين الرواة ثم بين (المتلقين) كما مر بنا من قبل نظراً لما فيه من عناصر تستميل القلوب نحوها ، وتسحر النفوس من حولها من أثر الوقوع الخلاب فيها ، ولما في صناعة الموضوع الشعري بهذا الشكل من مزية تذكر من طرف آخر ، كما سيبين لاحقاً ، إذ تفيد بعض الوقائع النصية بأنه تمت صياغة مخرجات جمالية مستحسنة من عالم الشعر لاقت رواجاً في فضاء الرواية ، قائمة على مبدأ التضاد الحاد مع الواقع ضمن البيئة الزمانية والمكانية التي عرضها الشعر العربي في سياق الغرض القديم ، قال الحلبي : ((ومن المعلوم أن من حمله الجوع واضطره الجهد والضر حتى يقطع زمانه ويستفرغ وسعه ويعمل حيلته في صيد ضب أو ثعلب أو ذئب أو أمثاله ليأكله فيعيش به لا يقدر على قوت غيره ولا يجد معاشاً سواه فإنه في عيشة قذرة صعبة شاقة يرثي لصاحبها منها ويعير بها ويستقذر لملاستها ومباشرتها ، وقد افتخروا بذلك وتبجحوا به ونظموا فيه أشعاراً رواها عنهم الرواة وتداولها الناس جعلوا بها دني الأفعال وذميمة شريفاً ، وقبيحة مستحسناً ، ومستقذرها مما يتطلع إليه الناس والنفوس وترتاح إلى سماعه القلوب)) .¹⁸

وفضلاً عن التأشير المتكرر من لدن المؤلف لتوافر مزية الفصاحة في (اللفظ / الكلام) الموظف في الشعر ونقل فاعليته بالرجوع إلى بعض الأخبار القديمة في هذا المجال ، الدالة على هذا الرصد النقدي¹⁹ نرى أيضاً تأشير عناصر أخرى تمت الإشارة إليها في ميدان النقد القديم وجاء تأكيد الحلبي عليها سرعان ما اقتترنت بمزية الفصاحة في النص الشعري القديم ، وأسهمت في تشكيل بنية النص الشعري المروى للأجيال والمحفوظ على هذا الأساس الجمالي في الذاكرة العربية لفصاحته العربية لا لموضوعه الشعري القائم²⁰ أبرزها : صحة الوزن الشعري ، واستقامة عملية النظم (البناء الشعري) كما ورد في شعر الصيد والفخر الكبير بذلك الإنجاز الذاتي على حسب

¹⁷ نفسه 1 : 284-285 .

¹⁸ ينظر : الحلبي 1 : 249 .

¹⁹ ينظر : نفسه 2 : 449 .

²⁰ ينظر : نفسه 1 : 89 .

مقتضيات ذلك الزمن ، والإلتفات النقدي إلى إمكانية تطبيقه في ميدان مديح بعض الملوك على حسب توجه المؤلف القائل في ذلك في مؤشر بليغ على رصد فاعليته الجمالية على مستوى النص الشعري الذي ورد على وفق هذه المعايير النقدية بغض النظر عن الغرض الذي جاء فيه رصف الكلم الشعري : ((فهذا شعر فصيح اللفظ ، صحيح الوزن ، مستقيم النظم لو قيل مثله في مديح بعض الملوك لكان مستحسناً قاله رجل منهم في صيد ثعلب وافتخر وعده منقبة لنفسه وزعم أنه لما صاد الثعلب راح إلى أهله مائلاً يديه من عيش مخضب وأوصى ولده بأن يطلب مثل ذلك الطلب ليعيش كريم المطلب ، وليس المعنى المقصود بمستحق لتكلف إضافة كلمة من هذا اللفظ إلى أخرى وإنما رواه الناس ونقلوه وحفظوه وتداولوه لفصاحته لا لأجل الثعلب وصيده)) .²¹

وفي إطار تقوية الترويج إلى الحجّة اللفظية- العربية القائمة في النص الشعري الخالد يعود الحلبي مجدداً بملايسات الرواية الشعرية إلى مرجعها النصي القديم مفترضاً ما كان سيحصل بناءً على أساس تحكيم الذوق الشخصي للحقيقة التاريخية في عملية الرواية الشعرية القائمة على رصد أسس جمالية من مخرجات اللغة العربية قائلاً بعد الاستشهاد بأبيات شعرية قيلت في غرض وصف الصيد قديماً ضمن رؤية حديثة للواقعة التاريخية التي عفا عليها الزمن ((فهذه صفة رجل منهم للضب وصيده قد نظم فيه شعراً ضمّنه من العربية ما ترى ممّا تتوق النفوس إلى معرفته حتى ان اسحق بن إبراهيم قال : وهبت للأعرابي الذي املاًها عليّ أربعين درهماً لاستحسانه اللفظ لاغير ، ولو أن ابراهيم مرّ بالضب الذي قيل فيه هذا الشعر لثقل عليه استقذاراً له وللذي صاده أيضاً)) .²²

ومضى الحلبي في سياق الترويج لمشروعه اللفظي -كما يبدو من سياق البحث الحالي- في بيان أثر الفصاحة واللفظ الحسن في ميدان رواية الشعر القديم من زاوية فاعليته في عملية نقل الشيء من نطاق كلفيته القائمة إلى الضد من ذلك في عالم الشعر بوصفها مزية من مزايا القول يعجز اللاحقون من الشعراء على القيام بها في سياق تداول الأخبار وإظهارها من الوجهة اللغوية على النحو الذي يخدم التوجهات الشخصية ، والمنازع الذاتية تلك التي يجانب الشاعر الحقيقية فيها ، كما ذهب إليه ((يقول الزبرقان بن بدر السعدي :

وبردا ابن ماء المُرّن عمي اكتسأهما بعزّ معيّ حين عدت محاصله

وإن كرام الناس أولاهم به ولم يجدو في عزهم من يعادله

فإذا نظر ناظر في حديث ماء السماء وجده من المثالب ، وإذا سمع هذه الأشعار وأمثالها رآها من المناقب وليس السبب في ذلك إلا فصاحتهم وحسن الفاظهم التي يخرجون الشيء بها عن كلفيته ، وينقلونه إلى ضد صفته فمن لنا باللاحق بهم في ذلك وأمثاله)) .²³

وفي مقابل التركيز على عنصر (الرواية الشفوية) لما تتماز به من استقطاب على مستوى التلقي لجأ الحلبي في إحدى المرات إلى ذكر نماذج نصية شعرية - كتابية مدونة في المؤلفات كتب لها البقاء ضمن أغراض شعرية شتى بعضها جاء بالمعنى الساذج والآخر ضمن المعاني الملوكية ، والأبرز هنا التأكيد على أن الكتابة كانت عاملاً رئيساً وحاسماً من عوامل رواية النص الشعري المدون وبقائه للأجيال اللاحقة ناهيك عن لفظه أو معناه ،

²¹ الحلبي 1 : 255 .

²² نفسه 1 : 252 .

²³ الحلبي 1 : 288-289 . وينظر : ابن بدر ، الزبرقان ، شعر ، تح : د. سعود محمود عبد الجابر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،

ط 1 ، 1984 ، 50 : ورواية صدر البيت الثاني : رآه كرام ...

بوصفه واجهة إعلامية كتابية أختير لها المكان المناسب ، وهي ذاتها التي يؤشر في ضوء غيابها غيب النص أيضاً عن محيط دائرة التلقي المقروء بالبصر - الشفاهي بالرواية ، على الرغم من توافر التشابه أو التناقض المستمر في النماذج الشعرية اللاحقة غير الحاضرة كتابياً والتي تقود بالنتيجة إلى غيابها الشفاهي أيضاً ، من هنا لنا أن نرصد التناقض الجوهرية في هذا البعد القائم على أساس ثنائية (حضور - غياب) التدوين مع عنصر الرواية الشفاهية ذات الإمتياز في عملية النقل الشعري على وفق ماتمّ التّطرق إليه في هذا البحث ، نقرأ ((فهذا من أشعارهم في صيد الضباب والثعالب والذئاب فكيف ترى أشعارهم في مدائح الملوك وتغخيم أحوالهم وتعظيم أقدارهم تكون ؟ وروى أنه وجد بالحيرة في دير الأساقف على حائط من حيطانه هذا الشعر :

نَادَمْتُ فِي الدَّيْرِ بَنِي عَلَمًا نَازَعَتْهُم مَشْمُولَةٌ عِنْدَمَا

... الشّعر فهل تحت هذا الشّعر من المعنى إلا أن جماعة احتجوا على لذتهم وشرابهم وتأخّر عنهم نديم لهم أوصديق أو جليس فكتب بعضهم هذا الشّعر فنقل إلى اليوم ودوّن في الكتب . وكم جرى ويجري لأهل عصرنا مثل ذلك فلم يذكر ولم يرد ولم يرو ولم يسطر ولم يكتب على بنية ولا غيرها))²⁴.

2- نسبة الشعر إلى الشاعر : الأغلب في هذا الاتجاه السّير في ركب رواة الشعر في أمر التنازع في الأبيات بين مجموعة من الشعراء ، والتوقف عند حدود النقل فيما دار في هذا الميدان ، وليس على وجه التحقق في التثبيت الشخصي الذي يحسب للحلي من نحو ما ورد له من قول تقريره بعد ذكر الأبيات إذ ((قيل :

خَبِرُونِي بِنِي الشَّقِيقَةِ مَا يَمُّ نَحْ فَحَعًا بِقَرَقِرٍ أَنْ تَزُولَا

... الأبيات وهذه الأبيات يقال إنَّها للنابغة الذبياني من قصيدة هجا بها النعمان لما خافه فهرب منه إلى ملوك غسان بالشام فكان عندهم زماناً ، وقد نُسبت إلى عبد قيس بن خفاف البرجمي ، وإلى مرة بن ربيعة بن قريع السعدي ، وحملها بعضهم على بعض))²⁵.

وكما ((قال الأسود بن يعفر يلوم بني دارم على طاعتهم عمرو بن هند ، ورويت للقيط أيضاً :

أَبْلُغْ لَدَيْكَ مَالِكٍ مُعْلَعَةً وَسِرَاءَ الرَّبَابِ

... باقي أبيات الرسالة الشعرية))²⁶.

وقد نلاحظ ورود إشارة يتيمة تقويمية ذات فائده في تحقيق نسبة الشعر إلى الشاعر ، على الأقل من وجهة نظر الحلبي ، وذلك بالاستناد إلى توظيف الواقعة التاريخية في هذا الموضوع ، والرجوع إلى مخرجاتها التي حدثت بالحلي إلى هذا المخرج القائم على النفي والإثبات في تخريج البيتين الآتيين من الشعر القديم ((ومنه قولهم :

أَبَى الْقَلْبُ أَنْ يَهْوَى السَّدِيرَ وَأَهْلُهُ وَإِنْ قِيلَ عَيْشٌ بِالسَّدِيرِ غَزِيرٌ

²⁴ الحلبي 1 : 260-261 . والشعر : في العبادي ، عدي بن زيد ، الديوان ، تح : محمد جبار المعبيد ، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع ، بغداد ، 1965 ، 166 . وينظر لطفاً للاختلاف في الرواية كما أشار إلى ذلك المحققان الفاضلان .

²⁵ الحلبي 1 : 289-290 . والأبيات : الذبياني ، 170 . باختلاف في الرواية إلى عبد القيس بن خفاف .

²⁶ الحلبي 2 : 528 . ولم يرد البيت في : الأسود بن يعفر ، الديوان : صنعه : د. نوري حمودي القيسي ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، بغداد ، 1970 ، والإيادي ، لقيط بن يعمر ، الديوان ، رواية هشام بن الكلبي ، تح : خليل إبراهيم العطية ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، بغداد ، 1970 . وتحت : د. محمد التونسي ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 1998 .

بِهَ الْبِقُّ وَالْحَمَىٰ وَاسْتَدَّ حَفِيَّةٌ وَعَمَرُو بَنَ هِنْدٍ يَغْتَدِي وَيَجُورُ

وزعم ابن قتيبة أن هذين البيتين لسويد بن حذاق العبدي وليس ذلك بشيء ، والصحيح أنَّهما لطرفة))²⁷ .
 وفتح هذا الموضوع النقدي من جانب الباب على رصد بعض الفنون البديعية الواردة في الشعر من نحو رصد (التضمين) من الشعر القديم في شعر العصور اللاحقة في مظهر آخر من مظاهر تحقيق رواية الشعر العربي لدى الحلي القائم على الإفادة من توافر العناصر البلاغية في النص الشعري ف ((من أخبار النعمان بن المنذر ... جعل لنفسه يوم بؤس ويوم نعيم يخبط فيها خبط عشواء ، وفعل فعل العجماء يكرم من أتاه في يوم نعيمه ولو أنه قاتل أبيه ، ويقتل من جاءه في يوم بؤسه ولو كان عنده في منزلة ولده وأخيه ويلطخ الغريين فيما روي بدمائهم وافتخر بذلك حتى مدح به فقيل فيه :

لَهُ يَوْمٌ بُؤْسٌ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبُوسٌ وَيَوْمٌ نَعِيمٌ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعُمٌ

وقد روي أن هذا البيت في شعر للحسين بن مطير الأسدي يمدح به أمير المؤمنين المهدي رضي الله عنه ولعلَّه ضمَّته شعره تضميناً))²⁸ .

3- السِّبْقُ الشعري : من المسائل النقدية الواردة في الكتاب عرض السبق الشعري للشاعر الجاهلي امرئ القيس ، وأفضليته ومناقشته أمر طبقتة الشعرية المتقدمة مع غيره من كبار الشعراء الجاهليين ، ومحاولة انصافهم على حسب مكانتهم الشعرية واستحقاقاتهم الأدبية على نحو منطقي نقرأ : ((وقالوا الشعراء في الجاهلية ثلاثة : امرؤ القيس بن حجر الكندي ، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى المزني . فقالت ربيعة وطرفة بن العبد البكري جعلوه لهم رابعاً ، وفضلوا امرأ القيس على الكل ، وقالوا لم يكن الشعر شيئاً حتى شرحه ، فحياً الطلل وعقبي الديار ، ومحاها بالرياح والأمطار ، ووصف المطر والسيول ، وشبَّ بالنساء وشبههن بالتماثيل والدمى والبيض والظباء ، وشبه ريقهن بالخمير ، وشعورهن بالكرم وأعجازهن بالرمال ووجوههن بالمصابيح وعيونهن بعيون البقر ، واغتنى للصيد واللعب ، وشبه قلوب الطير ورطابها بالعناب ويابسها بالحشف وعيون البقر بالجزع ، وشبَّه الفرس بالهراوة ، والظبي والخدروف والاجدل والجمود والناقة بالنعامة ، ووصف الكلب والثور والعانة ووردها ، والقوس والوتر والنبيل ، وشبَّه الليل بالجمال ، ووقف على الديار ، واستوقف وبكى المنازل والدمن ، وذكر الرماد والأثافي ، وألوان الوحش ، وعزى صحبه وعزوه ومدح وهجا ، وكان إذا قال شيئاً لا يخطيء ، ففتح للشعراء أبواب الشعر ، فهم عيال عليه ، فجعلوا أولئك الشعراء الذين سموهم معه في طبقتة ثم خصوه دونهم بفضائل

²⁷ الحلي 1: 137-140 . والبيتان في : ابن قتيبة ، الشعر الشعراء ، ج1، تح : أحمد محمد شاكر، دار المعارف القاهرة ، د. ت، 387 وفيه : ابن حذاق ، ويأتي بدلاً عن يهوى / البيت الأول . وكما أشار الأستاذان المحققان البيتان لم يردا في طرفة بن العبد ، الديوان ، شرح الأعلام الشنتمري ، تح : درية الخطيب ، لطفي الصقال ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط2 ، 2000 . ولتفاصيل أكثر حول التنازع في نسبة الشعر ينظر : الحلي 1 : 137 / الهامش (4) .

²⁸ الحلي 2 : 471 . والبيت في : الطائي ، أبو تمام حبيب بن أوس ، ديوان الحماسة ، ج2 ، مختصر من شرح العلامة التبريزي ، علَّق عليه وراجعته : محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، 1955 ، 384 وفي الأسدي ، الحسين بن مطير ، شعره ، جمعه وحققه : د. محسن غياض ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1971 ، 70 .

الشعر كلّها ، فلم يتركوا لهم معه فيها نصيباً فأدخلوهم معه بغير حجة ، وأخرجوهم بحجج عدة ، وقد كان الأولى ألا يجعلوهم في طبقته لما علموا بأنه برز عليهم هذا التبريز))²⁹.

الخاتمة :

أبرز نتائج البحث التي تمّ التوصل إليها نعرضها على النحو الآتي :

1- ظهور بعض المعطيات النقدية ذات الإسهام الفاعل في تأشير سمة الحلبي النقدية ضمن كتاب المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية تتبع بصورة عامة من بعدين متظافرين الأول ويتمثل في إلتزام المعايير النقدية ولأسيماً الجمالية منها الواردة في ساحة النقد القديم ، أمّا الآخر فيتمثل في تلك الجهود النقدية التي انبثقت عن وعي بالمشهد النقدي وإدراكه في ضوء ملامساته القائمة ، ومحاولة مناقشة بعض التوجهات الشعرية بحيادية سواء في ضوء الأخذ بما ورد عن القدامى أم غيره (الذاتية) ، والبحث كذلك عن بعض العلل المفسرة إلى حد ما لبعض المظاهر الأدبية المسؤولة عن ذبوع النص الشعري العربي وشهرته من وجهة نظر الحلبي ، فضلاً عن الوقوف على أبرز علل نشوء بعض المآخذ النقدية المرصودة في هذا الحقل بالتطرق إلى أغراض شعرية متباينة ، والإنصاف بالاستدراك الموضوعي لبعض الشعراء الجاهليين ضمن قضية الطبقة الشعرية ، والحرص على ضرورة التثبت الموضوعي في المسار النقدي ، وإتباع بعض الآليات التطبيقية في البحث النقدي التي من شأنها الخروج ببعض المقترحات النقدية العملية التي لم تكن بعض نصوص الحلبي الشعرية بمنأى عنها فضلاً عن بعض التوصيات الموضوعية على مستوى التلقي النقدي .

2- يؤشر من الناحية التطبيقية أن العملية النقدية كانت تسعى في فكر الحلبي ضمن تيار بارز إلى توجيه الأنظار صوب النص القديم ، واستثمار جوانب من فاعليته في الزمن الحاضر ، لما يحمله من مزية تذكر وذلك بناءً على رصد بعض المقاييس النقدية والجمالية فيه وتلمس أثرها الفاعل في ولادة النص اللاحق فضلاً عن محاولة تنوير المتلقي بأبرز آليات التلقي للنص القديم والحديث على أساس الكشف عن أبرز المبررات الموضوعية الداعية إلى هذا التلاحق في ظل مظاهر الترويج له في سياق العملية التثقيفية الجارية في الأفق النقدي المرصود انطلاقاً من وظيفة الناقد الميدانية التي لا تقف عند حدود التأشير المجرد فحسب لما يدور فضاء في النص الشعري.

التوصيات : ومن أبرزها :

- 1- دراسة بعض النماذج الشعرية الجمالية الواردة في الكتاب على أساس البعد النقدي المتبلور لدى الحلبي على حسب ما جاء في أبرز نتائج هذه الدراسة .
- 2- دراسة بعض المختارات الشعرية على وفق تركيبها الإنثروبولوجي - الثقافي .

²⁹ الحلبي 1: 175-176 .

المصادر والمراجع:

- * ابن بدر ، الزبيرقان ، شعر ، تح : د. سعود محمود عبد الجابر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 1984 .
- * ابن قتيبة ، الشعر الشعراء ، ج1، تح : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، د. ت .
- * الأسدي ، الحسين بن مطير ، شعره ، جمعه وحققه : د. محسن غياض ، دار الحرية للطباعة ، بغداد . 1971 .
- * الأسدي ، الكميت بن زيد ، تح : محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 2000 .
- * الأسود بن يعفر ، الديوان : صنعه : د. نوري حمودي القيسي ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، بغداد ، . 1970 .
- * الأعشى الكبير ، الديوان ، شرح وتعليق : م. محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميز ، د. ت
- * الأودي ، الأفوه ، الديوان ، تح : د. محمد التونجي ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1998 .
- * الإيادي ، لقيط بن يعمر ، الديوان ، رواية هشام بن الكلبي :
- تح : خليل إبراهيم العطية ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، بغداد ، 1970 .
- تح : د. محمد التونجي ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1998 .
- * البحتري ، الديوان ، م2 ، تح : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3 ، د. ت .
- * جرير ، الديوان ، شرح محمد بن حبيب ، تح : د. نعمان محمد أمين ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3 ، د. ت .
- * الحلبي ، أبو البقاء هبة الله ، كتاب المناقب المزيديّة في أخبار الملوك الأسيديّة ، ج1+2 ، تحقيق : د. صالح موسى درادكة ، د. محمد عبد القادر خريسات ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة 2000 .
- * الرقيات ، عبید الله بن قيس ، الديوان : تح : د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، د. ت .
- * الزماني ، الفند ، الشعر ، د. حاتم صالح الضامن ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج4 ، المجلد السابع والثلاثون ، كانون الأول 1986 .
- * الطائي ، أبو تمام حبيب بن أوس :
- الديوان ، م1 ، تح : محمد عبده عزام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5 ، د. ت .
- ديوان الحماسة ، ج2 ، مختصر من شرح العلامة التبريزي ، علّق عليه وراجعته : محمد عبد المنعم خفاجي مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، 1955 .
- * الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الطبري ، ج1 ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف مصر ، ط2 ، د. ت .
- * طرفة بن العبد ، الديوان ، شرح الأعلام الشنتمري ، تح : درية الخطيب ، لطفي الصقال ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط2 ، 2000 .
- * العبادي ، عدي بن زيد ، الديوان ، تح : محمد جبار المعبيد ، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع ، بغداد . 1965 .
- * عمرو بن كلثوم ، الديوان ، تح : د. اميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1991 .

- * الفقعسي ، المرار بن سعيد ، حياته وماتبقي من شعره ، صنعة : د. نوري حمودي القيسي ، مجلة المورد العراقية ، العدد 2 ، السنة 1973.
- * النابغة ، الديوان ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2 ، د.ت .

المراجع الألكترونية :

- * معجم المعاني الجامع almaany.com . (انترنت) .

عنوان البحث

تأثير استخدام أسلوب التدريب الذهني غير المباشر في تطوير إنجاز فعالية رمي المطرقة

ياسر محمد حمود مهنا¹ د. الطيب الحاج إبراهيم عبد الله¹

¹ جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

بريد الكتروني: yasirmohana@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21123>

تاريخ القبول: 2021/10/23م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

هدف البحث إلى إعداد منهج تدريبي بأسلوب التدريب الذهني غير المباشر لتطوير إنجاز فعالية رمي المطرقة لطلاب منتخب كلية المعارف الجامعة، والتعرف على تأثير هذا المنهج التدريبي بأسلوب التدريب الذهني غير المباشر في تطوير إنجاز فعالية رمي المطرقة لدى طلاب منتخب كلية المعارف الجامعة، وأفترض الباحث بأنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين نتائج الاختبارات القبليّة والبعدية لمجموعتي البحث التجريبية والضابطة في إنجاز فعالية رمي المطرقة، وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين نتائج اختبارات مجموعتي البحث التجريبية والضابطة البعدية في إنجاز فعالية رمي المطرقة، واعتمد المنهج التجريبي بتصميم المجموعتين التجريبية والضابطة المتكافئة ذات الضبط المحكم بالاختبارين القبلي والبعدية، على عينة من طلاب منتخب كلية المعارف الجامعة بالساحة والميدان للعام الدراسي (2020-2021) البالغ عددهم (12) طالب، أُختيروا جميعهم عمدياً ليمثلوا عينة الدراسة بنسبه (100%) من مجتمعهم الاصل، ومن ثمّ قسموا إلى مجموعتين تجريبية وضابطة لكل مجموعة (6) طلاب، واعتمد اختبار انجاز رمي المطرقة حسب القانون الدولي لالعاب القوى، واعد الباحث برنامجاً للتدريب الذهني غير المباشر مصاحباً للتدريبات المتبعة يكون تطبيقها قبل بداية الوحدات التدريبية المتبعة لطلاب المجموعة التجريبية على وفق محددات مفهوم هذا الاسلوب وبمعدل وحدة واحدة في الاسبوع، ولمدة (8) اسابيع متتالية، وبعد الانتهاء من التدريب تمت معالجة النتائج بنظام (SPSS) لتكون الاستنتاجات بأنه يساعد أسلوب التدريب الذهني غير المباشر في تطوير إنجاز فعالية رمي المطرقة لدى طلاب منتخب كلية المعارف الجامعة، ويساعدهم في التفوق على اقرانهم في تطوير إنجازهم لفعالية رمي المطرقة، أما التوصيات فإنه من الضروري الاهتمام بالتدريب الذهني غير المباشر المصاحب للوحدات التدريبية عن تدريب طلاب منتخبات الجامعة لما له من دور ايجابي في تطوير إنجازهم لفعالية رمي المطرقة.

الكلمات المفتاحية: أسلوب التدريب الذهني المباشر، إنجاز فعالية رمي المطرقة.

RESEARCH ARTICLE

THE EFFECT OF USING THE INDIRECT MENTAL TRAINING METHOD IN DEVELOPING THE EFFECTIVENESS OF HAMMER THROWINGYASSER MOHAMED MAHMOUD AL-ALWANI¹ PROF. DR. AL-TAYEB AL-HAJ IBRAHIM ABDULLAH¹¹ Sudan University for Science and Technology

Email: yasirmohana@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21123>

Published at 01/11/2021

Accepted at 23/10/2021

Abstract

The aim of the research is to prepare a training curriculum in an indirect mental training style develop the effectiveness of hammer throwing for students of the University College of Knowledge team, and to identify the impact of this training curriculum in an indirect mental training style in developing the achievement of hammer throwing effectiveness for students of the University College of Knowledge team, and the researcher assumed that there are Statistically significant differences between the results of the tribal and remote tests of the experimental and control groups in achieving the effectiveness of hammer throw, and there are statistically significant differences between the results of the tests of the experimental and post-control groups achieving the effectiveness of hammer throwing, and the experimental approach was adopted by signing the experimental and equal control groups with tight control in the two tests. Before and after, on a sample of students from the University College of Knowledge team In the arena and field for the academic year (2020-2021), which number (12) students, all of them were deliberately chosen to represent the study sample with a percentage of (100%) of their original population, and then they were divided into two experimental and control groups for each group 6 students, and the hammer throw achievement test was adopted According to the International Law of Athletics, the researcher prepared a program for indirect mental training accompanying the exercises followed, to be applied before the beginning of the training units used for the students of the experimental group according to the determinants of the concept of this method, at a rate of one unit per week, for a period of (8) consecutive weeks, and after the completion of the experiment, Processing the results using the SPSS system to make conclusions and recommendations that it helps the mental training method Indirectly in developing the achievement of the effectiveness of hammer throwing among the students of the university's faculty of knowledge, and helps them outperform their peers in developing their achievement of the effectiveness of hammer throwing. Hammer throw effectiveness.

Key Words: direct mental training method, achieving the effectiveness of hammer throwing.

1: التعريف بالبحث:**1-1: مقدمة البحث وأهميته:**

لغرض تكامل العملية التدريبية يسعى المدربون لاستحداث الطرائق أو البحث عن الاساليب التدريبية التي من شأنها أن تقدم المساندة لعملهم والارتقاء بمستوى لاعبيهم، وذلك من خلال اعتماد الاهتمام بالنواحي البدنية والمهارية والخطئية والنفسية التي لكل منها عامل تدريبي يعد بحد ذاته هدفاً للوحدة التدريبية التخصصية بالفعالية، ويعد العامل النفسي في التدريب الرياضي من أكثر العوامل تشعباً من حيث المشكلات والتحسينات المستهدفة للتفكير والعقل والدماغ وما من الممكن أن يقدمه الاستقرار والتحسين بالفكر للانجاز الرياضي، مما يدعو ذلك إلى بذل الباحثون للجهود العلمية التي تسعى لتطوير الانجاز من خلال مساندة العامل النفسي لعوامل التدريب الاخرى، إذ تعتمد فعالية رمي المطرقة على نواحي مهارية وقدرة عضلية تمكن اللاعب من الرمي لأبعاد مسافة ممكنة وهذا يستلزم تقديم الدعم العقلي وتيقض بكيفية توجيه البرامج الحركية التي تطابق امكانية اللاعب وقدراته مع مهارته الفنية لرمي الثقل ولعل التدريب الذهني يساعد في الوصول لذلك المبتغى في مساعدة لاعبي دفع المطرقة

إذ يعرف التدريب الذهني بأنه "أحد إستراتيجيات تكنولوجيا التدريب الرياضي الذي حظي باهتمام العديد من المختصين في هذا المجال، لما له من دور ايجابي وفعال في تطوير مستوى الأداء لاسيما بعد أن أصبحت المهارات الذهنية والنفسية تمثل أهمية في الارتقاء بمستوى الأداء، أن القدرة على التدريب الذهني من المتغيرات الهامة التي تؤثر في الأداء حيث يستعمل لغرض تجسيد الأداء وعن طريق مراجعة المهارة عقليا ويتضمن ذلك التخلص من الأخطاء بتصور الأسلوب الصحيح للأداء، وان اغلب الذين لديهم فكرة واضحة عن الجوانب الرئيسية للمهارة يستطيعون بواسطة التدريب الذهني مقارنة استجاباتهم بالأداء الأمثل ومن ثم يصحح الاستجابات الخاطئة". (Zaid, 2015, 1565)

كما أنه "يجب على المُدرِّبين أن يبنوا مناهج التدريب المتعددة الجوانب بشكلٍ يركزون فيه على التمارين الشاملة في مراحل التدريب المختلفة سيما القدرات البدنية المُشابهة للمتطلبات المستقبلية لنوع الفعالية الرياضية الممارسة من أجل تسهيل قابلية الرياضي على اكتساب وأداء المهارات الفنية الخاصة بالفعالية". (Muhammad and Mahdi, 2013, 28)

كما إن "التدريب الرياضي الحديث اتخذ هيكلاً تنظيمياً يتفق مع حالة التطور الجديد بأستخدامه وسائل حديثة علمية في عملية التدريب الرياضي بعيداً عن تلك الأساليب التقليدية المعتمد عليها سابقاً واعتماد وسائل وأساليب جديدة وفق أسلوب مقنن يؤدي إلى معرفة تأثير التدريب الرياضي في تطوير العديد من المؤشرات البدنية والمهارية والوظيفية". (Adel, 2018, 18)

"إذ تعد البرامج العقلية للرياضيين ميداناً مهماً من ميادين التدريب الرياضي وعلم النفس الرياضي فيما لو تم تطبيقه بالشكل الصحيح واعطاؤه الاهتمام الكافي في عملية الاعداد للرياضيين لأنه قادر على التدخل في تطوير كثير من الجوانب مثل تعزيز الاداء ومهارات التدخل في الازمة كالتأمل ومهارات الأتصال وإدارة الضغوط ووضع الأهداف وغيرها كما أن (هذا النوع من التوجيه لا ينتظر حدوث الأزمة ثم يبحث عن العلاج ولكن يتوقع

المشكلات في مرحلة مبكرة ويتعامل معها قبل ان تصل الى النقطة التي تتطلب التدخل). (Nazim, 2008,30).

1-2: مشكلة البحث :

إنَّ الإعداد العقلي للتفوق في انجاز رمي المطرقة لطلاب كلية المعارف الجامعة لا بد من أن يحظى بأهتمام مدربيهم شأنه شأن عوامل التدريب الأخرى المختلفة، ليلقي بذلك مجهوداً على الأكاديميين في التدريب الرياضي وعلم النفس الرياضي في البحث لإثراء هذا الحقل بتناول الظواهر التي تتطلب الوقوف عليها وإيجاد الحلول للتقدم بمستوى مسافة الانجاز، إذ تكمن مشكلة البحث في ملاحظة الباحث للتدريبات المتبعة والبرامج النفسية في هذه الكلية بقلّة الإهتمام بحداثة مناهج التدريبات الذهنية الشاملة لعوامل التدريب المختلفة المهارية والنفسية وإقتصارها على المناهج القديمة من ما متوفر في الكلية التي تجهد الطلاب بزخم المهمات المطلوبة منهم، مما يُشكل هذا الإجهاد ضعفاً في الانجاز والآثار السلبية لدى البعض من طلاب كلية المعارف الجامعة الذين يبذلون مجهوداً بديناً يصاحب رمي المطرقة في الساحة والميدان، ومن إطلاع الباحث على العديد من البحوث المتاحة في التدريب الرياضي، وعلى حد علمه لا توجد دراسة تتناول استخدام أسلوب التدريب الذهني غير المباشر لتطوير الانجاز لدى طلاب هذه الكلية، وأن هذه الظاهرة قلما تحظى بأهتمام المعنيين في رمي المطرقة لتكون الحاجة لحل هذه المشكلة ضرورة تحاكي الواقع الفعلي في هذا الميدان الرياضي في هذه الكلية، لنتيح بذلك دراستها بذلك فرصة للباحث في محاولة إستكمال الجهود العلمية الهادفة ، لتقديم الدعم والمساندة المعرفية والتطبيقية للطلاب الذين يبتغون التقدم بمستوى الانجاز والوصول بهم للغايات المرجوة.

1-3 : هدف الدراسة:

- 1- إعداد منهج تدريبي بأسلوب التدريب الذهني غير المباشر لتطوير إنجاز فعالية رمي المطرقة لطلاب منتخب كلية المعارف الجامعة.
- 2- التعرف على تأثير المنهج التدريبي بأسلوب التدريب الذهني غير المباشر في تطوير إنجاز فعالية رمي المطرقة لدى طلاب منتخب كلية المعارف الجامعة.

1-4 : فرضيتا الدراسة:

- 1- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين نتائج الاختبارات القبليّة والبعديّة لمجموعتي البحث التجريبية والضابطة في إنجاز فعالية رمي المطرقة.
- 2- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين نتائج اختبارات مجموعتي البحث التجريبية والضابطة البعديّة في إنجاز فعالية رمي المطرقة.

1-5 : حدود الدراسة :

- 1-5-1 : الحدود البشرية : طلاب منتخب كلية المعارف الجامعة بالساحة والميدان للعام الدراسي (2020-

(2021).

1-5-2 : الحدود الزمنية : للمدة الممتدة من (2021/3/9) ولغاية (2021/5/5).

1-5-3 : الحدود المكانية : العراق/الأنبار/ملعب الساحة والميدان في كلية المعارف الجامعة.

2: منهجية البحث وإجراءاته الميدانية:

1-2 منهجية البحث:

أُعتد منهج البحث التجريبي والذي يُعرف بأنه " المنهج الذي نعالج فيه ونتحكم في متغير مستقل لنشاهد تأثيره على متغير تابع ، مع ملاحظة التغيرات الناتجة والقيام بتفسيرها ، سواءً إشملت التجربة على متغير مستقل ومتغير تابع أو أكثر من متغير مستقل أو أكثر من متغير تابع " (Majdi, 2019,2014) وعلى وفق فرضيتي الدراسة ومتغيرها المُستقل أُختير التصميم التجريبي ذا المجموعتين التجريبية والضابطة بالضبط المُحكّم بالاختبارين القَبلي وأَلبعدي .

2-2: مجتمع البحث وعينته:

حدود مجتمع البحث تتمثل بطلاب منتخب كلية المعارف الجامعة بالساحة والميدان للعام الدراسي (2020-2021) البالغ عددهم (12) طالب، أُختيروا جميعهم عمدياً ليمثلوا عينة الدراسة بنسبه (100%) ، وحسب متطلبات التصميم التجريبي قسموا إلى مجموعتين تجريبية وضابطة لكل مجموعة (6) طلاب، وهم مجتمع الظاهرة الملاحظة في مشكلة الدراسة أنفسهم.

2-3 الاختبارات وإجراءات الدراسة :

أُعتد اختبار إنجاز رمي المطرقة حسب القانون الدولي لالعاب القوى لعام (2019)، وعمد الباحث إلى برنامج للتدريب الذهني غير المباشر مصاحب للتدريبات المتبعة من لدن مدربهم يكون تطبيقها قبل بداية الوحدات التدريبية لطلاب المجموعة التجريبية البالغ عددهم (6) على وفق محددات مفهوم هذا الاسلوب من التدريب الذهني المتمثلة بكل مما يأتي :

د. قراءة الوصف الفني لفعالية رمي المطرقة.

ذ. مشاهدة الافلام والصور الخاصة بأداء الأبطال في فعالية رمي المطرقة.

ر. الاستماع إلى الوصف الفني للمدرب فيما يخص فعالية رمي المطرقة.

ز. مشاهدة نماذج اداء فعالية رمي المطرقة.

س. الحديث عن كيفية اداء رمي المطرقة من لدن الطالب.

ش. كتابة الطالب للتعليمات الخاصة باداء رمي المطرقة .

ص. الدمج بين الوسائل السمعية والبصرية الخاصة باداء رمي المطرقة.

إذ كانت هذه المحددات في جلسات البرنامج لمدة (8) اسابيع متتالية للوحدات التدريبية التي يتلقونها الطلاب في تدريباتهم التي تهيئهم للمشاركة في البطولات الجامعية على مستوى القطر، وبمعدل وحدة واحدة لمدة من (5-10) دقائق من الاسترخاء الذهني والعضلي، والتصور الذهني والانتباه والتركيز في تفاصيل اداء رمي المطرقة. وبدأت التجربة بتطبيق اختبار إنجاز رمي المطرقة بين مجموعتي البحث لتتحقق من خط الشروع حسب متطلبات التصميم التجريبي السابق الذكر، وكما مبين في الجدول (1):

جدول (1) يبين نتائج الاختبارات القبالية بين المجموعتين

الاختبار ووحدة القياس	المجموعة التجريبية (6)		المجموعة الضابطة (6)		قيمة (Liven)	درجة (Sig)	قيمة (ت)	(Sig)	الدالة
	س	ع ±	س	ع ±					
رمي المطرقة متر	15.17	1.83 5	14.8 3	1.472	0.009	0.927	0.347	0.736	غير دال

درجة الحرية ن=2 (10) ، غير دال إذا كانت (Sig) < (0.05) عند مستوى دلالة (0.05) .
تبين النتائج الواردة في الجدول (1) بأنه تم التحقق من تكافؤ المجموعتين التجريبية والضابطة، ومن ثم طبق التدريب الذهني بالاسلوب غير المباشر لمدة (8) اسابيع متتالية، ومن ثم اجراء الاختبارات البعدية لينتهي بهذا الاجراء تجربة البحث.

2-4: الوسائل الاحصائية: اعتمد نظام الحقيبة الإحصائية الاجتماعية (SPSS) الإصدار (V₂₆) ، لحساب آلياً كل من قيم النسبة المئوية ، وألوسط الحسابي ، والانحراف المعياري ، واختبار (Liven) لتجانس التباين، واختبار (t-test) للعينات المترابطة ، واختبار (t-test) للعينات غير المترابطة.

3- النتائج ومناقشتها:

جدول (2) يُبين نتائج الاختبارات القبالية والبعدية للمجموعتين

الاختبار	وحدة القياس	المجموعة	الاختبار القبلي		الاختبار البعدي		ف	ع ف	قيمة (ت)	(Sig)	الدالة
			س	ع ±	س	ع ±					
رمي المطرقة متر	متر	نجم (6)	15.17	1.835	21.6 7	0.516	6.5	2.07 4	7.678	0.00 1	دال
		ض (6)	14.83	1.472	17	1.414	2.167	1.60 2	3.313	0.02 1	دال

درجة حرية (ن) - (1) لكل مجموعة ، مستوى دلالة (0.05) ، دلالة الفرق (Sig) ≥ (0.05) .

جدول (3) يبين نتائج الاختبارات البعدية بين المجموعتين

الاختبار ووحدة القياس	المجموعة التجريبية (6)		المجموعة الضابطة (6)		قيمة (ت)	(Sig)	الدلالة
	س	ع ±	س	ع ±			
رمي المطرقة متر	21.67	0.516	17	1.414	7.593	0.000	دال

درجة الحرية ن-2 = (10) ، دال إذا كانت (Sig) $\geq (0.05)$ عند مستوى الدلالة (0.05) .

تبين نتائج الجدول (2) بأن الطلاب في كل من مجموعتي البحث تطور لديهم مستوى الانجاز في فعالية رمي المطرقة في الاختبارات البعدية عن ما كان عليه انجازهم في الاختبارات القبلية، وتبين نتائج الجدول (3) يتبين بأن طلاب المجموعة التجريبية تفوقوا على طلاب المجموعة الضابطة في هذا التطور بالانجاز، ويعزو الباحث ظهور هذه النتيجة إلى التأثير الايجابي للتدريب الذهني بالاسلوب غير المباشر الذي كان دوره واضحاً في تعزيز الدماغ من خلال مراحل هذه التدريبات الاسترخاء والتصور الذهني الذي ساعد الطلاب على اعادة برمجة ادائهم من خلال التفكير باداء رمي المطرقة، ليكون تدريباً عقلياً من خلال تنشيط الذهن وابعاده عن المشتتات والحركات العشوائية الزائدة والمصاحبة للاداء وهذا ما اظهرت النتائج بشكل واضح في تقدم طلاب المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة، كما كان للانتباه الدور الكبير في تعزيز هذا التطور من خلال زيادة امكانية التحكم والسيطرة بعضلات الجسم المشاركة في الاداء بعد عمليات تركيز الانتباه والادراك وتصحيح الحركات لكل من الطلاب مما ساعد على التطور والتفوق في هذا الانجاز .

ويذكر محمد العربي " يتطلب التدريب العقلي تخصيص الوقت لاكتساب المهارات العقلية في ضوء تدريبات يومية وفترات محددة إسبوعياً ، إذا قرر المتعلم تطوير الجانب العقلي والتحكم فيه مثلما يحدث في الجانب البدني والعمل بطريقة جادة من أجل توفير الوقت اللازم". (Muhammad, 2017,57)

"كما يساعد التدريب الذهني في أن يتعرف اللاعب على برامج حركية غير معروفة سابقاً، يحفز نهايات العضلات ويحفز الأربطة على العمل الحركي وكأن الحركة قد تمت فعلاً، ويصيغ هذا النوع من التمرين برامج حركية وتصوراً حركياً صحيحاً". (Nahida, 2008,134)

"إذ يساهم التدريب الذهني في مراحل اكتساب المهارات الحركية ويؤدي دوراً مهم في عملية والتدريب بشكل عام ، إذ يمثل التدريب الذهني أيضاً الجزء الأساس من أعداد اللاعب للدخول في المنافسات الرياضية فهو يتضمن تصور الحركة وتسلسل المهارات والمواقف والأهداف". (Zahir,2000,125)

ويذكر جورج أمطانيوس "أن ديوي يرى إن الأعمال الذهنية المتبعة في حل المشكلات، تضع الذهن في موقف تأملي ، للوصول إلى حل التناقض في المشكلة، بين واقع موجود، وواقع يراد تحقيقه، وحل التناقض هو مزيد من اعمال الذهن وتنظيمه وتسلسله، للوصول الى ايجاد خط متصل متناغم بين الهدف والطريقة التي توصل اليه. ويعد التفكير التأملي تفكيراً علمياً في جوهره". (George,2010,157)

ويرى اسامة بأن " التدريب الذهني يساعد على منع تشتت الأفكار والانتباه". (Osama, 2000,120)

ويشير رافع وعماد إلى "أنّ دماغ الإنسان يحتوي على بنى معرفية متعددة تشكل أساليب التفكير ، وقد تكون بشكل صوري، أو لغوي، أو لمسي، أو سمعي، أو صور عقلية وهذه البنى موجودة مواقع مختلفة من المدخلات

العصبية المختلفة , كما أشار إلى أن الكلمات التي يصعب تصورها تكون أكثر صعوبة من الكلمات التي يكون لها صور في الذاكرة". (Rafi & Imad,2003,199)

ويذكر مجاهد حميد بأنه " الحالة النفسية الايجابية واللياقة البدنية والمهارية العالية والتدريب المنتظم من العوامل الاساسية التي تمكن اللاعبين من التميز والتفوق على منافسيهم ورفع مستوى انجازهم العقلي والذهني وتتبلور مقدرتهم على تحقيق الاهداف". (Mujahid, 2015,169)

ويضيف (Petersen etal) "أن التدريبات الذهنية يجب أن ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالحركات في المهارة ، لذا لا بد من تنمية القدرات البدنية المرتبطة بالمهارات الأساسية من خلال تصميم البرامج التدريبية الخاصة لكل نشاط رياضي، وهذا يعني أن البرنامج التدريبي يجب أن يركز على العضلات العاملة في الأداء نفسه". (Petersen & Other, 2002,212)

4- الاستنتاجات:

1- يساعد أسلوب التدريب الذهني غير المباشر في تطوير إنجاز فعالية رمي المطرقة لدى طلاب منتخب كلية المعارف الجامعة.

2- أن استخدام طلاب منتخب كلية المعارف الجامعة لأسلوب التدريب الذهني غير المباشر يساعدهم في التفوق على اقرانهم في تطوير إنجازهم لفعالية رمي المطرقة.

5- التوصيات:

1- من الضروري الاهتمام بالتدريب الذهني غير المباشر المصاحب للوحدات التدريبية عند تدريب طلاب منتخبات الجامعة لما له من دور ايجابي في تطوير إنجازهم لفعالية رمي المطرقة.

2- لا بد من زيادة الاهتمام بإجراء دراسات مشابهه لتدريب الذهني غير المباشر تتناول فعاليات رياضية اخرى في الساحة والميدان لطلاب منتخبات الجامعة.

المصادر:

1. Adel Majeed Khazal. (2018); The use of special exercises for the explosive ability of the legs and arms according to energy systems in developing some physical and functional aspects of volleyball players, Basra University, Journal of Physical Education Studies and Research, Volume 41, Issue 18.
2. George Amtanios priests; Effectiveness of the problem-solving method: Damascus University, Faculty of Education, Damascus, 2010.
3. Majdi Salah al-Mahdi; Educational Research Methods: Cairo, Arab Thought House, 2019.
4. Muhammad al-Arabi Shamoun; Applied Sports Psychology and the Sports Psychologist's Guide: Cairo, Arab Thought House, 2017.
5. Muhammad Reda Ibrahim Al-Madamghah and Mahdi Kazem Ali Al-Sudani.(2013) ; The foundations of sports training for different ages: Baghdad, Dar Al-Diaa for Printing.
6. Mujahid Hamid Rashid; Divided attention and its relationship to the accuracy of the skill of receiving the serve in volleyball, sitting; Journal of Sports Sciences,

- University of Diyala, College of Physical Education and Sports Sciences, Volume (9), Issue (28), 2015.
7. Nahida Abed Zaid Al-Dulaimi; Fundamentals of kinesthetic learning: Al-Najaf Al-Ashraf, Dar Al-Diaa for printing and design, 2008.
 8. Nazim Shaker El Wattar; The effect of a psychological counseling program to cognitively manage psychological stress among football players, Al-Rafidain Journal of Sports Sciences, Vol. 14, No. 49, 2008.
 9. Osama Kamel Ratib; Training of psychological skills, applications in the field of sports: Cairo Dar Al-Fikr Al-Arabi, 2000.
 10. Petersen , S.,and Miller ,G.and Wenger,H.A:The acquisition of muscular strength:the influence of training, USA, 2002.
 11. Rafi' Naseer al-Zaghloul and Imad Abd al-Rahim al-Zaghloul; Cognitive Psychology: Amman, Dar Al-Shorouk Publications, 2003.
 12. Zahir Hashem Al-Kazemi; Technical and planning preparation in tennis: Baghdad, University House for Printing, Publishing and Translation, 2000.
 13. Zaid Muhammad Raouf Al-Khaffaf; The effect of mental training in learning some basic skills in handball: Journal of Babylon University for Human Sciences, Volume (23), Issue (3), 2015.

معايير إعداد أجهزة تحليل النصوص

عبد الحق قاسمي¹

¹ مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية - الجزائر

بريد الكتروني: gashak@protonmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21124>

تاريخ القبول: 2021/10/12م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

موضوع البحث هو التعرف على المنهجية المناسبة في تحليل النصوص، من خلال اقتراح ثلاث مراحل للتحليل، يركز هذا البحث على المرحلة الثانية منها، والتي تتمثل في التمهيد لعملية التحليل بمرحلة إعداد جهاز خاص بالنص المراد تحليله، وذلك لما كان كل نص مختلفا عن النصوص الأخرى، فقد قرر البحث أنه لا يمكن الركون إلى نموذج واحد في تحليل النصوص جميعها، وقد تعرّض هذا البحث إلى أربعة معايير من أجل بناء هذا الجهاز، يتعلق الأول بمكونات النص، حيث يحدد المحلل المكونات التي سيعتمدها في تحليلها، أما المعيار الثاني فيتعلق بوحدات النص، ويحدد النطاق الذي سيقف عنده في تحليله، وذلك لأن هذه الوحدات تختلف من حيث طريقة تحليلها، كما عليه أن يحدد مدى حاجته إلى استدعاء نصوص أخرى، وهو ما أشرت إليه في معيار التناص، أما المعيار الأخير فيتعلق بأطراف التواصل.

الكلمات المفتاحية: تحليل النصوص؛ معايير التحليل؛ نماذج تحليل النصوص

RESEARCH ARTICLE

**CRITERIONS FOR BUILDING AN ANALYTICAL DEVICE
FOR TEXT ANALYSIS****Abd El Hak Gasmi¹**

¹ Center of Scientific and Technical Research
for the Development of Arabic Language
gashak@protonmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21124>

Published at 01/11/2021**Accepted at 12/10/2021****Abstract**

The aim of the study is to determine the appropriate methodology in analyzing texts, by proposing three phases of analysis, this research focuses on the second phase of it, which is to plan for the analysis process by building a device that allows us to analyze the text, in light of the fact that every text is different from the other texts. The study concluded that relying on a single model in this area is impossible, in order to create this device, we are subjected to four requirements. The first criterion relates to text components, where the analyst chooses which components to utilize in the analysis of the text, and the second criterion relates to text units, which sets the scope at which he focuses in his analysis, because these units differ in terms of how they are studied, we must also determine how much we need to recollect other texts, by using the intertextuality criterion, and the last criterion is about the utterers in the situation of communication

Key Words: text analyses, analysis criteria; Text parsing models

مقدمة

وصلت اللسانيات النصية اليوم إلى مرحلة متطورة من تاريخها، بعد مراجعة ونقد الدراسات الأولى التي أسست لها، ما سمح لها بإعادة بناء مناهجها وتوجهاتها، وذلك منذ "المسار التصحيحي" الذي قام على أنقاض الانطلاقة "الفاشلة" التي حاولت القيام بها أعمال سعت إلى بناء نحو للنص (Van Dijk, 1995, p. 348)، حيث أثبت نحو النص عجزه في بناء نظرية قائمة بذاتها، فحول هذا "المسار" توجه اللسانيات النصية إلى استكشاف مفاهيم ومناهج جديدة، تراعي طبيعة النص المعقدة، وهذه الطبيعة المعقدة لا ترجع فحسب لتركيبه من وحدات لغوية، وإنما أيضا من حالات نفسانية واجتماعية واعتماده على عناصر مقامية، فلا يمكن أن ينجز النص إلا بتظافر هذه المكونات جميعها (Bronckart, 1996). وهذا ما جعل ميدان اللسانيات النصية يتقاطع مع ميدان تحليل الخطاب، مستفيدا من كثير من المفاهيم والمسائل التي فيه، كما يعتمد على نتائج الدراسات التداولية، وقد شكلت أعمال أوستين وسورل أهمية كبيرة في توجيه اللسانيات بصفة عامة واللسانيات النصية بصفة خاصة إلى اعتماد منهج تواصلية في التحليل، وذلك لأنهما دعيا إلى دراسة الاستعمال بدل التجريد اللغوي، غير أن أعمال التداوليين ظلت رغم ذلك تعتمد على أمثلة مصنوعة غير أصلية، بدل الملاحظة المباشرة للنصوص الحية، خلافا لما هو عليه الأمر في تحليل المحادثات، فلو تصفحنا كتب أوستين وسورل، لوجدناها تعبر عما يتصورانه من حالات وسيناريوهات لاستعمالات متخيلة فيمثلان لها بأمثلة يصنعانها، بدل دراسة ميدانية للتحقيقات اللغوية الحية في الواقع، وذلك بالرغم من أنهما يدعوان إلى دراسة الاستعمال، وهي الخطوة التي قام بها ساكس (Sacks) وشغلوف (Schegloff) في تحليل المحادثات (Sacks & Schegloff, 1979; Sacks et al., 1974)، إذ كنا من السابقين إلى توجيه الدراسة اللسانية إلى الواقع الحي، فكانت مدونتهما مبنية على استعمالات أصلية. وكما تستفيد اللسانيات النصية من تحليل الخطاب والتداولية وتحليل المحادثات فإنها تستفيد من مفاهيم لسانيات التلطف كذلك، التي درست العناصر المقامية واستعمال الزمن. وعلى خلفية هذا، ترجع إشكالية هذا المقال إلى استجلاء الطريقة التي يجب اعتمادها في تحليل النصوص، وكيف تُنظم اللسانيات النصية ما تأخذه من العلوم والميادين، في مسائلها ومناهجها، من حيث الكيفية التي يمكن بها استغلال هذه المناهج والمسائل في بناء نموذج لتحليل النصوص. إذ إننا إذا ما تفحصنا مواقف اللسانيين المشتغلين على هذا العلم فيما يتعلق بالوظائف المناطة باللسانيات النصية، نجدنا متأثرة بالدراسات التي اشتغلت على نحو النص (رغم أن مسعى إيجاد نحو للنص تم تجاوزه وأُعتِفَ بعدم جدواه)، فتأثيره لا يزال ظاهرا، حيث لم تتخلص المناهج الحديثة من تسريبات مسائله التي بنت تصور هذا العلم، وهذا ما استدعا هذا البحث إلى إعادة الرجوع إلى هذه الإشكالية، من أجل الخروج بموقف فاصل فيه، وهذا من خلال نظرة نقدية تتبع الخط التطوري لهذا العلم، من خلال المحاولات التي ساهمت في بناءه، وباستقراء ما جاء في أعمال المشتغلين على هذا المجال قصد معرفة تشكل مسائله وأهدافه العلمية، في ضوء مقارنة تواصلية في التحليل تُعنى بطرق تبليغ النص. كما يسعى لأن يطرح مجموعة من الاقتراحات على ضوء ذلك، تهدف إلى إعادة النظر في طريقة عمل هذا العلم ترجع إلى ضرورة التمهيد لعملية تحليل النص بإعداد جهاز للتحليل، يسمح لنا بتكيفه على أي نص نواجهه.

1. تطور اللسانيات النصية: «اختلافات النشأة»

لفهم الحدود التي تعمل ضمنها اللسانيات النصية لا بد من الرجوع إلى بدايات هذا العلم، باستقراء الاهتمامات الأولى التي دعت إليه، والمسائل التي شغلت الباحثين حينها.

وليس الهدف هنا التأريخ لهذا العلم، وإنما يكفينا النظر في تطوره لنعرف كيف تشكلت حدوده ومسائله التي يهتم بها، فمن خلال التعرف على هذه الأعمال الأولى يمكن اكتشاف ملامحه ومهامه. وبالرغم من أن أوجينيو كوشيريو (Eugeniu Coşeriu) كان هو أول من أطلق عليه تسمية «اللسانيات النصية» إلا أنه يمكن تتبع أولى الأعمال في دراسة النص بألمانيا، فهي التي تميزت بزخم البحوث في اللسانيات النصية، فكانت بذلك رائدة في هذا العلم، لأجل هذا سأنطلق من هناك لفهم طبيعة الدراسة في هذا الميدان.

منذ 1955 استعمل كارل بوست (Karl Boost) في (Boost, 1955) مصطلح Satzgemeinschaft (بالمعنى الصّرف يعني مجموعة الجمل المشتركة أو المتحدة) درس من خلاله العلاقات الموجودة بين حزم الجمل فيما بينها بحيث تشكل وحدة أعلى، وذلك من خلال التكرار الإفرادي واستعمال الضمائر وغيرها. غير أن مساهمته توقفت عند هذا الحد، فهو لم يخرج عن الحدود البنوية في التحليل.

وقد ظهرت أولى الأعمال التي تنتمي إلى اللسانيات النصية بألمانيا منذ ستينات القرن الماضي، وصارت لها مع سنوات السبعينات مكانتها في التنظير وحتى في التعليم (Brinker, 1991). ومن خلال تتبع أعمال الرعيل الأول منهم؛ ك:أغريكولا (E. Agricola) وهايدولف (Heidolph) وإيزنبرغ (H. Isenberg)، وهارتمان (P. Hartmann) وغيرهم، يمكن أن نتعرف على أهم المسائل التي انشغل بها هذا العلم في أول ظهوره، وهي في الغالب ترجع إلى ما يتعلق بالمسائل الشكلية المتجاوزة للجملة، كدراسة الإحالات وما يتعلق بالاتساق الضميري وعلاقات الاستبدال والتكرار الإفرادي (Helbig, 2013)، كما لم تتورع هذه الأعمال من الاستفادة من أعمال براغ، خاصة النظرة الوظيفية للجملة (Functional sentence perspective) بدراسة العلاقات التي بين الموضوع والمحمول والتي سبق إلى دراستها اللساني الروماني دانيش (F. Daneš)¹، وكذا ما يتعلق بموضوعات النص كما قام به أغريكولا (Agricola, 1976)، وهذا ما انجرّ عنه محاولة توسيع قواعد النحو لبناء نحو خاص بالنص، إلا أن اللسانيات النصية الألمانية حتى مع بدايتها لم تتوقف عند المستويات الشكلية، بل تبنت مقاربة تواصلية تداولية في تناولها، فلم تهمل مستويات المقام، وأحوال المتلفظين، ولا الطبيعة التواصلية للنص²، دون أن ننسى مسألة تصنيف النصوص التي احتلت مكانة مركزية في أعمالهم³.

1 يُعد دانيش (František Daneš) أحد أبرز أعضاء حلقة براغ، وقد قام بتوسيع مفهوم الموضوع (Theme) وهو العنصر الذي نتحدث عنه؛ والمحمول (Rheme) وهو العنصر الذي يأتي بمعلومة جديدة، ليشمل النص دراسته بذلك العلاقات التي بين الجمل، مصنفاً التدرج النصي بحسبهما إلى ثلاثة أنواع يأتي عليها ترتيب النص. انظر للتفصيل في هذه المسألة مقالة المشهور: (Daneš, 1974)

2 نجد هذا ظاهراً في التصور الذي اشتغل عليه هارتمان، انظر على سبيل المثال: (Hartmann, 1971) Hartmann, P.: Texte als linguistisches Objekt. In: Beitrage zur Textlinguistik. Hrsg.W. D. STEMPEL. Miinchen 1971. S.9ff.

3 انظر بعض النماذج التي حاولت تصنيف النصوص عند الألمان في مقال غوليش: (Gulich, 1986)

وإذا كان ظهور اللسانيات النصية الألمانية بهذا الشكل، فإن نشأتها تختلف بفرنسا، التي تباينت خطية تطورها هناك عن تحليل الخطاب، باعتنائها بما هو لغوي في النص بالخصوص دون ما هو خارج-لغوي، وذلك قبل أن تقوم دراسات أخرى تدعو إلى تحرير النص من الحدود الشكلية واللغوية، وإقحام المستويات الخارجية فيه، وكان هذا بعد توجيه البحث إلى المقاربة التواصلية. وقد صرح بهذا ج. م. آدم (J. M. Adam, 2015a, p. 31)، عندما ذكر بأن اللسانيات النصية وتحليل الخطاب قد تطورا بشكل مستقل بعضها عن بعض، وأنهما لم يلتقيا سوى في أعمال دُني سلاكتا (Denis Slakta) الذي حاول الربط بين العلمين والجمع بينهما⁴.

وعلى غرار الميادين اللسانية الأخرى فقد تفرعت اللسانيات النصية إلى دلائيات النص وتداولية النص وتراكيبية النص وصوتيات النص⁵، فتعنى دلائيات النص بدراسة معنى النص وكيف يتشكل، في حين أن تداولية النص تبحث في السياقات الخارجية له، وتبحث تراكيبية النص عن الكيفية التي يعبر بها النص عن المعنى، أما صوتيات النص فتدرس كيف يتميّز النص صوتيا. هذه الفروع يمكن اعتبارها كأبعاد لميدان كبير يضمها يسمى بعلم النص، في حين تجتمع دلائيات النص وتراكيبية النص لتشكل نحو النص. ومما انتبه إليه فيفيغر (D. Viehweger) هو أن البحوث التي تنصوي تحت هذا العلم إنما تشترك فيه فقط باشتغالها على «النص» وإلا فهي تختلف من حيث منطلقاتها والنظرة اللسانية التي تعتمد عليها، وكذا من حيث مناهجها فيصعب بهذا القول أنها جميعا ينتمي إلى علم واحد (انظر: Viehweger, 1976, p. 196).

ولا يمكن الحديث عن اللسانيات النصية دون الإشارة إلى «النقطة التداولية التواصلية» في اللسانيات، التي شهدتها منذ 1970، حيث تحوّل اهتمام اللسانيين من نظام اللغة المجرد إلى التوجه نحو الوظيفة التواصلية للغة، ما نتج عنه ضم الظواهر الخارجية عن اللغة في التحليل، وهو ما ساعد على ظهور ميادين جديدة إضافة إلى اللسانيات النصية على غرار اللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسانية ونظرية أفعال الكلام، فمقارنة بالمناهج المجردة والاختزالية التي تتميز بها الدراسات الشكلية فإن المناهج التي تتبنى هذه النظرة التواصلية تسعى لدراسة اللغة في صورتها الطبيعية الحقيقية، بدلا من دراسة عيّنات مصنوعة من أجل أمثلة تعليمية.

كما أن النظرة إلى اللغة على أنها وسيلة تواصل دعا إلى دراسة النص بدلا من دراسة الجمل والكلمات معزولة، حيث يجعل هارتمان النص «الدليل اللساني الأصلي»⁶، بمعنى أنه مادة التحليل في اللسانيات بدل الجملة أو الملفوظ، وكأنه بهذا يعيد صياغة اللسانيات ككل ليحول توجهها إلى النص، وهنا نتحدث عن توجه نصي لللسانيات، وعلى صعيد آخر يقابلنا توجه آخر يجعل من اللسانيات النصية مجرد فرع من اللسانيات، يختص بدراسة مستوى جزئي منها، حيث ينطلق من الحد الذي تنتهي عنده التراكيبية، وهذا قريب من موقف بنفنيست،

Gülich, Elisabeth, 'Textsorten in Der Kommunikationspraxis', in Kommunikationstypologie : Handlungsmuster, Textsorten, Situationstypen : Jahrbuch 1985 Des Instituts Für Deutsche Sprache, by Werner Kallmeyer, Fakultät für Linguistik und Literaturwissenschaft, 1986.

4. يجعل ج. م. آدم طريقته. بناءً على هذا. امتدادا لأعمال سلاكتا، من خلال الربط بين ميدان اللسانيات النصية (على أن تكون متخصّصة من نحو النص)، وتحليل خطاب (على أن يتحرر من تحليل الخطاب الفرنسي)، حيث يجعل اللسانيات النصية ميدانا فرعيا عن ميدان أوسع يُعنى بتحليل الممارسات الخطابية.

5 ذكر هذه الفروع دريسلر، ومن أجل التوسع فيها انظر ما ذكره في: (Dressler, 2016, p. 4)

6 «Das originäre Sprache Zeichen» (Hartmann, 1971, p. 10)

عندما فرّق بين اللغة والخطاب (Benveniste, 1966, p. 130).

ورغم أن تحليل الخطاب واللسانيات النصية يشتركان في كثير من المسائل التي يشتغلان عليها إلا أن اللسانيات النصية بألمانيا لم يختلط بتحليل الخطاب، وذلك لأن تحليل الخطاب لم يظهر فيها إلا مؤخراً وهو إلى الآن لم يجد له التوسع الذي كان منتظراً منه إذا ما قارناه باللسانيات النصية، لذا نجد في الدراسات الألمانية أن أغلب المسائل المتعلقة بما هو مجاوز للجملة يدخل في اللسانيات النصية، وبسبب هذا يقابلنا في هذا العلم هناك توجهات ومسائل أثيرى مقارنة بغيرها، لأنها تفضل استعمال مصطلح نص (Text) على خطاب (Rede) أو (Diskourse) للتعبير عن الظواهر المجاوزة للجملة بصفة عامة، وهذا خلافاً لما هو سائد في الدراسات باللغة الإنجليزية التي تفضل استعمال مصطلح خطاب كما هو الأمر عند هاليداي وحسن (M. Halliday & R. Yule & Brown, 1976) (Halliday & Hasan, 1976) ويول وبراون (G. Yule & G. Brown) (Hassan, 1986)، وغيرهم. وذلك منذ هاريس (Z. S. Harris) في مقاله «Discourse Analysis» الذي نشره في (1952)⁷ (Harris, 1952)، ومقاله هذا يعدُّ أحد المقالات المؤسّسة لهذا العلم، وإن دعاه بتحليل الخطاب، فهو أقرب إلى اللسانيات النصية منه إلى تحليل الخطاب إذا احتكنا إلى صورتها التي هما عليها اليوم⁸، ولم يعتمد هاريس فيه منهجية مغايرة عن تلك التي كان معمولاً بها في تحليل الجمل في اللسانيات التوزيعية، فوحدات النص قائمة على أساس توزيعها فيه، وارتباط بعضها ببعض، فـ"تحليل الخطاب" الهاريسي يسعى إلى البحث عن توزيع وحدات نصية معينة مشابه لتسلسل الجمل المنسجم. إلا أن هذه المحاولة كانت غير كافية لدراسة النص، لأنها قصدت أن تُعمل مناهج التحليل التي طُوّرت من أجل تحليل المستويات الفونولوجية والمورفولوجية على مستوى النص، وهذا ما نتج عنه إهمال الجانب الدلالي والتداولي، مع أن النص في بنيته يختلف عن الطريقة التي تُبنى بها الجملة، لذا من الصعب اعتبار هاريس مؤسساً لهذا العلم كما ينبه إلى هذا دريسلر (W. Dressler, 1978, p. 3).

وإذا أردنا التعرف على حدود اللسانيات النصية والوظيفة المناطة بها لا بد أن نحدد المادة التي تعني بها في التحليل، فبهذا نستطيع تمييز هذا العلم عن غيره، ونسطر حدوده.

2. مادة التحليل في اللسانيات النصية : «النص»

يمكن التجزؤ بسهولة على نقل الإجماع بين اللسانيين المشتغلين على النص بأنه موضوع اللسانيات النصية، فيكفي بناؤه على هذا أن نحدد معنى النص لكي نتعرف على حدودها. وبالعودة مرة أخرى إلى الباحثين الألمان نجدهم يكادون يتفقون على أن النص سلسلة من الجمل المنسجمة (Brinker, 1973, p. 12)، ولكن المختلف فيه عندهم هو في تحديد هذا الانسجام، وبأي شيء يتعلق، وبمعنى آخر، ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر عليها سلسلة الجمل لنقول عنها بأنها منسجمة. وهذا ما تفتن إليه الألماني هلبيج (Gerhard Helbig, 2013) عندما أتى على مجموعة من التعريفات جمعاً ونقداً، فقام بتمييزها بحسب المناهج التي

7 Harris, Zellig, S, Discourse analyses, Language, Linguistic Society of America Vol. 28, No. 1, Jan. - Mar, 1952, 1952,

8 أو على الصورة التي هما عليها في أوروبا، حيث إن اللسانيات النصية لم تلق انتشاراً في الولايات المتحدة، ولم تزل مسائلها تدرس تحت مظلة تحليل الخطاب هناك.

يعتمدها أصحابها وكيف أثر توجههم في تحديدهم لمادة النص، الذي يعدّ موضوع التحليل في اللسانيات النصية، منها تعريفات تعتمد البنية السطحية مراعية لخطية النص⁹. أو تلك التي تركز على الجانب التراكبي والسمات النحوية وربطها بالعلاقات الدلالية والتداولية¹⁰. أو ما ركز منها على العلاقات الدلالية بالخصوص¹¹. كما أشار هلبينغ إلى تعريفات شاملة تسعى أن تغطي جوانب مختلف من النص التي تعمل في تشكيل النص¹². كل هذه التعريفات تحاول أن تنظر إلى النص من منطلق مقاربات متباينة، لذا لا يمكن الفصل في الخلاف فيها ما دام هناك خلاف في المنطلقات التي يعتمدها كل باحث، لذا أكتفي هنا بعرض الاختيار الذي أعتده هنا طلباً للاختصار، فالنص يتكون من مجموعة من الوحدات التي تنتمي إلى المستويات الدنيا بحيث تتركب لتكون وحدات وسيطة ومنها إلى وحدات كبرى، كما أن النص قد يكون منطوقاً أو مكتوباً، نثراً أو شعراً، حواراً أو مونولوجاً... الخ، فمفهومه يرجع إلى وحدته الدلالية والتواصلية، كما لا يمكننا الحديث عن نص مصنوع، فإذا ما أمكن للنحاة استحداث جمل مصنوعة الغرض منها التمثيل لقاعدة نحوية دون أن تنسب هذه الجملة إلى قائل معين، فالنص لا يمكن أن يكون كذلك، وإلا لم يسم هذا نصاً، فهذا فلا يدخل تحت هذا المسمى إلا ما كان له متلفظ معين، أنتج نصه في زمان ومكان معينين لجمهور معين. وإذا كانت هذه العناصر الخارجية مكوناً لا يمكن تصور أن يُبنى النص بدونها فلا يستقيم إذاً دراسته بمعزل عنها. كما يشترط في النص أن يكون وحدة دلالية، هذه الوحدة يمكن دراستها من خلال ماكروبنية الدلالية التي تسمح بتلخيص موضوعه¹³، أو عن طريق التشاكلات الدلالية بنتبع تكرار السيمات (اللفظات) في النص. مع اعتبار مجموعة من الآليات التي تسمح بالتعرف على ما يحقق النصية، ولا بد من التأكيد هنا على ضرورة اعتبار مكونات النص في النظر إلى النص، سواء ما كان منها سابقاً لعملية إنتاج النص أو مصاحباً له أو ما كان متأخراً عنه¹⁴.

وإذا ما تشكلت لدينا حدود النص يمكننا هنا أن نعرض إلى مجال اشتغال اللسانيات النصية، من خلال التعرف على المسائل التي تتناولها، والقضايا التي تقوم بتحليلها.

3. مجال التحليل النصي : «من الظواهر النصية إلى التواصل»

على شاكلة ما قام به هاريس في تحليله للخطاب عندما وسع مناهج اللسانيات التوزيعية لتشمل النص، قامت محاولات أخرى «توسيعية» لدراسة النص. وهي وإن ظهر فيما بعد محدوديتها في معالجة النص، إلا أن

9 كترينغ إيزنبرغ : «النص هو "سلسلة من الجمل" مرتبط بعضها ببعض عن طريق النص»، في: (Isenberg & Gegenwartssprache, 1968)

10 كترينغ فُوتشه : «النص عبارة عن مجموعة جمل مرتبة ذات معنى (دلاليات) وملام (تداولية) توجد بينها علاقات مع المعاني والوظائف، وهو بهذا وحدة لغوية كلية منظمة قائمة بذاتها نسبياً، تعكس حالة معقدة من الأمور في الوعي». في: (Pfütze, 1970, p. 7)

11 كترينغ أغريكولا : «النص عبارة عن تسلسل خطي للجمل اللغوية المرتبطة بمعان معينة ومرتبطة بطريقة معينة. فهو سلسلة من الجمل اللغوية، بعض عناصره مرتبطة نحويًا، ولكنها مرتبطة في جميع الحالات عن طريق التكافؤ الدلالي والصلات المنطقية العامة الضمنية» في: (Agricola, 1970)

12 كقولهم «النص عبارة عن تسلسل خطي للنصوص يقصدها المرسل أن تكون وحدة موضوعية ويتم تمييزها على أنها وحدة من خلال الإنتاج المستمر، كما يتم ربطه نحويًا و / أو عن طريق شبكة من المعادلات الدلالية الصريحة والروابط المنطقية الضمنية ووفقًا للقواعد غير اللغوية ليتم ترتيب التعامل مع الموضوع (انظر Goretzki et al, 1971, 165)» نقلًا عن: هلبينغ

13 انظر: قاسمي، عبد الحق، ماكروبنية النص، الخطوات المنهجية للتحليل، مجلة اللسانيات، ع.28، 2021.

14 للاستزادة انظر الفصل الثاني من كتاب أجناس النصوص.

تأثيرها بقي جليا، حيث أخذت اللسانيات النصية تعامل النص على أنه إما ظاهرة لغوية، أو في أفضل أحوالها على أنه ظاهرة مركبة لغوية ونفسانية واجتماعية وإدراكية... الخ إلا أن هذا لم يخرج في مجمله عن دراسة النصية¹⁵، أي بما يجب أن يتحقق في النص حتى يسمى نصا، وهي لا تتعدى في مبدئها أن تبحث في بناء النص. فقل ما نجد في هذه المحاولات دراسة النص من خلال وظيفته الأساسية التي أنشئ من أجلها؛ وهي كونه وسيلة للتواصل والتبليغ، بدراسة الآليات التي يحقق بها النص أهدافه، سواء كانت هذه الآليات لغوية أو غير لغوية، ولا بد من وقفة اصطلاحية هنا، حيث أستعمل التواصل وأقصد به دراسة اللغة في بيئتها التي أنتجت فيها (وضعية التواصل)، فلا نقوم بعزلها عن المشاركين في العملية التلفظية وزمن ومكان التلفظ¹⁶، أما التبليغ فأجعل له استعمالا خاصا، يرجع إلى دراسة اللغة من خلال وظيفة توصيل الرسالة أو الطريقة التي يبني بها المتلفظ النص (بناء المعنى) والطريقة التي يتلقاها بها المتلفظ المشارك ويفك تشفيره (إعادة البناء أو الفهم).

ما ذكرته من إهمال اللسانيات النصية لدراسة التبليغ (بالمعنى الذي وضّحته هنا) ينطبق على الأقل على الدراسات المنشورة تحت مسمى هذا العلم، إلا أن ما سبق عرضه من اختلاف تطور هذا العلم جغرافيا يجعلنا لا نكتفي في الأبحاث التي تدرس النص على ما جاء منها تحت مسمى اللسانيات النصية فقط، حيث نجد اهتماما بما يتعلق بتحليل النصوص وبالفهم في تحليل الخطاب كذلك.

أما بالنسبة للسانيات النصية فإنهم لم ينظروا إلى النصوص على أنها وسيلة للتعبير والتواصل، وإنما على أنها أبنية لسانية مشكلة من مجموعة من القواعد. فاللسانيات النصية تهتم فقط بمحتوى النص الناتج عن قواعد دلالية وتداولية، وتميل إلى الالتفات إلى الظروف التي تشكلت فيها أبنية النصوص، وذلك من مختلف المعارف والممارسات، فهي ترجع إلى دراسة ظواهر نصية وكيفية اشتغالها، قصد استخراج قواعد هذه الأبنية. ويمكن تمييز خمسة المجالات مركزية تتعرض إليها اللسانيات النصية، هي:

1. خصائص النصوص : ويدخل هنا ما يتعلق بمعايير النصية، ويتم فيها دراسة جودة النص من خلال الشروط التي يجب أن تتوفر فيه، والخصائص التي تكون فيه؛
2. تصنيف النصوص : بتقسيم النصوص إلى أصناف بحسب معايير مختلفة شكلية-خطاطية أو دلالية أو تداولية أو إدراكية¹⁷؛
3. وظائف النص : يتم فيها دراسة النصوص بحسب الوظائف التي تؤديها، كالوصف: ويدخل فيه وظائف ترجع إلى الإخبارية أو الواقعية أو الرمزية... الخ و كالمحاجة وفيها وظائف الإقناع والجدال أو السرد وفيها وظائف كالإخبار والخيال والرمزية والشعرية وغيرها¹⁸؛
4. بنية النص سواء من حيث تكوين بنيته الصغرى (الميكروبنية) : وترجع إلى دراسة الوحدات الدنيا من مفردات

15 انظر على سبيل المثال محاولات تحديد النصية في أعمال: (De Beaugrande & Dressler, 1981; Heinemann &) (Viehweger, 1991; Isenberg, 1976, p. 48)

16 يفصل في هذا غرهارد هالبيغ في (Helbig, 2013, pp. 13-147)

17 للتوسع أكثر في هذا الموضوع انظر الفصل الأول من كتاب: (قاسمي, 2020).

18 كان ((Werlich, 1975)) السبّاق إلى تناول وظائف النص، ويمكن إحقاق البحوث المتعلقة بالأفعال الكلامية الكلامية (الماكروأفعال الكلامية) بها.

وجمل وقضايا وملفوظات، ومن حيث بنيته الوسيطة (الميزوبنية): ويدرس فيها المتواليات، والسلاسل الجمالية المركبة كالمسائل والجواب والشرط وجوابه. ومن حيث تكوين البنية الكلية (الماكروبنية): يدرس فيه مخطط النص العام (المقدمة، العرض، الخاتمة) أو المعنى العام الذي يحمله النص¹⁹؛

5. آليات الاتساق النصي (وهو يتعلق بربط عناصر النص السطحية لغويا) والانسجام (ويتعلق بالمعارف المتبادلة بين المتلفظين المشاركين في مقام تفاعل معين)²⁰.

فإذا استقرنا ما ينشر اليوم تحت مسمى اللسانيات النصية نجده في غالبه لا يخرج عن هذه المجالات، فليس هناك فرق كبير بين المسائل الأولى التي ظهرت عند بداية التفكير في الظواهر النصية وبين ما نجده اليوم، مع اختلافات في المسائل التي صارت تحظى باعتراف أكبر، ومسائل أخرى أُلْتُقَتْ عنها إلى غيرها. وحتى عند من يعترف بضرورة تبني التوجه التواصل في تحليل النصوص (ك: هارتمان وإيزنبرغ وبرينكر وهايتمان وآدم وراستيه وغيرهم) فلا يزال انحصار اللسانيات النصية في دراسة الظواهر النصية، بدلا من دراسة التواصل الذي تقوم به النصوص بذاته وكيف تقوم بذلك، ثم هذا لا يعني أن دراسة بنية النصوص لا ينبغي الالتفات إليها وإنما الأصل فيها أن تكون ثانوية مقارنة بدراسة التواصل الذي تقوم به. فدراسة ما يتعلق بظواهر النص ومنها النصية، ليس إلا مرحلة من مراحل دراسة النص، كان ينبغي أن لا يتوقف عندها هذا العلم.

وإذا تقرر أن المناهج التوسيعية (أي تلك المناهج التي تعمل على توسيع مناهج تحليل الجملة لتطبّقها على النص) ينبغي تجاوزها لكونها لا تتماشى مع طبيعة النص التي تختلف عن طبيعة الوحدات الدنيا الأخرى، صار لزاما على اللسانيات النصية أن تراعي الطبيعة المعقدة والمركبة وغير المتجانسة التي في النصوص، بحيث يكون تحليلها قادرا على رصد الجوانب التي نريد كشفها من نصنا دون أن ندير ظهرنا لهذا التعقيد الذي هو من طبيعتها، وهذا ما سعت كثير من البحوث القيام به، منذ تبنيها للمقاربات التداولية.

أما تحليل الخطاب، ففي مناهجه ومقارباته اختلاف كبير، لاشتغال فنون كثيرة عليه، كاللسانيات والتاريخ وعلم الاجتماع والنفسانيات والأنثروبولوجيا وغيرها، بما يسمح له من جهة أن يكون علما متعدد المشارب وعابرا للتخصصات والياديين، ولكن بقيت هذه التخصصات كل واحدة منها تشتغل على حدة دون أن تشترك فيما بينها في مناهجها²¹، ورغم أن مشارب تحليل الخطاب يمتد إلى علوم متنوعة، إلا أن بدايته كانت مع التداوليين الأوائل (أوستين وسورل)، الذين وجهوا دراسة اللغة إلى الاستعمال، ومن بعدهم محاولات المفكرين فوكو (M. Foucault) وديريدا (J. Derida) اللذان اختلفا عما قام به أوستين بدراسة الخطاب ليس بصفته مادة لغوية وإنما بصفته ممارسة اجتماعية، وحملت إسهاماتهما الياديين غير اللسانية الأخرى بأن تعتمد الخطاب كمركز لأبحاثها ودراساتها، وأن تبحث عن الصلات التي بينه وبين الثقافة التي حدث فيها وكذا مستعمليه. ونشأت عن هذه التطورات مناهج متعددة لتحليل الخطاب، بما في ذلك تحليل السجلات والأجناس، وتحليل الخطاب النقدي،

19 لفهم الفرق بين الماكروبنية والميكروبنية طالع مقال (قاسمي، 2021).

20 المراجع المتعلقة بمسائل الاتساق والانسجام منتشرة حتى باللغة العربية، ويكفي هنا أن أحيل إلى (Yule & Brown, 1986); بن عروس، 2018)

21 انتهت إلى هذا بيني باورز في :

والنفسانيات الخطابية، وتحليل المحادثات، وعلم الاجتماع اللساني التفاعلي، وإثنوغرافيا الاتصال، والأسلوبية، وتحليل الخطاب الوسيط، وتحليل المدونات، والتحليل السردى، وتحليل الخطاب متعدد الوسائط، والتحليل النحوي والريطوريقي، وتحليل الحجاج، وغيرها، فبسبب انتشار مصطلح الخطاب بشكل أكبر في اللغة الإنجليزية، كما سبق أن نبهتُ إليه، فقد ضم هذا الميدان جل المجالات التي تجاوزت التحليل التراكبي، بحيث يصعب بعد هذا تشكيل تصور واحد لخصائص العلم الذي يجمعها، سوى كونها تتجاوز الجملة ولا تقف عند الشكل.

وعن طريق تتبع المناهج التي تقابلنا اليوم في اللسانيات النصية أو تلك التي نجدها في تحليل الخطاب، يمكن أن نتنبه إلى أنها تركز إما على مفاهيم إجرائية تدرس بناءها، وإما على خطوات منهجية تسمح بدراستها لبناء نماذج يعتمد عليها المحلل لتحليل النصوص. إلا أن الادعاء بأن نموذجاً ما يمكن تطبيقه على مختلف النصوص، مهما تنوعت واختلفت؛ فيه تجاوز وتجاوز كبيران. فالادعاء بأن نموذجاً واحداً قادر على تحليل نص قرآني ومقال أكاديمي وأغنية وخطبة سياسية ورواية رغم الاختلافات الكبيرة والجوهرية التي بين هذه الأنواع من النصوص من الصعب تصوره، إلا إذا كان تعميمياً، أو أخذ جزئية منه دون أن يقدم لنا تحليلاً كافياً للنص المعني بالتحليل.

فإذا توقفنا عند النصوص الدينية على سبيل التمثيل، فإنه عند تحليل نص ديني لا بد من مراعاة ضوابط تناولها علماء الدين في علوم أصول الفقه والتفسير إضافة إلى ضوابط لغوية أخرى، فنصوص القرآن لا بد من أجل تحليلها من مراعاة علوم اللغة (خاصة النحو والصرف والبلاغة) وأسباب النزول و معرفة المحكم والمتشابه ومن ذلك الناسخ والمنسوخ، والأمر نفسه بالنسبة لنصوص الكتاب المقدس الذي أقيمت حوله علوم تأويلية، وطُورت من أجله المناهج الهيرمينوطيقية والفيلولوجية، حيث تقتصر النماذج التي تم تطويرها في اللسانيات الحديثة لكثير من هذه الطرق والمفاهيم التي جاءت في هذه العلوم، فليس من المنطقي أن نطبق عليها نماذج لسانية طُورت من أجل تحليل نصوص مختلفة عنها في كثير من مكوناتها، وهي موجهة إلى لغة معينة (حيث إن اهتمام اللسانيين في غالبه مركز على النصوص الحديثة)، ثم حتى وإن جاز لبعض العناصر التي في نماذجهم أن تطبق على نصوص لم تُعد لأجلها، إلا أن هذا لا يعني أنها الأكثر ملاءمة لها، وكذلك الأمر بالنسبة لأجناس أخرى من النصوص التي لم تكن الركيزة الأولى عند إعداد نماذج التحليل.

4. نحو طريقة جديدة لتحليل النصوص: «مراحل التحليل»

فمن هذا يظهر المشكل في نماذج التحليل في الدراسات النصية والخطابية بأنها تعتمد على خطوات ثابتة يعتمد عليها المحلل في تحليله بتتبع هذه الخطوات، أو على مفاهيم عامة تقدم لنا نظرة لمظهر نصي يعبر عن جزء من النص، وهذا ما قد يجرنا إلى إغفال ما يُشكّل تميّزها، فقد تقرر بأن كل نص يختلف في كثير من مكوناته وخصائصه عن غيره، وبالتالي فإنه من أجل تقادي هذا، ولكي يكون تحليلنا كاشفاً عن خصائص النص، أقترح اعتماد ثلاث مراحل في التحليل:

- **المرحلة الأولى:** تتمثل في تحديد جنس النص، حيث سيسمح لنا معرفة جنسه من التعرف على المكونات التي يشترك فيها مع نصوص أخرى والمكونات التي تميزه عنها، فأجناس النصوص، على التصور الذي جاء في كتاب *أجناس النصوص* (قاسمي، 2020)، لا تقوم فقط بتمييز النصوص إلى أنواع، وإنما تهدف إلى تحليلها بحسب معايير ترجع إلى مكوناتها، فيكون بهذا جهازاً لوصف تميّز النصوص بعضها عن

بعض بدل قولبتها في أنماط نموذجية جامدة، وهو ما يسمح لنا عند تطبيقها، بالحصول على تحليل أولي للنصوص، يشمل مختلف جوانبه، سواء كانت لغوية أو خارج-لغوية، فيظهر من خلال معرفة جنس النص الخصائص التي يركز عليها المحلل، والمكونات النصية التي يجب عليه اعتمادها عند تحليله.

● **المرحلة الثانية :** تتمثل في بناء جهاز لتحليل بحسب النص المقصود، ومن خلال هذا تتميز المنهجية التي يدعو إليها هذا البحث عن النماذج الأخرى المنتشرة في اللسانيات النصية أو تحليل الخطاب، حيث تركزت هذه المرحلة على تحديد المعايير التي يجب على المحلل أن يعتمد عليها، فكل نص يختلف عن غيره بحسب الجنس الذي ينتمي إليه، فيقوم المحلل في هذه المرحلة بإعداد جهاز لتحليل نصه من خلال الخصائص التي يتميز بها، ليكون تحليله مراعيًا لما يميز نصه فلا يغفل خصائص مهمة في ذلك النص، فيكون هذا الجهاز ملائمًا للنص ومُعدًّا لأجله.

● **المرحلة الثالثة :** هي التحليل، وهنا من خلال الجهاز الذي تم إعداده في المرحلة الثانية يمكن للمحلل أن يقوم بدراسة نصه، ويستفيد هنا من الآليات والمفاهيم التي توفرها له اللسانيات النصية والعلوم المجاورة لها، فيعتمد منها ما يلائم نصه بحسب الجهاز الذي قام بإعداده.

وبهذا التصور، فبدلاً من إعداد نموذج يتبع منهجية تراعي خطوات جامدة ومحددة مسبقاً لتحليل أي نص، يسمح بناء هذه الأجهزة بتجاوز القصور الذي تعاني منه اللسانيات، حيث تضع في يد المحلل أداة تسمح له عند استعمالها بتجاوز التعقيدات التي تواجه فهم أي نص وتأويله. فيكون هذا العلم (أي: اللسانيات النصية) بمثابة علبة أدوات، يأخذ منها المحلل ما يحتاج بما يتماشى وخصائص نصه، فيمكن أن يستخدم اللساني والمحلل من هذه العلبة ما يحتاج إليه منها بما يلائم النص وبحسب جنسه وغرضه وغاياته، إذ لا يمكن الإقرار باختلاف النصوص وعدم تجانسها من جهة، والادعاء بأن طريقة واحدة كفيلة بتحليلها جميعاً.

وقد تناولت المرحلة الأولى في كتاب *أجناس النصوص*، وسأترك تفصيلات المرحلة الثالثة إلى بحوث لاحقة، أما هنا فسأركز الحديث، فيما تبقى من هذا البحث، على المرحلة الثانية أي على المعايير التي يجب أن يتبعها المحلل عند بنائه جهاز التحليل الخاص بنصه.

5. طريقة بناء أجهزة تحليل النصوص: «المعايير»

من أجل بناء الجهاز لا بد على المحلل أن يعتمد على مجموعة من المعايير تكون كالأركان، يمكن إرجاعها إلى أربعة معايير، يتعلق كل معيار بسؤال معين، تسمح له الإجابة عنه من بناء جهازه:

● الأول يرجع إلى مكونات النص: يتساءل المحلل في هذا المعيار : «ما هي المكونات الظاهرة في النص؟»؛

● والثاني إلى أجزاء النص: يسأل هنا عن «أي من وحدات النص سيلتزم في تحليله»؛

● أما الثالث فإلى علاقة النص بالنصوص الأخرى: ويتساءل فيه عن «ما هي علاقة هذا النص بنصوص أخرى؟ وهل يلزمه الرجوع إلى نصوص أخرى لكي يستطيع تحليل نصه؟»؛

● والأخير إلى أطراف التواصل: هنا على المحلل أن يجيب على سؤال : «ما مدى تدخل أطراف التواصل في تحليل النص؟».

وبقي الآن أن أبين صفة كل معيار منها، وكيف يُعمله في بناء جهازه.

أولاً. مكونات النص:

لقد اعتاد البنويون على التوقف عند الحدود اللغوية للتحليل، وكذا الوقوف عند دراسة بنية الجملة، على خلاف كينيث بايك (Kenneth L. Pike) الذي كان من الأوائل الذين خرجوا عن هذا التقليد، موسعا دراسته إلى النص وإلى النشاطات الإنسانية المصاحبة لعملية تلفظه، ولعل ذلك راجع إلى الخلفية الأنثروبولوجية التي ورثها عن أستاذه ساپير (Edward Sapir)، وما يهمننا هنا هو ما قام به في الفصل الثالث من كتابه (Language) (Pike, 1954, p. 73) حيث أخذ يصف بطريقة أنثروبولوجية قداسا دينيا (حضره في أكتوبر 1952)، فتناول فيه كل ما يتعلق بحصول هذا القداس منذ قدوم الحضور وترحيب رجال الكنيسة بهم، إلى التحاق الحضور بمقاعدهم وانتظارهم انطلاق الطقوس الدينية، إلى وصف الصلوات والأغاني الدينية والترانيم، واصفا كل ذلك بالتفصيل، وهو ما يدل على أن نظرة بايك للغة لا تقف عند الحد الملفوظ منها، ويدل على هذا أنه كان يجمع في أبحاثه بين اللغة والنشاطات الإنسانية والسياق الثقافي-الاجتماعي والإدراكي، فلا يمكن استيعاب المعنى الذي في النص دون تعقب كل العناصر التي عملت على تكوينه في الواقع، وإذا درس هو القداس الكنسي، فالأمر نفسه كذلك يمكن إسقاطه على خطبة الجمعة مثلا، فليس فقط الخطبة ما يحقق صلاة الجمعة، فإنها لو قيلت في غير مسجد أو في غير يوم جمعة أو من قبل شخص ليس له صفة إمام لما سميت خطبة جمعة، إذ يدخل فيها الموضوع الذي قيلت فيه (المسجد) والحضور (المصلون) والزمن (بعد الزوال)، كما أن المتلفظ لا بد له أن يحقق شروطا معينة بدوره، منها الحق في الكلام (صفة الإمام)، فكل هذا يدخل في تكوين النص، لذا كان لا بد من مراعاة كل هذه المكونات عند تحليل النص.

وإذا ما أقررنا بأن النص ليس مجرد تجمع من المفردات والجمل بل يدخل في تكوينه مكونات خارج-لغوية لا يمكن أن يتشكل النص بدونها، كان لا بد لنا إذا من تحديد المكونات التي تعنى بالتحليل في نصنا²²، وقد أرجعت هذه المكونات باعتبار محلها من التلفظ إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول. مكونات سابقة لعملية التلفظ : ويرجع إلى هذا القسم كل ما يدخل في بناء النص مما يتعلق بالمتلفظ أو المتلقي أو مقام التلفظ، ويدخل فيها عدة مكونات، أهمها المكون الثقافي الذي يقوم على مكونين تاريخي واجتماعي، فالنص عندما يتشكل فإنه يأخذ من عناصر اجتماعية وتاريخية تتعلق بالاختيارات التي سيقوم بها في بناء نصه، والذي تتبني عليه المكونات الأخرى قاطبة، ومن المكونات التي تسبق عملية التلفظ كذلك المكون النفساني، وهو يتعلق بالقدرة اللغوية التي يمتلكها المتلفظ والمخزون اللغوي الذي يكتسبه، ويدخل فيه مكون الحالة الذهنية الداخلية وهو يتعلق بالفكرة التي يريد أن يوصلها المتلفظ من خلال النص، ومن المكونات كذلك المكون المقامي وهو يُعنى بكل الظروف المحيطة بالنص سواء منها الظروف المباشرة أو غير المباشرة، ويدخل فيه مكون القناة، ويتعلق بالوسيلة التي يوصل بها النص، ومكون مجال التواصل وهو يتعلق بالمجال المعرفي الذي يُستعمل فيه النص، وكذا من المكونات السابقة للتلفظ أيضا مكون عقد التواصل ويتعلق بهوية

22 وقد تناولت هذا المفهوم (أعني مكونات النص) من قبل في كتاب أجناس النصوص وبنيت عليه معيار التصنيف النصي، للتوسع أكثر انظر: ص.ص. 162-174.

المتلفظ والمتلفظ المشارك.

القسم الثاني. مكونات مصاحبة لعملية التلفظ: ويتعلق بها عدة مكونات منها مكون الترتيب، ويتعلق بترتيب أطوار النص كما اختارها المتلفظ، بحيث نتعرف من خلالها على ترتيب عناصر النص، وكذا مكون الأسلوب، والذي يتعلق به عدة مكونات منها ما يتعلق بالمستوى المعجمي منها المكونات الموضوعاتية والتشاكل والحقول الدلالية، ومنها ما يتعلق بالمستوى الصوتي وعناصر من المستوى التراكيبى، ويدخل في المكون الأسلوبى كذلك المكون البلاغى ويندرج ضمنه ما يتعلق باستعمال البديع والبيان، ومن المكونات كذلك مكون الحذف الذي يرتبط بالإطناب أو الإيجاز في النص، أو في الأدب بالنهايات المفتوحة والمغلقة في القصص أو الروايات.

القسم الثالث. مكونات لاحقة لعملية التلفظ: وتتعلق بردة فعل المتلقي، ويمكن دراستها من خلال سلوكه وما يقوم به من أفعال وسلوكات تشاهد في مقام التكلم، وكذا من خلال ما سيقوله وتوجيهه للكلام.

فلا بد للساني عندما يريد بناء جهازه للتحليل أن يراعي خصائص وطبيعة المكونات النصية بحيث يكون جهازه مناسباً لما يريد أن يكشف عنه من خلالها. وذلك بأن يحدد المكونات التي تدخل في هذا التحليل، فيختار منها ما يتناسب مع نصه أو ما يريد أن يظهره فيه. ولأجل هذا، فعلى اللسانيات النصية أن تلتفت إلى كل هذه المكونات وأن تدرسها، ليكون في حوزة المحلل الآليات التي يعتمد عليها في بناء جهازه لتحليل النص، بحيث لا يترك أي مكون يساعد في عملية الفهم إلا وجد كيف يفعله. كما إنه للسانيات النصية أن تأخذ من الآليات التي درستها علوم مجاورة كالتداولية ونظرية التلفظ وتحليل المحادثات، بما يسمح لها أن تحلل كل ما يدخل في تكون النص.

الثاني. أجزاء النص:

من المسائل التي يجب مراعاتها كذلك عند إعداد جهاز تحليل النصوص هو تحديد أجزاء النص التي يشتغل عليها المحلل في تحليله، إذ إنه كما قد ينحصر اهتمام التحليل على بعض المكونات دون بعض بحسب هدف الدراسة، فلكذلك لا بد أن يُحدد من النص الوحدات الداخلة في تحليله، مع مراعاة طبيعة كل وحدة من حيث الخصائص التي يدرسها فيها. فكل وحدة من وحدات النص لها طريقتها في التحليل، فلا ندرس الوحدات الكبرى للنص كما ندرس الوحدات الدنيا له²³، فتستقل كل منها بآليات ووسائل خاصة، تبعا لطبيعتها ولطريقة تلقيها.

كما قد نجد أحيانا تداخلا بين أجزاء النص ومكوناته، وذلك لأننا قد نتناولهما من منظار وحدتين مختلفين من النص، إذ إن كثيرا من مكونات النص تتشكل في إطار هذه الوحدات :

فأول ما ننظر إليه في النص، سواء عند إنتاجه أو تلقيه، هو **المقام**، وهو يرجع إلى جميع العناصر الخارجية المكونة للنص، إذ لا يمكن فهم كثير من النصوص دون الرجوع إلى المقام الذي قيل فيه، فهو يكشف لنا عن كثير من العناصر المهمة، والتي لا يمكن فهم النص دونها. ندرس في المقام ما يتعلق بأحوال المتلفظين، وزمان ومكان التلفظ وذلك انطلاقا من واسمات الخطاب، مستفيدين في ذلك من نتائج لسانيات التلفظ.

في حين أن تحليل **الوحدات الكبرى**، والمقصود هنا النص الملفوظ ككل، أو الأجزاء الكبرى كالفصل أو الباب أو المقاطع الكبيرة، ويقوم تحليلها على استنباط المعنى العام لها، وذلك بحذف ما لا يراه المحلل أو المتلقي ضروريا

23 أستعمل هنا أجزاء النص بمعناها الشكلي الذي تظهر عليه في سطح النص، ووحدات النص بمعناها الوظيفي أي الزاوية التي ندرس هذه الأجزاء منها.

في المعنى، محتفظاً بالمعاني التي يراها تمثل ما هو مقصود من النص، مستعينا في هذا بمبدأ الملاءمة، بمعنى أنه لا يحتفظ بكل المعاني التي يجدها في النص، بل يبقى منها على ما يراه أساسياً وضرورياً، لأن ذاكرته لا يمكن أن تحتفظ بكل ما سمعه أو قرأه، فيضطر إلى اختيار المهم وحذف ما لا يراه مهماً، وهو عند ذلك كثيراً ما يضيف معاني أخرى ترجع إلى فهمه وتأويله لما تلقاه، سدا للفرج الموجودة فيه. ومن أهم من اهتم بهذا الجانب فان دايك في مفهومه للماكروبنية (Van Dijk & Kintsch, 1983, p. 47)، نجد هذا عندما نطلب من متلقٍ ما إعادة حكاية سمعها، فإنه يضيف فيها معانٍ جديدة ويحذف أخرى. ويختلف ما يحتفظ به من النص بين متلقٍ وآخر، فالأحداث المتصلة/المرتبطة بالشخصيات الرئيسية في قصة مثلاً يعتبرها القارئ أكثر أهمية ويتذكرها بشكل أفضل (Van Dijk & Kintsch, 1983, p. 47)، وكذا ما يرجع إلى قدرات الفهم، وإلى الاهتمامات التي يوجهها القارئ في النص الذي أمامه، فكلها يختلف تذكرها، بسبب الاختزال الذي يقوم به القارئ حين قراءته، إذ يقوم بحذف ما لا يرى فيه أهمية بالمقارنة مع ما يرى منه أهمية، لذا فبناء النص يحدث في ذهنه لا في النص بحد ذاته.

كما أن مفهوم الماكروبنية لا يتوقف تطبيقه عند الوحدات الكبرى فقط، بل طبقه فان دايك على الوحدات الوسيطة للنص كذلك، وترجع **الوحدات الوسيطة** إلى سلسلة الجمل التي تشكل متواليته، والتي تُعدُّ معلومات "معقدة"، وهي تتشكل في الكتابة على شكل "فقرات"، كما يرى أن «الفقرات والفصول الفرعية والفصول هي وحدات تركيبية رسمية تنتمي إلى الشكل، يمكن لها، ولكن ليس بالضرورة أن تتفق مع وحدات التركيب الدلالي المعنوي»²⁴ (بيتوفي، 2000، 222، p.)، وكذلك هو الأمر عند شارول الذي يجعل الفقرة وحدة لسانية كتابية تؤدي معنىً، بحيث يسهل التعرف عليها وتحديدها بعلامات الترقيم. كما يؤكد في نفس الصدد على أن عملية تقسيم النصوص والخطابات إلى أقسام إنما هي عملية ميتاخطابية (*activité métadiscursive*) عند من يستعملها، أي أنها تدل على معرفة واعية للغة الواصفة لدى المستعملين، يقومون بها من أجل تسهيل عملية إيصال الفهم (Charolles, 1988, p. 9). وعن أهمية "تفكير" النصوص، فإن تجزئة النصوص إلى فقرات تسهل وتبرمج القراءة للاحتفاظ بالمعلومات وربط بعضها ببعض في مراحل المعالجة والتحليل، بحيث أن المعلومات التي يتلقاها القارئ في النص يسهل عليه فهمها، لأنها ترتب النص بحسب المواضيع (Adam, 2015b, p. 2).

كما أن التحليل لا يتوقف عند الحدود "المعقدة" للنص، ويتخطاها إلى مستويات بسيطة، تتعلق بالسلاسل الجمالية البسيطة أو ما هو أدنى من ذلك، وهنا نتحدث عن **الوحدات الدنيا**، فهي دنيا باعتبار أن التحليل يكون تنازلياً فتكون بهذا الوحدات الكبرى وحدات عليا، وهي تقوم على تفكيك المعاني ودراستها في نواتها، حتى إذا حمل المفلوظ أو الجملة أكثر من معنى فكك إلى قضايا تحمل معنى مفرداً، ولكل وحدة من هذه الوحدات آلياتها في التحليل التي تختلف من جهة عن الوحدات الأعلى منها، ومن جهة أخرى عن بعضها البعض. فالمحلل قبل أن ينطلق في تحليله، لا بد أن يحدد المدى الذي يقف عنده في تحليله، فيختار من أجزاء النص ووحداته ما يريد أن يكشف عنه.

24 بيتوفي، جانوس، س.، اللغة وسلية مكتوبة: النص، في: الموسوعة اللغوية، تحرير: ن. ي. كولنج، ترجمة: محي الدين حميدي، وعبد الله الحميدان، نشر جامعة الملك سعود، الرياض، ب ط، 1999، ج. 1، ص. 222.

الثالث. علاقة النص بالنصوص الأخرى:

في كثير من الأحيان نحتاج إلى الرجوع إلى نصوص أخرى لكي نفهم النص الذي بين أيدينا، ومن خلال العلاقات التي نجدها بين نص ونصوص أخرى يمكن أن يحدد المحلل مدى حاجته إلى الرجوع إلى نصوص أخرى لتحليل نصه هذا، وهل هو في حاجة إلى الاعتماد على نصوص أحيل عليها فيه، أو لا يمكن تحليله إلا بالعودة إليها.

ويبين لنا مفهوم التناص أن النصوص المفردة والمستقلة لا مفك لها من أن ترتبط بنصوص أخرى، ففي الأدب يعني التناص أن أي نص أدبي يتكون من نصوص أخرى، ويظهر هذا من خلال الإشارات الصريحة أو الضمنية في النص إلى تلك النصوص، أو من خلال الاقتباسات أو عندما يقوم النص بتكرار أو تغيير الخصائص الشكلية للنصوص الأخرى أو عندما يأخذ من الإجراءات اللغوية الموجودة في ثقافته.

وقد استحدثت جوليا كريستيفا هذا المصطلح عند مناقشتها لمفهوم الحوارية عند باختين (باختين، 1986)، قامت كريستيفا بمراجعة وإعادة توجيه مفهوم باختين في مقالين مهمين لها، الأول *Le mot, le dialogue et le roman* (الكلمة والحوار والرواية) في (1966) والآخر *Le texte clos* (النص المغلق) في (1966-1967)²⁵. وقد اهتمت بكيفية بناء النص انطلاقاً من نصوص موجودة من قبل، من منطلق أن المؤلفين لا يبتدعون نصوصهم من تلقاء أنفسهم بل يجمعونها من نصوص موجودة مسبقاً. تقول:

«يتطابق المحور الأفقي (الموضوع-المتلقي) والمحور العمودي (النص-السياق) ليكشف حقيقة رئيسية: الكلمة (النص) عبارة عن تقاطع للكلمات (للنصوص) حيث يمكن أن نقرأ كلمة (نصاً) أخرى على الأقل. علاوة على ذلك، عند باختين، لم يتم تمييز هذين المحورين اللذين يسميهما الحوار والتناقض على التوالي. لكن هذا الافتقار إلى الدقة هو بالأحرى اكتشاف كان باختين أول من أدخله في النظرية الأدبية: أي نص مبني على شكل فسيفساء من الاقتباسات، أي نص هو امتصاص وتحويل لنص آخر. فبدلاً من مفهوم البيئاتية، نجعل مفهوم التناص.»²⁶ (Kristeva, 1969, pp. 145-146)

وهنا أستعمل التناص بمعناه الأعم، فيدخل فيه جميع الصور التي نجد فيها نصاً يحيل على آخر، حيث يميز روبرت ميولا بين أنواع من التناصات موزعة على ثلاثة أصناف: يتناول الصنف الأول نصوصاً توسط من خلالها مؤلفها (منتجها) لنصوص أخرى بشكل مباشر، فيدخل فيها المراجعات والترجمات والاقتباسات والمصادر، أم الصنف الثاني فيدخل فيه ما يدعوه بالتقاليد (Traditions) من خلال طرق غير مباشرة، ويجعل فيه الأجناس

25 أعيد نشر المقالين في (Kristeva, 1969)

26 l'axe horizontal (sujet-destinataire) et l'axe vertical (texte-contexte) coïncident pour dévoiler un fait majeur : le mot (le texte) est un croisement de mots (de textes) où on lit au moins un autre mot (texte). Chez Bakhtine d'ailleurs, ces deux axes, qu'il appelle respectivement dialogue et ambivalence, ne sont pas clairement distingués. Mais ce manque de rigueur est plutôt une découverte que Bakhtine est le premier à introduire dans la théorie littéraire : tout texte se construit comme une mosaïque de citations, tout texte est absorption et transformation d'un autre texte. À la place de la notion d'intersubjectivité s'installe celle d'intertextualité.

الأدبية، وكيف تأخذ النصوص ممّا سبقها في هذا الجانب. في حين يندرج في الصنف الثالث ما يأتي به الجمهور إلى النص وليس ما يضعه المؤلف، فهو يتناول تداول الخطابات الثقافية، ويدخل في هذا الصنف التماثلات (Paralogues) التي تحيل إلى نصوص أخرى اجتماعيا أو سياسيا أو دينيا (Miola, 2004, pp. 13-25)، فاعتماد التناص في التحليل يرجع إلى مدى ظهور هذا التناص، وما يريد أن يستخرج من نصه ذلك.

ومن أجل هذا فعلى المحلل أن ينظر في نصه ليحدد إذا ما كان نصه في حاجة إلى النظر في تناصه أم أنه يكتفي بالوقوف على ما جاء في هذا النص، ولا يعني وقوفه عليه أنه ليس له علاقة بنصوص أخرى، فالنص لا يوجد إلا من خلال علاقته بنصوص أخرى، إذ هو ليس مادة معزولة وإنما تركيب ثقافي من النصوص السابقة، فالنص المفرد (الذي يحلله) والنص الثقافي (الذي يجمع النصوص التي كونت نصه) كلاهما يتكون من نفس المادة النصية، ولا يمكن الفصل بينهما.

فيقوم في هذه المرحلة بتتبع النصوص التي سيرجع إليها في تحليله ولو مبدئياً، من خلال تحديد العناصر المشكلة (وفي أي مستوى أو إلى أي وحدة نصية تنتمي)، وكذا ماهي النصوص الخارجية التي يمكن أن يستعين بها لكشف هذا اللبس.

الرابع. أطراف التواصل :

إن اعتماد اللسانيات النصية على نظرية التلطف . التي أرسى قواعدها إميل بنفنيست (Émile Benvenist)، والذي انطلق من التفريق الشهير الذي أقامه سوسير بين اللغة والكلام . يعني أن الصورة التي يمكن أن تصدر عليها اللغة هو الاستعمال الحي الموجود في الواقع، فالنص لكي يُنتج لا بد له من قائل حقيقي ومتلقي حقيقي في مكان حقيقي، هذا يعني أن اللسانيات النصية لا تتعامل مع أمثلة مصنوعة لأغراض التمثيل لقاعدة ما كما نجد في النحو مثلاً، بل تحلل نصوصاً أصلية، ويعني كونها أصلية أن لها أصلاً ترجع إليه، يتمثل في قائل وزمان ومكان، وإذا تعلق الزمان والمكان بمقام التواصل الذي يعد أحد مكونات النص، ويبقى هنا على المحلل أن يحدد مدى اعتماده في تحليله على أطراف التواصل.

ويدخل في أطراف التواصل المتلطف، وهو الذي يقوم بعملية إنتاج النص، والمتلقي، وهو الذي يقوم بإعادة بناء النص ليفهمه ويبني ردة فعله بحسب هذا الفهم، ولما كان الهدف من النص هو تحقيق التواصل، فإن التواصل لا يتحقق إلا عندما يفك المتلقي شيفرة النص لذا سُمي هذا المتلقي متلطفًا مشاركا (مانغونو، 2008، p. 17)، لأنه يشارك المتلطف في بناء النص، فالأول يقوم بإنتاجه والآخر يقوم بفهمه.

كما تظهر آثار المتلطف والمتلطف المشارك في النص من خلال الإحالات الخارجية عن النص، والتي تؤديها عناصر اتساقية، تأتي على شكل ضمائر أو معجمات، وبقدر وجود هذه الإحالات بقدر ما يترسخ النص في المقام، ونعرف من خلالها المسافة التي بين هذا النص والمقام (انظر في مفهوم المسافة: Fossion & Laurent, 1981)، فنقول أن المسافة قريبة إذا أكثر من استعمال هذه الإحالات، سواء ما تعلق منها بأطراف التواصل أو تلك التي تدل على زمان ومكان التكلم، ونقول أنها بعيدة إذا ما قلَّ استعمالها في النص أو لم نجد لها أثراً، وبحسب قرب المسافة أو بعدها يفرق بنفنيست بين مستويين من التلطف، يسمي الأول خطاباً والآخر قصة

(Benveniste, 1966).

وعلى المحلل إذا أراد أن يدرس أي مستوى من مستويات التلفظ في النص أن يضم إلى جهازه دراسة مدى ظهور المشاركين في عملية التلفظ في النص، ويدرسهم هنا من خلال الإشارات التي جاءت في النص، والتي أحالت عليهما، فالمنطلق في تحديدهما هنا يكون النص، ومنه إلى المتلفظين المشاركين، إذ إن هذا النوع من الإشارات يسمى ذاتياً، ولا يمكن فهمه إلا من خلال الرجوع إلى مقام التواصل (قاسمي، 2019)، والنظر في الأشخاص التي تمت الإحالة إليهم، وهنا لو غيَّب عنا القائل أو المستمع لما تمكن من تحليل النص ومعرفة المراد بهذه الإحالات.

كما يضيف دراسة المتلفظ إلى جهازه إذا قصد دراسة حال صاحب النص، من فكره ومواقفه، لكي يتهيأ له الجمع بينها وبين ما جاء في النص، ورجوعه إلى المتلفظ هنا لا يقتصر فقط عند مقام التكلم، حيث قد يلزمنا النظر في سيرته، أو استدعاء التناص.

خلاصة:

حتى وإن اعترفت أكثر الدراسات اليوم أن المكون اللغوي ليس سوى جزء من النص، ولا يمكن الوقوف عليه، بقيت رغم ذلك اللسانيات النصية حبيسة النماذج التي سبقتها، والتي اشتهرت في تحليل الجملة، ورغم ما تعرضت له الدراسات المهمة بالبنية العميقة للنص أو خطاطته من الانتقاد والتشكيك في قدرتها على وصف النص، ما ترتب عنه محاولات من أجل الخروج عن الحدود الشكلية للنص إلى أعمال العناصر المقامية؛ إلا أنها بقيت منصبة على دراسة الظواهر النصية، ملقية اهتمامها على البنية النصية، وإن بصفة أوسع من محاولات نحو النص الأولى، أما التوجه الذي دعا إليه هذا البحث فهو صرف الدراسة إلى تحليل النص تحليلاً يشمل ظواهره اللغوية وغير اللغوية، بما يمكننا من تأويله وفهمه، فلا يقف عند حدود بنيته بل يشملها، ثم إذا كان تحليل الخطاب يعني بمدونة تتكون من عدة نصوص لدراسة ظاهرة ما، بحيث تكون النصوص المشكلة لمدونتها وسيلة إلى تأويل تلك الظاهرة، لا تزال اللسانيات تقنقدها علماً يؤول النص ويدرسه من كل جوانبه، يسمح لنا بتحليل نص من خلال منهجية علمية سليمة، إذ إن اهتمام البحوث المنضوية تحت مظلة اللسانيات النصية لا يتجه إلى هذا المسعى، فلعل هذا يفتح باباً إلى ميدان جديد يعنى بتحليل النصوص.

وإذا كان الهدف هو دراسة النصوص في تنوعها واختلافاتها، كان لزاماً على النموذج الذي نعتمده في التحليل أن يكون قابلاً للتكيف مع الاختلافات التي نقابلها مع النصوص، لذا اقترح هذا البحث أن يمهد لمرحلة تحليل النص بمرحلتين سابقتين، تتمثل الأولى في تحديد جنس النص، وهذا ما يسمح لنا بالتعرف على أهم الخصائص التي يتمتع بها النص، فيكون كالتحليل الأولي للنص، أما المرحلة الأخرى فتتمثل في بناء الجهاز الذي سنحلل النص بحسبه، وقد تعرّض هذا البحث إلى أربعة معايير من أجل بناء هذا الجهاز، يتعلق الأول بمكونات النص، حيث يحدد المحلل المكونات التي سيعتمدها في تحليلها، أما المعيار الثاني فيتعلق بوحدة النص، ويحدد النطاق الذي سيقف عنده في تحليله، وذلك لأن هذه الوحدات تختلف من حيث طريقة تحليلها، كما عليه أن يحدد مدى حاجته إلى استدعاء نصوص أخرى، وهو ما أشرت إليه في معيار التناص، أما المعيار الأخير فيتعلق بأطراف التواصل.

المراجع:

- Adam, J.-M. (2015a). *La linguistique textuelle* (3eme ed.). Armand Colin.
- Adam, J.-M. (2015b, March 31). Le paragraphe: Unité transphrastique et palier d'analyse textuelle., *UNILausanne*.
- Agricola, E. (1970). Textstruktur aus linguistischer Sicht. *Wissensch. Zeitschrift Der Padago- Gischen Hochschule Erfurt/Muhlhausen*, 2, 85–88.
- Agricola, E. (1976). Vom Text zum Thema. In F. DANE & D. Viehweger, *Probleme der Textgrammatik I. Als: Studia grammatic*. Akademie Verlag.
- Benveniste, É. (1966). *Problèmes de linguistique générale: Vol. Tome I*. Gallimard.
- Boost, K. (1955). *Neue Untersuchungen zum Wesen und zur Struktur des deutschen Satzes*.
- Brinker, K. (1973). *Zum Textbegriff in der heutigen Linguistik*.
- Brinker, K. (1991). *Aspekte der Textlinguistik* (Vol. 106). Olms.
- Bronckart, J.-P. (1996). *Activité langagière, textes et discours*. Delachaux et Niestlé.
- Charolles, M. (1988). Les palns d'organisation textuelle: Périodes, chaines, portées et séquences. *Pratique*, 5.
- Daneš, F. (1974). Functional sentence perspective and the organization of the text. *Papers on Functional Sentence Perspective*, 23, 106–128.
- De Beaugrande, R., & Dressler, W. U. (1981). *Einführung in die Textlinguistik*. Niemeyer.
- Dressler, W. U. (1978). *Textlinguistik Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft*.
- Dressler, W. U. (2016). *Einführung in die Textlinguistik*. Max Niemeyer Verlag.
- Fossion, A., & Laurent, J.-P. (1981). *Linguistique et pratique textuelles, Langues nouveaux, pratique nouvelles, pour les classe de langue française* (2nd ed.). Éditions Duculot.
- Gülich, E. (1986). Textsorten in der Kommunikationspraxis. In W. Kallmeyer, *Kommunikationstypologie: Handlungsmuster, Textsorten, Situationstypen: Jahrbuch 1985 des Instituts für deutsche Sprache*. Fakultät für Linguistik und Literaturwissenschaft.
- Halliday, M. A. K., & Hasan, R. (1976). *Cohesion in English*. Longman.
- Harris, Z. (1952). Discourse analyses. *Language, Linguistic Society of America*, 28(1).
- Hartmann, P. (1971). Texte als linguistisches Objekt. In S. WOLF-DIETER, *Beiträge zur Textlinguistik*. Fink.
- Heinemann, W., & Viehweger, D. (1991). *Textlinguistik. Eine Einführung*. Tübingen: Niemeyer.
- Helbig, G. (2013). *Entwicklung der Sprachwissenschaft seit 1970*. Springer-Verlag.
- Isenberg, H. (1976). Einige Grundbegriffe für eine linguistische Texttheorie. *Probleme Der Textgrammatik*.
- Isenberg, H., & Gegenwartssprache, A. S. G. der D. (1968). *Überlegungen zur Texttheorie*. Deutsche Akademie der Wissenschaften.
- Kristeva, J. (1969). *Séméiôtiké. Recherches pour une sémanalyse*. Seuil.
- Miola, R. S. (2004). *Seven types of intertextuality*. na.
- Pfütze, M. (1970). *Grundgedanken zu einer funktionalen Textlinguistik*. Müller.
- Pike, K. L. (1954). *Language in relation to a unified theory of the structure of human behavior*. Summer Institute of Linguistics.

- Powers, P. (2001). *The methodology of discourse analysis* (Issue 14). Jones & Bartlett Learning.
- Sacks, H., & Schegloff, E. A. (1979). Two preferences in the organization of reference to persons in conversation and their interaction. *Everyday Language: Studies in Ethnomethodology*. New York.
- Sacks, H., Schegloff, E. A., & Jefferson, G. (1974). A simplest systematics for the organization of turn-taking for conversation. *Language*, 50, 696–735. <https://doi.org/10.17323/1728-192X-2015-1-142-202>
- Van Dijk, T. A. (1995). On macrostructures, mental models, and other inventions: A brief personal history of the Kintsch-van Dijk theory. *Discourse Comprehension: Essays in Honor of Walter Kintsch*, 383–410.
- Van Dijk, T. A., & Kintsch, W. (1983). *Strategies of Discourse Comprehension*. Academic Press.
- Viehweger, D. (1976). Semantische Merkmale und Textstruktur. *F. Danes, F. y D. Viehweger (Hrsg.), Probleme Der Textgrammatik, Berlin, Akademie*, 195–206.
- Werlich, E. (1975). *Typologie der Texte: Entwurf eines textlinguistischen Modells zur Grundlegung einer Textgrammatik*. Quelle & Meyer.,
- Yule, G., & Brown, G. R. (1986). *Discourse analysis*. Cambridge University Press.
- باختين، م. (1986). شعرية دوستويفسكي (ج. ن. التكريتي، Trans). دار توبقال - دار الشروون الثقافية العامة.
- بن عروس، م. (2018). الإتساق والإنسجام في القرآن الكريم. نور حوران للدراسات والنشر والترجمة.
- بيتوفي، ج. س. (2000). اللغة وسيلة مكتوبة: النص. In م. ا. حميدي & ع. ا. الحميدان (Trans). الموسوعة اللغوية: Vol. 1. ج. جامعة الملك سعود.
- قاسمي، ع. ا. (2019). المنظّمات التعددية في النصوص الوصفية. نور للنشر.
- قاسمي، ع. ا. (2020). أجناس النصوص. كوكب العلوم.
- قاسمي، ع. ا. (2021). ماكروبنية النص—الخطوات المنهجية للتحليل. اللسانيات، 27(1)، 157–198.
- مانغونو، د. (2008). المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب (م. يحياتن، Trans). دار العربية للعلوم ناشرون - منشورات اختلاف.

الحكومة المحلية الكندية ومسألة حقوق الإنسان

مولاي نور الهدى¹

¹ جامعة قاصدي مرياح - كلية: الحقوق و العلوم السياسية - الجزائر

البريد الإلكتروني: Moulaynourelhouda61@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21125>

تاريخ القبول: 2021/10/23م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

تخضع حقوق الإنسان في الحكومات المحلية الكندية بشكل رئيسي للحماية بموجب قوانين حقوق الإنسان الفيدرالية والخاصة بالمقاطعات في السياقات الخاصة، وبموجب الميثاق الكندي للحقوق والحريات وقانون حقوق الإنسان الكندي، فمن نافذة القول إن الحكومات المحلية تحتل موقع الصدارة في حماية حقوق الإنسان على المستوى المحلي وهي الأكثر اعتماداً على التطورات والآليات على المستوى الوطني. فالقوانين والسياسات والإجراءات والآليات القائمة على المستوى الوطني هي مفتاح للتمتع بحقوق الإنسان في كل بلد، فما من الأهمية بمكان أن تكون حقوق الإنسان جزءاً من الأنظمة الدستورية والقانونية والوطنية بكل هذا في إطار إجراءات ملموسة تقوم بها الإدارة المحلية و المتمثلة أساساً في البلدية إذ يتعين على البلديات أن تمارس صلاحيتها وفقاً للقانون و هذا يعني أنها ملزمة باحترام حقوق الإنسان التي يكفلها القانون، كما أن السلطات المحلية ملزمة في إطار أداء وظائفها بمراعاة الحاجة إلى تعزيز الاندماج الاجتماعي إذ تعرف السلطات المحلية معرفة جيدة الاحتياجات اليومية للمواطنين و هي تتعامل يومياً مع قضايا حقوق الإنسان و بالتالي توجد صلة جلية و قوية بين حقوق الإنسان و الحكومة المحلية فالسلطات المحلية عند أداء وظائفها تتخذ القرارات المتعلقة خاصة بالتعليم و السكن و الصحة و البيئة و تنفيذ المبادرات الرامية إلى الاندماج الديمقراطي و تدابير الرعاية الاجتماعية و نظام العدالة المحلي، فإلى هي مجالات ترتبط ارتباطاً مباشراً بحقوق الإنسان، علاوة على ذلك تواجه الحكومة المحلية تحديات و صعوبات تصعب على الإدارة تلبية حاجات المواطنين و انتهاك حقوق الإنسان بالإضافة إلى خطر الممارسات التمييزية ضد من يتصور أنهم غريباء عن المجتمع المحلي و منع الطوائف الدينية، من هنا تولي السلطات المحلية اهتماماً خاصاً لتعزيز و حماية حقوق الإنسان كما ينبغي أن لا يغيب عن الأذهان أن الأثر الحقيقي لحقوق الإنسان يظهر على المستوى المحلي.

الكلمات المفتاحية: الحكومة المحلية، حقوق الإنسان، الحماية، البلدية، الإدارة، المواطن.

RESEARCH ARTICLE

CANADIAN LOCAL GOVERNMENT AND HUMANE
RIGHT ISSUE

1

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21125>

Published at 01/11/2021

Accepted at 23/10/2021

Abstract

Human rights in Canadian local governments are mainly protected under federal human rights laws specific to the provinces in special contexts, and under the Canadian Charter of Rights and Freedoms , and Canadian Human Rights Law , goes without saying that local governments occupy a position issued in the protection of human rights on The local level is the most dependent on developments and mechanisms at the national level. Existing laws, policies, procedures, and mechanisms at the national level are the key to the enjoyment of human rights in every country. It is of the utmost importance that human rights be part of the constitutional, legal and national systems, all of this within the framework of concrete actions by the local administration, mainly represented in the municipality. Municipalities must exercise their authority in accordance with the law, and this means that they are obligated to respect human rights guaranteed by the law, and that the local authorities are obligated, in the performance of their functions, to take into account the need to promote social inclusion, as the local authorities know a good knowledge of the needs Everyday for citizens, and it deals daily with human rights issues. Therefore, there is a clear and strong link between human rights and the local government. The local authorities, when performing their duties, take decisions related to education, housing, health and the environment and implement initiatives aimed at democratic integration and social welfare measures And the local justice system are areas that are directly related to human rights. Moreover, the local government faces challenges and difficulties that make it difficult for the administration to meet the needs of citizens and violate human rights in addition to the risk of discriminatory practices against those perceived to be strangers. The local community and the prevention of religious denominations , Hence, the local authorities pay special attention to the promotion and protection of human rights, and it should not be forgotten that the real impact of human rights appears at the local level.

Key Words: Local government , Human rights , Protection Municipal , Administration , Citizen

أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدراسة في معرفة الدور الذي تلعبه الحكومات المحلية الكندية الوطنية لحماية حقوق الإنسان في أعمال المبادئ المرتبطة بحقوق الإنسان على أرض الواقع وذلك بتقديم الخدمات العامة و تسيير شؤون المواطنين و تحسين وضعيتهم الاجتماعية و الاقتصادية و الصحية نظرا لما تتطوي عليه من علاقات فيما بينها وبين الأفراد من جهة وبينها وبين الدولة من جهة أخرى، كما تبرز أهمية الموضوع أيضا و بوجه أساسي في أهمية الآليات الحكومية الرامية لحماية و ترقية حقوق الإنسان و الدور الذي يمكن أن تلعبه .

أهداف الدراسة: تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

تحديد الإطار المفاهيمي للحكومة المحلية

تحليل السلوك الإداري و طبيعة العلاقة بين المواطن و الإدارة من حيث الرقابة الإدارية على تعزيز حقوق الإنسان

إبراز التحديات و العراقيل التي تواجه الحكومة الوطنية في حماية حقوق الإنسان فالصعوبات عديدة و تحديات عظيمة

البحث عن السبل القانونية الأنجع في ضمان قدر كافي لحماية حقوق الإنسان

تقييم دور الإدارة المحلية في تلبية حاجيات المواطنين

تحديد مواطن القوة و الضعف

الإشكالية الرئيسية للموضوع: إلى أي مدى يمكن القول بأن الحكومات المحلية الكندية تساهم بالفعل في حماية و ترقية حقوق الإنسان؟

المنهجية المعتمدة: اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي: من أجل تبسيط المفاهيم النظرية والتي تتمثل في التعريف بهذه الحكومات وكذا تشكيلها والخصوصيات التي تميزها و كذا دورها في حماية حقوق الإنسان محاور الدراسة:

المبحث الأول: ماهية الحكومة المحلية

المطلب 1: تعريف الحكم المحلي

المطلب 2: تشكيل و إدارة الحكم المحلي

المبحث الثاني: واقع ممارسة الحكومة المحلية في نهوض بالحقوق الإنسان

المطلب 1: آليات حقوق الإنسان على الصعيد المحلي

المطلب 2: التحديات التي تواجه الحكومة المحلية في حماية حقوق الإنسان

مقدمة

إن الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل و السلم في العالم، إذ أن تناسي حقوق الإنسان و ازدرائها قد أفضيا إلى أعمال همجية آذت الضمير الإنساني ، فكان غاية ما يرنو إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر فيه من الغزع ، من هنا كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان من التمرد و الاستبداد والظلم. تبعا

لذلك أكدت شعوب الأمم إيمانها بالحقوق الإنسان الأساسية و بكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية، وحزمت أمرها على أن تدفع بالرقي الاجتماعي قدماً وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح. إن إعمال حقوق الإنسان و تفعيله يبدأ أولاً على مستوى الحكومات المحلية فا من المهم توفير إطار قانوني ملائم للحكومة المحلية كون الحكومات المحلية تلعب دور بارزا في حماية حقوق الإنسان و تُشكّل الحقوق الأساسية و أساس المجتمع الديمقراطي الشامل الذي يُقدّر الكرامة الإنسانية، والمساواة و الحرية كما ينبغي أن ينص القانون بوضوح على التنظيم وصلاحيات و الوظائف و أن تحدد التشريعات الوطنية بوضوح مسؤوليات و صلاحيات السلطات الحكومية المركزية و المحلية في إطار علاقتها ببعضها البعض ، و عليه يعد نظام الحكم المحلي من أهم أساليب التنظيم الإداري في الدولة الحديثة ، فبالرغم من أنه لم يتبلور كالظاهرة قانونية إلا أنه كالظاهرة تاريخية عرفته الجماعات البشرية منذ القدم انطلاقاً من فكرة أن الإنسان ككائن اجتماعي لا تستقيم حياته دون وجود التنظيم أو الحد الأدنى منه ، و نتيجة للتغيرات الحاصلة في العالم بخطى متسارعة باتجاه تحول العالم إلى قرية كونية كبيرة لم يعد بمقدور المركزية الإدارية الصمود في وجه هذه التحولات ، ما لم يعجل بزيادة المشاركة الشعبية في إدارة الشؤون و المصالح المحلية، حيث ساهم ظهور و تطور الأفكار الديمقراطية في توجه الدول نحو تبني نظام الإدارة المحلية ، كما أن واقع السياسة في مناطق عديدة من العالم يؤكد أن نظام الحكم المحلي و ما يستخدم فيه من وسائل لحماية حقوق الإنسان ضروري ، ذلك أن القيم الإنسانية من العوامل الرئيسية لوجود القاعدة القانونية.

و إذا كان نظام الحكم في أي دولة ركناً أساسياً لقيام تلك الدولة و شرطاً ضرورياً للمحافظة على كيانها و سيادتها و وحدة أراضيها و ثروتها، فإن الحكم المحلي هو الركيزة الأقوى التي يستند عليها نظام الحكم نظراً لما يساهم به من دور فعال في حماية و ترقية حقوق الإنسان، و كون الإدارة قريبة من المواطن ، نابعة من صميم الشعب ، فا هذا القرب يضمن أكبر قدر من المعرفة بطبيعة ظروف و حاجات و آمال المواطنين و تطلعاتهم ، من هنا كان لزاماً على نظام الحكم المحلي أن يعزز انتماء الشعب و يهيئ لهم أفضل فرص العيش على جميع المستويات عن طريق الدور الحيوي الذي تلعبه الإدارة ، كل هذا في إطار الإدراك الواعي بحماية و ترقية حقوق الإنسان. بكل هذا تكتسي دراسة نظام الحكم المحلي و مسألة حقوق الإنسان أهمية بالغة تقتضي بنا إلى طرح الإشكالية التالية:

إلى أي مدى يمكن القول بأن الحكومات المحلية الكندية تساهم بالفعل في حماية و ترقية حقوق الإنسان؟

المبحث الأول: ماهية الحكومة المحلية

يعد الحكم المحلي الأصل و المنبع الذي استحدثت منه الدول الحديثة الممارسات الديمقراطية و مبدأ السيادة الشعبية ، إذ تعرف البلدان السائرة في طريق النمو سعياً حثيثاً لتبني هذا النظام، ذلك أن نظام الحكم المحلي ينسجم مع مبدأ الديمقراطية في مشاركة الشعب أو ممثليه في أمورهم و حل مشاكلهم، ففي الحكومة الديمقراطية يساهم الناخبون في شؤون الحكم العامة و في الحكم المحلي يساهمون في إدارة شؤون أنفسهم بأنفسهم ، كما تشمل الخدمات التي تقدمها السلطات المحلية على التربية و الثقافة و الصحة و الرفاهة الاجتماعية و صيانة نظام الصرف الصحي و تسيير شؤون المواطنين، فضلاً عن ذلك تحسين وضعيتهم

الاجتماعية و الاقتصادية و الصحية و هو ما يجسد إعمال المبادئ المرتبطة بحقوق الإنسان على أرض الواقع .

المطلب 1: تعريف الحكم المحلي

أثبتت التجربة أن من الصعب وضع تعريف عام و شامل للحكم المحلي دون توضيح ثلاث اتجاهات رئيسية حاولت توضيح ماهية الحكم المحلي ذلك ما يمكن الكشف عنه من خلال الاتجاهات التالية :

*الاتجاه الأول: وضع تعريف لإدارة المحلية استنادا إلى وظائف هذه الإدارة و بسبب تنوع و تعدد وظائفها و اختلافاتها من دولة إلى أخرى و اختلاف أنظمتها و توجهاتها الفكرية و السياسية صار من الصعب تعميم هذا التعريف.

*الاتجاه الثاني : نظر إلى أهداف الإدارة المحلية و هو أيضا يصعب تعميمه لأن أهداف الإدارة المحلية تختلف عبر الأزمنة.

*الاتجاه الثالث : نظر إلى جوهر الحكم المحلي و هيئته و المقصود بذلك الهيكل و الجهاز الإداري لهذا النظام الذي يتكون من مجالس محلية بالإضافة إلى الجهاز التنفيذي للخدمات المحلية و هما جوهر النظام المحلي.

من خلال هذه التوجهات نورد أهم تعريفات النظام المحلي :

عرف البريطانيون الحكم المحلي بأنه : حكم ذاتي يتعلق بنطاق الإدارة فقط دون التشريع , و هو تعريف يركز على المجال و النطاق المحلي و لكنه ليس تعريف شامل و ليس تعريفا فنيا دقيقا , فهو على الرغم من انطباقه على نظام الحكم المحلي السائد في الدول الموحدة لكنه لا ينطبق على الدول الفيدرالية كالولايات المتحدة الأمريكية و كندا .¹

هناك تعريف يبدو أكثر دلالة و تنويرا و المتمثل في أن الحكم المحلي هو المستوى الأدنى لإدارة العامة في دولة ما , و في الدول الموحدة عادة ما تشمل الحكومة المحلية المستوى الثاني أو الثالث للحكومة بينما تشكل في الدول الاتحادية المستوى الثالث أو الرابع أحيانا للحكومة.²

كما أن هناك إجماع من الفقهاء على أن الحكم المحلي هو تنازل الحكومة المركزية عن صلاحيات و اختصاصات واسعة للمجالس المحلية المنتخبة التي تتمتع بقدر أكبر من الاستقلالية في ممارسة اختصاصها مقارنة بالإدارة المحلية في ظل سيادة الدولة , و هو ما يزيد كفاءات الأداء الإداري في الدولة و سهولة اتخاذ القرار بعيدا عن السيطرة المركزية , و بما أن الإدارة المحلية تستمد قوتها و شرعيتها أساسا من المجتمع فإن دور الحكومة المركزية يقتصر على حماية الاحتياجات و الحقوق العامة بهدف تحقيق التوازن المنشود بين المصالح و الجهات المختلفة .³

¹ فرح ضياء حسين مبارك, الحكومات المحلية, الطبعة الثانية, المنشورات الجامعية , بغداد, 2013, ص 10.

² تقرير الأمم المتحدة, دور الحكومة المحلية في تعزيز و حماية حقوق الإنسان, اللجنة الاستشارية لمجلس حقوق الإنسان, 2015, ص3

³ ناجي عبد النور, دور الإدارة المحلية في تقديم الخدمات العامة, مجلة العلوم القانونية و الاقتصادية, العدد الرابع, الجزائر, 2012, ص153 .

و أقرب التعريفات إلى الصواب هو التعريف القائل : إن الحكم المحلي هو نوع من الحكومة التي تخدم مساحة صغيرة عن طريق ممارستها و السلطات المفوض بها و لها في إطار وحدات و أجهزة إدارية أيا كانت صورتها و على اختلاف مستوياتها الموجودة بالدولة.

و عليه إن الحكم المحلي هو أسلوب من أساليب التنظيم الإداري للدولة يقوم على فكرة توزيع السلطات و الواجبات بين الأجهزة المركزية و المحلية , و ذلك بغرض أن تتفرغ الأولى لرسم السياسات العامة للدولة و إدارة المرافق العامة عن طريق انتخاب هيئات من أهل الوحدات المحلية إما انتخاب يشمل أعضائها أو يشمل أكثرهم.⁴

من هنا نحدد أهم خصائص ومبررات و أهداف الحكم المحلي و التي هي بمثابة مرتكزات استخلصت من التعاريف السالفة :

خصائص الحكم المحلي :

* وجود قانون ينشأ بموجبه يحدد فيه الموارد, السلطات و الصلاحيات

* وجود رقعة جغرافية محددة المعالم و بها قدر من السكان

* وجود هيئة حاكمة منتخبة أو معينة أو كيلهما معنية بصنع السياسات

* وجود أجهزة تنفيذية معينة بتنفيذ السياسات العامة

* منح الشخصية المعنوية لهذه الأقسام كي تتمكن من ممارسة نشاطها المحلي

مبررات الأخذ بنظام الحكم المحلي :

تختلف مبررات الأخذ بنظام الحكم المحلي من دولة إلى أخرى إلا أن العوامل الأكثر إلحاحا هي تلك المتعلقة باتساع الرقعة الجغرافية للدولة و تعدد قومياتها أو أثناء عملية إعادة توحيد الدولة بعد تشتت أقاليمها أو استقلالها عن قوة مستعمرة , فا اعتماد نظام الحكم المحلي يجعل عملية التوحيد سهلة لأن الكيانات الجديدة تعودت على نوع من الاستقلالية في إدارة شؤونها و قد ترى في الانضمام إلى كيان سياسي جديد تهديد لتلك الاستقلالية و لذلك يعتبر نظام الإدارة المحلية شكلا يحافظ على الاستقلالية السياسية مع تحقيق الوحدة في آن واحد و هو ما طبق أثناء توحيد الولايات المتحدة الأمريكية و كثير من الدول الفيدرالية⁵

أهداف الحكم المحلي :

كفالة الحرية في المناطق المحلية لتفجير طاقات أفرادها لصالح الجماعة

إيجاد التنظيم المناسب و الملائم الذي يحقق فاعلية العمل الجماعي

توثيق تعاون الجهادين الشعبي و الحكومي في أداء الخدمات اللازمة ذات الصبغة المحلية

تقديم الخدمات و التنمية المحلية

إشراك المواطنين في السلطة

تشجيع المشاركة الشعبية و تنمية روح المسؤولية للمساهمة بفعالية في إدارة شؤونهم المحلية

⁴ فرح ضياء حسين مبارك, الحكومات المحلية, الطبعة الثانية, المنشورات الجامعية, بغداد, 2013, ص 20.

⁵ درواش نادية, الإدارة المحلية و عملية إدارة التنمية في الجزائر المعوقات و مقاربات الإصلاح, مذكرة ماستر, كلية الحقوق و العلوم السياسية, جامعة مولاي الطاهر, سعيدة, 2015, ص 112.

زيادة فعالية الإدارة في تقديم الخدمات بتكلفة أقل و بكفاءة أعلى⁶

المطلب الثاني : تشكيل و إدارة الحكم المحلي

يعد نظام الحكم المحلي في كندا من الأنظمة الإدارية العريقة , حيث تمتد جذوره إلى القرن الخامس للميلاد و هو في حقيقته سابق في نشأته على قيام الحكومة المركزية , إذ أن الإحاطة بجميع التفاصيل المتعلقة بتشكيل الإدارة المحلية يقتضي منا التطرق أولاً إلى التقسيم الإداري للوحدات الإدارية المحلية و من ثم بيان تكوين و إدارة المجالس المحلية⁷

أولاً : المقاطعات

تعد المقاطعات من أكبر و أقدم الوحدات الإدارية في نظام الحكم المحلي الكندي , حيث تمتد أصول نشأتها إلى مرحلة الأنجلوسكسوني⁸ ; إذ ينقسم الإقليم الكندي إلى عشر مقاطعات (ألبيرتا و برتيش كولومبيا و مانيتوبا و نيوبرونشفيك و نيوفاوندلاند و لا برادور و نوفا سكوتيا و أونتاريو و برينس إدوارد إيرلندا و كيبيك و ساسكتشوان) و ثلاثة أقاليم شمالية (أقاليم الشمال الغربي و نونافوت و يوكون) تتشكل كل مقاطعة من بلدية يشرف على تنظيمها دائرة تابعة للمقاطعة⁹

ثانياً : مجالس المقاطعات

تمثل هذه المجالس الهيئات الأساسية في نظام الحكم المحلي الكندي, إذ يتكون كل مجلس من رئيس و عدد من الأعضاء ينتخبون لمدة أربعة سنوات و يتم انتخاب رئيس المجلس و نائبه من بين أعضاء المجلس لمدة عام واحد فقط , و بالنسبة إلى عدد أعضاء مجالس المقاطعات فلا توجد نسبة ثابتة لعدددهم نظراً لاختلاف المقاطعات فيما بينها ,فضلاً عن اختلاف في التقسيمات الإدارية التي تتكون منها كل مقاطعة إلا أن عددهم يتراوح بين 60 و 100 عضواً يتجدد ثلثهم كل سنة عن طريق القرعة, تجرى الانتخابات لشغل المقاعد الخالية و لغرض تحقيق فكرة التجديد المستمر لأعضاء المجالس المحلية من خلال تزويدها بأعضاء جديدة مع السماح بإعادة ترشيح العضو الذي خرج بالقرعة لغرض انتخابه مجدداً. و في هذا الإطار تنص الفقرة الثالثة من المادة 21 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه (إن إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة، ويعبر عن هذه الإرادة بانتخابات نزيهة دورية تجري على أساس الاقتراع السري و على قدم المساواة بين الجميع أو حسب أي إجراء مماثل يضمن حرية التصويت)¹⁰.

ثالثاً : المدن البلدية

⁶ محمد محمود الطعامة, نظم الإدارة المحلية (المفهوم و الفلسفة و الأهداف), الملتقى العربي حول نظم الإدارة المحلية في الوطن العربي, صلاحة, عمان, 2018, أوت, 2003, ص, 9/8.

⁷ Dussault ,duerré, la responsabilité de l'administration canadienne et québécoise , revue les cahiers de droit ,numéro 2, université Laval , canada ;1970,p 15.

⁸ قادري نسيمه , محاضرات حول الإدارة المحلية , كلية الحقوق و العلوم السياسية , جامعة عبد الرحمان ميرة , بجاية , 2018/2019, ص 19.

⁹ تقرير الأمم المتحدة, قرار مجلس حقوق الإنسان حول كندا, الدورة الرابعة, جنيف, 2009, ص 2.

¹⁰ المرجع السابق, ص6.

هي وحدات إدارية تقع ضمن النطاق الجغرافي للمقاطعة و هي تتضمن في الواقع عددا من التجمعات السكانية , إذ تعتبر البلديات في كندا على حد التعبير المألوف من صنع المقاطعات , هكذا عرفت في الأدبيات الخاصة بالإدارة المحلية في كندا , تخضع البلديات دستوريا للسلطات القانونية للمقاطعات مما يعني أن كندا لديها أنظمة بلدية و مقاطعية متميزة تم إنشاؤها من قبل قانون المقاطعات و تشرف على تنظيمها دائرة تابعة للمقاطعات و تخضع المدن و البلديات الريفية للتشريع الإقليمي في عدة جوانب مثل البيئة و الإسكان و بعض قضايا إدماج المهاجرين , فالحكومة المحلية تعتمد على تحويلات من حكومات المقاطعات بما يشكل 15,6 % من إيراداتها.¹¹

و بالرغم من أن البلديات مقيدة بصورة كبيرة إلا أنها تعتبر مقاطعات مسؤولة عنها و هذا نظرا للعلاقة العضوية التي تربط بينها و خاصة في المدن الكبرى , و نجد أن الحكومة الفدرالية تعطي تقريبا 85 % من مجموع 308 عضو بالبرلمان إلى المقاطعات فيتم تقديم معظم البرامج الفدرالية من قبل البلديات و المقاطعات للحكومة الفدرالية في شكل تكاملي و تنافسي ;علاوة على ذلك تأخذ الهيئات المحلية في كندا تنظيما هرميا , فكما سبق الذكر نجد أن البلدية تأخذ حيزا كبيرا في هيأت الحكم المحلي , و هذا يعود إلى الخصوصية الكندية في الحكم المحلي , لكن البلدية ليست هي الهيئة المحلية الوحيدة التي تمثل الحكم المحلي إذ نجد أن المقاطعة تأخذ حيزا آخر و خاصة مقاطعة كيبك حيث دافعت الحكومات المحلية المتتالية لهذه المقاطعة بشدة عن السيطرة الإقليمية على الشؤون الإقليمية أمام المركزية.¹²

المبحث الثاني : واقع ممارسة الحكومة المحلية في نهوض بالحقوق الإنسان

إن حماية حقوق الإنسان في كندا مكفولة ضمن منظومة فكرية دستورية و قانونية , فالميثاق الكندي للحقوق و الحريات هو جزء من دستور الكندي يمثل إلى حد كبير وثيقة للحقوق المدنية و السياسية , و إلى جانب ذلك يضع سلطة التأويل والتفسير والتطبيق بيد المحاكم و يجعل المحكمة العليا هي المرجع الوحيد لهذا التأويل والتطبيق. وبالتالي فهو يمنح السلطة القضائية صلاحيات أكبر مما تملكه تحت القانون العام ويجعلها بمنأى عن نفوذ السلطة التنفيذية -الحكومة- والسلطة التشريعية -مجلس النواب- في ما يتعلق بضمان هذه الحقوق , كما يكفل هذا الميثاق لجميع الأفراد في كندا حرية الوجدان و الدين و حرية التفكير و المعتقد بما في ذلك حرية الصحافة , بالخلاف ذلك تواجه الحكومة المحلية تحديات و صعوبات تصعب على الإدارة تلبية حاجات المواطنين من هنا تولي السلطات المحلية اهتماما خاصا لتعزيز و حماية حقوق الإنسان.¹³

المطلب الأول: آليات حقوق الإنسان على الصعيد المحلي

تتطلب حماية حقوق الإنسان اعتماد آليات مستقلة , يمكن أن تتخذ هذه الآليات أشكالا شتى في مختلف المجتمعات المحلية يتأمن ذلك في أمثلة عديدة يمكن محاكاتها لإعمال حقوق الإنسان على الصعيد المحلي ;

¹¹ نجيب سويدي, إدارة سياسة الهجرة و علاقتها بصناعة القرار المحلي, دراسة مقارنة بين الولايات المتحدة الأمريكية و كندا, مذكرة ماجيستر, كلية العلوم السياسية, جامعة قاصدي مرياح, الجزائر, 2011, ص89.

¹² المرجع نفسه, ص90.

الأمم المتحدة, دور الحكومة المحلية في تعزيز و حماية حقوق الإنسان, التقرير النهائي للجنة الاستشارية لمجلس حقوق الإنسان, 2015, ص13.

مثل مكاتب أمناء المظالم و مجالس تلقي شكاوى المستهلكين و مجالس تشخيص إصابات المرضى و وكالات مكافحة التمييز و ما إلى ذلك كما يمكن أن تتنوع اختصاصات هذه الآليات تنوعا شديدا إذ يجب اعتبارها وسيلة من الوسائل العامة لضمان حقوق الإنسان و معالجة شكاوى المواطنين على المستوى المحلي نتيجة لذلك يبرز دور السلطات المحلية في مجال حماية حقوق الإنسان, و إذ أريد لهذه السلطات أن تؤدي وظائفها بفعالية فينبغي تزويدها بما يكفي من الموارد البشرية و المالية و إتاحة الوصول إليها , لجميع الأفراد في المناطق التي يقطنها.¹⁴

ينص الميثاق الكندي لحماية حقوق الإنسان على إنشاء مكاتب أمناء المظالم بوصفها آلية وقائية فضلا عن كونها وسيلة لتعزيز حقوق الإنسان على الصعيد المحلي و ترصد مكاتب أمناء المظالم الإدارات المحلية لضمان عدم انتهاك حقوق و المبادئ المنصوص عليها في الميثاق¹⁵ و لا توجد آليات لحماية حقوق الإنسان على الصعيد المحلي إلا في قلة من الدول, فقد أنشأت مدن عديدة في سويسرا مكاتب أمناء المظالم و في جمهورية كوريا أنشأت العديد من الحكومات المحلية لجانا لحقوق الإنسان , و في البوسنة أنشأت بعض الحكومات المحلية لجانا لحقوق الإنسان تعمل كهيئات استشارية تابعة للمجالس البلدية أما في كندا فقد تجسدت آليتها عن طريق سياسات و برامج حكومية¹⁶ فقد عملة الحكومة الاتحادية و حكومات المقاطعات و الأقاليم بشكل تعاوني و تكاملي معا لتعزيز و حماية حقوق الإنسان .

لقد فرض هذا السعي نحو الفعالية إلى منح الامتياز للحكومات لما تتمتع به من وسائل مادية و بشرية و قانونية تسمح لها بقيادة أنية و اتخاذ قرارات فورية لحماية و ترقية حقوق الإنسان.

يبرز كل هذا في :

أ/ الآليات العمومية

تتمثل هذه الآليات في الخدمات العمومية و الحريات الأساسية التي تمثل ضمان الصالح العام للمجتمع الكندي عن طريق الاستجابة لحاجات المواطنين , إذ أن تحسين الخدمة العمومية أصبح يشكل انشغالا بارزا للحكومة الكندية و هو ما جعل الإدارة المحلية ناجعة و شفافة بإرضاء المواطنين, فهي مطالبة بالعمل على تطوير و تحسين خدماتها , ويلاحظ أن نقص الحريات مقترن مباشرة بالفقر الاقتصادي الذي يسلب الناس حقهم في الحرية والحصول على حاجاتهم الأساسية, وفي أحيان أخرى يكون انتقاد الحريات مقترنا بضعف المرافق العامة والرعاية الاجتماعية, مثل برامج مكافحة الأوبئة, أو الرعاية الصحية والاجتماعية والتعليمية من هنا تنص المادة الثانية من الميثاق الكندي للحقوق و الحريات على أن لكل فرد الحق في الحريات الأساسية التالية :

أ/ حرية المعتقد و الدين

ب/ حرية الفكر و الإيمان و الرأي و التعبير بما في ذلك حرية الصحافة و غيرها من وسائل الاتصال

¹⁴ عواطف سماعلي, دور الحكومات المغاربية في حماية و ترقية حقوق الإنسان, أطروحة شهادة دكتوراه, كلية الحقوق و العلوم السياسية, جامعة الحاج لخضر باتنة, الجزائر, 2015, ص70.

¹⁵ Chart canadienne des droits libertés

¹⁶ محسن عوض, الدليل العربي لحقوق الإنسان و التنمية, الطبعة الأولى, المنظمة العربية لحقوق الإنسان, لبنان, 2005, ص275.

ج/ حرية التجمع السلمي و حرية تكوين الجمعيات

أولاً: الخدمات العمومية

-الرعاية الصحية: يتمتع جميع الكنديون المقيمون بإمكانية الحصول مجاناً على الخدمات الطبية الضرورية التي يقدمها أطباء المستشفيات و حكومات المقاطعات و الأقاليم مسؤولة عن تقديم خدمات الرعاية الصحية للغالبية العظمى من الكنديين و يتلقى نظام الرعاية الصحية في كندا التمويل بصفة رئيسية من الأموال العامة و يتكون من 13 خطة تأمين صحي متشابكة لمقاطعات و أقاليم و هي الخطط التي تشترك فيها الإدارة العامة .

-التعليم: تتحمل حكومات المقاطعات و الأقاليم المسؤولة عن معظم مجالات التعليم في كل مقاطعة و إقليم ،تشريعات و نظم قطاع التعليم بشكل عام و تنص على حقوق و مسؤوليات كل مقاطعة إذ أن الحصول على التعليم العام و المجاني مكفول للجميع في المستوى الابتدائي و الثانوي بالإضافة إلى العديد من برامج الدعم المالي على المستوى الاتحادي و على مستوى المقاطعة. و من تنص الفقرة الأولى من المادة 26 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه (لكل شخص الحق في التعلم، ويجب أن يكون التعليم في مراحله الأولى و الأساسية على الأقل بالمجان، وأنا يكون التعليم الأولي إلزامياً وينبغي أن يععم التعليم الفني والمهني، وأنا ييسر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة).¹⁷

-الإسكان : ثمة إطار واسع من التشريعات و السياسات و الممارسات التي تنظم الأنشطة المتصلة بالإسكان في كندا ، فقانون الإسكان الوطني يكلف الهيئة الكندية للرهن العقاري و الإسكان بالعمل على تعزيز القدرة على تحمل تكاليف المسكن و اختياره ، و توفير التمويل لإسكان بتكلفة منخفضة و انتعاش قطاع الإسكان ، و قد أبدع المجال القانوني نماذج عديدة أبرزها توفير التأمين على قروض الرهن العقاري للمقرضين في جميع أنحاء كندا و بضمان تسديد الفوائد و رأس المال في الوقت المناسب على أساس أوراق مالية مؤمنة برهانات عقارية و سندات عقارية كندية ، و من ثم ضمان مصدر ثابت لأموال مقتني المساكن الكنديين .

-المساواة: إن الأسس البنوية لحقوق الإنسان تترجم في مقام أول عن طريق أعمال مبدأ المساواة إذ إن الحق في المساواة و في الحماية من التمييز حقان أساسيان للنهوض بجميع أفراد المجتمع الكندي بالإضافة إلى الحماية الدستورية لحقوق المساواة المكفولة بموجب الميثاق الكندي لحقوق و الحريات ، فقد تنص المادة 15 منه على أنه (كل فرد متساوي أمام و بموجب القانون وله الحق في حماية قانونية متساوية و المساواة في الاستفادة من القانون دون تمييز، وعلى وجه الخصوص، دون تمييز على أساس العرق أو الأصل القومي أو الإثني أو اللون أو الدين أو الجنس أو السن أو الإعاقة الذهنية أو الجسدية) كما سنت الحكومة الاتحادية و حكومات المقاطعات و الأقاليم في كندا تشريعات متعلقة بحقوق الإنسان تحظر التمييز لاعتبارات عديدة منها العرق و الدين و اللون و الجنس و السن ، بإضافة إلى ذلك أولت المحاكم الكندية قوانين حقوق الإنسان بأحكام دستورية في إطار الارتقاء بالأهمية القانونية لحقوق الإنسان .

¹⁷ Will silver ,daniel trottier ,l'Evolution des droits de la personne au Canada ,commission canadienne des droits de la personne ,canada,2012,p185.

-**الاستحقاقات الاجتماعية** : إن البحث عن الفعالية في مجال حقوق الإنسان يتكيف أفضل مع الواقع الاجتماعي الذي بدأ أكثر تعقيدا , ذلك أن الحكومة الاتحادية و حكومات المقاطعات و الأقاليم تقر بأهمية الأمن الاجتماعي و رفاه جميع الكنديين و قد أتخذ في سبيل ذلك عدد من المبادرات المشتركة و المستقلة منها ما يلي :

الإعانات المتصلة بالأسرة .

تقديم برامج المساعدة الاجتماعية المتاحة في جميع أنحاء المقاطعات و الأقاليم .
إعانة ضريبة الدخل من العمل فا هي تمثل خصم ضريبي قابل لاسترداد يهدف إلى جعل عمل الكنديين ذوي الدخل المنخفض و المتوسط مجزيا بقدر أكبر.¹⁸

البرنامج الكندي للمعاشات التقاعدية في حالة الإعانة مصمم لتقديم مساعدة مالية للمساهمين في النظام الكندي للمعاشات التقاعدية ممن هم دون 65 عاما غير القادرين على العمل بين الإعانة الشديدة .
النظام الوطني لمنحة الأطفال هو مبادرة من الحكومة الاتحادية و حكومات المقاطعات إذ يشمل دعم الدخل و غيره من أشكال الدعم معا مثل الرعاية النهارية لأطفال و خدمات رعاية الطفولة المبكرة , و الإعانات الصحية التكميلية.

تنفيذ مقاطعتي نيوفاوندلاند و لا برادور نظاما جديدا للإعانات شاملة غير خاضعة للضرائب لفائدة الأسر الجديدة .

-**المشاركة الديمقراطية و الاجتماعية** : يكفل الميثاق الكندي للحقوق و الحريات حق المشاركة الفعالة في العملية الانتخابية لكل مواطن من مواطنين كندا , بما في ذلك الحق في التصويت في انتخابات أعضاء مجلس العموم الاتحادي و المجلس التشريعي للمقاطعة التي يسكنون فيها فضلا عن الحق في الترشح للانتخابات , و يخضع الحق في التصويت و الحق في الترشح لبعض القيود المعقولة تتعلق بالسن 18 عام و المهنة (لا يحق لقضاة المحكمة العليا مثل الترشح لانتخابات الاتحادية) إذ تنص المادة 3 من الميثاق على أنه (كل مواطن كندي له الحق في التصويت في انتخابات أعضاء مجلس العموم أو المجالس التشريعية ويُعتبر مؤهلاً لعضوية هذه المجالس).¹⁹

ثانيا: الحريات الأساسية

حرية الدين و المعتقد : إن حرية الدين و المعتقد في كندا تأخذ مغزى كاملا و مدولا مفيدا إذ هي حق يحميه الدستور، ما يسمح للمؤمنين بحرية التجمع والتعبير دون قيود أو تدخل. و منه تنص المادة الثانية في ميثاق الحقوق والحريات الكندي على ما يلي:

لكل فرد الحريات الأساسية التالية:

- حرية المعتقد والدين.
- حرية الفكر والمعتقد والرأي و التعبير، بما في ذلك حرية الصحافة وغيرها من وسائل الاتصال.

¹⁸ Emile grenier ,entre sécurité et droit de l'homme, mémoire de maitrise en droit international , université Québec à Montréal , Canada , 2010 ,P 35.

¹⁹ التقرير الوطني لمجلس حقوق الإنسان , كندا , الدورة الرابعة , جنيف 13 فبراير , 2009 , ص 10 .

- حرية التجمع السلمي.
- حرية تأسيس الجمعيات.

لذلك فإن الكنديين أحرار في معتقداتهم وآرائهم، ولهم الحرية في ممارسة الدين أو الامتناع عنه، ولهم الحرية في إنشاء منظمات إعلامية ذات محتوى ديني أو دونه، تستفيد المؤسسات الدينية الكندية عموماً من مركز المنظمات الخيرية، التي تتيح للداعمين الاستفادة من الإعفاءات الضريبية أو الخصومات المتعلقة بمساهماتهم المالية.

حرية التعبير: يوفر القانون الكندي صيغا متعددة و متفاوتة لحرية التعبير يأتي في مقدمتها نص المادة الثانية من الميثاق الكندي للحقوق و الحريات: ((لكل فرد الحريات الأساسية التالية: حرية المعتقد والدين.

حرية الفكر والمعتقد و الرأي و التعبير ، بما في ذلك حرية الصحافة وغيرها من وسائل الاتصال)).

و هذا ما يؤكد أن حرية التعبير حرية جوهرية و هو أمر لا يخلو من الصحة، فا في كندا تكون حرية التعبير محمية، ولكنها لا تكون مطلقة، فالقسم الأول من الميثاق يسمح للحكومة بتمرير القوانين التي تحد من حرية التعبير طالما أن تلك الحدود كانت معقولة ولها ما يبررها ، و إلى جانب هذا تعكس حرية التعبير ثقالة قانونية عالمية ذلك ما يمكن الكشف عنه من خلال نص المادة 19 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ((لكل شخص الحق في حرية الرأي و التعبير ، و يشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل ، و استقاء الأبناء و الأفكار و تلقيها و إذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقييد بالحدود الجغرافية))

حقوق المرأة : تعمل كندا على النهوض بحقوق المرأة و الوفاء بالتزامات الدولية مثل اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة ، و الالتزامات المحلية بتعميم المنظور الجنساني و قد تمكنت كندا باستخدام نهج المساواة من إحراز تقد كبير في إجراء تحليل جنساني على نطاق الحكومات ، بما في ذلك ، إجراء تحليل جنساني للتدابير المتخذة في إطار الميزانية الوطنية، علاوة على ذلك، تعمل الحكومات على تيسير مشاركة المرأة في سوق العمل حيث أحرزت المرأة في كندا تقدماً كبيراً في مجال العمل فقد بلغ معدل البطالة بين النساء الكنديات أدنى مستوى له في عام 2008 ، إلى جانب هذا تحرص كندا على تلقي المرأة للتعليم فقد سجلت النساء الكنديات أعلى معدل للتعليم بين نساء بلدان منظمة التعاون و التنمية في الميدان الاقتصادي و في عام 2011 بلغت نسبة النساء الحاصلات على مؤهلات جامعية كندية 59,7 في المائة ، كما أسهمت كندا في اتخاذ تدابير على مستوى المقاطعات للتصدي العنف ضد المرأة ،يشمل ذلك إستراتيجية ساسكتشوان لوقف العنف و الإساءة ، خطة عمل كيبك المتعلقة بالاعتداء الجنسي ، و قد أنشأت حكومة أونتاريو مجلساً استشارياً معنياً بالعنف و الغرض منه هو الحد من حالات الخوف و المعاناة في قضايا العنف الناشئ عن علاقات تنطوي على مخاطر شديدة ، و الحيلولة دونها من خلال رد متكامل في إطار نظام العدالة الجنائية .

ب/ الآليات القضائية

إن حقوق الإنسان كفلتها أسس قانونية و عززتها الممارسة الفعلية ، يتأكد ذلك في السلطة القضائية الكندية فالنظام القضائي الكندي يتكوّن في المقام الأول من محاكم دنيا مخولة بنص القانون باختصاصات محددة،

ومحاكم عليا ذات اختصاص ذاتي تنظر في مسائل لا تدخل في اختصاص تنفرد به محاكم أخرى . وتراجع المحكمة الاتحادية لكندا قرارات المجالس واللجان والهيئات القضائية الاتحادية . تتمثل هذه الآليات في دور المحاكم الكندية في حماية حقوق الإنسان , إذ توجد في كندا خدمات قضائية على مستويات الإتحاد و المقاطعات كما تتمتع بقدر كبير من الاستقلالية في عمليتها فيما يخص اتخاذ القرارات التي تتعلق بالتحقيق في أنشطة جنائية و سير التحقيقات²⁰

-**دور المحاكم الكندية:** تتمتع المحاكم الكندية بالاستقلالية عن الفرعين الحكوميين المتمثلين في الجهاز التنفيذي (البرامج والسياسات) والجهاز التشريعي (القوانين والنظم). ويتمتع فرادى القضاة بأمن الوظيفة والراتب. إذ تختص المحاكم الكندية في البت في الادعاءات بأن قوانين أو سياسات أو ممارسات من جميع المستويات الحكومية أو أفعال موظفيها تنتهك حقوق الإنسان، ومراجعة قرارات المجالس واللجان والهيئات القضائية الإدارية لضمان عدم مخالفتها تشريعات حقوق الإنسان يتأني ذلك بكيفيات متباينة .

-**إمكانية اللجوء إلى القضاء :** تنص المادة 8 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أن (لكل شخص الحق في أن يلجئ إلى المحاكم الوطنية لإنصافه عن أعمال فيها اعتداء على الحقوق الأساسية التي يمنحها له القانون) فإن إتاحة إمكانية اللجوء إلى القضاء جانب مهم من جوانب حماية حقوق الإنسان و قد جرى تعزيز هذه الإمكانية في كندا باتخاذ عدد من التدابير التي نص عليها النظام القانوني الكندي, بما في ذلك سبيل الإنصاف عن طريق المحاكم و لجان حقوق الإنسان و المحاكم الإدارية المعنية بانتهاكات حقوق الإنسان و زيادة الوعي العام بحقوق الإنسان , و أعمال برامج المساعدة القانونية كفيل بتعزيز قدرة الأفراد على طلب حماية حقوقهم عن طريق النظام القانوني الكندي إذ يلجأ إلى حملات التوعية من خلال الملصقات و المنشورات و غيرها من المطبوعات و مراكز الاتصال و مواقع الانترنت على المستوى الاتحادي و مستوى المقاطعات معا لنشر معلومات عن القوانين المحلية و الدولية التي تحكم حقوق الأشخاص في كندا.²¹

-**الخدمات الإصلاحية :** تساهم وكالات إدارة الخدمات الإصلاحية في الحفاظ على مجتمع يسوده العدل و السلام و الأمن و ذلك بتنفيذ الأحكام عن طريق احتجاز و مراقبة الجناة بصورة آمنة و إنسانية و المساعدة على إعادة تأهيلهم و إدماجهم في المجتمع كمواطنين متقيدين بالقانون من خلال إتاحة برامج في المرافق الإصلاحية و في المجتمع , كما توجد آليات مستقلة للمراقبة تحقق في الشكاوى التي يقدمها أفراد الجناة و تقدم حلولاً بشأنها , يحقق فيها أمناء المظالم في المقاطعات و يقدمون توصيات على شكاوى الأفراد, و منه تنص المادة 11 من الميثاق الكندي للحقوق و الحريات على أنه (أي شخص مرتكب جريمة له الحق في :

أ) أن يبلغ بجريمته بالتحديد من دون تأخير غير مبرر .

ب أن يحاكم خلال مدة معقولة.

ج) أن لا يجبر على أن يكون شاهداً في إجراءات ضد أشخاص آخرين لهم علاقة بالجريمة

²⁰ Gérald armand beaudoin ,le Canada et la déclaration universelle des droit de l'homme , revue québécoise de droit international , numéro2, Canada, 1998, P55 .

²¹ Bastarache , les charte canadienne des droit et libertés, revue les cahiers de droit, numéro 4 , université Laval , Canada , 2007, P195 .

(د) أن تفرض براءته حتى تثبت إدانته وفقاً للقانون في محاكمة عادلة وعلنية أمام محكمة مستقلة ومحيدة.

(هـ) أن لا يمنع عنه الإفراج بكفالة معقولة دون سبب عادل؛ و أن يخضع لمحاكمة بنظام هيئة محلفين عندما تكون عقوبة الجريمة القصوى هي السجن لمدة خمس سنوات أو أشد، باستثناء حالة جريمة تقاضى أمام محكمة عسكرية بموجب القانون العسكري.

(ز) أن لا يعتبر مذنباً بارتكاب أي عمل أو إهمال ما إلا إذا كان هذا العمل أو الإهمال في وقت ارتكابه يشكل جرماً بمقتضى القوانين الكندية أو الدولية أو كان عملاً إجرامياً طبقاً للمبادئ العامة للقانون المعترف بها من قبل المجتمع الدولي.

(ح) أن لا تعاد محاكمته مرة ثانية إذا برء من الجريمة، وأن لا يحاكم أو يعاقب مرة ثانية إذا ما وجد مذنباً و عوقب على جرمه.

(ط) أن يستفيد من العقوبة الأقل إذا وجد مذنباً بارتكاب جريمة وكان العقاب على الجرم مختلفاً بين وقت الارتكاب ووقت الحكم.²²

-بطلان مفعول وأثر أي قانون لا ينسجم مع الدستور: ينص الدستور الكندي صراحةً على بطلان مفعول وأثر أي قانون لا ينسجم مع الدستور، متيحاً بذلك للمحاكم الكندية إبطال قوانين اعتُبرت مخالفة للميثاق. وبالإضافة إلى ذلك، يتضمن الدستور حكماً عاماً عن الجبر يتيح للمحاكم الكندية أن تقضي بالجبر على انتهاكات حقوق الأفراد المنصوص عليها في الميثاق. ففي قرار صدر مؤخراً (في قضية Hape. v. R)، أكدت المحكمة العليا لكندا على أهمية مراعاة التزامات كندا الدولية في مجال حقوق الإنسان لدى تفسير كل من القانون التشريعي المحلي والميثاق.

-حقوق الإنسان والأمن القومي: لقد صيغت كندا قوانين تحكم العلاقة بين الأمن وحقوق الإنسان بحيث تكون منسجمة مع الالتزامات الدولية التي قطعتها كندا على نفسها في مجال حقوق الإنسان ومع الميثاق الكندي للحقوق والحريات وتُتيح هذه القوانين أيضاً تنفيذ التزامات كندا الدولية المتعلقة بمكافحة الإرهاب. وقد سُنّت القوانين الأمنية الكندية في إطار القانون العادي وهي خاضعة لسلطة المحاكم الكندية التي يمكنها أن تبطل مفعول وأثر أي تشريع لا يلبي متطلبات الميثاق ويعد قانون مكافحة الإرهاب أحد العناصر الرئيسية في التشريع الكندي المتعلق بالأمن القومي إذ اعترض على عدة جوانب من هذا القانون منذ سنّته ولكن ظل يُنظر إليه عموماً على أنه منسجم مع الميثاق ويشتمل قانون مكافحة الإرهاب على الضمانات التالية:

أ/ التعريف العام "النشاط الإرهابي" يقتضي استيفاء عناصر تتعلق بالنية والغرض، ويستثني صراحة "المناصرة أو الاحتجاج أو الاختلاف أو التوقف عن العمل" (عندما لا يُقصد منها التسبب في إحداث أشكال وخيمة من الأضرار المحددة) ويتضمن فقرة تفسيرية لضمان حماية حرية التعبير.

ب/ المراجعة القضائية، والاستئناف، وآليات المراقبة القضائية المدرجة في الأحكام المتعلقة بوضع قوائم بأسماء الإرهابيين المشتبه فيهم ووضع اليد على الأملاك وتقييد التمتع بها ومصادرتها.

²²التقرير الوطني لمجلس حقوق الإنسان، (كندا)، الدورة الرابعة، جنيف، 13، فبراير، 2009، ص12.

ج /تطلب المادة ١٤٥ من قانون مكافحة الإرهاب من البرلمان إجراء "مراجعة شاملة لأحكام القانون والعمليات التي ينص عليها" في غضون ثلاث سنوات من تاريخ حصول القانون على الموافقة ,وقد فُرج من هذه المراجعة، التي قامت بها لجان منفصلة لمجلس العموم ومجلس الشيوخ، في مطلع عام ٢٠٠٧.

من خلال ما تقدم يتضح أنه , و لئن ضلت مختلف هذه الآليات تتأرجح بين العمومية و القضائية , فإن ذلك لم يصبح هو المهم , إذ ما تم استحداث آليات جديدة على الصعيد المحلي فإن المهم هو استقرار تكريس و فعالية هذه الآليات بشكل يخدم حقوق الإنسان, إذ أن إعداد القواعد القانونية هو تعبير عن إنتاج الوسائل الضرورية لإعمال حقوق الإنسان, و إنشاء المؤسسات فيه تمكين للمجتمع من الآليات التي تصونه, و في هذا صيانة ثبات و استمرار للمجتمع الإنساني.

المطلب الثاني : التحديات التي تواجه الحكومة المحلية في حماية حقوق الإنسان

تواجه الحكومة المحلية الكندية العديد من التحديات و المشاكل و أوجه القصور التي أدت إلى تأخير تفعيل عمل المجالس المحلية و عرقلتها عن أداء الدور المنوط بها في مجال تعزيز حقوق الإنسان, هذا ما جعل الحكومة المحلية الكندية تعمل على تعزيز حقوق الإنسان بمسؤولية و حرص , إذ أنها تتغاضى عن صغائر المعوقات و ترتقي بالمسؤولية و التصرف العقلاني , ذلك ما يمكن الكشف عنه من خلال واقعها في مجالات عديدة منها السياسية و الاقتصادية و الإدارية.²³

يظهر التحدي الأول الذي يصد الحكومات المحلية عن إعمال و تعزيز حقوق الإنسان في القدرات البشرية , أهم مورد لنظام الحكم المحلي إذ أن نجاح هذا النظام يتوقف بدرجة أساسية على القدرات و المهارات التي يمتلكها المسؤولون و الموظفون في وحدات الحكم المحلي و م ثم نؤكد على ضرورة توجيه المزيد من الإمكانيات المالية و الجهود الإدارية و الفنية نحو تعزيز نظام الموارد البشرية , إذ أن أهم العوامل التي أضعفت الجهود المبذولة من قبل أجهزة السلطة المحلية في المرحلة السابقة عدم تنمية القدرات البشرية ; حيث أثبت التطبيق العملي ضرورة إعادة رؤية إستراتيجية لبناء القدرات البشرية بالصورة التي تساهم في تحقيق أهداف التنمية المحلية بكفاءة و فعالية ,و مما تقدم يتضح بان عملية الانتقال إلى نظام الحكم المحلي يستوجب تنمية الموارد البشرية كونها تمثل الضمانة الأكيدة و السليمة لتفعيل الدور التنموي للسلطة المحلية.²⁴

و يمثل التحدي الثاني في قلة التنسيق بين الحكومات الاتحادية و الفيدرالية و من المشاكل المطروحة أيضا مشكلة القوانين المتعلقة بتقاسم الاختصاصات المتمسمة بالتعقيد و الغموض و استعصاء الوصول إليها و التقسيم الواضح للسلطات بين مختلف المستويات الحكومة شرط مسبق لإقرار المساءلة و هو بتالي شرط مسبق لإعمال حقوق الإنسان و يجب أن يصبح من البديهي أن كل سلطة أسندت إليها صلاحيات عامة هي

²³Pearl eliadis ,la sécurité national et les droits de les droits de la personne, commission des droits de la personne, canada ,2011,p70.

²⁴ المرجع السابق ,ص15.

سلطة ملزمة باحترام حقوق الإنسان و حمايتها و إعمالها و تغفل غالبا الصلة بين ممارسة الصلاحيات العامة و مراعاة حقوق الإنسان على الصعيد المحلي.²⁵

ثمة تحدي آخر يتمثل في عدم إدراج التزامات بشأن حقوق الإنسان في أولويات الجهات المانحة و وكالات التنمية الدولية في سياق اللامركزية .

و من التحديات الأخرى انعدام المعلومات المتعلقة بالشروط الناجمة عن حقوق الإنسان على الصعيد المحلي فكل شخص مسئول في الحكومة المحلية يجب أن يكون على وعي بالتزامات التي تفرضها عليه حقوق الإنسان , و لكن هذا الوعي لا يقوم غالبا أسس معرفية متينة بشأن مضمون و نطاق حقوق الإنسان .

كما يبرز تحدي آخر لا يقل أهمية عن التحديات السالفة الذكر و المتمثل في التمييز العنصري , فا كندا بوصفها مجتمعا متعدد الثقافات ليس بمنأى عن المشاكل العنصرية إذ تظهر الدراسات الاستقصائية أن 36 في المائة من الأقليات المعروفة تشعر بأنها تتعرض للتمييز بسبب خصائصها الإثنية الثقافية , و أن 46 في المائة من أفراد الشعوب الأصلية التي تعيش خارج المحميات يؤكدون تعرضهم للعنصرية و التمييز مرة واحدة على الأقل خلال العامين السابقين, و قد كرست كندا أحكاما تشريعية للحماية إضافة إلى ما تنتجه من سياسات لمكافحة العنصرية و المواقف التي تشجع الكراهية.²⁶

بهذا يتبين أنه , تأميننا لاستمرار الطبيعة المحافظة لحقوق الإنسان واجهت الحكومة المحلية كل التحديات و كل المحاولات الهادفة إلى استمرار الطابع الحماي و لا يمكن إرجاع ذلك إلى الصعاب بقدر ما يعود إلى تحدي الصعاب, و عليه إن نظام الحكم المحلي لم يفقد قيمته العملية رغم كل هذه المعوقات, فلقد تمخض عنه تحديات تسمح بحماية و ترقية حقوق الإنسان و ضمان تكريس و استمرار هذه الحماية ليسهم بذلك في الاستقرار القانوني و التأسيسي لقواعد حقوق الإنسان الأمر الذي يطمح إليه كل نظام.

خاتمة

من خلال ما تقدم سابقا, يتضح أن معرفة دور الحكومة المحلية الكندية في حماية و ترقية حقوق الإنسان يتطلب أولا دراسة المقصود بالحكم المحلي و تشكيلته وصولا إلى ممارسات الحكومة المحلية; فالحكم المحلي هو أسلوب من أساليب التنظيم الإداري للدولة, يقوم على فكرة توزيع السلطات و الواجبات بين الأجهزة المركزية و المحلية , إذ يتميز بمجموعة من الخصائص أهمها أن نظام الحكم المحلي ينشأ بموجب قانون يحدد صلاحياته و أنه يطبق في حدود رقعة جغرافية إذ لا يتعدى نطاقه النطاق الدولي, و هدف هذا النظام هو كفالة حقوق الإنسان و حمايتها في المناطق المحلية و تقديم الخدمات اللازمة ذات الصبغة المحلية. من هنا نستخلص أن نظام الحكم المحلي الكندي ينشئ من قبل قانون المقاطعات و تشرف على تنظيمه دائرة تابعة للمقاطعات , كما أن الوحدات المحلية الكندية و القائمة على آليات الحكم المحلي استتبقت وسائل و قواعد لحماية و ترقية حقوق الإنسان بشكل قانوني لا تخرج عن مواد الدستور و الميثاق الكندي للحقوق و الحريات و التي هي أساسا مصاغة بشكل يغطي

²⁵Bastarache, les chartes canadienne des droits et libertés, revue les cahiers de droit, université Laval , canada , 2007,p8.

²⁶ Géral armand beaudoin , le canada et la déclaration universelle des droits de l'homme, revue québécoise de droit international ,numéro 2 , 1998,p76.

كل الاحتياجات العامة، و المتمثلة في الآليات العامة كإمكانية الحصول على التعليم المجاني بالنسبة لابتدائي و الثانوي، فالحق في التعليم حق مكفول عالمياً، بالإضافة إلى الحصول على الخدمات الطبية مجاناً، إذ أن نظام الرعاية الصحية ممول من الأموال العامة إلى غيرها من الخدمات العامة و المرتبطة بالحقوق الإنسان، إلى جانب ذلك صاغت كندا آليات قضائية لحماية حقوق الإنسان أهمها إمكانية اللجوء إلى القضاء فقد جرى تعزيز هذه الإمكانية باتخاذ عدد من التدابير التي نص عليها النظام القانوني الكندي، في مقابل كل هذه الإصلاحات و الآليات تواجه كندا صعوبات تصعب على الإدارة تلبية حاجات المواطنين فقد صعب هذا الوضع العمل الحكومي، الأمر الذي أفضى إلى حالة من عدم الاستقرار، تظهر هذه الصعوبات في ضعف القدرات البشرية و صعوبة التنسيق بين الحكومات الاتحادية و الفيدرالية إلى انعدام المعلومات المتعلقة بالشروط الناجمة عن حقوق الإنسان. أخيراً، إن كندا تحمي حقوق الإنسان بتدابير دستورية و تشريعية، و تعمل على النهوض بها من خلال السياسات و البرامج التي تتبعها كما تتعاون مع الهيئات الحكومية بجميع مستوياتها لضمان توفير الحماية في مختلف أنحاء البلاد و حيثما يعتبر الكنديون أنفسهم عرضة لانتهاك أحد حقوقهم، فإن ثمة سبلاً راسخة يسهل الوصول إليها .

قائمة المراجع

الكتب

فرح ضياء حسين مبارك، الحكومات المحلية، الطبعة الثانية، المنشورات الجامعية، بغداد، 2013.
محسن العوض، الدليل العربي لحقوق الإنسان و التنمية، الطبعة الأولى، المنظمة العربية لحقوق الإنسان، لبنان، 2005.

المقالات

ناجي عبد النور، دور الإدارة المحلية في تقديم الخدمات العامة، مجلة العلوم القانونية و الاقتصادية، العدد 4، الجزائر، 2012.

المذكرات

درواش نادية، الإدارة المحلية و عملية إدارة التنمية في الجزائر المعوقات و مقاربات الإصلاح، مذكرة ماستر، كلية الحقوق و العلوم السياسية، جامعة مولاي طاهر، سعيدة، الجزائر، 2015/2014.
نجيب سويدي، إدارة سياسة الهجرة و علاقتها بصناعة القرار المحلي، دراسة مقارنة بين الولايات المتحدة الأمريكية و كندا، مذكرة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة قاصدي مرياح، الجزائر، 2011.

الأطروحات

عواطف سمايلي، دور الحكومات المغربية في حماية و ترقية حقوق الإنسان، أطروحة شهادة دكتوراه، كلية الحقوق و العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2015/2014.

المحاضرات

قادري نسيم، الإدارة المحلية، كلية الحقوق و العلوم السياسية، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، 2018/2019.

المدخلات

محمد محمود الطعامنة، نظم الإدارة المحلية (المفهوم و الفلسفة و الأهداف)، الملتقى العربي حول نظم الإدارة المحلية في الوطن العربي، صلاحة، عمان، 2018، أوت، 2003.

التقارير

الأمم المتحدة، دور الحكومة المحلية في تعزيز و حماية حقوق الإنسان، التقرير النهائي للجنة الاستشارية لمجلس حقوق الإنسان، 2015.

الأمم المتحدة، التقرير الوطني لمجلس حقوق الإنسان، (كندا)، الدورة الرابعة، جنيف، 13، فبراير، 2009.

المراجع الأجنبية**Loi /charte**

Loi canadienne sur les droits de la personne 1985

La charte canadienne des droits et libertés

Liver

Will silver , daniel trottier , l'évolution des droits de la personne au canada , commission canadienne des droits de la personne , canada , 2012 .

Pearl eliadis , la sécurité nationale et les droits de la personne , commission canadienne des droits de la personne , canada , 2011 .

Article

Bastarache ,les charte canadienne des droit et libertés ,revue les cahiers de droits , numéro 4 , université laval , canada , 2007 .

Dussault,duperré , la responsabilité de l'administration canadienne et québécoise ,revue les cahiers de droits ,numéro 2 , université laval,canada , 1970 .

Luc bergeron , le rôle du gouvernement du Québec dans la mise en œuvre du droit international des droits de la personne , revue Québécoise de droit international , numéro 2 , Canada,1985 .

Gérald armand beaudoin , le Canada et la déclaration universelle des droits de l'homme , revue Québécoise de droit international, numéro 2, Canada , 1998 .

Mémoire

Emilie grenier , entre sécurité et droit de l'homme ,mémoire de la maitrise en droit international , université du Québec à Montréal , Canada , 2010 .

عنوان البحث

عالم الجنة والخلود في معتقدات بلاد الرافدين ومصر القديمة

مصطفى بوجناح¹

¹ جامعة ابن طفيل _ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. المغرب

بريد الكتروني: mostafaboujnahe.nv@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21126>

تاريخ القبول: 2021/10/23م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

يجمع هذا البحث بين الأسطورة والتاريخ وبين الواقع وعالم الغيب، وهو دراسة إبستيمولوجية لمفهوم ظهر في الفكر الإنساني منذ أول يوم علم فيه أنه إنسان فان ولا حظ له في الخلود الأبدي. وقد أبدعت المخيلة السومرية الفذة في ابتكار مفاهيم وتصورات خاصة عن عالم الفردوس، وسار على نهجهم البابليون لكن بفكر متطور نوعا ما. فكانت دلمون هي أرض الميعاد الأبدي والفردوس المفقود الذي طالما تغنى به سكان الشرق القديم. وتبنى المصريون القدماء تصوراتهم الخاصة عن الجنة، واعتقدوا أن الممجدين يصعدون إلى السماء ليستقروا في جزر بين النجوم، حيث الفردوس الخالد والنعيم المثالي برفقة الآلهة. وقد كان هذا البحث فرصة لمناقشة مختلف القضايا اللاهوتية والفلسفية التي تتعلق بمفهوم الجنة في مدونات الشرق القديم، والكشف عن بعض مكامن الغموض التي ترتبط بهذا المفهوم في بعده الأخرى.

الكلمات المفتاحية:

RESEARCH ARTICLE

THE WORLD OF HEAVEN AND ETERNITY IN THE BELIEFS OF MESOPOTAMIA AND ANCIENT EGYPT**Mostafa Boujnahe¹**

¹ Ibn Tufail University - Faculty of Humanities and Social Sciences
Email: mostafaboujnahe.nv@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21126>

Published at 01/11/2021

Accepted at 23/10/2021

Abstract

This study combines between myth with history, and reality with the unseen world. It is an epistemological study of a concept that appeared in humans origin thought the first day he knew he was a man with no eternity in our world. The brilliant Sumerian imagination created an innovative concept of Paradise, and this was followed by the Babylonian approach, but with some other developed thoughts. Dilmun was the eternal land and the lost paradise that the inhabitants of the Ancient East looked for. The Ancient Egyptians adopted their own perceptions of Paradise, and believed that the glorified can fly high to heavens in order to settle in interstellar islands, where the eternal Paradise, and the ideal bliss accompanied by the gods. Also, this study was an opportunity to discuss various theological and philosophical issues related to the concept of Paradise in the books of Ancient East, and to reveal some of the ambiguities that are related to this concept in the dimension of the last day.

Key Words: Paradise – Immortality – Iraq – Egypt – Dilmun – Gods

مقدمة

ظل موضوع البحث عن الفردوس السومري والبابلي المفقود ولعقود طويلة، مثار جدل ونقاش كبيرين في الأوساط الأكاديمية وبين العلماء الذين يدرسون الشرق القديم؛ ذلك أن الدراسات والأبحاث الجيولوجية التي كشفت عنها الألواح الطينية المستخرجة من مواقع التنقيب في بلاد ما بين النهرين في أواخر القرن التاسع عشر، وضعت مادة علمية غزيرة وجديرة بالتأمل وإعادة النظر في كثير من المسلمات التي تناقلتها المصادر التاريخية المتعلقة بالشرق القديم. فنصوص الملاحم التي تم ترجمتها عن الكتابة المسمارية والقصاصد الشعرية التي تصف مخيال الإنسان الشرقي القديم _ خصوصا الحكماء منهم _ تجاه الموت وما بعده، أبرزت عمق الأفكار والمعتقدات المرتبطة بعالم ما بعد الموت وفكرة البعث والجزاء والعقاب التي كانت سائدة في فكر بلاد الرافدين القديم.

فقد كان يعتقد أن الروح بعد مفارقتها للجسد تنزل إلى العالم السفلي لطلب الاستقرار والسكينة، مع أن هذه الروح كانت تبقى حاملة لملاحم صاحبها مهما كانت حالة الجسد، مع الاستقلال التام عنه بعد الموت. أما حين تتحدث النصوص المسمارية القديمة عن عودتها إلى الأحياء فإنها تقصد عودتها بهيئة أشباح مستقلة عن الجسد. (مبيض، 1992، ص 46). أما مسألة النعيم أو العقاب الذي كان يتعرض له الميت في العالم الآخر، فلم يكن لها ذلك الوضوح الذي تبلور وتطور فيما بعد في عقائد الديانات التوحيدية الثلاث، حيث لم يثبت دليل قاطع من النصوص المسمارية المترجمة، أن العراقيين القدماء كانوا يعتقدون بقيامتهم أو بعثهم من الموت على الشكل السائد في عقائد الرسالات السماوية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن سكان وادي الرافدين كانوا يعتقدون أن النعيم الذي يتعرض له الميت في العالم الآخر، يميز فيه بين الناس العاديين كالفلاحين والعبيد، وبين الملوك والحكام ورجال الدين وذوي النفوذ والسلطة في رحلتهم إلى دلمون Dilmun أرض السعادة والقداسة الدائمين.

أما المصريون القدماء فقد كان لهم تصور أكثر وضوحاً مما هو عليه الحال عند سكان وادي الرافدين، حيث كانوا يعتقدون أن موتاهم يحظون بعد موتهم إما بالنعيم المقيم أو يذهبون إلى جحيم العالم السفلي، حسب ما كان يصدر منهم من عمل الخير أو الشر أثناء حياتهم على الأرض. ولذلك نجد أنهم كانوا يعتنون بعناية شديدة بدفن موتاهم وتقديم الهدايا والقربان والأشياء الثمينة عند قبورهم حتى يستفيدوا منها في العالم الآخر، كما شيّدوا بنايات ضخمة لدفن موتاهم كما هو الحال مع الأهرامات¹ التي مازالت قائمة حتى يومنا هذا. فما هو الدافع وراء وجود تفكير فلسفي شرقي في عالم مثالي لا يشبه العالم المعروف على الأرض ولا يصيب الإنسان فيه شقاء أو نصب أو تعب؟ وما أهم القضايا التي ترتبط بعالم الجنة لدى الشعوب الشرقية القديمة؟ وكيف تجلى هذا التفكير في أدب الملاحم والأساطير والرسوم الجدارية وغيرها من تراث الشرق القديم؟

¹ هناك من العلماء من ينكر إمكانية أن تكون الأهرامات قد بنيت فقط لتكون قبوراً للملوك وحكام مصر القديمة، وذلك أن التصميم الهندسي العجيب في البناء والعدد الهائل من العمال الذين شاركوا فيه، بالإضافة إلى الوقت الطويل الذي يستغرقه بناء الهرم الواحد؛ كل هذا لا يمكن أن يكون فقط لجعل الهرم مستقراً للميت وقبراً له بعد موته. وعلى أية حال فإن موسوعة المعارف المصرية تقر بأن الأهرام بنيت لتكون قبوراً للموتى المصريين خصوصاً الملوك منهم.

(سمير أديب، 2004، ص 330)

أولاً: مفهوم الجنة في معتقدات بلاد الرافدين

قبل الحديث عن هذا التصور الميثولوجي الفلسفي، لابد من الإشارة إلى عقيدة الحساب والثواب لدى سكان بلاد الرافدين، فقد اعتقد العلماء في البدايات الأولى لاكتشاف حضارة العراق القديم، أن الغاية من وجود العالم السفلي في معتقدات تلك الأزمنة هو ليكون مستقراً أخيراً للأرواح بعد الموت، ولم تكن لديهم أدلة كافية تثبت تعرض الروح لحساب يؤدي بها إلى الثواب أو العقاب، هذا مع العلم أن العالم السفلي كان مليئاً بالآلهة التي تستقبل الأرواح وتقودها إلى مكانها المخصص لاستقرارها النهائي. (حنون، 1986، ص 135 - 138). وقد كان للحكام وكبار الكهنة والشخصيات المهمة في المجتمع مكانة مهمة يحتلونها في العالم السفلي بخلاف أرواح الموتى العاديين. والذين كانوا بدورهم يقدمون الهدايا والقربان للآلهة هناك. كامتياز خاص كانوا يحظون به استمراراً لما كان لديهم من امتيازاتهم في عالم الأحياء. وهذا ما يبدو واضحاً من ملحمة جلجامش Gilgamesh وقصة نزول إنكيديو Enkidu إلى العالم الأسفل، وقصة (أور. نامو Our Nammu) الذي أصيب بجروح بليغة أثناء معركته ضد الكوثيين Kouthanians، ولفظ أنفاسه الأخيرة على إثرها. ورغم أن جسده أصابه هذا الأذى البالغ، إلا أن روحه نزلت سليمة تماماً إلى العالم الأسفل، وقدمت الهدايا والقربان إلى آلهة ذلك العالم لتحظى بالاستقرار في الموضع المخصص لها. (حنون، 1986، ص 11).

إلا أن صمويل كريمر Samuel Krimer افترض وجود حساب للأموال في العالم السفلي، استناداً إلى إشارة وردت في لوح طين سومري يحوي قصيدة كتبها شخص يدعى لودنكرا Ludankara يرثي فيها أباه المدعو نانا Nana، إذ ورد فيها ما يشير إلى نزول الإلهين (شماش Shamash. وإنانا Inana) إلى العالم السفلي بطريقة توحى بقيامهما بتقرير مصير الموتى فيه، وفيما يلي نص القصيدة:

« يا نانا عسى أن تسر روحك ويستقر قلبك

عسى الإله أوتو سيد العالم السفلي العظيم، بعد أن ينور الأماكن المظلمة، أن يحكم قضيتك بعطف

عسى الإله نانا أن يقرر مصيرك برحمته في يوم النوم

عسى الموكلون بالطعام أن ينادوا اسمك

عسى السقاة أن يرووا ظمأك بالماء المنعش

عسى نيدوا وإبتانا أن يكونا شفيعيك

عسى آلهة العالم الأسفل أن يرفعوا الدعوات لك

عسى أن يقول إلهك (الشخصي) كفى، عسى أن يقرر مصيرك برحمته

عسى أن يغفر إثم العائلة من الحساب

عسى الأرواح الصالحة أن يحموك

عسى ألا تتقطع الجعة والشراب وكل الأشياء الطيبة عنك. « (الخفاجي، 2009، ص 5).

وهذا أيضاً ما يمكن أن نستشفه من الحوار الذي دار بين البطل أوتنابشتيم Utnaphishtim وجلجامش في

ملحمته حين قصده ليسأله عن سر حصوله على الخلود الأبدي على الرغم من أنه من البشر الفانيين فقال:

« إن الموت قاس لا يرحم

هل بنينا بيتا يقوم إلى الأبد؟

وهل ختمنا عهدا يدوم إلى الأبد؟

وهل يقسم الإخوة ميراثهم ليبقى إلى آخر الدهر؟

وهل يرتفع النهر ويأتي بالفيضان على الدوام؟ « (الخفاجي، 2009، ص 11).

إن من خلال ما سبق يتبين أن سكان بلاد الرافدين القدامى كانوا يعتقدون ب حياة أخرى بعد الموت وحصول ثواب للموتى في العالم الآخر، خلافا لمن أنكر ذلك من العلماء _ مع الاعتراف بمدى الغموض الذي يلف هذا الموضوع _ والدليل على ذلك ما كان يقوم به أهل الميت السومريين من عناية جيدة بدفن موتاهم وإرفاقهم بقوارب تحوي أواني فخارية مليئة بمتطلبات الحياة التي يحتاجها الميت في رحلته إلى العالم السفلي. (مظهر، 1995، ص 70).

وقد كان الحاكم يدفن في تابوت ويوضع في قبو مبني من الحجر ويحاط بعدد من رجالاته وخدمه، وحرص أهل سومر على تزويد الملك الميت بحاجياته الشخصية سواء بلفها مع الجثة، أو وضعها بجواره داخل التابوت، وكانوا يضعون خارج التابوت قاربا صغيرا مملوء بأواني فخارية مختلفة الأحجام، تحوي أنواعا كثيرة من القربان، واعتقدوا بأن الميت سوف يضطر في رحلته إلى العالم السفلي إلى استخدام قارب مزود بأنواع المأكول والمشارب. (مظهر، 1995، ص 71).

الجنة السومرية « Sumerian paradise »

من المعلوم أن جميع الحضارات القديمة التي تعاقبت على جغرافيا الشرق القديم، كانت مهووسة بفكرة البحث عن جنة الخلود التي فقدها الإنسان الأول الذي كان يعيش فيما يسمى بالعصر الذهبي. إلى درجة أن الوعي الجمعي لساكنة تلك المنطقة وقتها، بنى تصورا فلسفيا خاصا عن هذه الجنة وألف حولها الأساطير. وعندما نقول أساطير؛ فهذا لا يعني أن ذلك كان من قبيل الخرافة التي لا معنى لها في واقع الإنسان المعيش، بل إن المخيال الأسطوري والأدبي القديم الذي تكون تجاه الفردوس المفقود، قد احتل مساحة كبيرة من هذا المخيال، تماما كما وقع فيما بعد في الخطاب اللاهوتي للديانات السماوية المعروفة الآن. (الخفاجي، 2009، ص 5).

إن فكرة الجنة والحصول عليها كنواب للأعمال الصالحة، ومآل للإنسان يلجأ إليه بعد موته طلبا للسعادة والخلود الأبديين، لهو جوهر فكرة الخلود التي كونها المخيال الأسطوري للحضارات القديمة. ثم إن هذا التفكير الفلسفي حول الجنة كان محملا بأبعاد ومعاني ذات طابع اجتماعي فرضته طبيعة الحياة ومتاعبها ومشاقها، والتي كان يعاني منها الإنسان البسيط في الشرق القديم. وهو أمر حثه على التفكير في عالم مثالي يكون خاليا من صور المعاناة والاضطهاد والظلم المفروض عليه، عالم أشبه ما يكون بحلم جميل لا يريد الحالم أن يفارقه، مما أدى بهذا التفكير مع مرور الزمن إلى أن يطرح نفسه على شكل أسئلة تناسلت فيما بعد في أدب الأساطير في الحضارات الشرقية القديمة. (الخفاجي، 2009، ص 5).

وقد عبر السومريون عن ذلك الحلم في نص جميل يصف العصر الذهبي للإنسان قبل هبوطه إلى دنيا

العبودية والعمل المغترب، حيث كان سيذا لنفسه وسيذا للطبيعة هناك:

« في تلك الأيام لم يكن هناك حية ولا عقرب ولا ضبع

لم يكن هناك أسد ولا كلب شرس ولا ذئب
 لم يكن هناك خوف ولا رعب
 لم يكن للإنسان من منافس
 في تلك الأيام كانت شوبرا أرض المشرق، أرض الوفرة وشرائع العدل
 وسومر أرض الجنوب ذات اللسان الواحد، أرض الشرائع الملكية
 وأور أرض الشمال، الأرض التي يجد فيها كل حاجته
 ومارتو أرض الغرب أرض الدعة والأمن
 وكان العالم أجمع يعيش في انسجام تام
 وبلسان واحد يسبح الكل بحمد إنليل « (السواح، ص 237 . 238).

تصور هذه القصيدة السومرية تلك السعادة المثالية التي كان يعيشها الإنسان الأول قبل سقوطه؛ مكان مقدس وظاهر لا تعب فيه ولا نصب، ولا منافس للإنسان هناك ولا يعرف فيه معنى الشقاء، خضرة دائمة وخصوبة وفيرة تجعل من تلك الأرض مكانا مثاليا ونموذجيا، والمخلوقات فيه لا تقتل ولا تؤذي أحدا، وليس هناك خوف ولا رعب، وكان الجميع يمجّد إنليل Enlil ويسبح بحمده. وهناك ملاحظة دقيقة في هذا النص السومري، وهي أن تلك الأرض كانت أرض حكم وملك وربما حتى قتال عليه - لتعدد الآلهة هناك - أرض كان الناس يخضعون فيها لحكم وشرائع ملكية، وكانت مقسمة إلى أربع جهات: شرق وغرب وشمال وجنوب. (Jourdan, 2007, p15)

ولا توجد لحد الساعة أسطورة سومرية تصف سبب فقدان الإنسان الأول لعصره الذهبي ونزوله إلى الأرض. وهو أول تصور للإنسان جاء مدونا في لوح من الطين في قصة الملحمة المعنونة بـ « إن ميركار Enmerkar » وأرض أرتا. إلا أن صمويل كريمر، يفترض استنادا لأسطورة العصر الذهبي التي تصف وضع الإنسان السابق على السقوط. أن مرد ذلك إلى الغيرة والتحاسد الذي تسرب بين الآلهة، مما ولد الصراع بينها، وهو بذلك يقصد ما جرى للإله إنكي Enki إله العالم السفلي، الذي أعجزه سلطان الإله إنليل أو أنه غار منه، فعمد إلى تقويضه بأن أوقع النزاع والصراع بين شعوب الأرض وسبب بلبلة الألسن، وقضى بذلك على عصر الإنسان الذهبي. (الجوراني، 1998، ص 63 . 64). والمثير للاهتمام في هذه الأسطورة أن السومريين هم أول من تحدث عن الجنة التي عاش فيها الإنسان زما قبل سقوطه نتيجة لغضب الآلهة عليه.

أسطورة دلمون «Dilmun» (الجزر السومري للجنة)

يعتقد العلماء أن مساحات شاسعة من أرض الجزيرة العربية وتحديدًا منطقة الخليج العربي المعروفة اليوم، وكذلك مدينتي أور ur/Our وإريدو Eridou التاريخيتين، قد غمرتهما المياه بعد ارتفاع منسوب مياه البحار في العصر الجليدي الأخير الذي عرفته الأرض، وذلك راجع إلى ذوبان كتل جليدية ضخمة في القطبين الشمالي والجنوبي، جراء الارتفاع المهول لدرجات الحرارة عن معدلاتها الطبيعية في ذلك الوقت. مما أدى إلى استمرار مياه البحار في الارتفاع إلى أوائل الألف الرابع قبل الميلاد، فابتلعت بذلك المناطق المنخفضة لتلك البلاد، الشيء الذي نجم عنه حدوث هجرات متتالية للسكان في اتجاه منطقة وادي الرافدين، كما التجأ قسم كبير منهم إلى

سواحل الجزيرة العربية الغربية وجزرها البارزة كالبحرين وقطر. وبالتالي يظهر جليا أن أصل السومريين الذين ظهروا في منطقة ما بين النهرين كانوا هم الوافدون من شبه الجزيرة العربية بعد أن غمرت المياه أراضيهم. (داود، 1991، ص 50).

إلا أن المثير للاهتمام هنا هو أنه قبل ارتفاع درجة حرارة الأرض وطغيان مياه البحر على قسم كبير من غرب شبه الجزيرة العربية، كان مناخ تلك المنطقة مناخا معتدلا لطيفا غزير الأمطار، وكان يكسوها غطاء نباتي كثيف من الأعشاب وتغطي مرتفعاتها الغابات الملتفة. مما يجيب بشكل ملفت للنظر عن سبب فقدان السومريين لجناتهم الخضراء أو فردوسهم الأرضي، والذي تحول بمرور الزمن إلى ذكرى غامضة في أرض مفقودة ابتلعها مياه البحر. (عربي، 2004، ص 25 - 26). وأنظر أيضا (الخفاجي، 2009، ص 25)

وبالرجوع إلى أسطورة دلمون السومرية نجد أنها ترسم لنا تصورا واضحا عن النعيم والفردوس الذي تغنى به السومريون في قصائدهم والذي طالما انتظروه وحنوا إليه. مكان مثالي أشبه ما يكون بجنة عدن التوراتية، التي تعد واحدة من أهم المواضيع والقضايا التي فتحت مجالا رحبا للتساؤل والنقاش حول مدى التشابه الموجود بينها وبين أسطورة دلمون السومرية. (السواح، ص 238).

وقد نشر نص هذه الأسطورة عام (1951م)، ولكن محتوياته بقيت غير واضحة حتى عام (1954م) حين نشرت نشرة مفصلة عن النص، ونعرف الآن أن القصيدة السومرية كانت مؤلفة من مائتين وثمان وسبعين (278) سطرا منقوشة في لوح مؤلف من ستة حقول. وهو محفوظ الآن في متحف جامعة بنسلفانيا، ويوجد نص صغير مكرر للنص الأول في متحف اللوفر. (كريم، ص 240). ويعود النص إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد، ويحتمل أن يشير إلى حوادث واقعية وعلاقات اقتصادية بين سومر ودلمون تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد. (الشواف، 1996، ص 26). وفيما يلي نص الأسطورة:

« أرض دلمون مكان طاهر، أرض دلمون مكان نظيف
أرض دلمون مكان نظيف أرض دلمون مكان مضيء

في أرض دلمون لا تتعق الغربان

ولا تصرخ الشوكة صراخها المعروف

حيث الأسد لا يفترس أحدا

ولا الذئب ينقض على الحمل

ولا الكلب المتوحش على الجدي

ولا الخنزير البري يلتهم الزرع

والطير في الأعالي [مقطع ضائع] صغارها

والحمامة لا [مقطع ضائع] رأسها

حيث لا أحد يعرف رمد العين

ولا أحد يعرف آلام الرأس
حيث لا يشتكي الرجل من الشيخوخة
ولا تشتكي المرأة من العجز
حيث لا وجود لمنشد ينوح
ولا لجوال يعول. « (السواح، ص 238 . 239).

وقد ترجم صمويل كريمر نسا آخر عن الكتابة المسمارية نشر عام (1915م) جاء فيه ما يأتي:
« مقدسة هي المدينة التي منحت لكم، ومقدس بلد دلمون النقي مقدس سومر، بلد دلمون نقي بلد دلمون
مغمور بالنور متميز بالإشعاع، يوم أقيم الأول في دلمون، حيث استقر إنكي مع زوجته. أصبح المكان هذا نقيا
ومشعا بالنور، الغراب لا يصيح في دلمون والحجل لا يوصوص والأسود لا تقتل أحدا. والذئب لا يلتهم الحمل
الوديع، لم يكن الكلب يتقن إخضاع الغزلان، ولم يكن الخنزير البري يأكل الحبوب. لم تكن طيور السماء تأتي
لتنقر شعير الأرملة وهو يجف على السطح، ولم تكن الحمامة تحني رأسها، ولم يكن مريض العينين يشكو من
مرض عينيه، ولا مريض الرأس كان يشكو من مرض رأسه، لم تكن أي امرأة عجوز تقول إنني عجوز». .
(الخفاجي، 2009، ص 30 . 31).

تقول الأسطورة إن دلمون أرض مقدسة وواظرة ومثالية من حيث كونها توفر كل ألوان الراحة والسعادة
اللتين يحتاجهما ساكنوها، مكان لا وجود فيه للظلم والاعتداء، ولا وجود فيه للمرض والألم الذي يصيب الإنسان
في أحد أعضائه، ولا يشيخ فيه الإنسان أبدا، بمعنى أنه يبقى خالدا هناك. وجميع الناس متساوون في الحقوق
والكرامة. كانت الحيوانات فيه مسالمة لا يفترس القوي منها الضعيف، وكلها مسخرة لخدمة من يسكن هذه الأرض
من الإنسان. لا صراخ في تلك الأرض ولا عويل، هدوء وسكينة تبعث على الراحة والدعة والأمن والاطمئنان.
وفيها إله الماء السومري إنكي يأمر إله الشمس أوتو Outou أن يملأها بالمياه العذبة ويغمر كل جوانبها به، حتى
تتمكن النباتات من النمو وتتحول دلمون إلى جنة إلهية خضراء مليئة بالحقول والبساتين والمروج، وأشجارها مثمرة
تسر الناظرين. وفي أرض دلمون جعلت الإلهة ننهرساج Ninhursag ثمانية أنواع من النباتات تنمو وتزدهر، لكنها
لم تفلح في أن تظهر هذه النباتات إلى الوجود إلا بعد عملية معقدة شملت ثلاثة أجيال من الإلهات ولدن كلهن
من إله الماء، وقد أكدت القصيدة أن ولادتهن قد تمت بدون أدنى ألم عند المخاض. ولكن إنكي أراد أن يذوق طعم
تلك النباتات فأمر رسوله المسمى إيسمند _ وهو الإله الذي يمثل بوجهين _ أن يقتطف له تلك النباتات العجيبة
حيث قدمها لسيدته الذي أكل كلا منها وأتى عليها كلها بالترتيب. ولما علمت ننهرساج بالأمر غضبت ونطقت
بلعنة الموت على الإله إنكي، ولكيلا تغير في قرارها اختفت من بين الآلهة. (كريمر، ص 242).

وفيما يلي نص العبارات التي تصف ولادة الإلهات تلك الولادة الخالية من الألم والجهد، والتي تمت بعد
حمل تسعة أيام بدلا من تسعة أشهر:
« خرجت الإلهة تنمو إلى شاطئ النهر

وتطلع إنكي في الأهوار ونظر حواليه

وقال لرسوله إيسمند:

ألا أقبل تلك الفتاة المليحة؟

فأجابه إيسمند: قبل الفتاة المليحة!

لقد عانقها وقبلها إنكي

لقد أودع البذرة في رحمها

ومضى يوم واحد فكان شهرها الأول

ومضى يومين كانا بمثابة شهرين من أشهرها

وتسعة أيام صارت أشهرها التسعة أشهر الأمومة». (Kramer, 1963, p122)

ولعل أهم نقطة يمكن ملاحظتها في هذه القصة هي أن الزمن في أرض دلمون لا يماثل الزمن الأرضي المعروف، حيث إن يوماً واحداً هناك يعادل شهراً كاملاً على الأرض. وهو ما نجده بشكل أقل اختلافاً في القرآن الذي يؤمن به المسلمون؛ حيث إن يوماً واحداً في السماء السابعة يساوي ألف سنة على الأرض. وتطول القصيدة أكثر وتذكر قصة أكل إنكي من النباتات التي زرعها ننهرساج في جنة دلمون، ولما علمت بصنيعه غضبت عليه ولعنته ورمته بلعنتها التي غيرت طبيعته الجسدية فمرض مرضاً شديداً، ثم تعود لمعالجته بعد ذلك:

« ولما علمت ننهرساج لعنت اسم إنكي وقالت:

لن أنظر إليه بعين الحياة حتى تحين وفاته.

يا أخي ما يؤلمك؟

إن ضلعي هي التي تؤلمني

لقد أوجدت من أجلك الإلهة (نن . تي) أي سيدة الضلع أو السيدة التي تحيي. « (كريم، ص 242 .

247). وانظر أيضاً: (Witzel, 1946, p239)

وفي هذا النص مرة أخرى تشابه واضح مع قصة الخلق التوراتية ومسألة الأكل من شجرة المعرفة، وغضب الرب الإله على آدم في الجنة. وتشير المعتقدات السومرية إلى أن الهدف من خلق الإنسان هو تخفيف العبء على الآلهة وإراحتهم من العمل الشاق، بحيث يكون كل ما هو مدعاة للشقاء والتعب والمعاناة من نصيب البشر الذي صنعه الآلهة، بينما يبقى الآلهة الكبار في عالم مثالي متعال عن النقص ومظاهر الشقاء التي على الأرض، ومن ثم كان لزاماً على الآلهة أن توجد مكاناً في الأرض تتوفر فيه كل مظاهر السعادة ورجد العيش التي يجب أن تكون من نصيبها فقط. وهكذا وقع الاختيار على مكان من الأرض سمي فيما بعد باسم دلمون، لتأسيس هذا العالم الفردوسي الخالد. وقد كان هذا الموقع أرضاً جافة وقاحلة لا ماء فيها ولا كلاً، مما جعل إنكي يخلق المياه ويغمر المنطقة بها، لتتمكن النباتات وكل المخلوقات التي خلقها من العيش في هذا المكان الذي سيوفر السعادة للآلهة. (Katz, P579-580)

يعود سبب نشوء فكرة الجنة في الأصل إلى حنين الإنسان القديم واشتياقه للفردوس الأول الذي كان فيه قبل نزوله إلى الأرض، عالم مثالي فيه الحرية والمساواة المطلقة، حيث كل أسباب السعادة والراحة متوفرة. وهذا

لعله انعكاس لما آل إليه وضع الإنسان بعد سقوطه المزعوم، من حيث إنه أصبح يعاني من مشقة العمل المضني المفروض عليه، حياة تحول فيها العمل من متعة وتحقيق للذات إلى جهد واغتراب. فصار الإنسان يتطلع إلى عالمه المفقود ويتغنى بسحره، وربما حلم طويلا بعودته يوما حتى صار ذلك الحلم أساس الخيال الأسطوري الذي نما وترعرع حول فكرة الجنة لديه. (Hubert, 1963, p200)

لذلك كانت أساطير الجنة لدى كل الشعوب تعبيرا سلبيا عن رغبة للتغيير لم تخرج إلى حيز الفعل، أو فعل تم إحباطه فصار حلما ينتظر. ثم إن قصة التوراة التي تؤكد على أن الفلاحة كانت كلجنة على الإنسان بسبب عصيان حواء وأمر الله، إنما تلقي الضوء على الموقف من العمل اليدوي في الشرق الأوسط _ الذي تم التعبير عنه بحرارة الأرض _ حيث يعتبر جهدا كريها مضنيا رغم أنه ضرورة لا بد منها. (الجوراني، 1898، ص 65 . 66). وهذا ما دعا إلى القول بأن ظهور فكرة الجنة أيضا عند الإنسان العبري القديم كان انعكاسا لانبهاره بخضرة وادي الرافدين وحقله الواسعة البهية، وعمل الفلاحة والحرارة الذي يوفر له المؤمن والكأ والمرعى لحيواناته، بالإضافة إلى ما كان يتعرض له أيضا من استيلاب وحرمان جراء اضطهاده من قبل من هم أعلى منه مرتبة، فكانت أراضيه تسلب وأمواله تنهب ولا يملك للخلاص من ذلك حيلة سوى تطلعه لعالم مثالي سيأتي يوما (Jestin, 1946, p151-152).

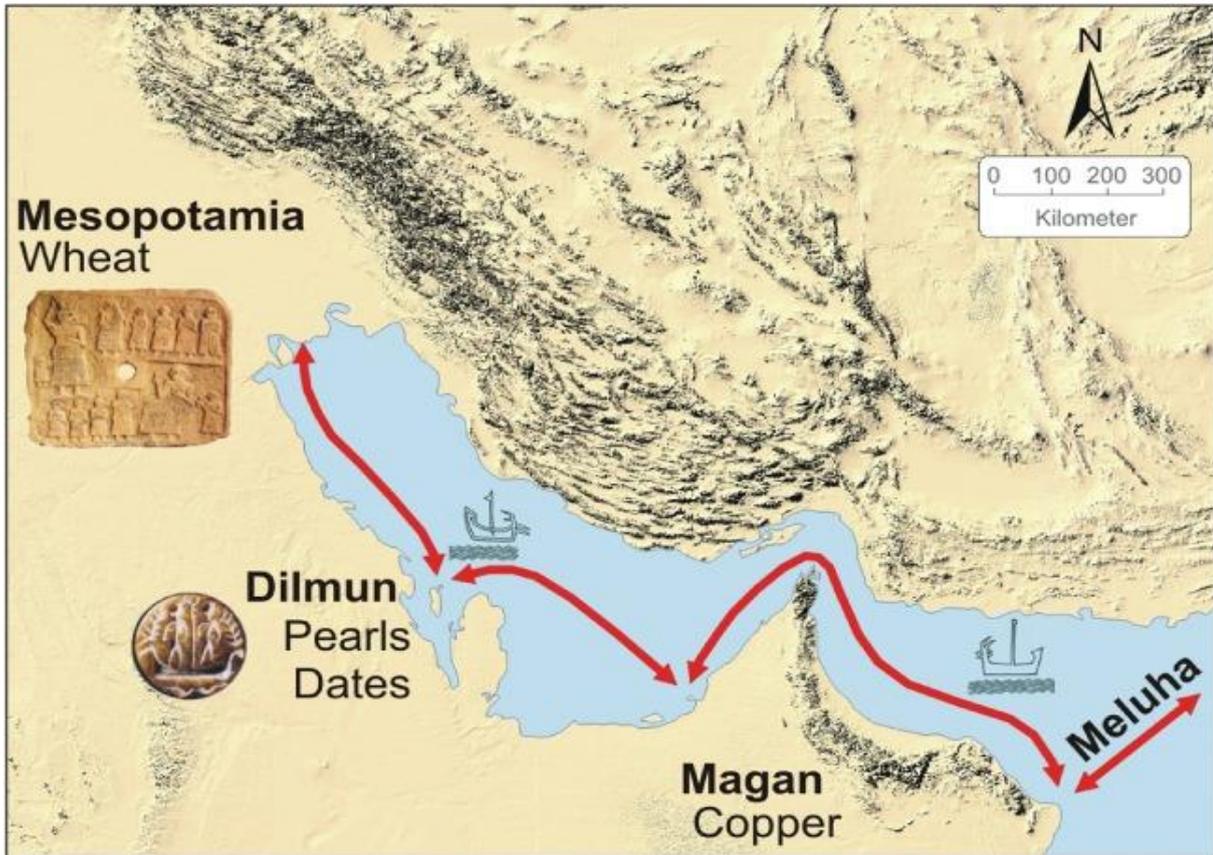
أما صمويل كريمير فيرى أن هذا التعبير عن الجنة خاص جدا وواحد من أقدم التعبيرات في العالم، وهو ناتج عن انبعاثات متتالية لمجموعة من الأفكار الفلسفية والدينية التي ألهمت مؤلف القصيدة وجعلته يجسد فكرة الجنة في قالب جيد وفريد في مادته، كما أعطى تصورا واضحا إلى حد بعيد عن الطريقة التي كان يرى بها الإنسان القديم الموت وعالم ما بعد الموت، وكيف أن الهدف من التفكير في الخلود والجنة هو ضمان حياة سهلة وسعيدة للآلهة في العصر الذهبي لدلمون. (Jestin, 1946, p151-152)

جغرافيا دلمون الأسطورية

سبقت الإشارة في مطلع الفقرة السابقة بشكل سريع لموقع دلمون الجغرافي، الذي ما يزال قيد الدراسة والبحث إلى اليوم، وقد اختلفت حوله الأقوال وتضاربت في تقرير هذا الموقع الآراء، غير أن جماع الكلام في المسألة لا يخرج عن أمرين محتملين: إما أن يكون موقع دلمون في أقصى الجنوب الغربي من بلاد فارس، والقول الثاني أنها كانت في المنطقة الواقعة في أقصى الشمال الشرقي من الجزيرة العربية. وكلا الموقعين في الحقيقة له من المميزات الجغرافية والأدلة التاريخية ما يرجح أنه هو المكان المقصود. كما أن الإشارة المذكورة في التوراة من أن الرب غرس جنة في الناحية الشرقية في عدن، وهو الموضع الذي تتبع من مياهه أنهار العالم الأربعة التي من ضمنها دجلة والفرات، يرجح أن يكون مطابقا في الأصل لموضع دلمون مكان الفردوس السومري. (كريمير، ص 242)

يقول رجا عبد الحميد عرابي: «والأرجح في رأينا أن هذا الفردوس الإلهي كان في مكان الخليج وليس في أطرافه الشرقية ولا الغربية، وقد غرق الفردوس المفقود _ جنة عدن _ بعد طغيان البحر عليه في بداية العصر الديفي الرابع. « (عرابي، 2004، ص 38) وذلك في إشارة منه إلى أن السواحل المنخفضة لتلك المنطقة قد

غمرتها المياه بعد ارتفاع مياه البحر على إثر ذوبان الكتل الجليدية في كل من القطبين الشمالي والجنوبي في أوائل الألف الرابع قبل الميلاد، فاختلفت بذلك الأراضي الخضراء التي كانت مسكن العرب القدامى الذين استوطنوا تلك المنطقة منذ فجر التاريخ، وقد كان مناخ تلك المنطقة مناخا رطبا معتدلا غزير الأمطار، مما انعكس بطبيعة الحال على خصوبة تلك الأرض وغناها الطبيعي بكل ما تجود به الطبيعة عند توفر الشروط الملائمة. يقول قاسم الشواف: «إن دلمون هي التسمية السومرية للمنطقة الواقعة في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة العربية، والتي تشمل جزر البحرين وفيلكا والشواطئ المجاورة لهما.» (الشواف، 1996، ص 26).



وأثناء البحث في هذه المسألة تبين أن أدبيات الإسلام تحتوي على نص غريب نوعا ما، ويشهد بصحة الطرح المذكور أعلاه. وذلك أن السنة النبوية الصحيحة قد نقلت لنا خبرا مفاده أن جزيرة العرب ستعود قبيل آخر الزمان أو نهاية العالم جنات وأنهارا وحقولا خضراء وبساتين مزهرة. والدليل على هذا الكلام ما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل زكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها، وحتى تعود أرض العرب جنات وأنهارا.» (التبريزي، 1961، ص 1498)

وعودتها جنات وأنهارا إما بسبب ما يقوم به أهلها من حفر الآبار وزراعة الأرض ونحو ذلك مما هو حاصل في زماننا، وإما بسبب تغير المناخ؛ فيتحول مناخها الحار إلى جو لطيف جميل، وتعود الأمطار إلى

الهطول بغزارتها التي كانت عليها في الزمن القديم، ويفجر الله فيها من الأنهار والعيون ما يحول جديها وجفافها رطوبة وخصوبة، ويحول سهولها الجرداء إلى سهول مخضرة فيحاء، وهذا هو الأظهر، فإنه يحكي حالة ترجع فيها الجزيرة إلى ما كانت عليه من قبل. (الأشقر، 2000، ص 195) وهذا دليل واضح على أن مكان دلمون الجغرافي إنما هو في منطقة الخليج العربي المغمورة حالياً بمياه البحر، بالإضافة إلى المناطق الممتدة قبالة هذا الخليج والتي هي صحراء قاحلة الآن.

ولا يهم كيف سيحدث ذلك، لأنه من المعروف عند علماء الجيولوجيا وعلماء المناخ، أن الأرض قد مرت في تاريخها الطويل بفترات من التغير المناخي الذي كان له تأثير كبير على تغير التركيبة الجيولوجية للأرض. وقد كان الخليج العربي قبل آلاف السنين أرضاً يابسة تكسوها الأشجار الكثيفة والغابات الممتدة، وتعيش فيها الحيوانات المتنوعة. وكان الإنسان القديم يعيش في تلك المنطقة لأنها كانت توفر له الملجأ الآمن من الوحوش المفترسة وقساوة المناخ، بالإضافة إلى أنه كان يجد هناك كل ما يحتاجه من متطلبات الحياة والطرائد الوفيرة لأنه كان يعيش صيادا. (عربي، 2004، ص 32).

لكن، وفي المقابل، لم يتم التمييز بين جنة سماوية وجنة أرضية عند بعض الباحثين، وذهب البعض الآخر إلى أن موضع جنة السومريين هو في السماء من قبيل الرمزية فقط. بمعنى أن الإنسان البدائي دائماً ما كان فكره وخياله مشدوداً إلى الأعلى حيث يوجد الخلاص في نظره، فكان يستخدم الرمز في أعلى تجلياته للحصول على ذلك الخلاص. ولذلك جعل السومريون مكانة عالية جداً للإله أنو Anu في أساطيرهم باعتباره أهم قوة في الكون، فحيثما وجد الإنسان جلالاً وسلطاناً أدرك أنهما قوى السماء _ أي أنو _ والتي كانت موضع دهشة الإنسان البدائي. (الجوراني، 1989، ص 66).

وقد تولد عن هذا التفكير الفلسفي والخيال الأسطوري فكرة السقوط والنزول من مكان مثالي أعلى إلى مكان أدنى منه، عقاباً للإنسان على الخطيئة التي ارتكبها. (Jestin, 1946, p151) ولهذا أصدر أنو أمره بأن يعاد أدبا Adappa من السماء إلى الأرض جزاء له على معصيته؛ حيث إنه لم يطع أمر أنو عندما أمره أن يأكل ويشرب من الوليمة التي أقيمت على شرفه، تماماً كما هو الحال في التوراة في قصة طرد آدم من الجنة في القصة التوراتية. ثم إن السومريين كانوا يشيدون أبنية ضخمة تسمى الزقورات أو الأبراج، وهو مكان خاص بالعبادة وتقديم القرابين للآلهة، وربما يشير علو هذه الزقورات الملحوظ إلى تطلع سكان وادي الرافدين وبابل إلى السماء دائماً، في أمل مكسور بالعودة أو الصعود إلى السماء مرة أخرى. (الجوراني، 1989، ص 66).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن فكرة السقوط في جوهرها تنطوي على مسألة عميقة وهي أن السقوط في حد ذاته يستوجب النزول والهبوط من مكان عال إلى مكان أدنى منه، وهذا يشير من جهة إلى أن الجنة المقصودة في المخيال الأسطوري السومري إنما هي جنة في السماء يحلم السومريون بالرجوع إليها. ثم من جهة أخرى يقودنا إلى ذلك الاختلاف الموجود في العقيدة الإسلامية حول مكان الجنة التي أسكنها الله آدم، هل كانت جنة في

الأرض في مكان عال منه؟ . ودائماً فكرة العلو تبقى حاضرة . أم كانت جنة المأوى المذكورة في القرآن غير ما مرة؟

يميز بعض الباحثين . وفقاً لما سبق . بين فردوس دنيوي وفردوس سماوي، والفردوس الدنيوي يرمز إلى شوق أبناء المدن المنهكين لمباهج الريف البسيطة، أو حنين الكادحين ذوي الهمة المحبطة لبراءة الأطفال أكلة الفاكهة. وقد رأى بعض الباحثين أن قصة إنكيديو Enkidu أقدم مثال على سقوط الإنسان، حيث اعتبر إنكيديو رجل الطبيعة الذي تربى مع ضواري الحيوان وكانت له سرعة الغزال، لكن بغيا من بغايا المدينة لم تلبث أن أغوت إنكيديو، وقد كانت هذه فكرة لججامش المتوحش الذي اشتكى إليه الناس مما كان يقوم به إنكيديو؛ حيث إنه كان يصطاد حيوانات الناس التي كانوا يذجونها، وكان يلتهم محاصيلهم الزراعية. وكان في فقدان إنكيديو براءته خطوة لا رحمة فيها، لأنه تعلق كثيرا بتلك الفتاة ووقع في حبها، فأجبرته على أن يقيم معها في المدينة بين الناس ويغير من مظهره وسلوكه، ولم يلتفت إنكيديو ثانية إلى الوراثة نحو حياته القديمة الصاخبة إلى أن رقد على فراش الموت، وعندئذ تملكته غصة فصب لعنته على كل معلميه، وتلك هي سقطه أدبا السومري. (الجوراني، 1989، ص 67).

الجنة البابلية « Babylonian Paradise »

يمكن القول إن فكرة الجنة البابلية هي امتداد للفكر السومري الأسطوري عن الخلود والفردوس المفقود، لكن مع اختلاف بسيط وهو أن الجنة البابلية لم تعد حكراً على الآلهة لوحدهم كما هو الحال عند أسلافهم السومريين، بل صار بإمكان بعض البشر الفانين التطلع إلى الجنة وإيجاد موطن قدم لهم فيها بعد أن يتبين إخلاصهم وولاؤهم للآلهة وحسن خدمتهم.

ورغم التنقيبات الأثرية المتواصلة في المواقع الأركيولوجية في العراق، إلا أنه لم يتم العثور حتى الآن على أسطورة بابلية مشابهة لأسطورة دلمون السومرية. لكن قصة الطوفان البابلية تركت لنا دليلاً واضحاً على أن دلمون هي مكان الخالدين. وذلك كما جاء في الأسطورة أن أوتنابشتيم وزوجته بعد أن أنقذا الحياة على سطح الأرض من الطوفان، لأنهما علما بقرار الآلهة القاضي بإغراق الأرض وتدمير البشر، فكافأهما إنليل بجعلهما من الخالدين، وكانا قبلاً من البشر الفانين، وأسكنهما في دلمون حيث منابع الأنهار. (السواح، ص 241) حيث إن أوتنابشتيم كان ابناً للملك « أوبار. أوتو » من سلالة شوروباك، مثله مثل زيوسودرا Ziusudra الذي كان ولي عهد الملك وخليفته المباشر. فبعد سجوده للإله أن An وإنليل، وبعد ما رأوا من صلاحه وتقواه وخشيته للآلهة وتلفه الدائم للاتصال بالوحي الإلهي عبر الأحلام والتعاويد، بعد كل ذلك قرروا منحه الخلود المنشود والحياة الدائمة، وزود عند ذلك بالنفس الخالد ونقل إلى دلمون حيث مطلع الشمس، كما وهبت الآلهة الكبار أوتنابشتيم الخلود السومري جزاء له على خدماته الجليلة التي قدمها في رعاية البشر الفانين، وذلك قبل أن تقرر الآلهة هذا الأمر

في مجمعها الذي عقدته لتقرر مصير العالم، الذي طغى فيه بنو البشر وأفسدوه بأعمالهم الخاطئة. (الجوراني، 1989، ص 80).

وقد تحدثت ألواح أوغاريت Ougarit عن جنة مماثلة للجنة البابلية السومرية، والتي صارت مرتعا للآلهة الخالدين ومسكنا لبني الإنسان الذين أسبغت عليهم نعمة الخلود، ويسكن الإله « إيل » عند منبع الأنهار كما هو الحال في دلمون. وتحدثنا أسطورة أدبا عن قصة الإنسان الأول الذي خسر الخلود بسبب غلطة ارتكبها. حيث قام الإله آيا Aya بخلق أدبا لخدمة معبده وصيد السمك للآلهة، وجعله عاقلا وأسبع عليه الحكمة الكاملة، غير أنه لم يهبه الحياة الأبدية. وفي أحد الأيام بينما كان أدبا يصطاد على شاطئ الخليج العربي، هبت رياح الجنوب وقلبت قاربه ورمت به في الماء، فغضب لذلك ولعنها على ما فعلت، فانكسر أحد جناحيها ولم تستطع الهروب مرة أخرى. وبعد سبعة أيام من اختفاء ريح الجنوب، دعي أدبا للمثول أمام آنو كبير الآلهة لاستجوابه على ما فعله. وقبل صعوده زوده خالقه آيا بعدد من النصائح، وأشار عليه أن يطيل شعره ويلبس ثياب الحداد للتأثير على الإلهين تموز Tammuz وجيزيدا Giszida حارسا بوابة السماء، عندما يسألان عن سبب حداده، فيجيب أنه حزين على تموز وجيزيدا اللذين كانا يعيشان على الأرض ثم اختفيا، فذلك سيسرهما وسيسمحان له بالمرور، كما قال له إن طعام الموت وماء الموت سيقدمان له في السماء وعليه ألا يأخذ منهما شيئا. (السواح، ص 241).

وعندما مثل أدبا أمام آنو واستجوبه، قام تموز وجيزيدا بالوقوف إلى جانبه، ويبدو أن المسألة سارت في صالحه، فلم يكتف آنو بالعمو عنه بل قرر مكافأته بضمه إلى صف الخالدين، طالما أنه دعي للمحكمة واطلع على أسرار السماء. فأمر له بطعام الحياة ليأكل، إلا أن أدبا التزم بوصية آيا ولم يمد يده إلى الطعام. وعندما أمر له بشراب الحياة امتنع عن الشرب، فدعاه آنو للاقتراب منه ضاحكا وقال له: لماذا فعلت ذلك يا أدبا؟ لماذا لم تأكل ولم تشرب؟ أليست صحتك على ما يرام؟ ثم التفت إلى حاشيته وقال: خذوه وعودوا به إلى الأرض. فخسر أدبا الحياة الأبدية لأنه لم يأكل ولم يشرب مما قدم له، فأعيد إلى الأرض الفانية يعمل ويتعذب هو وذريته من بعده. (السواح، ص 241 . 242).

وقد تم الكشف عن رسم جداري من قصر الملك «زمرى . ليم» Zimri.Lim في مدينة ماري البابلية، وهي لوحة فنية تدعو للتأمل فيها وإمعان النظر في شكلها الغريب. حيث يوجد في وسط المشهد إفريز مستطيل الشكل بداخله رسم للملك زمرى . ليم وهو يتسلم شارات الحكم من الإلهة عشتار أو إشتار Ishtar، وبجانبه رسم لإلهتين تقف كل منهما مقابل الأخرى، وكل منهما تحمل في يدها وعاء يتدفق منه الماء على شكل جداول أربعة تفترق وتتشعب، ومن ثم تلتقي مع بعضها فيما بعد، وفي طرف هذا الرسم الجداري نشاهد شجرة عالية وأربعة حيوانات مجنحة على شكل أبي الهول، اثنين على كل جانب، وتقف لحراسة تلك الشجرة العالية. وهذا الاكتشاف يدعو الباحث للوقوف قليلا والتأمل في مسألة الأنهار الأربعة التي ذكرتها التوراة والتي كانت في جنة عدن، وحراسها

الكاروبيم الذين خلقهم الرب لحراسة طريق شجرة الحياة. (فاضل 1996، ص 203). كما هو مبين في هذا اللوح الطيني:



ثانيا: مفهوم الجنة في الديانة المصرية القديمة

لا شك أن الحضارة المصرية بدأت في تشييد أولى معالم ظهورها في وقت مبكر جدا سابق حتى على ظهور النشاط الإنساني في بلاد ما بين النهرين، وكانت مصر أرضا واسعة مترامية الأطراف مقسمة إلى أقاليم وولايات متعددة يحكم كلا منها حاكمها الخاص، كما كان لكل إقليم آلهته التي تميزه عن الإقليم الآخر. وبعد صراعات دامية وعنيفة بين هذه الأقاليم توحدت البلاد في النهاية تحت حكم إمبراطورية واحدة متماسكة القوى، لكن احتفظ كل إقليم بآلهته التي كان يمجدها. فمن بين أهم الملامح التي ميزت الديانة المصرية القديمة هو تعدد آلهتها، وكان الإله رع Re/Ra إله الشمس والإله أوزيريس Osiris إله الخصب والنيل، هما أهم وأكبر الآلهة عندهم على الإطلاق.

وكان المصريون القدماء متأثرين جدا بمظاهر الطبيعة التي تحيط بهم وتخالط وجدانهم، مثلهم في ذلك مثل سكان وادي الرافدين القدماء؛ وفرة المياه على شواطئ النيل وخضرة الحقول التي يسقيها بمائه، وخصوبة التربة التي كانت تدر عليهم الخير الوفير، وكانت الشمس أهم ظواهر الطبيعة التي أثرت في حياتهم على الإطلاق. لذلك كان الدين في مصر القديمة أهم عامل يحرك السكان ويقوم سلوكهم وينظم العلاقات فيما بينهم. (باشا، 1940، ص 90) يقول مصطفى عبد الرحيم: «فلا نجد في دراسة تاريخ العالم القديم أمة تأصلت فيها الديانة وامتزجت بحياة أهلها امتزاجا كبيرا كالأمة المصرية، حتى لنرى الدين هو الحافز الأكبر لما نشأ في مصر القديمة من علوم وفنون، وبه اصطبغت آدابها وفلسفتها. « (مصطفى ومبارك، 1949، ص 62).

وقد اعتقد المصريون أيضا أن الإنسان كائن مكون من مادة وروح، وأن هذه الروح تبقى حية بعد موت الجسد وتحيا حياة أخرى في عالم آخر تنتقل إليه صعودا إلى السماء، ولذلك نجد المصريين القدماء كانوا يعتنون عناية بالغة بموتاهم ويشيدون لقبورهم بأبنية ضخمة كالأهرامات المعروفة في مصر إلى اليوم، والمقبرة الواسعة المكتشفة في وادي الملوك والتي كان يدفن فيها عليا القوم وذوو النفوذ منهم. وكان المصريون يحنطون جثة الميت ويضعون بجانبها التماثيل الحجرية ظنا منهم أن الروح تعود بين الفينة والأخرى لتتقد الجسد، فإذا ما تعفنت الجثة فإن التماثيل تقوم مقامها وتستأنس الروح بها. وأهم عضو كان المصريون يعتنون بتحنيطه هو القلب، لأنهم كانوا يعتقدون أن بقاء الروح سليمة متعلقة بسلامة القلب في القبر، لذلك كانوا يضعونه بعد نزعها من الجثة وتحنيطه في أنية فخارية خاصة توضع فيها الجثة، وكانوا يضعون بجانب التابوت أواني فخارية مملوءة بكل ما تحتاجه الروح في العالم السفلي من متطلبات الحياة المعاشة. (باشا، 1940، ص 93).

وقد ذكرت موسوعة الحضارة المصرية أن فكرة الحياة الأبدية بعد الموت لعبت دورا أساسيا عند المصريين القدماء وملأت عليهم تفكيرهم، إلى درجة أن الإعداد لهذه الحياة كان يبدأ والإنسان في شرح شبابه. (أديب، 2004، ص 832) ثم إن المصريين القدماء اعتقدوا عقيدة جازمة بأنه لا بد للميت من حياة أخرى بعد الموت يحاسب فيها وتوزن أعماله، فإما إلى جنة ونعيم وإما إلى نار وجحيم. فكان لا بد للميت أن يجتاز مرحلة الحساب أولا ليتبين بعد ذلك موضعه ومآله. وأهم مصدر تركه المصريون نستقي منه كيفية هذه المحاسبة هو «كتاب الموتى الفرعوني»، الذي كانوا يجسدون فيه وفي الرسوم التي كانوا يضعونها على التابوت رسما واضحا لمحاكمة ومحكمة وميزان، تتألف هذه المحكمة من اثنين وأربعين قاضيا من الآلهة يرأسها أوزيريس نفسه، جالسا على عرشه حاملا عصاه.

وتتكون المحكمة من بهو كبير زين سقفه بلهب النيران وعلامات الحق، وتبدأ المحاكمة بوزن قلب الميت حيث يوضع في الكفة اليسرى من ميزان العدالة وريشة «ماعت» في الكفة اليمنى، ويقوم «أنوبيس» الذي له رأس ابن آوى بعملية الوزن ويسجل «تحوت» النتيجة. وفي حالة كون القلب أثقل من الريشة فهذا يعني وجود خطايا كثيرة، ويخبر الإله تحوت النتيجة للقضاة الاثنتين وأربعين، ثم يقوم بمخاطبتهم واحدا واحدا وعليه أن يعترف عليهم، وكان هؤلاء القضاة على ما يبدو يشربون دم المخطئين. (الماجدي، 1999، ص 212).

وفي بعض الرسوم تضاف نيران إلى المحكمة في مكان خاص منها ليلقى فيها المذنبون، والصورة المجسدة للقلب في الميزان كانت ترمز للأعمال التي عملها الميت في حياته من خير وشر ويشهد عليه بذلك، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته نجى ودخل الجنة، ومن غلبت سيئاته حسناته خسر ودخل النار، ومن تعادلت حسناته وسيئاته يتم تعيينه لخدمة الآلهة. (مبيض، 1992، ص 31) وقد ورد شرح مفصل لهذه المحاكمة في كتاب الموتى الفرعوني على الشكل الآتي:

- أوزيريس الجالس على عرشه باعتباره قاضي المحكمة.
- أبناء حورس ورموزهم المعروفة يقفون على زهرة لوتس

- أكل الموتى وهو حيوان خرافي على شكل تمساح من الأمام وأسد من الوسط وفرس نهر من الخلف، ويسمى (عمبعم) أو (باباي) وربما (بعبع) ويدل على «ست»
- اثنين وأربعين قاضيا
- «أنوبيس» يمسك ميزان العدالة
- الإله «تحت» وهو يسجل نتائج وزن القلب والحساب
- «ماعت» (إلهة العدالة) وهي تستقبل المتوفي. (الماجدي، 1999، ص 212)

الجنة المصرية « Egyptian paradise »

كان الذين يصعدون إلى السماء للإقامة فيها كآخر مستقر لهم بعد الموت والمثول أمام محكمة الحساب، يمرون برحلة طويلة تحفها المخاطر انتقالاتا بين أبواب السماء الاثني عشر. وكان هؤلاء الصاعدون إلى السماء يسمون الخالدين أو الممجدين، ويذهبون للإقامة في السماء مع إله الشمس رع في سفينته. وقد لاحظ المصريون القدماء نجوما ثابتة لا تتغير في طرف السماء الشرقي والشرقي البحري منها، فأطلقوا عليها اسم النجوم الخالدة اعتقادا منهم أنها مكان النعيم الخالد الذي ينتهي إليه الصالحون من الناس بعد موتهم. وتقول نصوص الأهرام المصرية إن الممجدين أو الخالدين يقيمون في جزر مستقلة عن بعضها البعض في السماء، وفي كل جزيرة منها يوجد حقل خاص يسمى حقل الطعام، منه يأكل الممجدون مع الآلهة أطعمة شهية ولذيذة دائمة التجدد ولا تنفد أبدا. واعتقدوا أن هناك حقلا آخر يسمى حقل يارو _ هذه الكلمة تعني في اللغة المصرية القديمة نبات الخيزران _ وفي هذا الحقل توجد شجرة جميز عالية تسمى شجرة الحياة، كان الآلهة يستريحون تحت ظلها ويجالسون الممجدين عندها ويأكلون منها جميعا ويتناولون عندها ألوان الخبز وأنواع الخمر وهم سعداء. (باشا 1940، ص 108)

وقد تصور المصريون أن الملك يدخل مقر الممجدين في حقل يارو حيث يزدهر الزرع وينمو القمح والشعير إلى ارتفاع سبعة أذرع، فيجلس على عرش كبير تكرمه رعيتيه، ويقضي بينها على نحو ما كان يفعل في الأرض. ومن ثم لم يكن دخول جنة «الأسل» مقصورا على الملك وحده، وإنما كان يدخلها كذلك أتباعه وحاشيته والأبرار من شعبه. (أديب، 2004، ص 610) وتقول نصوص الأهرام المصرية إن إله السماء «نوت» والثعبان الذي كان يحرس الشمس، يعطيان الصاعد إلى السماء تدييها ليرضع منه فيصير صبيا بعد ذلك لا تصيبه الشيخوخة والهزم، ومع مرور الأيام تزداد صحته تحسنا ويكتسب نشاطا وحيوية خالدين. (باشا، 1940، ص 108)

وكما في معتقدات وادي الرافدين القديمة، كان المصريون القدماء متأثرين إلى درجة كبيرة بمظاهر الطبيعة التي كانت تحيط بهم؛ مياه النيل الفياضة وخضرة الحقول المبهجة وحرارة الشمس التي أنزلوها منزلة الإله في معتقداتهم، بالإضافة إلى سطوع ضوء القمر في الليالي المصرية المقمرة. كل هذا أضفى على المخيلة الشعبية المصرية طابعا خاصا تجلى في نقل كل المظاهر المادية التي كان يعيشها المصري القديم إلى عالم ما بعد

الموت، من أجل ضمان أن روح الميت ستمتع بكل ما تحتاجه وتشتهيه في ذلك العالم، تماما كما كان عليه الحال في العالم الطبيعي. (Erman, 1997, p86-87)

ولذلك اعتقد المصريون أن عالم النعيم الذي يصعد إليه المباركون من طرف الآلهة، هو عالم طبق الأصل لوادي النيل بحقوله الخضراء المترامية الأطراف، ومروجه الزاهية بألوان وأشكال الأشجار والنباتات البهية، تحيط بها سلسلة من جبال الصحراء الحمراء المعروفة عندهم وقتئذ. ووراء تلك الجبال يوجد عالم مرعب غير مألوف ولا مأهول يذهب إليه المذنبون المعاقبون، وأن النهر الذي يجري فيه ليس بنهر النيل، وأن الشمس لا تصل ذلك المكان بل تنزل بعده بمسافة طويلة.

وقد جاء في بعض النصوص أن المسافة الفاصلة بين الجنة التي كان يؤمن بها المصريون وبين العالم الحقيقي أكبر من طول وادي النيل بثلاثة أضعاف، واعتقدوا أن الشمس كانت تقطع ملايين الأميال في رحلتها اليومية بين السماوات والأرض، كما كان للزمن أبعاد خاصة لا تشبه أبعاده المعروفة على الأرض، بالإضافة إلى فقدان الحس بالاتجاهات في ذلك العالم، فليس هناك شرق ولا غرب ولا شمال ولا جنوب. (الخفاجي، 2009،

ص 71 . 72)

وفي العالم الآخر، ينادي الإله قاطني ذلك العالم قائلاً:

« أرشدني إلى طريق الغرب

كي أوقظ الموتى هناك

كي تستقر أرواحهم وتتنفس

كي أنير لهم الظلمات

إن أبدانكم سوف تقوم من أجلكم

إن أعضاءكم سوف تلتئم من أجلكم

إن أعضاءكم سوف تتجمع من أجلكم

إن أجسادكم سوف تعود من أجلكم

إن أنوفكم سوف تتنفس النسيم العذب

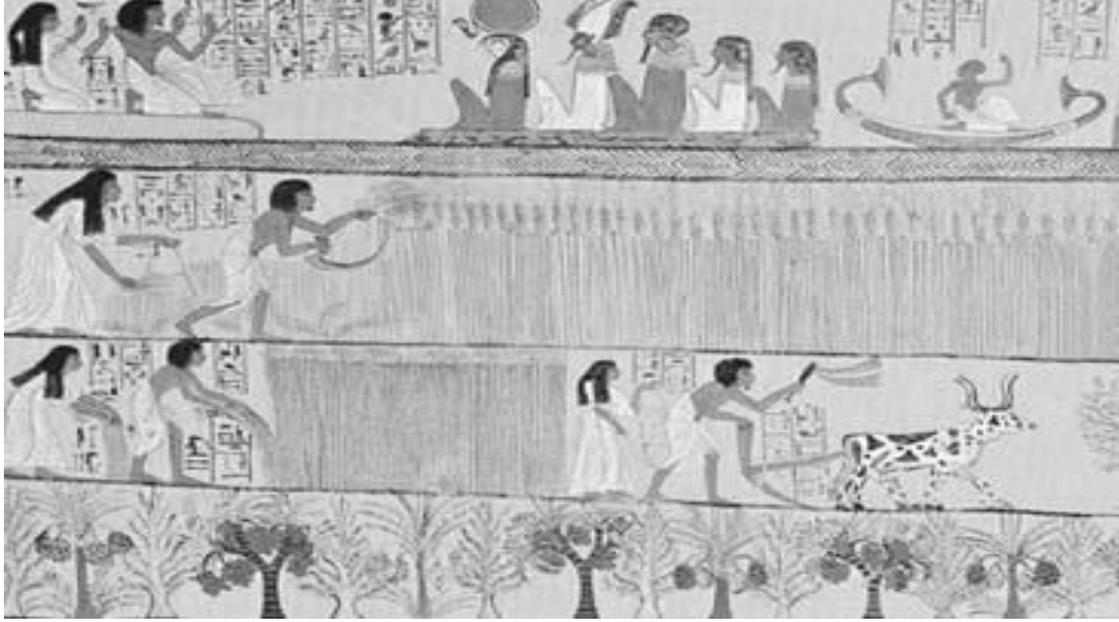
سوف تخلعون عنكم أكفان المومياة

سيدخل ضوء الشمس عيونكم المقدسة

كي تروا بها الضياء

تحرروا من ضجركم

كي تتمتعوا بحقول الجنة.» (الخفاجي، 2009، ص 73)



رسم جداري لحقل يارو الذي في السماء المصرية

إذن يتبين من خلال هذا النص أن الموتى الذين ينتقلون إلى العالم الآخر، تتغير طبيعة أجسادهم الإنسانية وتتجدد أعضاؤهم، بحيث يصيرون وكأنهم ولدوا من جديد. وهذا يشير إلى أن المكان الذي انتقلوا إليه مكان مقدس و طاهر، وكل من دخله يجب أن يكون طاهرا على قدر ما في ذلك المكان من طهارة. ثم إن أرواح الموتى هناك تتمتع بالحرية المطلقة ولا تشعر بالملل أو الضجر، وهي تتنعم في مكان مشرق مليء بالضياء والنور، وتتمتع فيه بحقول الجنة.

وتوجد في متحف اللوفر لوحة عليها اسم أحد المصريين ويسمى «ناحت . مين» كتب عليها ما يتمناه من ضروب السعادة والنعيم في العالم الآخر بعد موته: فذكر أنه يتمنى أن يدخل قبره ويخرج منه وأن يشرب كل يوم من ماء بحيرة كانت له، وأن تطير روحه فوق الأشجار التي زرعها، وأن يستنشق النسيم العليل تحت شجر الجميز الذي زرعه وأن يأكل من ثمر هذا الشجر، وأن يكون له فم يتكلم به وأن يصعد إلى السماء وينزل إلى الأرض من غير أن يقف في سبيله عائق، وأن لا تسجن روحه وأن يكون من المكرمين الممدوحين، وأن يحرق أرضه في حقل يارو وأن يصل إلى حقل الطعام، وأن يأتيه الخدم بأنواع الخبز والشراب وجميع المأكولات التي يأكل منها رب الأبدية، وأن يأكل من اللحم الذي على مائدة الإله العظيم. وفي تمنيات أخرى يتمنى الميت أن تكون له حقول وقطعان وعبيد من الرجال والنساء، وأن يبعث في الحياة الأخرى شابا موفور القوة والصحة. (باشا، 1940، ص 109)

الجنة السياسية والانتقال الديمقراطي

رأينا في الفقرة السابقة ما كان لدى المصريين القدماء من تصور عن عالم ما بعد الموت، والرحلة التي يقطعها الميت في انتقاله إلى السماء حيث الجنة والخلود الأبدية. لكن هناك من الباحثين من رأى أن مصر القديمة لم تعرف هذا التصور الواضح عن الجنة والفردوس الخالد إلا بعد قرابة قرن من الزمان بعد تأسيس الدولة المصرية القديمة؛ وبيان ذلك أن عالم ما بعد الموت كان ينقسم إلى قسمين أساسيين في ذلك الوقت: عالم الموتى الذي يكون فيه الموتى ميّتين فعلا، وعالم الجنة والنعيم الذي كان من نصيب الملك وحاشيته وعلية القوم الذين باركتهم الآلهة وأسبغت عليهم نعمت الخلود. وهو تقريبا نفس المعتقد الذي كان سائدا في بلاد ما بين النهرين في عصر الدولة البابلية، إلا أن المصريين بهذا المعتقد كانوا قد سبقوا بزمن طويل البابليين وحتى الآشوريين الذين انتقلت إليهم نفس هذه العقيدة.

ويقول العلماء إن نصوص الموتى المصرية التي تؤرخ لزمن الدولة المصرية القديمة، رسمت تصورا فريدا لعالم الجنة ومستحقه، استولى فيه الملك على حصة الأسد، ورسم له طريقا خاصا في نعيمه، فكان بذلك عالم الملك مكانا أخرويا للجنة. وقد ساد هذا الاعتقاد كما رأينا لمدة قرن ونصف القرن تقريبا، لينقل هذا التصور فجأة مع بداية الدولة الحديثة حين توحدت مصر العليا والسفلى على يد الملك مينا، حيث نشأت أول دولة كبيرة متحضرة في العالم، والتي دامت أكثر من أربعة آلاف سنة حتى قضى عليها الإسكندر المقدوني Alexander III the Great عام (332 قبل الميلاد). وهكذا تم الانتقال إلى مرحلة جديدة يمكن أن نسميها بالانتقال الديمقراطي للجنة، وقد عبر خزعل الماجدي عن هذا الانتقال بقوله: «مع متون التوابيت وبرديات كتاب الموتى ندخل إلى لاهوت جديد يحتفي بالعالم السفلي ويترك السماء التي احتفت بها نصوص الأهرام. وقد كان السبب المباشر في هذا شيوع مفاهيم الديمقراطية الدينية وكسر احتكار الفراعنة للبعث والقيامة، وشمول أفراد الشعب بامتيازات ما بعد الموت». (الماجدي، 1999، ص 212) معنى أن الجنة لم تعد فكرة سياسية وحكرا على الملك وذوي النفوذ لوحدهم، بل تساوت حقوق جميع الناس في الحصول عليها ودخولها والاستمتاع بنعيمها، والأكثر من هذا أصبح الناس العاديون يجتمعون بالآلهة في الجنة دون تمييز بينهم، وأصبحت أعمال الناس الصالحة وعدالتهم هي التي تدخلهم الجنة وليس نفوذهم أو سلطانهم. (أسمان، 2017، ص 373 . 374)

خاتمة

من خلال كل ما سبق، يتبين بجلاء أن التفكير المتعلق بحياة ما بعد الموت والمصير الذي تلقاه الروح بعد مفارقتها للجسد، كان سائدا وحاضرا بقوة في عقيدة الإنسان الشرقي القديم. وإن كان هذا التفكير الفلسفي إلى حد بعيد يختلف من بيئة لأخرى ومن ثقافة إلى ثقافة ثانية؛ كما هو الحال بين العراق القديم ومصر القديمة. حيث إن فكرة العقاب والثواب في العقائد السومرية القديمة لم تكن ذات وضوح كبير يجعلها تنعكس على السلوك الإنساني في بلاد سومر؛ فالثواب عندهم كان ثوابا دنيويا محضا يتمثل في السعادة التي يعيشها الإنسان الصالح في الأرض قبل موته، بالإضافة إلى مباركة الآلهة له وخلو حياته من كل مظاهر الشقاء والتعب التي قد تصيب

الإنسان، حتى إذا مات وانتقل إلى العالم السفلي كان قد استوفى كل حقه من الجزاء العادل الذي منحت له الآلهة في الدنيا.

وأما العقاب عندهم فكان أيضا عقابا دنيويا خالصا يتجلى في سخط الآلهة على الإنسان الشرير وإلقاء لعنتها عليه، فيصيبه النصب والتعب الدائمين في حياته على الأرض، وتتسلط عليه الأمراض والهموم والمشاكل، ويكون أشقى إنسان بقدر ما عمل وارتكب من السيئات والعمل الفاسد. حتى إذا ما انتقل إلى العالم السفلي بعد موته، كان قد لقي ما يستحقه من جزاء عادل له أيضا ويبقى ميتا في عالم الموتى إلى الأبد.

أما حياة النعيم والخلود والفردوس فكانت من نصيب الآلهة فقط، ولا حظ منها للبشر الفانين إلا أولئك الذين باركتهم الآلهة بإرادتها وأسبغت عليهم نعمة الخلود، فإنهم ينتقلون أيضا للعيش في دلمون أرض الخلود والفردوس السومري. وبقي هذا التصور سائدا عندهم إلى أن جاء عصر الدولة البابلية، والتي عرف خلالها مفهوم الجنة تطورا فلسفيا ملحوظا؛ وذلك أن الجنة أصبحت متاحة لجميع الناس دون استثناء، لكن على تفاوت في الدرجات بينهم طبعا، وأصبح البشر يتمتعون بنعيم الجنة والخلود الأبدي فيها رفقة الآلهة.

أما حياة ما بعد الموت في الفكر المصري القديم، فلم يكن لها مثل ذلك الغموض الموجود عند سكان وادي الرافدين القدماء؛ فالثواب والعقاب عندهم كان يتحقق في الحياة الآخرة بعد انتقال الميت إلى العالم السفلي، حيث كانت تتم محاكمة الميت من قبل الإله أوزيريس، فمن كانت حسناته أوفى حظا من سيئاته وكان صالحا في الدنيا، فإنه ينتقل صعودا إلى السماء بعد مباركة الآلهة له، ويدخل الجنة ويستمتع بكل ما فيها من نعيم خالد، وكان يأكل الخبز اللذيذ ويشرب الخمر مع الآلهة، وكلهم جالسون تحت ظل شجرة الحياة. وفي مقابل ذلك كان الإنسان الشرير الذي ارتكب من السيئات والظلم ما جعله يستحق العذاب، ينتهي به المطاف في أرض الرعب والأهوال الموجودة وراء السماء بعيدا عن جنة الممجدين. وهو مكان لا تصله الشمس وفيه مستقر الأشرار من بني البشر الفاسدين.

ويمكن تلخيص هذه النتائج المتوصل إليها في الجدول الآتي:

مصر القديمة	العراق القديم	عالم ما بعد الموت	الحساب والجزاء
نزول الروح إلى العالم الأسفل بانتظار المحاكمة	نزول الروح إلى العالم الأسفل للاستقرار فيه إلى الأبد	عالم ما بعد الموت	
مثول الأرواح أمام محكمة أوزيريس للمحاسبة على الأعمال السيئة والحسنة	محاسبة الأرواح في العالم الأسفل والعيش فيه كأشباح في نعيم أو جحيم	الحساب والثواب	
اعتناء كبير جدا بدفن الموتى	اعتناء ملحوظ بدفن الموتى	مراسيم الدفن	مفهوم الجنة
مسكن المباركين من الناس في السماء برفقة الآلهة	. مسكن الآلهة فقط (السومريون) . متاحة للبشر (البابليون)	فكرة الجنة	
حصوله للبشر في السماء حيث النعيم الأبدي الذي لا يفنى ولا يزول	. حكر على الآلهة لوحدهم (السومريون) . متاح لجميع البشر (البابليون)	الخلود	
الجنة في السماء موزعة على جزر مستقلة	عدم إشارة الألواح الطينية المترجمة إلى موقع بعينه	موقع الجنة	

لائحة المراجع والمصادر

1. أحمد داود، العرب والساميون والعبيرانيون وبنو إسرائيل واليهود، دمشق، دار المستقبل، (1991).
2. حمزة باشا عبد القادر، على هامش التاريخ المصري القديم، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، (1940م).
3. حنون نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة بابل ووادي الرافدين القديمة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، (1986م).
4. خزعل الماجدي، الدين المصري، عمان، دار الشروق، (1999م).
5. الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، دمشق، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، (1961م).
6. رجا عبد الحميد عرابي، سفر التاريخ اليهودي، دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع، (2004م).
7. سليمان الأشقر، اليوم الآخر، الأردن، دار النفائس، (2000م).
8. سليمان مظهر، قصة الديانات، القاهرة، مكتبة مدبولي، (1995م).
9. سمير، أديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة. القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، (2004م).
10. فاضل عبد الواحد علي، من سومر إلى التوراة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، (1996م).
11. فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، بيروت، دار الكلمة.
12. قاسم الشواف، ديوان الأساطير، بيروت، دار الساقى، (1996م).
13. كريم صموئيل، من ألوح سومر، ترجمة طه باقر، بغداد، مكتبة المثني.
14. مزهر الخفاجي، البحث عن جنة الفردوس، القاهرة، مكتبة مدبولي، (2009م).
15. مصطفى عبد الرحيم ومبارك عبد العزيز، في تاريخ مصر القديم، القاهرة، المطبعة الأميرية، (1949م).
16. وداد الجوراني، الرحلة إلى الفردوس والجحيم في أساطير العراق القديم، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، (1998م).
17. يان أسمان، الموت والعالم الآخر في مصر القديمة، القاهرة، المركز القومي للترجمة، (2017م).
18. يسر محمد سعيد مبيض، اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، الدوحة، دار الثقافة، (1992م).

لائحة المراجع الأجنبية

- 1- Adolf Erman. A Handbook Of Egyptian Religion. Archibald Constable. London 1997.
- 2- Dina, Katz: Enki and Ninhursag. Part One. Story Of Dilmun.
- 3- Henry, Archibald Sayce : The Religions of Ancient Egypt and Babylonia, Ebook 35856, Aberdeen, 2011.
- 3- J. D, Hubert: André Breton et le paradis perdu. The French Review. Vol. 37, No. 2 (Dec1963) Jstor, Paris.
- 4- Jestin Raymond-R. Samuel N. Kramer. Enki and Ninhursag. A Sumerian « paradise » In Sirya. Tome 25 fascicule1. 1946.
- 5- Maurus, Witzel : Ninchursag und Enki (Ein Dilmun-Mythus). Orientalia. NOVA SERIES, Vol. 15 (1946). Jstor.
- 6- Sabine Jourdan. Les Mythologies. Groupe Eyrolles 2007. ISBN10 : 2-7081-3597-X.
- 7- Samuel, Noah Kramer : The Sumerians, Ther History, Culture, And Character. The University of Chicago Press,Ltd London, 1963.

عنوان البحث

الاقتصاد الاجتماعي: ماهيته، مفاهيمه، آلياته، وتطبيقاته. مقاربة سوسيو-أنتروبولوجية لقطاع الصيد البحري التقليدي بشمال المغرب

عبد العزيز الطويل¹

¹ جامعة ابن طفيل _ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. المغرب
بريد الكتروني: ettouil.abdellaziz@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21127>

تاريخ القبول: 2021/10/23م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

يندرج موضوع مقالنا العلمية والبحثية هاته في إطار المواضيع التي تهتم بدراسة الاقتصاد الاجتماعي والتضامني بالمغرب وحدود مساهمته في التنمية البشرية، وذلك من خلال البنيات والتنظيمات التعاونية في قطاع اقتصادي واجتماعي حيوي في المغرب، هو قطاع الصيد البحري التقليدي، وذلك للتعرف على كيفية اشتغال مهنيين هذا القطاع، وطبيعة الاستراتيجيات والأدوار التي يقومون بها لتنظيم انفسهم، وتحديد حاجياتهم وتطلعاتهم، ودعم قدراتهم على انتاج الثروة وتوسيع قاعدة الاستفادة منها، وكذا التعرف على طبيعة العلاقات الاجتماعية التي ينخرطون فيها والتي قد تؤثر تأثيرا حاسما في صياغة مشاريعهم التنموية وتحديد مواقفهم وامتلاكهم لسلطة اتخاذ القرار التي تهم حاضرهم ومستقبلهم.

ومعلوم أن مجال الصيد البحري بالمغرب يزخر بثروات طبيعية وبشرية وإمكانيات اقتصادية واجتماعية هامة مما يتوجب تدبيرها على أفضل وجه في إطار سياسة عمومية فعالة وناجعة بشكل يخدم الاستراتيجيات التنموية الجديدة.

الكلمات المفتاحية: الاقتصاد، التضامن الاجتماعي، التعاونيات، الصيد البحري التقليدي

RESEARCH ARTICLE

**SOCIAL ECONOMY: ITS NATURE, CONCEPTS,
.MECHANISMS, AND APPLICATIONS****A Socio-anthropological Approach to the Traditional Fishing Sector of Northern Morocco****Abdellaziz Ettouil¹**

¹ Department of Sociology, Faculty of Humanitarian and Social Sciences, University
IBN TOFAIL, Kenitra, Morocco;
Email :ettouil.abdellaziz@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21127>

Published at 01/11/2021**Accepted at 23/10/2021****Abstract**

The topic of our scientific and research article falls within the framework of topics concerned with the study of the social and solidarity economy in Morocco and the limits of its contribution to human development, through cooperative structures and organizations in a vital economic and social sector in Morocco, the traditional fishing sector, in order to identify the working methods of the professionals of this sector. And the nature of the strategies and roles they play to organize themselves, determine their needs and aspirations, support their abilities to produce wealth and expand the base of benefit from it, as well as identify the nature of the social relationships in which they engage and which may have a decisive influence in formulating their development projects and determining their positions and their possession of decision-making power that concerns their present and their future.

It is known that the field of marine fishing in Morocco is rich in natural and human resources and important economic and social potentials, which must be managed in the best manner within the framework of an effective and efficient public policy in a manner that serves the new development strategies.

Key Words: economy, social solidarity, cooperatives, traditional sea fishing

1- أهمية الموضوع وخريطته المعرفية:

عرفت الإنسانية عدة تطورات ثقافية واجتماعية ثم اقتصادية، يمكن إرجاعها بالأساس إلى الرغبة الملحة للمجتمعات في الرقي بمستوى معيشتهم إلى الأحسن وذلك بالاعتماد على القطاعات المنتجة وخصوصا الفلاحة وتربية المواشي والصيد البحر.

إلا أن التطور الذي عرفه العالم خصوصا بعد الحربين، و ما أفرزه من تحولات عميقة مست هذه المجتمعات بفعل نهج السياسة الاقتصادية (اقتصاد السوق) التي تدر الربح السريع وما ترتب عنه من استغلال مفرط للموارد الخامة الطبيعية واستنزاف خيرات الأرض، حتى أصبح العالم يواجه تحديات متعددة ومترابطة جراء آثار الأزمات المالية والاقتصادية المستمرتين، وأوجه الهشاشة في مواجهة تغير المناخ و في الوقت ذاته العالم مطالب بتلبية الاحتياجات الغذائية المتزايدة وهذا ما يفسر التوجه للبحار باعتبارها ملاذا للعنصر البشري، و مجال يتيح مصيد الأسماك وتربية الأحياء المائية كفرص لزيادة الأمن الغذائي. والتخفيف من وطأة الفقر وتحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لفئات عريضة شريطة الاستخدام الرشيد والرصين للموارد الطبيعية البحرية (المنظمة العالمية للتغذية والزراعة، 2015) بل يؤكد الكثير من الباحثين أن أهمية البحار ستزداد أكثر خلال العقود القليلة القادمة فالقطاع الفلاحي أصبح عاجزا عن إطعام سكان العالم بفعل تكرار موجات الجفاف، تعاضم مستويات التصحر الأمر الذي يبنى بمشكلة تفاقم العجز في الموارد الغذائية العالمية (الضحاك، 1987).

وهكذا لم يعد خافيا اليوم على أحد أن البحار أصبحت بعد هذا الانفجار السكاني المهول وعدم تناسب الغذاء على اليابسة مع حاجيات الإنسان، آمال الإنسانية جمعاء لإنقاذها من النتائج السلبية للاستغلال غير الرشيد من طرف الإنسان لخيرات الأرض الاحالة. و نظرا لأهمية التنمية، والسعي الحثيث لتحقيقها في واقع المجتمعات الإنسانية، ولأسيما المتخلفة منها، فان مفهوم التنمية أصبح عنوانا للكثير من السياسات والخطط والأعمال، على مختلف الاصعدة كما اصبح هذا المصطلح متقلا بالكثير من المعاني و التعميمات ، وإن كان يختزل في كثير من الأحيان في شقه الاقتصادي ويرتبط الى حد بعيد بالعمل على زيادة الإنتاج الذي يؤدي بدوره إلى زيادة الاستهلاك لدرجة أصبحت معها حضارات الأمم تقاس بمستوى دخل الفرد ومدى استهلاكه السنوي للمواد الغذائية والسكنية بعيدا عن تنمية خصائصه و مزاياه وإسهاماته الإنسانية وإعداده لأداء الدور المنوط به في الحياة، وتحقيق الأهداف التي خلق من أجلها. (بوركية مصطفى، 2016م)

2- مفهوم الاقتصاد الاجتماعي:

يشير مفهوم الاقتصاد الاجتماعي والتضامني إلى ممارسة جديدة مبنية على العمل الجماعي، وعلى مبادئ وقيم التعاون والتأزر. وتتعارض فلسفة هذا التوجه مع المنطق الاقتصادي التراكمي المؤسس على النفعية والربح ولغة المصالح في إطار مقارنة تنموية كمية تختزل التنمية في بعدها الاقتصادي الضيق، بينما يؤسس مفهوم الاقتصاد الاجتماعي لرؤية جديدة قائمة على كونه نشاطا مدرا للدخل، ليس الهدف منه هو الربحية ومراكمة الثروة، وإنما يهدف أساسا إلى تقوية قيم التعاون والتضامن والتركيز على الأبعاد الاجتماعية، في أفق تحقيق قدر من العدالة الاجتماعية والمجالية والحد من الفقر والهشاشة.

هذه الآلية الجديدة المنبثقة والمعبرة أساسا عن الرؤية الغربية لقضايا التخلف والتنمية والتي تقترحها المؤسسات الدولية في إطار توجهات تنموية جديدة تستهدف بالأساس مساعدة المجتمعات المحلية على النهوض بأوضاعها الاجتماعية، في إطار مقارنة ميكرو-سوسولوجية، تشترط انخراط الفاعلين المحليين في تجسيد روح المقاربة التشاركية المؤسسة على اقتسام الخبرات والمهارات والمشاركة في الفعل والعمل وفي كل مراحل المشروع التنموي مما يجعل منهم شريكا أساسيا وفاعلا في العملية التنموية. (الدكتور محمد كريم، 2012)

وفي مقالنا هاته حاولنا من موقعنا كباحثين في مجال الاقتصاد الاجتماعي استثمار كل معارفنا ومكتسباتنا النظرية والمنهجية والميدانية في محاولة حثيثة لفهم الواقع الاجتماعي الذي يرتبط بموضوع دراستنا والوقوف على نقاط ضعفه وقوته والاجابة عن مختلف الاسئلة التي تحيط بجميع أبعاده.

لقد أدى تراكم الاهتمام بموضوع الاقتصاد الاجتماعي والتضامني، وتعدد التجارب التنموية المنضوية تحته عبر العالم إلى توسيع خريطة تطبيقه في الكثير من مجتمعات العالم الثالث. وهكذا نجد عددا هاما من النماذج والتجارب العالمية المعاصرة التي تتضوي تحت شعار: "الاقتصاد الاجتماعي والتضامني". وقد أدى ذلك بالتالي إلى توسيع الخريطة المعرفية للموضوع في أبعادها الجغرافية والاقتصادية والسياسية والتنظيمية والاجتماعية والثقافية، وتشمل هذه الخريطة بشكل خاص مختلف الكتابات والمساهمات والرؤى التي صيغت في حقول معرفية متنوعة وخاصة في حقول العلوم الاجتماعية التي تناولت التجارب التنموية في دول العالم الثالث خاصة في إفريقيا من بينها دول شمال إفريقيا كالجائز وتونس والمغرب وبعض الدول الآسيوية والأمريكية اللاتينية.

ولا نستطيع المجازفة بالقول بأننا نجد قاعدة عامة تقوم عليها هذه التجارب التنموية المندرجة في إطار اقتصاد اجتماعي وتضامني، بقدر ما نجد تمايزات لا حصر لها تعبر عن اختلاف الخصوصيات الثقافية المحلية التي تطبع مختلف المجتمعات المحلية المستهدفة ببرامج الاقتصاد الاجتماعي. ويعبر هذا الوضع عن تعدد المفاهيم والمعاني والاستراتيجيات التي ترتبط بتطبيق وتنزيل هذا المفهوم على أرض الواقع، تبعا لاختلاف الخصوصيات المحلية وتنوع الفاعلين المؤثرين على صياغة القرار الاقتصادي والاجتماعي في هذه المجتمعات وكذا تبعا لإشكال الارتباط والتبعية التي تعبر عنها التوجيهات المحتملة للفاعلين الخارجيين في مراكز القرار العالمي الذين يؤثرون في صياغة المشاريع التنموية المحلية بالمجتمعات النامية.

أما فيما يتعلق ببواعث وبروز هذا النوع من الاقتصادات ذات المنحى الاجتماعي والتضامني في الحقل المغربي وهو مجال اشتغالنا، فقد بدأ المجتمع المغربي يستأنس بهذا النسق المستورد عبر ندوة دولية نظمت بالمغرب (الاقتصاد الاجتماعي، 1987)، بمعنى أن الدولة هي التي كان لها سبق المبادرة في إدراج هذا المفهوم في الثقافة السياسية والتدبيرية الرسمية، كتعبير عن تحول يلوح في الأفق على مستوى تدبير الاختلالات الاجتماعية والاقتصادية. ومنذ ذلك الوقت بدأ مصطلح الاقتصاد الاجتماعي والتضامني يؤثث الخطابات الرسمية والبرامج الحكومية خصوصا وأن المرحلة التي برز فيها شهد المغرب احتقانا اجتماعيا نتيجة ضعف وعجز السياسات العمومية المنتهجة.

هذا الموضوع المرتبط بالاقتصاد الاجتماعي يدفعنا للتساءل بقلق وشغف معرفيين، عن جدوى وواقعية هذه الاداة الجديدة باعتبارها وصفاً اقتصادية واجتماعية جديدة يتم الترويج لها ربما لتهدئة الاوضاع وامتصاص الغضب الاجتماعي؟ ويحق لنا أن نتساءل أيضاً ربما عما إذا كانت وصفاً يتوخى منها التطبيع مع سياسة احتواء منسوب الفقر؟ كما أننا نتساءل عن قابلية تحريف هذا المفهوم على نحو يؤدي إلى إفراغه من محتواه ويجعله أداة للتضليل والتمويه بعيداً عن قيم التضامن والتعاون والتكافل؟

وقد حاولنا استثمار هذا العصف الفكري المتمثل في هذه الهواجس والانشغالات والاسئلة في بناء اشكالية علمية سليمة لموضوع مقالتنا انطلاقاً من بحثنا الميداني لمهنيي قطاع الصيد البحري التقليدي بشمال المغرب، التي تروم بحث ودراسة التنظيمات التعاونية المنظمة في إطار الاقتصاد الاجتماعي والتضامني، من حيث خصائص البنيات التعاونية القائمة، وطبيعة الأدوار والاستراتيجيات التي يقوم بها الفاعلون المعنيون بالعمل التعاوني، وكذا العلاقات الاجتماعية التي تميز هذه التنظيمات التعاونية.

وهكذا تقتضي إشكاليتنا الجواب عن الأسئلة المتصلة بحدود مساهمة الاقتصاد الاجتماعي والتضامني في منطقة البحث في تحسين أوضاع المشتغلين بالقطاع بما يخدم أهداف التنمية البشرية في أبعادها المتعددة. وي طرح ذلك ضرورة التساؤل عن حجم العائدات المادية والمعنوية والاجتماعية التي يتيحها المجال البحري لفائدة المهنيين المشتغلين بالقطاع، وكذا طرح معضلة تناقص العائدات والمقدرات والموارد السمكية بفعل الآثار السلبية لعوامل التعرية والرعي الجائر وتناقص الغطاء النباتي الجبلي، وهو ما يعني غياب سياسة تهتم بالاهتمام وحماية الجانب الإيكولوجي واستدامة الموارد الطبيعية. كما نتساءل عن دور الجماعات الترابية المحلية في تهمين وتقوية البنى التحتية وتقديم الدعم اللازم لقرى الصيادين قصد تمكينهم من الحفاظ على الإرث الطبيعي والخيرات البحرية وتوسيع قاعدة الاستفادة منها لفائدة المجتمع المحلي.

ونستنتج من خلال ما تقدم أن السؤال المركزي الذي تنتظم حوله إشكاليتنا يمكن طرحه وصياغته على الشكل التالي:

ما هي طبيعة التنظيمات التعاونية المهيكلة في إطار الاقتصاد الاجتماعي والتضامني في قطاع الصيد البحري وحدود مساهمتها في التنمية البشرية؟

ومن خلال تجديد النظر في الموضوع تتكشف لنا العناصر الأولى للإشكالية المراد الوقوف عليها وتحليلها عبر مراحل هذا البحث. ولم يكن بإمكاننا فرز هذه العناصر بما توقعناه من السهولة واليسر لولا الإنجاز الذي تهيأ لنا غداة بحثنا الميداني، والفرصة المواتية التي أتاحت لنا من خلال ذلك لإجراء زيارات استطلاعية ولقاءات تواصلية لمدة تناهز ستة أشهر مع الفاعلين المحليين في المجتمع المدروس مكنتنا من الوقوف على السمات والعناصر الاجتماعية والأنثروبولوجية للفاعلين والمجتمع المحلي، واستطعنا بفضل ذلك إلى حد ما فك الخيوط الرقيقة الثاوية خلف البنيات والتنظيمات التعاونية في قطاع الصيد البحري التقليدي بمنطقة الجبهة بشمال المغرب.

إن القيمة العلمية لهذا المشروع تبرز أكثر عند مقارنة السؤال المركزي والمحوري المذكور اعلاه لهذا البحث،

والذي تتناسل في خضمه جملة من التساؤلات الفرعية نصوغها على الشكل التالي:

- ما هي طبيعة الأدوار التي يقوم بها الفاعلون المنضوون في إطار العمل التعاوني؟ وهل يجسدون فعلا قيم التعاون والتآزر؟ وهل يمتلكون حقا الحرية والسلطة في اتخاذ القرار في إطار عمل تعاوني منظم تسوده الشفافية؟ وهل يمتلكون استراتيجيات ذاتية ومستقلة في التعاطي مع أوضاعهم والحلول التي يلجؤون إليها، أم أنهم يخضعون لمخططات واستراتيجيات لفاعلين آخرين متدخلين في القطاع؟
- ما طبيعة البنيات والتنظيمات التعاونية القائمة؟ ووفق أي إستراتيجية قميّة بتحقيق أهدافها المسطرة؟ وهل يمكن تأكيد ما تشير إليه بعض الملاحظات الأولية من أنه لا توجد في الأصل استراتيجية تنموية تحكم سلوك الفاعلين من خلال تنظيماتهم التعاونية، وإنما هناك اتجاه سائد لديهم إلى معالجة المشكلات المطروحة بطريقة آنية ووظيفية؟
- ثم ما هي طبيعة الصعوبات والعوائق التي تحد من فاعلية التنظيمات التعاونية، ومن قدرة الفاعلين المعنيين بتغيير أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية على إنجاز ما ينتظر منهم من أدوار، وخاصة على توسيع مجالات الحرية والاختيار أمامهم؟ وهل باستطاعتنا إبراز الأهمية المفترضة للعوامل الثقافية والأنثروبولوجية والاجتماعية المؤثرة سلبا أو إيجابا في تحقيق أو إعاقة التنمية المنشودة؟

3- استنتاجات و نتائج الدراسة الميدانية:

يتبين لنا من خلال ما سبق أن مجتمعاتنا واقتصاداتنا تشهد حالياً تحولات نوعية عميقة وسريعة بدأت تفرز أخطارا محدقة، وهذا الواقع الجديد أضحى يحتم على الباحثين والمهتمين بقضايا التنمية مراجعة مقاربات ومضامين التنمية السائدة في عالمنا اليوم. ومن خلال دراستنا الميدانية واطلاعنا على مجموعة من النماذج على أرض الواقع نجد انها في اعتقادنا لا زالت بعيدة كل البعد عن النموذج التنموي الذي من شأنه تحقيق كرامة الانسان من خلال التوزيع العادل لثمار العائدات بين كافة فئات المجتمع دونما المساس طبعا بحقوق الأجيال اللاحقة من ثروات ومقدرات من خلال التدبير المسؤول والمعقل والمستدام لمواردها الطبيعية.

ومن خلال مقاربتنا لتمثلات الفاعلين في مجال الاقتصاد الاجتماعي والتضامني وكذلك مساءلتنا لآليات اشتغال مؤسسات هذا النسق الإنتاجي والعلائقي، تكونت لدينا فكرة وقناعة بأن سبب إخفاق هذه المشاريع التعاونية المدرة للدخل والتي تهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية. اخفاقها في هذا المطلب يرجع بالأساس إلى عدة أسباب نجملها كالآتي: (إبراهيم بايزو، 2015)

1. لتحقيق الأهداف المُسطرة لأي إقلاع تعاوني ذي بعد اجتماعي ويُتوخى منه تحقيق النمو والتنمية بمفهومها الشامل. لا يتأتى هذا المطلب بالاقتران على الرأسمال المادي بالرغم من أهميته وضرورته بل يجب استحضر رساميل أخرى ذات أبعاد لا مادية نجمل هذه الرساميل في الآتي:
 - ✓ الرأسمال البشري المؤهل والمكون والمتطور وذو الجودة العالية، والبلد الذي يتوفر على هذه النوعية من الرساميل لا يمكنه إلا أن يكون في مصاف الدول المتقدمة، وهذه الدول تحتضن الباحثين والعلماء وترتكز في

تكويناتها على منظومة محكمة وملائمة للتربية والتكوين المهني والبحث العلمي والتكنولوجي وتشجع وتحضن المعرفة العلمية.

✓ الرأسمال المؤسسي المحتضن من قبل ثروة خصبة ونقصد بها الاحتكام الى الديمقراطية والحكامة وربط المسؤولية بالمحاسبة من جهة، ومحاربة الاحتكارات والمضاربات، وغير ذلك من القيم الكونية الداعمة للرأسمال المؤسسي من جهة أخرى.

✓ الرأسمال الاجتماعي يعتبر الخيط الناظم للتماسك المجتمعي، فالإنسان الذي كتب له أن يعيش في وطن تُعمم فيه الحماية الاجتماعية من قبيل التعويضات العائلية والتعويض عن المرض والتقاعد... كلها قيم تدل على أن الانسان الذي يتمتع بها هو مواطن له حقوق وعليه واجبات. كما أن هذه القيم الاجتماعية تقوي ثقة المواطنين بمؤسساتهم.

✓ الرأسمال الثقافي وهو رأسمال يستمد شرعيته ومقاومته من التاريخ والجغرافيا والتراث وحضارة المجتمعات، هذا المشترك هو بمثابة لحمه وموطد لروابط العيش المشترك بين كافة مكونات المجتمع شريطة أن يكون أي الرأسمال الثقافي منفتحاً على عوالم خارجية أخرى في إطار تلاقح ثقافي ذي بعد إنساني.

هذه المكونات أو الدعامات الأربع غير المادية مجتمعة هي الكفيلة بضخ دماء جديدة في مؤسساتنا التعاونية ولها القدرة في فسح المجال لاستقطاب أعضاء جدد على قاعدة الادمج المهني والاجتماعي المنصف والتوزيع العادل للمكتسبات وفق هذه الشروط يمكننا اعتبار الاقتصاد التضامني آلية ناجعة لخلق عدالة اجتماعية وباستطاعته محاربة الفقر والهشاشة والحد من التفاوتات الطبقيّة والمجالية. هذه الرساميل اللامادية أيضاً إن توفرت ستمنح رؤية وتوجه تنموي جديد من شأنه التقليل من حدة وقبح وشراسة العولمة التي تتغذى على روح الرأسمالية المتوحشة. (ادريس الكراوي، 2018)

2. يحتل العمل التعاوني أهمية بالغة كوسيلة واستراتيجية في يد الفقراء لإعادة الاعتبار إلى الذات وفق مقولة " أنا اتعاون أنا أعمل أنا أنتج إذن أنا موجود". الوجود كمنتج هو وجود لذاته والوجود كأجير لدى الرأسمالي كما لدى الدولة هو وجود لغيره.

3. العمل التعاوني كاستراتيجية بديلة يخلق الجماعة ويدعمها، والعمل الجماعي عادةً هو فضاء للخلق والابداع والمنافسة، والأهم هو فضاء للتقليل من آفة الفقر والهشاشة وتحسين الأوضاع.

4. العمل التعاوني هو بديل لتوثين وتقديس الرأسمالية المتوحشة، هو انعتاق من يرث الدولة التي تدعى أنها حاضنة لأبنائها وهي في الواقع عاجزة عن فعل ذلك بل تمكن ثلثة قليلة من المحظوظين عكس العمل التعاوني هو مجال وفضاء مفتوح لكل دون تمييز شريطة التحلي بروح المبادرة والمثابرة.

5. العمل التعاوني كحلقة أساسية في مشروع أية ثورة ثقافية يُتيح أكثر من الرأسمالية في صيغتها المتوحشة تحقيق التوازن بين الدولة والمجتمع والسوق، الدولة كناظم وكحكم والمجتمع كقدرة على خلق فائض القيمة والسوق كفضاء مفتوح لتوزيع وتبادل هذه القيم بعيداً عن المضاربات والاحتكارات التي تركز الثروة في يد ثلثة من الانتهازين والمضاربين. لتبدأ معاناة فئات واسعة مع الفقر والتهميش.

6. العمل التعاوني باعتباره استراتيجية بديلة للخروج من دائرة الفقر يتطلب معركة طويلة الأمد، ولكي تُحقق هذه المعركة أهدافها المعلنة ينبغي أن ينخرط المجتمع والدولة انخراطاً حقيقياً في مجابهة اقتصاد الربيع المؤسس على الامتيازات والولاءات والذي يفضي في نهاية المطاف إلى خلق وإنتاج تنمية معطوبة.

4-توصيات الدراسة

وحتى نكون عمليين وعلميين في تحليلاتنا للواقع الميداني ومن خلال نتائج البحث التي توصلنا إليها، بالإضافة إلى مجمل هذه التوصيات التي خلصنا إليها وحتى نكون منسجمين مع ما طرحناه في البناء المنهجي لبحثنا وخصوصاً فيما يتعلق بالغرض العلمي وخصوصاً فيما يتعلق بوضع نتائج بحثنا ضمن خطة أو برنامج يهم منطقة البحث ويشكل قاعدة للاستفادة العلمية منه لدى صناع القرار الاقتصادي والاجتماعي بالمنطقة، نقترح المقترحات والتوصيات التي نراها ضرورية للنهوض بالعمل التعاوني كالاتي:

1. نوصي بضرورة الاهتمام بالتعاونيات التي تعاني من نقص حاد على مستوى الأطر الفنية والإدارية وعلى مستوى نقص في المخططات ذات البعد الاقتصادي والاجتماعي وإعطائها الأولوية من قبيل دعمها مادياً في بداية الامر، ومحاربة الأمية لأطرها ومنخرطها، وتنمين منتوجها السمكي وتسويقه.
2. عقد شراكات مع فاعلين اقتصاديين واجتماعيين لهم تجارب ومقومات حقيقية للعمل التعاوني.
3. لتحقيق عمل تعاوني صلب ذي أبعاد اجتماعية حقيقية وللخروج من مأزق الإخفاقات نوصي بضرورة أن تتطرق اهتمامات العمل التعاوني بالتركيز أولاً على الاحتياجات والمشاكل التي يعانها المهنيون المشتغلون في قطاع الصيد البحري والعمل على إعطاء فرصة لكل للعمل على دعم فرص مشاركتهم في التنمية وذلك بمنحهم سلطات واسعة وحرية أكبر وتمكينهم من التكوين والتأطير في مجال تقنيات إعداد وتنفيذ المشاريع التنموية ذات الصلة. كما يجب تجنب الخلافات التي من شأنها أن تعيق المسار التنموي وأهدافه الحقيقية.
4. يجب على الدولة أن تدعم تعاونيات الصيد البحري على مستوى التشريعات التي توفر غطاءً قانونياً لها وتنظم أسلوب تكوينها وإدارتها.
5. نوصي الدولة بتقديم دعم مادي خصوصاً في المراحل الأولى من التأسيس حتى لا يتحول هذا الدعم إلى سيطرة على التعاونيات كما لا يجب على التعاونيات أن ترتكن لهذا الدعم مدى الحياة بل عليها الارتكاز على الذات.
6. يجب تقديم الدعم الفني والإداري للتعاونيات وهو يعتبر من وجهتنا مطلباً أساسياً لقيام التعاونية وذلك بغية تحقيق الأهداف التي أنشئت من أجلها.
7. يجب حماية المصايد من الاستنزاف والصيد الجائر الذي يقترفه الصيد في أعالي البحار وكذلك حماية الصياد من تداعيات الاتفاقيات الدولية المبرمة مع جهات خارجية والتي تستهدف من بين ما تستهدفه تعطيل تنمية المنطقة والتنمية المستدامة عموماً.
8. يجب محاربة والتصدي للتلوث الذي يهدد المحيط الأيكولوجي البحري وفي نفس الآن يهدد الصياد البحري في كينونته وفي رزقه اليومي.

9. أخيراً نوصي بإتاحة الفرصة لأعضاء التعاونية المشاركة في وضع قواعد الشكل التنظيمي الذي يرغبون فيه بعيداً عن المقاربة الأفقية وسياسة التعليمات وتزيين الواجهة. كما أوصي بانتخاب الكفاءات والأطر ذوي الخبرة في المجال التدبيري في المجالس الإدارية بعيداً عن منطق استراتيجية القرابة وفي حالة ما تعذر على التعاونية توفير أطر كفئة نوصيها باستقطاب إطار كفي من خارج التعاونية شريطة أن يكون تحت إشراف الجهاز المنتخب من لدن المنخرطين.

5- خلاصة:

في ختام مسيرتنا البحثية والتي تميزت بمجموعة من السجلات النظرية لمختلف التوجهات والرؤى المعرفية المتعددة راهنا منذ البداية على أن بحثنا السوسولوجي ليس رفاهية أكاديمية بل على العكس من ذلك اعتبرناه رحلة لترتيب وتجزئ الأفكار والبيانات التي تكشف عن بعض الانتظامات والجمع فيما بينها محاولين قدر المستطاع صياغة أفكاراً جديدة منطلقها الواقع والميدان وفي الآن نفسه متسلحةً بعدة نظرية هاذان المنطلقان بين ما هو نظري وما هو تطبيقي شكلتا بالنسبة لنا بوصلة وخارطة طريق مكنتنا إلى حد ما رسم معالم بحثنا السوسولوجي.

من دون شك فإن ما توصلنا إليه في هذا البحث يبرز بوضوح وجلاء ضعف المؤسسات التعاونية في قطاع الصيد البحري والتي تُعد بنية من بنيات الاقتصاد التضامني والذي لا يرقى إلى تحقيق الإقلاع التنموي الاقتصادي والاجتماعي لمهنيي القطاع بشكل خاص وللساكنة المحلية بشكل عام، وهنا يمكن القول أن النهوض بالأوضاع التنموية في أبعادها الشمولية هو رهين بمدى تمثّل الفاعلين في قطاع الصيد البحري بأسس ومتطلبات العمل التعاوني كما هو متعارف عليه في البلدان التي راكمت تجارب ناجحة ورائدة في هذا الباب، كما هو رهين بكفاءة الأطر المسيرة والمدبرة للشأن التعاوني بعيداً عن الطروحات الانتهازية والوصولية، وهو يجب أن يكون شرط أساسي لولوج عضوية المجالس الإدارية للتعاونيات بدل الانخراط استناداً إلى عوامل قرابيه وزبونية ومصليحه.

6- المراجع:

- عن المنظمة العالمية للتغذية والزراعة حالة مصايد الاسماك وتربية الاحياء المائية في العالم
- ادريس الضحاك الموجز في قوانين الصيد البحري و تطبيقاتها في المغرب مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، طبعة 1 ، 1987،صفحة 3
- ندوة دولية نظمتها الوزارة المنتدبة لدى الوزير الأول المكلف بالتخطيط حول موضوع: "الاقتصاد الاجتماعي ومكوناته في المغرب من 20 أبريل إلى 26 من نفس الشهر، سنة 1987"
- إبراهيم بايزو، التنمية مشاركة في مقاربة المسألة التنموية من منظور تشاركي، افريقيا الشرق، 2015م.
- إدريس الكراوي، التنمية نهاية نموذج، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2018.
- بوركية مصطفى، المقاربة التشاركية وآليات تتبع وتقييم مشاريع التنمية المحلية، المطبعة السريعة، القنيطرة، 2016م.
- الدكتور محمد كريم، الاقتصاد الاجتماعي بالمغرب، التنمية المعاقلة وجدلية الاقتصاد الاجتماعي القانونية والاقتصادية والاجتماعية، مطابع أفريقيا الشرق 2012م.

عنوان البحث

مفهوم محو الأمية: التحديدات المفاهيمية، مداخله، أسسه و مقاصده

عبد الله غلي¹

¹ جامعة ابن طفيل كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بالكنيطرة

بريد الكتروني: ettouil.abdellaziz@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21128>

تاريخ القبول: 2021/10/23م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

تعد هذه الدراسة "مفهوم محو الأمية: دراسة مصطلحية" من البحوث التي تجاذبتها العقول وتعاورتها الأقسام في حقول معرفية عديدة، وفي مقدمة أهل الاهتمام، وما ذلك إلا لأن مفهوم محو الأمية من المداخل الأساسية لاستئناف الحركة العلمية، وهو ما يقتضي بذل الجهد المطلوب لفهم أسسه ومقاصده، والافادة منه بما ينسجم ومقومات التصور الاسلامي المعرفية ومنظومة قيمه الحضارية، و أهم ما يميز هذا المقال أنه قدم نموذجاً للبحث في "دراسة مفاهيمية لمفهوم محو الأمية" مع المنهج المرسوم لذلك.

RESEARCH ARTICLE**THE CONCEPT OF LITERACY: CONCEPTUAL LIMITATIONS, INTRODUCTIONS, FOUNDATIONS AND PURPOSES****Abdullah Ghli¹**

¹ Department of Sociology, Faculty of Humanitarian and Social Sciences, University
IBN TOFAIL, Kenitra, Morocco;
Email :ettouil.abdellaziz@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21128>

Published at 01/11/2021

Accepted at 23/10/2021

Abstract

This study is a "a literacy concept: A Terminology Study," is one of the researches that are attracted to minds and pens in many fields of knowledge, and in the forefront of interest that is only because the concept of literacy is one of the essential entry points for the resumption of the scientific movement, which requires an effort to understand its principles and purposes, and to benefit from it in a manner consistent with the Islamic knowledge perception and its system of civilizational values . the most important feature of this article is that it has provided a model for research into "a conceptual study of the concept of the concept of the of literacy" with the prescribed curriculum.

تمهيد:

يلقي هذا المقال الضوء على المصطلح الأساسي الذي تدور حوله الدراسة هو مصطلح "محو الأمية" بفروعه المختلفة، مع التعرّيج على جملة من المصطلحات ذات العلاقة، كل ذلك تبيان لأهمية التحديد المفاهيمي والمصطلحي في هذا المقال، من حيث وضوح الرؤية وتأمين شفرة التواصل وفهم الخطاب.

أولاً: محو في اللغة:

جاء في "لسان العرب"، محاً الشيء: أذهب أثره، والمحو لكل شيء يذهب أثره، محو آثار العدوان: إزالة أثره؛ محو: مصدر محاً، محاً الله الذنوب: غفرها، تغمدها.¹

جاءت في المعجم الوسيط من مصدر محاً يمحو أمح محوا فهو ماح والمفعول ممحو محت الريح الأثر أذهبت، أزالته، وتعني محو الأمية تعليم القراءة والكتابة.² وجاءت كلمة محو في تاج العروس محاه يمحيه محيا أو محاه يمحوه محوا، كلها بمعنى واحد وهو إذهاب اثر الشيء وإزالته فهو ممحي وممحو قال الجوهري سارت الواو ياءً لكسر ما قبلها فأدغمت في الياء التي هي لام الفعل وفي "محيط المحيط" محاً الشيء ويمحي محواً، أزال وذهب أثره، وفناء الشيء أي أزاله وأذهب أثره، ومحاً الله الذنوب أي غفرها، وهو استعارة، ووردت مكافحة في لسان العرب وتعني لقيه مواجهة.³

ثانياً: أمية:

الأمي الذي لا يكتب، وجاء عند الزجاج الأمي الذي بقي على خلقة أمه، فإن لم يتعلم الكتابة فهو على جبلته، وزاد أبو إسحاق معنى الأمي المنسوب إلى ما عليه جبلته أمه أي لا يكتب، فهو في أنه لا يكتب أمي، على اعتبار أن الكتابة أمر مكتسب، فكأنه نسب إلى ما يولد عليه أي على ما ولدته أمه عليه وكان الكتاب في العرب من أهل الطائف تعلموها من رجل من أهل الحيرة. وفي الحديث "إن أمة أمية لا تكتب ولا تحسب" أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة ولا الحساب فهم على جبلتهم الأولى التي ولدوا عليها لم يقرؤوا ولم يكتبوا وفي الحديث "بعثت إلى أمة أمية" وقيل للعرب أميون لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة إلا عند فئة قليلة منهم، ومنه قوله تعالى "...بعث في الأميين رسولا منهم..." والأمي العيي الجلف الجافي القليل الكلام قيل له أمي لأنه على ما ولدته أمه عليه من قلة الكلام وعجمة اللسان، وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الأمي لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب، وبعثه الله رسولا وهو لا يكتب ولا يقرأ.⁴ وتعني أيضا الأمية نسبة إلى الأم، أو الأمة؛ و الأمي من لا يقرأ ولا يكتب.⁵

إن كلمة الأمية ونسبتها إلى الأم في اللغة العربية من أعجب أسرار اللغة في دقة التعبير بالكلمة عن معنى ذي أبعاد وأعماق، وتعني بقاء الفرد على ما كان عليه في عهد الطفولة من السذاجة وعدم القدرة على مواجهة الأمور

¹ "لسان العرب" محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري أن لفظة "محاً" محاً الشيء: أذهب أثره. عند الأزهري: المحو لكل شيء يذهب أثره، الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: 15 ص: 271.

² إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط في لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ص 215

³ محب الدين مرتضى الزبيدي، تاج العروس، القاهرة، 1888، ص 338

⁴ - إبراهيم مصطفى وآخرون (دت)، المعجم الوسيط في لسان العرب، دار المعارف، القاهرة الجمهورية العربية المصرية، ص: 215.

⁵ - معجم الوسيط في لسان العرب لابن منظور في معاني لفظة "أمي" دار المعارف، ص 215.

واكتساب المعرفة إلا من تجارب أمه وتوجيهاتها، وبالتالي عجزه عن أن يمارس الحياة وما فيها من جدية وتجارب كثيرة عاملا منتجا شافعا، وعجزه عن استعمال مفاتيح العلوم والمعارف التي يكتسبها بنفسه. ولا ريب أن الأمية هي من أثقل وأخطر الأعباء التي ورثتها المجتمعات، وإن عصب التنمية هو الإنسان وتغيير الإنسان، يعني رفع كفايته الانتاجية في دائرة سعيه وفي مجال نشاطه، وذلك بما يفتح قدراته على التصور والأداء، وبما يرفع عنه قيود التخلف الاجتماعي في تناول الحياة ووسائلها المتعددة، وفي غاياتها المحددة، وسبيل هذا التغيير مهما اختلفت الأسماء وتتنوع الوسائل هو التعليم الذي يعني بداية تجاوز حالة الأمية، والنمو الكيفي في الفكر والإحساس واليد وفي نطاق المجتمع.

"محو" في الاصطلاح:

اصطلاحا، تعني أصبح الإنسان متعلما بعدما كان أميا، وامتلك آليات وقدرات يستطيع معها أن يقرأ ويكتب ويفهم بيانا قصيرا وبسيطا عن حياته، ويتفوق على ما كان يعتريه من نقص سواء في إدراك الواقع أو في غموض المعلومات والأفكار أو في فهم جملة من المعارف والمواقف والمهارات الوظيفية، التي تخول له الاستقلالية الذاتية، والانخراط الفعال في مجتمعه ومحيطه، وبالتالي العيش حياة كريمة واضحة منيرة، ولذلك قال الله تعالى: "...وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل..". أي: جعلناه ذا كلف وسواد ونبوءات وبقع، تجعله غير واضح ولا منير، أي مظلم للسكون فيه والتوقف، غير مشرق، ولا مضيء في نفسه، ولا لغيره.

"الأمي" في الاطلاق :

يتغير هذا المصطلح من بلد لآخر حسب ثقافة كل بلد وعاداته وتقدمه العلمي والتربوي، ومن ثمة من يعتبر المتعلم هو الشخص القادر على التعرف على الكلمات وكتابتها وفك الخط هو محو الأمية، وهناك من يرى المتعلم هو ذلك الشخص على فهم المؤلفات الأدبية وما إلى ذلك⁶، والشخص الأمي من تجاوز سن التعليم دون أن يتحصل عليه، وظل جاهلا بالقراءة والكتابة ولم يصل إلى المستوى الحضاري. ويعني كذلك: "الشخص الذي لا يعرف القراءة والكتابة ولا يستطيع أن يمضي اسمه والذي لا يستطيع حتى كتابة أقصر رسالة وقراءتها والإجابة عليها"⁷. ويعني أيضا: "كل من تجاوز الخامسة عشرة، ولم يتعد الخامسة والأربعين سنة من العمر ولا يعرف القراءة والكتابة ولم يصل إلى المستوى الحضاري"⁸.

"الأمية" في الاصطلاح:

مصطلح عرف قديما على انه: "عدم مقدرة الشخص على القراءة والكتابة وعدم معرفة معنى المكتوب، هناك كثير من التعريفات للمتعم أو غير الأمي والتي تتفق في مضمونها من حيث مقدرة الشخص على معرفة المكتوب من الكلام والمقدرة على التخاطب من خلال اللغة المكتوبة"⁹.

وتعني كذلك: "إنخفاض مستوى المعرفة لدى الشخص في اهتمام محدد عن المستوى المقدر عليه موضوعيا

⁶ عبد الفتاح جلال، المفاهيم المختلفة لمحو الأمية، الدورة التخصصية الثانية في تخطيط برامج التدريب للدول العربية والأفريقية في الفترة من 1983/5/16-4/18، المركز

الإقليمي لتعليم الكبار، المنوفية، مصر، 1983، ص3

⁷ مسارع حسن الراوي: دراسات حول محو الأمية وتعليم الكبار في الوطن العربي، المكتبة العصرية، بيروت، 1997، ص 49

⁸ مسارع حسن الراوي: مرجع سابق، ص 256

⁹ مجلة التربية: يوسف بن علي الخاطر، ص44

والمربوب اجتماعيا والمفضل فرديا ، ويقصد بها في ابسط معانيها الأمية الأبجدية وهي عدم تملك الفرد المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب إلى مستوى الذي يؤهله لمتابعة الدراسة والتدريب¹⁰. في معنى آخر من معانيها الفنية تعني " الغفلة بالشيء والجهل به ،وتعني كذلك: جهل مبادئ القراءة والكتابة"¹¹. وبالعودة إلى استخدام مصطلح "الأمية" في فرنسا، بحيث نجد " الأمية = L'analphabétisme " بمعنى L'analphabétisme est l'incapacité ou la difficulté à lire, écrire et compter, le plus souvent par manque d'apprentissage.

و"محو الأمية = alphabétisme" بمعنى "alphabétisme" se définit à la fois comme la capacité de lire et d'écrire son propre nom, et celle de lire et de comprendre des articles de journaux, de revues ou d'encyclopédies dont le niveau de complexité dépasse souvent le niveau d'acquisition moyen d'une dixième année scolaire

بمعنى القدرة على قراءة وكتابة اسمك الخاص، والقدرة على قراءة وفهم مقالات الصحف أو المجلات أو الموسوعات التي يتجاوز مستوى تعقيدها غالبا متوسط مستوى الاكتساب في السنة الثانية مدرسي. فمحو الأمية تعني قدرة المستفيد على قراءة فقرة ما من صحيفة يومية بفهم وانطلاق، والتعبير الكتابي عن فكرة أو أكثر تعبيراً سليماً واضحاً وخالياً من الأخطاء الكتابية وإجراء العمليات الحسابية الأساسية التي تتطلبها حياة الفرد اليومية ومعرفة فهم أساسيات ثقافة مجتمعه.¹²

محو الأمية:

عرفها الدكتور أحمد زكي بدوي بأنها: "عدم معرفة القراءة والكتابة والشخص الذي يعرف القراءة ولكنه لا يعرف الكتابة يسمى شبه أمي، وكلمة شبه أمي تستخدم في اللغة الدارجة للإشارة إلى الشخص الذي يقرأ ويكتب ولكن بصعوبة¹³. وهناك اختلاف بين الأمية والجهل، فالأمية لا تعني الجهل والأمي ليس جاهلاً بحكم تجاربه وخبراته التي يكون قد اكتسبها في من دروب الحياة العملية. غير أن الأمي بحكم جهله لمهارات القراءة والكتابة، يبقى عاجزاً عن التكيف مع مستجدات الحياة والتطور، وبالتالي فإن أميته تبقى عقبة في تحسين وضعيته الاجتماعية في مجالات كثيرة.¹⁴

التأصيل الشرعي الإسلامي لمحو الأمية:

القرآن الكريم: جاء في الموضع رقم: 1 من القرآن الكريم قول الله تعالى: "وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا"¹⁵. وجاء في الموضع رقم: 2 من القرآن الكريم قول الله تعالى: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ

¹⁰ - عبد الله بيومي، تقويم الوضع الحالي لمحو الأمية (الجهات، العقبات، التنسيق)، أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالتعاون مع المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، القاهرة، 2000، ص 31

¹¹ - مسارع حسن الراوي: دراسات حول محو الأمية وتعليم الكبار في الوطن العربي، المكتبة العصرية، بيروت، 1997، ص 39

¹² - مسارع حسن الراوي: دراسات حول محو الأمية وتعليم الكبار في الوطن العربي، المكتبة العصرية، بيروت، 1997، ص 62

¹³ - د/ احمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 207.

¹⁴ - عبد الرحمان عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 87

¹⁵ - القرآن الكريم الآية: 20؛ سورة آل عمران.

رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ¹⁶؛ وجاء في الموضع رقم: 3 من القرآن الكريم قول الله تعالى: "قَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ"¹⁷؛ وجاء في الموضع رقم: 4 من القرآن الكريم قول تعالى: "وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ"¹⁸. لقد ورد في تفاسير لهذه الآيات الكريمات من القرآن الكريم الأنف ذكرها، والمتضمنة لفظة "الأمي" مايلي: 1- يقول ابن تيمية¹⁹،: ((- بالنسبة لقول الله تعالى بالموضع رقم 1:..الأميون نسبة إلى الأمة. قال بعضهم: إلى الأمة وما عليه العامة. فمعنى الأمي: العامي الذي لا تمييز له. وقال الزجاج: هو على خلق الأمة التي لم تتعلم فهو على جبلته، وقال غيره: هو نسبة إلى أمه، لأن الكتابة كانت في الرجال دون النساء؛ ولأنه على ما ولدته أمه". ثم يعترض ابن تيمية بقوله: ".والصواب: أنه نسبة إلى الأمة، كما يقال: عامي نسبة إلى العامة التي لم تتميز بما تمتاز به الخاصة، وكذلك هذا (يعني الأمي) لم يتميز عن الأمة بما يمتاز به الخاصة من الكتابة والقراءة.... وبالنسبة لقول الله تعالى بالموضع رقم 2: الأمي لمن لا يقرأ ولا يكتب كتاباً، ثم يقال لمن ليس لهم كتاب منزل من الله يقرؤونه وإن كان قد يكتب ويقرأ ما لم ينزل، وبهذا المعنى كان العرب كلهم أميين، فإنه لم يكن عندهم كتاب منزل من الله، وقد أضاف ابن تيمية: (. كان في العرب كثير ممن يكتب ويقرأ المكتوب، وكلهم أميون(...)) فالمسلمون أمة أمية بعد نزول القرآن وحفظه". وأما بالنسبة لقول الله تعالى بالموضع رقم 3: هو أمي بهذا الاعتبار؛ لأنه لا يكتب ولا يقرأ ما في الكتب (يعني التوراة والإنجيل)، لا باعتبار أنه لا يقرأ من حفظه، بل كان يحفظ القرآن أحسن حفظ". وفيما يخص قول الله تعالى بالموضع رقم 4: فهذا يدل على أنه نفي عنهم العلم بمعاني الكتاب،...وهؤلاء وإن كانوا يكتبون ويقرؤون فهم أميون من أهل الكتاب، كما نقول نحن لمن كان كذلك: هو أمي، وساذج، وعامي، وإن كان يحفظ القرآن ويقرأ المكتوب إذا كان لا يعرف معناه(.). 2- روي عن ابن عباس، رضي الله عنهما أنه قال: (في قوله تعالى: ". وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ"²⁰:الأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتابا أنزله الله، فكتبوا كتابا بأيديهم، ثم قالوا لقوم سفلة جهال، هذا من عند الله. وقال: قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم، ثم سماهم أميين، لجهودهم كتب الله ورسوله).²¹

في السنة النبوية: ووردت لفظة "أمي" في أحاديث نبوية كثيرة، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب". يقول ابن منظور أنه أراد أنهم على "أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب"²². وفي حديث أيضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "بعثت إلى أمة أمية". يقول الدكتور عبد الغني عبود أي للعرب الأميين لان الكتابة كانت منعدمة عندهم، ويضيف الدكتور عبد الغني عبود الأمية بأنها الجهل بالقراءة والكتابة، أو الغفلة والجهالة الناتجان عن عدم معرفة القراءة والكتابة.²³

¹⁶ - القرآن الكريم الآية: 2؛ سورة الجمعة

¹⁷ - القرآن الكريم الآية: 158؛ سورة الأعراف

¹⁸ - القرآن الكريم الآية: 78؛ سورة البقرة

¹⁹ - مجموعة الفتاوى للشيخ الإسلام ابن تيمية - ج 17 - التفسير 4

²⁰ - سورة البقرة، الآية: 78؛

²¹ - تفسير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصري في تفسيره الآية 78 من سورة البقرة من القرآن الكريم .

²² - ابن منظور المصري: لسان العرب، ج 12، دار صادر، بيروت، لبنان، 1990، ص 34

²³ - د/ عبد الغني عبود: التربية ومشكلات المجتمع، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1992، ص: 151

التأصيل الفلسفي لمحو الأمية: تتصف الفلسفة بالحكمة، وترفض الظلم والظلم والجهل والجهول والكسل والكسول، ومن تم فالحكيم لا بد أن يكون عليماً، ومصيباً في القول والعمل، ومن تم فلا يليق بالإنسان مهما كان أن يضل جاهلاً بنفسه وجاهلاً بمن يدور في كنفه، ومتواضعاً مكسوراً أمام الأمية الجاثية على بصره وبصيرته، فلا بد من خوض طريق الحكمة والمعرفة التي ترجى عاقبتها الحسنى والحسنة، ومن مسلمات طلب العلم والحكمة تعلم مبادئ القراءة والكتابة... ومن تم فالأمية مظهر لا يليق وكرامة الإنسان، وقد قال أحد أكبر الفلاسفة الصينيين "كونفوشيوس"، ممن اجتمع في إقراره لمكونات كمال الإنسان من "ذكاء" و"شجاعة" و"حب الخير"، ما تفرق عند سقراط ونييتشه والمسيح، ويقول: الرجل الأعلى واسع الفكر غير متشيع إلى فئة. بل هو ذو خلق وذو ذكاء... أما إذا تساوت فيه صفات الجسم والثقافة والتهديب وامتزجت هذه بتلك كان لنا منه الرجل الكامل الفضيلة. فالذكاء هو الذهن الذي يضع قدميه على الأرض... إنه يعمل قبل أن يتكلم، ثم يتكلم بعدئذ وفق ما عمل²⁴. وأثر عنه قوله: "إذا وضعت مشاريع سنوية فازرعوا القمح، وإذا كانت مشاريعكم لعقد من الزمان فاغرسوا الأشجار، أما إذا كانت مشاريعكم للحياة بكاملها فما عليكم إلا أن تتفوقوا وتعلموا وتنشؤوا الإنسان".

بالتالي فمحو الأمية هي بداية طلب العلم، ومن تم فهي بداية الحكمة والفضيلة والذكاء والشجاعة وحب الخير للمستفيد نفسه ولكل من وما يحيط به.

التأصيل الاجتماعي لمحو الأمية: الأمي كل فرد في المجتمع عاجز عن التواصل مع أفراد مجتمعه، ولا يستطيع الانتفاع بالمعارف التي تتيحها وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية والمسموعة، وعاجز عن تلقي التوعية والتكوين المستمر بواسطتها إنه بالتالي الشخص الغير مندمج في حياة محيطه الاجتماعي والحضاري بالوسائل المتاحة.

وقال ابن خلدون في المقدمة، في معرض كلامه عن الخط والكتابة، مبينا أن الكتابة خاصية تميز الإنسان عن الحيوان، ويتم اكتسابها عن طريق التعليم، ويضيف ابن خلدون: "هذا نجد أكثر أهل البدو أميين لا يكتبون ولا يقرؤون ومن قرأ منهم أو كتب فيكون الخط قاصراً وقراءته غير نافذة". ثم يستطرد في قوله: وقد كان رسول صلى الله عليه وسلم أمياً، وكان ذلك كمالاً في حقه وبالنسبة إلى مقامه، لشرفه وتنزهه من الصنائع العملية، التي هي أسباب المعاش والعمران كلها وليست الأمية ظاهرة اجتماعية بامتياز عرفتها كل التجمعات البشرية على مر التاريخ الحياة الدنيا²⁵. وتبقى ظاهرة الأمية ظاهرة اجتماعية بامتياز عرفتها كل التجمعات البشرية على مر التاريخ بنسب متفاوتة، تتخفف أحياناً، وتعظم في آحايين أخرى، وخاصة في المجتمعات النامية منها ويشكل أمر توسعها منعرجاً خطيراً يحول وتحقيق أبعاد التنمية الاجتماعية في مناحي عدة، وبالتالي فإن تفشي هذه الظاهرة الاجتماعية لها نواتج سلبية واضحة تتعدى الأفراد والمجتمع، وخاصة وأن الاهتمام بالموارد البشرية من خلال فتح آفاق لبناء التعلّم واكتساب المعرفة من عوامل الأخذ بأسباب التقدم والازدهار. ولذلك فمفهوم الأمي بالنسبة لهذه الدراسة، هو من لا يمتلك أبسط مهارات المعرفة، ويشكل للمجتمع ثروة معطلة، ورأس مال بشري

²⁴ - محمد فتح الله كولن محاضرات كونفوشيوس (المقتطفات الأدبية) (146) / Confucius, The Analects, / Chinese Literature Comprising The Analects of Confucius, The Sayings of Mencius, The Shi-King, The Travels of Fâ-Hien, and The Sorrows of Han

²⁵ - عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد واقي، دار الشعب، القاهرة، مصر، ص: 375 _ 379

غير مستغل وغير مستثمر. وتبعاً لهذا فكل عمليات التنمية والتطوير سواء في المجال الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثقافي أو الصحي أو الديموغرافي ينبغي أن يعتمد فيها على جميع مكونات شرائح المجتمع دون استثناء، بمعنى أن ينسحب الاهتمام كذلك على محو أمية الجميع وتسهيل سبل التعلم للكل وتعليمهم وتأهيلهم، ومن ثم النهوض بهم إلى ما يحقق الأهداف المرجوة. فالسبيل الوحيد للقضاء على هذه الظاهرة الاجتماعية السلبية للأممية رهين بعملية تعلم فاعلة تشمل الوعي الاجتماعي والتفكير النقدي البناء وتدفع المجتمع والأفراد إلى أفق من الانعتاق المعرفي والفكري الثقافي الذي ينتج معه تحرير طاقات أفراد المجتمع وإبداعاتهم. وبالتالي يضمن حق التعلم والزاميته لكافة أفراد المجتمع الأميين من خلال برامج ومراكز لمحو الأمية ذات مواصفات مقبولة مجتمعيًا، وتلبي حاجات الأفراد.

ولذلك فلا غرابة أن نجد العديد من المربين يعتبرون محو الأمية بالإضافة إلى أنها حق من الحقوق الأساسية للفرد دال مجتمعه، فهي أيضاً مؤشراً أساسياً لصيق بنجاح خطط ومشاريع التنمية، وأداة مقوية وداعمة القدرات الشخصية ومحقة للشروط الموضوعية للتنمية البشرية والاجتماعية.

تعريف اليونسكو للفظ المركب "محو الأمية": عرفت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو:

"أمي": "الأمي هو الشخص الذي لا يستطيع أن يقرأ أو يكتب أو يفهم عبارة قصيرة و بسيطة عن حياته اليومية". ثم "يعد الشخص أمياً وظيفياً، إذا كان غير قادر على الانخراط في النشاطات التي تتطلب معرفة القراءة والكتابة من أجل الأداء الفعال لجماعته و مجتمعه".²⁶

الأمية: "عجز الفرد عن توظيف مهارات القراءة والكتابة أو إنه كل سلوك يتعارض طبيعياً ووجوداً مع نظام الحضارة المعاصر، ومع أسلوب إنتاجها، ومع نمط الارتقاء بها، ومع فلسفتها السياسية والاجتماعية".²⁷

الأمية السياسية: ويقصد بها جهل الإنسان للأمور السياسية، رغم تعلمه القراءة والكتابة والحساب.

الأمية الدينية: ويقصد بها عدم معرفة الإنسان للشعائر الدينية اللازمة له.

الأمية الثقافية: تخص الفئة التي لها مستوى تعليمي معين، غير أنها تفتقر إلى الحس الثقافي

الأمية الاجتماعية: "هي الجهل بالمشكلات التي تعاني منها المجتمعات".²⁸

الأمية الصحية: ويقصد بها الجهل بالنواحي الصحية وأسباب الوقاية والعلاج.

الأمية الاقتصادية: تعني الجهل بالنواحي الاقتصادية في المجالات الثلاثة: الأسرة، المجتمع المحلي، المجتمع الدولي.

محو الأمية: "يعد متعلماً كل شخص يستطيع أن يقرأ ويكتب ويفهم بياناً قصيراً وبسيطاً عن حياته".²⁹ وعرفت منظمة اليونسيف محو الأمية هو القدرة على استخدام مهارات القراءة والكتابة والحساب لكي يؤدي الفرد وظيفته ويتطور في المجتمع على نحو فعال والتعريف الذي اعتمده اليونسكو لمحو الأمية هو "يعد متعلماً كل شخص

²⁶ - L'UNESCO, Monographie sur l'Education de base, L'Analphabétisme dans divers pays, Etude statistique préliminaire sur la base de recensement effectuée de puis, 1900, UNESCO, sans date, p 11.

²⁷ - منظمة اليونسكو، التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع، القرائية من أجل الحياة، 2006، ص 157

²⁸ - فؤاد بسيوني متولي (1998)، مشكلة الأمية، مركز الإسكندرية للكتاب، د ط، ص 22 الإسكندرية؛ الجمهورية العربية المصرية.

²⁹ - منظمة اليونسكو الأمية، من خلال التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع، القرائية من أجل الحياة، 2006، ص 159

يستطيع أن يقرأ ويكتب بفهم بياناً قصيراً وبسيطاً عن حياته اليومية³⁰. وبينما التعريف الإجرائي: هو درجة تعلم مهارتي القراءة والكتابة للفرد الأمي من أجل التعامل مع المجتمع والاندماج فيه.

التعاريف العالمية لمحو الأمية: بالنسبة لوكالة التنمية الدولية التابعة للولايات المتحدة، البنك الدولي تعرف محو الأمية: "مجموعة أساسية من المهارات القراءة والكتابة والحساب أو الكفاءات". بينما الوكالة الكندية للتنمية الدولية تعرف محو الأمية: "مهارة من المهارات التي ينبغي أن يوفرها التعليم الأساسي، أو مكون من مكونات التعليم الأساسي". في حين نجد وزارة التعاون الاقتصادي والتنمية في ألمانيا الاتحادية يمثل محو الأمية لديها: "مهارات القراءة والكتابة، كما أنه يدل على القدرة على مواصلة التعلم". أما تعريف محو الأمية لدى الوكالة السويدية للتعاون الدولي من أجل التنمية يتعلق: "بتعلم القراءة والكتابة النصوص والأعداد، كما أنه يتعلق بالقراءة والكتابة والحساب من أجل تعلم وتنمية هذه المهارات واستخدامها لتلبية الضرورات الرئيسية على نحو فعال".

تعاريف العالم العربي لمحو الأمية: "الشخص الذي لم يحصل على أدنى مستوى وظيفي في القراءة والكتابة وهو ما يشار إليه بالأمية الأبجدية، وعلى هذا الأساس أقامت الكثير من البلدان العربية برامجها لمحو الأمية، والتي تشابهت في عناصرها ومكوناتها مع التعليم الرسمي الذي يقدم للصغار في الصفوف الابتدائية الدنيا".³¹

أما المفهوم الحديث للأمية: "فهو الذي ليس لديه مهارات حسابية ومعارف ومهارات حل المشكلات، والتي تعتبر جميعاً مهارات أساسية في عالمنا المتغير والتي يمكن أن تكتسب من خلال الأنظمة التعليمية الرسمية، أو عن طريق الخبرات الفردية خارج الأنظمة التعليمية الرسمية".³²

وعرف المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار بجمهورية مصر الأمية: "كل شخص لا يتقن القراءة والكتابة والحساب وتجاوز سن المرحلة الابتدائية ويحدد المستوى الوظيفي في القراءة والكتابة بالقدرة على³³: "قراءة فقرة من صحيفة يومية بفهم وانطلاق، والتعبير الكتابي من فكرة أو أكثر تعبيراً واضحاً، وكتابة قطعة إملاء كتابة صحيحة سليمة، وقراءة الأعداد وكتابتها وإجراء العمليات الحسابية التي تتطلبها الحياة اليومية للفرد".³⁴

"...ولا يمكن فصل ظاهرة الأمية في الأفراد عنها في المجتمع وإن اختلفت مظاهرها، أو تنوعت سماتها في كل من الميادين، فالأمية في الأفراد مظهرها هو الجهل بمهارات القراءة والكتابة والحساب في لغة من اللغات، هي التي يدور حولها نشاط محو الأمية"³⁵. وفي مؤتمر الإسكندرية عام 1964 بالجمهورية العربية المصرية، حدد الأمي بأنه كل من تعدى سن العاشرة ولم يتردد على أي مدرسة بقصد التعليم ولم يصل إلى المستوى الوظيفي في القراءة والكتابة باللغة العربية. ففي القانون المصري رقم 8 لسنة 1991 يقصد بمحو الأمية تعليم المواطنين الأميين للوصول بهم إلى مستوى نهاية الحلقة الابتدائية من التعليم الأساسي³⁶. كما يصنف الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء الأفراد في خانة الأميين استناداً إلى عدم قدرتهم على الكتابة حتى ولو كانوا يقرأون. ويعتبر

³⁰ - منظمة اليونسكو، مرجع سابق، ص 159

³¹ - مجلة التربية: المراسلات اسم رئيس التحرير الأمين العام للجنة الوطنية يوسف بن علي الخاطر " العدد 152 مارس 2005، ص 43

³² - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مجلة تعليم الجماهير: عن الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ل: مسارع الراوي، العدد 12 السنة الخامسة، ماي 1987، ص 79

³³ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مجلة تعليم الجماهير: عن الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار، ل: (. مسارع الراوي، العدد 16، السنة الرابعة، 1985، ص 28

³⁴ - مكتب العمل العربي: المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل: دور المنظمات النقابية في محو الأمية في (الوطن العربي - مجموعة محاضرات - بغداد العراق 1983، ص 83

³⁵ - المرجع نفسه، ص: 24

³⁶ - قانون 8 لسنة 1991 بشأن محو الأمية وتعليم الكبار، المادة الثانية، أنظر لملاحق (ملحق رقم 2)

الفرد غير أُمي عندما يكون قد اكتسب المعلومات والمهارات الضرورية التي تمكنه من أن ينخرط في جميع أنشطة الحياة التي تتطلبها الأبجدية من أجل تفاعل مستمر في مجموعته ومجتمعه، وأن يكون مستوى ما حصله في القراءة والكتابة والحساب إلى الدرجة التي تمكنه من أن يستمر في تلك المهارات³⁷. وحددت الحملة القومية لمحو الأمية في مصر المستوى التعليمي والثقافي الذي ينبغي أن يصل إليه الأُمي وهو ما يطلق عليه المستوى الحضاري ويقصد به قدرة الدارس على توظيف ما اكتسبه من خبرات قرائية وكتابية وحسابية في معاملاته اليومية وفي تسيير شؤونه الحياتية وفي مواصلة الإطلاع والاتزادة من فرص التعليم والعمل على تطوير مهاراته المهنية، والارتقاء بمستوى معيشته، وزيادة وعيه بمشكلات بيئته وقضايا مجتمعه ومشاركته الإيجابية في حلها.³⁸

نماء مفهوم محو الأمية: لقد طرأ على مفهوم محو الأمية تحولات، وظهرت إلى جانبه مفاهيم وأفكار كثيرة، من قبيل تعليم الكبار، التعليم الشعبي، تربية الجماهير الشعبية، تربية المجتمع، التربية الاجتماعية، التربية الأساسية، التعليم الذاتي، التربية مدى الحياة، التربية المستمرة، تنمية المجتمع وغيرها³⁹. هذا الأمر جعل مفهوم محو الأمية يتطور ويتبدل شكلاً، وقد مر مفهوم محو الأمية في تحولاته بأطوار وهي:

رقم1: مرحلة محو الأمية الأبجدية (الهجائية) : بعد نيل الشعوب استقلالها واسترجاع سيادتها وخاصة مع بداية العقد الثاني من القرن العشرين جهوداً مضاعفة في مكافحة الأمية وهذا انطلاقاً من المفهوم التقليدي للمناهج الذي اهتم بعنوان المادة الدراسية على نحو أنها كفاية أساسية في التربية والملاذ الأول والأخير للقضاء على هذه الشأفة شأفة الأمية، بالتالي مفهوم محو الأمية انحصر في تعليم القراءة والكتابة دون الاهتمام بمضمون المحتوى، فلم يكن لهذا أي قيمة في التعليم.

رقم2: لقد عايشت هذه المرحلة المفهوم التقليدي لمحو الأمية إلى بروز مرحلة أخرى تتعلق بنظرية "التدريب الشكلي" بمنطق أنها نظرية تنادي بتقسيم العقل إلى مجموعة من الملكات، واحدة للتذكر وأخرى للملاحظة، وثالثة للتفكير وهكذا⁴⁰. فصارت وظيفة التربية والتعليم هنا هي تدريب كل ملكة تدريباً شكلياً دون الاهتمام بالمضمون أو المحتوى لهذا التدريب.

رقم3: في هذه المرحلة تمت مناقشة طريقة المرحلة السالفة، وذلك بمفهوم آخر لمحو الأمية، بحيث أصبحت عملية القراءة والكتابة لا تمثل وظيفة هامة في حياة الأفراد في المجتمع إذ كان في الماضي مجتمعاً بدائياً. ولا يحتاج إلى القراءة والكتابة في حياته اليومية. وكانت عملية تعليم القراءة والكتابة تتم بطريقة آلية بقصد اكتساب مهارة الاتصال الشفوي لا غير.

رقم4: صار الاهتمام بالجوانب والمهارات الفكرية وتجاوزت آلية القراءة والكتابة، وبانت طرق وتقنيات أخرى غير التقليدية لعملية التعليم والتدريس.

رقم5: هنا تطور المفهوم محو الأمية إلى مفهوم يركز على المهارات الأساسية للقراءة والكتابة والحساب...

37 - يوسف خليل داوود : دوافع البالغين الأُميين في مصر للالتحاق بفضول محو الأمية، صحيفة التربية، رابطة خريجي معاهد وكليات التربية، العدد 2، يناير 1995، ص 24

38 - الهيئة العامة لمحو الأمية وتعليم الكبار: الحملة القومية لمحو الأمية 1992-2001، القاهرة، مطابع الهيئة 1997، ص 22

39 - إبراهيم محمد إبراهيم ومصطفى عبد السميع محمد التعليم المفتوح وتعليم الكبار: رؤى وتوجهات، دار الفكر العربي، القاهرة 2004، ص 54

40 - الأستاذ الدكتور فؤاد سليمان قلادة: أسس تخطيط المناهج وبناء سلوك الإنسان في التعليم النظامي وتعليم الكبار. 2005، ص 306 - كلية التربية، جامعة طنطا 2004

رقم 6: هذه المرحلة، عرفت توسع مفهوم محو الأمية إلى مفهوم أوسع، يشتمل اكتساب المهارات القرائية العملية، ووضع أسس للتعليم مدى الحياة.

رقم 7: أما في المرحلة الآنية، صار يتجلى مفهوم محو الأمية في دعم قدرات المستفيدين، في كيفية الاستثمار الزماني والمكاني، وفي تحديد الأمور وفهمها وتفسيرها، وتوسيع مدارك الإبداع وأفق التواصل ضمن عالم يعج بالمتغيرات ويزدان بثنى أنواع الوسائط والتقنيات الرقمية، وثراء المعارف والمعلومات وغناها.

محو الأمية الأبجدية: تعني التغلب على آليات القراءة والكتابة، واكتساب مبادئ القراءة والكتابة والحساب بشكل مبسط، ومختلف أصناف مفاتيح التعلم من لدن الأفراد المستفيدين غير المتعلمين إطلاقاً. فالأمية بمنظورها الأبجدي وفي مظهرها الفردي تحدد في مصادر النظام التعليمي، ومصدرها بصفة عامة هو غياب فرصة التعليم، إما لأن الفضاءات التعليمية غير موجودة أصلاً، وإما لأنها مع وجودها لا تتسع لكل هؤلاء، أو أنها اتسعت لهم، وانعدمت فرصة تكافؤ الفرص، أو وقع مانع لأسباب اجتماعية أو اقتصادية، أو هدر وتسرب فحدث ارتداد من جديد إلى الأمية.

محو الأمية الوظيفية: محو الأمية الذي يتعلق بإدراك معارف ثقافية ولغوية، وتعلم المهارات الشفوية والعملية، وكما وصفها مؤتمر طهران سنة (1965) بأنه: "برنامج للتدريب المهني و يشجع النمو السريع لإنتاجية الفرد"، وكذلك إعلان "برسبوليس" (1975) الذي أكد على أنها: "ربط محو الأمية بالمطلوبات الأساسية للإنسان"، والقدرة على القيام بجميع الأعمال التي تتطلب إماماً بالقراءة والكتابة والحساب، من أجل التنمية.

محو الأمية المهنية: قدرة الشخص المهني أو العامل في مجال ما على زيادة كفاءته وأدائه ومهارته على الإبداع والإنتاج الجاد والتألق، و توظيف المعارف والمعارف والقدرات في مجالات الممارسة الفعلية في حياة المهني أو العامل الخاصة والعامة. وعليه فهي تتعلق بعملية الإنتاج؛ أي الفئات التي تسيّر الإنتاج وعدم قدرة الشخص على أداء مختلف الأعمال التي تسند إليه. بالتالي دعم قدرة الشخص المهني على فهم الناس المحيطين به، والتعامل معهم والاندماج في المجتمع المهني.

محو الأمية البيئية: هي محو الأمية المناخية والبيئية، والتي تدل على تمكين الأفراد بالمعلومات والمستلزمات المعرفية اللازمة والشواهد الحجاجية العلمية والثقافية والمرافعات الإقناعية بما يلهمهم ويحثهم على الدفاع عن البيئة والمناخ وعلى حمايتهم من كل التصرفات غير الواعية بأهمية البيئة ومواردها المختلفة ودعم قدرته على التعامل مع البيئة والمحافظة عليها، وتجنّبها كل مظاهر اللامبالاة تجاهها. هي المحرك في أفق خلق ناخبين خضر، وتحسين القوانين والسياسات المتصلة بالمناخ والبيئة، فضلاً عن التسريع في عجلة التكنولوجيا والوظائف الخضراء.

محو الأمية الثقافية: هي تجاوز ضآلة حجم المدركات لدى الأفراد، وتدني مستوى المعلومات العامة، وسلبية المشاركة في النشاط المجتمعي⁴¹ وبالتالي فمحو الأمية الثقافية عملية تكتسب بالقراءة الهادفة، وتنتج عنها تصورات إبداعية إيجابية ملموسة وموسعة ومتنوعة وزاخرة من حيث تعبيراتها الفنية والخيالية والحياتية الإنسانية، مما ترتقي معها مستويات المعرفة الثقافية للحياة العصرية والعلاقات الاجتماعية وفق أحداث وتطورات في

⁴¹ _ جمال قبيط : الحاجات اللغوية للكبار(دراسة تطبيقية في مراكز محو الأمية ببيجل، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، الجزائر 2007/ 2008)، ص 24، نقلاً عن هادي حليمة، لمطالعة

لدى المنحرفين من الأمية، دراسة ميدانية بمركز محو الأمية، بلدية قسنطينة، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، الجزائر 1998 م

المجال الخاص، والمجال العام للمساحة الفكرية والثقافية لدى الإنسان الذي طور نفسه وذاته، واطلع أمورا بشكل تام، وكشف المبهم، وعرف الحق، وفهم الواجب بدون هواجس (الدين، أو الهوياتية، أو التاريخية، أو الجغرافيا، اللغوية...)، حينها يكون الشخص قد تخلص من أميته الثقافية⁴². وبالتالي تخطي الجمود الفكري وعدم القدرة على الإبداع والابتكار وإدراك الأشياء.

محو الأمية الحضارية: إن ظاهرة الأمية بمختلف أبعادها لم تعد إشكالية تعليمية أو تربوية فحسب، بل هي في الأساس مشكلة حضارية، لذا فتحير مفهوم محو الأمية من إطاره الضيق المقصور على تعلم القراءة والكتابة والحساب، ومن اعتباره أيضا نشاطا تعليميا من الدرجة الدنيا، ليستوعب الأبعاد الحضارية والاجتماعية المنبثقة عنها، وبحيث يصبح اكتساب مهارات القراءة والكتابة والحساب، ليس غاية في حد ذاته، وبقدر ما يجب أن يكون وسيلة لبلوغ غايات أهم، ومن هنا ينبغي توظيف تلك المهارات المكتسبة في سياق التنمية والتقدم لتحقيق المشاركة الايجابية في بناء المجتمع المعاصر والقيام بالمسؤوليات التي تقتضيها المواطنة الصالحة. وعلى هذا الأساس فإن محو الأمية الحضارية هي ممارسة النشاطات ونظم وأنماط سلوكية اجتماعية وتقنية وحضارية متخلفة، لا تتسجم مع أفكار العصر السياسية والاجتماعية. الأمية ليست ظاهرة تعليمية أو اقتصادية منعزلة، وإنما هي مظهر من مظاهر التخلف الاجتماعي المتكامل، بل تجاوزت أبعادها التعليمية والتربوية التقليدية إلى أمر حضاري، يعتمد على المشاركة الجماعية والإسهام الجماعي والتنفيذ الشعبي بحيث يصبح المجتمع معلما متعلما، وهو نشاط يراد له أن يدخل في المنزل والحقل والمصنع ويديره في كل منطقة أهلها ويمولونه بالتعاون مع السلطات المحلية والمركزية وينشئون في كل مكان حياة متكاملة من التدريب المهني والتعاوني والنشاط الثقافي والإعلامي والرياضي والترفيهي بحيث يكون هذا النشاط جزءا من النشاط الاجتماعي للمجتمع بمشكلاته الحقيقية وليست كمارسات نمطية تفرض عليه⁴³. وعليه فإنه من التعسف أن يقتصر مفهوم محو الأمية على تعلم القراءة والكتابة والحساب، ولا يتعداه إلى أنشطة تعليمية من درجة عليا تستوعب الأبعاد الحضارية والاجتماعية المنبثقة عن اكتساب مهارات القراءة والكتابة والحساب، بحيث ينبغي توظيف هذه المهارات المكتسبة الأخيرة في سياقات اجتماعية وثقافية متجددة ومتقدمة رغبة في التشاركية النافعة، والقيام بالمسؤوليات التي تقتضيها المواطنة الصالحة⁴⁴. فالأمية الحضارية هي المناخ الاجتماعي لنمو وانتشار واستمرار الأمية الأبجدية، ففي نطاق المجتمع التقليدي يستطيع الأمي أن يمارس حياة اجتماعية كاملة يستطيع أن يجد عملا تقليديا أن يجمع ثروة، وأن يكون له دور ومكانة، وأن يمارس في بعض الأحيان نشاطا قياديا دون أن يكون لأميته الأبجدية أثر في ذلك. وتشير اليونسكو إلى الأمية الحضارية على أنها تشمل الأمية السياسية والدينية والاجتماعية والصحية والاقتصادية إضافة إلى الأمية الهجائية، كما تعرف الأمية الحضارية بأنها عدم القدرة على الإسهام في تنمية المجتمع وتحديثه لتوفير المناخ الحضاري الذي يحفز الفرد على مواصلة التعليم.

محو الأمية الإلكترونية: هي عدم القدرة على استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة مثل: الكمبيوتر والشبكة

42- تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي " إدماج الشباب عن طريق الثقافة "؛ إحالة ذاتية رقم: 2012/3؛ ص: 17؛ 18.

43- نبيل عامر : تعليم الكبار، استعراض تاريخي في علم تعليم الكبار ، كتاب مرجعي، تونس، 1998، ص 52.

44- صابر محي الدين : " تعليم الكبار في إطار الأصالة والتحديث في الثقافة العربية المعاصرة "، عن تعليم الجماهير، الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد 27، السنة 12، مارس، 1985، ص 12

المعلوماتية الدولية، والجهل في التعامل مع المواد الرقمية، غير أن هذا الموضوع لازال محل جدل الكثير من البلدان المتقدمة، لأن مفهوم الأمية هناك يقتصر على من لا يستطيع توظيف التكنولوجيا العالية. وهي منهاج تعليمي لمحو الأمية التكنولوجية، وبرنامج تكويني يستهدف الفئة التي لا تمتلك المهارات التقنية والرقمية المعلوماتية، ولا تحسن استعمال وسائل الإعلام والاتصال الآلي كالحاسوب والانترنت...، إذ يسمح هذا البرنامج التعليمي الرقمي التكنولوجي للشرائح المستهدفة من فرص الاستفادة الكمية والنوعية ومن سهولة اكتساب وتبادل المعارف بشكل سريع، وعبر مسار زمني ومكاني مختلف ومتغير، بحيث هذا المسار يتطور ويتنوع بشكل مستمر تبعاً لأهداف استخدام التكنولوجيا في هذه المجالات المعنية، واقتارنا بمظاهر التقدم التكنولوجي والتطور المتسارع في استخدام الإنترنت، وبالتالي فإن المجتمع المتعلم رقمياً، إنما هو مجتمع يتمتع بالدينامية، فكلما ازداد اتساع نطاق الاتصالات المتوافرة افضى ذلك إلى إحداث مزيد من المشاركة الاجتماعية والسياسية، وبالتالي إلى مجتمع حر ومنفتح، يتبادل الأفكار وينخرط في الحوار.

برامج محو الأمية: تعتبر برامج محو الأمية عملاً متصلاً بالاستراتيجية العربية لتعليم الكبار والتي تتبنى مفهوماً شاملاً وحضارياً لهذا التعليم، وهي ذات طبيعة خاصة وملامح ذاتية تميزها عن غيرها من البرامج التعليمية الأخرى وتستمد الخصوصية من إطارها الفكري والمرجعي والموضوعي في الاستراتيجية العامة لكما تستمد منه طبيعة الجمهور الذي توجه إليه وتستهدف التأثير فيه⁴⁵ البرامج والمناهج لفظان غير مترادفين ولكل منهما معنى مستقل ولم يحدث اتفاق على مفهوم محدد جامع مانع لكل منهما ولكن يمكن توضيح دلالة كل منهما.

برامج محو الأمية وتعليم الكبار: يشمل مفهوم محو الأمية وتعليم الكبار كل أنشطة محو الأمية بشقيها الأبجدي والحضاري والتعليم الوظيفي وكذلك فكرة التعليم المستمر مدى الحياة في إطار المواجهة الشاملة للأمية الحضارية، والذي يعني ربط جهود محو الأمية وتعليم الكبار بجهود التنمية الشاملة في المجتمع بحيث تتكاتف كل الجهود للقضاء على الأمية بالبرمجة والتنسيق بين كل القطاعات وفق خطط مدروسة ومحددة وذات أهداف مرسومة.

وتتلخص الأهداف الرئيسية المتوخاة من تعليم الكبار في نقاط أربع هي: التعليم، القدرة على التكيف الاقتصادي، القدرة على التكيف الاجتماعي والثقافي وتنمية الاتجاهات التي تبرز شخصية الفرد وتفكيره ومستقبله. ويقصد بالتعليم اكتساب المعرفة أو نقل المعلومات النظرية للفرد في كافة مجالات المعرفة بطرق مبسطة ومتلائمة مع مستوى نضجه وتفكيره وخبرته وحاجاته ويكون البرنامج الدراسي هو الوعاء لكل هذه المعلومات ولذا فإن كل هذه البرامج يجب أن تكون متماشية مع متطلبات الفرد والجماعة التي ينتمي إليها وكذلك مع طبيعة احتياجات مجتمعه وطبيعة العصر الذي يعيش فيه .

ونعني بالقدرة على التكيف الاقتصادي اعطاء الفرد مكانه الطبيعي في الحياة العملية ليكون عضواً فعالاً في عملية الانتاج ويساهم بجهده في تطوير اقتصاد مجتمعه، ويمكن تحقيق ذلك عن طريق الدورات التكوينية والتدريبية والتعليم الوظيفي، ومراكز التأهيل بما يتلائم مع الاستعداد النفسي للفرد الكبير وميوله الشخصي والدور المتوقع منه للقيام به.

45- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، "مشروع استراتيجية تعليم الكبار في الوطن العربي" تونس 1996، ص149، 167.

ونعني بالقدرة على التكيف الثقافي والاجتماعي تعريف الفرد ببيئته الاجتماعية وبموجات التغيير التي تحتاج هذه البيئة ودوره هو احداث هذه التغييرات و توجيهها، ويمكن تحقيق ذلك من خلال البرامج الاجتماعية والاقتصادية و النفسية و الادبية و الفنية.

خاتمة:

تعد هذه الدراسة "مفهوم محو الامية: دراسة مصطلحية" من البحوث التي تجاذبتها العقول وعاورتها الأقلام في حقول معرفية عديدة، وفي مقدمة أهل الاهتمام، وما ذلك إلا لأن مفهوم محو الامية من المداخل الاساسية لاستئناف الحركة العلمية، وهو ما يقتضي بذل الجهد المطلوب لفهم أسسه ومقاصده، والافادة منه بما ينسجم ومقومات التصور الاسلامي المعرفية ومنظومة قيمه الحضارية، و أهم ما يميز هذا المقال أنه قدم نموذجاً للبحث في "دراسة مفاهيمية لمفهوم محو الامية" مع المنهج المرسوم لذلك.

قائمة المصادر والمراجع:

- فؤاد بسيوني متو (1998)، مشكلة الأمية، مركز الإسكندرية للكتاب، د ط، ص 22الإسكندرية؛ الجمهورية العربية المصرية.
- _ إبراهيم محمد إبراهيم ومصطفى عبد السميع محمد التعليم المفتوح وتعليم الكبار: رؤى وتوجهات، دار الفكر العربي، القاهرة 2004 .
- _ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط في لسان العرب، دار المعارف، القاهرة.
- _ ابن المنظور المصري : لسان العرب، ج 12 ، دار صادر، بيروت، لبنان، 1990 .
- _ احمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- _ الأستاذ الدكتور فؤاد سليمان قلادة: أسس تخطيط المناهج وبناء سلوك الإنسان في التعليم النظامي وتعليم الكبار. 2005 ، ص 306 - كلية التربية، جامعة طنطا 2004
- _ التصوف في مصر والمغرب، منا لعبد المنعم.
- _ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مجلة تعليم الجماهير: عن الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار، ل:) . مسارع الراوي، العدد 16، السنة الرابعة، 1985 .
- _ الهيئة العامة لمحو الأمية وتعليم الكبار: الحملة القومية لمحو الأمية 1992-2001، القاهرة، مطابع الهيئة 1997.
- _ إيدجار فور وآخرون، تعلم لتكون، ترجمة حنفي بن عيسى، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979 .
- _ تفسير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصري في تفسيره للآية 78 من سورة البقرة من القرآن الكريم .
- _ تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي " إدماج الشباب عن طريق الثقافة "؛ إحالة ذاتية رقم: 2012/3.
- _ شبل بدران، التربية والمجتمع، رؤية نقدية في المفاهيم، القضايا، المشكلات، ط 1، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1999 .
- _ صابر محي الدين : "تعليم الكبار في إطار الأصالة والتحديث في الثقافة العربية المعاصرة ، عن تعليم

- الجماهير، الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد 27، السنة 12، مارس، 1985.
- ضياء الدين زاهر، التخطيط الاستراتيجي لبرامج وحملات محو الأمية، القاهرة، مارس، 1998.
- عباس مدني، مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية، الجزائر، باتنة: دار الشهاب للطباعة والنشر، 1986.
- عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، دار الشعب، القاهرة، مصر، بدون. - تاريخ.
- عبد الفتاح جلال، المفاهيم المختلفة لمحو الأمية، الدورة التخصصية الثانية في تخطيط برامج التدريب للدول العربية والأفريقية في الفترة من 4/18-16/5/1983، المركز الإقليمي لتعليم الكبار، المنوفية، مصر 1983.
- عبد الله بيومي، تقويم الوضع الحالي لمحو الأمية (الجهات، العقبات، التنسيق)، أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالتعاون مع المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، القاهرة، 2000.
- عبد الناصر محمد رشاد، التعليم والتنمية الشاملة دراسة في النموذج الكوري، ط 1، القاهرة: دار الفكر العربي.
- قانون 8 لسنة 1991 بشأن محو الأمية وتعليم الكبار، المادة الثانية، أنظر لملاحق (ملحق رقم 2).
- لسان العرب "لابن منظور في معاني لفظة "أمي" ولفظة "محا"
- مجلة التربية: المراسلات اسم رئيس التحرير الأمين العام للجنة الوطنية يوسف بن علي الخاطر " العدد 152 مارس 2005.
- مجموعة الفتاوى للشيخ الإسلام ابن تيمية - ج 17 - التفسير 4
- محب الدين مرتضى الزبيدي، 1888، مادة "محو"
- مسارع حسن الراوي: دراسات حول محو الأمية وتعليم الكبار في الوطن العربي، المكتبة العصرية، بيروت، 1997.
- مكتب العمل العربي: المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل: دور المنظمات النقابية في محو الأمية في (الوطن العربي - مجموعة محاضرات -بغداد العراق 1983.
- منظمة اليونسكو الأمية، من خلال التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع، القرائية من أجل الحياة، 2006.
- نبيل عامر: تعليم الكبار، استعراض تاريخي في علم تعليم الكبار، كتاب مرجعي، تونس، 1998.
- يوسف خليل داوود: دوافع البالغين الأميين في مصر للالتحاق بفصول محو الأمية، صحيفة التربية، رابطة خريجي معاهد وكليات التربية، العدد 2، يناير 1995.
- إبراهيم مصطفى وآخرون(دت)، المعجم الوسيط في لسان العرب، دار المعارف، القاهرة الجمهورية العربية المصرية.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مجلة تعليم الجماهير: عن الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ل: مسارع الراوي، العدد 12 السنة الخامسة، ماي 1987.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، " مشروع استراتيجية تعليم الكبار في الوطن العربي " تونس 1996.
- تاج العروس، القاهرة، 1888.
- جماعة من أساتذة التربية الحديثة وعلم النفس، التطور التربوي في العصر الحديث، بيروت: مكتبة الحياة،

.1974

_ جمال قنيط : الحاجات اللغوية للكبار (دراسة تطبيقية في مراكز محو الأمية بجيجل، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، الجزائر 2007/ 2008 .

_ عبد الغني عبود: التربية ومشكلات المجتمع، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1992 .

_ محفوظ أحمد جودة، إدارة الجودة الشاملة مفاهيم وتطبيقات، دار وائل للنشر، عمان، 2004.

_ محمد فتح الله كولن محاضرات كونفوشيوس (المقتطفات الأدبية(146)) / Confucius, The Analects, /

Chinese Literature Comprising The Analects of Confucius, The Sayings of Mencius,

The Shi-King, The Travels of Fâ-Hien, and The Sorrows of Han

_ هدفي حليلة، المطالعة لدى المتحررين من الأمية، دراسة ميدانية بمركز محو الأمية، بلدية قسنطينة، رسالة

ماجستير، جامعة قسنطينة، الجزائر 1998 م.

- L'UNESCO, Monographie sur l'Education de base, L'Analphabétisme dans divers pays, Etude statistique

-préliminaire sur la base de recensement effectuer de puis, 1900, UNESCO , sans date, p 11.

_ موقع WiKiageing.Org

عنوان البحث

تحليل وقياس أثر جودة الخدمات المصرفية الخاصة على زيادة القدرة التنافسية

م . م . غصون تلفان مدلول²

م . م . آمنة مؤيد عبد الله¹

¹ جامعة الفراهيدي / بغداد - العراق

بريد الكتروني: aminamoayed@yahoo.com

² جامعة الفراهيدي / بغداد - العراق

بريد الكتروني: Ghossontalfa@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21129>

تاريخ القبول: 2021/10/23م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

تعد جودة الخدمات المصرفية من الاتجاهات الحديثة ضمن الفكر على المستوى الإداري والتي حققت جانباً هاماً من الاهتمام ولا تزال تحقق المزيد من قبل العديد من الكتاب و الاقتصاديين الذين اختصوا بهذا المجال، حيث أنها تعتبر المنهج الذي يؤدي إلى تطوير العمل بشكل استراتيجي ويحسن من الأداء وبالتالي يحقق الربح عن طريق الخدمات المميزة. تهتم الدراسة بأهم القضايا المالية في العصر الحاضر والذي سادت ضمنه التكنولوجيا الحديثة في مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وهذه القضية هي قضية الجودة للخدمات المصرفية التي توفرها المصارف للعملاء الذين يتعاملون معها، وأثر هذه الجودة على قدرة المصارف التنافسية، وذلك بسبب تحديد الجودة المصرفية والسعي للتعرف على مدى الاهتمام من قبل مسؤولين المصارف برفع القدرات التنافسية لمحاولة جذب العملاء لكي يتعاملوا مع هذه المصارف و أرصدتهم، ودخولهم في استثمارات تحقق الأرباح الطائلة للمصارف الأمر الذي يزيد من القدرة التنافسية المالية لهذه المصارف. كما تهدف الدراسة في العمل على إظهار المتطلبات الأساسية الضرورية الاعتماد والأخذ بها سعيًا لتحسين وترقية الأداء لمقدمي خدمات المصرف لعملائه والسعي للارتقاء بجودة هذه الخدمات دعماً للميزة التنافسية بين البنوك. فضلاً عن العمل على إيجاد صورة عملية ونظرية لرسم الإطار بين كل من مفاهيم الجودة في الأداء كأسلوب لتقديم الخدمة البنكية، وبين مفهوم التعزيز لميزة القدرة التنافسية للبنوك سعيًا لتحقيق التميز في الأداء.

الكلمات المفتاحية: جودة الخدمات المصرفية، القدرة التنافسية، المصارف الخاصة.

RESEARCH ARTICLE

ANALYZE AND MEASURE THE IMPACT OF THE QUALITY OF PRIVATE BANKING SERVICES ON INCREASING COMPETITIVENESS

A.M. Amina Moayed Abdalla Aldewagi¹A.M.Ghosson Talfan Madlol Alazzawy²¹ Al-Farahidi University

Email: aminamoayed@yahoo.com

Al-Farahidi University

Email: Ghossontalfa@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21129>

Published at 01/11/2021

Accepted at 23/10/2021

Abstract

The quality of banking services is one of the modern trends within thought at the administrative level, which has achieved an important aspect of interest and is still being achieved by many writers and economists who specialized in this field, as it is considered the approach that leads to the development of work strategically and improves performance and thus achieves Earning through premium services.

The study is concerned with the most important financial issues in the present era, in which modern technology has prevailed in various aspects of economic, cultural and social life. To get acquainted with the extent of interest on the part of bank officials in raising competitiveness in an attempt to attract customers to deal with these banks and their balances, and their involvement in investments that achieve huge profits for banks, which increases the financial competitiveness of these banks.

The study also aims to work on showing the basic requirements necessary to adopt and adopt them in an effort to improve and upgrade the performance of the bank's service providers to its customers and to strive to improve the quality of these services in support of the competitive advantage among banks. As well as working to find a practical and theoretical picture to draw the framework between each of the concepts of quality in performance as a method of providing banking service, and the concept of enhancing the competitive advantage of banks in an effort to achieve excellence in performance.

Key Words: quality of banking services, competitiveness, private banks.

مشكلة البحث:

إن العمل على الحصول على ميزة القدرة التنافسية والسعي لتطويرها هو هدف استراتيجياً تعمل جميع البنوك لإدراكه، وللوصول إلى الطرق التي تتيح للمصارف بأن يطوروا من مستوى جودة الأداء وذلك في الأسلوب الذي يقدمون به الخدمات المصرفية تعزيزاً للقدرة التنافسية وذلك في ظل المنافسة بين المصارف. والسعي لاكتساب رضا العملاء من جهة أخرى، وتوسيع قاعدتهم ، ومن هنا تظهر اشكالية البحث التي تتمحور حول السؤال الرئيسي الآتي :

ما هو تأثير الجودة للخدمات المصرفية على زيادة أو تخفيض قدرة المصارف التنافسية ؟

أهمية البحث:

إن أهمية الدراسة تنبع من كونها تناقش قضية مالية من أهم قضايا المالية في العصر الحاضر والذي سادت ضمنه التكنولوجيا الحديثة في مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وهذه القضية هي قضية الجودة للخدمات المصرفية التي توفرها المصارف للعملاء الذين يتعاملون معها، وأثر هذه الجودة على قدرة المصارف التنافسية، وذلك بسبب تحديد الجودة المصرفية والسعي للتعرف على مدى الاهتمام من قبل مسؤولين المصارف برفع القدرات التنافسية لمحاولة جذب العملاء لكي يتعاملوا مع هذه المصارف و أرصدتهم، ودخولهم في استثمارات تحقق الأرباح الطائلة للمصارف الأمر الذي يزيد من القدرة التنافسية المالية لهذه المصارف.

أهداف البحث:

إن موضوع الجودة في الخدمات تصدر اهتمام عدد كبير من الممارسين و الأكاديميين، حيث وجد عدد كبير من الدراسات التي تناولت بعض الجوانب لهذا الموضوع، إلا أننا لاحظنا وجود نقص في الأبحاث التي تبحث في الأهمية لجودة الأداء في الأسلوب الذي تقدم به خدمات البنك عن طريق الموظفين داخل البنوك وذلك في ظل الظروف السائدة للمنافسة، وفي هذه الدراسة تم التركيز على أهمية أن تعمل البنوك على تعزيز القدرات التنافسية لها وذلك العمل على استخدام الجودة في أسلوب أدائها لتقدم خدماتها البنكية بأفضل شكل ممكن، ومن المتوقع أن تساهم دراستنا هذه في :

1. العمل على دعوة صانعي القرارات في البنوك إلى التركيز على ضرورة رفع المستوى لجودة الأداء في الأسلوب المستخدم لتقديم خدمات المصرف عن طريق الموظفين والعمل على تطبيق مبادئ ومفاهيم القيم السلوكية والأخلاقية للمهنة من جهة، بالإضافة إلى محاولة التطوير لأداء المقدمين للخدمة وتحديداً الموظفين في الصف الأمامي في تقديم الخدمات البنكية الأمر الذي تتحقق معه الجودة في الأداء والتميز من جهة أخرى؛ وذلك سعياً لإرضاء العملاء الحاليين، ومحاولة استقطاب عملاء جدد، وبالنتيجة زيادة القدرة التنافسية الهامة وتأثيرها الكبير على مجمل الأداء العام للبنك .
2. العمل على إظهار المتطلبات الأساسية الضرورية الاعتماد والأخذ بها سعياً لتحسين وترقية الأداء لمقدمي خدمات المصرف لعملائه والسعي للارتقاء بجودة هذه الخدمات دعماً للميزة التنافسية بين البنوك.
3. العمل على إيجاد صورة عملية ونظرية لرسم الإطار بين كل من مفاهيم الجودة في الأداء كأسلوب لتقديم الخدمة البنكية، وبين مفهوم التعزيز لميزة القدرة التنافسية للبنوك سعياً لتحقيق التميز في الأداء.

4. محاولة الوصول إلى عدد من التوصيات والنتائج التي من شأنها أن تساهم في تطوير وتحسين الجودة في الأداء في الأسلوب الذي تقدم به الخدمات المصرفية؛ تعزيزاً للقدرة التنافسية للبنوك.

منهج البحث:

تم الاعتماد في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بجمع البيانات المراد دراستها حول ظاهرة ما تم تنظيمها و تحليلها .

فرضية البحث :

يوجد فروق جوهرية بين جودة الخدمات المصرفية و القدرة التنافسية لدى المصارف الخاصة .

مجتمع وعينة البحث :

يتمثل مجتمع الدراسة بمجتمع العملاء بالمصارف الخاصة ، حيث تم توزيع استبانة بطريقة عشوائية على عينة من العملاء و بلغ عددها 40 استمارة .

المبحث الاول

الإطار النظري للدراسة

المطلب الأول: الخدمة المصرفية

اولا: مفهوم الخدمات المصرفية

يمكن أن نعرف الخدمات بشكل عام بأنها أنشطة أو تصرفات أو الأداء الذي يتم تقديمه من طرف لآخر وتعتبر هذه الأنشطة غير ملموسة وهي أنشطة لا يترتب عليها انتقال الملكية لشيء ما أيضاً إن التقديم الخدمات ليس من الضروري أن يكون مرتبط بشيء مادي بل من الممكن أن يرتبط بإنتاج غير مادي ولا يمكن لمسه. (الرويس، 2002)

كما عرف الخدمة المصرفية كل من Kotler&Armstrong بأنها المنافع أو الأنشطة أو الاشباعات التي يتم تقديمها من قبل الطرف الأول (البائع) للطرف الثاني (المشتري)، والخدمة المصرفية لا تكون ملموسة بطبيعتها ، وعندما تباع لا يترتب على ذلك أي عملية نقل لملكية معينة، ومن الممكن أن يكون انتاج وتقديم هذه الخدمة متصل بمنتج ذات طابع مادي وقابل للمس. (Kotler&Armstrong,1996)

أما بالنسبة لتعريف الخدمات المصرفية على وجه التحديد فقد عرفت على أنها: مجموعة عمليات تحتوي على مضمون نفعي يتصف بتغلب عناصر غير ملموسة على عناصره الملموسة، والتي تدركها المؤسسة أو يدركها الفرد وذلك عبر الدلالات والقيم النفعية وبالتالي تكون مصدراً لاشباع الحاجات الائتمانية والمالية الآنية منها والتي تكون في المستقبل وتكون مصدراً من مصادر الربح للمصرف وذلك عبر العلاقة التبادلية بين البنك وعملائه. (جمعية البنوك في الأردن، 2012)

ثانيا: أهمية جودة الخدمة المصرفية وأبعادها

بذل عدد من الباحثين فيما مضى جهوداً في حقل جودة الخدمات ركزت في معظمها على الجودة للسلع المادية بعيداً عن الخدمات، إلا أنه سادت في الوقت الحاضر ركزت على الجودة في المجالات جميعها وتحديداً حقل جودة الخدمات وذلك نظراً لأهمية هذا المجال.

تحدد درجة رضا العميل عن الجودة للخدمات عبر المقارنة بين ما يتوقع العملاء يحصلوا عليه، وما حصلوا عليه بعد استخدام هذه الخدمات، و في نفس المجال يشير (كوتلر) إلى أن الزبائن عندما يحصلون على ما كان يتوقعون أن يحصلوا عليه، فهنا سيكونون راضين، أما إذا لم يحصلون على ما كان يتوقعون الحصول عليه فإنه بالتالي سيكونون غير راضين، وإذا حصلوا على أكثر من توقعاتهم، فإنهم سوف يكونون سعداء بذلك، وذلك الأمر يرتبط بالطبيعة لجودة الخدمات التي يتم تقديمها.

إن الجودة للخدمة تعتمد على: (الإعتدائية، والتعاطف، والامان، والاستجابة، والمستلزمات الملموسة) ومحاولة علاج الأخطاء، وتخطيها، و يتم ذلك عبر التعرف على هذه الفجوات، والرسم للاستراتيجيات المناسبة لعلاج الفجوة في الجودة للخدمة، ويتم ذلك عبر القيام بالدراسات، والبحوث، والقيام بجمع معلومات عما يرغب العميل الوصول إليه، والعمل على تشجيع العاملين في الخط الأمامي بالبنوك.

إن إدارة البنك لكي تكون ناجحة يجب عليها أن تسعى إلى تأمين المستلزمات اللازمة لتنفيذ الأبعاد لجودة الخدمات وذلك عندما يتم التقديم للخدمة البنكية، وأن تحاول العمل جاهدة على أم تحفز الموظفين، وأن تدفعهم للعمل على معالجة الأخطاء عبر القيام بالأداء الممتاز، وأن تتم مراعاة استجابة سريعة لمتطلبات العملاء، ومحاولة الفهم الدقيق للمشاكل التي يواجهها العملاء بقصد التعرف على الاعتراضات، والسعي لتقديم جميع التسهيلات الملائمة لهم، للوفاء بالالتزامات التي وعدوها لهم (الخفاجي، 2008)

ثالثاً: قياس جودة الخدمات المصرفية

تزداد الحاجة يومياً للخدمات المقدمة من قبل المنظمات في المجال المالي، فعندما نذهب إلى أحد البنوك لكي نحصل على أحد الخدمات المعينة و يكون انطباعنا ممتاز حول الخدمة التي تم تقديمها من قبل البنك، ولكن عكس ذلك قد يحدث أيضاً، وبالتالي إن النتيجة التي خرجنا بها عكس مقدار ما أوليته الإدارة من اهتمام للمعايير في جودة الخدمات، ومن ذلك يمكننا أن نتحدث عن كيفية قياس جودة الخدمات البنكية بواسطة النظريات العملية، مع ذكر المعايير العلمية التي تم استخدامها لتطبيق معايير الجودة، وبالتالي من الممكن القول بأن مفهوم الجودة ليس مفهوماً عقلياً فقط بل أيضاً هو مفهوم عاطفي، وإن الاستعانة به للارتقاء بالأداء يعني: وموظفون أكثر رضا، وعملاء أكثر رضا ، وتحقيق مبيعات وأرباح والاستحواذ على حصة أكثر كبراً في سوق المنافسة، الاستمرار في العمل بالمدى البعيد، بينما معايير العالم في قياس جودة الخدمات تكون كالآتي: التخطيط بشكل استراتيجي والقيادة، والسوق والزبائن ، والمعلومات وتحليلها، بالإضافة إلى تنمية وإدارة الموارد البشرية، وضمان الجودة العالية للمنتجات والخدمات، والنتائج المميزة للشركة. (الشراح، 2007).

تعتبر القيادة المعيار الأساسي والأهم في مختلف النظريات التي تسعى لتطبيق جودة الخدمات ونحن نستند بهذا إلى الحقيقة الهامة التي تنص على أن جودة الخدمة يتم بدأها بالقيادة، لذلك يجب الإشارة لبعض الصفات الواجب على القادة أن يتمتعوا بها.

إن أحد مزايا المنشآت الناجحة هي القيادة القوية، التي يتمتع قادتها برؤى واضحة وجليّة وأفكار عظيمة سعياً منهم لقيادة منشأتهم كي تتبوأ مركزاً مهماً من خلال العمل على التوجيه والتطوير لنظام القيادة الفعال والمحافظة على هذا النظام مع العمل على إظهار الجانب الإنساني للجودة بسبب أن الوصول إلى جودة الخدمة

لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال المزج بين مراعاة أحاسيس مستخدميها و احترام العمل، ويمكننا القول بأن القادة الجيدين هم القادة الذين يملكون روح الدعابة و يملكون الإحساس بالمرح، ويعملون كيف ومتى يستخدمون ذلك كما أن موظفيهم يعتبرون أنهم القدوة التي يحتذوا بها في سلوكهم والأخلاق التي يتمتعون بها وهذا التأثير يتفوق على أثر إرشاداتهم التي يقومون بتقديمها أو النظام المفروض عليهم، ووفق ذلك يمكننا أن نقول بأن تحقيقنا للرضا والنجاح يستند على التطوير للسلوك وذلك لكي يصبح مستنداً على الأخلاق والمبادئ. (الطالب، 2005)

إن البحث عن جودة الخدمة والطريقة التي تطبق بها هو مطلب للجهات جميعها سواء الصناعية أو الخدمية... الخ، وقد أصبح العملاء المستهلكين الأكثر اهتماماً بجودة الخدمة، حيث وجد أن النسبة لمن يبحثون عن جودة الخدمة قد زادت من 30-40 بالمائة في عام 1979 م إلى 80 - 90 بالمائة في سنة 1988 م، ولذلك أصبح واجباً على رجل الأعمال أن يأخذ الجودة في الحسبان وأن يسعوا لإدخالها في المقاييس المطلوبة، والباحثون ينظرون في الجودة للخدمات البنكية في كل من وجهتي النظر داخلياً وخارجياً. حيث تعبر الوجهة الداخلية للنظر عن رأي إدارة البنك، بينما يمكن القول بأن وجهة نظر الطرف الخارجي تمثل موقف عملاء البنك والاتجاهات التي يعبرون عنها إزاء ما قدمه البنك من الخدمات، وعند تطبيق مفهوم التسويق البنكي الجديد، يمكننا أن نتبنى وجهة النظر الأخرى التي تنص على أن مفهوم الجودة للخدمة البنكية يتجسد في الإدراك للعملاء، وبالتالي نجد الاختلاف فيما يعتقد عملاء البنك على أنه أحد مصادر الرضا لديهم وبين ما تعتقده الإدارة بالبنك على أنه المصدر لرضا العملاء. (أبو معمر، 2005).

لا تختلف خدمات المصرف سواء أكانت تقليدية أم نمطية بين مصرف وآخر من حيث الطبيعة الإجرائية، ولكن التميز الذي يعتبر من متطلبات التنافس قد يلغى من قبل النمطية الموجودة، ومن هنا ظهر المفهوم لجودة الخدمات وذلك كأحد مجالات التميز النسبي بين البنوك، وفي نفس السياق ظهرت مفاهيم عدة مثل سرعة إنجاز الخدمة، تقديم الخدمة للعملاء، السرية، خصوصية الخدمة، وأسلوب تقديمها... الخ هذه المفاهيم ظهرت كمجال للتمييز في تقديم الخدمات البنكية، ولجأت الكثير من الأبحاث لتحديد عدد من المستويات لجودة الخدمات البنكية، وهي كالتالي :

1. الجودة المتوقعة: وهي الجودة التي يتوقعها العملاء وتتمثل في الجودة التي يطلب العملاء وجودها ضمن الخدمات المرغوبة.
2. الجودة التي ترتأي إدارة البنك أنها مناسبة ومطلوبة.
3. الجودة القياسية : وهي الجودة التي تكون محددة بالمواصفات النوعية للخدمة المرغوبة.
4. الجودة الفعلية: وهي الجودة التي تؤدي بها خدمة ما.
5. المستوى الخامس هو الجودة المتوقعة من لعملاء. (الشرح، 2007)

ونتيجة لذلك ظهر عدد من النظريات العلمية المهمة بقياس الجودة الخدمات البنكية والتي اعتمدت مدخلين رئيسين: الأول هو المدخل الاتجاهي حيث: يبنى هذا المدخل على أن الجودة للخدمة تعد مفهوماً اتجاهياً وهذا المفهوم يتصل بمفهوم الرضا ولكن لا يعد مرادفاً له، أيضاً هذا المفهوم يرتبط بإدراك العميل للأداء الفعلي للخدمة التي تم تقديمها، وبالرغم من أن الباحثين يعتقدون ضمناً بالأهمية الكبيرة لإدراك العملاء لجودة الخدمة المقدمة، لكنهم يعتقدون بأن كل من رضا العميل وجودة الخدمة هو مفهوم متغاير عن المفهوم الآخر، ويوجد

تفسير رائج للاختلاف بينهما يبرز بأن الجودة للخدمة كما يدركها وقيمتها العميل هي شكل من أشكال الاتجاه الذي يستند على عملية مراجعة وتقييم متراكمة على المجال البعيد، أما الرضا فإنه يعد الحالات النفسية غير الثابتة والسريعة في زوالها، أما عدد من الباحثين الآخرين يرون أن العملاء يشكلون آراءهم تجاه الخدمة على أساس خبراتهم التي اكتسبوها سابقاً، ولذلك فإن الاتجاه هذا يتغير وفق مستوى الرضا الذي تم تحقيقه من خلال التعامل مع البنك ، وبالنهاية وجدنا ضمن النتائج لعدد من الأبحاث بأنها أكدت الكفاءة لاستخدام الأداء الحقيقي للخدمات التي يتم إدراكها من قبل العميل كأحد مقاييس الجودة للخدمة المطلوبة. (الطالب، 2002).

والمدخل الثاني هو المدخل لنظرية الفجوة: هذا المدخل نشأ على أساس أن الاختلاف بين التوقعات للعملاء الخاص بالخدمة وبين إدراكاتهم الحقيقية لهذه الخدمة هو الذي يحدد مستوى الجودة للخدمة، وبالتالي فإن مستوى جودة الخدمة يتعين بالفرق الكائن ما بين الخدمة المدركة فعلياً والخدمة المتوقعة ، أي أن الجودة للخدمة تعني موافقة التوقعات للعملاء التي يتم السعي لإدراكها بشكل متواصل، وهذا الأمر أوضحت إحدى الدراسات الشاملة حيث ارتأت بأن جودة الخدمة المدركة فعلياً تتزايد وتتناقص على مدى يتراوح ما بين الجودة المقبولة إلى الجودة المثلى. وكنتيجه لذلك فإن جودة الخدمة يمكن أن تقاس على النحو الآتي:

1. إذا كانت الخدمة المدركة (الأداء الفعلي) أصغر من الجودة المتوقعة فإن جودة الخدمة لا تكون مرضية بالشكل الكافي .

2. إذا كانت الجودة المدركة متساوية مع جودة الخدمة المتوقعة فإنها تكون مرضية.

3. أما إذا كانت جودة الخدمة المدركة أكبر من جودة الخدمة المتوقعة ، بالتالي فإن الجودة المقدمة تتجه نحو الجودة المثالية وتكون أكثر من مرضية على المجال الزمني المعين. (الشرح، 2007).

وتكمن الأهمية لقياس الجودة للخدمات التي يتم تقديمها من المصارف في التقييم لمخاطر سوق المصارف، مما يساعد إدارة المصرف عامة من أن تعرف موقع التنافس لها ضمن البيئة التي تعمل بها وذلك بهدف مساعدة هذه الإدارة على العمل على تحسين المستوى لخدماتها المقدمة، بهدف نمو حصتها ضمن السوق، وبالتالي تعظيم أرباحها الخاصة. (الحداد، 1999).

المطلب الثاني: الميزة التنافسية

أولاً: مفهوم الميزة التنافسية:

تعرف الميزة التنافسية بأنها: " هي قدرة المنظمة على إيجاد شيء متفرد ومختلف يميز كل منتجاتها من السلع والخدمات التي تقدمها ايجابياً على المنافسين في نظر الزبائن من خلال القيام المنظمة بأداء أنشطتها بصورة أكثر كفاءة وفاعلية ". (العتبي و الرحيم، 2014).

تعريف الميزة التنافسية "من وجهة نظر المنظمة هي مقدرة المنظمة على أن تحقق منافع وذلك عن طريق إنتاج خدمات و سلع بجودة عالية، تجذب المستهلكين أكثر من منافسيها وتكون فعالة أكثر منهم، وذلك بسعر مقبول وفي وقت مناسب مع تحقيق ربحية أكبر ". (إبراهيم، 2016).

انطلاقاً من التعريفات السابقة يمكن استخلاص أن الميزة التنافسية هي " أن تقوم المنظمة باكتشاف طرق جديدة أكثر فعالية من تلك المستعملة من قبل المنافسين، التي تستطيع من خلالها تحقيق التقدم والتفوق على

غيرها من المنظمات وبما يحقق أهداف المنظمة " .

ثانياً: مفهوم التنافسية البنكية

يقصد بالتنافسية البنكية إلى الكيفية التي يستطيع بها البنك أن يميز نفسه عن منافسيه ويحقق لنفسه التفوق والتميز عليهم، وأن تحقيق الميزة التنافسية ما هو إلا محصلة لعوامل حقيقية عديدة تندمج في تخفيض التكلفة وتحسين الجودة، وبالتالي يترتب على المصارف أن يختار استراتيجية تستند على نقاط القوة ونقاط الضعف، والتركيز على عوامل مهمة كالمنطقة الجغرافية وطبيعة الزبون وجودة الخدمات. (بشير، 2012). وتعرف أيضاً: "بأنها الوضع الذي يسمح للبنك بالتعامل مع مختلف الأسواق المصرفية ومع البيئة المحيطة بها بمختلف عناصرها بصورة أفضل من المنافسين أي أن الميزة التنافسية تعبر عن مدى قدرة المصرف على الأداء بطريقة مميزة يصعب على المنافسين له القيام بمثل هذه الطريقة " . (طه، 2000).

ثالثاً: القدرات التي تتشكل منها الميزة التنافسية للبنك

إن القدرات التنافسية المتاحة للمصرف هي عديدة وذلك لكي يحاول تحقيق التميز على منافسيه والأمر الذي يخلق ميزة تنافسية للمصرف، هي: (السلمي، 1996)

1. قدرة معلوماتية: تتمثل في أنظمة المعلومات و الاتصال الفعالة، ورصيد المعرفة المتاح حول كل من متغيرات السوق وعناصر نظام الأعمال.
2. قدرة إنتاجية: القدرات الإنتاجية والأنظمة والمقدرات البحثية والتطويرية التي تستطيع إنتاج خدمات متميزة.
3. قدرات تمويلية: أي توفر الموارد المالية المناسبة والتي تعتبر من الميز التنافسية.
4. قدرة تنظيمية: التنظيم الهيكلي المرن المنفتح على البيئة والذي يساعد على الاتصال وسهولة تدفق المعلومات.
5. قدرة بشرية: أي توفر الموارد البشرية المتحمسة والمدربة والمؤهلة والتي تملك الطاقات الذهنية المبدعة والرغبة في مشاركة جميع الأطراف.
6. قدرة تسويقية : إمكانيات وأساليب الاتصال بالسوق والسعي للوصول إلى العملاء لإيصال الخدمات إليهم وفق متطلباتهم وبحسب توقعاتهم .

رابعاً: متطلبات تطوير جودة الخدمات المصرفية وزيادة القدرة التنافسية للبنوك

أصبح الآن من الضروري على المصارف أن تسعى وبخطوات متسارعة لكي تطور من الجودة للخدمات المصرفية التي تقدمها، وذلك حتى تستطيع هذه المصارف الارتقاء لمستوى التحديات المختلفة التي تواجهها وذلك خلال القرن الواحد والعشرين وهنا يمكن أن نحدد عدد من المحاور الرئيسية للعمل لتطوير الجودة للخدمات البنكية المقدمة والتي تتمثل في الآتي: (القادر و عبد، 2006)

1. العمل على متابعة آخر تطورات التكنولوجيا ضمن العمل البنكي :

إن الميزة الأساسية للعمل البنكي ضمن عصر العولمة بدون تردد هي الأثر الكبير للتكنولوجيا البنكية والسعي لتحقيق الفائدة بالحد الأقصى من التكنولوجيا المستخدمة في الاتصالات والمعلومات، بهدف تحديث كل من النظم والوسائل التي تقدم بها خدمات المصرف وبهدف ابتكار العديد من التطبيقات الجديدة للخدمات

المصرفية بحيث تتسم بالسرعة في الأداء والكفاءة ، وذلك بما يتناسب مع إيقاع الصناعة البنكية المتسارع في القرن الحادي والعشرين.

وقد أولت الدول المتطورة الاهتمام خصوصاً بزيادة نسبة الاستعمال لتقنيات الاتصالات و المعلومات الأحدث في مجال المصارف وذلك لتخفيض نسبة العمليات البنكية التي تحدث بفرع المصرف والتي لا تتجاوز 10% من العمليات الإجمالية في حين تتم مختلف عمليات المصرف الأخرى عن طريق القنوات الإلكترونية مثل أجهزة الصراف الآلي ATM وأيضاً نقاط البيع الإلكترونية، الأمر الذي يترتب عليه تغيرات هامة بطبيعة والآليات التي تقدم بها الخدمة البنكية والتي منها:

- انخفاض التكلفة للتشغيل تحديداً تكلفة عمليات المدفوعات الحقيقية، بالإضافة إلى أن الاستخدام للنقود قد تقلص.
- أيضاً ازدياد الأهمية لاستخدام وسائل الدفع الإلكترونية مثل البطاقات الائتمانية والشيكات الإلكترونية والنقود الإلكترونية.
- الأمر الذي أدى إلى تحرر عملاء البنك من القيود المكانية والزمانية بالإضافة إلى ظهور ما يعرف بالخدمات المنزلية البنكية "Home Banking" والتي توفر جهد ووقت عملاء المصارف.
- وبالنتيجة أدى التطبيق للتقنيات المتطورة إلى العمل على استطاعة المصارف من التقديم للخدمات لعملائها والتي لم يكونوا يعلمون بها من قبل مثل أجهزة الصراف الآلي ATM وخدمات سداد الفواتير عن طريق الهاتف وبالإضافة إلى بروز ما يسمى بالبنوك الإلكترونية والبنك المحمول.

2- السعي لتنوع الخدمات البنكية

ساد البنوك حالة من المنافسة القوية التي لم تقتصر على البنوك بل امتدت إلى المؤسسات المالية الأخرى أيضاً غير البنكية ، وخاصة بعد التحرر من القيود الذي سادت في آخر عقدين، وتجاه هذا التحدي أصبح واجباً على المصارف أن تسعى لتقديم حزمة متكاملة من الخدمات التقليدية منها والجديدة والمبتكرة، وبين خدمات المصرف التي تنتج بواسطة صيرفة الجملة والخدمات المقدمة من التجزئة، وذلك حتى تحتفظ بولاء العملاء وذلك عن طريق محاولة تلبية الاحتياجات المختلفة لهم وصولاً إلى مفهوم البنوك الشاملة مع محاولة التركيز على التعامل مع الصيرفة بالتجزئة والتي زاد الاهتمام بها من قبل المصارف وذلك خلال الفترة الماضية ، ومن أهم هذه الخدمات:

- الاهتمام المتزايد بالقروض الفردية والتي تؤخذ بغرض استخدامها لتمويل الاحتياجات على الصعيد الشخصي والعائلي مثل شراء منازل وسيارة وأدوات كهربائية وأثاث للمنزل.
- الاهتمام بتقديم قروض خاصة بالمشروعات المتناهية الصغر والصغيرة.
- وبالإضافة إلى أهمية التركيز على الخدمات الائتمانية الشخصية خلال المرحلة الحالية تظهر الحاجة إلى تقديم بعض الخدمات المبتكرة والتوسع في الخدمات الحالية منها مثل:

• القروض المشتركة Syndicated Loans

• التأجير التمويلي Financial Leasing

- شراء التزامات التصدير Forfaiting
- خصم الفواتير التجارية Factoring
- تقديم خدمات التغطية والتحوط من مخاطر التقلبات لأسعار الصرف والفائدة مثل عقود المستقبلات والخيارات، بالإضافة إلى اتفاقيات أسعار الفائدة الآجلة والعقود الآجلة.

3- الارتقاء بالعنصر البشري

من الواضح أن هذا العنصر يعد من الركائز المهمة لتطوير وتنمية الأداء البنكي حيث أنه بالرغم من الجهود التي بذلتها إدارات المصارف في السنوات الماضية وذلك لتطوير الخدمات البنكية، لكن النتائج لن تظهر بالشكل الكافي بالنسبة للجهود المبذولة إلا إذا تم العمل على تحسين وترقية القدرات الضرورية لمجاراة التطورات المتتابة في مجال المصارف والخدمات المقدمة من قبلها وذلك بما يضمن تحسين الخدمة المصرفية المقدمة وذلك لتحقيق أفضل استثمار للموارد البشرية في المصارف.

ويجب تبني الاستراتيجيات المتكاملة اللازمة والضرورية لتطوير وتحسين أداء الموارد البشرية العاملة بالبنك سعياً للوصول إلى نموذج " المصرفي الفعال" نذكر منها الآتي :

* العمل على تدريب الموظفين بالبنك على التعامل مع الانترنت و السويفت SWIFT وغيرها من أدوات العصر الحديثة وذلك بواسطة أفضل المراكز التدريبية الدولية.

* العمل على إرسال عدد من الموارد البشرية العاملة في المصرف لأخذ بعثات تدريبية في البلاد التقدمة وذلك لكي يستطيعوا التعامل مع التكنولوجيا وأدواتها التي تستخدم زمن البنوك عالمياً والعمل على استيعابها وتطبيقها بالشكل الأمثل.

* محاولة تطوير الخدمات المقدمة من قبل المصارف والسعي لاكتساب العملاء الجدد، والتعامل الموظفين مع المفاهيم الحديثة والتي تخص الابتكار والتجديد ومتابعة التطورات التكنولوجية، مع العمل على التخلص من القيود القديمة والروتينية التي تعيق تطور عمل البنك.

* العمل على اختيار الأهداف التدريبية المناسبة لحاجة المستويات الوظيفية مع مراعاة التركيز على تحسين وتنمية المهارات المختلفة الضرورية مثل حسن التصرف والتفاوض السليم والتخطيط والقدرة على اتخاذ القرار والعمل على تطبيق مبدأ قيادات المستقبل بصورة فعالة عن طريق إعطاء الفرصة للملائمة للعناصر لتتولى المناصب القيادية، والسعي لاختيار الموظفين الشباب أصحاب الكفاءات والذين تتوفر فيهم صفات شخصية تؤهلهم لشغل هذه المناصب مع العمل على دعمهم وتوفير برامج التدريب الملائمة سواء كانت في الداخل أو الخارج ضمن المجالات المالية والمصرفية، ومراعاة توفير التدريب العملي ضمن مجالات العمل المصرفي خاصة تلك المجالات التي لم يعملوا بها سابقاً لكي تتوفر لديهم القدرة في المستقبل على المتابعة و المراقبة وأن يتخذوا القرارات الصحيحة لمعالجة المشاكل التي قد تواجه المصرف .

* السعي الدائم لتطوير وتدريب الموظفين ضمن البنك والعمل على جعلهم مواكبين للتطورات في مجال التكنولوجيا الحديثة وعالم الاتصالات والحواسيب المتطورة والضرورية للعمل المصرفي بشكل هام لا يمكن الاستغناء عنه.

* العمل على استخدام نظام الحوافز المكافآت النقدية أو حتى العينية من خلال الترفيعات الوظيفية وذلك تشجيعاً للموظفين المجدين والصابورين ولكي يقدمون أفضل ما لديهم .

* وضع خطط لتطوير الأداء بشكل مستمر والعمل على مشاركة الموظفين بهذه الخطط وأخذ آراءهم واقتراحاتهم للتطوير بما يساعد على التحسين بأفضل شكل ممكن وخاصة من خلال التفاعل الإيجابي للموظفين مع خطة التطوير التي شاركوا بوضعها.

4- السعي لتطوير التسويق المصرفي

إن ازدياد المنافسة الشرسة ما بين المصارف المتنافسة في السوق المالي وذلك لاجتذاب العملاء لطرفها بأكبر قدر ممكن جعل من الضروري الأخذ بمفهوم التسويق المصرفي لأهميته القصوى في جذب العملاء للمصرف وبالتالي زيادة الأموال المودعة ضمنه من قبلهم ، ومن أهم بنود التسويق المصرفي الحديث والتي يجب على المصرف العمل عليها ما يلي :

1. أن يتم السعي نحو العميل المناسب والمتوقع أو ما يسمى بالعميل المرتقب.
2. السعي لتحديد المشاريع الجيدة واكتشافها بما يضمن تحقيق الأرباح والبحث عن العملاء الجيدين للمصرف.
3. العمل على تصميم مزيج من الخدمات البنكية بما يضمن أن يتم إشباع احتياجات العملاء ورغباتهم بشكل متواصل يضمن رضا العميل، ويتم ذلك بعد عمل دراسة شاملة لحاجات العميل .
4. ضرورة أن يقوم المسؤولين على التسويق المصرفي بالتعايش الكامل مع البيئة الاقتصادية والاجتماعية للبنك، والعمل على استخدام المناهج العلمية لتحليل قدرات عملاء المصرف المالية وأن يتم تحديد الاحتياجات وتصميم مزيج الخدمات المصرفية الذي يناسب هذه الاحتياجات، ولكن باستخدام أدوات مبتكرة وأدوات غير تقليدية وتقديم الخدمة بطريقة نوعية جديدة .
5. السعي لتكامل وظائف المصرف بشكل تام ولذلك لتحقيق أفضل النتائج المرجوة، حيث أن أي تعارض بين وظائف المصرف قد يؤدي إلى تراجع في مستوى الأداء وبالتالي تراجع في تقديم الخدمات المرغوب بها بالجودة المطلوبة.
6. يعتبر التسويق البنكي الحديث أداة تحليل أساسية لفهم النشاط البنكي ومساعدة الموظفين بالبنك في رسم ومراقبة السياسات ومتابعتها للعمل البنكي .
7. العمل بشكل مستمر على دراسة السوق وفحصه والتعرف على الاتجاهات المرغوبة ضمنه .
8. بيان أهمية التغذية العكسية من المعلومات الواردة من السوق ومراقبتها ومتابعتها والاستفادة منها في قياس الانطباعات للعملاء عن الخدمات المقدمة من قبل المصرف ورضا العملاء عن هذه الخدمات وذلك لتحديد الأوجه السلبية لتلافيها والإيجابية لتعزيزها والاستفادة القصوى منها.
9. تحسين بيئة العمل المصرفي الداخلية لكي تتوافق مع حاجات ورغبات العملاء للمصرف وأن يتم التعامل معهم من قبل الموظفين بشكل لائق ومحترم مع مراعاة الخدمات التي يرغبون بالحصول عليها بالشكل الأمثل والسرعة المناسبة.

5- السعي لمواكبة المعايير المصرفية الدولية :

على البنوك أن تواكب المعايير البنكية على الصعيد الدولي والإقليمي والمحلي وأن تراعي القواعد الواجب اتباعها وذلك لضمان تحقيق السلامة البنكية والسعي لتنويع الخدمات المقدمة من قبلها والعمل على تحسين وتمتد الخدمات المقدمة، ومن المجالات الواجب على المصارف أن تتبعها الآتي:

- أ. دعم القواعد الرأسمالية.
- ب. تطوير السياسات الانتمانية بالبنوك
- ج. الاهتمام بإدارة المخاطر Risk Management
- د. وضع آلية للإنذار المبكر بالبنوك
- هـ. تحديث نظم الإدارة والسياسات المصرفية

خامسا: أبعاد الجودة في أسلوب تقديم الخدمة المصرفية لتعزيز القدرة التنافسية:

على الرغم من لاستراتيجيات التنافسية المتعددة ، كالأستراتيجية التنافس سواء بالوقت أو التكلفة أو جودة الخدمة ، حيث تعتبر من الاسلحة التنافسية القوية و الفعالة تلك هي جودة الخدمات كما تعد الميزة الخاصة التي تتفرد بها عن منافسيها وذلك لان العملاء على مختلف أعمارهم و مستوياتهم يفضلون تلقي خدماتهم المصرفية بوجه حسن بشوش ، و معاملة لطيفة و مميزة إضافة إلى الاستقبال اللائق بهم .

و نرى هنا أن التنافس بالاداء و الجودة الخاصة به تقوم على عدة مقومات ، نذكر منها :

- اعتبار العملاء القاعدة و المحور الرئيسي التي تقوم عليه الاستراتيجيات المصرفية من خلال التنبؤ بحاجات و متطلبات الزبائن .
- وضع الجودة من الاولويات العليا لإدارة أي مصرف .
- تدريب العاملين وتحفيزهم الدائم و المستمر من خلال ثقافة الجودة بالاداء و الاساليب المتبعة لتقديم الخدمة ، الذي يضفي عليها أداء متفرد و راقى ، بحيث يرتقى به إلى مفاهيم جديدة وليدة العصر الراهن تقوم على أدبيات و سلوكيات المهنة(السلمي، 2002).
- و جدير بالذكر أن للقدرة التنافسية شقين أساسيين ، قدرة التميز على المنافسين و قدرة استقطاب عملاء جدد بطرق فعالة و مجدية من خلال اساليب علمية حديثة كجودة تصميم الخدمة ، حيث لا بد من تسليط الضوء حول أن نجاح أي شق مرتبط ارتباط وثيق بتحقيق او نجاح الشق الثاني ،حيث أن النجاح في كلا الشقين يؤدي إلى كسب رضا العميل و السيطرة على الاسواق من خلال تقديم منفعة أعلى و بجودة عالية للعميل مما يسهل كسب ولاء العميل .، وللقدررة التنافسية معايير أهمها:

1. مدى تبني مفهوم إدارة الجودة الشاملة وأسلوبها.
2. التركيز على تدريب العاملين و الاهتمام به
3. الاهتمام ببحوث تطوير الخدمات المصرفية.
4. استلهاج حاجات و رغبات الزبائن، أي وجود توجه تسويقي والسعي المستمر لتلبية حاجات الزبائن والتكيف مع متغيراتها.

5. مدى زرع وتنمية روح الفريق الواحد على مختلف مستويات البنك.
 6. مدى توفر العمالة المصرفية المؤهلة.
 7. الاستخدام الفعال للأدوات التكنولوجية الحديثة .
 8. الحصة السوقية للبنك.
 9. القدرة على التعامل مع المتغيرات البيئية المحلية والإقليمية (مكاوي، 2001).
- سادسا: معززات الجودة في أسلوب تقديم الخدمة المصرفية لتعزيز القدرة التنافسية:

يعتبر الهدف الاساسي الذي يقوم عليه التنافس بين مختلف المصارف هو العملاء ، أي من يحصل على أكبر عدد من العملاء المصرفيين بمختلف أنواعهم سواء أكانوا مدخرين أو مستثمرين ، يعتبر مصرف متقدم و منافس قوي بالنسبة للمصارف الاخرى ، و لكي يتم تحقيق هذه الغاية لابد على المصارف أن تستخدم مجموعة من الاساليب و الوسائل التي تعمل على تعزيز و تقوية جودة الاداء من حيث تقديم الخدمة ، نذكر منها :

1. بناء جسور الثقة والتواصل مع العملاء:

من خلال منح العملاء شعور الرضا و الراحة و الثقة عن طريق جسور التواصل التي تكفلها الثقة التي تبنيتها الادارة و العاملين بالمصرف مع العملاء وتبقي على هذا التعامل ، مما يدفع العملاء إلى التوافد بأعداد كبيرة لهذا المصرف ، مما يجعل المصارف قاطبة تسعى لتحقيق تلك الجسور و تتنافس من أجل ذلك بعدة طرق و أساليب كتوفير ما هو مناسب و ملائم لراحة العملاء و تبادل التهاني معهم و يتم ذلك من خلال تنظيم قاعدة بيانات خاصة بهم بأحدث الطرق و الاساليب و الوسائل و بتقنيات حديثة و متطورة ، التي تعمل على توطيد العلاقات مع العملاء باعتبار العميل شخص متميز ، وبالتالي هو أحد العناصر الهامة التي تؤدي الى تعزيز جودة الاداء ضمن الاساليب التي تقدم بها الخدمة بالمصارف الوطنية .

2. استخدام التقنيات الحديثة ضمن الخدمات المصرفية:

لا يمكننا اغفال الدور الأساسي لتكنولوجيا المعلومات المتطورة والتي تستخدم ضمن المصارف المتنافسة والتي تساهم بشكل كبير في جذب العملاء الجدد وتقديم أفضل الخدمات المصرفية لهم، حيث أن استخدام الحواسيب الحديثة وشبكات الاتصالات المتطورة يؤدي بالمصرف إلى أداء أفضل وتحقيق جودة الخدمات المقدمة بالسرعة المناسبة، ويجب أن يسعى المصرف دوماً لابتكار الخدمات التي تشكل ميزة تنافسية هامة ضمن السوق المصرفية بما يعزز من حصته السوقية أكثر وأكثر. (سفيان ، 2013)

3. تسويق الخدمات المصرفية بأداء متقدم :

يلعب التسويق للخدمات المصرفية دوراً هاماً وأساسياً في إثارة رغبات العملاء وجذب انتباههم وميولهم، إن الترويج الفعال للخدمة يعمل على التعريف الكافي بالخدمة التي تقدم للعملاء والعمل على إبراز المزايا الإيجابية لها وبأنها تستطيع إشباع رغبات وحاجات العملاء، تستخدم وسائل الإعلام المتعددة للتعريف بالخدمات المصرفية ولا يمكن أن نغفل الدور الكبير والهام للأسلوب الذي تقدم به الخدمات الجديدة للعملاء ، حيث أن هذا الاسلوب في حال كونه جيد و مثالي في تقديمه للخدمة الامر الذي ينعكس بشكل إيجابي في ترويج هذه الخدمة الجديدة للعملاء و زيادة الطلب عليها و بالتالي تحقيق إيرادات أكبر .

كما أن بعض البنوك تعتمد على الانتشار الجغرافي و ترغب بفتح فروع جديدة لها في عدة مناطق مختلفة من الدولة ، و تسعى من خلال ذلك للتسويق الامثل لخدماتها و الترويج لها بهدف الحصول على الحصة السوقية الاكبر و السعي لتوسيعها .بسبب القرب الجغرافي من العملاء مما يجعلها تكتسب ميزة تنافسية هامة و كبيرة بالاضافة إلى انتشار الصرافات الالية بشكل كافي بما يخدم حاجة العملاء و العمل على صيانتها و تطويرها بشكل دوري سعياً من البنوك لكي تقدم خدماتها للعملاء في أي وقت و بالجودة المطلوبة و المرغوب بها ، و لا تخفى أهمية اسلوب السعي نحو العميل المرتقب الذي تسعى لتطبيقه معظم المصارف حديثاً في جذب العملاء و التسويق للخدمات بالشكل الانسب و بالتالي تحسين القدرة التنافسية للبنك .

و يجب على المصارف العمل على البحث عن المشاريع الجيدة حتى تعمل على تمويلها بعد أن تدرسها بالشكل الكافي ، وان تعمل على تصميم المزيج الامثل للخدمات المصرفية التي تضمن الاشباع الافضل لاحتياجات و رغبات عملاء المصرف بشكل متواصل ، و بالتالي لا يمكن الاستغناء عن التسويق الجيد للخدمات المصرفية و دوره الفعال في ابراز جودة الخدمات المقدمة . (زيدان، 2006)

المبحث الثاني

دراسة تحليلية لتقييم جودة الخدمات المصرفية في المصارف الخاصة لزيادة القدرة التنافسية

تم تصميم استبانة وزعت بشكل عشوائي على عدد من العملاء في المصارف الخاصة ، حيث ضمت الاستبانة محورين أساسيين :

الأول : معلومات شخصية عن العميل كالعمر و الجنس .

الثاني : معايير الجودة حيث ضمت عدد من الأسئلة .

يوضح الجدول استخدام مقياس ليكرت كأداة لقياس أجوبة المشاركين بترميز الإجابات على النحو التالي

موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
5	4	3	2	1

و لاختبار معامل ثبات التباين باستخدام (أداة كرونباخ ألفا) :

حيث يتم استخدام أداة الفا كرونباخ لدلالة على وجود اتساق داخلي بين فقرات الدراسة بالإضافة الى

التوصل أن الدراسة ثابتة .

المتغيرات	قيم ألفا كرونباخ
الملموسية	747.
الاعتمادية	707.
الأمان	753.
التعاطف	597.
الاستجابة	809.

• وصف خصائص عينة الدراسة :

الجنس

Cumulative Percent	Valid Percent	Percent	Frequency	
57.5	57.5	57.5	23	ذكر
100.0	42.5	42.5	17	انثى Valid
	100.0	100.0	40	Total

العمر

Cumulative Percent	Valid Percent	Percent	Frequency	
17.5	17.5	17.5	7	عمر 20 30
42.5	25.0	25.0	10	عمر 31 40
72.5	30.0	30.0	12	عمر 41 50 Valid
100.0	27.5	27.5	11	اكثر من 50
	100.0	100.0	40	Total

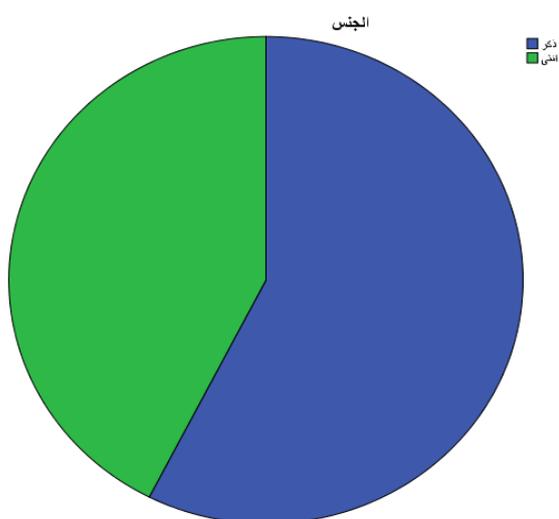
من الجدول أعلاه نلاحظ أن:

النسب المئوية لتوزع أفراد العينة بين

ذكور 57.5

اناث 42.5

و بالتالي فإن العينة تضم بشكل تقريبي كلا الجنسين



كما نلاحظ أن الفئة العمرية الأكثر مشاركة هي:

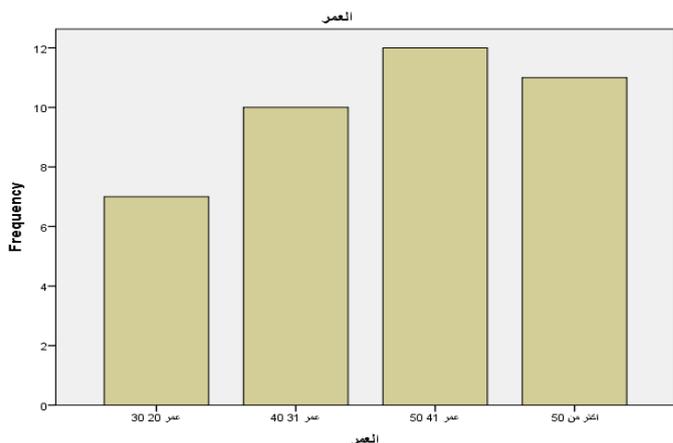
41-50 هي الفئة من

• وصف المتغيرات:

يتم وصف المتغيرات من خلال حساب المتوسطات الحسابية و الانحرافات المعيارية لإجابات العملاء العملاء يتبين لنا آراء المشاركين و انطباعاتهم

• بعد الملموسية:

يظهر الجدول التالي المتوسطات الحسابية و الانحرافات لفقرات الملموسية.



Statistics

يتوفر لدى - 1	يتلاءم المظهر - 2	يتمتع موظفو - 3	
المصرف التجهيزات و المعدات المتطورة . التنافسية .	العام للمصرف مع طبيعة الخدمات المقدمة .	المصرف بالمظهر الحسن الذي يجذب العملاء .	
40	40	40	Valid N
0	0	0	Missing
2.83	2.60	2.88	Mean
1.375	1.297	1.244	Std. Deviation
1	1	1	Minimum
5	5	5	Maximum

نلاحظ أن المتوسط الحسابي للفقرة الثالثة هو الأعلى بين الفقرات و يقبلها انحراف معياري 1.244 (أي يتمتع موظفو المصرف بالمظهر الحسن الذي يجذب العملاء)

• بعد الاعتمادية:

يظهر الجدول المتوسطات الحسابية و الانحرافات لفقرة الاعتمادية

Statistics

	يوفر المصرف - 7	يوظف المصرف - 6	يؤدي المصرف - 5	يلتزم المصرف - 4
	سبل حماية للاموال من خلال الدخول في مشاريع استثمارية ناجحة .	خبرات مميزة للاعتماد عليهم في تقديم الخدمات بجودة عالية .	الخدمة بشكل صحيح و . من المرة الأولى	بأداء الاعمال في الأوقات المحددة .
Valid N	40	40	40	40
Missing	0	0	0	0
Mean	2.85	2.90	2.85	3.10
Std. Deviation	1.051	1.257	1.272	1.172
Minimum	1	1	1	1
Maximum	5	5	5	5

نلاحظ أن المتوسط الحسابي للفقرة الرابعة هو الأعلى و يقابلها انحراف معياري 1.172 (أي يلتزم المصرف بأداء الاعمال في الوقت المحدد) .

• بعد الاستجابة :

يظهر الجدول المتوسطات الحسابية و الانحرافات لفقرة الاستجابة

Statistics

	8-يحدد المصرف وقت انجاز الخدمة بدقة.	9-يتم الحصول على الخدمة بشكل فوري.	10-العاملين في المصرف يلبون الطلبات فوراً مهما كانت درجة انشغالهم.	11-المصرف يوفر خدمة الاستفسار عبر الهاتف.	12-تلبية الطلبات السريعة للزبائن يسهم في تحقيق الميزة التنافسية للمصارف.
N Valid	40	40	40	40	40
Missing	0	0	0	0	0
Mean	2.93	2.88	2.83	2.98	2.78
Std. Deviation	1.207	1.223	1.299	1.291	1.330
Minimum	1	1	1	1	1
Maximum	5	5	5	5	5

كما نلاحظ أن أعلى متوسط حسابي بين الفقرات هو للفقرة الحادية عشر يقابلها انحراف معياري 1.291 (أي ان المصرف يوفر خدمة الاستفسار عبر الهاتف) .

• بعد الأمان :

يظهر الجدول المتوسطات الحسابية و الانحرافات لفقرة الأمان

Statistics

	13-العاملين بالمصرف يمكن الوثوق بهم.	14-الشعور بالأمان عند التعامل مع المصرف يكسب المصرف زبائن جدد	15-وجود أنظمة الإنذار الحديثة يسهم في طمأنينة العاملين للتعامل مع المصرف.	16-أثق دائماً بعمليات المصرف.
N Valid	40	40	40	40
Missing	0	0	0	0
Mean	2.90	2.95	2.93	2.80
Std. Deviation	1.257	1.339	1.309	1.305
Minimum	1	1	1	1
Maximum	5	5	5	5

إن أعلى متوسط حسابي يعود للفقرة الرابعة عشر التي تقابل انحراف معياري 1.339 (الشعور بالأمان عند التعامل مع المصرف يكسب المصرف زبائن جدد) .

• **بعد التعاطف :**

يظهر الجدول المتوسطات الحسابية و الانحرافات لفقرة التعاطف :

Statistics

	يوفر - 17	المصرف - 18	يعلم - 19	يشرك - 20
	المصرف ساعات عمل ملائمة لظروف الزبائن .	يولي رعاية خاصة بالعملاء .	العاملين في المصرف احتياجات العملاء و يسعون إلى تحقيقها .	المصرف العملاء في مشاريعه و يمنحهم نسبة أرباح معينة .
Valid N	40	40	40	40
Missing	0	0	0	0
Mean	2.75	2.68	2.55	2.48
Std. Deviation	1.391	1.207	1.239	1.261
Minimum	1	1	1	1
Maximum	5	5	5	5

أعلى متوسط حسابي هو للفقرة السابعة عشر التي يقابل انحراف معياري 1.391 (أي يوفر المصرف ساعات عمل ملائمة لظروف الزبائن) .

و لاختبار فرضية البحث :

و بالاعتماد على أسلوب one – sample T test لاختبار الفرضية نلاحظ

One-Sample Test

Test Value = 0						
95% Confidence Interval of the Difference		Mean Difference	Sig. (2-tailed)	Df	t	
Upper	Lower					
3.26	2.39	2.825	.000	39	12.991	1 - يتوفر لدى المصرف التجهيزات و المعدات المتطورة التنافسية.
3.01	2.19	2.600	.000	39	12.679	2 - يتلاءم المظهر العام للمصرف مع طبيعة الخدمات المقدمة.
3.27	2.48	2.875	.000	39	14.614	3 - يتمتع موظفو المصرف بالمظهر الحسن الذي يجذب العملاء.
3.47	2.73	3.100	.000	39	16.724	4 - يلتزم المصرف بأداء الاعمال في الأوقات المحددة.
3.26	2.44	2.850	.000	39	14.171	5 - يؤدي المصرف الخدمة بشكل صحيح و من المرة الأولى.

3.30	2.50	2.900	.000	39	14.594	6- يوظف المصرف خبرات مميزة للاعتماد عليهم في تقديم الخدمات بجودة عالية.
3.19	2.51	2.850	.000	39	17.146	7- يوفر المصرف سبل حماية للاموال من خلال الدخول في مشاريع استثمارية ناجحة.
3.31	2.54	2.925	.000	39	15.332	8- يحدد المصرف وقت انجاز الخدمة بدقة.
3.27	2.48	2.875	.000	39	14.862	9- يتم الحصول على الخدمة بشكل فوري.
3.24	2.41	2.825	.000	39	13.758	10- العاملين في المصرف يلون الطلبات فوراً مهما كانت درجة انشغالهم.
3.39	2.56	2.975	.000	39	14.577	11- المصرف يوفر خدمة الاستفسار عبر الهاتف.
3.20	2.35	2.775	.000	39	13.197	12- تلبية الطلبات السريعة للزبائن يسهم في تحقيق الميزة التنافسية للمصارف.
3.30	2.50	2.900	.000	39	14.594	13- العاملين بالمصرف يمكن الوثوق بهم.
3.38	2.52	2.950	.000	39	13.936	14- الشعور بالأمان عند التعامل مع المصرف يكسب المصرف زبائن جدد.
3.34	2.51	2.925	.000	39	14.138	15- وجود أنظمة الإنذار الحديثة يسهم في طمأنينة العاملين للتعامل مع المصرف.
3.22	2.38	2.800	.000	39	13.572	16- أثنى دائماً بعمليات المصرف .
3.19	2.31	2.750	.000	39	12.500	17- يوفر المصرف ساعات عمل ملائمة لظروف الزبائن.
3.06	2.29	2.675	.000	39	14.022	18- المصرف يولي رعاية خاصة بالعملاء.
2.95	2.15	2.550	.000	39	13.013	19- يعلم العاملين في المصرف احتياجات العملاء و يسعون إلى تحقيقها.
2.88	2.07	2.475	.000	39	12.417	20- يشارك المصرف العملاء في مشاريعه و يمنحهم نسبة أرباح معينة.

نرى أن قيمة $\text{sig} < 0.05$ لجميع الأسئلة ، و بالتالي نقبل الفرضية العدم القائلة :
 " يوجد فروق جوهرية بين جودة الخدمات المصرفية و القدرة التنافسية "

• النتائج و التوصيات :

النتائج :

1. أثبتت الدراسة بأن هناك ذو دلالة إحصائية لإبعاد الجودة على القدرة التنافسية (الملموسية ، الاعتمادية ، الأمان ، الاستجابة ، التعاطف) على رضا العملاء .
2. تدريب موظفي البنك و تطوير مهاراتهم على تقديم الخدمة المصرفية ضمن الوقت المحدد باتقان و بشكل صحيح من المرة الأولى .
3. يتمتع موظفي المصرف بالمظهر الحسن و التعامل الجيد أدى إلى جذب العملاء .

التوصيات :

1. تطوير الخدمات المعروضة و إضافة خدمات جديدة تلائم متطلبات العملاء لتسهيل على العملاء إدارة عملياتهم المصرفية .
2. العمل المستمر و الحثيث على تطوير أبعاد جودة الخدمة و ذلك للحفاظ على رضا العملاء .
3. البحث عن عوامل أخرى مساهمة في تحقيق رضا العملاء .

قائمة المصادر :

• باللغة العربية

- 1- إبراهيم، ليل ناجم محمود، (2016): أثر استراتيجيات الموارد البشرية في ميزة التنافسية لشركة الحكمة لصناعات الدوائية الأردنية، مذكرة ماجستير، في إدارة الأعمال جامعة آل البيت ، الأردن، ص 23.
- 2- أبو معمر، فارس محمود، (2005): قياس جودة الخدمة المصرفية في البنوك العاملة في قطاع غزة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الثالث عشر، العدد الأول، يونيو، غزة، ص80.
- 3- بشير، عامر، (2012): دور الاقتصاد المعرفي في تحقيق الميزة التنافسية للبنوك، دراسة حالة الجزائر، أطروحة دكتوراه، في العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر، السنة 2011 _ 2012 ، ص 192.
- 4- الحداد، عوض بدير، (1999): تسويق الخدمات المصرفية، دار البيان للطباعة والنشر، مصر، ص340.
- 5- جمعية البنوك في الأردن، (2012): دليل الخدمات والمنتجات والحلول المصرفية المقدمة من البنوك في الاردن، الجزء الاول، عمان، على الرابط الإلكتروني: <http://www.abj.org.jo>
- 6- الخفاجي، حاكم، (2008): رضا الزبون كمتغير وسيط بين جودة الخدمة وولاء الزبون، دراسة حالة في مصرف بابل الأهلي، فرع النجف.
- 7- الرويس، محمد حمد عبد الهادي، (2002): نموذج مقترح لقياس جودة الخدمات المصرفية بدولة قطر، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التجارة جامعة عين شمس جمهورية مصر، ص62.

- 8- زيدان، محمد، (2006): دور التسويق المصرفي في زيادة القدرة التنافسية للبنوك، جامعة الشلف ، الجزائر.
- 9- السلمي، علي ، (2002): إدارة التميز نماذج وتقنيات الإدارة في عصر المعرفة، دار غريب للنشر، القاهرة.
- 10- السلمي، علي، (1996): نموذج قياس الفجوة التنافسية لمنظمات الأعمال، المؤتمر الأول من جمعية عربية للإدارة، الإسكندرية، مصر، 30-31 أكتوبر، ص11.
- 11- الشراح، رمضان، (2007): الجودة والتميز في قطاع الشركات الاستثمارية والخدمات المالية، ورقة عمل مقدمة الى المؤتمر العالمي الثالث، الجودة والتميز في منظمات الأعمال، جامعة الجزائر، كلية علوم التسيير في العلوم الاقتصادية، 6-7 مايو، ص22.
- 12- الطالب، صلاح عبد الرحمن مصطفى، (2005) : قياس جودة الخدمات المصرفية الإسلامية في الملكة الأردنية الهاشمية، جامعة جرش الأهلية، الأردن، ص37.
- 13- طه، طارق،(2000): إدارة البنوك والمعلومات المصرفية، دار الكتب للنشر، الإسكندرية، ص 271.
- 14- العتبي، ناجي زيدان محمد ناصر، (2014): سناء عبد الرحيم ، تأثير العناصر الحرجة في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة بحث ميداني لآراء عينة من المدراء في شركة المعتمص العامة للمقاولات الإنشائية، كلية الإدارة والاقتصاد ، قسم إدارة الأعمال ، جامعة بغداد ،العدد 80 ، لسنة 2014 ، ص 219.
- 15- القادر، زيدان محمد و عبد، بريس، (2006): جودة الخدمات المصرفية كمدخل لزيادة القدرة التنافسية للبنوك الجزائرية، بحث غير منشور، جامعة الشلف، الجزائر، ص12.
- 16- مكاوي، أحمد محمد، (2001): أثر جودة الخدمات المصرفية على زيادة القدرة التنافسية للبنوك، دراسة تطبيقيه على البنوك المصرية، أكاديمية السادات، مصر.
- 17- نقماري، سفيان، (2013): الإبداع والابتكار في النظام المصرفي ودوره في تعزيز الميزة التنافسية للبنوك، جامعة البليدة، الجزائر.

• باللغة الإنكليزية

1- P.kotler&G.Armstrong, (1996): principles of marketing services, edition prentice hall ;p 66.

التعريف بضريبة المبيعات، بحث في القانون العام/ التشريع المالي

علياء عبدالجبار يونس¹ د. فضيلة عباس غائب²

¹ مستشار قانوني مساعد/ جامعة الموصل/ مركز التحسس النائي

بريد الكتروني: soolaf74@gmail.com

² مدرس/ جامعة الموصل/ كلية القانون

بريد الكتروني: altaee@uomosul.edu.iq

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21130>

تاريخ القبول: 2021/10/23م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

تعد ضريبة المبيعات من الضرائب غير المباشرة والمهمة بوصفها مورداً مهماً لرفد خزينة الدولة ولإسهامها في سد العجز الحاصل في خزينة الدولة لأنها ذات وفرة مالية متجددة قد تكون يومية او اسبوعية او شهرية او سنوية وتمتاز بانها ضريبة عامة تفرض على اغلب فئات المجتمع، فهي تنقل العبء الضريبي من البائع الى المستهلك النهائي عند تحقق واقعة البيع او اداء الخدمة وهي تختلف عن ضريبة القيمة المضافة المفروضة على مراحل الانتاج كافة حتى وصولها المستهلك، لذا سوف نتناول التعريف بضريبة المبيعات في ثلاث مباحث الاول: يتناول تعريف ضريبة المبيعات لغة واصطلاحاً، اما المبحث الثاني: يتناول خصائص ضريبة المبيعات وأنواعها من حيث السلع والخدمات، اما المبحث الثالث: يتناول مزايا ضريبة المبيعات وعيوبها وتمييزها عن باقي الضرائب.

الكلمات المفتاحية: السلع والخدمات، ضريبة عينية، ضريبة فورية، ضريبة متجددة، ضريبة نسبية، ضريبة محددة

RESEARCH ARTICLE

INTRODUCING SALES TAX

Research in public law/financial legislation

Alyaa AbdulJabbar Younes¹**Fadheela Abas Ghaeb²**¹ assistant legal advisor\

Mosul University\ Remote Sensing center

Email: soolaf74@gmail.com

²Teacher\ Mosul University\ College of Law

Email: altaee@uomosul.edu.iq

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21130>**Published at 01/11/2021****Accepted at 23/10/2021****Abstract**

The sales tax is an indirect and important tax as it is an important resource for the state treasury and for its contribution to filling the deficit in the state treasury because it has a renewable financial abundance that may be daily, weekly, monthly or annually. It is characterized as a general tax imposed on most groups of society, as it transfers the tax burden From the seller to the final consumer when the sale or service performance is achieved, and it differs from the value-added tax imposed on all production stages until it reaches the consumer. Sales tax and its types in terms of goods and services. The third topic: deals with the advantages and disadvantages of sales tax and distinguishing it from other taxes.

Key Words: goods and services, tax in kind, spot tax, revolving tax, proportional tax, specific tax

المقدمة

تعد الضرائب بأنواعها مصدراً من مصادر الدخل المهمة للدولة لإسهامها في النفقات العامة، لكونها تعمل على زيادة إيرادات الخزينة العامة، باعتبار الضرائب عنصراً أساسياً في تطوير المجتمعات لأنها تعود بالنفع العام للجميع، فالهدف من فرضها تحقيق الاستقرار الاقتصادي وتحسين وتيرة نموه ودعم النشاطات الموجهة والإنتاج المحلي، وإعفاء المؤسسات ذات الأهمية، وتحقيق الاستقرار الاجتماعي عن طريق إعادة توزيع الدخل بين طبقات المجتمع المختلفة وخلق التوازن بين دخول الأشخاص، فضريبة المبيعات تفرض بسبب استهلاك المكلف لها، وللحد من السلع غير الضرورية كالكسائر والمشروبات بكافة أنواعها أيضاً، كما انها تحقق اهداف سياسية كالإعفاءات الجمركية بين الدول والمعاملة بالمثل، فضريبة المبيعات لا تقل اهميتها عن باقي الضرائب كونها مصدرا مهما من مصادر الإيرادات، كما تمتاز كونها نسبية، عينية، متجددة، تأخذ بالأساس الفعلي للمكلف، فورية التحصيل، محددة الوعاء.

سبب اختيار البحث:

ان سبب اختيار الموضوع هو اهمية ضريبة المبيعات باعتبارها من الضرائب غير المباشرة ومصدرا مهما من مصادر الإيرادات العامة المتنوعة التي يتم تحصيلها بصورة فورية ومتجددة وتكون محددة الوعاء ولا يشعر المكلف بعبء نقلها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في عدم معرفة المكلف بضريبة المبيعات كونها ضريبة غير مباشرة يتم فرضها على المبيعات والخدمات من دون ذكرها في الفواتير لأنه يتم تحميلها مسبقاً على سعر البضائع والخدمات.

اهداف البحث :

يهدف البحث الى زيادة معرفة المكلف بهذه الضريبة باعتبارها ضريبة غير مباشرة، يتم فرضها بسبب استهلاك المكلف لها وللحد من استهلاك السلع والخدمات غير الضرورية والكمالية.

فرضيات البحث:

1. ضريبة المبيعات ضريبة عينية.
2. ضريبة المبيعات ضريبة نسبية، نوعية.
3. تعد ضريبة المبيعات ضريبة غير مباشرة، كما تتميز عن باقي الضرائب بتنوع وعاءها إذ تُفرض على العديد من السلع والخدمات.

منهجية البحث:

اعتمد البحث على المنهج التحليلي المبيعات في العراق والأردن وقانون ضريبة القيمة المضافة في مصر.

هيكلية البحث:

التعريف بضريبة المبيعات

المبحث الاول- تعريف ضريبة المبيعات

المطلب الاول- التعريف اللغوي

المطلب الثاني- التعريف الاصطلاحي

المبحث الثاني- خصائص ضريبة المبيعات وأنواعها

المطلب الاول- خصائص ضريبة المبيعات

المطلب الثاني- أنواع ضريبة المبيعات من حيث السلع والخدمات

المبحث الثالث- مزايا ضريبة المبيعات وعيوبها وتمييزها عن باقي الضرائب

المطلب الاول- مزايا ضريبة المبيعات

المطلب الثاني- عيوب ضريبة المبيعات

المطلب الثالث- تمييز ضريبة المبيعات عن غيرها من الضرائب

التعريف بضريبة المبيعات

تعد الضرائب بصورة عامة، من الإيرادات السيادية المهمة التي تعتمد عليها الدولة لتمويل النفقات العامة لتحقيق العديد من اهدافها المالية والاجتماعية والاقتصادية، وتعد ضريبة المبيعات من ضمن هذه الإيرادات، ولغرض الاحاطة بمفهوم ضريبة المبيعات باعتبارها من الإيرادات الرئيسية التي تدر على الدولة مبالغ طائلة في تقليل العجز الحاصل في خزينة الدولة من خلال فرضها على كافة المنتجات المستوردة والمحلية والسلع غير الضرورية، وعليه سوف يتم بيان تعريفها لغة واصطلاحاً وهنا كان لا بد من بيان الخصائص التي تتميز بها هذه الضريبة وبيان اهم عيوبها ومزاياها.

ولغرض الاحاطة بالموضوع بشي من التفصيل سوف يتم تناوله في ثلاث مباحث، يتناول المبحث الاول: تعريف ضريبة المبيعات، اما المبحث الثاني: يتناول خصائص ضريبة المبيعات، اما المبحث الثالث: يتناول الجوانب السلبية والايجابية لها وتمييزها عن باقي الضرائب.

المبحث الاول**تعريف ضريبة المبيعات**

يتناول هذا المطلب تعريف ضريبة المبيعات لغة واصطلاحاً إذ سيتم فيه تعريفها من الناحية اللغوية ومن ثم تعريفها اصطلاحاً وبيان موقف الفقه والتشريعات الضريبية من التعريف.

المطلب الاول

التعريف اللغوي

الضريبة: مؤنث الضرب وهو الراس، والموكل بالقдах او الذي يضرب بها وهو ما يفرض على الملك والعمل والدخل للدولة والمشتريات والخدمات وتختلف اختلاف القوانين والاحوال، والضريبة: القطعة من الصوف أو الشعر أو القطن، تُنقش ثم تُدرج وتُشدُّ بخيطٍ ثم تُغزل⁽¹⁾، وهو ما ضربت عليه خراجا اذ جعلته وظيفة، والاسم الضريبة، والجمع ضرائب، والضريبة: الخراج المضروب⁽²⁾، والجمع: ضرائب وضرائب، والضريبة: أثر الضرب، اما دافع الضرائب: هو المكلف بدفع الضريبة، والمُعفى من الضريبة: فهو الذي لا يخضع لضريبة، ويقصد بشمول الضريبة: مبدأ يقضي بأن على جميع المواطنين دفع الضريبة، بما فيهم من الأجانب المقيمين في البلاد.

وتشتق المبيعات: من الفعل ومصدره: باع يبيع بع بئعاً، فهو بائع وبَّع وهو الشخص الذي يبيع ويشترى بعض السلع ويعيد بيعها، والمفعول مبيع ومبيوع، ومنه باع له سلعاً مستوردةً: أعطاه إياه بثمن، وقد تزداد من على المفعول الأول نحو: بعث من الفلاح حقله، بعث الفلاح الحقل، وباع عليه القاضي ضيعته: باعها على غير رضاه، باع على بئعه: أي حاضرًا ب حاضر. والمبيعات (اسم) جمع لمبيع: ويقصد به ما يُشترى وما يُباع، أو الشراء والبيع وما يباع⁽³⁾. فتعرف ضريبة المبيعات: ما تفرضه الدولة من ضريبة على الملك والعمل والدخل والمشتريات (ما يباع ويشترى) والخدمات وتختلف باختلاف قوانين الدول.

المطلب الثاني

التعريف الاصطلاحي

يتطلب تعريف ضريبة المبيعات من الناحية الاصطلاحية بيان موقف التشريعات الضريبية من ضريبة المبيعات في تعريفها ومن ثم بيان موقف الفقه منها.

اولاً- التعريف الفقهي:

تعددت التعريفات التي تناولها الفقه لضريبة المبيعات إذ تم تناولها من جوانب عديدة ومختلفة الا انها جميعا تتطابق على الاغلب في خصوصها، اي انها تعرف من وجهات نظر مختلفة بأنها (ضريبة غير مباشرة تقع على الخدمات والسلع) فهي تختلف عن الضريبة المباشرة التي تصيب الدخل بشكل مباشر عند الحصول عليها أو اكتسابها.

وعرفت من الناحية الاقتصادية بانها الضرائب التي يتم فرضها بمناسبة استعمال الدخل أو إنفاقه في سبيل

(1) محمد بن أحمد الأزهرى الهروي، والمحقق محمد عوض مرعب، تهذيب اللغة، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الاولى، 2001، عدد الاجزاء 8، والمنشور على الموقع الالكتروني، <https://al-maktaba.org/book/>، تاريخ الزيارة 2020/10/21.

(2) أحمد بن محمد علي الفيومي المقرئ، المحقق عبدالعظيم الشناوي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الطبعة 2، دار المعارف، القاهرة، المنشور على الموقع الالكتروني، <https://www.waqfeya.com/book.php>، تاريخ الزيارة 2020/10/21.

(3) معجم المعاني الجامع- معجم عربي، والمنشور على الموقع الالكتروني معاني <https://www.almaany.com>، تاريخ الزيارة 2020/12/29.

الحصول على السلع والخدمات الاستهلاكية لذلك تسمى (ضرائب على الاستهلاك او ضرائب على الإنفاق)⁽⁴⁾. وعرفت من الناحية المحاسبية بانها ضريبة غير مباشرة تفرض على السلع والخدمات بنسبة مئوية معينة، سواء كانت السلع الصناعية مستوردة أو محلية وعلى مجموعة الخدمات المُقدّمة (يدفعها المستهلك عند التداول)، وعرفت ايضا بانها ضريبة غير مباشرة تفرض عند نقطة استيرادها أو بيعها السلع والخدمات التي تخضع للضريبة من المنشآت التي يتجاوز قيمة مبيعاتها السنوية الحد المقرر من قبل السلطة، وعرفت بانها ضريبة غير مباشرة عامة تفرض على السلع في مرحلة الانتاج والاستهلاك⁽⁵⁾.

وعرفت ايضا بأنها ضريبة تفرض على السلع والخدمات، اي تفرض على الاستهلاك بعكس ضريبة الدخل التي تفرض على الدخل وتدفع ضريبة المبيعات من التاجر أو الصانع عند الشراء، إلا أن هذه الفئات تقوم باستردادها من الجهة أو المشتري أو المستفيد من الخدمة عند بيع السلعة أو تقديم الخدمة لتستقر في النهاية على المستهلك النهائي للسلعة⁽⁶⁾.

وعرفت بأنها الضريبة التي تفرض على السلعة أو الخدمة في أثناء أداءها، إذ تخضع السلعة للضريبة عند البيع ويمكن فرضها على جميع السلع من دون تمييز⁽⁷⁾، وعرفت ايضا "بأنها من الضرائب غير المباشرة التي تفرض على سوق المنتجات وتحملها الفرد عند شرائه السلعة او الخدمة التي تم فرض ضريبة المبيعات عليها، وتعتمد هذه الضريبة على مرونة العرض في الاسواق"⁽⁸⁾.

وعرفت ايضا بأنها الضريبة التي يتم فرضها على مرحلة واحدة من مراحل تداولها عند بيعها من تاجر الجملة الى تاجر التجزئة من ثم الى المستهلك إذ يكون سعرها اعلى من الضريبة على رقم الاعمال⁽⁹⁾.

عرفها فقهاء المالية على انها "فريضة مالية نقدية جبرية تفرض على نقطة بيع الخدمات والسلع المستوردة والمنتجة محلياً التي تخضع لها، على وفق أحكام القانون باستثناء ما تم التوافق على اعفائه منها بنص قانوني، ويتحمل عبئها المشتري النهائي من دون مراعاة ظروفه الشخصية، ويحصلها البائع النهائي نيابةً عن السلطة المالية ويسلمها لها بشكل دوري ليس سنوي وفق القانون، تفرض او يعفا منها لتحقيق اهداف مالية وسياسية

(4) احمد هاشم احمد، محاسبة الضرائب، عمان، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني E كتاب <http://www.ektab.com>، تاريخ الزيارة 2021/12/29.

(5) د. عبدالعال الصكبان، علم المالية العامة، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد، الجزء الاول، الطبعة الثانية، مطبعة الارشاد، بغداد، 1966، ص282.

(6) د. ايمان شاكر محمد، ليث امين، تصميم اطار مقترح لضريبة المبيعات بما يتلاءم ومتطلبات البيئة العراقية في زيادة إيرادات الموازنة العامة، العراق، كلية الإدارة والاقتصاد، مجلة الدنانير، ، العدد 13، 2018، ص584.

(7) أسعد محمد علي وعبد الامير صبار، دور ضريبة المبيعات في تمويل الموازنة العامة للدولة، بحث استطلاعي لواقع اصحاب الأعمال والمهن في محافظة كربلاء المقدسة، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة كربلاء، المجلة العراقية للعلوم الادارية، المجلد 13، العدد 54، 2017، ص87.

(8) عبد الامير صبار، "توظيف تكنولوجيا المعلومات و الاتصالات في تفعيل التحاسب الضريبي " اطار مقترح لضريبة المبيعات في العراق، رسالة ماجستير، كلية الادارة و الاقتصاد، جامعة كربلاء، 2017، ص45.

(9) د. رائد ناجي احمد، علم المالية العامة والتشريع المالي في العراق، دار العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، ب ت، ص93.

اجتماعية واقتصادية بما يتوافق مع توجهات الدولة⁽¹⁰⁾، وعرفت أيضاً "بأنها ضريبة عامة على المبيعات تفرض على مراحل الانتاج والتوزيع كافة وتفرض على السلع والخدمات كافة عدا ما استثني منها بنص، مع أعمال مبدأ الخصم لكل التكاليف المباشرة وغير المباشرة وتصل الى مرحلة تجارة التجزئة"⁽¹¹⁾.

ونستخلص مما تقدم ان التعريفات جميعها ذات مضمون واحد متشابه على انها ضريبة غير مباشرة ولا يتحمل المكلف القانوني عبئها النهائي وانما يتم تحميلها الى المشتري ويلتزم المكلف القانوني بتوريدها الى السلطة المالية.

ثانياً- التعريف القانوني:

اختلف موقف التشريعات الضريبية في تعريف ضريبة المبيعات فبعضها لم يحدد تعريف لها وهذا يتشمل بموقف المشرع العراقي لان فرض هذه الضريبة كان بموجب قرارات ونصوص في قوانين الموازنة العامة على العكس من موقف التشريعات الاخرى، الا انه عرفها ضمن الكتب الصادرة من الهيئة العامة للضرائب استناداً لأحكام البند اولا من المادة 18 من قانون الموازنة الاتحادية رقم (1) لسنة 2019 بإصداره مجموعة الضوابط والتعاريف الاتية: اولا/1. عرف ضريبة المبيعات: "بأنها الضريبة المفروضة على خدمة تعبئة الهاتف النقال والأنترنيت بنسبة 20% وعلى الخدمة المقدمة في الفنادق والمطاعم بنسبة 10%"⁽¹²⁾.

اما المشرع الاردني⁽¹³⁾ فقد عرفها: بأنها ضريبة على المبيعات، وهي "ضريبة غير مباشرة تفرض على السلع الصناعية المستوردة والمصنعة محليا وعلى مجموعة من الخدمات"، ويتم استيفاءها في المرحلة الأولى من تطبيقها من المستورد مباشرة، ومن الصانع عند البيع، ومن مؤدي الخدمات عند تقديمها، ويستثنى من ذلك السلع المعفاة المنصوص عليها في قائمة الإعفاء وقد فرضت لتحل محل الضريبة على الاستهلاك.

وعرفها المشرع المصري في قانون ضريبة المبيعات رقم 11 لسنة 1991 الملغي بانها: "انتقال السلعة او اداء الخدمة من البائع ولو كان مستوردا الى المشتري ويعد بيعا في حكم القانون ما يلي ايها اسبق (اصدار الفاتورة، تسليم السلعة او تأدية الخدمة او أداء ثمن السلعة او مقابل الخدمة سواء كان كله او بعضه دفعة واحدة او على اقساط او أي شكل من اشكال اداء الثمن)، سواء كان المنتج الصناعي محلي او مستورد"⁽¹⁴⁾، فضلا عن وجود قوانين اخرى قد قامت بتعريفها كقانون الضريبة العامة على المبيعات اليمني⁽¹⁵⁾ والولايات المتحدة⁽¹⁶⁾.

(10) علي كريم راضي فيروز، تأثير ضريبة المبيعات في ربحية شركات الاتصالات، (دراسة تطبيقية في شركتي اسيا سيل وزين العراق للاتصالات)، رسالة في الدبلوم العالي المعادلة للماجستير في الضرائب، المعهد العالي للدراسات المحاسبية والمالية، جامعة بغداد، 2008، ص18.

(11) رجاء محمود شريف، أثر الضريبة على القيمة المضافة - (دراسة مقارنة)، مكتبة زين الحقوقية والادبية، بيروت، لبنان، 2013، ص44.

(12) كتاب الهيئة العامة للضرائب رقم 557/5 في 2019/2/24، مديرية ضرائب فرع نينوى الايمن.

(13) المادة 2 من قانون ضريبة المبيعات الاردني رقم 6 لسنة 1994 المعدل النافذ.

(14) المادة 1 من قانون الضريبة العامة على المبيعات المصري رقم 11 لسنة 1991 المعدل.

(15) وعرفها المشرع اليمني: "بأنها انتقال ملكية أو حيازة السلعة أو أداء الخدمة من البائع للمشتري"، للمزيد من التفصيل ينظر المادة 2 من قانون الضريبة العامة على المبيعات اليمني رقم (19) لسنة 2001، المنشور على الموقع الالكتروني، <https://yemen-nic.info>، تاريخ الزيارة: 2020/12/24.

ومن خلال ما سبق يمكن **تعريف ضريبة المبيعات** بأنها فريضة نقدية اجبارية تفرض على السلع والخدمات عند تحقق الواقعة المنشئة لها على وفق أحكام القانون باستثناء ما نص القانون على اعفائه وغالبا ما يتحمل عبئها النهائي المشتري وليس المكلف القانوني.

المبحث الثاني

خصائص ضريبة المبيعات وأنواعها

تتميز ضريبة المبيعات بالكثير من الخصائص فضلا عن تعدد انواعها وسوف يتم تناول هذه الخصائص والانواع في فرعين وفق الآتي.

المطلب الاول

خصائص ضريبة المبيعات

تتميز ضريبة المبيعات بخصائص عديدة يمكن تحديدها بما يأتي:

اولا- ضريبة غير مباشرة:

يتم فرضها عند الاستخدام او التداول او الاستعمال إذ لا تستهدف المال أو الدخل بشكل مباشر عند اكتسابه (كضريبة الدخل) فـضريبة المبيعات تفرض على حجم مبيعات المكلف الذي ينقل عبئها الضريبي من شخص لآخر فيتحمل عبئها النهائي (مستهلك السلعة أو متلقي الخدمة) الخاضعة للضريبة، أما المنتج أو المستورد فهم المكلفون بتحصيل الضريبة وتوريدها لمصلحة الضرائب على المبيعات⁽¹⁷⁾.

ثانيا- ضريبة عامة:

تفرض على كافة السلع المستوردة او المنتجة محليا إلا ما استثنى بنص خاص، وتفرض على عديد من الخدمات ولكن قد يعفي المشرع بعض من السلع والخدمات من ان تخضع لضريبة المبيعات⁽¹⁸⁾.

ثالثا- ضريبة مالية "نقدية جبرية":

الضريبة بطبيعتها تكون جبرية وهي في اغلب دول العالم تحصل بشكل نقدي على عكس ما كان سائد سابقا إذ كان يتم تحصيلها عينياً⁽¹⁹⁾.

رابعا- ضريبة ذات اسعار متعددة:

تفرض بأسعار متفاوتة بحسب نوع السلعة (ضرورية او كمالية)، بمختلف مراحلها عند انتقالها من المنتج إلى المستهلك النهائي، فهي تفرض على المنتجين الصناعيين وتجار الجملة والتجزئة والمستوردين، وتتعدد أسس قياس

(16) وعرفت الولايات المتحدة ضريبة المبيعات: "بأنها ضريبة يدفعها البائع عن كل عملية بيع وتتراوح قيمتها في أميركا بين 1% و10% وتعتبر من الضرائب غير المباشرة المفروضة على المشتري، لأن البائع يحصل قيمتها منه، hani، الضرائب في الولايات المتحدة الأمريكية، والمنشور على الموقع الإلكتروني الراصد العربي، <https://hanisblog.com/author/hd>، تاريخ الزيارة 2020/12/24.

(17) د. سعود جايد مشكور، ضريبة المبيعات اهدافها وخصائصها ومعالجتها المحاسبية، قسم المحاسبة، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة المثني، مقالة منشورة على الموقع الإلكتروني، <https://www.researchgate.net/publication>، تاريخ الزيارة 2020/12/24.

(18) علي حمود العديني، مميزات الضريبة العامة على المبيعات، مقالة منشورة على الموقع الإلكتروني لمجلة منتدى الضرائب، العدد 9 و10، <https://tax-form.yoo7.com/t122-toppic>، تاريخ الزيارة 2020/12/24.

(19) علي كريم راضي فيروز، مصدر سابق، ص20.

الوعاء الخاص بها فقد تفرض على أساس قيمة السلعة المنتجة محلياً أو المستوردة⁽²⁰⁾.

خامساً- ليس لها علاقة بالربح أو الخسارة للمكلف أو المسجل:

وتكون على أساس قيمة المبيعات بصرف النظر عن تحقيق المكلف أو المسجل ربحاً أم خسارة، ولا تعد ضمن عناصر التكلفة إلا في حالات محددة بالقانون.

سادساً- ضريبة وطنية:

تفرض على السلع المنتجة محلياً وعلى الخدمات الخاضعة لها عند بيع تلك السلعة أو أداء هذه الخدمة داخل الدولة⁽²¹⁾، وعلى السلع المستوردة من الخارج عند بيعها داخل البلاد، أما بالنسبة للسلع المصنعة محلياً والمصدرة الى الخارج فتكون معفاة من الضريبة.

سابعاً- ضريبة قيمية (نسبية) ونوعية:

تفرض ضريبة المبيعات بنسبة مئوية على قيمة السلعة والخدمة (سعر قيمي)، بمبلغ ثابت على وحدة السلعة السعر النوعي أو السعر الخاص⁽²²⁾.

ثامناً- ضريبة عينية:

تفرض على السلع والخدمات التي تخضع لها من دون ان تراعي الظروف الشخصية للمستهلك أو حالته المعاشية وتتسم بالصفة الشخصية لان المشرع اعفى بعض السلع والخدمات⁽²³⁾.

تاسعاً- تعد من الضرائب المتجددة (شهرية التوريد):

تعد ضريبة المبيعات ضريبة متجددة لما يقدمه المسجل من إقرارات شهرية عن الضريبة المستحقة خلال السنة، ويقوم بسداد الضريبة من واقع تلك الاجراءات، ومن ثم هي ضريبة تفرض على ما يقدمه المكلف من اقرارات وعلى فترات مختلفة قد تكون شهرية او كل شهرين فيقوم بسدادها⁽²⁴⁾.

عاشرًا- تتميز ضريبة المبيعات بأنها ضريبة على القيمة المضافة:

لا تعد ضريبة المبيعات ضريبة تراكمية إذ يستطيع المسجل أن يخضم أو يسترد الضريبة قبل وضع الضريبة المستحقة عليه، حيث تسمح لبائع السلعة المسجل أن يخضم من الضريبة المستحقة على قيمة مبيعاته ما سبق سداده من هذه الضريبة على مشترياته، فالمكلف هو من يقوم بتحصيل الضريبة وتوريدها إلى مصلحة الضرائب على المبيعات ولا يتحمل عبء هذه الضريبة وإنما الذي يتحملها المستهلك النهائي، لذا لا تعد الضريبة من ضمن عناصر التكاليف إلا في الحالات التي لا يتمكن فيها المكلف من نقل الضريبة إلى المستهلك⁽²⁵⁾.

(20) منصور البديوي، محمد البابلي، محاسبة الضريبة، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2004، ص386.

(21) أيمن حداد، عمر بني ارشيد، محاسبة الضريبة، طبيعة وخصائص ضريبة المبيعات، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص21.

(22) د. عباس مفرج الفحل، ضريبة المبيعات في العراق، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية المانيا، برلين، العدد 12، جانفي، 2020، صص(132-154).

(23) د. عادل فليح العلي، المالية العامة والقانون المالي والضريبي، المكتبة العالمية للكتاب الجامعي، بيروت، لبنان، 2008، ص263.

(24) د. سعود جايد مشكور العامري، مصدر سابق، ص2.

(25) نوفل غني، ما هي اهم خصائص الضريبة العامة على المبيعات، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني، <https://specialties.bayt.com/ar/specialties/dashboard>، تاريخ الزيارة 2020/12/25.

أحد عشر - ضريبة تأخذ بالأساس الفعلي:

تسري الضريبة على المبالغ المدفوعة فعلا مقابل بيع السلعة و أداء الخدمات الثابتة بالفاتورة الضريبية التي يحررها البائع (المسجل) للمشتري، لذا يحق لمصلحة الضرائب على المبيعات تقدير ثمن السلعة أو الخدمة الخاضعة للضريبة في الحالات التي يثبت فيها أن القيمة التي اقر بها البائع في إقراره كانت غير حقيقية⁽²⁶⁾.

اثنا عشر - ضريبة متدرجة:

تأخذ بالتدرج برفع اسعار السلعة غير الضرورية او الكمالية، وتعمل على اعفاء مجموعة من السلع الغذائية الضرورية من الضريبة وبعض مستلزمات الانتاج⁽²⁷⁾.

ثلاثة عشر - ضريبة محددة الوعاء:

لا توجد مشكلة في ضريبة المبيعات بشأن تحديد الوعاء الضريبي لان السعر المستخدم هو "سعر البيع النهائي"، ولكبر وعائها يمكن تطبيقها على كافة السلع والخدمات الاستهلاكية وبمعدلات متفاوتة، فضلاً عن فاعلية ضريبة المبيعات في التأثير المباشر على "حجم الاستهلاك والادخار" مقارنة مع الاشكال الاخرى للضريبة لاتصالها المباشر بالمستهلك⁽²⁸⁾.

اربعة عشر - ضريبة سهلة وبسيطة ومرنة في الربط والتحصيل:

سهولة اجراءاتها من حيث اسلوب تقدير الضريبة وتحصيلها فضلاً عن تميزها بالمرونة والوضوح فتنظيمها الفني يجعلها تتكيف مع الظروف المواقبة لها عند التطبيق⁽²⁹⁾.

المطلب الثاني**أنواع ضريبة المبيعات من حيث السلع والخدمات**

تقرض ضريبة المبيعات على السلع والخدمات فالنسبة للسلع إذ يمكن تحديد انواعها من حيث نسبة الضريبة المفروضة وكذلك نطاق الخضوع ومن حيث اجراءات تحصيلها، ان الاصل هو خضوع السلع للضريبة الا ما استثنى منها بنص خاص والسلعة "كل مادة طبيعية أو منتج حيواني أو زراعي أو صناعي بما في ذلك الطاقة الكهربائية"⁽³⁰⁾، لتحقيق اهداف اجتماعية او اقتصادية او سياسية او دينية وغيرها من الاهداف الاخرى تقسم لأنواع عديدة على وفق ما يأتي:

اولاً- من حيث النسبة الضريبية المفروضة:

تختلف الدول في تقدير نسب الضريبة المفروضة على السلع من حيث عمومية السلعة او خصوصيتها او اذا كانت من السلع الضرورية للمستهلك كالمواد الغذائية والأدوية وغيرها.

(26) محمد شعبان امام السيد، الاحكام القانونية للضريبة العامة على المبيعات، الجزء الاول، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان 2016، ص50.

(27) المصدر نفسه، ص50.

(28) سعيد عبد العزيز و شكري رجب، اقتصاديات الضرائب، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2007، ص210.

(29) د. عزت عبد الحميد البرعي، المبادئ العامة للتشريعات الضريبية، دار اللواء للنشر والتوزيع بالمنوفية، مصر، 2001-2002، ص316.

(30) المادة 2 من قانون ضريبة المبيعات الاردني رقم 6 لسنة 1994 المعدل النافذ.

1. **النسبة العامة:** هي النسبة المقدرة على قيم السلع والخدمات كافة عدا تلك المعفاة من الضريبة وهي تختلف من بلد لآخر بموجب أحكام القانون⁽³¹⁾.
2. **النسبة الخاصة:** هي النسبة المفروضة على سلع معينة بنسب محددة⁽³²⁾.
3. **نسبة الصفرة:** هي الضريبة المستحقة على عملية البيع تساوي صفرا على سلع حددها القانون وتعد من السلع الضرورية للمستهلك لمرعاة ذوي الدخل المنخفضة وكذلك على السلع والخدمات المصدرة إلى (خارج البلاد، المدن والاسواق الحرة) لتشجيع الانتاج الوطني بإعفائه من الضريبة كي ينافس السلع المستوردة⁽³³⁾.

ثانيا- من حيث نطاق الخضوع:

يختلف نطاق السلع والخدمات التي تخضع للضريبة من حيث الشمول على وفق ما يأتي:

1. الضريبة العامة على المبيعات:

وهي الضريبة المفروضة على السلع والخدمات جميعها عدا ما اعفي منها بنص قانوني وتمتاز بشمولية السلع، فالأصل خضوعها، والاستثناء من الخضوع يرد بنصوص قانونية بينما الأصل للضريبة النوعية على المبيعات هو عدم الخضوع باستثناء ما يحدد بقانون⁽³⁴⁾.

2. الضريبة النوعية على المبيعات:

وهي الضريبة المفروضة على سلع معينة مجدولة ومحددة بنصوص قانونية، ولا تخضع السلع غير المذكورة للضريبة⁽³⁵⁾.

3. الضريبة الخاصة على المبيعات:

هي ضريبة تفرض بنسب او مقادير معينة على استيراد انواع محددة من السلع او بيعها وتكون مباشرة لان تحصيلها فوري بمجرد الشراء، إذ يتم حساب الضريبة المضافة تلقائيا على مبلغ الربح والذي يتم تحديده وفق القانون كالمشروبات الكحولية، والسجائر، والسيارات، وخدمة اشتراك الهاتف المتنقل، والمشتقات النفطية (البنزين)، وتذاكر السفر بالجو، وانه يتم تحصيلها لمرة واحدة عند الاستيراد أو عند البيع الأول (الضريبة الخاصة) ان كان تصنيع السلعة محليا، لذا تختلف عن الضريبة العامة التي يتم

(31) رفعت عبد الحميد، ضريبة المبيعات خبرات وحلول، وفقا للقانون المعدل رقم 36 لسنة 2000 والمطبق اعتبارا من 2001/1/2، الطبعة الاولى، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، 2001، ص ص (28-29).

(32) د. محمد ابو نصار و محفوظ المشاعلة و د. فراس عطا الله الشهبان، محاسبة الضرائب بين النظرية والتطبيق - ضريبة الدخل والمبيعات في الاردن، الطبعة الثانية، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، 2009، ص ص (368-369).

(33) عمر عبدالله بني ارشيد، موسوعة الضرائب - الضريبة العامة على المبيعات وضريبة الدخل، الطبعة الاولى، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2013، ص ص (30-31).

(34) خديجة الأعسر، اقتصاديات المالية العامة، الدار الجامعي الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2006، ص 160.

(35) زين العابدين ناصر، علم المالية العامة دراسة المبادئ العامة لمالية الدولة و النظام الضريبي المصري، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1979، ص 247.

تحصيلها عند كل عملية بيع حتى وصولها ليد المستهلك أو المستخدم النهائي ولا يمكن استردادها، وهي تورد شهريا للدائرة بموجب إقرار الضريبة الخاصة، لذا تختلف عن الضريبة العامة التي تورد للدائرة كل شهرين⁽³⁶⁾.

ثالثاً- من حيث مراحل تحصيلها:

ان ضريبة المبيعات قد يتم تحصيلها بمرحلة واحدة عند البيع أو الشراء أو يتم تحصيلها على مراحل عديدة بدءاً من سلسلة الإنتاج والتوزيع حتى وصولها للمستهلك النهائي وتكون على النحو التالي:

1. ضريبة المبيعات ذات المرحلة الواحدة:

تفرض على المنتج عند بيعه للسلعة وعلى المشتري عند شرائها ولمرة واحدة كما تفرض أيضاً على المستورد وتاجر الجملة وتاجر التجزئة⁽³⁷⁾، وتقسّم إلى أنواع عديدة من حيث التصنيع وبيع الجملة والتجزئة، فالنسبة لضريبة البيع للصانعين هي ضريبة خاصة بالشركات المصنعة والمنتجة لبضائع معينة، أما بالنسبة لبيع الجملة هي ضريبة تفرض على بائعي الجملة وهي تسبق ضريبة البيع بالتجزئة، فوعاء الضريبة هنا يقع على صفقات المبيعات التي تتم بين تجار الجملة والتجزئة، أما ضريبة البيع بالتجزئة هي الضريبة الخاصة بالتعريف للعميل أو المستهلك النهائي، وشاع استخدامها في الدول النامية⁽³⁸⁾.

2. ضريبة المبيعات متعددة المراحل:

تطبق هذه الضريبة على السلع والخدمات جميعها عند تداولها أو إنتاجها من شخص لآخر حتى وصولها للمستهلك النهائي، وتفرض في كل مرة تباع فيها السلعة، إذ يكون سعرها أقل من ضريبة المبيعات ذات المرحلة الواحدة، فكل منها آلية معينة كضريبة رقم الأعمال⁽³⁹⁾ المفروضة على المراحل كلها من الإنتاج حتى وصولها للمستهلك النهائي، وضريبة القيمة المضافة المفروضة على كافة مراحل الإنتاج التي تتمثل في الزيادة في قيمة الإنتاج في مرحلة من مراحلها عن قيمتها في بداية المرحلة. أما بالنسبة للخدمات التي تخضع للضريبة فإن القوانين الضريبية ميزت بين ما يعد خدمات مستمرة أو غير مستمرة فالخدمة هو "كل عمل يقوم به الشخص لقاء بدل بما في ذلك تقديم منفعة للغير وهي تكون ذات طبيعة مستمرة إذا كانت تؤدي بصورة منتظمة" مثل خدمات الفاكس والتلكس، خدمات الهاتف النقال وشبكات الانترنت، خدمات المقاولات وخدمات شركات النظافة والحراسة الخاصة، وخدمات الفنادق والمطاعم السياحية، خدمات النقل... الخ⁽⁴⁰⁾.

(36) عمر عبدالله بني ارشيد، مصدر سابق، ص ص (44-45).

(37) نجمة الصبح، ما هي ضريبة المبيعات، مقالة منشورة على الموقع الإلكتروني،

<https://www.babelsoftco.com/articles/sales-tax>، تاريخ الزيارة 2020/12/25.

(38) محمد شعبان امام سيد، مصدر سابق، ص ص (59-61).

(39) الضرائب على رقم الأعمال: هي الضرائب المفروضة على جميع السلع المنتجة باختلاف مراحلها التي تمر بها بدءاً من اول مرحلة لبيع

المواد الأولية ومروراً بأخر مرحلة من الإنتاج حتى وصولها للمشتري الاخير، يونس أحمد البطريق، اقتصاديات المالية العامة، الدار الجامعية، بيروت، 1985، ص 137.

(40) محمد شعبان امام سيد، المصدر السابق، ص ص (51-58).

المبحث الثالث

مزايا ضريبة المبيعات وعيوبها وتمييزها عن باقي الضرائب

تتميز ضريبة المبيعات بمزايا عديدة مع ذلك فهي لا تخلو من كثير من العيوب وعليه سوف يتم تناولها في فرعين:

المطلب الاول

مزايا ضريبة المبيعات

تمتاز ضريبة المبيعات بكثير من المزايا التي يمكن اجمالها بما يأتي:

اولاً- يتم فرضها لمرة واحدة عند البيع او اداء الخدمة، ولهذا لا يشعر المكلف بتقل عبئها لأنه يدفعها بسهولة عند شرائه للسلعة لعدم معرفته سعر السلعة الحقيقي، كما انها تورد شهريا لدائرة ضريبة المبيعات⁽⁴¹⁾.

ثانياً- تنقل العبء الضريبي من البائع (المكلف القانوني بتحصيل وتوريد الضريبة) للمشتري (المكلف الفعلي) وقد يكون المكلف القانوني والمكلف الفعلي شخص واحد فلا ينتقل العبء الضريبي.

ثالثاً- تتمتع بالخصم الضريبي لمرة واحدة عند البيع النهائي باستنزال مبلغ الضريبة المستحقة من مبلغ قيمة المبيعات، كما يحق للمكلف رد المبلغ الذي تم دفعه بصورة زائدة عن طريق الخطأ او اية صورة اخرى من الادارة الضريبية منذ تاريخ تقديم طلب الرد.

رابعاً- تكمن ضريبة المبيعات في أنها أكثر فاعلية في التأثير المباشر على حجم الاستهلاك والادخار بالمقارنة بالأشكال الاخرى للضريبة لاتصالها المباشر بالمستهلكين حيث بإمكان المكلف الحد من استهلاك السلع غير الضرورية والكمالية.

خامساً- تفرض على دخل الفرد عند انفاقه او استهلاكه او تداوله وليس عند تملكه.

سادساً- تكون ضريبة المبيعات مستقرة الاسعار نسبياً لأنها تفرض على كل الاشخاص بسعر واحد من دون تمييز.

سابعاً- عدم وجود مشكلات في تحديد الوعاء الخاص سبق وان تم ذكره لان السعر المستخدم في تحديد وعاء الضريبة هو سعر البيع النهائي⁽⁴²⁾.

ثامناً- تمتاز بالعمومية لان تفرض على كافة السلع والخدمات محلية او مستوردة الا ما استثنى منها بنص⁽⁴³⁾، ولان عامة الشعب يدفعها.

تاسعاً- ليس لها علاقة بالربح او الخسارة لأنها محددة القيمة كما تأخذ بالقيمة المدفوعة فعلاً.

(41) رؤوف عبد المنعم محمود و سعيد علي، " الضريبة الموحدة " مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، القاهرة ، مصر، 1995، ص18.

(42) سعيد عبد العزيز عثمان و شكري رجب العشماوي، مصدر سابق، ص210.

(43) أحمد ماهر عز، المالية العامة، الجامعيون المتحدون للطباعة، مصر، 1995، ص108.

المطلب الثاني

عيوب ضريبة المبيعات

على الرغم من المزايا الكثيرة لضريبة المبيعات إلا أنها لا تخلو من العيوب إذ يمكن تحديدها بما يأتي:

- أولاً- عدم مراعاتها لمقدرة المكلف لأنها لا تميز بين الغني والفقير فالكامل يدفعها⁽⁴⁴⁾.
- ثانياً- يواجه تجار التجزئة صعوبة في تطبيقها ولا سيما في الدول النامية لذا تكون مبيعات التجزئة غير متخصصة لأن التاجر يجد صعوبة بالاحتفاظ بسجلات وتحريير الفواتير وحسابات دقيقة مما يجعل الحسابات عملية معقدة خاصة عند انخفاض كفاءة الإدارة الضريبية في الدول النامية⁽⁴⁵⁾.
- ثالثاً- تعد هذه الضرائب بسبب مرونتها وعدم ثباتها النسبي عيباً اقتصادياً في أوقات الكساد والانكماش لانخفاض الإنتاج والاستهلاك فان هذا يؤدي لشل حركة التداول والتصرفات القانونية التي تتعلق بالثروات مما يؤدي إلى لانخفاض حصيلتها، على عكس حالة التوسع والانتعاش الاقتصادي.
- رابعاً- صعوبة مراقبة ضريبة المبيعات لكثرة تداولها والتصرف بها، لهذا تحتاج الى وجود رقابة كبيرة ودقيقة وإجراءات قانونية متعددة لتفادي الغش والفساد عند تحصيلها من قبل المكلف.

المطلب الثالث

تمييز ضريبة المبيعات عن غيرها من الضرائب

لا بد من مقارنة ضريبة المبيعات باعتبارها من الضرائب غير المباشرة مع باقي الضرائب الأخرى كضريبة القيمة المضافة بوصفها (ضريبة غير مباشرة) وضريبة الدخل بوصفها (ضريبة مباشرة) لكي نتمكن من معرفة مدى فعالية تطبيقها:

أولاً- تمييز ضريبة المبيعات عن ضريبة القيمة المضافة:

1. أوجه التشابه بين ضريبة المبيعات وضريبة القيمة المضافة:

- أ. تفرض على السلع والخدمات كافة وتكون حصيلتها وفيرة ومتجددة ودورية وتعتبر أداة مالية مهمة تهدف من وراها الدولة الى تعزيز اقتصادها في تشجيع الاستثمار والادخار على الانفاق فضلاً عن تحقيق اهدافها الاقتصادية والاجتماعية.
- ب. تكون ضريبة عينية إذ تتناول المادة الخاضعة للضريبة لسلع وخدمات أي الإيراد نفسه بغض النظر عن ظروف من يتحملها.
- ج. تكون ذات قيمة نسبية أي تفرض بنسب مئوية.
- د. تكون بعيدة عن العدالة الاجتماعية لأنها تعتمد على نمط استهلاك المكلف وحجمه لا على حجم دخله.
- هـ. ضريبة القيمة المضافة وضريبة المبيعات من الضرائب التي لا تفرض واتعفى ولا تجبى ولا تعدل ولا يستثنى منها إلا بنص قانوني.

(44) عبد العال الصكبان، مصدر سابق، ص54.

(45) سعيد عبد العزيز وشكري رجب، مصدر سابق، ص211.

و. يسهمان في تمويل خزانة الدولة وتحقيق أهداف مالية واجتماعية واقتصادية(46).

2. اوجه الاختلاف بين ضريبة المبيعات وضريبة القيمة المضافة وتمثل بما يأتي:

- أ. تفرض ضريبة القيمة المضافة على السلع والخدمات سواء كانت محلية او مستوردة على المراحل جميعها من (الانتاج حتى وصولها للمستهلك)، وتفرض ضريبة المبيعات على اخر مرحلة وصولها للمستهلك النهائي ويتعذر مراقبتها عند بيعها من تاجر لأخر⁽⁴⁷⁾.
- ب. تفرض ضريبة القيمة المضافة على المكلف والمستورد وتاجر التجزئة والجملة ومؤدي الخدمة ووكيل التوزيع، وتفرض ضريبة المبيعات عند بيع تجار الجملة لتجار التجزئة⁽⁴⁸⁾.
- ج. تكون ضريبة القيمة المضافة ذات وعاء ضريبي اوسع لأنها تفرض على المراحل جميعها، ويكون وعاء ضريبة المبيعات اقل لأنها لا تفرض الا عند بيع السلعة او مقابل اداء خدمة.
- د. تعتمد ضريبة القيمة المضافة على مبدأ التعويض او الخصم في كل مرحلة من مراحل الانتاج او تقديم الخدمة، وتعتمد ضريبة المبيعات مبدأ الخصم لمرة واحدة.
- هـ. توزع ضريبة القيمة المضافة العبء الضريبي على المراحل كافة بما يتماشى مع قيمة مساهمتها لكل مرحلة فهي لا تنتقل بطريقة متزايدة الى المستهلك مما يحد التراكم الضريبي، ويتم فرض ضريبة المبيعات على اخر مرحلة من مراحل بيع السلعة فينتقل العبء الضريبي الى المستهلك النهائي⁽⁴⁹⁾.
- و. تعوض ضريبة القيمة المضافة الانخفاض الذي يصيب الايرادات الضريبية المستحصلة من الضرائب الكمركية في حالة اقامة تجارة حرة، أما ضريبة المبيعات تؤدي الى خفض المنافسة للمنتج المحلي لأنها تكون ذات سعر واحد على السلع المستوردة والمحلية⁽⁵⁰⁾.
- ز. ضريبة القيمة المضافة شديدة الحساسية فالمتغيرات الاقتصادية تظهر نتائجها بسرعة من حيث الايرادات، عكس ضريبة المبيعات التي لا تظهر نتائجها بسرعة⁽⁵¹⁾.

ثانياً- التمييز بين ضريبة المبيعات وضريبة الدخل:

1. اوجه التشابه بين ضريبة المبيعات وضريبة الدخل:

تتشابه ضريبة المبيعات وضريبة الدخل في ان كلاهما من الايرادات السيادية لأن معظم الدساتير تنص

(46) ذو الفقار علي رسن الساعدي، الضريبة على القيمة المضافة وتطبيقاتها، اطروحة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة النهرين، العراق، 2007، ص ص (24-27).

(47) د. عماد محمد علي و زيد كريم الشافعي، ضريبة القيمة المضافة مفهوما وتنظيمها الفني (لبنان حالة دراسية)، مجلة العلوم الاقتصادية والادارية، المجلد 24، العدد 105، العراق، 2018، ص371.

(48) قاسم نايف علوان و نجية ميلاد الزباني، ضريبة القيمة المضافة المفاهيم، القياس، التطبيق، دار الثقافة، عمان، مجلة العلوم الاقتصادية والادارية، المجلد 24، العدد 105، 2018، ص372.

(49) د. عماد محمد علي و زيد كريم الشافعي، مصدر سابق، ص372.

(50) عدي سالم و د. سراء سالم، ضريبة القيمة وإمكانية تطبيقها في النظام الضريبي العراقي، مجلة تنمية الرافدين، المجلد 37، العدد 18، 2018، ص45.

(51) محمد خير العكام، مقالة عن ضريبة القيمة المضافة، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني الموسوعة العربية، مصر (<http://arab-ency.com.sy/law/detail/164474>)، تاريخ الزيارة 2021/2/21.

على ان فرض الضريبة او تعديلها او الغائها لا يكون الا بقانون يصدق من السلطة التشريعية ومنها الدستور العراقي⁽⁵²⁾، ويلحظ من النص اعلاه ان المشرع العراقي لم يحدد نوعها او شكلها او طبيعتها واعطى مرونة كافية لفرض الضرائب ومن ثم يستطيع أن يفرض الضرائب بأنواعها كافة ومنها ضريبة المبيعات.

2. اوجه الاختلاف بين ضريبة المبيعات وضريبة الدخل:

على الرغم من هذا التشابه فان هناك كثير من الفروقات بينهما التي تتمثل بما يأتي:

- أ. من حيث المفهوم: ضريبة الدخل تفرض على دخول المكلف جميعها (افراد او شركات) ليتم توريدها إلى الحكومة، ويتم فرض ضريبة المبيعات على سلع محددة عند بيعها للمستهلك النهائي وعند اداء خدمات محددة.
- ب. من حيث الاستهلاك: تختلف ضريبة الدخل في طريقة احتساب الاستهلاك لأنها تؤثر في زيادة المصروف بشكل طبيعي مما يؤدي لتقليل الدخل الخاضع للضريبة، ولا تؤثر ضريبة المبيعات في زيادة المصروف إذ يمكن الاستغناء عن شراء السلع غير الضرورية⁽⁵³⁾.
- ج. من حيث التحصيل والتوريد: قد يكون الدخل اسبوعيا أو شهريا أو سنويا، وتكون ضريبة المبيعات متجددة عند استهلاك (السلع او القيام بخدمة)، فتكون شهرية التوريد او كل شهرين.
- د. من حيث المصدر: تفرض ضريبة الدخل على (الدخل)، وتفرض ضريبة المبيعات على السلع والخدمات عند تداولها او استعمالها او بيعها.
- هـ. من حيث النسب: تختلف ضريبة المبيعات في فرضها من دولة لأخرى ولا تراعي مقدرة المكلف، وتكون ضريبة الدخل ثابتة النسب بحسب مقدار الدخل، فهي تراعي التوزيع العادل للدخل في الدولة لذا تعد من أبرز أدوات الإصلاح الاجتماعي.
- و. من حيث العبء: لا يمكن للمكلف في ضريبة الدخل نقل عبئه لشخص آخر لأنه يقوم بدفعها بصورة مباشرة، وللمكلف في ضريبة المبيعات نقل عبئها من شخص لآخر⁽⁵⁴⁾.
- ز. من حيث نوع الضريبة: ضريبة الدخل شخصية وعينية تفرض على الاشخاص مع السماح لهم بالإعفاءات الاسرية فتفرض بنسب تصاعديّة على الاشخاص، وعينية على دخل الشركات فتفرض بنسب ثابتة عينية، وتكون ضريبة المبيعات ضريبة عينية لأنها تفرض على السلع والخدمات بنسب معينة⁽⁵⁵⁾.

(52) المادة 28 من الدستور العراقي لعام 2005.

(53) جوليان كاجان، Sales Tax Definition، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني،

<https://www.investopedia.com/terms/s/salestax.asp>، تاريخ الزيارة 2020/12/26.

(54) رجاء محمود شريف، مصدر سابق، ص13.

(55) د. هبة الله مصطفى، ضريبة الدخل تعريف ومفاهيم ضريبة الدخل، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني file storage

(uowa.edu.iq)، تاريخ الزيارة 2020/12/26.

الاستنتاجات والمقترحات

لقد توصلت لجملة من الاستنتاجات والتوصيات على وفق ما يأتي:

اولا- الاستنتاجات:

1. تعتبر ضريبة المبيعات ضريبة غير مباشرة، عينية، سهلة التحصيل، فورية ومتجددة، محددة الوعاء، وتأخذ بالأساس الفعلي للمكلف، فهي تفرض على دخل الفرد عند انفاقه او استهلاكه او تداوله وليس عند تملكه.
2. تمتاز بالعمومية لان تفرض على كافة السلع والخدمات محلية او مستوردة الا ما استثني منها بنص، ولان عامة الشعب يدفعها، فهي لا تراعي مقدرة المكلف لأنها لا تميز بين الغني والفقير فالكل يدفعها
3. يتم اضافتها على اسعار البضائع مسبقا دون ذكر اسم ضريبة المبيعات في الفواتير لذا المكلف لا يشعر بها عند الدفع لأنه لو علم لما قام بعملية الدفع وتلك الحال نفسها بالنسبة للمولات والمحلات لا يتم ذكرها في الفاتورة وتحمل مسبقا.
4. تمتاز ضريبة المبيعات مستقرة الاسعار نسبيا لأنها تفرض على كل الاشخاص بسعر واحد من دون تمييز، كما تفرض بنسب معينة حسب نوع السلعة او الخدمة لذا قد يتم فرضها بسعر نسبي مرتفع على السلع الكمالية او فرضها بسعر نسبي منخفض على السلع الاساسية فضلا عن فرض نسبة الصفر على السلع والخدمات المصدرة لتشجيع الاستثمار.
5. يتم فرضها لمرة واحدة عند البيع او اداء الخدمة، وتنقل العبء الضريبي من البائع للمشتري وقد يكون المكلف القانوني والمكلف الفعلي شخص واحد فلا ينتقل العبء الضريبي.
6. تعد ضريبة المبيعات أكثر فاعلية كونها تؤثر مباشرة على حجم الاستهلاك والادخار مقارنة مع الأشكال الأخرى للضريبة لاتصالها المباشر بالمستهلك للحد من استهلاكه للسلع غير الضرورية والكمالية.
7. تمتاز ضريبة المبيعات بصعوبة مراقبتها لكثرة تداولها والتصرف بها، لهذا تحتاج الى وجود رقابة كبيرة ودقيقة وإجراءات قانونية متعددة لتقادي الغش والفساد عند تحصيلها من قبل المكلف.

ثانيا- التوصيات:

1. توسيع نطاق سريان ضريبة المبيعات بوصفها من الضرائب غير المباشرة بفرضها على كافة السلع والخدمات الا ما استثني بنص القانون، لرفد الدولة بإيرادات اكبر فضلاً عن الايرادات النفطية والضرائب المباشرة، ودعم الانتاج المحلي ورفع اسعار المستورد والسلع غير الضرورية والكمالية والاستفادة منها في دعم المشاريع الاستثمارية التي تدر مبالغ مالية تساهم في تعزيز الاقتصاد.
2. اصدار قانون خاص بضريبة المبيعات واعداده من اشخاص اكفاء ذو خبرة في مجال الضريبة (محاسبيا والكترونيا وقانونيا).
3. احكام الرقابة على المستوردين والتجار والباعة حتى لا يتحكموا بالأسعار مراعاة لفئات المجتمع من ذوي الدخل المحدود، باعتماد نظام رقابة فعالة كتشكيل لجان مراقبة مفاجئة لمراجعة اعمال لجان المسح الميداني وللتأكد من عمليات المسح التي قاموا بها وانه لم يحصل تواطى بين المكلف ولجان المسح.
4. فرضها بنسب معقولة مراعاة لمقدرة المكلف.
5. توعية المكلف بهذه الضريبة وبيان حقوقه والتزاماته القانونية.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً- الدساتير:

1. الدستور العراقي لعام 2005 .

ثانياً- القوانين:

القوانين العراقية:

2. كتاب الهيئة العامة للضرائب رقم 557/5 في 2019/2/24، مديرية ضرائب فرع نينوى الايمن.

3. ضوابط وتعليمات الهيئة العامة للضرائب العراقية للمهن والاعمال التجارية لسنة 2019 - 2020.

القوانين المصرية:

4. قانون الضريبة العامة على المبيعات المصري رقم 11 لسنة 1991 المعدل والمنشور في الجريدة الرسمية، العدد 18 تابع (أ) في 1991/5/2.

القوانين الاردنية:

5. قانون ضريبة المبيعات الاردني رقم 6 لسنة 1994 المعدل النافذ، والمنشور في الجريدة الرسمية رقم 4672 بتاريخ 2004/8/16.

قوانين اخرى:

6. قانون الضريبة العامة على المبيعات اليمني رقم (19) لسنة 2001، للمزيد من التفصيل ينظر المادة 2 من المنشور على الموقع الالكتروني، <https://yemen-nic.info>، تاريخ الزيارة: 2020/12/24.

ثالثاً- الكتب :

7. أحمد بن محمد علي الفيومي المقرئ، المحقق عبدالعظيم الشناوي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الطبعة 2، دار المعارف، القاهرة، المنشور على الموقع الالكتروني، <https://www.waqfeya.com/book.php>، تاريخ الزيارة 2020/10/21.

8. أحمد ماهر عز، المالية العامة، الجامعيون المتحدون للطباعة، مصر، 1995.

9. أيمن حداد، عمر بني ارشيد، محاسبة الضريبة، طبيعة وخصائص ضريبة المبيعات، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 2010.

10. خديجة الأعسر، اقتصاديات المالية العامة، الدار الجامعي الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2006.

11. رجاء محمود شريف، أثر الضريبة على القيمة المضافة - (دراسة مقارنة)، مكتبة زين الحقوقية والادبية، بيروت، لبنان، 2013.

12. رفعت عبدالحميد، ضريبة المبيعات خبرات وحلول، وفقا للقانون المعدل رقم 36 لسنة 2000 والمطبق اعتبارا من 2001/1/2، الطبعة الاولى، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، 2001.
13. رؤوف عبد المنعم محمود و سعيد علي، " الضريبة الموحدة " مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، القاهرة ، مصر، 1995.
14. رائد ناجي احمد، علم المالية العامة والتشريع المالي في العراق، دار العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، ب ت.
15. زين العابدين ناصر، علم المالية العامة دراسة المبادئ العامة لمالية الدولة و النظام الضريبي المصري، دار النهضة العربية، القاهرة ، مصر، 1979.
16. سعيد عبد العزيز و شكري رجب، اقتصاديات الضرائب، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2007.
17. عادل فليح العلي، المالية العامة والقانون المالي والضريبي، المكتبة العالمية للكتاب الجامعي، بيروت، لبنان، 2008.
18. عبدالعال الصكبان، علم المالية العامة، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد، الجزء الاول، الطبعة الثانية، مطبعة الارشاد، بغداد، 1966.
19. عزت عبدالحميد البرعي، المبادئ العامة للتشريعات الضريبية، دار الولاة للنشر والتوزيع بالمنوفية، مصر، 2001-2002.
20. عمر عبدالله بني ارشيد، موسوعة الضرائب - الضريبة العامة على المبيعات وضريبة الدخل، الطبعة الاولى، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2013.
21. محمد ابو نصار و محفوظ المشاعلة و د. فراس عطا الله الشهوان، محاسبة الضرائب بين النظرية والتطبيق - ضريبة الدخل والمبيعات في الاردن، الطبعة الثانية، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، 2009.
22. محمد بن أحمد الأزهرى الهروي، والمحقق محمد عوض مرعب، تهذيب اللغة، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الاولى، 2001، عدد الاجزاء 8، والمنشور على الموقع الالكتروني، <https://al-maktaba.org/book/>، تاريخ الزيارة 2020/10/21.
23. محمد شعبان امام السيد، الاحكام القانونية للضريبة العامة على المبيعات، الجزء الاول، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان 2016.
24. منصور البديوي، محمد البابلي، محاسبة الضريبة، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2004.
25. يونس أحمد البطريق، اقتصاديات المالية العامة، الدار الجامعية، بيروت، 1985.

رابعا- الاطاريح والرسائل:

26. ذو الفقار علي رسن الساعدي، الضريبة على القيمة المضافة وتطبيقاتها، اطروحة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة النهدين، العراق، 2007.
27. عبد الامير صبار، "توظيف تكنولوجيا المعلومات و الاتصالات في تفعيل التحاسب الضريبي " أطار مقترح لضريبة المبيعات في العراق، رسالة ماجستير، كلية الادارة و الاقتصاد، جامعة كربلاء، 2017.

28. علي كريم راضي فيروز، تأثير ضريبة المبيعات في ربحية شركات الاتصالات، (دراسة تطبيقية في شركتي اسيا سيل وزين العراق للاتصالات)، رسالة في الدبلوم العالي المعادلة للماجستير في الضرائب، المعهد العالي للدراسات المحاسبية والمالية، جامعة بغداد، 2008.

خامسا- البحوث:

29. أسعد محمد علي وعبد الامير صبار، دور ضريبة المبيعات في تمويل الموازنة العامة للدولة، بحث استطلاعي لواقع اصحاب الأعمال والمهن في محافظة كربلاء المقدسة، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة كربلاء، المجلة العراقية للعلوم الادارية، المجلد 13، العدد 54، 2017.
30. ايمان شاكر محمد، ليث امين، تصميم اطار مقترح لضريبة المبيعات بما يتلاءم ومتطلبات البيئة العراقية في زيادة إيرادات الموازنة العامة، العراق، كلية الإدارة والاقتصاد، مجلة الدنانير، ، العدد 13، 2018.
31. عباس مفرج الفحل، ضريبة المبيعات في العراق، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية المانيا، برلين، العدد 12، جانفي، 2020.
32. عدي سالم و د. سراء سالم، ضريبة القيمة وإمكانية تطبيقها في النظام الضريبي العراقي، مجلة تنمية الرافدين، المجلد 37، العدد 18، 2018.
33. عماد محمد علي و زيد كريم الشافعي، ضريبة القيمة المضافة مفهوما وتنظيمها الفني (لبنان حالة دراسية)، مجلة العلوم الاقتصادية والادارية، المجلد 24، العدد 105، العراق، 2018.
34. قاسم نايف علوان و نجية ميلاد الزباني، ضريبة القيمة المضافة المفاهيم، القياس، التطبيق، دار الثقافة، عمان، مجلة العلوم الاقتصادية والادارية، المجلد 24، العدد 105،
35. Joshua S. Goldstein, War And Economic History, The Oxford Encyclopedia .Economic History, Oxford University, Press, 2003, P. 2
36. ATTHEW N. MURRAY* SALES TAX COMPLIANCE AND AUDIT SELECTION, .36 (National Tax Journal Vol. 48, no. 4, (December, 1995), pp. 515-30).

سادسا- المواقع الالكترونية:

37. احمد هاشم احمد، محاسبة الضرائب، عمان، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني E كتاب <http://www.ektab.com>، تاريخ الزيارة 2021/12/29.
38. جوليان كاجان، Sales Tax Definition، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني، <https://www.investopedia.com/terms/s/salestax.asp> ، تاريخ الزيارة 2020/12/26.
39. سعود جايد مشكور، ضريبة المبيعات اهدافها وخصائصها ومعالجتها المحاسبية، قسم المحاسبة، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة المثني، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني، <https://www.researchgate.net/publication> ، تاريخ الزيارة 2020/12/24.

40. علي حمود العديني، مميزات الضريبة العامة على المبيعات، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني لمجلة منتدى الضرائب، العدد 9 و 10، <https://tax-form.yoo7.com/t122-toppic>، تاريخ الزيارة 2020/12/24.
41. محمد خير العكام، مقالة عن ضريبة القيمة المضافة، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني الموسوعة العربية، مصر (http://arab-ency.com.sy/law/detail/164474)، تاريخ الزيارة 2021/2/21.
42. معجم المعاني الجامع- معجم عربي، والمنشور على الموقع الالكتروني معاني <https://www.almaany.com>، تاريخ الزيارة 2020/12/29.
43. نجمة الصبح، ما هي ضريبة المبيعات، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني، <https://www.babelsoftco.com/articles/sales-tax>، تاريخ الزيارة 2020/12/25.
44. نوفل غني، ما هي اهم خصائص الضريبة العامة على المبيعات، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني، <https://specialties.bayt.com/ar/specialties/dashboard>، تاريخ الزيارة 2020/12/25.
45. هبة الله مصطفى، ضريبة الدخل تعريف ومفاهيم ضريبة الدخل، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني [file storage \(uowa.edu.iq\)](file storage (uowa.edu.iq))، تاريخ الزيارة 2020/12/26.

اللغة العربية وإشكاليات الهوية

م. م فاطمة موسى عبد العباس¹

¹ مديريّة تربية بابل، العراق

بريد الكتروني: hchumake@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21131>

تاريخ القبول: 2021/10/12م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، أبي الزهراء محمد بن عبد الله الصادق الأمين صلى الله عليه، وعلى أهل بيته الكرام الطيبين، اللهم لك الحمد والشكر والثناء أنك الله الرحمن الرحيم، ولك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد بالإيمان والإسلام والقرآن، ولك الحمد أنت الحق، وقولك الحق ووعدك الحق، ولقاؤك الحق أما بعد:

إن القرآن الكريم هو الأرض الخصبة للعلوم كافة، ولغة هذا القرآن العظيم هي اللغة العربية؛ ولما كانت معجزة نزول القرآن الكريم بهذه اللغة مما أضيف عليها القدسية والعناية الإلهية، فقد تحولت من لغة تختص بقبائل الصحراء إلى لغة أمة إسلامية قادت الحضارة لقرون متتالية؛ إذ لها أهمية كبيرة في الثقافة والتراث والأدب العربي؛ لأنها تعتبر جزءاً من الحضارة العربية، فهي من اللغات الإنسانية السامية والتي ما زالت محافظة على تاريخها اللغوي والنحوي منذ قديم الزمان.

تعتبر اللغة العربية من أخص المكونات المؤثرة على الهوية، ووعاء المعرفة والثقافة، ومهد انطلاقاتها الكبرى، وحين تتطور الثقافة وتزدهر فانظر إلى الجانب الآخر تجد أن اللغة في أفضل عصور ازدهارها، فهي من أهم مقومات الهوية العربية، حيث عملت طويلاً على نقل تاريخ وثقافة الحضارات العربية عبر الزمن وتعتبر من أهم العوامل التي حافظت على توحيد الأمة العربية من المحيط إلى الخليج، كما ساهمت في حفظ تاريخ العرب منذ العصر الجاهلي، فقد حفظت تاريخهم الكامل، وبطولاتهم، وشعرهم؛ ولأن اللغة العربية لغة الإسلام والمسلمين والقرآن الكريم وقد انتشرت انتشاراً واسعاً فه من اللغات التي يسعى العديد من الطلاب إلى دراستها، وخصوصاً غير الناطقين بها من أجل التعرف على جمال كلماتها كما أنها من اللغات التي ظلت محافظة على قواعدها اللغوية حتى هذا الوقت كما أن الثقافة العربية غنية بالعديد من المؤلفات سواء العلمية أو الأدبية التي كتبت بلغة عربية فصحة.

الكلمات المفتاحية: اللغة، الهوية، العربية، إشكاليات

RESEARCH ARTICLE

THE ARABIC LANGUAGE AND IDENTITY PROBLEMS

NS. M Fatima Musa Abdel Abbas¹¹ Babylon Education Directorate, Iraq.

Email: hchumake@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21131>

Published at 01/11/2021

Accepted at 12/10/2021

Abstract

Praise be to God, Lord of the worlds, and prayers and peace be upon the Seal of the Prophets and Messengers, Abu al-Zahra Muhammed bin Abdullah, the Truthful and Trustworthy, may God's prayers and peace be upon him, and upon his honorable and kind family. Oh God, to you be praise, thanks and praise that you are God, the Most Gracious, the Most Merciful. Praise be to faith, Islam and the Qur'an, and praise be to You, You are the Truth, Your speech is the Truth, Your promise is the Truth, and Your meeting is the Truth. As for what follows:

The Noble Qur'an is the fertile ground for all sciences, and the language of this great Qur'an is Arabic; Since the miracle of the revelation of the Noble Qur'an in this language, which bestowed on it sanctity and divine providence, it turned from a language specific to the tribes of the desert to the language of an Islamic nation that led civilization for successive centuries; It has great importance in Arab culture, heritage and literature; Because it is considered part of the Arab civilization, it is one of the Semitic human languages, which has preserved its linguistic and grammatical history since ancient times.

The Arabic language is considered one of the most important components affecting identity, the vessel of knowledge and culture, and the cradle of its major breakthroughs. Through time, it is considered one of the most important factors that preserved the unification of the Arab nation from the ocean to the Gulf. It also contributed to preserving the history of the Arabs since the pre-Islamic era. It preserved their complete history, heroism, and poetry; And because the Arabic language is the language of Islam, Muslims, and the Holy Qur'an, and it has spread widely, it is one of the languages that many students seek to study, especially non-native speakers, in order to identify the beauty of its words. It is rich in many books, whether scientific or literary, that were written in fluent Arabic

Key Words: language, identity, Arabic, problems

المقدمة

وَمِمَّا لَا شَكَّ أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ هِيَ الْفِكْرُ وَهِيَ الْهُوِيَّةُ وَالْمَاضِي وَالْحَاضِرُ وَفِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَتَوَاجَهَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ عَدَّةَ آفَاتٍ مِنْهَا اسْتِعْمَالُ لُغَةِ الْبَاحِثِينَ وَالْمُذْبِعِينَ وَالْمَحَاضِرِينَ، وَقَدْ غَلَبَتْ لُغَةُ الْعَامَّةِ حَتَّى عَلَى لُغَةِ الْمُدْرَسِينَ وَالْأَسَاتِذَةِ فِي الْمَدَارِسِ وَالْجَامِعَاتِ، بِخِلَافِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ، فَقَدْ كَانَ الْمَعْلَمُونَ فِي الْمَدَارِسِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ لَا يَلْقَوْنَ دُرُوسَهُمْ إِلَّا بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ السَّلِيمَةِ، وَمِنْ الْمَعَانَاةِ ائْتِشَارَهَا أَيْضًا فِي شَتَّى وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْمَرْئِيَّةِ، وَالْمَسْمُوعَةِ وَالْمَنْطُوقِ بِهَا وَفِي الْإِعْلَانَاتِ وَلاَقَاتِ الْمَحَالِ التِّجَارِيَّةِ وَالْمَطَاعِمِ وَالْمَقَاهِي وَغَيْرِهَا، وَمِمَّا يَبْعَثُ عَلَى الْأَسَى اسْتِعْمَالُ الْعَامِيَّةِ فِي مَنَاقِشَةِ الْمَاجِسْتِيرِ وَالدُّكْتُورَاهِ فِي بَعْضِ كَلِيَّاتِ الدِّرَاسَاتِ الْعِلْمِيَّةِ فِي الْجَامِعَاتِ الرَّسْمِيَّةِ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ؛ فَبِهَذَا عَلَيْنَا ائْتِزَادَ الْهُوِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْ خِلَالِ التَّوَعِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ مِنْ طَرِيقِ الْإِذَاعَةِ وَالتَّلْفِزَةِ، وَإِقَامَةِ نَدَوَاتٍ تَثْقِيْفِيَّةٍ وَإِقَاءِ مَحَاضِرَاتٍ تَحْضُّ عَلَى اسْتِعْمَالِ اللُّغَةِ الْفَصِيحَةِ، فَهِيَ الَّتِي تيسرُ التَّفَاهَمَ بَيْنَ أَوْلَادِ الْمَجْتَمَعِ الْعَرَبِيِّ، فَالْوَحْدَةُ السِّيَاسِيَّةُ لَا يَأْتِي تَحْقِيقُهَا إِلَّا مِنْ طَرِيقِ التَّوْحِيدِ اللَّغَوِيِّ، وَالِاعْتِزَازِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْحِرْصِ عَلَى اسْتِعْمَالِهَا فِي كُلِّ الْمَجَالَاتِ وَتَذْكَيرِ الْمَجْتَمَعِ بِمَا كَانَ لِللُّغَتَيْنَا مِنْ شَأْنٍ كَبِيرٍ فِي الْعَصُورِ الْمُخْتَلِفَةِ وَلَدَى جَمِيعِ الْأُمَمِ الَّتِي انضَوَتْ تَحْتَ رَايَةِ الدُّوَلَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. وَقَدْ اسْتَعْمَلْنَا الْمَنْهَجَ الْاسْتِقْرَائِيَّ فِي هَذَا الْبَحْثِ وَجَمَعْنَا الْمَعْلُومَاتِ مِنْ عَدَّةِ مَصَادِرٍ وَمِنْهَا مِثْلًا الْخِصَائِصَ لِأَبْنِ جَنِي وَكَذَلِكَ الْبَيَانَ وَالتَّبْيِينَ لِلجَاحِظِ وَغَيْرِهَا.

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَإِشْكَالِيَّاتُ الْهُوِيَّةِ:

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ لَهَا وَظَائِفٌ وَعِلَاقَةٌ بِالْهُوِيَّةِ، فَاللُّغَةُ لَيْسَ كَمَا يَتَصَوَّرُهَا الْبَعْضُ هِيَ تِلْكَ الْأَصْوَاتُ الَّتِي يَتَوَاصَلُ النَّاسُ بِوِاسِطَتِهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا هَذِهِ الْوِظِيفَةُ غَايَةُ الدُّورِ الَّتِي تُوَدِّيهِ وَالبَحْرُ الَّذِي تَصَلُّ إِلَيْهِ، وَالْحَقُّ أَنَّ بَحْرَ اللُّغَةِ أَعْمَقُ، وَأَكْبَرُ، وَأَنَّهَا تَتَشَارَكُ مَعَ الدِّينِ وَالتَّارِيخِ فَتَشْكَلُ بِذَلِكَ هُوِيَّةَ الْمَجْتَمَعِ بِكَامِلٍ وَظَائِفَهَا الْمُتَعَدِّدَةُ، فَمِنْ أَبْرَزِ وَظَائِفِ اللُّغَةِ الَّتِي لَهَا عِلَاقَةٌ بِالْهُوِيَّةِ هُوَ التَّوَاصُلُ، وَهُوَ أَحَدُهَا وَلَيْسَ أَمَّهَا، فَاللُّغَةُ كَمَا عَرَّفَهَا أَبُو الْفَتْحِ عِثْمَانُ بْنُ جَنِي الْمَوْصِلِيُّ (ت: 392هـ) فِي كِتَابِهِ الْخِصَائِصَ: (أَصْوَاتٌ يُعْبَرُ بِهَا كُلُّ قَوْمٍ عَنِ أَعْرَاضِهِمْ) ⁽¹⁾ هَذَا التَّعْرِيفُ يَصِلِحُ لِدُورِ نَشْوءِ اللُّغَةِ، أَمَا بَعْدَ ائْتِمَالِهَا فَقَدْ صَارَتْ جِزَاءً مِنْ تَفْكِيرِ أَصْحَابِهَا، وَاكْتَسَبَتْ مَعَ الزَّمَنِ صِفَةَ أَسْمَى وَأَرْقَى مِنْ مَجْرَدِ الرَّمْزِيَّةِ، لِأَنَّهَا اتَّصَلَتْ بِخَوَاطِرِ النَّاسِ وَعَقَائِدِهِمْ وَمَشَاعِرِهِمْ.

فَاللُّغَةُ الَّتِي يَنْشَأُ فِيهَا الْفَرْدُ وَيَرْضَعُ لِبَانِهَا وَيَحِيطُ بِأَسْرَارِ أَسَالِيْبِهَا وَعَجَائِبِ تَصَارِيْفِهَا عَلَى مَرِّ الزَّمَنِ، حَتَّى تَصِيرَ أَلْفَظَهَا وَتَرَكَيبَهَا الْمَوْرُوثَةَ حَامِلَةً مِنْ كُلِّ جِيلٍ بِصِمَاتِهِ، وَمُظْهَرُ سُلُوكِهِ، وَمَلَامِحُ شَخْصِيَّتِهِ، وَتَصْبِحُ بِوَضُوحِهَا وَشُمُولِهَا وَعَاءً لِمَعَارِفِهِ يَنْتَمِي إِلَيْهَا بِعَقْلِهِ وَقَلْبِهِ وَخِيَالِهِ يَحْفَظُهَا مِنَ الضِّيَاعِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَفْقَدَ شَخْصِيَّتَهُ حِينَ يَفْقَدُهَا، فَمِنْ خِلَالِ اللُّغَةِ يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُعَبِّرَ عَنِ آرَائِهِ، وَمَشَاعِرِهِ، وَاتِّجَاهَاتِهِ الْخَاصَّةِ نَحْوَ مَوْضُوعَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَتَمَيِّزَهُ عَنِ غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ((وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) (البقرة: 31)، فَكَرَّمَهُ بِأَنْ عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ بِذَلِكَ يُثَبِّتُ هُوِيَّتَهُ وَكِيَانَهُ الشَّخْصِيَّ وَيُقَدِّمُ أَفْكَارَ الْآخِرِينَ ⁽²⁾.

لَقَدْ اهِتَمَ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ الْمَعْتَبَرِينَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ائْتِمَامًا بِالْغَاةِ؛ لِأَنَّهَا لُغَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَلُغَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يُفْهَمُ الدِّينَ، وَيُحْفَظُ وَيُنْقَلُ، وَكَانَ اللَّحْنُ أَمْرًا مُشِينًا يُعَابُ بِهِ النَّاسُ، سَيِّمًا أَهْلَ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ.

وقد حثَّ العلماءُ على تَعَلُّمِ العربية وآدابها لِمَا ينعكس على صاحبها مِنْ فصاحة اللسان، وبلاغة البيان، وحُسن وتراكيب الكلام، فضلاً عَن فهم الدين وجمال الخلق، فهي تؤثر في العقل والدين والخُلُق؛ فأولوها اهتماماً كبيراً لا يقل عن اهتمامهم بالعلوم الشرعية، فهي آلة ووسيلة لفهمها، والدليل على ذلك هو تأليفهم الكثير من الكتب والمجلدات في اللغة العربية وآدابها فيروى عن الشافعي أنه قال: "أقمت في بطون العرب عشرين سنة، أخذ أشعارها ولغاتها، وحفظت القرآن فما علمت أنه مرَّ بي حرفٌ إلا وقد علمت المعنى فيه." (3)

فباللغة تعتبر وسيلة التفاهم والتخاطب والتعبير عن ما تكنَّه النفس البشرية، وما يحمله الإنسان من عواطف ومشاعر تجاه الآخرين وتجاه الأشياء، فهي رأس مطالع العلوم، فقد قيل: "مطالع العلوم ثلاثة: قلب مفكر، ولسان معبر، وبيان مصور" (4)، وكان اللسان أحد مطالع الجود؛ ولهذا كان الكلام أداة السحر البياني، وقد وفق الشاعر الجاهلي إذ جعل الكلام نصف الحياة الإنسانية، أو أحد أجزئها الثلاثة فقد قال (5):

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده ... فلم يبقَ إلا صورة اللحم والدم

فبالعبارة الجزلة الجميلة المؤثرة تُستدر عواطف، ويُجمع بها شتات قلوب، فاللغة أخطر الظواهر الاجتماعية الإنسانية على الإطلاق، وكل تقدُّم اجتماعي كُتِبَ لَهُ الكمال إنما تمَّ لوجود اللغة، فلو تصوّرنا طائفة من الناس مجتمعة على عمل معيّن، لا يتم إلا بالتعاون بين أفراد هذه الطائفة؛ فذا التعاون يقتضي توزيعاً للعمل بحيث يكون لكل فرد دوره الخاص الذي يقوم به، وبحيث يكون بعض الأفراد موجهاً، ورئيساً وبعضهم موجهاً ومرئوساً، وبحيث يلزم أن يتم اتصال من نوع معين بين الرئيس والمرئوس لصالح العمل، ثم نبحت في خيالنا فسوف لا نجد وسيلة للاتصال أنجح في هذا الباب من اللغة؛ إذ هي أداة من أدوات تنسيق الجهود الفردية، ومزجها في مجهود جمعي عام. (6)

واللغة أخطر رابطة تاريخية تربط بين الأجيال المختلفة من الشعب الواحد رباطاً، يجعل وحدة هذه الأجيال حقيقة ملموسة على رغم اختلاف العصور، ذلك بأن اللغة وعاء التجارب الشعبية والعادات، والتقاليد والعقائد التي تتوارثها الأجيال واحداً بعد الآخر، فصفة الاستمرار لكل هذا لا تأتي إلا عن طريق اللغة، تورث معها وتبقى ببقاء ما يدل عليها من المفردات والتراكيب، وإحساس الخلف بجهة شراكة لغوية بينه، وبين السلف كفيل بخلق إحساس بالوحدة الشعبية بينهما. (7)

وقال الثعالبي في باب مدح اللسان ((كان يقال: ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة، أو ضالة، أو بهيمة مرسلّة. وقال بعض الحكماء: المرء بأصغرية قلبه ولسانه، إن نطق نطق ببيان، وإن قاتل قاتل بجان)) (8)، وقال الجاحظ: ((اللسان أداة يظهر به البيان، وشاهد يعبر عن الضمير، وحاكم يفصل بين الخطاب، وناطق يرد به الجواب، وشافع تدرك به الحاجة، وواصف تعرف به الأشياء، وواعظ ينهي عن القبيح، ومبشر ترد به الأحزان، ومعتذر تذهب به الأضغان، ومله يونق الأسماع، وزارع يحرث المودة، وحاصد يستأصل العداوة، وشاكر يستوجب المزيد، ومؤنس يسلي الوحشة)) (9). ويقال: ((المرء مخبوء تحت طي لسانه، لا تحت طيلسانه. وقال بعض العلماء البلاغاء: للسان فضائل معدومة في الجوارح، ودرجته عالية على درجاتها، لما خصه الله به من النطق والبيان وأنطقه بالذكر والقرآن،... اعلم أن كمال العالم هو الإنسان، وكمال الإنسان هو اللسان، وجماله هو البيان. نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى عمه العباس رضي الله عنه فتبسم، فقال له: ممّ ضحكت يا رسول الله؟ فقال: «أعجبني جمالك يا عم»، فقال: أين موضع الجمال مني؟ فأشار إلى لسانه، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام:

«جمال الرجل فصاحة لسانه»⁽¹⁰⁾.

وهنا يبرز إشكال الثقافة والهوية لدى العرب كأحد أهم الإشكالات المعاصرة، والتي لم تكن تحدث من قبل لأسبابٍ عديدة. ويمكن تلخيص الإشكال في كل مجتمع يقف ثقافياً بين ثلاثة أبعاد: البعد الأول ثقافته المحلية المرتبطة بعاداته ومنتجاته الفكرية المحلية من أدب محلي وصناعات وإبداعات محلية ولغة أو لهجة محلية... والبعد الثاني تاريخه ومنتجاته الفكرية الإبداعية والإنسانية كالآداب والثقافة والتراث على مدى القرون الماضية، وهو جهد المجتمعات المنتمية كلها عبر أجيالٍ بل قرونٍ... والبعد الثالث مرتبط بالثقافة العالمية التي تعبر الحدود بين الثقافات، ولا تعرف وطناً محدداً تأوي إليه، وتسكن في مجتمعه. وهذا مرتبط بالعمولة أكثر شيء... وبين الأبعاد الثلاثة تحترق بعض العقول وتضيع بعض الهويات

والإشكال القائم هو: هل الثقافة المحلية هي المحددة للهوية الثقافية لدينا مثلاً، أم الانتماء الفكري لتراثنا العربي الإسلامي ومنتجاته هو المحدد الأعلى لهذه الهوية الثقافية؟! وما مدى قبولنا للثقافة العالمية ماذا نأخذ وماذا ندع لاشك أن الثقافة المحلية مهمة؛ لأنها الثقافة المعيشة والمنقولة نقلاً مباشراً عبر المعاشة من جيلٍ إلى آخر، ولكنها قد لا تحدد الهوية الثقافية، بل يحددها ما هو أعلى سقفاً من ذلك! وليس من حسن التخطيط الثقافي أن تعكف دولة ما على ثقافتها المحلية فقط، وتهمل مكوناتها الفكرية المرتبطة بالبعد الثاني، حتى إن كانت خارج حدودها الجغرافية السياسية في أي مكان، خصوصاً أن بعض الدول الكبيرة في العالم لديها ثقافات متنوعة ومنتجات فكرية مختلفة، ولغات عديدة أحياناً، وثقافات محلية مرتبطة بالعادات أو التقاليد والفنون مما يجعل اختيار إحداها وترك الأخرى عملاً مضرراً ليس بالبلاد نفسها فقط، بل بالتراث الإنساني... ومصر والهند نموذجان جيدان لذلك فمصر بلاد تعاقب عليها ثقافات مصرية قديمة ثم يونانية ثم رومانية ثم إسلامية عربية وفي كل مرحلة هناك تراث أدبي وفنون وآثار وفلسفات وأفكار ودين... والهند مثلها بل أكثر في هذا المجال. ومحاولة توحيد هذا التنوع والثراء وإلغاء بعضه غير جيدة؛ لأنها خسارة لهذه الدولة نفسها. وقد لا تدرك قيمة وحجم الخسارة إلا بعد جيل أو جيلين أو ثلاثة، وربما صعب استعادتها هنا.

هذه القراءة الفكرية للهوية وارتباطها بالثقافة على جانب كبير من الأهمية لاتصالها بالمادة الثقافية التي نقدمها عن أنفسنا، ولاتصالها بالمناهج التربوية التي تقرأها الدول في مدارسها لأبنائها، وبفلسفة الوطن كله وهويته... فقد ترى بعض الدول العربية مثلاً تعكف على تراثها الشعبي المحلي، وتنسى امتدادها التاريخي مع أنه هو الذي يمنح الأرضية الصلبة لهويتها الثابتة والحقيقية، وقد تنسى كذلك هويتها وتراثها القريب، وتنسك بتراثها الموعول في القدم بما فيه، وهذا إشكال آخر يؤدي إلى ازدواجية الشخصية الثقافية.

وإذا كان لكل أمة حضارةً مبنية على لغتها وثقافتها، فكل اختلال يعرض لهذه الحضارة يكون نتيجة غياب لغتها عن التداول، أو قلة الاحتفال بها، فتضعف سيطرتها عليهم، إذ هي الرّجْم بينهم، ويكون ذلك إيذاناً بانتهاء حضارتهم أو سقوطها، وبين الإحاطة باللغة والقصور عنها، مزلق ومخاطر تستوجب الحذر، تضل عنها العقول، فتقلب المعاني مُشوّهة الصورة، فلا يتبين صحيحها من مزيفها، ولا صوابها من خطئها، واللغة مفتاح، يساعداً على ولوج أي مجتمع من المجتمعات، للكشف عن أنواع سلوكه ونشاطه الثقافي والاجتماعي والأخلاقي والاقتصادي، وتحديد ملامح شخصيته في عصر من العصور، والعلاقة بين اللغة والفكر، هي العلاقة بين الألفاظ والمعاني، وقدرة اللفظ على اختزان المعاني أو قدرة الفكر على شحن الألفاظ بأكثر طاقة من المعاني. والنظرة إلى

المعنى تختلف باختلاف الدارسين من فروع الدراسات الإنسانية، كالأدب واللغة وأصول الفقه والفلسفة والمنطق وعلم النفس. (11)

وَنَلْحَظُ أَنَّ الضياعَ القومي والانهيَارَ الفكري الذي يُنذِرُ بِمحوِ روحِ الانتماءِ أو الهوية التي تُعَدُّ اللُّغةَ قُطْبَها الذي يَتَجَسَّدُ وتَمَثَّلُ فِيهِ كُلُّ القِيمِ والمَثَلِ وأنماطِ السلوكِ الفارقةِ بَيْنَ قومٍ وقومٍ والمميزةِ لأمَّةٍ مِنْ أُخرى، هو إِيثارُ اللغاتِ الأجنبيَّةِ على لغتنا العربية فيه تَقْلِيلٌ لِشأنِها واضعافٌ لمنزلتها بين الناس، حتى أصبحت دراسة اللغة العربية في الغالب قائمة على الاستيعاب المؤقت لحين تجاوز الاختبارات الدراسية، بيد أننا نجد اللغة العربية تمتاز بعذوبة ألفاظها، وجمال تراكيبها الكلامية ومحسناتها البديعية، ممَّا يجعل دراستها رغبة في تذوق جماليتها والتحلي بتطبيقاتها، إضافة إلى آثارها التربوية العميقة في غرس الفضائل الخلقية، ونبذ الرذائل السلوكية، مِنْ خلال أدب اللغة العربية الذي تزخر بفيض من الحكم والأمثال والقصائد والنثر الذي يشدُّ الهمم نحو اكتساب الفضائل والتمثل بها، من صدق وأمانة وكرم وعفة ونحو ذلك.

وإذا لم يكن للعرب تمدن مادي قديم، فإن مدنيته قد ظهرت في عنايتهم بلغتهم، حتى كان يندر من يلحن بينهم، فقديمًا كان اللحنُ مَثَلَةً مِنْ مَثَالِبِ القَتَى، لا يَرْتَقِي فِي أعين نوي الألباب والأفهام حتى يُحْسِنَ مِنْ لِسَانِهِ، قال ابن الأنباري: ((وكيف يكون الخطأ في الكلام مستحسنًا والصواب مستسجمًا، والعرب تقرب المعربين، وتنقص اللاحنين، وتبعدهم،... قوم استقبح رميمهم: ما أسوء رميمكم، فيقولون: نحن قوم متعلمين، فيقول: لحنكم أشد عليّ من فساد رميمكم، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول "رحم الله امرأً أصلح من لسانه". (12)

ويعتبر اللحن شنيع خاصَّةً في طبقة المتعلمين، يقول شعبة: "مثل الذي يتعلم الحديث، ولا يتعلم النحو، مثل البرنس لا رأس له". وقال المأمون لأحد أولاده وقد سمع منه لحنًا: "ما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم أودَه، ويزين بها مشهده، ويُقَلِّ بها حجج خصمه بمستمسكات حُكمه، ويملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه، أو يَسَرُّ أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده، أو امته، فلا يزال الدهر أسير كلمته". (13).

وفي عصرنا ازداد الجهل بقواعد اللغة وبأدائها وعلومها وفنونها، وربما أخذت اللغات الأجنبية عناية تربوية تفوق العناية بالعربية، وهي شكوى قديمة الأثر، وذكر ذلك الإمام الشافعي بقوله: ((ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس)). (14).

اللغة العربية لها قيمة ومنزلة تربوية عظيمة، انبثقت من مكانتها العظيمة التي اختصت بها وتميّزت، فمن الآثار الخلقية للغة العربية هو التمسك بأهداف الشريعة الإسلامية وهو أول أوصاف الأخلاق الحميدة للفرد، فللمتَمَعِن في اللغة العربية وفروع علومها يجد أنها وعاء عميق للتربية الخلقية، وهجر للرذائل السلوكية، وأنَّ العناية بها عنايةً بالأخلاق والسلوك، وأنَّ رعايتها رعاية للتربية الخلقية؛ إذ أنَّ لها أثرًا عظيمًا وفاعلاً في بث الفضائل الخلقية، ومن خلال البلاغة اللفظية التي تميّزت بها اللغة العربية يستطيع الكاتب أو الداعية أن يثير بالنثر الجميل أو الشعر البديع التأمل في آيات الله الكونية، وما أودعه الله فيها من جمال وإعجاز وأسرار، ومن آثارها أيضاً الحث على مكارم الأخلاق، للغة العربية آثار تربوية عظيمة في اكتساب الفضائل الخلقية وهجر الرذائل السلوكية، وذلك بما اشتمل عليه الأدب النثري والشعري من حث على مكارم الأخلاق، فللغة العربية آثار تربوية عظيمة في اكتساب الفضائل الخلقية وهجر الرذائل السلوكية، وذلك بما اشتمل عليه الأدب النثري والشعري من حث على مكارم الأخلاق.

تعتبر اللغة بصفة عامّة الوعاء الذي يحتضن ويحمل العلم، ويُنتقلُ به مشنٌ مكان إلى مكان، ومن زمنٍ لآخر، ولولا نعمة اللغة التي امتنَّ الله بها على عباده، لما توارثت الأمم حضارات غيرها، واستفادت من عبرِ الأحداث وما تفتقت عنه عقول العقلاء في كل فن وعلم. فهي لغة القرآن الكريم، ولغة خاتم الأنبياء والمرسلين، تغيرت اللغات واندرست أخرى، وهي ثابتة في نمو وازدهار، تأثرت بالفصحاء في جمال تركيب وحسن البيان، وأثرت في البلغاء، فأمدتْهم بأجمل الكلمات وأفصح الألفاظ، حتى وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً، وما ضاقت عن آية به وعضاة، ونلاحظ أن بهذه اللغة صاغ العرب الحكَمَ والأمثال، ونظمووا الأشعار وتحدثوا بأعذب العبارات، وأجمل الألفاظ، متأثرين بلغتهم العربية التي صنعت فيهم التمدنَ الفكري والذوقي، يقول مصطفى صادق الرافعي: (ولكننا إذا اعتبرنا لغتهم رأينا حقيقة التمدن فيها متمثلة، وشروطه في مجموعا متحققة، فهي منهُم بحر الحياة)⁽¹⁵⁾.

ذلك حينها بدأ علماء الأمة تقنين اللغة كان الباعث تعليمياً، قبل كل شيء، من مُنطلق الحفاظ على صحة التعبُد به، وكان أمام علماء الأمة لغة ناضجة متكاملة، والمطلوب تدوين قوانين هذه اللغة وصورها التعبيرية في قواعد وأصول نحوية يمكن الرجوع إليها لتعلم طرق الأداء اللغوي، لا سيما أن كثيراً من غير العرب قد دخلوا الدين الإسلامي، ولا بدّ لهم من أجل أن يفهموا الإسلام ويقرؤوا القرآن الكريم من أن يتعلموا العربية.

لهذا وذا فعلماء العربية لم ينطلقوا من فراغ بل انطلقوا من قواعد أساسية كانت ترشدهم إلى رواية اللغة واستنباط أحكامها، فمن القرآن الكريم وطرق تلقيه أخذوا السماع؛ لأنَّ القرآن الكريم وصل إلى اناس مسموعاً وأوّل حفاظِهِ هو السول الأكرم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أكدَّ هذا المعنى بقوله تعالى: ((وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) [الأعراف: 204]، فإنَّ اللغة العربية حافظت على الهوية من الضياع؛ لأنَّها لغة القرآن الكريم التي وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً، قال تعالى: ((كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)) [فصلت: 3].

وحُصِّت اللغة العربية من بين لغات العالمين بخصائص انفردت بها عن غيرها، سمَّت بها عن لغات الدنيا، وأصبحت بينها كالقمر بين الكواكب تتضاءل الأنوار من حولها، وكأنها القطب والكل في فلكها يدور، ومن تلك الخصائص التي انفردت بها عن لغات الدنيا قاطبة ما يلي:⁽¹⁶⁾

- 1- مرونة الاشتقاق وجذورها متناسقة.
 - 2- الاشتقاق، الذي يعدّ من الخصائص النادرة في اللغة العربية.
 - 3- الترادف والتضاد اللذان يعتبران مظهراً من مظاهر اللغة العربية.
 - 4- الأصوات إذ إنَّ اللغة العربية بلغت الكمال والإعجاز خاصّة في صفة الصوت.
 - 5- دقة التعبير حيث إنَّ اللغة العربية تتميز بالفصاحة، والرصانة، والجودة، وسلامة التراكيب.
 - 6- التعريب، عبارة عن عملية تهذيب للكلمة التي تخرجُ وفقاً للأوزان العربية وأبنيتها.
 - 7- الإيجاز.
 - 8- التمييز بين المذكر والمؤنث، واحتوائها على الضمائر الخاصة بكل من المذكر والمؤنث.
 - 9- قدرتها على استيعاب اللغات المختلفة الأخرى.
- ولا يخفى أن هذه الزوايا والمنطلقات التربوية تؤكد أهمية التطرق لهذا الموضوع والكشف عن أهمية اللغة

العربية وعلومها في الحفاظ على الهوية، والتي يغفل عنها كثير من الناس، حتى لكأن دراستها من قبل الطالب حصول النجاح بتجاوزها، مصروف النظر عن إدراك أهميتها والحاجة إليها، في حين أن ما تغرسه من آثار تربوية جدير بأن يبذل فيها الدارس وسعه ونشاطه وجهده.

الظاهر أن الشعور بالانتماء إلى هوية ثقافية معينة هو بمنزلة حاجة نفسية واجتماعية ضرورية لا غنى عنها لأي إنسان . فهذا الانتماء هو المجال العاطفي والرمزي لنمو الذات وإثباتها وتفتحها . فالكائن البشري يمكن تشبيهه بشجرة ، ليس بمقدوره أن ينمو ويعيش حياة عادية إذا لم تكن له جذور ثقافية عميقة يتغذى منها روحياً ومعنوياً ، ويستمد منها معاني لحاضره ومستقبله . وفي تقديرنا أن الإحساس بالهوية الثقافية والوعي بها لا يُصطنع أو يُصنع صنفاً ، بل يوجد دائماً كالمكبوت في حالة الكمون . يستيقظ ويشد ، في ظروف التحولات والانتقالات الكبرى التي تجتازها الشعوب، وتتخللها الأزمات والتصدعات الاجتماعية والنكسات . ذلك لان التشبث بالهوية الثقافية في هذه الحالة يكون بمنزلة الملجأ والملاذ الآمن.

إن إطلاقة استقرائية سريعة إلى تراثنا الثقافي ، تكشف بقدر كافٍ من الوضوح أن الخطاب عن الهوية الثقافية في فكرنا العربي الحديث والمعاصر ارتبط غالباً بالماضي أكثر مما ارتبط بالمستقبل ، بسبب اعتقاد سائد عندنا بأننا ورثنا من الماضي وعن السلف تراثاً قيمياً قادراً على أن يوقع بختمه شخصيتنا مرةً واحدة وإلى الأبد ، تراثاً وصف بأنه متحرر من قيود المكان والزمان ، ومُسَقِّط من حساباته التغيرات الطارئة على العالم باستمرار . يكفينا إلقاء نظرة متأنية على السمات العامة التي تطبع عادة المراحل الحاسمة في التطور التاريخي للبشر ، للوقوف على ما يتعارض تماماً مع ذلك الاعتقاد . فمهما كانت المجتمعات البشرية حريصة على أن تظل وثيقة الصلة بقافاتها في صبغها العريقة وأصولها القديمة ، فإنها غير قادرة على الاستمرار إلى الأبد باعتبارها مجرد مستهلك عقيم لتلك الثقافات ، لذا فهي تضطر إلى تحديثها تدريجياً كلما أرغمتها الظروف والضرورة على ذلك ، طبقاً بالقدر الممكن لها استيعابه مرحلياً وتحمله.

الحاصل لدينا من كل ذلك هو أن الظاهرة اللغوية ظاهرة طبيعية ، بمعنى أنها تسير من تلقاء كينونتها وفق نواميس خفية تحدد سيرها بشكل مطلق يصدق على كل الألسنة البشرية ، ثم بشكل مقيد ينطبق على الألسنة الطبيعية كل لسان منها على حدة بحسب خصائصه الذاتية وبحسب طبيعة الأسرة التي ينتمي إليها والفصيلة التي يندرج في خانتها . ولكن الحاصل الأهم هو أن الإنسان بوسعه أن يتدخل في الظاهرة اللغوية - تماماً كما يتدخل في عديد الظواهر الطبيعية الأخرى - فيحدد مسيرتها ، ويتحكم في مجريات أحداثها ، وقد تصل الإرادة البشرية في توجيهها للظاهرة اللغوية إلى حد إبادتها وهي في أوج تألقها ، أو إحيائها وهي على عتبة مدافن التاريخ . إن اللغات تنزح على عواهنها فتتغير وتتبدل ، فتستحيل عبر القرون من هيئة إلى هيئة حتى تحل إلى السنة تتغير ، ثم تنفصل عن الأم الأولى ، ثم يتباعد ما بينها من أواصر النسب حتى تتمايز وتتباين فتسمي السنة مختلفة . غير أن تبدل اللغات وانسلاخها الزمن قد تحف بهما عبر ظروف تاريخية تكبح نزوع الظاهرة الطبيعية نحو التبدل ، فيستمر كيانهما ، ويكتب لها الدوام فتبقى ، ويتعطل حيالها قانون التاريخ القاضي بفنائها عبر الانسلاخ .

إننا نفهم من الهوية الثقافية قبل كل شيء الشعور بالاعتزاز القوي بالانتماء إلى الأرض والتاريخ المشترك ، وإلى الوطن الذي يحمي الكرامة ويوفر الإحساس بالأمن والأمان ، ويضمن حق التمتع بالعدالة الاجتماعية وبكل الحقوق المتعارف عليها عالمياً ، كما يتيح إمكان الاستفادة من المكتسبات الإنسانية المتاحة في عالم اليوم ، في

ظل الانفتاح على الثقافات الإنسانية المغايرة . نراهن بقوة على أن الهوية الثقافية لشعب من الشعوب ليست معطى ثابتاً ، ولا مقولة مطلقة خارج المكان والزمان ، بل هي على العكس من ذلك ، إنجاز وعملية تشييد وبناء مستمرة إذا صح ان الهوية الثقافية لشعب من الشعوب تورث في جزء من نواتها وتتناقل عبر الأجيال والعصور ، فهي في جزء مهم منها مشروع مستقبلي متفتح دائماً على القابلية للتجدد ، وإعادة التشكل واكتساب سمات جديدة اعتماداً على إمكانات واقعية ، توفرها معطيات المرحلة المعاصرة للتطور البشري في مجالاته المختلفة . والحق أن الحالة الطبيعية والسرية لأي ثقافة ولأي هوية ثقافية في أن تظل قادرة على الحياة وعلى الانفتاح والتطور والتفاعل والاعتناء والعطاء ، ولأن الهوية تتعين أكثر ما تتعين في الثقافة، فإن الثقافة بقدر ما هي أسلوب متميز في الحساسية والتفكير والسلوك والتعبير ، هي كذلك تفاعل وتبادل مع ثقافات أخرى ، ومثاقفة إيجابية و متكافئة.

النتائج:

تظهر أهمية البحث من عدة منطلقات، وهي:

- 1- أهمية اللغة العربية والعناية بها فاللغة الفصحى هي أساس القومية العربية ومحورها الذي تدور حوله.
 - 2- الضعف التربوي في ميدان ممارسة اللغة العربية.
 - 3- الحاجة إلى إظهار الخصائص التربوية العظيمة للغة العربية التي تتعكس على المهتم بها في فكره وعلمه وأخلاقه، وذوقه.
 - 4- حاجة الجهات التعليمية إلى معرفة الآثار التربوية للغة العربية من أجل الاستفادة منها في مجال التدريس، وفي وضع المناهج الدراسية.
 - 5- حفز المعلمين نحو استشعار وتذوق اللغة العربية من خلال آثارها التربوية بما ينعكس على طرائق تدريسهم.
 - 6- المساهمة في حفز الطلاب نحو الاهتمام باللغة العربية من خلال بيان آثارها التربوية العظيمة التي تتعكس عليهم من دراستها.
 - 7- إضافة إلى أن اللغة العربية كانت وما زالت مأرزاً في حفظ العلم وتسهيله على طلابه من خلال نظم الكثير من متون العلم في قصائد بديعة جميلة.
 - 8- كما أن اللغة العربية وسيلة تربوية للنمو الفكري من حيث توسعة المدارك والخيال، والتأمل والتفكير.
 - 9- لا بد من إيلاء أهمية كبيرة للغة العربية، ودراستها وتدريسها والاهتمام بتفعيل قواعدها وفروع علومها. وأرجو أن يكون هذا البحث مساهمة في بيان أبرز الآثار التربوية للغة العربية في الحفاظ على الهوية العربية وأن يكون عوناً لشحذ الهمم نحو مزيد من العناية بهذه اللغة الشريفة وبتدريسها ودراستها وتفعيلها في حياتنا.
- الاستنتاج والتوصية:**

لا يخفى أن الاهتمام بإشكاليات الهوية يتنامى باستمرار، وأن الحالة السوية لأي هوية أن تظل قادرة على الحياة ، وعلى الانفتاح والتطور والتفاعل والاعتناء والعطاء فلا بد من الحفاظ على الهوية لا بالتقوقع وبغلق الأبواب والنوافذ خوفاً عليها فهو من أنجع السبل لإصابتها بالشلل والعقم الدائم، فاللغة تمثل أقدم تجليات الهوية، وأنها مقوم أساسي ضامن لوحدها وأستمرارها فأن اللغة العربية تمتاز بتنوع أساليبها في التعبير، وتعدد صور الأسلوب الواحد منها ولا تقف الصورة الواحدة على ضرب واحد من النظم بل تأتي الصورة أيضاً على ضروب من

التركيب والنظم والتآلف ، مما يجعل من العربية زاخرة بأساليبها وصورها وضروبها وتراكيبها ونظمها وتآلفها .
وبذلك إنه لا ثقافة بغير هوية حضارية . ولا هوية بغير إنتاج فكري . ولا فكر بغير مؤسسات علمية متينة .
ولا علم بغير حرية معرفية . ولا معرفة ولا تواصل ولا تأثير إلا بلغة قومية تضرب جذورها في التاريخ ، وتشارف
بشموخ حاجة العصر وضرورات المستقبل
الهوامش:

(1) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،
الطبعة: الرابعة، ص: 34/1. والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي
(ت: 911هـ)، تح: فؤاد علي منصور، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1998م،
ص: 11/1.

(2) يُنظر: التضمين النحوي في القرآن الكريم، محمد نديم فاضل، أصل الكتاب: أطروحة لنيل درجة الدكتوراه
من جامعة القرآن الكريم بالخرطوم، الناشر: دار الزمان، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة:
الأولى، (1426 هـ - 2005 م)، ص: 29/1.

(3) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قانماز الذهبي (المتوفى :
748هـ)، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ،
1405 هـ / 1985، ص: 239/8، وتاريخ بغداد وذيوله، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي
الخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط:
الأولى، 1417 هـ ص: 62/1، وتاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر
(ت: 571هـ)، تح: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1415 هـ
- 1995 م، ص: 297/51.

(4) الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية، خالد بن حامد الحازمي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،
الطبعة: العدد (121)، السنة (35) 1424هـ، ص: 446-450.

(5) جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: 170هـ)، ت: علي محمد البجادي،
الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 178، وشرح المعلمات التسع، منسوب لأبي عمرو الشيباني
(ت 206 هـ) ولا تصح نسبته ففي الكتاب نقول متأخرة عن زمن أبي عمرو وليس الأسلوب أسلوبه تح: عبد
المجيد همو، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م.

(6) يُنظر: الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية، ص: 446-450.

(7) يُنظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، ص: 1

(8) اللطائف والظرائف، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: 429هـ)، الناشر: دار
المناهل، بيروت: 102/1.

(9) البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت:
255هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: 1423 هـ، ص: 50/2.

(10) اللطائف والظرائف: 103/1.

(11) يُنظر: التضمين النحوي: 30/1.

(12) الملاحن، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، صححه إبراهيم طفيش الجزائري، بيروت: دار الكتب العلمية (1407هـ . 1987م)، ص: 72.

(13) بهجة المجالس وأنس المجالس، ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي، تح: محمد موسى الخولي، بيروت: دار الكتب العلمية، ص: 64/1.

(14) سير أعلام النبلاء: 74/10.

(15) تاريخ آداب العرب، ط1، مصطفى صادق الرافعي، بيروت، دار الكتب العلمية (د. ت)، ص: 441.

(16) ينظر: دراسات في علم اللغة، كمال بشر، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 193.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية، خالد بن حامد الحازمي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد (121)، السنة (35) 1424هـ .
- بهجة المجالس وأنس المجالس، ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي، تح: محمد موسى الخولي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: 1423 هـ
- تاريخ آداب العرب، ط1، مصطفى صادق الرافعي، بيروت، دار الكتب العلمية (د. ت).
- تاريخ بغداد وذيلوله، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، 1417 هـ.
- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1415 هـ - 1995 م.
- التضمين النحوي في القرآن الكريم، محمد نديم فاضل، أصل الكتاب: أطروحة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القرآن الكريم بالخرطوم، الناشر: دار الزمان، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (1426 هـ - 2005 م).
- جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: 170هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.
- دراسات في علم اللغة، كمال بشر، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985.
- شرح المعلقات التسع، منسوب لأبي عمرو الشيباني (ت 206 هـ) ولا تصح نسبته ففي الكتاب نقول متأخرة عن زمن أبي عمرو وليس الأسلوب أسلوبه، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م
- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، الملاحن، صححه إبراهيم طفيش الجزائري، بيروت: دار الكتب العلمية (1407هـ . 1987م) .
- اللطائف والظرائف، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: 429هـ)، الناشر: دار المناهل، بيروت.
- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: فؤاد علي منصور، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ 1998م.
- مقالات في اللغة والهوية، أحمد محمد قدور الناشر، دار القلم العربي للنشر، تاريخ الإصدار، 1/ كانون الأول، ٢٠٠٩ .
- الملاحن، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، صححه إبراهيم طفيش الجزائري، بيروت: دار الكتب العلمية (1407هـ . 1987م).
- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية.

عنوان البحث

**معوقات المشروعات الصغرى وأثرها على التنمية المكانية في ليبيا
دراسة على المشروعات الصغرى والمتوسطة (مدينة بني وليد أنموذجا)**

د. علي أحمد محمد اقريشين¹ د. حسن محمد اليونسي²

¹ كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة بني وليد
بريد الكتروني: agreshen2@gmail.com
² كلية التجارة، قسم إدارة الأعمال، جامعة الزيتونة
بريد الكتروني: hasenalyounsi@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21132>

تاريخ القبول: 2021/10/23م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

هدفت الدراسة للتعرف على أهم المعوقات والتحديات التي تعيق عملية التنمية المحلية في مدينة بني وليد ومثل مجتمع الدراسة كل المشروعات الصغرى والمتوسطة بالمدينة، وأخذت بعض المشاريع الصغيرة بطريقة عشوائية كعينة للدراسة. واستخدمت الدراسة الإستبيان كوسيلة لجمع المعلومات واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي في وصف وتحليل المشكلة، وكان نطاق الدراسة تغطية الفترة (2020-2021م) ولقد فرزت الدراسة مجموعة من النتائج منها توجد بعض التحديات أمام تنفيذ وتطوير المشروعات الصغرى والمتوسطة في مكان الدراسة وتختلف من مشروع الى آخر وأهمها المعوقات الاقتصادية وضعف مستوى التكنولوجيا المستخدمة في تلك المشروعات. وأوصت الدراسة إلى عدد من التوصيات منها زيادة الدعم الاقتصادي والمالي للمشروعات الصغرى للنمو والتطور.

الكلمات المفتاحية: المشروعات الصغرى، التنمية المحلية، معوقات التنمية، المشروعات المتوسطة.

RESEARCH ARTICLE

OBSTACLES TO SMALL PROJECTS AND THEIR IMPACT ON SPATIAL DEVELOPMENT IN LIBYA: A STUDY ON SMALL AND MEDIUM ENTERPRISES (BANI WALID AS A MODEL)**Dr. Ali Ahmaid Muhammad Iqrishin¹ Dr. Hassan Muhammad Alyounsi²**¹ Faculty of Economics and Political Science. Bani Walid University

Email: Agreshen2@gmail.com

² Faculty of Commerce, Department of Business Administration, Al-Zaytoonah University

Email: Hasenalyounsi@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21132>**Published at 01/11/2021****Accepted at 23/10/2021****Abstract**

The study aims to identify the most important obstacles and challenges hindering the process of local development in Bani Walid city. The study population consists of all the small and medium projects in the city, as some small projects are randomly selected as a study sample. Due to the nature of the study, the questionnaire is used as an instrument to collect data. The study has also adopted the descriptive approach to describe and analyze the problem, as the scope of the study has covered the period (2020-2021). One of the results of the study is that there are some challenges to the implementation and development of small and medium projects in the place of study and the difference from one project to another, such as economic obstacles and the low level of technology used in those projects.

Key Words: small projects, local development, development obstacles, medium projects.

المبحث الأول: الإطار العام للدراسة

المقدمة

إن التنوع الإقتصادي يتطلب عدداً من التدخلات الحكومية والتي تتمثل في تطوير بيئة الأعمال ودعم وتنمية المشروعات الصغيرة والمتوسطة، باعتبارها ركيزة أساسية لتحقيق التنوع الاقتصادي في ليبيا، ولكن واجهت المشروعات الصغيرة والمتوسطة في أغلب مناطق ليبيا العديد من التحديات، مثل الصعوبات المالية والإقتصادية، وغياب القوانين و التشريعات التي تقوم على الدعم وحماية المنظمات الصغيرة والمتوسطة بشكل خاص، وقلة توفر التكنولوجيا بسبب ارتفاع أسعارها، والبيروقراطية الحكومية وعدم وجود ضمانات كافية، إضافة إلى غياب المؤسسات المالية والاستشارية المتخصصة في دعم وتشجيع هذا القطاع.

مشكلة الدراسة

تشكل المشروعات الصغيرة العصب الرئيسي لاقتصاد أية دولة سواء متقدمة أو نامية حيث تتميز بقدرتها العالية على توفير فرص العمل، كما أنها وسيلة لتحفيز التشغيل الذاتي والعمل الخاص فضلا عن أنها تحتاج إلى تكلفة رأسمالية منخفضة نسبيا لبدء النشاط فيها، كذلك تتميز هذه المشروعات بقدرتها على توظيف العمالة مع اختلاف الجنس والمهارة والتخصص، كما أنها تعطي فرصة للتدريب أثناء العمل لرفع القدرات والمهارات، كذلك انخفاض نسبة المخاطرة فيه، كذلك تساهم في تحسين الإنتاجية وتوليد وزيادة الدخل. (المبيريك، وتركي، 2006م) كما تساهم المشروعات الصغيرة بحوالي 46% من الناتج المحلي العالمي، وتمثل 65% من إجمالي الناتج القومي في أوروبا مقابل 45% بالولايات الأمريكية، أما في اليابان فإن 81% من الوظائف هي للمشروعات الصغيرة والمتوسطة.. يمكن القول بأن المشاريع الصغيرة تعتبر بمثابة العمود الفقري للإقتصاد الوطني (عفانة، و أبو عيد، 2004: 14) و نظراً لأهمية هذه المشروعات أخذت معظم الدول النامية تركز الجهود عليها حيث أصبحت تشجع إقامة الصناعات الصغيرة والمتوسطة وخاصة بعد أن أثبتت قدرتها وكفاءتها في معالجة المشكلات الرئيسية التي تواجه الإقتصاديات المختلفة، وبدرجة أكبر من الصناعات الكبيرة. ويأتي الإهتمام المتزايد - على الصعيدين الرسمي والأهلي - بالمشروعات الصغيرة والمتوسطة، لأنها بالإضافة إلى قدرتها الاستيعابية الكبيرة للأيدي العاملة، يقل حجم الإستثمار فيها كثيراً بالمقارنة مع المشروعات الكبيرة، كما أنها تشكل ميداناً لتطوير المهارات الإدارية والفنية والإنتاجية والتسويقية، وتفتح مجالاً واسعاً أمام المبادرات الفردية والتوظيف الذاتي، مما يخفف الضغط على القطاع العام في توفير فرص العمل. (المحروق، و إيهاب، 2009) و تعمل المشاريع الصغيرة على تشجيع صغار رجال الأعمال والمستثمرين على الإندماج في أعمال التنمية (جواد، 1994: 132) وتساهم في ارتفاع معدلات الإنتاجية، فضلا عن أنها تعمل على تعبئة المدخرات الخاصة لتشغيلها في الإقتصاد القومي (النجار، 1999: 10) وانطلاقاً من الدور المهم الذي يمكن لهذه المشروعات أن تلعبه في المساهمة في تحقيق الأهداف الإقتصادية والاجتماعية لتلك الدول، فقد قامت العديد من الدول مثل اليابان والصين والولايات المتحدة وألمانيا وغيرها بدعم وتشجيع هذا النوع من المشروعات وهذا ما ساعد في تحقيق طفرة نوعية مهمة وكبيرة على المستويين الإقتصادي و الإجتماعي في هذه الدول. تحظى المشروعات الصغيرة حالياً بقدر كبير من الإهتمام من جانب صانعي القرارات وذلك بناءً على المتغيرات الدولية التي يشهدها العالم في الوقت الحالي والتحديات المختلفة المعقدة التركيب التي تقف أمام تحقيق التنمية الشاملة بالوطن العربي. وتشكل المشروعات الصغيرة والمتوسطة ما نسبته 90% تقريباً من المنشآت في العالم وتوظف من (50% - 60%) من القوى العاملة في العالم. فكان لابد من توفير الدعم بمختلف أشكاله لهذه القطاعات الحيوية نظراً لأهميتها، وحتى تتخلص من أهم العقبات التي تواجه المشروعات الصغيرة والمتوسطة. (المحروق، و إيهاب، 2009م).

تتلخص مشكلة الدراسة في التعرف على أهم المعوقات أمام المشروعات الصغرى والمتوسطة التي تكون عائق أمام التنمية المحلية في مدينة بنى وليد وتتمثل في الإجابة عن السؤال التالي: ما هي أهم المعوقات التي تحول دون القيام وتطور بعض المشروعات الصغرى والمتوسطة وما مدى مساهمة تلك المشروعات في التنمية المكانية؟

أهداف الدراسة

يكمن هدف هذه الدراسة بالأساس في التعرف على المعوقات التي تحول دون تطور واستمرار و تنفيذ بعض المشاريع

الصغيرة التي تعود بالنفع على المواطن والمدينة بحد سواء مما سببت في تدني مستوى التنمية المحلية بمدينة بني وليد. بالإضافة لذلك تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- 1- التعرف على أهم المعوقات الحقيقية التي تعيق عملية التنمية المحلية.
- 2- معرفة أكثر المعوقات تأثيراً في المشروعات الصغرى.
- 3- التعرف على الخصائص الإقتصادية والمجتمعية بمدينة بني وليد.
- 4- دراسة درجة مساهمة المشروعات الصغرى والمتوسطة بعملية التنمية في مدينة بني وليد.
- 5- دراسة نقاط القوة ومكامن الضعف للمشروعات الصغرى والمتوسطة في بني وليد كونها تمثل نموذجاً للدراسة.

أهمية الدراسة:

إن المشروعات الصغرى والمتوسطة تستطيع لعب دور مهم في التنمية الشاملة بشكل عام عوضاً عن رفع مستوى النمو ومستوى الدخل وانتعاش الإقتصاد المحلي للمدينة مكان الدراسة وتحقيق مؤشرات إيجابية في النمو والتطوير والمساهمة في رفع المستوى المعيشي للفرد والمجتمع.

بالإضافة لذلك تتلخص أهمية الدراسة في النقاط التالية:

- تتبع أهمية الدراسة من أهمية فلسفة العمل الخاص والعدول عن العمل.
- كما تتمحور أهمية الدراسة في فهم وتحديد العناصر الرئيسية للتنمية المحلية وكيفية المساهمة في تحديد العوامل الرئيسية التي تقف عائقاً دون النهوض بمشروعات التنمية المحلية بمدينة بني وليد على وجه الخصوص والدولة الليبية بشكل عام.
- إن تعزيز مستوى التنمية المحلية يتأتى من خلال النهوض بالمشروعات الصغرى والمتوسطة بمختلف المجالات.

أسباب اختيار مشكلة الدراسة:

مما لا شك فيه أن المشروعات الصغيرة والمتوسطة يمكنها أن تساهم بدور فعال في التغلب على مشكلة البطالة وتساهم في عملية التنمية بجوانبها الإقتصادية والاجتماعية وتوليد فرص عمل جديدة وباعتبار أن أحد الباحثين من سكان مدينة بني وليد تم اختيار هذه المدينة لمعرفة ما تعانيه المشروعات الصغيرة من معوقات التي تحول دون تطور واستمرار هذه المشروعات ودورها في التنمية المكانية لهذه المدينة.

حدود الدراسة

- **الحدود الموضوعية:** انحصرت الدراسة في الموضوعات التي تدرس وتهتم بدراسة المعوقات أمام المشروعات الصغرى وما يترتب عليه ضعف للتنمية المكانية.
- **الحدود المكانية:** اقتصر إجراء هذه الدراسة على مدينة بني وليد مكان للدراسة.
- **الحدود البشرية:** اقتصر تطبيق هذه الدراسة على رأي أصحاب بعض المشاريع الصغرى في بعض المعوقات والتحديات التي ربما تكون سبب أكثر من غيرها في فشل بعض المشروعات في التطور والنمو.
- **الحدود الزمانية:** طبقت هذه الدراسة خلال سنة 2020م - 2021م

التعريفات الإجرائية

- **التنمية:** هي حشد وتسخير كافة الإمكانيات المادية والمعنوية واستخدامها الاستخدام الأمثل من أجل الرفع من المستوى المعيشي للمجتمع.
- **التنمية المحلية:** هي الحالة التي تسعى الدولة لتحقيقها وفقاً للإستراتيجيات الموضوعية والتي تختص بإقليم إداري معين في مكان ما وخلال فترة زمنية معينة.

- المشروعات الصغرى: هي كل مشروع يدار بواسطة فرد أو اثنان وبرأس مال محدود لا يتعدى عشرة آلاف دينار ليبي ولا يتطلب أكثر من خمسة عمال.
- المشروعات المتوسطة: هي كل مشروع يدار بواسطة مجموعة من الأفراد أو بمجلس إدارة وتتخذ القرارات فيه بصفة جماعية لها رأس مال لا يتعدى مئة ألف دينار ليبي ويتطلب ما بين خمسون الى مائة عاملاً.
- معوقات التنمية في بني وليد: هي مجموع التحديات والأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأمنية التي تعيق حركة التنمية السكانية والمكانية ببني وليد.

المبحث الثاني: الأدب النظري والدراسات السابقة

الدراسات السابقة:

سامية بن رمضان (2010) المعوقات التي تواجه المشروعات الصغيرة والمتوسطة في الدول النامية وآليات معالجتها، تهدف الدراسة إلى إبراز المعوقات التي تواجه المشروعات الصغيرة والمتوسطة في الدول النامية وآليات معالجتها - الجزائر نموذجاً، انطلاقاً من فكرة أن هذه المشروعات تعتبر إحدى أهم عمليات التنمية الاقتصادية التي بموجبها يتم تطوير الاقتصاد الوطني لأي مجتمع ثم إبراز الآليات الكفيلة لمعالجة هذه المعوقات. وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج تتمحور حول وجود معوقات كثيرة تواجه المشروعات الصغيرة والمتوسطة في البلدان النامية، خاصة المعوقات الاقتصادية والاجتماعية والقانونية، والتي تحول دون تقدم هذه المشروعات وتحققها للتنمية. محمد واصل (2020) دراسة بعنوان: معوقات المشروعات الصغرة في ليبيا وهدفت الدراسة الى محاولة التعرف على أهم المعوقات التي تواجه المشروعات الصغرى في المجتمع الليبي وجاءت أبرز نتائج هذه الدراسة متمثلة في أن أهم معوقات المشروعات الصغرى هي معوقات إدارية ومالية وتسويقية واجتماعية وقانونية. دراسة عبدو، وميهوب (2019) بعنوان: واقع المشروعات الصغرى والمتوسطة في تنمية الجنوب الليبي. هدفت هذه الدراسة للتعرف على واقع المشروعات الصغرى والمتوسطة في تنمية الجنوب الليبي والتحديات التي تواجهها من خلال معرفة التحديات (الإدارية - المالية - السياسية والاقتصادية) وكذلك عوامل نجاح المشروعات الصغرى والمتوسطة في الجنوب الليبي، توصلت الدراسة إلى أن هناك العديد من التحديات التي تواجه المشروعات الصغرى والمتوسطة في تنمية الجنوب الليبي وقد برزت التحديات الإدارية كأهم هذه التحديات ومن ثم يليها التحديات المالية والاقتصادية على التوالي. دراسة الدرسي (2016) بعنوان: دور تقويم المشروعات في دفع عجلة التنمية بليبيا. هدفت الدراسة إلى دراسة الوضع الراهن للمشروعات الصغيرة في ليبيا وذلك من خلال الوقوف على دراسة الوضع الحالي في ظل معدلات التنمية الاقتصادية، ومن ثم دراسة الآفاق المستقبلية لهذا الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه المشروعات مستقبلاً في ظل الظروف التي انتابت معظم اقتصاديات دول العالم ومنها ليبيا. توصلت الدراسة لعدة نتائج منها توجد معوقات مالية نظراً لصعوبة الحصول على الأموال اللازمة لتنفيذ وتطوير بعض المشاريع الصغرى، كما أوصت الدراسة بتسهيل عمليات التمويل المصرفي وتوفير المساعدات الحكومية لزيادة النمو الاقتصادي.

التعليق على الدراسات السابقة

إن الإطلاع على الدراسات المشابهة لموضوع الدراسة أفرز على أنها تظهر في مجملها أهمية المشروعات الصغرى والمتوسطة ودورها في بناء المجتمع والفرد وما تواجهه من معوقات ومشاكل مما أثر في التنمية المكانية، إضافة إلى هذا أفرزت هذه الدراسات توضيح بعض المعوقات أمام المشروعات الصغرى والمتوسطة التي ربما تكون سبب أكثر من غيرها في ضعف بعض المشروعات وانهارها. واستفاد الباحثان من مثل هذه الدراسات في بلورة فكرة البحث وإثراء الإطار النظري للدراسة وصياغة وتحديد مشكلة البحث وأهميتها. ولذلك وجد الباحثان أن الدراسات السابقة تتفق مع هذه الدراسة على أهمية دراسة بعض المعوقات والمشاكل التي تكون حجرة عثرة أمام نمو وتطور المشروعات بالإضافة الى زيادة على الإختلاف الزمني والمكاني والأهداف بين هذه الدراسة والدراسات السابقة وأيضاً قلة الدراسات المحلية.

الإطار النظري للدراسة

مفهوم المشروعات الصغرى والمتوسطة

يرى كثير من الإقتصاديين وخبراء التنمية أن تطوير المشاريع الصغرى والمتوسطة وتشجيع إقامتها من أهم روافد عملية التنمية الإقتصادية والاجتماعية في الدولة، وذلك باعتبارها منطلقاً أساسياً لزيادة الطاقة الإنتاجية من ناحية، والمساهمة في معالجة مشكلتي الفقر والبطالة من ناحية أخرى. ويأتي الاهتمام المتزايد على الصعيدين الرسمي والأهلي بالمشروعات الصغرى والمتوسطة لأنها بالإضافة إلى قدرتها الاستيعابية الكبيرة للأيدي العاملة فإنها تشكل ميداناً لتطوير المهارات الإدارية والفنية والإنتاجية والتسويقية، وتفتح مجالاً واسعاً أمام المبادرات الفردية الإبداعية، مما يخفف الضغط على القطاع العام في توفير فرص العمل. كما أن صناعات القرار في ليبيا مهتمون بالمشروعات الصغيرة والمتوسطة لمعالجة مشكلة البطالة وتوفير فرص العمل رغم المشاكل السياسية والاقتصادية التي تمر بها ليبيا إضافة للدور المهم في تمكين المرأة والحد من تفشي ظاهرة الجريمة (دومة وآخرون، 2021).

تعريف المشروعات الصغرى والمتوسطة:

يعتمد تعريف المشروعات الصغرى والمتوسطة اعتماداً كبيراً على مجموعة من المعايير منها عدد العمال، حجم رأس المال، أو خليط من المعيارين معاً، وهناك تعريفات أخرى تقوم على استخدام حجم المبيعات أو معايير أخرى كالحصة السوقية والتواجد الجغرافي.

- فقد عرّف البنك الدولي ال منشآت الصغرى والمتوسطة باستخدام معيار عدد العمال والذي يعتبر معياراً مبدئياً، وتعتبر المنشأة صغيرة إذا كانت توظف أقل من 50 عاملاً. ففي الولايات المتحدة الأمريكية و إيطاليا و فرنسا تعتبر المنشأة صغيرة ومتوسطة إذا كانت توظف حتى 500 عامل، أما في السويد حتى 200 عامل، أما كندا وأستراليا حتى 99 عاملاً، في حين أنها في الدنمارك هي المنشآت التي توظف لغاية 50 عاملاً وهناك دول أخرى تستخدم حجم رأس المال لتعريف المشروع الصغير والمتوسط.
- تعرف المشروعات الصغرى والمتوسطة وفقاً للقانون الليبي بالقرار الصادر عن اللجنة الشعبية العامة (سابقاً) رئاسة الوزراء، المرقم 472 لسنة 2009م بشأن تقرير بعض الأحكام في شأن المشروعات الصغرى والمتوسطة كما يلي: المشروعات الصغرى: هي المشروعات التي لا يتجاوز قيمة القرض الواحد فيها عن (1.000.000) مليون دينار ليبي ولا يزيد عدد العاملين فيها عن (25) فرداً.
- المشروعات المتوسطة: هي المشروعات التي تزيد قيمة القرض الواحد فيها عن (1.000.000) مليون دينار ليبي، ولا يتجاوز (5.000.000) مليون دينار ليبي، ولا يزيد عدد العاملين فيها عن (50) فرداً.
- كما عرف مجلس التخطيط العام الليبي المؤسسات الصغرى بأنها مؤسسات يعمل بها عدد لا يتجاوز 25 عاملاً وتستثمر رأس مال لا يزيد عن 2.5 مليون دينار ليبي.
- فيما عرّف المؤسسات المتوسطة بأنها مؤسسات يتراوح عدد العاملين بها من 26-50 عاملاً ويتراوح رأس مالها المستثمر من 2.5-5 مليون دينار ليبي

خصائص ومميزات المشروعات الصغرى والمتوسطة:

إن دور هذه المشروعات لا يستهان به في بناء الاقتصاد الوطني، وتظهر أهميتها من خلال استغلال الطاقات والإمكانات وتطوير الخبرات والمهارات كونها تعتبر أحد أهم روافد العملية التنموية. إن المشروعات الصغرى والمتوسطة هي النواة والبداية لحركة التصنيع والتطوير وتستحوذ المشروعات الصغرى والمتوسطة على خصائص تميزها عن المشروعات الكبرى، كما ذكر منها عادل عامر (2019م):

- 1- مالك المنشأة هو مديرها، إذ يتولى العمليات الإدارية والفنية، وهذه الصفة غالبية على هذه المشروعات كونها ذات طابع أسري في أغلب الأحيان.
- 2- انخفاض الحجم المطلق لرأس المال اللازم لإنشاء المشروعات الصغيرة، حيث أن تدني رأس المال يزيد من إقبال من يتصفون بتدني مدخراتهم على مثل هذه المشروعات نظراً لانخفاض كلفتها مقارنة مع المشروعات الكبيرة.

- 3- الإعتماد على الموارد المحلية الأولية، مما يساهم في خفض الكلفة الإنتاجية وبالتالي يؤدي إلى زيادة الأرباح وتنامي رأس المال العامل.
 - 4- المرونة والمقدرة على الإنتشار نظراً لقدرتها على التكيف مع مختلف الظروف من جانب مما يؤدي إلى تحقيق التوازن في العملية التنموية.
 - 5- المشروعات الصغرى والمتوسطة صناعات مكتملة للصناعات الكبيرة وكذلك مغذية لها.
 - 6- لا توجد صعوبة في العمليات التسويقية وعمليات التوزيع، نظراً لانخفاض كلفة هذه العمليات وقدرتها على تحمل مثل هذه التكاليف كونها تنتج حسب الطلب أكثر منها لغرض الإنتاج ومن تم البيع .
 - 7- بساطة الهيكل الإداري فيها، كونها تدار من قبل شخص واحد أو مجموعة بسيطة من الأشخاص تتوزع المسؤولية إدارياً ومالياً وفتحاً على الجميع مع سرعة الإستجابة واتخاذ القرارات وتنفيذها .
- مفهوم التنمية المحلية.**

التنمية المحلية أو مفهوم تنمية المجتمع المحلي في ليبيا هو عبارة عن أسلوبٍ للتعاون بين أبناء المجتمع الواحد في شكل مشروعات صغيرة من أجل النهوض به من جميع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وفي ضل إهمال وانشغال الحكومة عن تنفيذ برامج التنمية في العديد من المناطق بليبيا ما من حل إلا إقامة المشروعات الصغرى والمتوسطة التي يملكها ويديرها الأفراد والتي تهدف إلى النهوض بكافة المجالات المكونة للمجتمع المحلي وتوفر له السلع والخدمات بطرق سهلة وميسرة.

المكونات الرئيسية للتنمية المحلية:

تعتمد التنمية المحلية على مجموعة من المكونات الرئيسية كما ذكرها (خضر، 2016) وهي:

- الأفراد: هم مجموعة الأشخاص الذين يسكنون ويعيشون في منطقة معينة، ويعتبرون العنصر الفعال والرئيسي في تنفيذ المشروعات التي تساهم في دعم التنمية المحلية لتحقيق أهدافها.
- الإمكانيات المادية: تتمثل في البنية التحتية والمناخ الاستثماري المناسب لرؤوس الأموال والآلات والمعدات التي من خلالها يمكن دعم مشروعات الأفراد والعائلات والمشروعات بالمشاركة.
- المؤسسات الحكومية والخاصة: هي مجموع الشركات والتشراكات الخاصة والحكومية التي تمتلك وتدير المشروعات الصغرى والمتوسطة وتعمل على توفر وظائف ومهن متنوعة للعاملين بها، وتساهم في توفير الحاجات الأساسية للمجتمع الليبي.
- المجتمع: هو مجموعة السكان بمنطقة ما، وهم العنصر الأساسي والمكون الرئيسي من مكونات التنمية المحلية.

مجالات التنمية المكانية:

تقتضي التنمية المكانية نجاحها متطلبات عديدة، تتمثل هذه المتطلبات في التغيرات المتعددة للمجالات السياسية، والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمع ومنها كما ذكرها (أحمد عجاج -2016).

- **المجال التنظيمي (الإداري):** تحتاج التنمية المحلية لبيبا لنظام إداري ومالي، فوضوح القوانين والقرارات والسياسات والإجراءات ووضوح خطط التنمية الاستراتيجية الشاملة للدولة ينعكس إيجاباً على الاستثمار في المشروعات الصغرى والمتوسطة. إن حلحلة الكثير من المخبثات مثل الحصول على التراخيص والموافقات الإدارية إلى المعاملات الأمر الذي يقدم الدعم الإداري والفني للمستثمرين ويزيل الكثير من العقبات أمام نجاح المشروعات الصغرى والمتوسطة والدفع قدماً بمتطلبات التنمية المحلية. في المقابل ودون أدنى شك فإن سوء الإدارة يقف حجرة عثرة أمام عمليات التنمية في العديد من المناطق الليبية.

- **المجال السياسي:** لاشك أن نجاح التنمية الشاملة والمستدامة تتطلب وجود حالة من الاستقرار السياسي ويتولد عنها العديد من الاجراءات منها: القانونية والإدارية والمالية والبنية التحتية والتكنولوجيا المشجعة على الاستثمار ويمنح المستثمرين نسبة كبيرة من الأمان ويزيل الحواجز والشكوك التي تراود المستثمرين وتؤثر في اتخاذ قراراتهم انطلاقاً من قاعدة أن رأس المال

جبان وبخاصة لدى صغار المستثمرين حيث أنهم لا يرغبون بالتخلي عن مدخراتهم الشخصية والتوجه بها إلى الاستثمار في أي مجال طالما أن هناك حالة من عدم الاستقرار السياسي رغم أنهم قد يجدون فرصاً استثمارية ذات عوائد مالية كبيرة أمامهم في ظل ظروف عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي.

- **المجال الثقافي:** التنمية المكانية تتطلب فهم ووجود ثقافة عامة وثقافة تنظيمية تمثل القيم والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع، وتستند للمعرفة الدقيقة للتركيبة المنظمية ما يسهل على مدراء المشروعات اتخاذ القرار وخفض مستوى الصراع التنظيمي الذي قد يحدث نتيجة للتباعد في التركيبة الثقافية والذي يعتبر سبب الشقاق والفرقة بين أبناء الوطن الواحد ويعيق عملية تطور الأفراد وتنوع أنشطتهم.
- **المجال الإجتماعي:** وذلك بالتعامل مع سلوك الأفراد ونظرتهم للمشروعات الصغرى والمتوسطة والعمل لرفع القيمة الاجتماعية لهم، إن توظيف الطاقة المجتمعية الهدف منها خلق القدرة الإبداعية لدى الأفراد والمجتمع للإنتاج والتطوير نحو تنمية مستدامة، ذلك أن التنمية المحلية لا تتطلب فقط نقل التكنولوجيا إلى مجتمع ما بل لا بد من خلق العقل الذي يبدعها، ويديرها ويسيرها مع المحافظة عليها.

فرضية الدراسة:

من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة والمراجع النظرية وبعض المنشورات العلمية ذات العلاقة بدراستنا هذه يمكن صياغة فرضية الدراسة في الشكل التالي:

H_0 " لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($P \leq 0.05$) لمعوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة (المعوقات الاجتماعية، المعوقات الاقتصادية، المعوقات الإدارية، المعوقات القانونية، المعوقات التكنولوجية) في التنمية المكانية بليبيا "

المبحث الثالث: منهجية الدراسة (الطريقة والإجراءات).

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة الأثر، معوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة على ضعف وانهايار بعض هذه المشروعات مما يكون سبب في ضعف التنمية المكانية لمدينة بني وليد وما يؤثر ذلك على مستوى الدخل ونوع الخدمات ولتحقيق هذا الهدف سيتناول هذا المبحث وصفا لمنهج الدراسة، ومجتمع الدراسة وعينتها، وكذلك أداة الدراسة المستخدمة وطرق إعدادها، وصدقها وثباتها، كما يتضمن هذا الفصل وصفا للإجراءات التي قام بها الباحث في تقنين أدوات الدراسة وتطبيقاتها، وأخيرا المعالجات الإحصائية التي اعتمد عليها في تحليل الدراسة.

الدراسات الأساسية (إجراءات البحث) منهجية الدراسة

من أجل تحقيق أهداف الدراسة اعتمد الباحث على استخدام المنهج الوصفي التحليلي، ويعرف: بأنه وصف دقيق وتفصيلي لظاهرة، أو موضوع محدد على شكل نوعي، أو كمي رقمي، فالتعبير الوصفي يصف الظاهرة ويوضح خصائصها، أما التعبير الكمي فيعطينا وصفا رقميا يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو تأثيرها ودرجة ارتباطها وعلاقتها مع الظواهر الأخرى ومن أهداف هذا النوع من التحليل إيجاد التأثير أو العلاقة بين المتغيرات (عظيمي، 2016) حدود الدراسة

الحدود الموضوعية: اقتصر موضوع هذه الدراسة على معرفة أثر معوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة على التنمية المكانية.

الحدود البشرية: تم توزيع الاستبيان على 140 شخص يملكون او يقومون بإدارة المشاريع الصغيرة داخل مدينة بني وليد.

الحدود الزمنية: من الفترة الممتدة من سنة 2020 حتى 2021م.

الحدود المكانية: شملت الدراسة بطريقة عشوائية بعض مالكين والمشرفين على إدارة المشروعات الصغرى في مدينة بني وليد.

مجتمع وعينة الدراسة

مجتمع الدراسة: بسبب عدم وجود جهة رسمية لها إحصائية بعدد ونوع المشاريع الصغيرة بمدينة بني وليد وعلى اعتبار أن أغلب أو

معظم المشاريع تزال نشاطها دون تراخيص إدارية. لهذا مثل مجتمع الدراسة جميع المشروعات الصغرى في المدينة المذكورة. عينة الدراسة: تم توزيع عدد 140 استبيان لقد تم استرداد (129) استبانة صالحة للتحليل الإحصائي.

أداة الدراسة:

استخدم الباحث المسح عن طريق العينة العشوائية عن طريق استمارة خاصة بالبحث بغرض الحصول على البيانات والتي سوف يعتمد عليها في التحليل والاستنتاج، من أجل أهداف الدراسة تم استخدام الاستبانة كأداة للدراسة، عرفت الإستمارة على أنها وسيلة، أو طريقة تستخدم لجمع المعلومات للأبحاث الوصفية والكمية، والاستبانة هي عبارة عن أسئلة مرتبة على شكل فقرات، كل فقرة تحتوي على مجموعة من الأسئلة تبعاً للموضوع المراد دراسته (شلس، 2015)، حيث تم تصميم وتطوير الاستبانة بعد الاستفادة من الدراسات المرتبطة (أبحاثاً علمية منشورة) بموضوع الدراسة، كما تمت الاستفادة من آراء ذوي الاختصاص والمعرفة بموضوع الدراسة. وتعد الاستبانة كأداة رئيسية لجمع البيانات الأولية بما يخص المتغيرات الديموغرافية لعينة الدراسة والمتغير المستقل (معوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة)، والمتغير التابع (التنمية المكانية في ليبيا) والتي بناءً عليها تكونت أجزاء الاستبانة.

جدول رقم (1) كيفية توزيع الإستبانات على المشروعات عينة الدراسة

المشروعات الممثلة لعينة الدراسة	عدد الإستبانات الموزعة	عدد الإستبانات المستلمة	عدد الإستبانات الصالحة
المشروعات الصغرى	130	120	119
المشروعات المتوسطة	10	9	7
المجموع	140	129	126

لقد تم استرداد (129) استبانة، من مجموع (140) استبانة، وقد تم فرز هذه الإستبانات وتبين أن (126) استبانة منها صالحة للتحليل وشكلت ما نسبته (90%) وتعتبر هذه النسبة جيدة جداً لإجراء هذه الدراسة.

أجزاء الاستبانة:

الجزء الأول: ويتعلق بالمتغيرات الديموغرافية لعينة الدراسة حيث اشتملت على نوع المشروع، النوع الاجتماعي، الفئة العمرية، المؤهل العلمي، المستوى الإداري، وعدد سنوات العمل (الخبرة).

الجزء الثاني: المتغير المستقل " معوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة " بأبعادها " المعوقات الاجتماعية، المعوقات الاقتصادية، المعوقات الإدارية، المعوقات القانونية، والمعوقات التكنولوجية".

الجزء الثالث: المتغير التابع " التنمية المكانية في ليبيا.

طرائق جمع البيانات:

البيانات الثانوية:

تتمثل البيانات الثانوية بالكتب والدوريات والرسائل الجامعية والأبحاث العلمية والدراسات السابقة ذات العلاقة بالموضوع والمقالات المختلفة والمنشورة والتي تم الاطلاع عليها قبل الشروع في هذه الدراسة. ولقد تم إعداد استبانة من خلال الاطلاع على النظريات الإدارية المتعلقة بموضوع الدراسة وذلك من أجل جمع البيانات والمعلومات اللازمة عن مجتمع الدراسة.

البيانات الأولية:

تكونت الاستبانة من ثلاثة أجزاء حيث أشتمل الجزء الأول على المتغيرات الديموغرافية، والجزء الثاني وهو المتغير المستقل " معوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة " بأبعادها (" المعوقات الاجتماعية، المعوقات الاقتصادية، المعوقات الإدارية، المعوقات القانونية، والمعوقات التكنولوجية"). أما الجزء الثالث وهو المتغير التابع "التنمية المكانية في ليبيا.

صدق ثبات أداة الدراسة (الثبات)

يسمى طريق صدق ثبات أداة الدراسة بالاتساق الداخلي للاستبيان، بحيث تكون كل فقرة من فقرات أداة الدراسة كالاستبيان متسقة مع المجال الذي تنتمي له الفقرة، وكنت من قبل قد قمت باستخدام حساب معاملات الارتباط بين كل فقرة من الفقرات في الاستبيان، عن طريق استخدام معامل (ألفا كرو نباخ) و الثبات يعني الحصول على نفس النتائج أو قريبة منها، إذا تم استخدام نفس المقياس من باحث آخر. وقد اعتمد الباحث لإثبات صدق الاستمارة بعدة طرق منها:

أ. تم اقتباس بعض الأسئلة من دراسات سابقة، مع اختلاف العينة والمكان ومع التغيير في بعض الأسئلة بما يتناسب وطبيعة هذه الدراسة.

ب. عرض الاستبانة على مجموعة من المختصين حيث قاموا بإبداء آرائهم وملاحظاتهم حول مدى ارتباط الفقرات إلى كل بعد من إبعاد الاستبانة، وفي ضوء تلك الآراء تم إجراء تعديلات في صيغة بعض الأسئلة ليتم الإجابة عليها بسهولة ويسر.

جدول رقم (2) يوضح مقدار ألفا كرونباخ لفقرات الدراسة

الرقم	البعد	ألفا
1	معوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة	0.923
2	التنمية المكانية	0.887

من الجدول أعلاه يتبين لنا أن قيم معامل الاتساق الداخلي كرونباخ ألفا لفقرات المتغير المستقل معوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة قد بلغت (0.923)، فيما بلغ معامل الاتساق الداخلي للمتغير التابع التنمية المكانية (0.887). وبالتالي تكون جميع القيم أكبر من (0.70) وهذا مؤشر على الاتساق الداخلي بين فقرات أداة الدراسة، وموثوقية أداة الدراسة وإمكانية الاعتماد عليها لإجراء التحليل الإحصائي.

تحليل أسئلة الدراسة:

من خلال تفسير الجدول التالي يتبين أن نتائج مستوى معوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة من حيث الأهمية النسبية جاءت مرتفعة، إذ بلغ المتوسط الحسابي (3.927). وكذلك أظهرت النتائج أن المعوقات الاقتصادية جاءت في المرتبة الأولى من حيث الأهمية النسبية حيث بلغ المتوسط الحسابي (4.034) وبانحراف معياري بلغ (4.200) وبأهمية نسبية مرتفعة، والمعوقات التكنولوجية حلت في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (4.007) وبانحراف معياري بلغ (4.100) وبأهمية نسبية مرتفعة فيما جاءت المعوقات القانونية بالمرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي بلغ (3.933) وبانحراف معياري بلغ (4.200) وبأهمية نسبية مرتفعة.

جدول رقم (3) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتبة والأهمية النسبية لمعوقات التنمية المكانية

الرقم	معوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الأهمية النسبية
1	المعوقات الاقتصادية	4.034	4.200	1	مرتفعة
2	المعوقات الاجتماعية	3.833	4.000	4	مرتفعة
3	المعوقات القانونية	3.933	4.200	3	مرتفعة
4	المعوقات الإدارية	3.831	4.000	5	مرتفعة
5	المعوقات التكنولوجية	4.007	4.100	2	مرتفعة
	معوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة	3.927			مرتفعة

جدول رقم (4) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والأهمية النسبية لقياس مستوى التنمية المكانية

الرقم	البعد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية
1	التنمية المكانية	4.029	4.250	مرتفعة

تشير نتائج الجدول اعلاه أن مستوى مقياس التنمية المكانية بمدينة بني وليد جاءت مرتفعة من حيث الأهمية النسبية بمتوسط حسابي (4.029) وانحراف معياري (4.250).

اختبار الفرضية الرئيسية:

H_0 : لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى معنوية ($P \leq 0.05$) لمعوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة على التنمية المكانية.

لقد تم إخضاع هذه الفرضية لتحليل الانحدار الخطي المتعدد القياسي، وكانت النتائج على النحو التالي :

جدول رقم (5) التباين لاختبار أثر معوقات المشروعات الصغرى في التنمية المكانية

المتغير التابع	R معامل الارتباط	R ² معامل التحديد	F المحسوبة	Sig.
التنمية المكانية	0.871	0.759	391.015	0.000

من الجدول اعلاه تظهر النتائج أن قيمة ($R=0.871$) وهذا يعني أن هنالك علاقة ارتباط موجبة عالية بين معوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة والتنمية المكانية، كما يظهر الجدول أن قيمة معامل التحديد لمعوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة ($R^2=0.759$) وهذا يعني أن معوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة قد فسرت ما نسبته 75% من التباين في التنمية المكانية ببني وليد ومن الجدول يتبين أن قيمة (F) قد بلغت (391.015) عند مستوى معنوية ($\text{sig}=0.000$) وهذا يؤكد معنوية الانحدار عند مستوى دلالة ($P \leq 0.05$).

جدول رقم (6) المعاملات (coefficient) لاختبار أثر معوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة في التنمية المكانية

البيان	B	الخطأ المعياري	T-statistics	Sig.
المعوقات الاقتصادية	0.187	0.69	2.727	0.007
المعوقات الاجتماعية	0.060	0.060	1.010	0.315
المعوقات القانونية	0.115	0.070	1.643	0.103
المعوقات الإدارية	0.161	0.058	2.791	0.006
المعوقات التكنولوجية	0.382	0.067	5.730	0.000

عند ملاحظة معنويات معاملات الانحدار الواردة بالجدول رقم (6) نجد أن جميعها ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($P \leq 0.05$)، باستثناء المعوقات الاجتماعية والمعوقات القانونية لم تظهر أثراً معنوياً. واستناداً على ما سبق لا نقبل الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة القائلة: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى معنوية ($P \leq 0.05$) لمعوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة على التنمية المكانية ببنين وليد. ويظهر الجدول رقم (7) تحديد أي من المعوقات كان لها الأثر الأكبر في التنمية المكانية ببنين وليد. حيث تم تطبيق تحليل الانحدار الخطي المتدرج، وكانت النتائج على النحو التالي:

جدول رقم (7) تحليل التباين لبيان أثر معوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة في التنمية المكانية

البيان	معوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة	R	R ²	F	DF	Sig*
		معامل الارتباط	معامل التحديد	المحسوبة	درجات الحرية	مستوى الدلالة
1	المعوقات التكنولوجية	0.819	0.670	252.097	1	0.000
2	المعوقات التكنولوجية المعوقات الإدارية	0.866	0.750	184.470	2	0.000
3	المعوقات التكنولوجية المعوقات الإدارية المعوقات الاقتصادية	0.882	0.778	142.388	3	0.000

يبين الجدول رقم (7) نتائج التباين حيث أظهرت أن قيمة معامل التحديد (R^2) للمعوقات التكنولوجية والمعوقات الإدارية والمعوقات الاقتصادية معاً قد بلغت (0.778) أن قيمة (F) قد بلغت (142.388) عند مستوى معنوية ($\text{sig} = 0.000$) وعند ثلاث درجات حرية ($DF=3$) وهذا يؤكد معنوية الانحدار عند مستوى دلالة ($P \leq 0.05$). وذلك يعني أن المعوقات التكنولوجية والمعوقات الإدارية والمعوقات الاقتصادية قد فسرت ما مقداره (77.8%) من التباين في التنمية المكانية ببنين وليد.

جدول رقم (8) المعاملات (coefficient) لأثر معوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة في التنمية المكانية

البيان	معوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة	B	T-statistics	Sig.
1	المعوقات التكنولوجية	0.795	15.878	0.000
2	المعوقات التكنولوجية	0.523	8.464	0.000
	المعوقات الإدارية	0.309	6.260	0.000
3	المعوقات التكنولوجية	0.417	6.480	0.000
	المعوقات الإدارية	0.213	4.036	0.000
	الاقتصادية	0.247	3.912	0.000

يظهر جدول رقم (8) المعاملات (coefficient) لأثر معوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة في التنمية المكانية أن قيمة (β) للمعوقات التكنولوجية والمعوقات الإدارية والمعوقات الاقتصادية، حيث حصلت المعوقات التكنولوجية (0.417) وأن قيمة (T) قد بلغت (6.480) عند مستوى معنوية (sig=0.000). فيما بلغت قيمة (β) للمعوقات الإدارية (0.213) وأن قيمة (T) قد بلغت (4.036) عند مستوى معنوية (sig=0.000). فيما أظهرت النتائج أن قيمة (β) للمعوقات الاقتصادية (0.247) وأن قيمة (T) قد بلغت (3.912) عند مستوى معنوية (sig=0.000). إن ما سبق من تحليلات يتطلب عدم قبول الفرضية العدمية وقبول الفرضية البديلة القائلة: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى معنوية (P ≤ 0.05) لمعوقات المشروعات الصغرى والمتوسطة في التنمية المكانية ببنى وليد.

الخلاصة

لقد أظهرت الدراسة ان المعوقات الاقتصادية من أهم المعوقات التي تحد من نمو وتطور أمام المشروعات الصغرى ثم مستوى التكنولوجيا المستخدم التي تحتاجها المشروعات بمختلف أنواعها و حسب طبيعة أعمالها وقلة اهتمام الدولة بسن القوانين والتشريعات التي تساهم في انشاء المشاريع الصغرى وتضمن حقوق أصحابها وكذلك التنمية المكانية، وكذلك ضعف استراتيجية للتنمية من طرف الإدارة المحلية في تحديد الأهداف، ووضع الخطط، والسياسات المحكمة و دعم المشروعات الصغرى والمتوسطة والسعي نحو حسن استغلال الموارد الطبيعية المتاحة وضعف البنية التحتية وبالأخص شبكة المواصلات الأمر الذي صعب معه فرص الانتقال بين مناطق المحيطة وبين الجنوب والشمال والشرق، وتسهيل عملية استيراد المواد والمعدات وتصدير السلع والمنتجات في الداخل والخارج.

المراجع

- جواد، عبد الحسين (1994)، تصميم وإدارة الخدمات المساندة لمؤسسات العمال الصغيرة والمتوسطة، ندوة المسؤولين التنفيذيين بغرف التجارة والصناعة، المكتب الدولي لغرف التجارة، بيروت.
- الدرسي، عبد العزيز عبد الكريم إبراهيم. جابو، إحسان إبراهيم الله (2016). دور تقويم المشروعات في دفع عجلة التنمية بليبيا دراسة حالة (وزارة الاستثمار - ليبيا). رسالة ماجستير غير منشورة، عمادة الدراسات العليا جامعة الإمام المهدي.
- دومة، عبد السلام على، الطرمال، حورية خليفة، ابراهيم، حمزة خليفة، خليفة، زينب أحمد، أبو السعود، سامية مصطفى. (2021) المشروعات الصغيرة والمتوسطة وأثرها على معدلات النمو وخفض البطالة في ليبيا والدول العربية، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، المجلد (2) العدد (8).
- رمضان، سامية بن (2010) المعوقات التي تواجه المشروعات الصغيرة والمتوسطة في الدول النامية وآليات معالجتها - مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية. (2010-27-06) المركز الجامعي خنشلة

- عامر، عادل (2019) خصائص ومميزات المشروعات الصغيرة والمتوسطة تاريخ النشر 26-10-2019 موقع دنيا الوطن <https://pulpit.alwatanvoice.com/article>
- عبدو، محمد علي الطاهر، السنوسي ميهوب عبدالله (2019) واقع المشروعات الصغرى والمتوسطة في تنمية الجنوب الليبي. مجلة العلوم البحثية والتطبيقية، العدد (18)، جامعة سبها، سبها- ليبيا.
- عجاج، احمد (2016) متطلبات التنمية المكانية وأثرها على التنمية الزراعية. رسالة ماجستير غير منشور. جامعة دمشق.
- عظيمي، احمد. 4 ديسمبر 2016. المنهج الوصفي. مدونة احمد العظيمي: <http://adimiahmed>.
- عفانة، جهاد وأبو عيد، قاسم (2004)، "إدارة المشاريع الصغيرة"، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- القانون الليبي الصادر عن اللجنة الشعبية العامة (سابقاً) رئاسة الوزراء، المرقم 472 لسنة 2009م بشأن تقرير بعض الأحكام في شأن المشروعات الصغرى والمتوسطة
- قومي، نائر عدنان(2004م) تمويل المشروعات الصغيرة في الأردن - المعوقات والتحديات. مجلة جامعة العلوم التطبيقية - عمان 11931، الأردن.
- المبيريك، وفاء، تركي الشمري (2006م) تأسيس المشروعات الصغيرة وادارتها. الناشر مجلة : الناشر العلمي..ط1
- المحروق، ماهر حسن وإيهاب مقابلة (2009م) المشروعات الصغيرة والمتوسطة أهميتها ومعوقاتها مركز المنشآت الصغيرة والمتوسطة - عمان الأردن
- ميهوب، عبد الله السنوسي، محمد علي الطاهر عبدو (2019م) واقع المشروعات الصغرى والمتوسطة في تنمية الجنوب الليبي. الناشر: المؤتمر الاقتصادي الأول للتنمية الاقتصادية المحلية: الفرص والتحديات. المجلد 18 تاريخ النشر 30/12/2019م
- النجار، فريد، (1999)، إدارة المشروعات والأعمال الصغيرة والمشروعات المشتركة الجديدة، دليل رجال العمال والمهن الحرة والاستثمارات الخاصة والمشروعات الصغيرة والمتوسطة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- هديل شلش. 28 ديسمبر 2015.. ادوات البحث العلمي. <http://mawdoo3.com>
- واصل، محمد شحاته (2020م) معوقات المشروعات الصغيرة في ليبيا: دراسة ميدانية في مدينة طبرق، رسالة ماجستير غير منشورة

RESEARCH ARTICLE

THREATENING AS AN IDEOLOGY IN POLITICAL DISCOURSE: A CRITICAL STYLISTIC ANALYSIS

Assist. Lect. Wafa' A. Sahan M.A.¹

Assist. Lect. Sabrina Abdulkadhim M.A.²

¹ AlZahraa University for Women, Iraq.
Email: Wafaa.alsahan@alzahraa.edu.iq

² AlZahraa University for Women, Iraq.
Email: Sabrina2912020@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21133>

Published at 01/11/2021

Accepted at 01/09/2021

Abstract

The current study aims at extracting the hidden ideologies of the text producer through the formal aspects of language. Critical stylistics seeks under the surface of language to uncover the political ideologies of threat. The textual-conceptual tool *implying and assuming*, proposed by the model of analysis is employed with exploiting the *implying* part of the tool to uncover the ideologies lie underneath the speech act of threatening exploited in political discourses. In an attempt of extracting the speech act of "threatening" in political discourses, the study undertakes an investigation in the previous USA president Donald Trump's selected political discourses and the current US president Joe Biden. Models adopted in the study are Jeffries (2010) Critical Stylistics, Austin (1962), and Searle (1969). The study came to the conclusion that the use of threatening as speech act in political discourse is loaded ideologically. It expresses power imposition as well as dominance over the opponent and this is naturalized by the authoritative position the text producer (politician) occupies.

Critical Stylistics

Critical stylistics proposed by Jeffries (2010) as a field of analysis to fill the gaps between critical linguistics and stylistics. It tends to bring a comprehensive analysis toolset to excavate the hidden ideologies and their impacts on the reader through the formal linguistic level of the text. The stylistic choices made by the text producers are of ideological effects (Jeffries, 2010: 1). The expression *critical* in critical stylistics take a rather diverse signification than that of critical discourse analysis; whereas the one in the former proposes a method of finding the ideology in texts, whether recipients agree or disagree with it, the one in the latter has a specific socialist (Marxist) view of the language analysis (Jeffries, 2014: 417).

Critical stylistics refers to stylistic products that study the ways in which language reflects social meanings. Critical linguistics along with critical discourse analysis paved the way for the emergence of critical stylistic forms of study and analysis. Since the textual meaning is an intermediate between *langue* and *parole*, then it meets Austin's *locution/illocution/perlocution* forces in the speech act theory; Hallidayan *interpersonal metafunction* hold them altogether. The fundamental textual constructions in *ideational* are paralleled to *locution*; the naturalized intended meanings are paralleled with *illocutionary force*.

The critical stylistic proposes a textual model which is prompted by the text and context where text is placed at the heart of the theory. The model draws on the works of Halliday, Fowler, Simpson, and Fairclough. Ten tools of analysis are proposed to examine the world-view as portrayed by the text producer. They are: naming and describing; Representing Actions/Events/States; Exemplifying and Enumerating; Prioritizing; Negating; Presenting the Speech and Thoughts of others; Equating and Contrasting; Assuming and Implying; Hypothesizing; and Representing Time, Space and Society (Jeffries, 2010: 1-15).

Implying and Assuming

This work is mainly concerned with the implying section of the tool since it aims at uncovering the implicature made in political discourses along with the ideological implications made. Implicature as a pragmatic phenomenon in critical stylistics concerns itself with the way ideologies are projected and naturalized, to influence the receptors. Threatening as a speech act can be perceived as an ideology implied within the political discourses as a means of power imposition.

Ideology

Due to the various approaches studying the concept of ideology, no unified definition can be given. What is common among all of the approaches is that it is essentially a social phenomenon. To van Dijk (1998) it is the dominant ideas of an age/ society. Weber (1992) perceives it as "a system of knowledge and beliefs or a set of assumptions used in the inferential processing of text". Eagleton (1979) provides a long list of definitions, some of which are in contradiction with each other. To him ideology is forms of social consciousness which embrace political, ethical, religious, and aesthetic consciousness. No text/discourse is ideological free; the textual production and interpretation is ideological with the aim of reinforcing a particular way

of thinking. Ideologies are mostly implicit and therefore uncovering it requires a close analysis of the context along with the social background as well as examining all levels of text.

Speech Act Theory

Speech act theory, first introduced by John L. Austin (1962), was initially proposed as a distinction between constative and performative sentences. To Austin (1962) statements function as acts (performatives) rather than merely descriptions (constatives), i.e. by saying something, the speaker does something. For instance, in saying "I name this ship Elizabeth" the speaker is not only asserting or describing some events or states, rather performing the action of naming the ship (ibid : 7-8).

Focusing upon the performative acts, Austin believes that certain conditions must be satisfied for a speech act. He suggests three **felicity conditions**:

1. There must exist an accepted conventional procedure, having a certain conventional effect. The procedure is the uttering of certain words in certain circumstances by certain persons.
2. The certain persons and circumstances in a particular case need to be appropriate for the invocation of the particular procedure invoked.
3. The procedure must be done by all participants both correctly and completely (ibid: 26, 34-36).

Coulthard (1985: 14) nicely provides an example in this respect. In a marriage ceremony, there must exist certain conventional procedure in fulfilling the ceremony. The answer to the priest's question "do you take this woman as your lawfully wife?" one must say either "yes, I do" or "No, I don't". Using any other forms of wording like merely "yes or no" is not appropriate. The ceremony has particular sequence of events that must be performed completely by its participants; otherwise, it would case a misfire.

Later on, Searle (1979: 12) refined the theory of speech act by stating that speaking is performing acts on the basis of certain conditions. He proposed felicity conditions according to which illocutionary acts are considered felicitous. Here are Searle's felicity conditions (ibid: 62) for all speech acts:

1. **Propositional content rule**: the utterance of threat must predicate a future action of the speaker, and it must be uttered in a certain context.
2. **Preparatory rule**: the speaker is aware of the fact that the act of threatening is not preferred by the listener, and that action has not already been done.
3. **Sincerity rule**: the speaker should have the intention, the will, and the ability to carry out the terms of threat.
4. **Essential rule**: by uttering threat, the speaker persists on having hearer to do action in virtue of his authority over the hearer. The speaker is committed by his utterance to do action.

Searle (1969) categorized the speech act into **assertive, directive, commissive, expressive, and declarative**. The speech act of threat lies under the category of

commissives. A list of commissives is provided by Searle and Daniel (1985: 192): commit, promise, undertake, pledge, engage, **threaten**, hypothecate, guarantee, vow, avow, swear, assure, certify, accept, agree, consent, acquiesce, abide, reject, refuse, renounce, offer, counter-offer, bid, rebid, tender, dedicate, bet, covenant, wager, contract, , subscribe.

Speech Act of Threat

As reviewed by Vanderveken (1990:183). "to threaten is to commit oneself to doing something to someone with the perlocutionary intention of intimidating the hearer and with the presupposition (preparatory condition) that it is bad for him." Threatening is not necessarily a speech act. Neither does the threatener have the obligation he would have in the case of a promise. The word threat invokes in mind pictures of risk, injury, harm, or loss. Threat, as examined by Leviton (1991: 33), can be defined with regard to two dimensions: consequences and probability. It is the state through which the individual believes him- or herself to be in a great chance of experiencing something that entails harm, pain, or cost. Thus, threat is great when the level of probability and-or consequence severity is great. Many speech act verbs have multiple uses and can name different illocutionary forces. The verb "swear", for instance, has both an assertive and a commissive use. people can swear that a proposition is true (assertive) and they can also swear to a hearer that they will do something in the future (commissive) (ibid: 168). Furthermore, (ibid 196) demonstrates that normally the verb threaten cannot be employed to make a threat; rather, promise or warn can be used to perform a threat or to only report a threat, as in " I promise I'll kill you". The act of threat assumes an obligation and involves an indication of a future act:

1. S(speaker) promises A(addressee) to execute the action;
2. A believes that S can do the action (authority);
3. S wants to do the action of his own volition; and
4. S intends that utterance is a reason for A to believe that S intends to do it (ibid: 195).

It is asserted by Leech (1983: 226-7) that "threaten" denotes a conditional speech act in the sense that " the speaker threatening the hearer with x" is roughly interpreted as something unpleasant (x) would happen to hearer, **if** he/she doesn't not perform some act asked by speaker. Searle and Daniel (ibid: 180) add that all hearer-directed acts where the hearer is not identical with the speaker demand a public performance. Threat is essentially hearer-directed and must involve a public performance when the hearer is not identical with the speaker (ibid: 193).

Political Discourse

Political discourse is counted as the formal exchange of reasoned views where numerous alternative courses of action should be taken for the purpose of solving certain societal issues (Hult, 2015: 217). Political discourse is recognized through its authors or actors, i.e. politicians. Politicians are those who are elected or appointed and receive payment to undertake political activities. Recipients such as the public, citizens, the masses, etc. in political communicative events participate in the political even from the interactional perspective. The context of discourse is decisive to categorize discourse as political or not. Although actions and participants are the

corner stone of political discourses, yet other conceptual elements such as communicative events and encounters, intentions, occasions, goals, legal or political implications, and functions are of significance. Therefore, politicians' discourse is regarded political when contextualized in communicative events like parliamentary sessions, cabinet meetings, election campaigns, interviews, etc. The political text and context define and integrate one another mutually. A parliament session, for instance, is regarded political only when the elected members are gathering and debating in parliament building during the official schedule. Outside this context the session is not counted political. The text-context integration in political discourses can be interpreted in terms of doing certain political goals like impacting political decisions such as the regulation of law, the change or setting up of official rules, and so on.

Most political actions are discursive; actions such as: decision making, passing laws, meeting, ministerial or governmental regulations, debates, etc. which can be broadcast on political talk shows, media interviews, political speeches and advertising (van Dijk, 1997: 14,18).

Methodology

The speech act of threatening is investigated qualitatively under the model of critical stylistics set forth by Leslie Jeffries (2010) drawing upon one of the ten textual-conceptual tools of the model (implying and assuming) to expose the hidden ideologies underneath the text. It is aimed at uncovering the ideologies in forms of assumptions presented to the reader/hearer. Data selected for the analysis consists of the following political discourses:

1. Donald Trump's The remarks of the American president Donald Trump 2018 about Iran nuclear deal
2. Donald Trump's Remarks by President Trump on the Joint Comprehensive Plan of Action
3. Joe Biden and Donald Trump's Final Presidential Debate on 2020
4. Joe Biden's Relationship Reassessment with Saudi Arabia 2020

Data Analysis

The analysis of data draws on two basic sections:

- A. The analysis of the threatening speech act based on Searle's felicity conditions of the speech act of threatening listed in the theoretical section of the work.
- B. The analysis of hidden ideologies of the act relying upon Jeffries *Implying and assuming* textual-conceptual tool of analysis.

Extract 1: "I made clear that if the deal could not be fixed, the United States would no longer be a party to the agreement."

Extract 2: "I am announcing today that the United States will withdraw from the Iran nuclear deal."

Extract 3: "Any nation that helps Iran in its quest for nuclear weapons could also be strongly sanctioned by the United States." (Transcript: Trump's Remarks on Iran Nuclear, 2017).

- A. The utterance of the threat predicates a future sanction by Donald Trump to Iran or the countries that help Iran (propositional content rule). Trump is aware of the fact that the act of threatening is not preferred by the opponent and its supporters (preparatory rule). Trump has the intention, the will, and the ability to carry out the terms of threat (sincerity rule). By uttering threat, Trump, as the president of the United States, persists on having Iran to do action in virtue of his authority. The action is that Iran stops its nuclear program (essentiality rule).
- B. the implicature detected in the extracts reflect the threat made by the speaker. In extract 1 making clear that **“the United States would no longer be a party to the agreement”** implies that the US is going to be the rival while it has been an ally which ultimately implies declaration of war. In extract 2 announcing from a deal signifies disagreement or contract termination. Disagreement in this context implies waging war or political conflicts. The obvious threat in extract 3 implies that the US is going to impose penalties on those parties who violate its instructions. The speaker employs threatening speech act as a tool for power imposition.

Extract 4: "The United States no longer makes empty threats. When I make promises, I keep them." (ibid)

- A. Donald Trump here is exposing his intention and sincerity of threatening. This piece of discourse meets Searle's sincerity condition of threatening and that Trump has the will and preparatory to fulfil his words. Moreover, the use of the word "promise" clearly doesn't refer to the speech act of promising; rather it refers to the speech act of threatening.

All the other felicity conditions are similar to the previously analyzed datum.

- B. The implicature made in this extract is that of threat. The first sentence of the extract implies that in the future the threats made are real, unlike the threats made before. Within the context of the discourse addressed to the opponent, the word *promises* in the second sentence of the extract cannot be interpreted as the act of promising since the whole context expresses threatening; whereas if the discourse is interpreted to be addressed to the president's nation, the act of promising makes more sense.

Extract 5: "If the regime continues its nuclear aspirations, it will have bigger problems than it has ever had before."

Extract 6: " we are taking to confront the Iranian regime's hostile actions and to ensure that Iran never, and I mean never, acquires a nuclear weapon. " (Remarks by President Trump on the Joint Comprehensive Plan of Action, 2018).

- A. The utterance of the threat predicates a future action of Donald Trump that, in Extract 5, Iran is going to face bigger problems than it ever had, if they do not give up their nuclear program. In Extract 6, Trump threatens to stop Iran's nuclear activities (propositional content rule) and this is not preferable to Iran (preparatory rule).

All the other felicity conditions are similar to the previously analyzed datum.

- B. The extract 5 implies threats in forms of *bigger problems* as penalties imposed by the US government on Iran's regime in case they haven't stopped their nuclear activities.

Extract 6 implies a rather more tangible perception of doing things with words; the future act of threat implies that the US government is an authority and has the right to deprive any regime they feel to be hostile. The ideology of power imposition is obvious in these extracts.

Extract 7: "First, we will work with our allies to counter the regime's destabilizing activity and support for terrorist proxies in the region. Second, we will place additional sanctions on the regime to block their financing of terror. Third, we will address the regime's proliferation of missiles and weapons that threaten its neighbors, global trade, and freedom of navigation. And finally, we will deny the regime all paths to a nuclear weapon." (ibid)

- A. All the sentences in the extract are marked by future references. To the researcher, they all imply a hidden "if" conditional clause:

we will work with our allies to...if Iran doesn't stop their nuclear program

will place additional sanctions ...if Iran doesn't give up its nuclear weapon

we will address the regime's proliferationif the regime ignores USA's previous threatens.

we will deny the regime all....if the regime continues their nuclear program.

All the other felicity conditions are similar to the previously analyzed datum.

- B. The sentences presented successively in this extract carry a number of implications: first the US government is fighting terrorism and this is obvious in the first two sentences with the employment of words such as *terrorist*, and *terror* attributed to the opponent. The implicature in these sentences is that the US government's decisions are legitimized and legal since it is waging war against terrorism. The other implicature is that of threat; the discourse forms a threat to the regime of Iran to stop nuclear activities which otherwise will be penalised.

Extract 8: "It is why we are determined that the world's leading sponsor of terrorism will never obtain nuclear weapon. we will do what we must to keep America safe." (ibid)

- A. The future act of threatening is promised implicitly by Donald Trump. In this extract Trump promises not to have Iran obtain nuclear weapon and this piece of discourse is actually a threaten since it is not preferred by Iran. In Extract 15 Trump promises to do what he must "to keep America safe". Trump considers Iran's nuclear program a threat to his country among other countries, so to keep his country safe he threatens that he would do undesirable things to Iran if they won't give up nuclear weapon.

All the other felicity conditions are similar to the previously analyzed datum.

- B. The implied ideology of terrorism which is attached to the Iran regime is repeated in this extract as a means of US domination; this domination and power imposition is legitimized and naturalized and become less subject to query since USA is regarded as an authority. The other implicature is that USA has no other choice than penalize Iran since it is a threat. Keeping America safe is the legitimation exploited by the US government to threaten Iran's regime to impose sanctions.

Extract 9: “These are the rules. You play by them, or you’re doing to pay the price for not paying by them economically” (Welker, 2020).

- A. The future act of threatening is stated explicitly through the employment of the structure *going to* referring to future time by Joe Biden. In this Extract Biden threatens to make China pay a price if they don’t follow the rules set forth by USA. This meets Searle’s propositional content rule. The act of threaten is not pleasant for the opponent sine there is a sense of obligation and control imposed by the USA and this fulfills Searle’s preparatory rule. Joe Biden as a president of USA finds himself to be authoritative to threaten in an act of dominance and control over the opponent and this fulfills Searle’s sincerity and essentiality rules.
- B. The implicature hidden underneath the words chosen by Biden tells the reader that there Biden, as a US president allows himself to be the ruler not only on his domain but on other domains as well through imposing rules and committing them to follow the rules or they will face punishment. Ideological reflections show the exploitation of the political state to fulfill certain ends like dominance and power imposition.

Extract 10: “I’ve spent my entire career fighting domestic abuse-and will continue that fight as president” (ibid)

Extract 11: “Because North Korea is a problem, and we are going to continue to do it so we can control them. We are going to make sure they can not hurt us” (ibid)

- A. The act of threatening is implicitly formed through the choice of future aspect with the formal realization *going to* to refer to an act that is about to happen unless North Korea stops being a problem. The implicit threaten provides no details of the future act; still the sense of threat is felt in the last sentence of the extract. The US government would definitely take serious precautions to stop the threat of North Korea. This meets the propositional content rule of Searle’s theory. Other rules are also fulfilled similar to the previous extract.
- B. The ideological implications found through tracing implicature echoes the ideologies in the previous extract. The power imposition and dominance can be touched from the very first sentence of the extract. Stating an issue as a matter of fact which is presupposed already leaves the content less subject to query and therefore taken as it is by the receptor. This reinforces the authoritative position of the speaker and leaves his words less arguable. This gives Biden’s speech legitimation and power.

Extract 12: “Any country that interferes with us will, in fact, pay a price, because they are affecting our sovereignty.” (ibid)

Extract 13: “I made it clear and ask everyone else to take the pledge. I made it clear that any country, no matter who it is, that interferes in American election will pay a price. And it’s been overwhelmingly clear this election...that Russia has been involved, China’s been involved to some degree, and now we learn that Iran is involved. They will pay a price if I’m elected. They are interfering with American sovereignty.” (ibid)

A. The future act of threatening is undertaken by means of the formal future aspects *will* to refer to an action that is yet to happen in a political context (propositional content rule). Biden is aware that the act of threatening is not pleasant for the receptors (preparatory rule) and the act of threat is done with full consciousness and intention with the authoritative occupation (sincerity rule). In virtue of the authority of Biden, the receptors are pushed to performed according to Biden's rule with otherwise future punishments (essential rule).

B. The ideological implications are similar to those discussed in the previous two extracts.

Extract 14: "We will reassess our relationship with the Kingdom [of Saudi Arabia], end US support for Saudi Arabia's war in Yemen, and make sure America does not check its values at the door to sell arms or buy oil." (Al-Shamahi, 2020)

A. The future act of threat is implicitly stated though the choice of formal aspect future modal verb *will* to refer to an act of future (propositional content rule). The end of US military support for Saudi Arabia and stop buying oil from them is not preferred by Saudi Arabia (preparatory rule). The speaker (Biden) has the intention, the will, and the authority to undertake the act of threat (sincerity rule) and by means of this authority Biden persists on punishing Saudi Arabia and making it pay for the war they waged against Yemen (essential rule).

B. The ideological implications expose the US authority over the Kingdom [Saudi Arabia] and the obvious dominance and control they have over this country. The war against Yemen has been administrated by Saudi Arabia with the US army support during the presidency of Donald Trump. When Biden occupies the presidency he decides to impose punishments on Saudi Arabia for what was done in support of Trump. This implies that Biden is passively threatening Trump (and his political activities) by actively punishing Saudi Arabia to be a region for political account settlements.

It is worth adding that Biden expresses his dissention with Donald Trump's policy in different Tweets:

1. **If we give Donald Trump another four years in the White House, he will forever alter the character of our nation. We can't let that happen (3 Nov. 2020).**
2. **I promise you this: I'll end Donald Trump's chaos and end this crisis (1 Nov. 2020).**

This reinforces the idea that Biden is actually waging a war against Trump and his chaotic governing than on other countries. To Biden Donald Trump is a threat which will ruin the future of American if people vote for him in his second election.

Conclusions

Threatening as a speech act is traced as a hidden ideology in political discourse. Depending on Searle's felicity conditions of threatening, the study has come to the conclusion that the speech act of threat may be implicitly performed through using other speech acts such as promising, urging, and warning. In order not to mix up the speech act of threat with others, one needs to focus on the fact that threat is a future act undertaken by an authority and it is unpleasant for the addressee. Only few cases of

explicit threatening are spotted in the data analyzed; the majority type of threatening found in the data is of implicit type. The implicature created by the implicitness of speech acts carry a number of hidden ideologies such as dominance, and power imposition over the opponent. Other implied significations can be those of legitimation; the politicians legitimize the policy of their dominance and authority through presenting a negative picture of opponent(s). The hidden nature of ideology keeps it in the safe side and leaves it less subject to question and argument. The sample shows that the text producer expresses his ideologies through employing a procedure in which the opponent is portrayed as terrorist or terrorism supporter and the sanctions imposed by the US government is rightful and fair. Such choices of nouns imply that the decisions of the US government are legitimized since the opponent is the source of threat to the world. Furthermore, the political discourses can expose certain conflicts between politicians apparently appearing in forms of sanction displacements on countries while in fact hold conflicts on internal political levels, namely between two US politicians: Biden and Trump.

References:

- Al-Shamahi, Abubakr (11 Nov. 2020) Relationship Reassessment: Joe Biden and Saudi Arabia Relations, [online webpage] retrieved on: 20 Nov. 2020, available on: <https://www.aljazeera.com/news/2020/11/11/relationship-reassessed-joe-biden-and-saudi-arabia>
- Austin, J. (1962) How to Do Things with Words. Oxford: Clarendon Press. P: 7.
- Coulthard, Malcom (1985) An Introduction to Discourse Analysis (2nd ed.) New York: Routledge.
- Eagleton, Terry. "Ideology, fiction, narrative." *Social Text*, no. 2. 1979. Web. 8 April 2017. <<http://links.jstor.org/sici?sici=0164-2472%28197922%290%3A2%3C62%3AIFN%3E2.0.CO%3B2-%23>>.
- Hult, F.M. (2015). "Making policy connections across scales using nexus analysis". In Hult, F.M.; Johnson, D.C (eds.). *Research Methods in Language Policy and Planning: A Practical Guide (First ed.)*. Chichester, West Sussex: Wiley. ISBN 978-1-118-33984-8. OCLC 905699853..
- Jeffries, Leslie (2010). Critical Stylistics, Basingstoke: Palgrave.
- Jeffries, Leslie (2014). Interpretation. In: P. Stockwell and S. Whiteley, (eds.) *The handbook of stylistics*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Johnson, David W.; Johnson, Roger T. (2000). "Civil political discourse in a democracy: The contribution of psychology". *Peace and Conflict: Journal of Peace Psychology*. 6 (4): 291–317. doi:10.1207/S15327949PAC0604_01. ISSN 1532-7949
- Leech, G. (1983) Principles of Pragmatics. London: Longman Group Ltd.
- Remarks by President Trump on the Joint Comprehensive Plan of Action (8 May 2018) Retrieved on (29/Aug./2018). Available on: <https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-joint-comprehensive-plan-action/>
- Searle, John R. (1979) Expression and Meaning: Studies in the Theory of Speech Acts.

New York: Cambridge University Press.

Searle, John R. and Daniel Vanderveken (1985). Foundation of Illocutionary Logic. New York: Cambridge University Press.

Transcript: Trump's Remarks on Iran Nuclear Deal (13 Oct. 2017) retrieved on: (16/Aug./2018) available on: <https://www.npr.org/2017/10/13/557622096/transcript-trump-s-remarks-on-iran-nuclear-deal>

Vanderveken, Daniel (1990). Meaning and Speech Act: Principles of Language Use. Volume 1. New York: Cambridge University Press.

Vanderveken, Daniel (1990). Meaning and Speech Act: Principles of Language Use. Volume 1. New York: Cambridge University Press.

Van Dijk (1997) 'What is Political Discourse Analysis' in Blommaert, J. and Chris Bulcaen (eds.) *Political Linguistics*, *Belgian Journal of Linguistics*. Volume: 9. John Benjamins Publishing Company.

Van Dijk, Teun A. (1998) Ideology: A Multidisciplinary Approach. London: Sage Publications Ltd.

Weber, Jean Jacques. (1992) Critical Analysis of Fiction: Essays in Discourse Stylistics. Amsterdam: Rodopi B. V.

Welker, Kristen (22 Oct. 2020) Donald Trump & Joe Biden Final Presidential Debate Transcript 2020, [online webpage] retrieve on: 20 Nov. 2020, available on: <https://www.google.com/amp/s/www.rev.com/blog/transcripts/donald-trump-joe-biden-final-presidential-debate-transcript-2020/amp>

Wortham, Stanton; Kim, Deoksoon; May, Stephen, eds. (2017). *Discourse and Education*. Cham: Springer International Publishing. doi:10.1007/978-3-319-02243-7. ISBN 978-3-319-02242-0.

عنوان البحث

مدى فاعلية الحساب الذهني من وجهة نظر معلمي الخامس الابتدائي في تدريس مادة الرياضيات في مديرية التربية والتعليم في عين الباشا في محافظة البلقاء في المملكة الأردنية الهاشمية

عبد الرحمن حسين عبد أبو فارس¹

¹ وزارة التربية والتعليم في المملكة الأردنية الهاشمية - مديرية تربية عين الباشا

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21134>

تاريخ القبول: 2021/10/23م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

جاءت هذه الدراسة في من مبحثين والإطار النظري، وجاء المبحث الأول في ثلاثة مطالب وتحدث المطلب الأول عن تعريف الحساب الذهني، وتحدث المطلب الثاني عن أهمية الحساب الذهني ثم تحدث المطلب الثالث عن استراتيجيات الحساب الذهني، وجاء المبحث الثاني تحليلاً، وخلصت الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند متغير الجنس تعزى لمصلحة المعلمات ووجود فروق ذات دلالة عند متغير صفة المدرسة تعزى لمصلحة المدارس الخاصة.

الكلمات المفتاحية: الحساب الذهني، استراتيجيات الحساب الذهني، العمليات العقلية المجردة.

RESEARCH ARTICLE**THE EFFECTIVENESS OF MENTAL ARITHMETIC FROM THE POINT OF VIEW OF FIFTH GRADE TEACHERS IN TEACHING MATHEMATICS IN THE DIRECTORATE OF EDUCATION IN AIN AL-BASHA IN AL-BALQA GOVERNORATE IN THE HASHEMITE KINGDOM OF JORDAN.****Abdal Rahman Hussain Abd Abu Fares¹**¹ Ministry of Education in the Hashemite Kingdom of Jordan - Ain Al-Basha Education Directorate.HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21134>**Published at 01/11/2021****Accepted at 34/10/2021****Abstract**

This study came in two sections and a theoretical framework, the first topic came in three demands and the first requirement talked about the definition of mental arithmetic, and the second requirement talked about the importance of mental arithmetic, then the third requirement talked about strategies of mental arithmetic, and the second topic came an analysis, and the study concluded that there are significant differences Statistical significance for the gender variable due to the benefit of the female teachers, and the presence of significant differences at the school attribute variable due to the benefit of private schools.

الإطار النظري للدراسة :**المقدمة:**

أثر التطور العلمي على مجالات شتى في حياة الإنسان البدنية منها والعقلية، وذلك بأن وفر أسباب الراحة في كثير من الأمور التي كانت تحتاج إلى وقت طويل لأدائها ومن هذه الأمور العمليات الحسابية فقد أثر وجود الآلات الحاسبة وأجهزة الحاسوب تأثيرا واضحا، وكبيراً، فأصبحت العمليات الذهنية قليلة الاستخدام، وأصبحت الآلة هي الملاذ لحل هذه العمليات لما توفره من جهد، ووقت، ومن هنا جاءت أهمية عملية تدريس الحساب الذهني حتى يتعرف الطالب كيف تتم هذه العمليات دون الحاجة على الرجوع لتلك الآلات والأوراق من خلال عملية عقلية مجردة .

إشكالية الدراسة وأسئلتها:

تثير هذه الدراسة عدة تساؤلات تتمثل في:

1. ما مدى فاعلية استخدام الحساب الذهني في مادة الرياضيات من وجهة نظر المعلمين والمعلمات؟
2. ما هل استطاعت عملية تدريس الحساب الذهني من النجاح في إيصال الطلاب إلى استخدام العمليات الرياضية العقلية دون الحاجة للرجوع للآلات ؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- إظهار مدى فاعلية الحساب الذهني من وجهة نظر المعلمين والمعلمات في مديرية لواء عين الباشا.
- الوقوف على الاختلافات غي وجهات نظر المعلمين والمعلمات في فاعلية الحساب الذهني للصف الخامس الابتدائي .

فرضيات الدراسة:

1. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية ($a \leq 0.05$) في مدى فاعلية الحساب الذهني من وجهة نظر معلمي الخامس الابتدائي في تدريس مادة الرياضيات تعزى لمتغير الجنس .
2. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية ($a \leq 0.05$) في مدى فاعلية الحساب الذهني من وجهة نظر معلمي الخامس الابتدائي في تدريس مادة الرياضيات تعزى لمتغير صفة المدرسة (حكومية خاصة).

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تظهر مدى قدرة الطالب على استخدام الحساب الذهني وذلك بناء على رؤية معلمهم إذ هم الأقدر على تقييمهم خصوصاً بعد انقطاع العملية التعليمية الوجيهة بسبب جائحة كورونا مما يعطي الدراسة أهمية خاصة.

حدود الدراسة:

الحدود المكانية: مدارس مديرية لواء عين الباشا.

الحدود الزمانية: الفصل الدراسي الأول لعام 2021-2022

منهج الدراسة:

سنتبع في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، حيث ستجمع البيانات عن الحساب الذهني من خلال المراجع ثم عمل استبانة توزع على المدارس في مديرية التربية والتعليم التابعة للواء عين الباشا ومن ثم تحليل نتائجها ، ثم حضور حصص صافية لتقييم مدى فاعلية الحساب الذهني.

الدراسات السابقة:

1. دراسة د/ زينب محمود محمد كامل عطيفي(2016) بعنوان فاعلية استخدام بعض استراتيجيات الحساب الذهني في التحصيل و تنمية الذكاء العددي لدى تلاميذ الصف الثالث الابتدائي، وقد جاءت نتائج الدراسة مؤكدة على وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (3030) بين متوسطات درجات التلاميذ في كل من التطبيقية القبلي و البعدي لمجموعة الدراسة التجريبية في كل من اختبار مهارة الحساب الذهني، واختبار الذكاء العددي لصالح التطبيق البعدي للمجموعة التجريبية. وهذا يؤكد فاعلية استخدام إستراتيجيات الحساب الذهني في تنمية التحصيل والذكاء العددي لدى تلاميذ الصف الثالث الابتدائي.
2. دراسة أميرة عابد(2020) بعنوان الحساب الذهني وعلاقته بالتحصيل الدراسي في مادة الرياضيات من وجهة نظر معلمي المرحلة الابتدائية بولاية المسيلة ، وتوصلت الدراسة إلى عدم تحقق الفرضيات الثلاثة، وهي: عدم وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الدرجة الكلية للحساب الذهني والدرجة الكلية للتحصيل الدراسي ، ولا توجد فروق دالة إحصائية في مستوى استخدام الحساب الذهني مادة الرياضيات لدى مرحلة التعليم الابتدائي من وجهة نظر المعلمين تعزى لمتغير الخبرة، ولا توجد فروق دالة إحصائية بين متوسط رتب درجات أفراد عينة الدراسة في استخدام الحساب لذهني في مادة الرياضيات لدى تلاميذ مرحلة التعليم الابتدائي من وجهة نظر المعلمين تعزى لمتغير جنس المعلم.

المبحث الأول: ماهية الحساب الذهني**المطلب الأول****تعريف الحساب الذهني:**

يعرف المجلس القومي لمعلمي الرياضيات الحساب الذهني بأنه: "مهارة حياتية أساسية تساعد على تنمية الثقة لدى المتعلمين وتجعلهم يمتلكون المهارة لحل مسائل رياضية بدقة وسرعة"¹. وعرفه عساف: " بأنه المهارة التي باستخدامها يجري المتعلم العمليات الحسابية دون اللجوء إلى الكتابة أو أية وسيلة خارجية أخرى معطيا إجابة دقيقة مئة بالمائة، ولا مجال للتقريب فيها"². و يعرفه النعيمي بأنه: " أداة ووسيلة تنمي الفهم الجيد والعميق لبنية الأعداد، والعمليات عليها وتساعد على ابتكار طرائق لمعالجة الأعداد ذهنيا بدون استخدام الورقة والقلم ،أو أية مساعدات حسابية أخرى"³ .

¹ .NCTM (2000). Principles and standards for school Mathematics. Reston.P:21

² عساف، سميح، (2003)، أساليب تدريس الرياضيات: مهارة التقدير والحساب الذهني .المدرسة العربية، ص 58.

³ النعيمي، حمدية محسن علوان،(2009)، أثر استخدام إستراتيجيات الحساب الذهني في التحصيل والتفكير الإبداعي لدى تلميذات المرحلة الابتدائية وميلهن نحو مادة الرياضيات. رسالة دكتوراه. كلية التربية جامعة بغداد، ص15.

المطلب الثاني : أهمية الحساب الذهني:

وترجع أهمية الحساب الذهني إلى عدة أسباب منها⁴ :

- تساعد استراتيجيات الحساب الذهني على تعميق فهم الأفكار، والمفاهيم الرياضية لدى الطلبة بحيث تساعدهم على التفكير بشكل أعمق في المشكلات التي تواجههم في حياتهم اليومية.
- امتلاك الطلبة استراتيجيات الحساب الذهني يساعد الطلبة في معرفة خصائص الأعداد، والعمليات المختلفة، وفهم البنية الرياضية عامة، والنظام العددي خاصة.

المطلب الثالث:

استراتيجيات الحساب الذهني:⁵

- استراتيجيات العمليات على الأعداد العد الأولي: فروعها:
- العد بإضافة الوحدات الأصغر
- العد للخلف بالواحد
- العد بالواحد وصولاً للعدد الأكبر
- العد بوحدة أكبر و فروعها:
- العد للأمام بالإثنين أو الخمسات أو العشرات.
- العد للخلف بالإثنين أو الخمسات أو العشرات.
- العد للخلف وصولاً للعدد الثاني بالإثنين أو الخمسات أو العشرات.
- الجمع بناءً على مضاعفات معلومة.
- تكرار الجمع
- تكرار الطرح

الاستراتيجيات المبنية على الفهم الآلي:

- الفهم الآلي هو: عملية حفظ للقوانين الرياضية أو تطبيق لقواعد رياضية معينة، أو اتباع طرق معينة لحل مسائل أو وضعيات معينة في مواقف معينة تجابه المتعلم، بدون أن يضبط العلاقات والمفاهيم المتضمنة في تلك المواقف، ولأجل التعرف أكثر على ماهية الفهم الآلي للرياضيات سنتبع (استراتيجيات حسابية ذهنية مبنية على الفهم الآلي) ،حيث تعكس هذه الاستراتيجيات فهماً آلياً للقيمة المكانية وهذا يعني تطبيق القوانين دون معرفة كافية. ومرد ذلك الى عدم إعطاء أهمية للقيمة المكانية ،ومن هذه الاستراتيجيات ما يلي:6:
- ويعرف الفهم الآلي أيضاً أنه: عملية حفظ للقوانين الرياضية أو تطبيق لقواعد رياضية معينة، بدون أن يضبط العلاقات والمفاهيم المتضمنة في تلك المواقف، ومن هذه الاستراتيجيات ما يلي:
- حذف الأصفار

⁴ و زينه، فريد. (1997). الرياضيات مناهجها وأصول تدريسها. ط2 دار الفرقان للنشر والتوزيع: عمان، ص 45.

⁵ عبد الكاظم، تغريد : 2013 استخدام إستراتيجيات الحساب الذهني الأكثر شيوعاً عند معلمي الرياضيات، ص40.

⁶ النعيمي، حمدية محسن علوان، (2009)، أثر استخدام إستراتيجيات الحساب الذهني في التحصيل والتفكير الإبداعي لدى تلميذات المرحلة

الابتدائية وميلهن نحو مادة الرياضيات مرجع سابق ص23.

- استخدام الخوارزميات الكتابية ذهنياً. و فروعها المتعلقة هي:

- بالنسبة لعملية القسمة

- بالنسبة لعملية الضرب

عرف هوب وشريل⁷، الاستراتيجيات القائمة على استخدام خوارزميات الضرب الكتابية ذهنياً، وصنفاها إلى عدم استرجاع أي ناتج ضرب جزئي.

استرجاع ناتجين فرعيين. هو الفهم العلاقي أو ما يسمى بفهم العلاقات. فيعرفه سكيب⁸، على أنه: "ذلك الأسلوب من الفهم الذي يقوم على فهم والمفاهيم الثانوية (المتقدمة) المشتقة من المفاهيم الابتدائية عن طريق الربط من سابقته، وأسمائها (هيرتاج)، العليا، وإن هذا النوع من الفهم يؤدي إلى إيجاد تركيبات مفهومية لتكوين بناء متكامل للعملية الرياضية في ذهن التلميذ، لأنها ذات علاقة مباشرة بأساليب الفهم العلاقي فقط، وإنما معرفة سبب اختيار هذه الإستراتيجية، ومن هذه الإستراتيجيات ما يأتي:

المفاهيم والمهارات المرتبطة بها

ومن أهداف تدريس الرياضيات في المرحلة الابتدائية هي إن يكتسب التلاميذ بالإضافة للمفاهيم الرياضية، الضرب، القسمة) ، ونقصد بذلك إن يستطيع التلاميذ إجراء التلاميذ صحيحة، إذا كانت نواتجه خاطئة، مهما كان سريعاً، ولا يكون التلميذ ماهراً إذا كان بطيئاً في إيجاد الناتج، وإن كان ذلك الناتج صحيحاً، الضرب، المهارة في إجراء عملية القسمة وهكذا. ٢- المهارة في إجراء العمليات الحسابية ضرورية في البيت والسوق والعمل واللعب وتساعد على حل كثير من مشاكل الحياة اليومي الممارسة الفعلية في إجراء العمليات الرياضية بصورة عامة تبصر التلميذ بكثير من خواص النظام العددي فيتعرف على بنيته الرياضية في القدرة على :-

- ترجمة المسألة إلى صورة أو شكل يسهل التعامل معه ذهنياً.

⁷ Bassarear, T., (2001) : Mathematics for Elementary School Teachers , Keene State College, Second Edition, New York.

⁸ Department (2001) : Training number sense and mental arithmetic computations new south wales through the department of education and training, 2001, P7.

المبحث الثاني: التحليل الاحصائي

- عينة الدراسة
- ثبات أداة البحث (الاستبانة):
- نتائج الدراسة
- تحليل فرضيات البحث
- التوصيات
- التحليل الاحصائي:
- عينة الدراسة

تكونت عينة الدراسة (30) معلما ومعلمة , تم اختيارهم بطريقة عشوائية, والجدول (1) يوضح توزيع أفراد العينة تبعاً للمتغيرات الشخصية.

الجدول (1)

توزيع أفراد العينة تبعاً للمتغيرات الشخصية

النسبة المئوية%	التكرار	الفئة
50%	15	معلم
50%	15	معلمة

يظهر من الجدول رقم (1) ما يلي:

❖ بالنسبة لمتغير الجنس, نلاحظ ان المعلمين والمعلمات متساوون في التكرار بنسبة 50% لكل

منهما

وبالنسبة لمتغير المدرسة فقد بلغت عدد المدارس 30 مدرسة موزعة كالآتي:

الجدول رقم(2)

صفة المدرسة

النسبة	العدد	صفة المدرسة
54%	18	حكومية
36%	12	خاصة

- ثبات أداة البحث (الاستبانة):

أجرى الباحث اختبار مدى الاتساق الداخلي، لفقرات أداة الدراسة، من خلال حساب معامل كرونباخ ألفا (Cronbach alpha Coefficient)، ويعتمد أسلوب كرونباخ ألفا على اتساق أداء الفرد من فقرة إلى أخرى، و

يشير إلى قوة الارتباط والتماسك بين فقرات المقياس، ويزود معامل ألفا بتقدير جيد للثبات. وعلى الرغم من عدم وجود قواعد قياسية بخصوص القيم المناسبة لمعامل كرونباخ ألفا لكن من الناحية التطبيقية يعد $(\alpha=0.60)$ معقولاً في البحوث المتعلقة في الإدارة والعلوم الإنسانية، حيث بلغ معامل كرونباخ ألفا للاداة (0.87)؛ حيث يعتبر معامل الثبات (كرونباخ ألفا) مقبول إذا زاد عن (0.60).

• نتائج الدراسة

- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات اداة البحث

الجدول (3)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات " مدى فاعلية الحساب الذهني من وجهة نظر معلمي الخامس الابتدائي في تدريس مادة الرياضيات في مديرية التربية والتعليم في عين الباشا في محافظة البلقاء في المملكة الأردنية الهاشمية

الرقم	العبرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة
6	يستطيع الطالب من خلال الحساب الذهني أن يرسم الاشكال ويعرف اسماءها.	3.3	0.709195402	82.5
4	يجعل الحساب الذهني الطالب قادرا على قراءة وتفسير الجداول	3.266667	0.885057471	81.66667
1	يستطيع الطالب من خلال الحساب الذهني أن يحل المشكلات المتعلقة بالتناسبية.	2.9	1.949425287	72.5
3	يمكن الحساب الذهني الطالب من وضع المعلومات منظمة في جدول.	2.833333	1.53591954	70.83333
2	يستطيع الطالب من خلال الحساب الذهني أن يختار أدوات القياس الملائمة للمقادير.	3.075	1.402298851	76.875
10	يستطيع الطالب من خلال الحساب الذهني أن يختار أدوات القياس الملائمة للمقادير.	2.666667	1.408045977	66.66667
5	يستطيع الطالب من خلال تعلم الحساب الذهني أن يقارن الأعداد و يرتبها	2.633333	2.088505747	65.83333
8	يسهل الحساب الذهني قدرة الطالب على حل المشكلات	2.6	1.075862069	65
9	يستطيع الطالب من خلال الحساب الذهني أن يرسم الأشكال المختلفة	2.6	1.414942529	65
7	يساهم الحساب الذهني في التعرف بعض الرسومات وإنجازها	2.566667	1.118390805	64.16667

يظهر من الجدول (3) أن المتوسطات الحسابية لفقرات " مدى فاعلية الحساب الذهني من وجهة نظر معلمي الخامس الابتدائي في تدريس مادة الرياضيات في مديرية التربية والتعليم في عين الباشا في محافظة البلقاء تراوحت بين 64% - 82.5% كان أعلاها للفقرة رقم (6) والتي تنص . يستطيع الطالب من خلال الحساب الذهني أن يرسم الاشكال ويعرف اسماءها. بمتوسط حسابي (3.3) وبدرجة مرتفعة، وبالمرتبة الأخيرة الفقرة رقم

(7) والتي تنص على يساهم الحساب الذهني في التعرف بعض الرسومات وإنجازها بمتوسط حسابي (2.56) وبدرجة متوسطة، وبلغ المتوسط الحسابي ككل (2.786667) وبدرجة متوسطة.

• تحليل فرضيات البحث

الفرضية الأولى: " لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية ($a \leq 0.05$) في مدى فاعلية الحساب الذهني من وجهة نظر معلمي الخامس الابتدائي في تدريس مادة الرياضيات تعزى لمتغير الجنس

للإجابة على هذا السؤال قام الباحث باستخدام اختبار ت للعينات المستقلة لإيجاد الفروق بين المعلمين والمعلمات مدى فاعلية الحساب الذهني من وجهة نظر معلمي الخامس الابتدائي في تدريس مادة الرياضيات تعزى لمتغير الجنس ، والجدول (4) يبين ذلك:

جدول (4)

الفروقات بين متوسطات مدى فاعلية الحساب الذهني من وجهة نظر معلمي الخامس الابتدائي في تدريس مادة الرياضيات تعزى لمتغير الجنس

الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	العدد	الجنس
2.739157635	1.693333	15	ذكر
0.407816092	3.473333	15	انثى

يظهر من الجدول (3) الفروقات بين متوسطات مدى فاعلية الحساب الذهني من وجهة نظر معلمي الخامس الابتدائي في تدريس مادة الرياضيات تعزى لمتغير الجنس ، حيث أظهرت النتائج وجود فروقات ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 لمتوسطات تقديرات مدى فاعلية الحساب الذهني من وجهة نظر معلمي الخامس الابتدائي في تدريس مادة الرياضيات تعزى لمتغير الجنس تعزى لمتغير المهني، وتعزى هذه الفروقات لصالح المعلمات .

الفرضية الثانية: " لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية ($a \leq 0.05$) في مدى فاعلية الحساب الذهني من وجهة نظر معلمي الخامس الابتدائي في تدريس مادة الرياضيات تعزى لمتغير صفة المدرسة.

للإجابة على هذا السؤال قام الباحث باستخدام اختبار ت للعينات المستقلة لإيجاد الفروق بين المدارس الخاصة والحكومية في مدى فاعلية الحساب الذهني من وجهة نظر معلمي الخامس الابتدائي في تدريس مادة الرياضيات تعزى لمتغير الجنس ، والجدول (5) يبين ذلك:

جدول (5)

الفروقات بين متوسطات مدى فاعلية الحساب الذهني من وجهة نظر معلمي الخامس الابتدائي في تدريس مادة الرياضيات تعزى لمتغير صفة المدرسة (حكومية، خاصة)

الوسط الحسابي	العدد	صفة المدرسة
2.5	18	حكومية
3.5	12	خاصة

يظهر من الجدول (4) الفروقات بين متوسطات مدى فاعلية الحساب الذهني من وجهة نظر معلمي الخامس الابتدائي في تدريس مادة الرياضيات تعزى لمتغير لصفة المدرسة ، حيث أظهرت النتائج وجود فروقات ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 لمتوسطات تقديرات مدى فاعلية الحساب الذهني من وجهة نظر معلمي الخامس الابتدائي في تدريس مادة الرياضيات تعزى لمتغير الجنس تعزى لمتغير المسمى المهني، وتعزى هذه الفروقات لصالح المدارس الخاصة.

• نتائج البحث:

أظهرت النتائج وجود فروقات ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 مدى فاعلية الحساب الذهني من وجهة نظر معلمي الخامس الابتدائي في تدريس مادة الرياضيات تعزى لمتغير الجنس هذه الفروقات لصالح المدارس الخاصة.

• التوصيات :

- من خلال ما توصل إليه الباحث من نتائج واستنتاجات فإنه يوصي النتائج بما يأتي:
- إن الحساب الذهني يؤدي إلى زيادة قدرة الطالب على أداء العمليات الحسابية المعقدة.
- يجب عمل دورات مستمرة لمدرسي الرياضيات من أجل تنمية قدراتهم على تدريس الحساب الذهني .
- تحتاج الحياة اليومية إلى عمليات ذهنية سريعة ولذلك يجب التركيز على تنمية قدرة الطالب على عملية

الحساب الذهني

الخاتمة

بعد الحمد لله والشكر له والصلاة والسلام على نبيه محمد تحدث هذا البحث مدى فاعلية الحساب الذهني لدى طلبة الصف الخامس ووجد الباحث أن الحساب الذهني يزيد من قدرة الطالب على التعامل مع المشكلات وحلها أسرع وذلك لأن استخدام الورقة والقلم قد يحتاج إلى وقت كثير لذلك يجب تنمية هذه المهارة لدى الطلبة لزيادة قدرتهم على حل المشكلات .

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

- عساف، سميح، (2003)، أساليب تدريس الرياضيات: مهارة التقدير والحساب الذهني. المدرسة العربية، ص 58.
- النعيمي، حمدية محسن علوان، (2009)، أثر استخدام إستراتيجيات الحساب الذهني في التحصيل والتفكير الإبداعي لدى تلميذات المرحلة الابتدائية وميلهن نحو مادة الرياضيات. رسالة دكتوراه. كلية التربية جامعة بغداد، ص15.
- زينه، فريد. (1997). الرياضيات مناهجها وأصول تدريسها. ط2 دار الفرقان للنشر والتوزيع: عمان، ص 45.
- عبد الكاظم، تغريد : 2013 استخدام إستراتيجيات الحساب الذهني الأكثر شيوعاً عند معلمي الرياضيات، ص40.

المراجع الاجنبية:

- Bassarear,T,(2001) : Mathematics for Elem entary Scool Teachers , Keene State College, Second Edition, Newyork.
- Department (2001) : Training number sense and mental arithmaie computations new south wales through the de partment of education and training, 2001, P7.
- NCTM (2000). Principles and standards for school Mathematics. Reston.P:21

عنوان البحث

تقنية القناع في المسرحية العربية الشعرية المعاصرة

م. د. خلود جبار عبيد الشطري¹

¹ وزارة التربية / العراق

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21135>

تاريخ النشر: 2021/11/01م

تاريخ القبول: 2021/10/23م

المستخلص

تسعى دراسة البحث إلى الكشف عن القناع في القصيدة الشعرية المعاصرة، من خلال دراسة جمالية القصيدة وبيان الأثر الذي حققه القناع في بنية النص الشعري. إذ يعني القناع في المسرحية الشعرية المعاصرة منظومة من الأفكار التي تدور في حقل دلالي واحد، وظاهرة أدبية بمظاهر مسرحية شاهدة للعيان. مثل الفرجة، وخيال الظل، والحكواتي.. وغيرها. ويكون المؤلف هو السارد الضمني للأحداث بوجوه عده وشخصيات متنوعة. إذ لعبت تلك المظاهر للمسرحية الشعرية دوراً مؤثراً في تأصيل ظاهرة المسرح العربي، ناهيك عن تأثر الأدب بشكل عام في الموروث الشعبي. تأثر القناع في المسرحية الشعرية بلغة ثرية قادرة على تحطيم الصبغة اللغوية القاموسية وإستبدالها بدلالات شعرية جديدة ذات معانٍ مؤثرة. وعززت الهوية العربية بالأفكار التي خلقت أعمالاً درامية شعرية مختلفة، تعدد وظائف القناع فيها. وتتضمن الدراسة في البحث الموسوم " تقنية القناع في المسرحية العربية الشعرية المعاصرة " أربعة فصول: إذ تناول **الفصل الأول** مشكلة البحث وهدفه المتمثل بوظيفة القناع الجمالية في المسرحية الشعرية وتأثيراتها الفكرية الجمالية. فيما تناول البحث في **الفصل الثاني** مبحثين: **المبحث الأول**: جماليات القناع في القصيدة العربية المعاصرة. **المبحث الثاني**: القيمة الجمالية والفكرية في المسرحية الشعرية المعاصرة. وخصصت الباحثة **الفصل الثالث**: لإجراءات البحث والتي تضمنت اعدادها تحليل العينة حيث تم إختيار مسرحية عربية للشاعر. (معين بسيسو) لغرض تحليلها قصدياً لما يتواءم مع موضوعة البحث. وتناولت الدراسة البحثية في الفصل الرابع النتائج والإستنتاجات وقائمة المصادر والمراجع.

RESEARCH ARTICLE

THE MASK TECHNIQUE IN CONTEMPORARY ARABIC POETIC PLAY

Dr. KHLOOD JABBAR UUBID¹¹ Ministry of Education, Iraq.HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21135>

Published at 01/11/2021

Accepted at 23/10/2021

Abstract

The Research study seeks to reveal the mask in the contemporary poetic poem by studying the aesthetic of the poem and showing the effect that the mask has achieved in the structure of the poetic text. As the mask in contemporary poetic theatrical means a system of ideas that revolve in one semantic field and literary phenomenon with theatrical manifestation that are visible to the eye, such as watching, the shade of shadow, the storyteller, etc.. the author is the implicit of the event with several faces and personalities. If these players played, noodles play an influential role in rooting the phenomenon of the Arab theater, not to mention the impact of literature in general in popular heritage. The mask was affected by the noodles in a rich language capable of smashing dampness and replacing new lattice with an impressive meaning. The Arab identity has enhanced ideas created by different radicals, which multiple mask functions. The study in the research tagged "The Mask Technique in Contemporary Arabic Poetic Play" includes four chapters. The first chapter dealt with the research problem and its objective represented in the function of aesthetic effects. In the second chapter, the research dealt with two topics:- The first topic:- the aesthetic of the mask in the Contemporary Arabic poem. The second topic:- the aesthetic use of mask in the contemporary poetic play. The Researcher devoted the third chapter to the Research producers, who preparation included the analysis of the sample, where an Arabic drama by the poet(Moeen Bseiso) was chosen for the purpose of analyzing it intentionally, when it lists with the subject of the Research. The fourth chapter deals with the Research study:- results, conclusions, a list of sources and references.

الفصل الأول

الإطار المنهجي

أولاً: - مشكلة البحث:

تعد المسرحية الشعرية جزء مهم من تراث الشعوب، وقد يحتاج الشاعر في سرد القصيدة إلى التخفي وراء أداة فنية فيها فسحة من الحرية إثناء تجربته الشعرية في فن الدراما، وتحتاج الشخصية في المسرحية الى مجموعة من الأصوات التي يرتقي بها النص الشعري. ويتميز بتزين بلاغيته، والقناع بالمعنى الكوني العميق وسيلة فنية للتعبير، عن ذات الشاعر بتقنية مستعارة بلاغية بلسانه للتعبير عن موقف يتذكره الشاعر أو يعيشه و يتحدث من خلاله عن شخصية تاريخية أو أسطورية أو شخصيات حديثة ومعاصرة وغيرها.

كذلك في الدراما الشعرية فالمسرح والشعر كلاهما. إستخدام القناع بأسلوب تعبيرى في الأدب العربي الحديث والمعاصر.

ومن هنا تحاول الباحثة أن تحدد تقنيات القناع لتبحث في سؤالها الإفتراضي: حول ماهية الأسباب والدوافع الفنية والفكرية وفي توجيه ذات الشاعر وإضاءات تجربته الدرامية للشعر والقناع وتعميق مساحته الفكرية في تشخيص ثقافة القناع وآثرها الفني على الشعر والدراما الشعرية حديثاً.

ثانياً: - أهمية البحث والحاجة إليه:

تأتي أهمية البحث في ما يقدمه القناع من أهمية في القصيدة والمسرح ومن خلال ما يقدمانه من تقنيات للقناع والدوافع الفنية والفكرية في تعميق مساحة الشاعر الاديب الفكرية والأدبية في المجتمع.

ثالثاً: - هدف البحث:

يهدف البحث الى الكشف عن القناع، والرمز والمعنى الذي يتخفى وراءه الشاعر وأهمية الدوافع الفنية والفكرية لذلك.

رابعاً: - حدود البحث:

الحدود الزمانية: إختارت الباحثة عينتها من المسرحيات التاريخية من القرن الثالث الهجري.
الحدود المكانية: العراق.

حدود الموضوع: دراسة تحليلية لمسرحية ثورة الزنج.

خامساً: - تحديد المصطلحات:

يعد مصطلح القناع واحد من المصطلحات التي أستخدمت في الأدب بشكل عام والمسرح بشكل خاص سيما وأن الإختلاف فيما يقدمه في الأدب والمسرح يمتاز بخصوصية الأسلوب والوظيفة وقد عرف قديماً وحديثاً بمجموعة من الأعمال الأدبية والمسرحية.

القناع اصطلاحاً في معجم ابن منظور:

القناع مصطلح مسرحي أساساً لم يدخل عالم الشعر الا في مطلع القرن الماضي ليؤدي وظيفة جديدة تختلف نسبياً عن الوظيفة التي كان يؤديها في مجال المسرح.

وهو أيضاً ((وسيلة فنية لجأ اليها الشعراء للتعبير عن تجاربهم بصورة غير مباشرة تقنية أو مستحدثة في الشعر

العربي المعاصر شاع استخدامه منذ ستينات القرن العشرين بتأثير الشعر الغربي وتقنياته المستحدثة للحديث عن شخصية تراثية و تجربة معاصرة بضمير المتكلم وهكذا يندمج في القصيدة صوتان: صوت الشاعر من خلال صوت الشخصية⁽¹⁾.

القناع هو الأسم الذي ((يتحدث من خلاله الشاعر متجرداً من ذاتيته اي أن الشاعر يعمد الى خلق وجود مستقل عن ذاته وبذلك يبتعد عن حدود الغائية والرومانسية... وهو الوسيلة الى الخلق الفني المستمر عن الشاعر))⁽²⁾ ويعرف لغويًا: على إنه حالة من الإمتزاج والتماهي والتداخل، بين شاعر معاصر وشخصية أخرى تاريخية أو واقعية أو ضمير غائب، يستدعيها الشاعر لتستنطق خلال النص بدلاً عنه. الى درجة إن القارئ لا يستطيع أن يميز تميزاً جيداً صوت الشاعر من صوت الشخصية.

التعريف الإجرائي:

تعرف الباحثة (القناع) بوصفه ثقافة تقوم بإظهار وجهة نظر تاريخية أسطورية كما إنها تتمثل على حالة من الوعي والإرتباط الوثيق بالحدثة والمعاصرة. يتحدث عنه الشاعر ليؤدي وظيفة فنية تختلف نسبياً عن (القصيدة والمسرحية) من حيث العناصر الفنية للجنسين الأدبيين، و عرف الشعراء بشكل عام والعرب القناع قديماً وحديثاً في المسرح والشعر.

الفصل الثاني

الإطار النظري

المبحث الأول (جماليات القناع في القصيدة العربية المعاصرة):

يرجع بعض الباحثين في ربط (القناع) ب (بالرمز) كأسلوب أدبي اي فن الشعر وله جذور قديمة في القصيدة العربية آنذاك. إذ أن العديد من الشعراء العرب تقنعوا في تعبيرهم بالقصيدة، بعد أن إستنطق الشاعر سيفه ورمحه وفرسه وحيواناته التي تتجانس مع التواءات النفس، واحياناً يكون حضور (القناع) في نتاجات الرواد اقل كثافة من (الرمز) بالنظر لحدثة عصره في مفهوم القصيدة آنذاك. إذ تمثلوا في قصيدة (القناع) الفردي بالشمولي القومي والحضاري والإنساني في إعادة خلقه بعد أن يبلغ القناع في الشاعر حد الإمتزاج والإتحاد ايماناً بأن التخزين الأدبي هو تخزين تفاعلي وليس تخزيناً تراكمياً⁽³⁾.

وقد يتفق بعض الباحثين والشعراء في مستوى التحولات التراثية (للقناع) إذ عد هؤلاء أن هناك تواحداً بين طريقة استخدام (القناع) للشاعر. وهذا الرأي جاء متفقاً عليه لما يحتله (القناع) من مكانه أدبية ((وأرتباطه عند العرب بالجانب الهزلي في إنتقاد تصرفات وحركات الناس وتقليد أصواتهم وسمي هذا النوع (بالسماجة) أي تلبس أصحابهم أقنعة على وجوههم))⁽⁴⁾.

ف (القناع) بقدر ما هو إخفاء لصورة الوجه وملامحه وفي الوقت نفسه هو (نوع يرتبط بالرمز) الذي يعبر ((عن هوية النفس البشرية وذاتها كأسلوب تعبير في الادب العربي الحديث. فقد كان إشارة إلى دلالته وجاءت طريقة

(1) ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الاولى، (بيروت: د1. صادر)، ص70.

(2) شبكة الانترنت ralmanalmagazine.com

(1) راجع: ضياء الثامري، قصيدة القناع في الشعر العربي الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، 1991. ص19.

(2) المصدر السابق نفسه، ص19.

إستخدام الشاعر (القناع) مكتوبة على غلاف مجموعة (أدونيس الشعرية) الموسومة في أغاني (مهيار الدمشقي لأدونيس) الى طريقة جديدة في التعبير الشعري، إبداع شخصية جديدة تتقصد خواطره ومشاكله ونوازهه وتجسد حياته وتجربته في شخصية مهيار الدمشقي⁽⁵⁾.

إن الإختلاف بين شاعر وآخر، في إستخدام وسائل التعبير الشعرية (القناع) ضرورة فرضها ((التطور العام في معنى الشعر، ومهمة الشاعر وكذلك كان إختلاف إطار القصيدة الجديدة عن الإطار القديم ضرورة يفرضها ذلك التطور نفسه.. فالإطار القديم في حياة القصيدة المعاصرة كانت فترة إستكشاف ونضوج الكلمة والخروج شيئاً فشيئاً بالمستوى التقليدي للقصيدة التاريخية ولو قارنا قصائد.. نازك الملائكة، السياب، البياتي، صلاح عبد الصبور التي كتبت بعد أطر أساليب حديثة ومعاصرة مصاحبة في بروز نزعة درامية جديدة للقصيدة لوجدناها تختلف تماماً في صناعة الرمز والمضامين الفكرية الا إنها اعتمدت على شخصيات تراثية وقصائد تعبر عن أزمة صحية ونفسية للشاعر))⁽⁶⁾

إن (القناع) في قصائد السياب له مضامين إجتماعية وإنسانية ترتبطان (بالحكاية الشعبية) حيث تلتقي بدرامية القصيدة وتتطور على شكل قصة شعبية لها جذور أسطورية عراقية في شعر السياب، فمثلاً وصف الطبيعة اذ إستفاد (السياب) من العنصر القصصي والسرد الشعبي (لأنشودة المطر) حيث تلبس القناع وصفاً موضوعياً في المجال الذي تتحرك به الشخصيات وما تقوم به من أفعال، (فالمطر والحبیب والحبیبية) في لحظة وقوف يتأمل بها الشاعر التراث الشعبي والشناشيل وبنات الجلي والباشا فقد اضفى على تلك الشخصيات رمزاً شعبياً من خلال استنطاقها والتحدث معها واستدعائها والدعاء لها، فبقي صوت (السياب) يذوب في كل الشخصيات، فأصبح هو البطل كما تحول صوت (القناع) هو الآخر الى صوت الشاعر. ((وهنا تعاضدت دعوة ت.س اليوت للعودة الى التقليدية التراثية مع مقاومته بضرورة إيجاد معادل موضوعي يكون موازياً للعواطف والأحاسيس: بطريقة غير مباشرة، عندما يركز المبدع جهده في خلق شيء محدد: فكما زاد انفصال شخصيته عن عقله الخالق، كلما زاد اكتمال عقل الفنان، وزادت قدرة عقله الخالق على تفهم المشاعر المختلفة التي هي مادة الفن))⁽⁷⁾

وقد عمد (السياب) الى إدخال جزء معين من النص الموظف وفقاً لحاجته منه وضرورته إليه ((اذ يحاول السياب خلق نوع من التوازن بين تضمين القصيدة فيعمد الى تحديث او تفصيح النص الموظف وترتيبه بشكل منسجم مع كيان القصيدة معنى وبناء أي إنه يصدرها النص الشعبي في إطار حركة القصيدة مع الاحتفاظ بروح النص القديم وأجوائه وصوره))⁽⁸⁾.

قصيدة (سفر أيوب)

من حيث الموسيقى والصورة والسياق اللفظي وطريقة بناء القصيدة لم يتبقى فيها (القناع) مجرد أسلوباً موضوعياً للتعبير في الشعر، كمصطلح نقدي في قصيدة (سفر أيوب) تبدأ أصوات (القناع) في إستغاثة أيوب في المقطع الأول فأيوب هنا (قناع معاصر) يبحث عن (غيلان) (واقبال) وخلصه من عذاباته أو عن معجزة تنتشله من

(5) محمد حسين الأعرجي: فن التمثيل عند العرب، (بغداد: وزارة الثقافة والفنون، سلسلة الموسوعة الصغيرة، 1977)، ص45.

(6) د. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر: قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، (بيروت: دار العودة، 2007)، ص 239..

(7) محمد علي كندى و راضي جعفر: مفهوم الشعر عند السياب، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة)، 2008. ص153.

(8) مناف جلال عبد المطلب، المصدر نفسه، ص35.

مرضه ودائه ((وبذلك بدأ قناع القصيدة يتلبس وجوداً معاصراً آخر، يتصف بسمات جديدة مغايرة لواقعه التاريخي ومن ثم يفقد حضوره الموضوعي الذي يبعد القصيدة عن غنائية الشاعر لأنها عادت إليه مرة أخرى، بعد أن حرق (السياب) غشاء قناعه في القصيدة وظهر شخصه بشكل مباشر في تجربة القصيدة ((⁽⁹⁾

((من خلل الذخان والمداخن الضخام

تمج من مغار قابيل على الدروب والشجر

ذراً من النجيع والضرام

أسمع غيلان يناديكم من الظلام

من نومه اليتيم في خرائب الضجر

سمعت كيف دق بابنا القدر ؟

فأرتعشت على إرتجاف قرعه ضلوع؟

ورقرقت دموع ؟

فأختلس المسافر الوداع وانحدر؟⁽¹⁰⁾

ويعزف (القناع) برموز مختلفة في قصيدة (السياب) (مرحى غيلان) على إنسيابية صوت (بابا-بابا) فترسم حياة الشاعر:

يفتح النص بلفظة (بابا-بابا) التي تدوقتها حاسة السمع وسرحت بها، ذلك النداء الحلمي الذي إنتقل به الشاعر إلى مرحلة الصفاء الروحي الخلاق. يتحول (القناع) إلى مستوعب لعملية بدأ التكوين التي أسقطت على الطبيعة فيستنطق (عشتار) الخصب والنماء لتزويد الأزهار رغم وحشة المكان وعمته ويبقى صوت غيلان عالماً في سمع الشاعر وبصره. كما جاء شكل (القناع) في كلمة (بابا-بابا، عشتار، بويب، سيزيف)، فدلّت في تشخيصاتها المختلفة عن حالات النفس المتبادلة عند سماع كلمة (بابا-بابا)⁽¹¹⁾.

يرى د. (عز الدين اسماعيل) إن القناع نوع من الرموز المتجاوبة يجسدها فيها الإنسان وجهة نظر شاملة في الحقيقة الواقعة.. قائمة على علاقات جدلية تعود الى رموز الأسطورة لكي تخضع الى ما أسماه (منطلق السياق الشعري) شأنها في ذلك شأن الرموز غير المرتبطة في الاسطورة⁽¹²⁾.

وقد اقترب من هذا الرأي د. (عناد غزوان) حيث يرى أن الشاعر الحديث استخدم أنواعاً متعددة في (القناع) يرجع جذورها الى (الأسطورة) ويقول:

إن الإنسان يعيش عالمين (عالم الحقيقة والواقع او المحيط الموضوعي) ومنه تتطور (لغة منطقية Logicaillange) تعبيراً عن الحقيقة والفعل وعالم الخلق والإبداع أو عالم الفن ومنه تتطور لغة أسطورية (Mythicallanguage) فيعبر عن الأمل والرغبة والمعتقد والخيال وتلك اللفظتين شائعتين في كلتاها بيد إن

⁽⁹⁾ د. رعد أحمد علي الزبيدي، القناع في الشعر العربي المعاصر، الطبعة الأولى (دمشق: دار الينابيع، 2008)، ص95.

⁽¹¹⁾ بدر شاكر السياب، الاعمال الشعرية الكاملة، الجزء الأول. (دمشق: درامية، 2006) ص149.

⁽¹²⁾ ينظر: د. علياء سعدي، الصورة في شعر الرواد: دراسة في تشكيلات الصورة الطبعة الأولى، (بغداد: دار الشؤون الثقافية، العامة، 2011)، ص186.

⁽¹²⁾ ينظر راجع: عز الدين إسماعيل، المصدر السابق نفسه، ص214-215.

(اللغة المجازية (Metaphorical language) للشعر هي في الأساس أسطورية وليست منطقية، والواقع إن (القناع) الأسطوري الشعري المعاصر أعتمد على الرموز في شخصية محورية واحدة تطورت من خلال تحاورها مع الشخصيات الأخرى ويأخذ ذلك شكلاً تدريجياً في إعتقاد أسلوب الحوار في نقل الصراع وتنميته وقد يقتضي ذلك إرتفاع في درجة التوتر بمعنى إن قصيدة (القناع) في العصر الحديث تنبثق عن الوصف والوزن والقافية فتقوم في تقديم الأحداث مباشرة بنقل تجربة (القناع) عبر تجسيد درامي (13).

إن الجميل في شعر (البياتي) ازدواج القوى الفعالة والمتضادات في المثل عند (بيكاسو) الضد يسبق الايجاب (14) ولعلاقة الشاعر بالارقام وتحديده الرقم (7) حيث كون لها علاقة في الزرادشتية ففي شعره نقراً: البوابات السبع (السنوات السبع)

قال ((انتظروني عند البوابات السبع

سنوات سبع مرت

كبرت اشجار الغابة فيها)) (15)

استطاع (البياتي) أن يعطي قناعاً للمرأة بصورة متعددة ومتنوعة ثرية بالدلالات الدامية التي تعبر عن حبه وحزنه ففي قصيدته (اغنية الليل) يقول:

((الليل سكرنا وكأسنا

الله لا يحرمني الليل ولا مرارته

في ركني الليلي في المقهى الذي تضيئه مصابيح حزنه

حزينة كحزن عينيها اللتين تخشيان النور في النهار

عينان سوداوان

نضاحتان بالجلال المر والاحزان)) (16)

وصف الشاعر قناع للمرأة في ذكر بعض الأماكن الليل ومكان المقهى والحببية كي يعبر عن حالة الشاعر وحببيته وقد اتحد (القناع) في تشكيل صورة ما بين (شعر صورة وشعر فكرة) في خلق جو ايحائي معبراً عن التجربة الشعورية بلغة شعرية في خلق معادلة شعرية، من الوصف والشرح التي نقلته الى ان يعيش الموقف الشعري الذي مر به الشاعر في استحضار اقنعة تعبر عن ذاتها مجازياً او تشبيهاً او استعارة او اقنعة تمثل تدفق اللغة الشعرية المؤثرة في تجربة هذا الشاعر فقد وجد الشاعر من العلاقات بين الكلمات ما يدعم هذا التأثير في نفس المتلقى وضع البياتي اقنعة لصور شعرية تجعله المحور الذي من خلاله تعطي المكانة الملائمة للقصيدة ((عند ذلك علاقات جديدة للتشخيص والتجسيم والتجربة وتراسل الحواس وتبادل المدركات والصفات)) (17)

فقناع قصيدة (القمر الاسود) اعطى صورة للزعيم الجزائري الذي قتله الفرنسيون في زنزانه في السجن فقد رثاه

(13) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص 214-215.

(14) ينظر: د. إحسان عباس، إتجاهات الشعر العربي المعاصر، (الكويت: المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، 1978)، ص 15-155.

(15) عزيز السيد جاسم، الإلتزام والتصوف في شعر البياتي، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الشؤون الثقافية العامة، 1990)، ص 170-171.

(16) سهام حسن خضر الحميري، إشكاليات التلقي في الشعر العربي الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد: 1999، ص 193-194.

(17) عمران الكبيسي، لغة الشعر العراقي المعاصر، ط1، (الكويت: 1982) ص 80.

بقوله:

((قمر اسود في نافذة السجن وليل

وحمامات وقرآن وصبي

اخضر العينين يتلو

صورة (النهر) وفل

من حقول النور افق جديد

قطفته يد قديس وثائر

ولدته في ليالي بعثها شمس الجزائر))⁽¹⁸⁾

أن (القمر الاسود) قناعاً استخدمه الشاعر للمناضل الافريقي الاسمر وهو رمز للحداد على الشهيد او رمز الى التيه والتشاؤوم ((فان استخدام هذه العلاقات الجديدة تستطيع تحطيم دلالات الصيغ والقوالب الجاهزة والمعنى القاموسي للالفاظ باستخدام دلالات شعرية جديدة ذات معان عميقة ومؤثرة في الملتقى فجمع بين المتقاطعات عن طريق التماثل او التضاد، القمر الاسود، والليل الحزين والحمامات والقرآن الكريم والطفل اخضر العينين يقرأ سورة النهر وفل ابيض قادم من حقول النور))⁽¹⁹⁾

افاد الشاعر من المورث الشعبي والأساطير والتاريخ في خلق اقنعة شعرية معاصرة وتوظيفها بما يتلائم مع متطلبات العصر. ف (القناع) هو الوسيلة التي يلجأ اليها الشاعر لتوصيل مشاعره وافكاره بطريقة منقبة (ان جاز التعبير) واشاعة مناخ اسطوري قائم على العلاقات القديمة البلاغية والحديثة. (كما ان الموروث الشعبي) هو المادة التي نهل منها الشعراء المحدثون بصورة عامة سواء كان (السياب او نازك او البياتي) وغيرهم. وذلك بسبب تأثير هذه الاقنعة بانجازات الشعر العاطفي والعلاقات البلاغية القديمة التي كانت تسيطر على مكونات الرموز من حجاز واستعارة وتشبيه في تضريب الصورة وكأنها تفكك اثر نشؤ مدارس ادبية حديثة كالدائنية والسريالية التي تأثير بها الشعر العربي الحديث، فان تلك المدارس اثرت في عدد غير قليل من الشعراء وعلى وجه الخصوص (السياب) الذي افاد من (اليوت، ناظم حكمت، ولوركا، وشكسبير وغوته).

المبحث الثاني

القيمة الجمالية والفكرية في المسرحية الشعرية المعاصرة:

لعبت وظيفة (القناع) على كشف الحاضر وتطوره، وسط تلك الفوضى في معالجة مشكلة إنسانية خالدة تصلح لكل العصور، كما يقول د. محمد مندور ((إن الإستعمال المجازي للقناع في المسرحية الشعرية يمكن أن يصبح وسيلة للدراك العميق وقد أشار اليوت الى ذلك في مقالاته المختارة بقوله: أن ما يميز الدراما الشعرية عن الدراما النثرية إنما هو نوع من تضاعف الفعل الدرامي كما لو أن هذا الفعل يحدث في مكانين في آن واحد))⁽²⁰⁾.

فالقناع في المسرحية بدأ بالكشف التاريخي والموروث الشعبي عبر جسور الحداثة دون أن يخفي نفسه كلياً لذا بدأ بعمومه مقلداً للاساليب الأدبية الغربية إلا أنه سرعان ما شرع يبحث عن هوية عربية يرمز لها بالتراث الشعبي

⁽¹⁸⁾ عبد الوهاب البياتي، القمر الاسود، (القاهرة: ب.ت)، ص 367.

⁽¹⁹⁾ سهام حسن خضر الحميري، المصدر السابق نفسه، ص 196.

⁽²⁰⁾ عبد الستار جواد، من المسرح الشعري، (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1979) ص 25.

وبأسلوب الحوار الغنائي.

فقد إستعار (القناع) من الأسطورة لإدراك الواقع، وعند الرجوع الى حقب زمنية بعيدة في الواقع العربي نجد أن (قناع الحكواتي) يرمز إلى العرائس والدمى وإلى إنمات بشرية ويختفي محرك الدمى وراء الستارة ويقلد الأصوات المفترض إنه صوت الشخصية التي تمثلها الدمية (21) لذا ترى الباحثة إن المسرح العربي الحديث إستلهم ذلك الشيء ليكون مقلداً للأساليب الأدبية الغربية كما ذكر ذلك الدكتور (محمد مندور). ولكن حسب رأي الباحثة يبقى المسرح العربي موجوداً في إقنعة الحكواتي وصندوق الدنيا وغيرها. وبعدها جاء مقلداً لتراث الغرب بما للقناع من إمتداد في جذور المظاهر الدرامية إلى امدٍ طويل في تاريخ المسرح العربي.

وذكر د. محمد مندور عن الأقنعة الشعرية في مسرح شوقي صوراً. (2)

وهناك دلائل يطرحها بعض النقاد وعلى رأسهم (محمد مندور) في تأثير قناع شوقي بقناع شكسبير وإستخدامه التاريخ متعكراً عليه في قناع صممه لملكة مصرية لها جذور غريبة وهي من إختراع شكسبير حيث شخصية (شرميان) وصيفة (كليوباترا) يقابلها عند شوقي (شرميون) ما يؤكد إطلاع شوقي على نص (شكسبير ودرائدين) وتأثره بكلاهما.

وتفاعل (القناع) في شخصية (كليوباترا) ((للواقع بقراءة فاحصة واعية بابعاده وتقلباته وفي مرونة سياستها حيث بقية قابلة للتعديل وفقاً لما لها من ظروف، وقدرتها على الحدس بمخبوء الأيام وقد صدق حدسها هذا عندما دارت الدائرة على (أنطونيو) في اليوم الثاني من معركة البرية، وصدق عندما قرأت بعقلية إستباقية ((22) ما يضمه لها (اكتافوس) مدفوعاً بدوافع سياسية وشخصية وفي داخل التجربة الأدبية كان للشاعر والقناع تجربة شعرية من ذاتيتهم حيث أخذ يمنحان (كليوباترا) شيئاً من السمو الرفعة الى المستوى الإنساني الأكبر ((ويكون حضورهما في التجربة أعمق وأكثر دلالة وشعبية على خروجها خارج التجربة الفنية، وهو الشعور بالأزمة والإحساس بالعاطفة)) (23).

تجاوز (القناع) قيم المسرح الغنائي ومكانته في المجتمع المصري، كما تجاوز مع هذه القيمة، التمثيل الجمالي في مصرع كليوباترا و كون مستويات للعلاقة بين الشاعر والموروث وهو يقدم أفق للدراما الشعرية في تدفق عاطفي قوي كانت تتحكم فيه حقول دلالاته مشحونة بالمأساة الفردية التي لعبتها شخصية (المرأة) أو التي رمزها في صورته الشعرية المتدفقة بالإنفعال والعاطفة التي تظهر نرجسية الذات الفردية في تاريخ يريد أن يدافع عن اختبارات أخلاقية وسياسية كانت مخبأة في ثنايا خطاب النص ومكونة في بنيته العميقة، وقد يكشف لنا ذلك (القناع) المنطق الأساسي والنفعي من التاريخي الذي كان يعبر به الشاعر بشعره وتراثه وبمورثه وعالمه ورؤيته للعالم.

ومن تلك العلاقات أخذ (القناع) أشكالاً وصوراً متعددة فقد تكون رمزاً توصلنا سياسياً وطنياً يضم شخصيات عدت يجمعها موقف وطني واحد رغم الإختلاف بينهم سواء في الديانة والجنس ومن تلك العلاقة التي تضم كل من (حابي، وديون، وليسياس) وقناع الكراهية والبغض وهذه العلاقة تقف موقفاً مقابلاً لعلاقة الرغبة والحب، ويمثل

(21) ينظر: المصدر نفسه، ص25.

(22) محسن أطيح، الشاعر العربي الحديث مسرحياً، (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1977) ص47-76.

(23) المصدر نفسه، ص47.

(القناع) عدة خيوط متهرئة تتخلل نسيج شبكة العلاقات من الداخل وتتحدى هذه العلاقة في تلك الكراهية المتبادلة بين (كليوباترا) وبعض المصريين من جهة وقادة الرومان من جهة أخرى وهنا يكمن (قناعاً للمعارضة) والذي يتطلب به علاقة شخصيته يقوم بدور عائق للفاعل على تحقيق الرغبة، وقد تمثلت قناع تلك المعارضة المستأنسة من الفتيان الثلاثة لسياسة (كليوباترا) من جهة وللوجود الأجنبي من جهة أخرى.

أخذ (قناع الإقضاء) في أن تكون تلك العلاقة على النقيض من علاقة التواصل بواسطة التكاشف أو الأسرار وتحمل حيزاً ضئيلاً في نسيج شبكة العلاقات داخل المسرحية بين (كليوباترا) وحابي⁽²⁴⁾

ومن هنا نقول أن مسرح (أحمد شوقي) تقنع بشخصية تاريخية اختبىء وراءها ليعبر عن موقف يريده أو يحاكم نقائص العصر من خلالها عوضاً عن التطابق الذي أقامه أليوت ما بين (الشخصية - القناع، والشاعر - المؤلف) ذهب النقاد الى القول بأن مصطلح Persona ينبغي أن يستخدم ليشير بدل المؤلف الى المتكلم في القصيدة، إن كان فيها متكلم وبهذه الدلالة الواسعة والمناقضة تماماً بمفهوم اليوت ((وذلك إستناداً الى حقيقة إن هؤلاء النقاد لم يفترضوا وجود إي تمايز ما بين الشخصية التي لبست قناعاً والشخصية القناع، وإنما افترضوا وعلى النقيض من اليوت أن الأجود لفكرة التقنع، وللشخصية - القناع، وإنما هناك شخصيات وأصوات لها كينونتها الموضوعية المغلقة عن أي علاقة بالشعراء وبمعتقداتهم وأهدافهم⁽²⁵⁾

وفي نظرية التطهير عند (أرسطو طاليس) ف (القناع) إيقاعات شعرية لها وظيفة عضوية في نظريته التي خص بها التراجيديا في إثارة عنصرى الشفقة والخوف اللذين يكمنان في قلب كل إنسان بإثارة شفقة وخوف مسرحيين، وعند زوال الإنفعال يتم التطهير.

وقد إستخدم (أرسطو) تلك النظرية لما تحدثه الموسيقى في شفاء بعض الإضطرابات النفسية خاصة الإستماع للتراتيل الدينية والإبتهالات لما حدثه من تتاعم بين الإنسان والآله ومن هنا فإن (القناع) في المسرح الشعري أغرب الشعراء السابقين وشعراء ما بعد الحداثة والعرب منهم خاصة على كتابة المسرحية الشعرية فبرز (عزيز أباضة، وعلي أحمد باكثير، عبد الرحمن الشرقاوي، صلاح عبد الصبور وغيرهم) ممن أستفادوا من خبرات الغرب الذي خبر هذا الفن منذ أن عرفه (أرسطو) ولعل قدرة القناع في المسرح الشعري على الإستمرار وتجديد طاقته تراجع إلى تجاوبه مع واقع الحياة اليومية، وإستخراجه الشعر الكامن من هذا الواقع نفسه والذي كثيراً ما تُطمسه إيقاعات الحياة اللاهثة وصراعاتها⁽²⁶⁾

وفي مسرح (صلاح عبد الصبور) أفنعة متعددة شكلت دوراً هاماً في نسيج درامي من خلال مواقف أبطاله وصراعاتهم ومن هذه الأفنعة تكونت صوراً شعرية متنوعة في شخصية (الحلاج) كان لوظيفة (الإقنعة النقلية) التي يلتقطها وجه الشيء الحي بين أمريين مختلفين فصور الأشياء جامدة ومتحركة في إطارها المكاني والزمني وحرك الشاعر أفنعتة منتقلا في الشكل الخارجي دون الإشتغال الى ماضي صميم هذا الشكل من علاقات خفية

مثل:

وأحسست إني وحيد ضئيل كقطرة ظل كحبة رمل

(24) ينظر: عبد المطلب زيد، المصدر السابق نفسه، ص57-64.

(25) عبد الرحمن بسيسو، قصيدة القناع للشعر العربي المعاصر، الطبعة الأولى، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1999)، ص135.

(26) ينظر: د. نبيل راغب، فنون الأدب العالمي، الطبعة الأولى، (القاهرة: طبع في دار نوبار للطباعة، 1996) ص104.

ومنكسر تعس، خائف مرتعد.

والقناع هنا لا يتعدى النقل من الطبيعة مع مزاجتها لحركة النفس الداخلية لشخصية (الحلاج) فلم يجد لحالته إلا أن يصبح قطرة مطر أو حبة رمل ما يعبر عن الضياع والإنسحاق وسط بلايين ذرات المطر والرمل.

2- أقنعة إيحائية: تتطلب مهارة الكاتب وذكاءه فهي ترمز بصورة حسية وتزيد عن الأقنعة النقلية في درجة الإيحاء وعمق المعنى وكشف المواقف.(2)

وقد تسهم إلى حد ما في البناء الدرامي.

مثال من مسرحية الحلاج:-

كنا نلقاه بظهر السوق عطاشاً فيرونيا من ماء الكلمات جوعى فيطعمنا من الحكمة ويناد منا بكؤوس إلى العرش الرباني

إن وظيفة (القناع) في شخصية الحسين بكل الأزمنة وعلى يد كل الأدباء تأكيداً على إن هناك قيماً تصون الحياة وتستحق أن نضحى في سبيلها ((وثمة فراغ في عصرنا يحتاج إلى إستعادة النماذج الإنسانية العظمى في التاريخ الإنساني بأسره))(27)

وقد تحركت الأقنعة على النماذج الإنسانية السلبية التي تحمل رموزاً للجريمة وصورة تعسه وضحية أخرى في التاريخ مثل شخصية وحشي في مسرح عبد الرزاق عبد الواحد ومسرحية (الحر الرياحي)

((وحشي: قد كنت عبداً وقتها

عبد ذليل طامع عبث به نزوات هند

ياسيد الشهداء حمزة قد غدوت ضحيتك

أنا ما جنيت على حياتك ما جناه على موتك

أنا ذاك مثل اللعنة السوداء منذ غدرت بك

عدم تطارده الحياة

ذنب تحامته العصاة

قبر تحرك)) (28)

تعد تجربة (القناع) في مسرح الشرقاوي اذ يقول الأديب رفعت سلام في موقفه السياسي والفكري ضمن أعماله الأدبية : ((إن التجديد في مسرح الشرقاوي هو تدفق الأحداث نحو بناء كيانات جديدة قادرة على التوليد متمركزة في دلالات أكثر تعبيرية عن مخاض التجريب وهو يجمع بين الشعر والمسرح.. لقد قدم الشرقاوي تمظهرات هذه التجربة في مستويات هي عالمة في المسرح الشعري بكل ما يزخره من تساؤلات))(29)

وكدرع واقٍ للشاعر عمل (القناع) بتكشف عن رغبته في البوح بأعمق مكونات ذاته فأستغل (القناع) لمليء الأجواء المحيطة بشخصية (الحسين) والتي أخذت إنطباعاتاً في ذهن الجيل العربي بشيء إكتنز (الحقد والقسوة والوحشية) أقنعة تتباعد وتتقارب تتناهى وتتحدد.

(27) د. حسن محسن، المؤثرات الغربية في المسرح المصري، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1979) ص515.

(28) المصدر نفسه، ص516.

(29) د. عبد الرحمن بن زيدان، المصدر السابق نفسه، ص213.

إن تلك الأقنعة محيطة ببطل أسطوري في موقعه من التاريخ كبطل تراجيدي تتمثل في شخصية (الحسين بن علي) ذلك البطل الأسطوري دون أن ينسى الكاتب إن تلك الشخصية تمثل أمة بأكلها ودون أن ينسى إنه في هذا التقديم يسيئ بالخطاب المنفتح على الماضي لكثافة الحاضر وخلله وهو ما جعله يراعي طبيعته هذا البناء الجديد مستفيداً من أقنعة غنائية في القصيدة دون إقصائها ومستفيداً منها ومن الواقع والأحداث السياسية العربية دون الغائها.

تحدد (القناع) في تجربته عبد الرحمن الشرقاوي والتي وضعها السيد عيد الرحمن الشرقاوي كآلتي:

- 1- إفاد (الشرقاوي) من أقنعة التراث المصري الإسلامي بوجه خاص في أحداثه وشخصه.
- 2- أفاد (الشرقاوي) من الإقنعة التي تواجدت في المناطق الساخنة من التاريخ لذا فقد كانت أقنعة محملة بمسحة خطابية غنائية شكلت علاقة جدلية بين الماضي والحاضر.
- 3- أقنعة ثورية بعيدة عن الكلاسيكية في الشكل لتلوين الحوار بشحنات لغوية دينية أوجد (الشرقاوي) شكلها المسرحي سميت بالنوعية⁽³⁰⁾

وفي هذا الصدد

يقول د. (علي الراعي): ((لقد خلق الشرقاوي شعراً مسرحياً ولكنه حتى الآن لم يخلق مسرحاً شعرياً))⁽³¹⁾ وترى الباحثة خلاف ذلك أن مسرحية الحسين شهيدا تتمثل بقناع الواقع أولاً والمجتمع وفي شاعرية غنائية وذات شاعرة ثانياً: - حيث أصبحت رموز فاعلة ومنتجة في خلق دوافع جدلية بين جميع الأقطاب: -

((الحسين: فلنتذكروني لا بسفكم دماء الآخرين

بل فأذكروني بإنتشال الحق من ظفر الضلال

بل فأذكروني بالنضال على الطريق

لكي يسود العدل فيما بينكم

فلنتذكروني بالنضال))⁽³²⁾

ما أسفر عنه الإطار النظري:

من خلال ماتقدم توصلت الباحثة إلى مجموعة مؤشرات أسفر عنها الإطار النظري ستكون معياراً في إجراءات بحثها وهي على النحو الآتي: -

- 1- تأثر القناع بالتاريخ: إذ يتحول بهيمنة السياقات التي تحتوي شخصيات أسطورية مبتدعة أو تاريخية دينية مؤسطرة أو في متابعة الإرهاصات التي إنبتقت منها شخصية (كليوباترا) (الحسين بن علي) (ع).
- 2- قناع الموروث الشعبي: إذ يستنطق به الأديب التراث الأسطوري - السومري البابلي - الفرعوني - الإغريقي كما في (أنشودة المطر) (سفر أيوب) (مرحى غيلان).

⁽³⁰⁾ ينظر: عبد الرحمن زيدان، المصدر السابق نفسه، ص216.

⁽²⁾ المصدر نفسه، 217.

⁽³⁾ عبد الرحمن الشرقاوي، الحسين ثائراً الحسين شهيداً، الطبعة الأولى، (بيروت: الحمراء بناية كومودورسنتر، 1995)، ص440.

- 3- يكون قناع أسطوري مولعاً بالقناع وقبوله للواقع بكل أشكاله ، والبحث عن معجزة تنتشله من هذا القدر وهذا ما يشعرون بشدة المأساة والألم الذي يمكث في ذات القناع (الحسين ثائراً) (الحر الرياحي).
- 4- قناع تاريخي مركب: شكل نوعية في توحيد الرمز والتعرف على ثقافة الشخصية وقوامها الفكري والخيالي ومزاجها العام (مسرحية الحر الرياحي) (الحسين ثائراً).
- 5- قناع جمالي: يسعى لتطهير جمال الواقع من جانب آخر فيكون لنفسه من هذه المعاناة أيضاً من التأمل والتمتع بصور الليل وسكونه لأنه يخفي الدفء والأمان الذين ينتظرها القناع.
- 6- قناع نقلي (أو الأستعاري): ينقل الصورة الخارجية، دون النظر إلى صميم الشكل وما بداخله من علاقات خفية وقد يتحقق هذا النوع من مسرح صلاح عبد الصبور، إذ يكون أداة للتشبيه في قاموس اللغة في إستخدام بعض الأحرف مثل (الكاف) وهي كاف التشبيه (كقطرة ظل) وقد تكون أداة للتنذير وقد ترتبط تلك الأفتعة بطبيعة الإنسان البدائي الذي كان يرمز بالصور إلى الفكر أي إن الأسلوب البدائي يدل لا على الأشياء إنما على الكلمات.

الفصل الثالث

إجراءات البحث

- 1- منهج البحث وطرائقه:
- 1-1- اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي في تحليل العينة.
- 2- أدوات البحث: تتمثل أدوات البحث بما أسس له في الاطار النظري من مؤشرات ستعتمدها الباحثة لتكون معياراً ومؤشراً يتواءم مع تحليل العينة.
- 3- عينة البحث: إختارت الباحثة عينة بحثها قصدياً وسبب الإختيار يعود إلى:
- أ- إن المسرحية الشعرية (ثورة الزنج) هي العينة التي تنطبق عليها مؤشرات الإطار النظري وفق وظائف القناع المتعددة في النص جمالياً وفكرياً.
- 4- تحليل العينة:
- من أجل الوصول إلى تحقيق النتائج التي ترتبط بأهداف البحث، سوف تقوم الباحثة بتحليل عينة بحثها وهي على النحو الآتي:
- اولاً: أنواع الأفتعة المؤثرة مسبقاً: (قناع إسطوري، قناع تاريخي، قناع تاريخي مركب، قناع جمالي، قناع التراث الشعبي، قناع ديني) (متصوف)، قناع (نقلي).
- مسرحية ثورة الزنج: تأليف معين بسيسو
- اولاً: الحكاية

إستقى الكاتب (معين بسيسو) * مسرحيته من تاريخ (ثورة الزنج) في البصرة من القرن الثالث الهجري إذ ركز

* - معين بسيسو: ولد بمدينة غزة بفلسطين عام 1926، نهى علومه الابتدائية والثانوية في كلية غزة عام 1948، ومن أعماله المسرحية، أعمال، صغار، ثورة الزنج، الصخرة، العسافير تبني أعشاشها بين الأصابع ، محاكمة كتاب كلية ودمنة www.drmosad.comlindeex22o بحث منشور على شبكة الأنترنت.

على البطل العراقي (علي بن محمد) الفارسي الأصل الذي قاد ثورة العبيد وبعض قطاعات الفلاحين والثأرين في الوسط والجنوب ضد الخلافة العباسية آنذاك.. أبقى الكاتب تاريخ الموضوع مرتبط بصرخة الثورة بوجه الظلم من القرن الثالث الهجري وحتى القرن العشرين، حيث رمز آنذاك الى القضية الفلسطينية عبر التاريخ، وعلاقتها الجدلية بالإنظمة السياسية، على إعتبار إن تلك القضية هي القادرة على المرور أمام أعدائها والقادرة على هز عروش البلاد وتخليق ملامح للثورة العربية.

ثانياً: تحليل المسرحية:

تتكون المسرحية من مجموعة لوحات وهي على النحو الآتي:

أ- اللوحة الأولى : قدم لنا الكاتب (معين بسيسو) قناعان لشخصيتان من التاريخ ليعبر عن موقف يريده أو يحاكم العصر الحديث من خلا لهما (فالرجل التيكزز، والرجل الغسالة) يغسلان التاريخ ثم يعيدان صبغه مرة أخرى بالألوان. وللقناع هنا عدت دلالات، حيث اللون الواحد يقتل والحبر الواحد يقتل والوجه الواحد يقتل، وفي ذات الشاعر وسيلة عن وعي عامد ولهذا نجده يقوم في كيفية إستخدام القناع بقتل الأبطال والتاريخ ذاته وإعادة صبغاتهم من جديد ونشرهم على حبال الزيف والنخاسة. فيشكل القناع ضياع هوية وملاح الشخصية العربية فتضيع كل التفاصيل ولا يبقى غير ما يمكن أن يحقق ربما إذ أن الكلمة لا يكتفي أن تكون شاهد عيان ولا أحد يستطيع أن يعاقب من يقتل بالحبر حتى ولو كانت الضحية هنا التاريخ (قناع تاريخي مركب).

((الرجل التيكزز (مقاطعا):

الحبر الواحد يقتل....

واللون الواحد يقتل....

والأسم الواحد يقتل...

والوجهة الواحد يقتل...

والقلم إذا ضاجع محبرة واحدة يقتل...

الرجل الغسالة

يقتل من؟

الرجل التريكزز:

يقتل صاحبه...))⁽³³⁾

وللقناع الجمالي: وصف لوجه فلسطين التي أصبحت (منيكان) مجردة الملاح والهوية تعرض كواجهة في بعض المحلات العربية حيث أصبحت تنكاراً جميلاً يخزن في حقائب الشخصية العربية وقد إنسحب القناع عن حقيقة التاريخ لكي يتفاعل بشكل أفضل مع القضية وذلك في تكوين علاقة لقاء القناع مع الحقيقة، والشاعر هنا يرغب في أن يرى المعنى في كل شيء وفي أن يقطف الثمرة بعد أن إصابها الذبول بصورة شعرية ناضجة وفي أن يظهر (الحداثة) في أسلوبه أو صورته أو أفكاره وأن يميز سهولة بين القديم والجديد ففلسطين تدخل مرتدية جلباباً أسود مليء بالخير إحتجاجاً منها على تشويه وجهها وضياع ملامحه داخل غسالة المزايدين، ذلك الوجه

⁽³³⁾ معين بسيسو، ثورة الزنج، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، المطبعة الثقافية، 1970)ص7.

الزجاجي الذي يكسر كل صباح ليصنعوا منه قناعاً لغواني النضال الوهمي تلك المرأة هي (زوجة علي بن محمد) في ثورة الزنج وهنا قد لعب القناع دوراً هاماً في أن يكون قوة كافية وضعها الشاعر لكي تعيش الحاضر. وطفاء تلك المرأة التي تنتظر الثورة بطفلها الموعود الذي يقف بوجه الظلم وقد يستنهض القناع تاريخياً الزوجة بشكل تقريبي وهنا ميز الشاعر بين القديم والحديث بموضوعه اثرت في نفوسنا ومع ذلك فهو لم يحدث سوى تغيرات لبقية في المفردة الادبية في موضوع قديم وقد ابداع الاستاذ (لفنكستون لوتيس) حيث قال: ((ان الشعراء ذوي الحيوية الضعيفة هم كالسرطانات يخفون انفسهم جيلاً بعد جيل بقشرة اسلافهم))⁽³⁴⁾

ترى الباحثة ان الذي يمكن الشاعر في ان يعيش الحاضر هو الحيوية في أن يعيش الحاضر، ويتصارع مع الطريق ويستخرج منها اقنعة شعرية تصور انماط عصره ولوان القناع قد حمل الحقيقة بعدة معاني لتاريخ العراق أكثر مما تحمله لعصره إنه أبقى ساكناً بدق أبواب الماضي بشكل مباشر

((ولماذا وجهي أنا ياقتله

وجهي لوج زجاج يتكسر كل صباح...))

كي تصغ منه هذي المرأة وتلك المرأة عنقي يقطع، يغرس سارية في الأرض كي تخفف في هذي الريبة أو تلك الريبة))⁽³⁵⁾

وبذلك فقد أبقى معين بسيسو القناع في صراعه والصراع بين (قائد ثورة الزنج) والسلطة في الإرتباط وبين المعنى الذاتي والموضوع. وبهذا أصبحت اللغة هي الصورة الحية للقناع حيث أن تلك الصراعات كانت موجودة كفكرة في عصر وزمان ماضيين (قناع تاريخي).

ب- اللوحة الثانية: إن الصورة المأساوية للقناع في اللوحة الثانية تقترب بواقعيته من العبث والجنون المطلق، إذ يكون القناع محرك للأستمرارية منتقلاً من التاريخ في تقديم صورة واقعية (لوحة فلسطين) فالرجل الأسود المصلوب والمتسول بجمجمة يمسك بها قرب الصليب ووجوه لنساء داخل القفص، ورعاة للبرق أمريكيان ورجال بأزياء متعددة ووجوه متغيرة الألوان ، وقد يلتزم القناع بثلاثة دلائل هي بنية زمنية، بنية مكانية، وبنية منظور .

كما ويشكل القناع في البنية الزمنية شكل جمالي مطلق من توهج دلالي مستمر، يأخذ حرته من دون أي قيود. في حركة دائبة غير منفصلة عن حركة الأشياء أو سكونها وذلك عندما يفيق الرجل الغسالة (حركة) تتحرك الديكورات المتكونة من البشر، رجالان عريانان يلتحمان بسيفهما يصرخ الرجل الذي يرتدي المايوه قائلاً:

((مهندسون.....

مدرسون.....

واننا لعائدون...))⁽³⁶⁾

وفي البعد الزمني أخذ القناع يعتمد اللحظة الحاضرة في الإنطلاق نحو الحركة والفعل والذي لأياً به بالتفاصيل بقدر ما يكشف عبر فضاء التقطيع في إطار بنية غيابه تتجاوب مع ثنايا النفس. فقد يتشكل القناع من تركيبه

⁽³⁴⁾ سي دي لويس، الصورة الشعرية، ترجمة: أحمد مضيف الجنابي وآخرون ، (الكويت: مؤسسة الخليج العربي للطباعة والنشر، بغداد:وزارة الثقافة والإعلام دار الرشيد للنشر، 1982)، ص122.

⁽³⁵⁾ المصدر نفسه، ص10.

⁽³⁶⁾ معين بسيسو، المصدر السابق نفسه، ص20.

ذات ركائز موضوعية لكنها تعطي ألقنة دالة على خيال خصب فيسقط الزمن في ذات الشاعر الذي يصيره ذا خصوصية.

وبهذا تكون شعرية الكلمة نداء تراتبات زمنية خاصة في خلق قضاء يعول كثيراً على الزمن النفسي الذي يكون أكثر تجاوباً من الزمن الفيزياوي أو الطبيعي للكلمة الشعرية في المسرحية وهنا يتمثل القناع نداء مع الحاضر في الزمن الواقع على شفا التساقط في الغياب وبهذا يكون الشاعر قد رصد الزمن المهاجم الغائب في لحظة إصابته وقد يتعارض القناع بين زمن المستقبل الذي هو الجدار لتدفقات الحاضر يرجعه إلى الماضي ويتحول الماضي فيرسم رمزاً فيسهم على تقديم الصوت جمالياً للكاتب في التعبير عن ذاته (قناع نقلي).

وفي (الحوار) فإن معين بسيسو في هذه اللوحة أخذ يتجه على شكل دائرة مغلقة دون محاولة للخروج إلى حافة الأشكال الأخرى فالحوار يعود التكرار مرة أخرى يكمل الدائرة إذ لا يؤدي التكرار هنا صيغ الدهشة وتفاصيل المأساة بقدر ما يصبح مجموعة من الألقنة المكررة لا يمكن المفاضلة بينهما فالكلمات المكررة لاتلد دلالات درامية في العالم الذي صنعه بسيسو إنها تتحرك من سطر إلى آخر عجفاء عقيم، وهاهما الرجل الغسالة والتكرار يتبادلان.

وفي قناع أسطوري آخر لم يعد (عبد الله بن محمد) وسط حلبة الموت يعرف شيئاً لأنه منذ أول الحكم وهو لا يدرك تفاصيل المرحلة فقد توقف به القناع عند حدود التمرد والبسه ثياب التمرد التي تفقد الرؤية وجدلية العلاقة ما بين الثورة والسلطة، لقد أبحر بالسفينة كفرغ فاغرق الجميع معه لإرتفاع شدة الموج وإندفاعه السريع دون أن ينتظر صليبه وأن يصعد فوقه دون أن يعطي إسماً لإبنه المنتظر وبالتالي لم يستطع إختراق عباءة الحاضر الدامي عاجزاً على أن يمنح المستقبل غير هذه الأشياء المتناثرة هنا وهناك فتخرج وطفاء من دورة الزمان لتلد في القرن العشرين وعبد الله بن محمد يمضي إلى حتفه وإلى صليبه الداري قطع إحتسابه أحد الزنج وحينها تتصب الكمان للطفل الجديد الذي هو فعل الثورة (قناع ديني).

النتائج والاستنتاجات

النتائج:

من خلال عينة البحث اتضح للباحثة الوظائف الجمالية والفكرية للقناع في نص مسرحية (ثورة الزنج) التي مثلت عينة بحثها وفي ضوء أهداف البحث ظهرت النتائج كما يأتي:

- 1- شكلت وظيفة القناع مهمة أساسية سواء كان القناع رمزاً سياسياً أو تاريخياً أو اسطورياً أو دينياً متصوفاً أو نمطاً أصلياً فهو بالتالي يتميز في كل حالة بخصوصية رئيسية في وجود الرمز داخل الرمز لإخراجه وباستمراره داخل النص الدرامي الشعري إنما يعكس الزمن للشخصيات النموذجية في أعماق حالتها ووجودها. وبعدة وجوه تتطوي على محمولاتها الفكرية والشعورية وبذلك يختلف عن الرمز كون الثاني يحمل إنموذجا واحداً.
- 2- عبر القناع الجمالي في مسرحية ثورة الزنج عن منظومة من الأفكار والتي تدور في حقل دلالي واحد. إستندت على أشكال أدبية وشبه مسرحية متوارثة عن طريق مسرحنا العربي وأشكاله ومقوماته في نسق دلالي حمل المفردة صياغة أدبية تمثل ثقافة أمة على إمتداد العصور وتصب في صياغة جمالية للمسرحية الحديثة.

- 3- شكل الظهور التاريخي للقناع إرتباطاً بظاهرة أدبية وفرجوية (من الفرجة)، والتي لعبت دوراً مؤثراً في تأهيل ظاهرة المسرح العربي وتقويمه. فالقناع في الموروث الشعبي سواء في القصيدة والمسرحية الشعرية المعاصرة بالغة الثراء بسبب إرتباطها بالهوية العربية الشعبية، تلك الهوية التي لا حدود لها لما لها من أفكار وأشخاص وأبطال وأجواء وتقاليد والعادات والمقومات. فقد خلقت اعمالاً درامية شعرية بمختلف تعدد وظائف القناع فيها.
- 4- وفي ثورة الزنج كان للقناع الثوري تعبيراً عن التضايق من التاريخ الحقيقي في خلق جسراً للواقع بدلاً من الاسطورة. أي إنه مؤسس جديد يتخطى مفهوم التاريخ المؤسطر وذلك بتخطية حدود الزمان والمكان حيث أصبح المحور الذي تشكلت محمولاته وبذلك يختلف عن الرمز كونه الثاني يحمل نموذجاً واحداً.

الإستنتاجات

للقناع طاقة جمالية ثورية أتاحتها لنفسه وعملت على تحويل كل الأشياء والمحتويات إلى رموز تنطوي على تفعيل درامي شعري متحرك فتصبح الأشياء ذات رموز حسية ساعدت على اقتناص رمز الواقع بكل ابعاده حتى اصبح الشعر شعراً مكتمل الصورة الدرامية وبذلك لا بد ان يرجع الى جذور الأسطورة ولا يمكن الانفصال بينهما. الا في مجرى اكتشاف علاقات التناسل الموجودة في النص الدرامي الشعري والقصيدة الشعرية. فالقناع يعمل على تفعيل الترابط المستمر ما بين التاريخ المعاصر والشاعر.

المصادر

أ/ المراجع

1. إسماعيل (عز الدين). الشعر العربي: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية. بيروت: دار العودة، 2008.
2. أطميش (محسن). الشاعر العربي الحديث مسرحياً. بغداد: دار الحرية للطباعة، 1977.
3. الأعرجي (د. محمد) حسين. فن التمثيل عند العرب. بغداد، وزارة الثقافة والقنون. سلسلة الموسوعة الصغيرة، 1977.
4. الزبيدي (أحمد) رعد علي. القناع في الشعر العربي المعاصر. الطبعة الأولى. دمشق: دار الينابيع، 2008.
5. السيد عزيز (جاسم). الإلتزام والتصوف في شعر البياتي. الطبعة الأولى. بيروت: دار الشؤون الثقافية العامة، 1990.
6. الشراوي (عبد الرحمن) الحسين ثائراً - الحسين شهيداً. الطبعة الثالثة. بيروت: الحمراء بناية كومودور سنتر، 1095.
7. بدر شاكر السياب. الأعمال الشعرية الكاملة. الجزء الأول. دمشق: دار مية. 2006.
8. بسيسو(عبد الرحمن). قصيدة القناع للشعر العربي المعاصر. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1999.
9. بن زيدان (عبد الرحمن). التجريب في النقد والدراما الدار البيضاء. مطبعة النجاح الجديدة، 2001.
10. جواد (عبد الستار). في المسرح الشعر. بغداد: الحرية للطباعة والنشر، 1079.
11. راغب (نبيل). فنون الأدب العالمي. الطبعة الأولى. القاهرة: طبع في دار نوبار للطباعة، 1996.

12. زيد (عبد المطلب). أساليب رسم الشخصية المسرحية. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، 2005.
13. سعدي (علياء). الصورة في شعر الرواد: دراسة في تشكيلات الصور. الطبعة الأولى. بغداد: دار الشؤون الثقافية، 2011.
14. عباس (إحسان). إتجاهات الشعر العربي المعاصر. الكويت: المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، 1978.
15. عبد الكريم (راضي) جعفر. مفهوم الشعر عند السياب. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2008.
16. كندي محمد (علي). الرمز والقناع: في الشعر العربي الحديث: السياب ونازك والبياتي. الطبعة الثالثة. ليبيا: دار الكتب والوطنية، 2003.
17. لويس، (سي دي). الصورة الشعرية. ترجمة: أحمد مضيف الجنابي وآخرون. الكويت: مؤسسة الخليج العربي للطباعة والنشر ووزارة الثقافة والإعلام، بغداد: دار الرشيد للنشر. ، 1982.
18. محسن (حسن)، المؤثرات الغربية في المسرح المصري. (القاهرة: دار النهضة العربية، 1979.
- ب/ المجلات والدوريات**
19. حسين (حداد). قصيدة القناع: دراسة نقدية لبعض نماذجها في الشعر العربي المعاصر. مجلة اقلام. الشؤون الثقافية. عدد 11-12، 1978.
20. طهمازي (عبد الرحمن). سيادة الفراغ. مجلة الآداب ، 1989.
- ج/ الرسائل والاطاريح**
- 22- الثامري (راضي) ضياء. قصيدة القناع في الشعر العربي الحديث. رسالة ماجستير غير منشورة. بإشراف د. شجاع العاني. جامعة البصرة، 1991.
- 23- الحميري (سهام) حسن خضر. إشكاليات التلقي في الشعر العربي الحديث. رسالة ماجستير غير منشورة. إشراف: د. محمد حسن علي مجيد، 1999.
- د/ المعاجم**
- 24- ابن منظور. لسان العرب. الطبعة الأولى. مجلد رقم 1. بيروت: دار صادر، ب ت.
- هـ/ المسرحيات**
- 25- بسيسو (معين). ثورة الزنج. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. المطبعة الثقافية، 1970.
- و/ الانترنت**
- 26- نقلا عن شبكة الانترنت www.drmosad.com/lindeex22-360
- 27- وسن (علي كاصد) القناع وتقنياته في الشعر العربي الحديث - مجلة المنال <https://almanalm.agazine.com>
- 28- نقلا عن شبكة الانترنت ralmanalmagazine.com

عنوان البحث

طرق وكيفية التخلص من النفايات الطبية في مدينة بني وليد (دراسة ميدانية 2019)

علي بوعجيلة الطاهر سلامة¹ زينب أحمد خليفة² عبدالناصر خليفة معمر³

¹ المركز الليبي للبحوث الهندسية وتقنية المعلومات، ليبيا

بريد الكتروني: alisalama19885@gmail.com

² كلية العلوم، جامعة غريان، ليبيا

³ المركز الليبي للبحوث الهندسية وتقنية المعلومات، ليبيا

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21136>

تاريخ القبول: 2021/10/23م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

في هذه الدراسة تم تشكيل فريق بحثي متنوع في أغلب التخصصات الطبية ويهدف إلى وضع الخطط قصيرة وطويلة الأجل وتحديد أولويات البحث العلمي وجمع البيانات بعناية ودقة دون تحيز ونقل وتوطين التقنية الحديثة والمشاركة في تطويرها و تحويل نتائج الدراسة إلى منتج اقتصادي، والتقليل من الأذى الذي يمكن أن يلحق بالعاملين في المجال الصحي والسكان والبيئة و التخلص من النفايات بطريقة صديقة للبيئة، بالتعاون مع مركز الرقابة على الأغذية والأدوية بطرابلس ونقابة المهن الطبية المساعدة بني وليد، ونحن نهدف إلى توفير حلول شاملة لمعالجة النفايات الطبية للعملاء، وخدمة دعم متكاملة ومنتجات ذات جودة عالية مع أحدث التقنيات، مع التكنولوجيا المبتكرة والخدمة عالية الجودة. وشملت هذه الدراسة عدد كبير من المستشفيات والعيادات الحكومية والخاصة بمدينة بني وليد، وطرق الدراسة معتمدة على الزيارة والمشاهدة المباشرة. وتوصلت الدراسة إلى انعدام وجود إدارة سليمة للتعامل مع المخلفات الأخرى بجميع أنواعها، مع وجود تجاهل كامل وعدم الشعور بالمخاطر والأضرار التي قد تنجم عن سوء التعامل معها ستكون نتيجته الحتمية انتشار الأمراض والأوبئة، ويمكن تحويل هذه النتائج إلى منتج اقتصادي والإستفادة من نتائج البحوث العلمية في التخلص من النفايات الطبية.

الكلمات المفتاحية: النفايات الطبية، التخلص من النفايات الطبية، البيئة، التلوث.

مقدمة

مما دعى العديد من الدول إلى وضع لوائح وقوانين صارمة تنظم عملية فرز وجمع ونقل والتخلص من المخلفات الطبية، ورغم ذلك تحدث انتهاكات من الحين لآخر من قبل بعض المؤسسات الطبية ولكن في حالة الإدانة تتم معاقبتهم بشدة بمبالغ مالية ضخمة نتيجة إهمالهم.

هذه الحال في الدول التي بها مثل تلك القوانين، فما هو الحال في دول العالم الثالث من حيث تعاملهم مع المخلفات الطبية؟

كما هو مذكور بالكتاب المنشور من قبل منظمة الصحة العالمية أن كمية المخلفات الطبية تعتمد اعتماد كبير على الاقتصاد ودخل الدولة المالي، فالدول عالية الدخل كمية ما ينتجه المريض من مخلفات العناية الطبية يتراوح من 1.1 إلى 12.0 كجم، ودول متوسطة الدخل ينتج عن المريض 0.8-6.0 كجم، أما في دول العالم ذات الدخل المحدود يتراوح من 0.5 إلى 3.0 كجم للمريض الواحد. الكميات المنتجة من المخلفات الطبية بالدول الفقيرة تعتبر قليلة جدا بسبب تدني مخصصات الإنفاق على المرضى، فهذه الدول لا تعاني من ضخامة الكميات المنتجة ولكن معاناتها في سوء إدارتها لتلك المخلفات.

إن معرفة مفهوم البيئة و مكوناتها لا يمكن اعتبارها موضوعا مستوفيا من جميع الجوانب البيئية فثمة ضرورة لاستكمال وتعميق و تجديد جوانب التكفل والبحث في موضوع البيئة بصفة منتظمة نابعة من واقع تتخبط فيه البيئة في مشاكل عديدة حتى يكون هناك اهتمام حقيقي و جدي من طرف الإنسان وعدم القيام بالإعتداء على المحيط الطبيعي وخلق مشاكل في إحدى مكوناته مما يؤدي إلى صعوبة معالجة هذه المشاكل في الحاضر والمستقبل وبالتالي تسليم بيئة غير نقية للأجيال القادمة.

أما فيما يخص مفهوم البيئة فهناك من يرى أن الحديث عليها يعني الحديث عن إطار الحياة و الطبيعة و هناك من يفهم هذا المصطلح بتصورات أخرى تدل على الجانب السلبي لهذا المفهوم بالأضرار التالية: التلوث، تدهور إطار المعيشة، استنزاف المواد الطبيعية، الإستهلاك غير العقلاني للمجال الطبيعي والإعتداء على الأراضي الفلاحية، ونحن أمام التصورات المتنوعة لجوانب البيئة نسلم بأن لكل مفهوم من هذه المفاهيم علاقة بالبيئة وبالتالي نستنتج أنه لا يوجد مفهوم وحيد للبيئة ونحن من خلال دراستنا لهذا الموضوع حاولنا الخروج بمفهوم للبيئة وهو ذلك المحيط الطبيعي الذي يعيش فيه الإنسان ويتأثر به ويؤثر فيه من خلال نشاطاته الإقتصادية و الإجتماعية الرامية إلى تحقيق حاجته المتزايدة و الغير منتهية ويتكون هذا المحيط من العنصر الطبيعي الذي يعتبر حجر الأساس ومن العنصر البشري الذي يعتبر مركز نوع التفاعل والتغير في هذا المحيط. أما فيما يخص مكونات البيئة فهناك تباين في تصنيف هذه المكونات لكن رغم ذلك يبقى العنصر البشري و العنصر الطبيعي العنصرين الرئيسيين.

أما فيما يخص التلوث البيئي والذي يثير الدهشة من خلال دراستنا السابقة ويوضح مدى التطور الحاصل في حياة الإنسان، هو الإختلاف بين بدايات الإنسان وحاضره.

فقدما كان شغل الإنسان شاغل أن يحمي نفسه من الطبيعة، بينما الآن يسعى جاهدا أن يحمي الطبيعة من نفسه

أما فيما يخص الاسباب الشائعة في التلوث لعل من أبرزها التكدس السكاني ومتطلبات الحياة المتزايدة والثورة الصناعية في العالم .

كذلك نستطيع أن نصف من خلال هذه الدراسة هذه التغيرات الطارئة على البيئة بأثار سلبية على المستوى الصحي كإصابته بالأمراض أو على المستوى النفسي والعصبي، ليس هذا فحسب بل ويتأثر النبات والحيوان بسبب هذا التلوث الحادث في البيئة.

نظرا لكبر قطاع الرعاية الصحية في مدينة بني وليد ، الأمر الذي أدى بدوره إلى زيادة هائلة في كمية النفايات الطبية الناتجة عن المستشفيات والعيادات والمؤسسات الأخرى. ووفقا للتقرير الصادر من الفريق البحثي ، هذه الأرقام تدل على حجم المشكلة التي تواجهها السلطات البلدية في التعامل مع مشكلة التخلص من النفايات الطبية في مدينة بني وليد.

مفهوم النفايات الطبية

النفايات الطبية هي النفايات التي من المحتمل أن تكون معدية أو قابلة للتحلل وتشمل النفايات الناتجة من منشأ طبي أو مختبر، وكذلك النفايات الناتجة من مراكز ومختبرات الأبحاث التي تحتوي على الجزيئات الحيوية أو الكائنات العضوية التي لايسمح بإطلاقها في البيئة.

النفايات الطبية هي نوع من أنواع النفايات البيولوجية، وقد تكون صلبة سائلة، ومن الأمثلة على النفايات الطبية المعدية الدم والأدوات الحادة والضماطات والقفازات المستخدمة وغيرها من الأدوات الطبية التي قد تكون تعرضت للاتصال المباشر مع الدم أو سوائل الجسم.

أنواع المخلفات الطبية

تشمل المخلفات الطبية العديد من المواد منها

-**المخلفات الناقلة للعدوى** وهي المخلفات الملوثة بالدم وسوائل الجسم ومخلفات المرضى مثل المسحات والضماطات والمعدات التي تستعمل لمرة واحدة.

-**المخلفات الباثولوجية** وتشمل الأنسجة والأعضاء والسوائل البشرية وأجزاء الجسم الملوثة.

-**الأجسام الحادة** مثل الحقن والمشارط والإبر والشفرات والأدوات التي تستعمل لمرة واحدة وغيرها.

-**المواد الكيميائية** وتشمل المواد المطهرة والمذيبات التي تستعمل في التركيبات المختبرية والفلاتر الموجودة في المعدات الطبية كالزئبق الموجود في مقاييس الحرارة المكسورة والبطاريات وغيرها.

-**المستحضرات الدوائية** كالمقاحات والأدوية المنتهية الصلاحية والعقاقير والمستحضرات الدوائية غير المستعملة والملوثة.

-**المخلفات السامة للجينات** وهي النفايات البالغة الخطورة مثل العقاقير السامة للخلايا والمستخدمة لعلاج السرطان.

-**المخلفات المشعة** تشمل المواد التشخيصية المشعة والتي تستخدم في العلاج الإشعاعي.

-**المخلفات غير الخطرة والعامّة** وهي التي لا تشكل خطر بيولوجي أو كيميائي أو إشعاعي أو مادي خاص.



بعض الصور من أنواع النفايات في المرافق الصحية ببني وليد

المصادر الرئيسية للمخلفات الطبية

-المستشفيات والمرافق الصحية.

-المختبرات ومراكز البحوث.

-المشراح ومراكز التشريح.

-بنوك الدم وخدمات جمع العينات.

أسباب تزايد النفايات الطبية

الكمية المتزايدة من النفايات الطبية زادت من التحديات البيئية والصحية في المدن الرئيسية في المنطقة.

وتفانم الوضع لعدة أسباب منها :

1- استخدام طرق غير آمنة للتخلص من هذا النوع من النفايات .

2- قلة في التكنولوجيا المستخدمة .

3- وعدم وجود أبحاث في مجال الإدارة السليمة للنفايات الطبية من المستشفيات والعيادات وغيرها من المرافق في منطقة بني وليد .

هذا كله أدى لزيادة المخاطر في القطاعات الصحية وإدارة النفايات الطبية وناقلها وعامة الناس.

حتى أنها قد تؤدي أيضا إلى تلوث الهواء والماء والتربة والتي قد تؤثر على جميع أشكال الحياة، والأهم من ذلك، إذا لم يتم التخلص من النفايات بشكل صحيح قد تجمع المعدات الطبية (وخاصة الحقن) من قبل العابثين بالمخلفات وإعادة بيعها والذي قد يسبب في الكثير من الأمراض الخطيرة.

طرق إدارة النفايات الطبية في منطقة بني وليد تقتصر على الحرق على نطاق صغير أو الدفن.

وممارسة دفن النفايات الطبية هو مصدر قلق بالغ لأنه يشكل مخاطر كبيرة على الصحة العامة والمواطنين.

في حين أن إحراق النفايات الطبية يولد مواد ضارة مثل الديوكسين والفوران، فإن التعقيم البخار يُعتبر تكنولوجيا صديقا للبيئة، أكثر نضجا واقتصاداً وغير معتمدة على الإحراق لمعالجة النفايات الطبيّة.



بعض الصور من محرقة بني وليد

الهدف من معالجة النفايات الطبية

ونحن نهدف إلى توفير حلول شاملة لمعالجة النفايات الطبية للعملاء، وخدمة دعم متكاملة ومنتجات ذات جودة عالية مع أحدث التقنيات والتكنولوجيا المبتكرة والخدمة عالية الجودة.

- التقليل من الأذى الذي يمكن أن يلحق بالعاملين في المجال الصحي والسكان والبيئة.
- التقليل من كمية النفايات.
- ضمان الجمع الإختياري للنفايات.
- بناء مواقع مناسبة لجمع النفايات في الأقسام الطبية والمستشفيات.
- بناء طرق نقل داخلية مناسبة.
- استرداد المواد الصالحة من النفايات إلى أقصى درجة ممكنة.
- التخلص من النفايات بطريقة صديقة للبيئة والصحة.

الطرق المتبعة للتخلص من النفايات الطبية في بني وليد

نتيجة للمخاطر الصحية والبيئية التي تنتج عن المخلفات الطبية فقد قامت العديد من الدول إلى وضع اللوائح والقوانين الصارمة لتنظيم عملية فرز وجمع ونقل والتخلص من المخلفات الطبية، ورغم ذلك تحدث انتهاكات من الحين لآخر من قبل بعض المؤسسات الطبية ولكن في حالة الإدانة تتم معاقبتهم بشدة بمبالغ مالية ضخمة نتيجة إهمالهم.

توجد عدة طرق لعملية التخلص النهائي من المخلفات الطبية في بني وليد منها :

- اللجوء إلى عملية الردم بالمكبات وما يترتب على ذلك من انتشار إشعاعي وضرر على المياه الجوفية.
 - حرق المخلفات في الهواء الطلق في جميع أنحاء المدينة وبساحات المستشفيات نتيجة لعدم الوعي بالمخاطر الصحية والبيئية لذلك، ومعظم من يلجأ لهذه الطريقة هي العيادات الخاصة الصغيرة لتقليل المصاريف والميزانية المخصصة لنقل المخلفات، هذه الطريقة الأخيرة تعتبر مؤذية للبيئة وتؤدي إلى تلوث الهواء بالأبخرة السامة المنبعثة من المخلفات الكيميائية معرضة حياة العاملين والمرضى للخطر.
- وحسب ما توصلت إليه الدراسة التي قام بها مركز البحوث الهندسية وتقنية المعلومات بني وليد بالتعاون مع مركز الرقابة على الاغذية والادوية للعام 2019 فإن سوء التعامل مع المخلفات الطبية بشكل خاص وانعدام وجود إدارة سليمة للتعامل مع المخلفات الأخرى بجميع أنواعها، وكذلك مع وجود تجاهل كامل وعدم الشعور بالمخاطر والإضرار التي قد تتجم عن سوء التعامل معها ستكون نتيجة الحتمية انتشار الأمراض والأوبئة.
- وبناء على الزيارات الميدانية التي قامت بها لجنة من مركز الرقابة على الأغذية والادوية بطرابلس إلى مدينة بني وليد بالتعاون مع مركز البحوث الهندسية وتقنية المعلومات بني وليد ومعاينتهما للمحرقة الموجودة داخل مستشفى بني وليد العام وما توصلوا إليه من عدم صلاحية المحرقة الموجودة للعمل وعدم وجود محارق في المراكز الصحية الأخرى ، الشيء الذي أدى ومنذُ سنين إلى تراكم للمخلفات الطبية سواءً في محيط المستشفيات أو في المكبات العشوائية المنتشرة على أرصفة الطرق في المدن والتي مصدرها العيادات الخاصة.

النتائج

من خلال الزيارات المباشرة كانت مشاهدات الباحث مختصرة في الآتي :

التخلص من القمامة ومخلفات العيادات الصحية: تعتبر مرافق الرعاية الصحية المرفق الذي من مهامه خلق مجتمع خالي من الأمراض ومتابعة كل ما يجعل هذا المفهوم واقع وذلك لدوره الوقائي في مكافحة الأمراض المعدية وأن الاهتمام ومتابعة كيفية التخلص من مخلفات هذه الهيئة الطبية يعتبر مهم جدا نظرا لأن تلك المخلفات تستخدم أدوات وعناصر تعتبر مخلفات خطيرة على الصحة العامة والبيئة حيث تشمل بقايا أمصال وتطعيمات وحقن لهذا كان من الضروري التخلص من بقاياها. ويوجد ببني وليد 9 مراكز للتطعيم تنتج العديد من المخلفات الطبية ما يستوجب التخلص من نفاياتها بشكل دوري ومتزامن مع فترات التطعيم . ويعتبر التخلص من النفايات ومخلفات التطعيم من أساسيات العمل الوقائي ما يستوجب وضع برنامج توعوي يشمل إلقاء محاضرات بشأنه تستهدف جميع الفنيين العاملين في هذا المجال، كما يجب توفير الأوعية والصناديق الخاصة بالتخلص من النفايات الطبية وتجميعها في مكان خاص حسب تعليمات المركز الوطني، ولكن لا توجد كيفية للتخلص منها بالطريقة الصحية والسليمة (كالحرق بالمحارق) ولكن هذه الطريقة لم تتم وأهم الموضوع وتراكمت المخلفات وخاصة في أيام الحملات حيث يتم استعمال أكثر من 40,000 حقنة خلال أسبوع واحد فلا يتم إتباع الطرق الصحيحة في الرعاية الصحية والمراكز التابعة لها في أثناء جلسات التطعيم تجد في أرضية الحجرات بقايا الحقن متناثرة في كل مكان في نهاية كل يوم عمل تجمع في كرتين ويتم التخلص منها عشوائيا حسب شركات النظافة العامة التي تقوم بالتخلص من مخلفات المنطقة في مكب يعتبر عشوائي لا تتوفر فيه الشروط الآمنة حيث ترمى فيه جميع مخلفات المنطقة .

ملاحظة

سعى الفريق البحثي إلى ربط البحث العلمي بخطط التنمية للمجتمع من أجل تنمية مستدامة تضمن حق الأجيال القادمة في العيش الكريم وتسعى للحفاظ على البيئة و الثروات الطبيعية المحلية و تشجيع العلماء والباحثين على العمل على تحويل مخرجات البحوث والدارسات العلمية التي تمولها إلى منتج اقتصادي والاستفادة من نتائج البحوث وإمكانية تكوين الشركات المتخصصة بالتعاون مع القطاعات العامة والخاصة بالمجتمع والعمل على أن يكون البحث العلمي رافدا قويا للدخل القومي للدولة.

التوصيات

- (1) لابد من عمل ورش عمل ودورات توعية لكل العاملين والعاملات في القطاعات الطبية ببني وليد.
- (2) لابد من تخصيص مكان للنفايات الطبية فقط .
- (3) جمع هذه المخلفات الطبية يوميا بعيدا وفي معزل عن القمامة وتوصيلها الي الأماكن المخصصة لإعدامها سواء كانت محرقة أو معاملتها ببعض الكيماويات قبل الدفن.
- (4) نوصي بشكل عاجل بإنشاء محارق للتخلص من المخلفات الطبية بالمستشفيات العامة.
- (5) تحويل نتائج الدراسة إلى منتج اقتصادي والاستفادة منها في إمكانية تكوين شركات متخصصة بالتعاون مع القطاعات العامة والخاصة للتخلص من النفايات ببني وليد.

المراجع

- 1) منشورات منظمة الصحة العالمية.
- 2) البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة(UNDP)، حالة البيئة، مجلة البيئة والصحة، 1996.
- 3) الحجاز، صلاح محمود، أسس وآليات التنمية المستدامة: إدارة المخلفات الصلبة البدائل- الابتكارات- الحلول، دار الفكر العربي، القاهرة، 2011.
- 4) تقرير منظمة الصحة العالمية، الإدارة الآمنة لنفايات أنشطة الرعاية الصحية، المكتب الإقليمي للشرق الأوسط، عمان، الأردن، 2006.
- 5) أنواع المخلفات الطبية، ويكيبيديا.
- 6) Reinhardt ,Peter A, and Judith G. Gordon. 1991. Infectious and medical waste management. Chelsea, Mich: Lewis Publishers.
- 7) U. S. Congress, Office of Technology Assessment, Finding the Rx for Managing Medical Wastes, OTA-459(Washington, DC: U. S. Government Printing Office, September1990).

عنوان البحث

**مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين في الحروف وما صرح به تقي الدين النيلي في كتابه التحفة
الشافية في شرح الكافية**

رشا طالب كاظم*¹ حسن رحماني راد²

¹ جامعة الاديان والمذاهب - قسم اللغة العربية وادابها
*بريد الكتروني: mscrashataleb@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21137>

تاريخ القبول: 2021/10/23م

تاريخ النشر: 2021/11/01م

المستخلص

يتناول هذا البحث مسائل الخلاف النحوي بين الكوفيين والبصريين في الحروف اذ كان الخلاف قائما بينهما على اسس معرفية وحجج منطقية وقد تناول بعض هذه المسائل العالم الجليل الكبير تقي الدين النيلي في كتابه (التحفة الشافية في شرح الكافية) اذ نجده احيانا يرجح رأيا على اخر واحيانا نجده ينفرد برأي خاص به وليبيان ذلك سنقوم في هذا البحث بدراسة الخلافات النحوية التي تناولها تقي الدين النيلي فيما يتعلق بالخلافات المتعلقة بالحروف ثم بيان رأؤه النحوية في تلك المسائل.

الكلمات المفتاحية: تقي الدين، الحروف، مسائل الخلاف، التحفة.

RESEARCH ARTICLE**ISSUES OF DISAGREEMENT BETWEEN THE BASRI AND THE KUFIC IN THE LETTERS AND WHAT WAS DECLARED BY TAQI AL-DIN AL-NILI IN HIS BOOK AL-TUHFAH AL-SHAFIA IN SHARH AL-KAFIA****Rasha Talib Kadhum*¹ Hassan Rahmani Rad²**¹ University of Religions and Doctrines - Department of Arabic Language and Literature

*Email: mscrashataleb@gmail.com

HNSJ, 2021, 2(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj21137>**Published at 01/11/2021****Accepted at 23/10/2021****Abstract**

This research deals with the issues of grammatical disagreement between the Kufic and the Basri in the letters, as the dispute existed between them on the basis of knowledge and logical arguments. He has his own opinion, and to demonstrate that, in this research, we will study the grammatical differences that Taqi Al-Din Al-Nili dealt with regarding the differences related to letters, and then explain his grammatical views on those issues.

Key Words: Taqi al-Din, letters, issues of disagreement, Al-Tuhfah.

المقدمة:

النيلي هو ابو اسحاق ابراهيم بن الحسين بن عبيد الله بن ابراهيم بن ثابت الطائي المعروف تقي الدين النيلي وهذا ما ذكره السيوطي ولم يذكر اكثر من ذلك اختلقوا فيه اسم جده فمنهم من يرويه عبد الله ابن قاضي شهبه و طاشكبري زاده و حاجي خليفه وبعضهم يقول عبيد الله منهم السيوطي وابن عزم التونسي نسبه الى بغداد ولقب البغدادي و يدل ذلك على انه سكن بغداد كباقي العلماء الذين رحلوا الى بغداد للتدريس والدرس فيها وسمي بالبغدادي اشاره الى مذهبه النحوي كما لقب بذلك الكثير من النحويين ويرجع نسبه الى مدينه النيل على نهرفرات بين بغداد والكوفه وقد ترجم له ابن قاضي شهبه بقوله ابراهيم بن الحسين بن عبد الله بن ثابت المعروف بالنيلي وشرح الفيه ابن معيط وقال فيه من اول ما شرع فيها فله في بصره مرض منعه من مطالعه الكتب البسيطة ورجعه الى محاضره من النقل وسماه التحفه الشافية في شرح الكافية

نشأ تقي الدين النيلي بين القرنين السابع في بداية الثامن الهجري ونهاية القرن السابع الهجري الذي انتشرت فيه الدراسات النحوية فإننا نجد عدداً كبيراً من الكتب المهمة التي اشتهرت في زمنه منها اللمع لابن جني، والجمل للزجاجي، والدرة الألفية لابن معط، والكافية النحوية لابن الحاجب

الحروف في اللغة العربية ومسائل الخلافات

- مفهوم الحرف في اللغة العربية :

الحرف : ما لا يجوز أن يخبر عنه كما يخبر عن الاسم ألا ترى أنك لا تقول : إلى منطلق كما تقول : (الرجل منطلق) ولا عن ذاهب كما تقول : (زيد ذاهب) ولا يجوز أن يكون خبراً لا تقول : (عمر إلى) و (لا بكر عن) فقد بان أن الحرف من الكلم الثلاثة هو الذي لا يجوز أن تخبر عنه ولا يكون خبراً.

والحرف لا يأتلف منه مع الحرف كلام لو قلت : (أمن) تريد ألف الاستفهام (ومن) التي يجر بها لم يكن كلاماً وكذلك لو قلت : ثم قد تريد (ثم) التي للعطف وقد التي تدخل على الفعل لم يكن كلاماً ولا يأتلف من الحرف مع الفعل كلام لو قلت : أيقوم ولم تجد ذكر أحد ولم يعلم المخاطب أنك تشير إلى إنسان لم يكن كلاماً ولا يأتلف أيضاً منه مع الاسم كلام لو قلت : (أزيد) كان كلاماً غير تام فأما (يا زيد) وجميع حروف النداء فتبين استغناء المنادي بحرف النداء وما يقوله النحويون : من أن ثم فعلاً يراد تراه في باب النداء إن شاء الله. (1)

الحرف في الاصطلاح ما دلّ على معنى في غيره وفي اللغة طرف الشيء كحرف الجبل وفي التنزيل (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية أي على طرف وجانب من الدين أي لا يدخل فيه على ثبات وتمكن فهو إن أصابه خير من صحّة وكثرة مال ونحوهما اطمأنّ به ، وإن أصابته فتنة أي شرّ من مرض أو فقر أو نحوهما انقلب على وجهه عنه. (2)

والذي يأتلف منه الكلام (٢) الثلاثة الاسم والفعل والحرف فالاسم قد يأتلف مع الاسم نحو قولك : (الله إلهنا)

(1) الأصول في النحو 1 / 46 .

(2) ينظر : شرح شذور الذهب 1 / 18 .

ويأتلف الاسم والفعل نحو : قام عمرو ولا يأتلف الفعل مع الفعل والحرف لا يأتلف مع الحرف فقد بان فروق ما بينهما.

أن الحرف لا يخلو من ثمانية مواضع إما أن يدخل على الاسم وحده مثل الرجل أو الفعل وحده مثل سوف أو ليربط اسما بإسم : جاءني زيد وعمرو أو فعلا بفعل أو مفعلا بإسم أو على كلام تام أو ليربط جملة بجملة أو يكون زائدا.

أما دخوله على الاسم وحده فنحو لام التعريف إذا قلت : الرجل والغلام فاللام أحدث معنى التعريف وقد كان رجل وغلام نكرتين. (3)

أما دخوله على الفعل فنحو سوف والسين إذا قلت : سيفعل أو سوف يفعل فالسين وسوف بهما صار الفعل لما يستقبل دون الحاضر وقد بينا هذا.

وأما ربطه الاسم بالاسم فنحو قولك : جاء زيد وعمرو فالواو ربطت عمرا بزيد.

وأما ربطه بالفعل نحو قولك : قام وقعد وأكل وشرب.

وأما ربطه الاسم بالفعل فنحو : مررت بزيد ومضيت إلى عمرو.

وأما دخوله على الكلام التام والجملة فنحو قولك : أعمرو أخوك وما قام زيد ألا ترى أن الألف دخلت على قولك (عمرو أخوك) وكان خبرا فصيرته استخبارا وما دخلت على : قام زيد وهو كلام تام موجب فصار بدخولها نفيا.

وأما ربطه جملة بجملة فنحو قولك : إن يقيم زيد يقعد عمرو وكان أصل الكلام يقوم زيد يقعد عمرو فيقوم زيد ليس متصلا بيقعد عمرو ولا منه في شيء فلما دخلت (إن) جعلت إحدى الجملتين شرطا والأخرى جوابا. (4)

وأما دخوله زائدا فنحو قوله تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ) [آل عمران : 109] والزيادة تكون لضروب سببها في موضعها إن شاء الله.

ذكر ما يدخله التغيير من هذه الثلاثة وما لا يتغير منها

اعلم أنه إنما وقع التغيير من هذه الثلاثة في الاسم والفعل دون الحرف ؛ لأن الحروف أدوات تغير ولا تتغير فالتغيير الواقع فيهما على ضربين :

أحدهما : تغيير الاسم والفعل في ذاتهما وبنائهما فيلحقهما من التصاريف ما يزيل الاسم والفعل ونضد حروف الهجاء التي فيهما عن حاله.

وأما ما يلحق الاسم من ذلك فنحو التصغير وجمع التكسير تقول في تصغير حجر : حجير فتضم الحاء وكانت مفتوحة وتحدث ياء ثالثة فقد غيرته وأزالته من وزن فعل إلى وزن (فعليل) وتجمعه فتقول : أحجار فتزيد في أوله همزة ولم تكن في الواحد وتسكن الحاء وكانت متحركة وتزيد ألفا ثالثة فتقلبه من وزن فعل إلى وزن أفعال ، وأما

(3) شرح شذور الذهب 1 / 46 .

(4) ينظر : الأصول في النحو 1 / 47 .

ما يلحق الفعل فنحو : قام ويقوم وتقوم واستقام وجميع أنواع التصريف لاختلاف المعاني. (5)

الحروف تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول منها يدخل على الأسماء فقط دون الأفعال فما كان كذلك فهو عامل في الاسم.

والحروف العوامل في الأسماء نوعان :

نوع منها يخفض الأسماء

جمعها ابن مالك في الألفية فقال :

هاك حروف الجر وهي من إلى حتى خلا حاشا عدا في عن على

مذ منذ رب اللام كي واو وتا والكاف والباء ولعل ومتى

قال ابن عقيل : هذه الحروف العشرون كلها مختصة بالأسماء وهي تعمل فيها الجر وتقدم الكلام على خلا

وحاشا وعدا في الاستثناء وقل من ذكر كي ولعل ومتى في حروف الجر. (6)

ويدخل ليصل اسما باسم أو فعلا باسم.

أما وصله أسما باسم فنحو قولك : خاتم من فضة ، وأما وصله فعلا باسم فنحو قولك : مررت بزيد.

والنوع الثاني : يدخل على المبتدأ والخبر فيعمل فيهما مررت الاسم ويرفع الخبر نحو (إن وأخواتها)

هذه هي الأحرف المشبهة بالأفعال وشبهت بها لأنها تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده وهنّ سبعة أحرف :

" إن ، أن ، كأن ، ليت ، لعل ، لكن ، ولا النافية للجنس وحكم هذه الأحرف : أن كلّ هذه الأحرف تنصب

المبتدأ . غير الملازم للتصدير . (كأسماء الاستفهام) ويسمى اسمها وترفع خبره . غير الطلبي الإنشائي . (الطلبية :

كالأمر والنهي والاستفهام والإنشائي : كالعقود مثل بعت واشتريت . ويسمى خبرها. (7)

كقولك : زيد قائم وجميع هذه الحروف لا تعمل في الفعل ولا تدخل عليه لا تقول : مررت ببيضرب وإلى ذهبت إلا

قام ولا أن يقعد قائم. (8)

والقسم الثاني من الحروف :

ما يدخل على الأفعال فقط ولا يدخل على الأسماء وهي التي تعمل في الأفعال فتتصبها وتجزمها نحو : (أن) في

قولك : أريد أن تذهب فتتصب و (لم) في قولك : لم يذهب فتجزم ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول : لم زيد ولا :

أريد أن عمرو. (9)

(5) ينظر : الأصول في النحو 1 / 47 .

(6) ينظر : شرح ابن عقيل 3 / 3 .

(7) ينظر : معجم القواعد العربية 2 / 119 .

(8) الأصول في النحو 1 / 61 .

(9) المصدر نفسه 1 / 62 .

والقسم الثالث من الحروف :

ما يدخل على الأسماء وعلى الأفعال فلم تختص به الأسماء دون الأفعال ولا الأفعال دون الأسماء وما كان من الحروف بهذه الصفة فلا يعمل في اسم ولا فعل نحو ألف الاستفهام تقول : أيقوم زيد فيدخل حرف الاستفهام على الفعل ثم تقول : أزيد أخوك فيدخل الحرف على الاسم وكذلك (ما) إذا نفيت بها في لغة من لم يشبهها بليس فإنه يدخلها على الاسم والفعل ولا يعملها كقولك : وما زيد قائم ما قام زيد ومن شبهها (بليس) فاعملها لم يجز أن يدخلها على الفعل إلا أن يردها إلى أصلها في ترك العمل ونحن نذكر جميع الحروف منفصلة في أبوابها إن شاء الله. (10)

فإن قال قائل : ما بال لام المعرفة لم تعمل في الاسم وهي لا تدخل إلا على الاسم ولا يجوز أن تدخل هذه اللام على الفعل قيل : هذه اللام قد صارت من نفس الاسم ألا ترى قولك : رجل يدلك على غير ما كان يدل عليه الرجل وهي بمنزلة المضاف إليه الذي يصير مع المضاف بمنزلة اسم واحد نحو قولك : عبد الملك ولو أفردت عبدا من الملك لم يدل على ما كان عليه عبد الملك وكذلك الجواب في السين وسوف إن سأل سائل فقال : لم لم يعملوها في الأفعال إذ كانتا لا تدخلان إلا عليها فقصة الألف واللام في الاسم ، وذلك أنها إنما هي بعض أجزاء الفعل فتفهم هذه الأصول والفصول فقد أعلنت في هذا الكتاب أسرار النحو وجمعه جمعاً يحضره وفصلته تفصيلاً يظهره وربت أنواعه وصنوفه على مراتبها بأخصر ما أمكن من القول وأبينه ليسبق إلى القلوب فهمه ويسهل على متعلميه حفظه.

واعلم أنه ربما شذ الشيء عن بابيه فينبغي أن تعلم : أن القياس إذا طرد في جميع الباب لم يعن بالحرف الذي يشذ منه فلا يطرد في نظائره وهذا يستعمل في كثير من العلوم ولو اعترض بالشاذ على القياس المطرد لبطل أكثر الصناعات والعلوم فمتى وجدت حرفاً مخالفاً لا شك في خلافه لهذه الأصول فاعلم أنه شاذ ، فإن كان سمع ممن ترضى عربيته فلا بد من أن يكون قد حاول به مذهباً ونحاً نحواً من الوجوه أو استهواه أمر غلطه.

والشاذ على ثلاثة أضرب : منه ما شذ عن بابيه وقياسه ولم يشذ في استعمال العرب له نحو : استحوذ ، فإن بابيه وقياسه أن يعل فيقال : استحاذاً مثل استقام واستعاذ وجميع ما كان على هذا المثال ولكنه جاء على الأصل واستعملته العرب كذلك ومنه ما شذ عن الاستعمال ولم يشذ عن القياس نحو ماضي يدع ، فإن قياسه وبابه أن يقال : ودع يدع إذ لا يكون فعل مستقبل إلا له ماض ولكنهم لم يستعملوا ودع استغنى عنه (بترك) فصار قول القائل الذي قال : ودعه شاذاً وهذه أشياء تحفظ ومنه ما شذ عن القياس والاستعمال فهذا الذي يطرح ولا يعرج عليه نحو ما حكى من إدخال الألف واللام على التجدع وأنا أتبع هذا الذي نكرت من عوامل الأسماء والأفعال والحروف بالأسماء المفعول فيها فنبداً بالمرفوعات ثم نردفها المنصوبات ثم المخفوضات فإذا فرغنا من الأسماء وتوابعها وما يعرض فيها ذكرنا الأفعال وإعرابها وعلى الله تعالى نتوكل وبه نستعين .

بعض المسائل الخلافية المتعلقة بالحروف

ان تقي الدين النيلي مر على بعض المسائل الخلافية بين المدرستين البصرية والكوفية المتعلقة بالحروف وذكرها في كتابه التحفة الشافية في شرح الكافية وكان كثيرا ما يؤيد المذهب البصري وفي بعض الأحيان يتخذ رأيا خاصا به وبعض الأحيان القليلة يقف مع الكوفيين وسوف نفصل هذا المسائل ..

المسألة الأولى: (رَبِّ) هل هي حرف ام اسم ؟

رب" حرف جر بشرط أن تكون مسبوقه "بالواو"، أو: "بالفاء"، أو "بل" نحو:

وعامل بالحرام، يأمر بالبر، ... كهاد يخوض في الظلم

يجوز حذف "رب" لفظًا، مع إبقاء عملها ومعناها كما كانت، وهذا الحذف قياسي بعد "الواو"، و"الفاء"، و"بل"، ولكنه بعد الأول أكثر، وبعد الثاني كثير، وبعد الثالث قليل بالنسبة للحرفين الآخرين، نحو:

وجانب من الثرى يدعي الوطن ... ملء العيون، والقلوب، والفظن

ونحو: أن تسمع من يقول: "ما أعجب ما قرأته على صفحات الوجوه اليوم"، فتقول: "فحزين قضى الليل هما طلع النهار عليه بما بدد أحزانه، ومبتهج نام ليلة قريراً، ثم أفاق على هم وبلاء"، ونحو: "بل حزين قد تأسى بحزين أي: رب جانب. . . رب حزين قضى الليل. . . رب مبتهج. . . رب حزين قد تأسى. . .

وكل حرف من هذه الثلاثة يسمى: "العوض" عن: "رب" ؛ أو: "النائب عنها"؛ لأنه يدل عليها، وهو مبني لا محل له من الإعراب؛ والاسم المجرور بعده، مجرور برب المحذوفة ، وليس مجرورًا في الصحيح العوض عنها أو النائب (11)

وحذفت "رب"، فجرت بعد: "بل" ... و"الفا" وبعد: "الواو" شاع ذا العمل حيث يرى سيبيويه أن الجر هو بكلمة: "رب" المحذوفة، أما الواو، والفاء، وبل، فحروف عطف مهملة هنا لا تعمل شيئاً، مع أن نائبة عن: "رب" ودالة عليها، وكثير من النحاة يقول: إن العمل هو للحرف النائب وليس للمحذوف ، وهذا الخلاف شكلي محض لا أثر له . (12)

اما خلاف الكوفيين مع البصريين على كون (رَبِّ) اسم او فعل : (13)

ذهب الكوفيون إلى أن «رَبِّ» اسم. و ذهب البصريون إلى أنه حرف جر.

أما الكوفيون فإنهم احتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه اسم حملا على «كم» لأن «كم» للعدد و التكثر، و «رَبِّ» للعدد و التقليل، فكما أن كم اسم فكذلك رَبِّ.

و الذي يدل على أن رَبِّ ليست بحرف جر أنها تخالف حروف الجر، و ذلك في أربعة أشياء؛ أحدها: أنها لا تقع

(11) ينظر : كتاب النحو الوافي 2 / 627 - 630 .

(12) ينظر : المفصل 2 / 117 باب الإضافة .

(13) ينظر هذه المسألة شرح الرضي على الكافية 2 / 307

إلا في صدر الكلام، و حروف الجر لا تقع في صدر الكلام، و إنما تقع متوسطة؛ لأنها إنما دخلت رابطة بين الأسماء و الأفعال.

و الثاني: أنها لا تعمل إلا في نكرة، و حروف الجر تعمل في النكرة و المعرفة.

و الثالث: أنها لا تعمل إلا في نكرة موصوفة، و حروف الجر تعمل في نكرة موصوفة و غير موصوفة، و الرابع: أنه لا يجوز عندكم إظهار الفعل الذي تتعلق به.

و كونه على خلاف الحروف في هذه الأشياء دليل على أنه ليس بحرف.

و الذي يدل دلالة ظاهرة على أنه ليس بحرف أنه يدخله الحذف فيقال في ربّ «رب» قال الله تعالى: رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ [الحجر: 2] قرىء بالتخفيف كما قرىء بالتشديد، و فيها أربع لغات: ربّ و رب و ربّ و رب- بضم الراء و تشديد الباء و تخفيفها، و فتح الراء و تشديد الباء و تخفيفها- فدلّ على أنها ليست بحرف.

و أما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنها حرف أنها لا يحسن فيها علامات الأسماء و لا علامات الأفعال، و أنها قد جاءت لمعنى في غيرها كالحرف، و هو تقليل ما دخلت عليه نحو «ربّ رجل يفهم» أي ذلك قليل.

ولكن تقي الدين خالف المذهب الكوفي كما هو معتاد حيث قال (ربّ حرف وهي عند الكوفيين اسم) (14) .

المسألة الثانية: عمل الواو في (وربّ) :

ذهب الكوفيون إلى أن واو رب تعمل في النكرة الخفض بنفسها وإليه ذهب أبو العباس المبرّد من البصريين. وذهب البصريون إلى أن واو رب لا تعمل، وإنما العمل لربّ مقدرة.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إن الواو هي العاملة لأنها نابت عن ربّ، فلما نابت عن ربّ وهي تعمل الخفض فكذلك الواو لنيابتها عنها، وصارت كواو القسم؛ فإنها لما نابت عن الباء عملت الخفض كالباء، فكذلك الواو ههنا: لما نابت عن ربّ عملت الخفض كما تعمل ربّ، والذي يدل على أنها ليست عاطفة أن حرف العطف لا يجوز الابتداء به، ونحن نرى الشاعر يبتدئ بالواو في أول القصيدة، كقوله: (15)

وَبَلَدٍ عَامِيَةٍ أَعْمَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاوُهُ

وقول الآخر :

وبلدة ليس بها أنيس

وما أشبه ذلك؛ فدلّ على أنها ليست عاطفة، فَبَانَ بهذا صحة ما ذهبنا إليه.

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا: إن الواو ليست عاملة، وإن العمل لربّ مقدرة، وذلك لأن الواو حرف

(14) ينظر : التحفة الشافية 2 / 822

(15) الانصاف 1 / 812 .

عطف، وحرف العطف لا يعمل شيئاً؛ لأن الحرف إنما يعمل إذا كان مختصاً، وحرف العطف غير مختص؛ فوجب أن لا يكون عاملاً، وإذا لم يكن عاملاً وجب أن يكون العامل رُبَّ مقدرة. (16)

والذي يدل على أنها واو العطف وأن رب مضمرة بعدها أنه يجوز ظهورها معها، نحو "ورب بلد" وسنبين ذلك مستوفى في الجواب.

أما تقي الدين فرأيه موافق لرأي البصريين ومختلف عن الكوفيين حيق يقول (والواو على ثمانية اضرب ، اثنان منهم ينجر ما بعدهما وهما : واو ربّ و واو القسم ..) (17)

المسألة الثالثة: (23) العطف على اسم "إن" بالرفع قبل مجيء الخبر : (18)

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على موضع "إن" قبل تمام الخبر، واختلفوا بعد ذلك؛ فذهب أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي إلى أنه يجوز ذلك على كل حال، سواء كان يظهر فهي عمل "إن" أو لم يظهر، وذلك نحو قولك: "إن زيداً وعمرو قائمان، وإنك وبكرٌ منطلقان". وذهب أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء إلى أنه لا يجوز ذلك إلا فيما لم يظهر فيه عمل إن. وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز العطف على الموضع قبل تمام الخبر على كل حال.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على جواز ذلك النقل والقياس:

أما النقل فقد قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى} [المائدة: 69] وجه الدليل أنه عطف {الصَّابِئُونَ} على موضع "إن" قبل تمام الخبر -وهو قوله: {مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة: من الآية 62]- وقد جاء عن بعض العرب فيما رواه الثقات "إنك وزيد ذاهبان" وقد ذكره سيبويه² في كتابه؛ فهذان دليلان من كتاب الله تعالى ولغة العرب.

وأما من جهة القياس فقالوا: أجمعنا على أنه يجوز العطف على الموضع قبل تمام الخبر مع لا، نحو "لا رجل وامرأة أفضل منك" فكذلك مع "إن" لأنها بمنزلتها، وإن كانت إن للإثبات ولا للنفي؛ لأنهم يحملون الشيء على ضده كما يحملونه على نظيره، يدل عليه أننا أجمعنا على أنه يجوز العطف على الاسم بعد تمام الخبر، فكذلك قبل تمام الخبر؛ لأنه لا فرق بينهما عندنا، وأنه قد عرف من مذهبنا أن "إن" لا تعمل في الخبر لضعفها، وإنما يرتفع بما كان يرتفع به قبل دخولها، فإذا كان الخبر يرتفع بما كان يرتفع به قبل دخولها؛ فلا إحالة إذن؛ لأنه إنما كانت المسألة تُقَسَّدُ أن لو قلنا إن "إن" هي العاملة في الخبر فيجتمع عاملان فيكون محالاً، ونحن لا نذهب إلى ذلك؛ فصح ما ذهبنا إليه.

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أن ذلك لا يجوز أنك إذا قلت "إنك وزيد قائمان" وجب أن يكون "زيد" مرفوعاً بالابتداء، ووجب أن يكون عاملاً في خبر "زيد" وتكون "إن" عاملة في خبر الكاف، وقد اجتمعا في لفظ واحد؛ فلو قلنا "إنه يجوز فيه العطف قبل تمام الخبر" لأدّى ذلك إلى أن يعمل في اسم واحد عاملان، وذلك

(16) المصدر نفسه 1 / 812 .

(17) كتاب التحفة الشافية 2 / 880 .

(18) تصريح الشيخ خالد وحاشية يس الحمصي عليه " 1 / 272 وما بعدها .

محال.

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين: أما احتجاجهم بقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ} [المائدة: 69] فلا حجة لهم فيه من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنا نقول: في هذه الآية تقديم وتأخير، والتقدير فيها: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون والنصارى كذلك، كما قال الشاعر: (19)

عَدَاةٌ أَحَلَّتْ لِابْنِ أَصْرَمَ طَعْنَةً ... حُصَيْنِ عَيْبِطَاتِ السَّدَائِفِ وَالْحَمْرُ

فرغ "الحمر" على الاستئناف، فكأنه قال: والخمر كذلك.

وقال الآخر: (20)

وَعَضُّ زَمَانَ يَا ابْنَ مِرْوَانَ لَمْ يَدَعْ ... مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجَلَّفًا

فرغ "مجلف" على الاستئناف، فكأنه قال: أو مجلف كذلك، وهذا كثير في كلامهم.

والوجه الثاني: أن تجعل قوله تعالى: {مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة: من الآية 62] خبر للصابئين والنصارى، وتضمير للذين آمنوا والذين هادوا خبراً مثل الذي أظهرت للصابئين والنصارى؛ ألا ترى أنك تقول "زيدٌ وعمروٌ قائمٌ" فتجعل قائماً خبراً لعمرو، وتضمير لزيد خبراً آخر مثل الذي أظهرت لعمرو، وإن شئت أيضاً جعلته خبراً لزيد وأضمرت لعمرو خبراً آخر.

وقال الشاعر، وهو بشر بن أبي خازم: (21)

وَأَلَا فَاعْلَمُوا أَنَّا وَأَنْتُمْ ... بَغَاةٌ، مَا بَقِينَا فِي شِقَاقِ

فإن شئت جعلت قوله: "بغاة" خبراً للثاني وأضمرت للأول خبراً، ويكون التقدير: وإلا فاعلموا أنا بغاة وأنتم بغاة، وإن شئت جعلته خبراً للأول وأضمرت للثاني خبراً، على ما بيئنا.

والوجه الثالث: أن يكون عطفاً على المضمرة المرفوعة في "هادوا" وهادوا بمعنى تابوا. وهذا الوجه عندي ضعيف؛ لأن العطف على المضمرة المرفوعة قبيح وإن كان لازماً للكوفيين؛ لأن العطف على المضمرة المرفوعة عندهم ليس بقبيح، وسنذكر فساد ما ذهبوا إليه في موضعه، إن شاء الله تعالى.

وأما ما حكوه عن بعض العرب "أنك وزيد ذاهبان" فقد ذكر سيبويه أنه غلط من بعض العرب، وهذا لأن العربي يتكلم بالكلمة إذا استهواه ضرب من الغلط فيعدل عن قياس كلامه، كما قالوا "ما أغفله عنك شيئاً"، وكما قال

(19) ابن يعيش في شرح المفصل "ص 1127

(20) شرحه البغدادي في الخزانة "2/ 347

(21) شرح المفصل "ص 1126

زهير، ويقال صِرْمَةُ الأنصاري: (22)

بدا لي أنني لست مُدْرِكٌ ما مَضَى ... ولا سابق شيئاً إذا كان جَائِئاً
فقال "سابق" على الجر؛ وكان الوجه "سابقاً" بالنصب.

وقال الآخر: (23)

أَجْدَكَ لست الدهرُ رأيي زامةٍ ولا عاقلٍ إلا وأنت جنيبُ
ولا مُضْعِدٍ في المُضْعِدِينَ لِمُنْعَجِجٍ لا هَابِطٍ ما عِشْتُ هَضْبَ شَطِيبٍ
رأي تقي الدين النيلي :

اما تقي الدين النيلي فذكر هذه المسألة في كتابة وذكر الآراء المختلفة حيث قال (هذا الخلاف الذي ذكره فيه تخليط فان الكسائي يجيز الرفع في المعطوف على اسم (إن) مطلقا سواء كان اسم ان مبنيا ، او معربا فيجيز : (ان زيدا وعمرو قائمان) ، وأما الفراء فانه يجيز الرفع على اسم (ان) بالرفع . قبل مضي الخبر اذا كان مبنيا محتجا بقولة تعالى ((إن الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من أمن بالله واليوم الآخر)) فرفع الصابئين معطفا على موضع اسم (إن) قبل مضي الخبر لكون اسم (إن) مبنيا وهو ((الذين امنوا)) وقالوا لا حجة فيه لان خبر إن محذوف دل عليه قوله (من أمن) أي ان الذين امنوا والذين هادوا من امن بالله وخبر الصابئون من أمن الثابت ويجوز ان يكون (من أمن) خبر إن وخبر الصابئين محذوف فيدخل في اشتراط مضي الخبر تقديرا)) (24)

ولكن رأي تقي الدين النيلي كما هو معتاد يرجح رأي البصريين دائما حيث يقول (واما اذا عطفت قبل مضي الخبر فالواجب عند البصريين النصب وتثنية الخبر مع الواو وهو المختار) (25)

المسألة الرابعة: تركيب كلمة (كأن) :

عند لفظ كلمة (كأن) يأخذنا الكلام الى التشبيه ونحن نعرف ان التشبيه من المواضيع المهمة في البلاغة النحوية وهو موضع بلاغي وليس نحوي ولكن لا بأس بالوقوف حوله ولو باختصار ..

للتشبيه روعة وجمال، وموقع حسن في البلاغة؛ وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدنائها البعيد من القريب، يزيد املعاني رفعة ووضوحاً، ويكسبها جمالاً وفضلاً، ويكسوها شرفاً وتبلاً ؛ فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطو، ممتد الحواشي، متشعب الأطراف، متوعر المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرى، غزير الجدوى.

ومن أساليب البيان أنك إذا أردت إثبات صفة لموصوف مع التوضيح، أو وجه منالمبالغة — عمدت إلى شيء

(22) هذا البيت من كلام زهير بن أبي سلمى المزني، وهو ثابت في ديوانه بشرح الأعلام الشنمري، وهو من شواهد سيبويه، أنشده في "1/ 83 و

418 و 452

(23) ينظر : الانصاف في مسائل الخلاف 1 / 156

(24) التحفة الشافية 2 / 860 .

(25) المصدر نفسه 2 / 861

آخر، تكون هذه الصفة واضحة فيه، وعقدت بني الاثنين ماثلة، تجعلها وسيلة لتوضيح الصفة، أو امبالغة في إثباتها؛ لهذا كان التشبيه أوطريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى (26)

التشبيه لغة: التمثيل، يقال: هذا شبه هذا ومثله. صد اشتراكهما في صفة ما

والتشبيه اصطلاحاً: عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة؛ لغرض بقصده المتكلم . (27)

وأركان التشبيه أربعة: (28)

1 - المشبه : هو الأمر الذي يُراد إلحاقه بغيره.

2 - المشبه به: هو الأمر الذي يلحق به المشبه .

هذان الركنان يُسميان طرفي التشبيه.

3 - وجه الشبه: هو الوصف المشترك بين الطرفين ، ويكون في المشبه به أقوى منه في المشبه ، وقد يُذكر وجه الشبه في الكلام، وقد يُحذف .

4 - أداة التشبيه: هي اللفظ الذي يدل على التشبيه، ويربط المشبه بالمشبه به، وقد

تُذكر الأداة في التشبيه وقد تُحذف، نحو: كان عمر في رعيته كالميزان في العدل، وكان فيهم كالوالد في الرحمة والعطف .

ومن اهم حروف التشبيه في (كأن - الكاف)

وموضعنا هو على كلمة (كأن) :

يذكر كاتب الكافية في كتابة (كأن للتشبيه وتخفف فتلغى على الافصح)

حيث يعقب النيلي على هذا الكلام ويقول : أما كأن فقليل هي مركبة من حرف التشبيه الكاف وانّ ، والاصل : (إن زيد كالأسد) فنقلت الكاف من وسط الجملة الى أولها لشدة عنايتهم بالتشبيه ليفتح الكلام بالتشبيه حيث ابتدأت بها شاك والاصل نضيره او حيث مضى فيها اول الكلام على لفظ اليقين ثم طرأ التشبيه من اخر الكلام كما طرأ الشك في العطف بأو من ار الكلام وفتحت لاجل . (29)

وقيل : لانها في موضع جر بالكاف ، وقيل لان الكاف لا تدخل الا على مفرد لكونها حرف جر . والمكسورة على ما بعدها جملة فلم تدل الكاف عليهما .

وقيل : لو كانت الكاف جارة لكان موضع اسمها وخبرها جراً ولتعلقت الكاف .

(26) جواهر البلاغة 249

(27) المصدر نفسه 249

(28) المصدر نفسه 250 .

(29) التحفة الشافية 2 / 872

قيل : لا يلزم ذلك اما امتناع الجر عند من ياباه ، فلأن الكاف مركبة مع (ان) فهي كجزء منها ، وبعض الكلمة لا يعمل مع البعض الاخر ، واما التعلق فان الكاف في قوله تعالى (ليس كمثله شيء) غير متعلقة (30) فلو قلت الكاف زائدة في الآية وفي (كأن) غير زائدة ، لافادتها معنى التشبيه .

وهناك رأي ار لبعض العلماء حيث يقولون هي غير مركبة بل هي كلمة موضوعه للتشبيه من أول امرها لان الأصل الافراد فلا يعدل عنه الا بدليل (31)

اما البصريين فرأيهم مثل رأي الخليل وسيبويه والافخش وابن جني والفراء حيث قالوا (كأن مركبة من حرف التشبيه وإن) (32)

اما تقي الدين النيلي فقد وافق البصريين في الرأي حيث قال : (لولا في قولك لولاك ولولا حرف جر عند سيبويه ، وهي غير متعلقة بشيء ، والكاف في كأن كذلك) (33)

المسألة الخامسة: تركيب كلمة (لكن) :

(لكن) : من الكلمات العربية التي تكلموا عنها علماء النحو كثيرا واختلوا كثيرا فنرى ان اغلب النحاة العرب تكلموا عن هذه الأداة بشكل واسع ونرى ان هذه الأداة خلقت خلاقات كبيرة بين المدارس النحوية ..

لكن : بتخفيف النون حرف، له قسمان: الأول: أن تكون مخففة من لكن الثقيلة. ولا عمل لها، إذا خففت، خلافاً ليونس، والأفخش فإنهما أجازا ذلك. ورد بأنه غير مسموع. وقد حكى عن يونس أنه حكاه عن العرب. وعلى مذهب الجمهور يكون ما بعدها مبتدأ وخبراً، نحو " ولكن الشياطين كفروا " (34)

واختار الكسائي، والفراء، وأبو حاتم، والتشديد إذا كان قبلها الواو، لأنها حينئذ تكون عاملة عمل إن، وليست عاطفة، والتخفيف إذا لم يكن قبلها واو، لأنها حينئذ عاطفة، فلا تحتاج إلى واو ك بل. وهذا القسم - أعني لكن المخففة - ليس حرفاً أصلياً. وإنما هو فرع لكن المشددة. ويأتي الكلام عليها في باب الخماسي.

لكن" للاستدراك يعني مخالفة حكم ما قبلها لحكم ما بعدها وهذا يستدعي وجود طرفين نقيضين احدهما مثبت والآخر منفي، وهذا هو: قيد الاستدراك؛ وإلا فإنه لا يستقيم استعمالها في وجود توافق بين الحكمين.

ان عظم الأداة اللغوية يكمن فيما تحمله من أسرار جمالية يستهدفها النص للوصول الى الفكرة، فالمحتوى الداخلي للأداة يتحدد من خلال السياق.

لقد ظهر للنحاة باستقراء هذه الاداة - لكن-، انها تختزل مضامين بلاغية تنشأ عن تشبيهها بالفعل، واتخاذ لبوسا منه؛ لا ينفك عنها يتجلى في عدة أفعال: - وهذا كما ترى تعبيراً عن دلالة التضمين للأدوات:-

(30) المصدر نفسه 2 / 872 .

(31) ينظر : شرح الكافية لابن الحاجب 125

(32) ينظر : الكتاب 1 / 298 . وشرح ابن الحاجب للكافية 125 .

(33) المصدر نفسه 2 / 872

(34) الجنى الداني في حروف المعاني 587 .

- استدرك

- أوكد

- أنفي حكم ما قبلها وأثبت حكم جديدا ومخالفا بعدها

- اعتذر عن بيان قصر في الفهم

- انسب حكما مناقضا لما جاء قبلها

- اتساع المعاني المختزلة في تركيب الأداة "لكن"

- نفي ورفع ما يتوهم ثبوته وتحققه، وإثبات ما يتوهم نفيه ، أي: رفع توهم تولد من كلام سابق .

- استدرأك ما فات أو ما فوت

- نقص معنوي ينشأ عن قصر في الفهم والادراك

- تثبت لما بعدها حكماً مخالفاً لحكم ما قبلها

- عطف وتأكيد لما بعدها

فهي -لكن- : حرف مشبه بالفعل من حروف المعاني الرباعية حيث ان أصلها لآكن فالالف بها تحذف كتابة وخطاً وتؤكد لفظاً وقولاً، وقولنا للاستدراك يعني بالضرورة أنه لا يصح بها صدارة الجملة والابتداء بها، كونها حالة تتوسط طرفي نقيض؛ أي: لنفي ما قبلها وتثبيت ما بعدها؛ لذا فإن ما بعدها مترتب على ما قبلها، فلا تقع إلا بين متنافيين؛ أو متغايرين؛ وإن كانت حالة التوافق تجمعهما لم يجز، بإجماع علماء النحو. قال الزمخشري: لكن للاستدراك، توسطها بين كلامين متغايرين، نفيًا وإيجابًا. فتستدرك بها النفي بالإيجاب، والإيجاب بالنفي. وتجد قوة تركيب (لكن) إذا حللناها لأصولها -على اعتبار انها مركبة- فستجد انها اتخذت معان نتيجة من اتحاد عناصر :

النفي: ومسوغه عنصر (لا) فهي تنفي اخبارا متقدم

تاكيد وتثبيت (النون) بمنزلة (إن) الخفيفة أو الثقيلة ، إلا أن الهمزة حذفت منها استتقلاً؛ فهي -إن- تثبت خبراً متأخراً . (35)

لاجتماع ثلاثة معان في كلمة واحدة، ف لا تنفي خبراً متقدماً و، ولذلك لا تكاد تجيء إلا بعد نفي وجحد، مثل قوله جل ثناؤه: " وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى " .

هنالك رأي نحوي يقول ان : أن تكون حرف عطف. هذا مذهب جمهور النحويين. ثم اختلفوا على ثلاثة أقوال: أحدها أنها لا تكون عاطفة، إلا إذا لم تدخل عليها الواو. وهو مذهب الفارسي. قيل: وأكثر النحويين.

(35) ومما يدل على أن النون في لكن بمنزلة إن خفيفة أو ثقيلة، أنك إذا ثقلت النون نصبت بها وإذا خففتها رفعت بها (ينظر: الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس) .

والثاني أنها عاطفة، ولا تستعمل إلا بالواو، والواو مع ذلك زائدة. وصححه ابن عصفور. قال: وعليه ينبغي أن يحمل كلام سيوييه، والأخفش. لأنهما قالوا: إنها عاطفة. ولما مثلاً العطف بها مثلاً مع الواو والثالث أن العطف بها، وأنت مخير في الإتيان بالواو. وهو مذهب ابن كيسان. (36)

وذهب يونس إلى أن لكن ليست عاطفة، بل هي حرف استدراك، والواو قبلها عاطفة لما بعدها، عطف مفرد على مفرد. ووافق ابن مالك، في التسهيل، على أنها غير عاطفة، لكنه ذكر في شرحه أن الواو قبلها عاطفة جملة، وتضمر لما بعدها عاملاً. فإذا قلت ما قام سعد ولكن سعيد فالتقدير: ولكن قام سعيد. وإنما جعله من عطف الجمل، لما يلزم، على مذهب يونس، من مخالفة المعطوف بالواو لما قبلها، وحقه أن يوافق. (37)

واستدل من قال، بأن لكن غير عاطفة، بلزوم اقترانها بالواو قبل المفرد. قال ابن مالك: وما يوجد في كتب النحويين، من نحو ما قام سعد لكن سعيد، فمن كلامهم لا من كلام العرب. ولذلك لم يمثل سيوييه، في أمثلة العطف، إلا بـ (لكن). وهذا من شواهد أمانته، وكمال عدالته، لأنه يجيز العطف بها غير مسبوقه بواو، وترك التمثيل به لئلا يعتقد أنه مما استعملته العرب.

أما تركيب الكلمة فقد اختلف البصريين مع الكوفيين :

- مذهب البصريين : (لكن) ، مفردة (38)

- مذهب الكوفيين : (لكن) ، مركبة واصلها (إن) واضيف لها (لا) و (ك) ، وتم حذف همزة (إن) ، ومسوغ هذا في مذهبهم دخول الام في خبره كما تدخل في خبر (إن) ، والشاهد قول الشاعر :

ولكنني في حبها لعميد ..

أما تقي الدين النيلي فقد صرح باسم البصريين وقال (قلت: لكن مفردة عند البصريين ولو سميت به لكان وزنها فاعلا بتشديد اللام)

المسألة السادسة: مجيء واو العطف زائدة :

ذهب الكوفيون إلى أن الواو العاطفة يجوز أن تقع زائدة، وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش وأبو العباس المبرّد وأبو القاسم بن برّهان من البصريين.

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز. (39)

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أن الواو يجوز أن تقع زائدة أنه قد جاء ذلك كثيراً في كتاب الله تعالى وكلام العرب، قال الله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر: 73] فالواو زائدة (40) لأن التقدير فيه:

(36) الجنى الداني في حروف المعاني مادة : (لكن)

(37) المصدر نفسه : (لكن)

(38) التحفة الشافية 2 / 874 .

(39) ينظر : الانصاف 268 - 272 .

(40) التحفة الشافية 2 / 880 .

فتحت أبوابها؛ لأنه جواب لقوله: {حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا} كما قال تعالى في صفة سوق أهل النار إليها: {حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَّتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر: 71] ولا فرق بين الآيتين، وقال تعالى: {حَتَّى إِذَا فَتَحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ} [الأنبياء: 96، 97] فالواو زائدة؛ لأن التقدير فيه: اقترب؛ لأنه جواب لقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا فَتَحَتْ} وقال تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ} [الانشقاق: 1-5] والتقدير فيه أذنت، لأنه جواب "إذا" والشواهد على هذا النحو من التنزيل كثيرة. (41)

وقال الشاعر:

فَلَمَّا أَجْرْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى ... بنا بطن حقف ذي قفافٍ عَقْنَلِ (42)

والتقدير فيه: انتحى، والواو زائدة؛ لأنه جواب "لما".

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الواو في الأصل حرف وُضِعَ لمعنى؛ فلا يجوز أن يحم بزيادته مهما أمكن أن يُجْزَى على أصله، وقد أمكن ههنا، وجميع ما استشهدوا به على الزيادة يمكن أن يُحْمَلَ فيه على أصله وسنبين ذلك في الجواب عن كلماتهم.

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين: أما احتجاجهم بقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر: 73] فنقول: هذه الآية لا حجة لكم فيها؛ لأن الواو في قوله: {وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} عاطفة وليست زائدة، وأما جواب {إِذَا} فمحذوف، والتقدير فيه: حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها فأرؤا ونعموا، وكذلك قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا فَتَحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، واقترَبَ} [الأنبياء: 96، 97] الواو فيه عاطفة، وليست زائدة، والجواب محذوف، والتقدير فيه: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون قالوا يا ويلنا، فحذف القول، وقيل: جوابها: "فإذا هي شاخصة"، وكذلك قول الله تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ} [الانشقاق: 1: 5] الواو فيه عاطفة، وليست زائدة، والجواب محذوف، والتقدير فيه: إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت يرى الإنسان الثواب والعقاب، ويدل على هذا التقدير قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} [الانشقاق: 6] أي ساعٍ إليه في عملك، والكُدْحُ: عمل الإنسان من الخير والشر الذي يُجَازَى عليه بالثواب والعقاب. (43)

وأما قول الشاعر:

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى ... بنا بطن حقف ذي قفافٍ عَقْنَلِ

فالواو فيه أيضًا عاطفة، وليست زائدة، والجواب مقدر، والتقدير فيه: فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن حقف

(41) ينظر: الانصاف 268 - 272 .

(42) ينظر: شرحه البغدادي في الخزانة "4/ 413"

(43) ينظر: الانصاف 268 - 272 .

ذي قفاف عقنقل خَلُونَا ونعمنا. (44)

وقد جاء حذف الجواب في كتاب الله تعالى وكلام العرب كثيرًا، قال الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا} [الرعد: 31] فحذف جواب "لو" ولا بد لها من الجواب، والتقدير فيه: ولو أن قرآنًا سُيِّرَتْ به الجبال أو قطعت به الأرض لكان هذا القرآن، فحذفه للعلم به توخيا للإيجاز والاختصار، وقال تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} [النور: 20] فحذف جواب "لولا" والتقدير فيه: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لَفَضَحَكُمْ بما ترتكبون من الفاحشة ولعاجلكم بالعقوبة .

ولم يأت بالجواب؛ لأن هذا البيت آخر القصيدة؛ والتقدير فيه: حتى إذا أسلكوهم في قَتَائِدَةٍ شَلُّوا شَلًّا، فحذف للعلم به توخيا للإيجاز والاختصار على ما بيَّنا.

ثم حذف الجواب أبلغ في المعنى من إظهاره، ألا ترى أنك لو قلت لعبدك "والله لئن قمت إليك" وسكتت عن الجواب ذهب فكره إلى أنواع من العقوبة والمكروه من القتل والقطع والضرب والكسر، فإذا تمثلت في فكره أنواع العقوبات وتكاثرت عظمت الحال في نفسه ولم يعلم أيها يتقي؛ فكان أبلغ في رَدْعِهِ وَزَجْرِهِ عما يُكْرَهُ منه، ولو قلت "والله لئن قمت إليك لأضربنك" وأظهرت الجواب لم يذهب فكره إلى نوع من المكروه سوى الضرب؛ فكان ذلك دون حذف الجواب في نفسه؛ لأنه قد وَطَّنَ له نفسه فيسهل ذلك عليه . (45)

قال كثير:

وقلت له: يا عَزَّ كُلِّ مُلِمَّةٍ ... إذا وُطِنَتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتْ (46)

وكذلك الحال في الإحسان، نحو "والله لئن زرتني": إذا حذفت الجواب تصورت له أنواع الإحسان إليه من إكرامه والإنعام عليه؛ فكان ذلك أبلغ في استدعائه إلى الزيارة وإسراعه إليها ولو قلت "والله لئن زرتني لأعطيتك درهما" لم يذهب فكره إلى غير الدرهم قط؛ فكان ذلك دون حذف الجواب في نفسه؛ لأنه ربما يكون مستغنيا عنه غير راغب فيه؛ فلا يدعوه ذلك إلى الزيارة، وإذا حذفت الجواب تصورت له أنواع الإحسان إليه؛ فكان ذلك أدعى له إلى الزيارة، كما كان الأول أدعى إلى الترك، على ما بيَّنا . (47)

وذهب تقي الدين النيلي على مذهب البصريين وقال (وهي عند البصريين للعطف وجواب اذا محذوف أي حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها صادف كل امرئ ما وعد

(44) ينظر: المصدر نفسه 268 - 272 .

(45) ينظر: الانصاف 268 - 272 .

(46) ينظر: المصدر نفسه 268 - 272 .

(47) ينظر: الانصاف 268 - 272 .

المصادر والمراجع

- 1 الأصول في النحو 1 / 46 .
- 2 شرح شذور الذهب 1 / 18 .
- 3 شرح شذور الذهب 1 / 46 .
- 4 الأصول في النحو 1 / 47 .
- 6 شرح ابن عقيل 3 / 3 .
- 7 ينظر : معجم القواعد العربية 2 / 119 .
- 8 الأصول في النحو 1 / 61 .
- (¹) 9 المصدر نفسه 1 / 62 .
- (¹) 10 الأصول في النحو 1 / 62 .
- (¹) 11 ينظر : كتاب النحو الوافي 2 / 627 - 630 .
- (¹) 12 ينظر : المفصل 2 / 117 باب الإضافة .
- (¹) 13- ينظر هذه المسألة شرح الرضي على الكافية 2 / 307
- (¹) 14- ينظر : التحفة الشافية 2 / 822
- (¹) 15- الانصاف 1 / 812 .
- (¹) 18- المصدر نفسه 1 / 812 .
- (¹) 17- كتاب التحفة الشافية 2 / 880 .
- (¹) 18- صريح الشيخ خالد وحاشية يس الحمصي عليه " 1 / 272 وما بعدها .
- (¹) 19- ابن يعيش في شرح المفصل "ص 1127
- (¹) 20- شرحه البغدادي في الخزانة " 2 / 347
- (¹) 21- شرح المفصل "ص 1126
- (¹) 23- هذا البيت من كلام زهير بن أبي سلمى المزني، وهو ثابت في ديوانه بشرح الأعلام الشنتمري، وهو من شواهد سيبويه، أنشده في " 1 / 83 و 418 و 452
- (¹) 24- ينظر : الانصاف في مسائل الخلاف 1 / 156
- (¹) 25- التحفة الشافية 2 / 860 .

- (¹) 26-المصدر نفسه 2 / 861
- (¹) 27-جواهر البلاغة 249
- (¹) 28-المصدر نفسه 249
- (¹) 29-المصدر نفسه 250 .
- (¹) 30-التحفة الشافية 2 / 872
- (¹) 31-المصدر نفسه 2 / 872 .
- (¹) 32-ينظر : شرح الكافية لابن الحاجب 125
- (¹) 33-ينظر : الكتاب 1 / 298 . وشرح ابن الحاجب للكافية 125 .
- (¹) 34-المصدر نفسه 2 / 872
- (¹) 35-الجنى الداني في حروف المعاني 587 .
- (¹) 36-ومما يدلّ على أن النون في لكن بمنزلة إن خفيفةً أو ثقيلة، أنك إذا ثقلت النون نصبت بها وإذا خففتها رفعت بها(ينظر:الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس) .
- (¹) 37-الجنى الداني في حروف المعاني مادة : (لكن)
- (¹) 38-المصدر نفسه : (لكن)
- (¹) 39-التحفة الشافية 2 / 874 .
- (¹) 40- ينظر : الانصاف 268 - 272 .
- (¹) 42 : الانصاف 268 - 272 .
- (¹) 43-ينظر : شرحه البغدادي في الخزانة "4/ 413"
- (¹) 44-ينظر : الانصاف 268 - 272 .
- (¹) 45-ينظر : المصدر نفسه 268 - 272 .
- (¹) 46-ينظر : الانصاف 268 - 272 .
- 47-ينظر :المصدر نفسه 268 - 272 .
- 48- ينظر : الانصاف 268 - 272 .

Humanitarian and Natural Sciences Journal

Peer-Reviewed Journal

Volume (2) Issue (11), November 2021



Sudan, Khartoum, Khartoum North,
Kafouri next to Al-Zaeem Al-Azhari University

Tel: 00249123656807

00249905578664

Email: info@hnjournal.net

Iraq - Babylon Tel: 009647805011077